

الصراع بين الإسلام والوثنية

تأليف

عبد الله علي القصيمي

يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا
له، إن الذين تدعون من دون الله
لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له، وإن
يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه
منه، ضعف الطالب والمطلوب،
ما قدروا الله حق قدره. صدق الله العظيم

القاهرة

١٣٥٦

المطبعة السلفية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الأنبياء والمرسلين ، أما بعد .
فاننا بعد أن كتبنا هذا الجزء ونثرنا فيه ماسوف يجده القارىء من المذاهب الشيعية ظفرنا بنصوص شيعية أخرى مدونة فى كتاب معدود لدى القوم من أوثق الكتب بل يكاد يكون أوثقها إطلاقا ، واسم هذا الكتاب « أصول الكافى » تأليف محمد ابن يعقوب المعروف بالكلينى ، وهذا الكتاب ومؤلفه محسوبان عند الشيعة كصحيح البخارى ومؤلفه عند أهل السنة ، وهو مطبوع فى فارس حيث تراض عصبية التشيع وعصائبه . وقد استحسنا أن نضع أمام القارىء نماذج مختلفة من هـذا الكتاب فى هذه المقدمة إتماماً للغرض الذي قصدناه ، وتثبيتاً لما قد يخالفنا بعض رجال الشيعة فى ثبوته عنهم

(الأئمة يوحى اليهم عند الشيعة)

قال فى الكافى : « كتب الحسن بن العباس الى الرضا يقول : ما الفرق بين الرسول والنبى والامام ؟ فقال : الرسول هو الذى ينزل عليه جبريل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحى ، والنبى ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع ، والامام هو الذى يسمع الكلام ولا يرى الشخص » ص ٨٢ وقال « والأئمة لم يفعلوا شيئاً ولا يفعلونه إلا بعهد من الله وأمر منه لايتجاوزونه » ص ١٣٥

وفى الكتاب نصوص أخري متعددة فى هذا المعنى ، فالأئمة لدى هؤلاء أنبياء يوحى اليهم ، ورسل أيضا ، لأنهم مأمورون بتبليغ ما يوحى اليهم ، وهذا هو معنى ادعائهم فى أئمتهم العصمـة وأنهم لايقولون خلاف الحق لا سهواً ولا عمداً ، بل وأنهم لا ينسون ولا يسهون . والأئمة بهـذا أعظم من الأنبياء والرسل عند أهل

السنة ، لأن أهل السنة لا يزعمون أن الأنبياء لا ينسون ولا يسهون ، بل عندهم أن محمداً عليه السلام كان ينسى ، وكان يقول إنما أنا بشر أنسى كما تنسون . والنقل في هذا بالغ مبلغ التواتر المعنوي ، ونسيان الأنبياء في حوادث معلومة نازل به القرآن الكريم

ولاعتقاد الشيعة أن الأئمة يوحى اليهم كالأنبياء يكفّرون من أنكر أحداً منهم أو شك فيه ، أو لم يفضلهم على سائر الخلق ، وكذلك يكفرون من لم يتبعهم من المسلمين ، ولأجل هـذا يجعلون الامامة أساس الدين وقاعدته التي عليها النجاة والهلاك ، فالأئمة عندهم كالأنبياء فيما هم به أنبياء ، بل هم عندهم أعظم وأجل من أكثر النبيين ، وهذا أمر لايختلفون فيه وسوف يمر بالقارىء في أثناء هذا الكتاب الذي تولينا مناقضته أن صاحبه يفضل العلماء ، بله الأئمة ، على بعض الأنبياء . وهذه مآسٍ علمية لا يكع القوم عن الجهر بها

وعلماء الاسلام اليوم يرون أن فرقة القاديانية خارجة من نطاق الاسلام لزعمها أن باب النبوة لا يزال مفتوحا ، فما قولهم في هؤلاء الذين يزعمون أن الأئمة أنبياء ثم يزعمون أن الامامة واجبة على الله في كل زمان ، ومعنى هـذا أن النبوة بأبلغ معانيها واجبة على الله وموجودة أيضاً في كل زمان ؟

(الأئمة عند الشيعة يعلمون كل شيء)

ثم قال : « والأئمة اذا شاءوا أن يعلموا شيئاً أعلمهم الله إياه ، وهم يعلمون متى يموتون ، ولا يموتون إلا باختيارهم ، وهم يعلمون علم ما كان وعلم ما يكون ولا يخفى عليهم شيء » ص ١٢٥ و ص ١٢٦

وفي الكتاب نصوص أخرى أيضاً في المعنى ، فالأئمة يشاركون الله في هذه الصفة ، صفة علم الغيب وعلم ما كان وما سيكون ، وأنه لا يخفى عليهم شيء ،

والمسلمون كلهم يعلمون أن الأنبياء والمرسلين أنفسهم لم يكونوا يشاركون الله فى هذه الصفة ، والنصوص فى الكتاب والسنة وعن الأئمة فى أنه لا يعلم الغيب إلا الله متواترة لا يستطاع حصرها فى كتاب . وهذا غنى عن الادلاء بشواهده ، ومن المؤسف المخجل لعمر الله أن يزعموا أن الأئمة يعلمون الغيب ، ويعلمون ما كان وما سيكون ، ويزعمون أنه لا تخفى عليهم خافية ، وهم يصفون الله جلت قدرته وعظمته بالبداء كما سوف يمر بالقارىء . ومعنى البداء أنه تعالى يعلم ما لم يكن يعلم ويبدو له من الأمر ما لم يكن باديا . فالأئمة عند القوم أعلم من الأنبياء والمرسلين وأعلم من الله نفسه !

وعلى أساس هذه العقيدة الغالية فى الأئمة اتجه لهم أن يضرعوا اليهم كما يضرع الناس الى الله ، وأن يدعوهم فى السراء والضراء كما يدعو المؤمنون ربهم ، وأن يسألوهم كل ما يسأله الموحد ربه من عظيم الحاجات وجليل المطالب

(الائمة أعلم من الأنبياء عند الشيعة)

ثم قال : « وعند الأئمة جميع الكتب التى نزلت من عند الله ، وهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها ص١٠٧ وما من غائبة فى السماء والأرض إلا فى كتاب مبين . ثم أورث الله الأئمة الكتاب الذي فيه تبيان كل شيء ص ١٠٧ وعند الأئمة اسم الله الأعظم ص ١١٠ و ص ١١٢ وعندهم الجفر وهو وعاء من أدم فيه علم النبيين والوصيين وعلم الذين مضوا من بنى اسرائيل ص ١١٥ وقال أبو جعفر إن لله علماً علمه ملائكته ورسله فما علمه ملائكته ورسله فنحن نعلمه » ص ١١٣

وقال فى الوشيعة : « كان الصادق يقول على ما تروى كتب الشيعة إنى لأعلم ما فى الجنة وما فى النار ، وأعلم كل ما كان وكل ما يكون ، ولو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أنى أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس لهما » ص ٩٣

فالأئمة أعلم من الأنبياء ومن الملائكة ومن جميع العالمين ، لأنهم يعلمون علم الملائكة ، وعلم الأنبياء ، وعلم جميع الغابرين من بني اسرائيل ، بل ويعلمون كتاب الله المبين الذي أحاط بالغيوب الكائنة في الأرض أو في السماء ، ويعلمون جميع اللغات التي نزلت بها كتب الله على أنبيائه ، ولا يتنازع المسلمون في أن نبياً من الأنبياء مهما عظم قدره ومنزلته لم يكن يعلم ذلك كله ولا يحيط بجميع ماذكروه لأئمتهم خبرا ، ولا أحد من المسلمين المهتدين يزعم أن سيد الأنبياء كان يعلم علم جميع الأنبياء وجميع العالمين ، وعلم جميع الملائكة ، وعلم ما في الكتاب المبين الذي ضمن كل غائبة في الأرض أو في السماء ، وأنه يعلم جميع اللغات التي نزلت بها كتب الله . هذا من الأمور الضرورية ، والنصوص على ذلك لا يحصيها محص

فالأئمة أعلم من الأنبياء جميعاً في مذاهب الشيعة ! فما يقول العلماء فيمن يزعمون هذا المزعم ؟

(القرآن ضائع منه ثلاثة أرباعه عند الشيعة)

ثم قال : «ولم يجمع القرآن كله إلا الأئمة . وهم يعلمون علمه كله ، وقد كذب من ادعى من الناس أنه جمع القرآن كله ، فما جمعه وحفظه كما أنزله الله إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده ص ١١٠ وعند الأئمة مصحف فاطمة وفيه مثل قرآننا ثلاث مرات . وليس فيه من قرآننا حرف واحد » ص ١١٥

هذا قول الشيعة ورأيهم في كتاب الله ، والمسلمون لا يختلفون في أن من زعم أن القرآن قد نقص منه حرف واحد فقد ارتد ، وليس من شك أن من زعموا أنه قد ضاع ثلاثة أرباع القرآن أو زعموا أن هذا المصحف الذي بين أيدي المسلمين ليس هو كلام الله الذي أنزله على نبيه قوم أدعياء في الاسلام ، وأن أمرهم فوق أمر المرتدين ، بل لا نرتاب أن هذه مزاعم زنادقة قالوا انهم أسلموا ليقوضوا

دعائم الاسلام وليضربوه الضربة القاتلة المميتة ، ولا نتأثم من أن نقول ان أهل الملل الأخرى المصارحين الاسلام بالعداوة والبغضاء ، أقرب اليه من هؤلاء ، واننا ننبه هؤلاء المسلمين الذين يحفلون ويحتفلون برجال هذه الطائفة ويدعونهم اخوانهم المخلصين ، ويبالغون فى إكرامهم ورعاية ضيافتهم الى هذه الحقيقة المرة ونقول لهم ان الاسلام أجل فى نفس المسلم من أن يتقبل مصانعة قوم هذا زعمهم فى كتاب الله ، وما أقر عيون القادحين فى الاسلام لو ظفروا بهذه الآراء الشيعية فى أمر الاسلام وكتابه ! وما عسى خصم الاسلام يقول فيه شراً من هذا أو ينال منه أعظم مما نالته منه الشيعة !

(الناس عبيد للائمة والأرض ملك الامام عند الشيعة)

ثم قال الكافى « قال الرضا : الناس عبيد لنا فى الطاعة موال لنا فى الدين ، فليبلغ الشاهد الغائب ض ٨٨ والأرض كلها للامام . قال الله « ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » وأهل البيت هم الذين أورثهم الله الأرض وهم المتقون ، وفى كل من الغنائم والغوص والكنوز والمعادن والملاحة الخمس ، قال الله « واعلموا أنما غنمتم من شىء فان لله خمسه الآية » وماالله ولرسوله ولذى القربى للامام ص ٢٨٩ وكذلك الآجام والمعادن والبحار والمفاوز فهى للامام خاصة . فان عمل فيها قوم باذن الامام فلهم أربعة أخماس وللامام الخمس» ص ٢٨٨

قال فى الوافى [1] : « كل أنهار الأرض خرقت بابهام جبريل هى لنا ولشيعتنا وليس لعدونا من ذلك شىء ، وان ولينا لفى أوسع مما بين السماء والأرض» . وقال فى الوافى والتهذيب [2] أيضاً « الأرض كلها لنا وما أخرج الله منها من شىء فهو لنا

(١) الوافي أحد كتب الشيعة المعتمد عليها لديهم

(٢) التهذيب أحد كتب الشيعة القديمة

وقد أحللناها لشيعتنا ، وسائر الناس يتقلبون فى حرام الى يوم القيامة ، وقال الصادق إنا أحللنا أمهات شيعتنا لآباء شيعتنا لتطيب ولادة الشيعة ، وكل الأموال رقابها يختص بها الامام دون سائر الناس ، فلا يحل لأحد نكاح ولا تجارة ولا طعام على وجه من الوجوه وسبب من الأسباب إلا باباحة من الامام وإطلاق منه فى التصرف »

فالناس كما ترى عبيد لأئمة الشيعة ، والأرض وما فيها ملك أيضا لامامهم ، فالعالم الأرضى بناسه وحيواناته ومعادنه وكنوزه وبحاره وكل ما فيه ملك الامام يتصرف فيه تصرف المالك فى ملكه ، فليس فى هذه الأرض انسان واحد حر وليس فيها مالك سوى الامام إلا ما يهبه هذا الامام لمن يشاء من عبيده تفضلا منه وأجراً لكدحهم وأعمالهم ! نحن لا نسمى مثل هذا خروجا على الدين أوعلى الأديان كلها ، فهو أقل من هذا كله ، بل هو الفناء الدينى والانتحار العلمى الشنيع . ولا نعلم كيف يمكن أن يعطى الامام نصيبه من هذه المغانم والكنوز والملاحات وغير ذلك مما يملكه ، وهو كما تزعم الشيعة مختف منذ أكثر من ألف عام فى مغارة من المغارات المجهولة المنقطعة ، لا تمكن معرفتها ولا معرفته ولا الاتصال بها أو به ؟ هذا لعمر الله سوءة الدهر وقاصمة الظهر

(الائمة خزان علم الله وكل ما لم يكن من عندهم فهو ضلال)

ثم قال فى الكافى : « قال أبو جعفر نحن خزان علم الله ونحن تراجمة وحى الله ص ٩١ . . . وليس من الحق فى أيدي الناس الا ما خرج من عند الأئمة . وإن كل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل » ص ٢١٢

والنقول عندهم فى هذا المعنى كثيرة . فالأئمة المعلومون المعدودون لدى الشيعة هم الخزان لعلم الله وهم التراجمة لكلام الله ووحيه ، وهم المخصوصون بمعرفة الهدى

والحق . فلن يصل الى ملك مقرب ولا الى نبي مرسل قبس من علم الله الا من طريق الائمة والا باذنهم وامرهم ، ولن يعرف عبد من عباد الله معنى من معانى وحى الله ولا سراً من أسراره ولا أمراً أو نهياً من أوامره ونواهيه الا ما ترجمه الأئمة وبنوه ، والا ما شاءوا لعبيدهم الناس أن يعلموه . وكل علم لم يأت من طريق الأئمة فهو جهل ، وكل هدى لم يخرج من عندهم فهو ضلال ، وكل حق لم يصدر من ساحتهم فهو باطل ، لأنهم هم الخزان والتراجم لعلم الله ووحيه وكلامه . فلا الملائكة مهتدون ولا عالمون ، ولا غيرهم مهتدون ولا عالمون ان لم يتفضل عليهم أئمة الشيعة بالهداية والعلم . ولا أحد يستطيع أن يفهم من كلام الله آية واحدة ولا حرفا واحداً إن لم يترجمه له تراجمة كلام الله ووحيه من أئمة الشيعة . فلا هدى إذن ولا علم ولا سعادة ولا نجاة إلا للشيعة ! ؟ والمصيبة الكبرى أن يكون لعلم الله خزان تعالى الله عن ذلك ! ولا ريب أن خازن علم الله أعلم من الله أو مساوٍ له ! جل الله وتعالى جده وأعلى شأن أنبيائه ورسله وملائكته ! !

(الشيعة للجنة وإن أساءوا ، وأهل السنة للنار وإن أحسنوا)

ثم قال فى الكافى : « قال الله تبارك وتعالى لأعذبن كل رعية فى الاسلام دانت بولاية كل إمام جائر ليس من الله وان كانت الرعية فى أعمالها برة تقية ، ولأعفون عن كل رعية فى الاسلام دانت بولاية كل إمام عادل من الله وان كانت الرعية فى أنفسها ظالمة مسيئة » ص ١٩٠ وقال فى الكافى أيضاً « قيل للصادق انى أخالط الناس فيكثر عجبى من أقوام لا يتولونكم ويتولون أبا بكر وعمر لهم أمانة وصدق ووفاء ، ومن أقوام يتولونكم ليس لهم أثر من صدق ولا وفاء ولا أمانة ، فاستوى الصادق جالساً ، فأقبل كالغضبان ! ثم قال لادين لمن دان الله بولاية إمام جائر ، ولا عتب على من دان الله بولاية إمام عادل . قلت لا دين لأولئك ولا

عتب ولا ذنب على هؤلاء ؟ ! قال الصادق نعم ! ألا تسمع الى قول الله « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور » من ظلمات الذنوب الى نور التوبة والمغفرة بولاية إمام عادل من الله « والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات » كانوا على نور الاسلام فلما تولوا كل إمام جائر ليس من الله خرجوا من نور الاسلام الى ظلمات الكفر » . وقال فى الكافى أيضاً وهو فى التهذيب أيضاً : « قلت للصادق أ أنزل مكة ؟ قال لا تفعل . أهل مكة يكفرون بالله جهرة . قلت أ أنزل فى حرم النبى ؟ قال هم شر منهم . أهل المدينة أخبث من أهل مكة سبعين ضعفا . عليك بالعراق بالكوفة . أهل الشام شر من الروم ، والمخالف شر من سائر الكفار . لعنة الله عليهم وعلى أسلافهم ... »

والنصوص فى كتب القوم فى تثبيت هذا البلاء متواترة . فأهل السنة الموالون لأبى بكر وعمر لن تقبل منهم حسنة ، والشيعة المجاوزن لأبى بكر وعمر المؤمنون بالامام المنتظر لن يؤاخذوا بسيئة واحدة ! فاظلم الشيعة صائر الى الجنة ولا بد ! وأتقى أهل السنة صائر الى النار ولا بد ! فهؤلاء لن تنفعهم الحسنات ، وهؤلاء لن تضرهم السيئات ! فليعمل خصوم أبى بكر ما يشاؤن من الفسوق والمروق ، فلن يسألوا عن شىء مما يعملون ، وليقلل أولياء أبى بكر وعمر من البر والصلاح فلن يجزوا بحسنة مما يصنعون ؟ !

وهذه الآراء تصير بأصحابها، وأسفاه ،الى الفوضى والاباحية المطلقة ، وسيجد القارىء أنها قد حملت طوائف من الشيعة على أن دانوا برفع التكاليف الالهية عنهم لاعتقادهم أن من وصل الى الاعتراف بالامام فقد وصل الى الكمال ، فلا جناح عليه أن يعمل ما يشاء وأن يدع ما يشاء ! فلا حلال ولا حرام ولا واجب ولا محظور . فلتغتنم الشهوات إذن قبل الفوات ، ولترتشف النفوس حاجاتها من هذه الحياة ، فكل ذنب مغفور، فمن ترك شهوة خوف عقباها فقد جهل وخسر . ونحن

لا نشك أن وضعة هذه الأقوال التى تعزوها كتب الشيعة الى أئمة آل البيت ـ قوم ما كرون منافقون . ناوءوا الاسلام بهذا السلاح المرذول ، ومن أعظم الهجاء لآل البيت عزو هذه الأقاويل اليهم ، ومن الواضح أن النواصب لم ينالوا منهم ما نال هؤلاء الشيعة

(الامام عند الشيعة)

ثم قال فى الكافى : « وقال الرضا : إن الامامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء . إن الامامة خلافة الله وخلافة الرسول ومقام أمير المؤمنين وميراث الحسن والحسين . إن الامامة زمام الدين ونظام المسلمين ، وصلاح الدنيا وعز المؤمنين . الامامة أس الاسلام النامى وفرعه السامى ، وبالامامة تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج وتوفير الفىء والصدقات وامضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف . الامام يحل حلال الله ويحرم حرام الله ، ويقيم حدود الله ويذب عن دين الله . الامام الماء العذب على الظمأ ، والدال على الهدى ، والمنجى من الردى . الامام المطهر من الذنوب والمبرأ من العيوب ، المخصوص بالعلم الموسوم بالحلم . الامام واحد دهره ، لا يدانيه أحد ولا يعادله عالم ، ولا يوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير . مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه ولا اكتساب بل اختصاص من المفضل الوهاب ، فمن ذا الذى يبلغ معرفة الامام أو يمكنه اختياره ؟ هيهات هيهات ، ضلت العقول وتاهت الحلوم وحارت الألباب ، وكلت الشعراء وعجزت الأدباء وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه أو فضيلة من فضائله وأقرت بالعجز والتقصير . وكيف يوصف بكله أو ينعت بكنهه أو يفهم شىء من أمره أو يوجد من يقوم مقامه ويغنى غناه ، وهو بحيث النجم من يد المتناولين ووصف الواصفين ؟ لقد راموا صعبا وقالوا إفكا إذ تركوا أهل بيته عن

بصيرة . ورغبوا عن اختيار الله ورسوله الى اختيارهم والقرآن ينادى « وربك يخلق مايشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة من أمرهم » فكيف لهم باختيار الامام ؟ عالم لا يجهل ، وداع لا ينكل ، معدن القدس والطهارة والنسك والزهادة ، والعلم والعبادة . مخصوص بدعوة الرسول . إن العبد اذا اختاره الله لأمور عباده شرح صدره وأودع قلبه ينابيع الحكمة وألهمه العلم الهاماً ، فلم يعى بجواب ، ولا يحيد فيه عن الصواب . فهو معصوم ، قد أمن من الخطأ والزلل والعثار . يخصه الله بذلك ليكون حجته على عباده وشاهده على خلقه ص ٩٦ و ص ٩٧ . والله لم يعلم نبيه علماً إلا أمره أن يعلمه عليا ، وانه كان شريكه فى العلم ص ١٢٧ ثم انتهى هذا العلم الى الأئمة ولو كان لألسنة الناس أوكية لحدثتهم الأئمة بما لهم وما عليهم ص ١٢٨ ، والله أمر بطاعتهم ونهى عن معصيتهم ، وهم بمنزلة رسول الله إلا أنهم ليسوا بأنبياء ولا يحل لهم من النساء مايحل للانبياء ، فأما ماخلا ذلك فهم بمنزلة رسول الله ص ١٣١ ، وكان مع رسول الله روح أعظم من جبرائيل وميكائيل ، وهذا الروح مع الأئمة ص ١٣٢ ، وكل امام يؤدى الى الامام الذى بعده الكتب والعلم والسلاح ص ١٣٣ ، والامام لا يلهو ولا يلعب ولا يستطيع أحد أن يطعن عليه فى فم ولا بطن ولا فرج ص ١٣٨ ، وكل امام يعهد الى الذى يليه ويترك له كتاباً ملفوفا ووصية ظاهرة ، وفى هذا الكتاب مايحتاج اليه ولد آدم منذ خلق الله آدم الى أن تفنى الدنيا . وللامام غيبة وللامام الثانى عشر غيبة قال الله « فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس » ص ١٤٩ وقال . « قال أبو عبد الله من ادعى الامامة وليس من أهلها فهو كافر » ص ١٨٧ ، وقال أبو جعفر كل من دان الله بعبادة يجهد نفسه فيها وليس له امام من الله فسعيه غير مقبول وهو ضال متحير والله شانيء لأعماله ص ١٨٩ ، والامام اذا مات لا يغسله إلا امام ، وقال أبو عبد الله اذا أراد الله أن يخلق الامام من الامام بعث ملكا فأخذ شربة من

تحت العرش ودفعها الى الامام فشربها فيمكث فى الرحم أربعين يوماً لا يسمع الكلام . فاذا وضعته أمه بعث الله اليه ذلك الملك فكتب على عضده الأيمن « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته » فاذا قام بهذا الأمر رفع الله له فى كل بلدة مناراً ينظر به الى أعمال العباد ص ١٩٦ ، والملائكة تدخل بيوت الأئمة وتطأ بسطهم وتأتيهم بالأخبار ص ١٩٩ ، والأئمة هم أركان الارض أن تميد بأهلها وحجته على من فوق الأرض ومن تحت الثرى » ص ٩٣ ، وفى الوافى « قال الصادق كنا عند الله وليس عنده أحد سوانا لا ملك ولا غيره . ثم بدا له فى خلق السموات والأرض فخلق ونحن معه ، وكان الصادق يقول إن الله خلق أرواحنا من نور عظمته ثم خلق أبداننا من طينة مكنونة تحت العرش . فنحن خلق نورانيون لم يجعل الله لأحد فى مثل الذي خلقنا منه نصيبا ، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا وخلق أبدان الشيعة من طينة مخزونة أسفل من تلك الطينة ولم يجعل لأحد فى مثل الذى خلق الشيعة منه نصيبا إلا للانبياء ، ولذلك صرنا نحن والشيعة «الناس» وصار سائر الناس همجاً للنار والى النار » الباب السابع والثامن بعد المائة. وفى الوافى أيضا « علىّ مثل النبى كافه الله بمثل ما كاف به نبيه فى التبليغ والهداية بيده مفتاح الجنة والنار ، لايدخلهما داخل إلا على حد قسمته . وهو المؤدى عن كل من تقدم لا يتقدمه أحد إلا أحمد هو والنبى على سبيل واحد ، وقد أعطى الست . المنايا والبلايا والوصايا وفصل الخطاب ، وهو صاحب الكرات والدولة والعصا والميسم ، وهو الدابة التى تكلم الناس »

وفى كتاب الوشيعة ص ١٠١ « روت كتب الشيعة مثل الكافى والوافى والتهذيب أن الله خلق محمداً وعلياً وفاطمة أول ماخلق فمكثوا ألف دهر . ثم خلق العالم وأشهد هؤلاء الثلاثة خلق العالم ثم فرض طاعة هؤلاء على العالم وفوض أمور العالم اليهم . فهم يفعلون ما شاؤا ويحلون ما شاءوا ويحرمون ماشاءوا »

هذه بعض صفات الامام وبعض مايخلعونه عليه من التقديس . فالامام عندهم يفعل ويقول مايشاء ، وكل مايقول وما يفعل فهو كما يقول وكما يفعل . فهو معصوم من الخطأ والزلل وسائر أعراض البشرية ، وهو عالم لا يجهل شيئاً فطاعته لأجل ذلك فرض على الجميع فمن خالفه أو حاد عنه أو قدم مخلوقاً عليه فهو من الكافرين وهو كالنبى فى رفعة الشأن ، وهو شريكه فى العلم ، والشركة هنا يجب أن تفهم فهماً يخالف أن يكون المراد أنه يتلقى عنه مايوحى اليه لأن الناس جميعا مثل على فى هذا ، وإنما الشركة هنا هى الشركة فى الرسالة . فعلىّ شريك محمد عليه السلام وقد قدمنا أن الأئمة يوحى اليهم وأن الملائكة تأتيهم بالاخبار كالانبياء . ثم الامام مخصوص بالفضل كله محض تفضل من الله . فلا فضل إلا والامام مخصوص به فهو كامل من جميع الوجوه ، والفضل هنا كل معنى جميل . فالامام مخصوص بالعلم وبالقدرة وبفهم شرائع الله والاحاطة بجميع أسراره وشئونه ، وفى الاحاطة بجميع العلوم واللغات ، وبالاجمال مخصوص بكل وصف حسن من أوصاف الانبياء وصفات الله . ثم هو يحل حلال الله ويحرم حرامه . فمن خالفه فقد خالف الله لأنه ينطق بمراد الله لصلته به ، وهذا المعنى مستعار من عقيدة النصارى ، ومن قولهم ماحل الاحبار والرهبان فى الارض فهو محلول فى السماء وما ربطوه فى الارض فهو مربوط فى السماء . ثم الامام هو المنجى من الردى فهو الذى يدفع عن العباد الآفات وأفانين الاقدار الفادحة ، وهو المطهر من العيوب والذنوب ، وهو المخصوص بالعلم كما هو المخصوص بالفضل ، وكلمة مخصوص فيها معنى الانفراد فالأئمة هم العلماء وحدهم لا يشاركهم فى العلم مشارك والناس لا يعلمون إلا ما علمهم اياه الائمة . والامام لا يدانيه أحد إذ ليس له نظير لأنه هو الكامل الجامع لأشتات الفضائل . ثم لا تستطاع معرفته ولا اختياره لعظم شأنه ، وفى هذا المعنى قال أحد الشيعة فى الامام على :

ألا انما الاسلام لولا حسامه   كعفطة عنز أو قلامة ظافر
يجل عن الاعراض والأين والمتى   ويكبر عن تشبيهه بالعناصر

وقد عجز الناس عن أن يصفوا شأناً من شؤونه أو يقدروا فضيلة من فضائله فلا يمكن أن يعرف شيء من أموره وأسراره أو يوجد من يقوم مقامه ، فليس كمثله شيء . ثم هو مقدس ، بل هو معدن القداسة ، فهو مقدس فى نفسه مقدس غيره ، وقد ألهم الحكمة والعلم الهاما فأحاط بافراد الحكم والعلوم فلا يعجزه جواب ولا يحيد عن صواب ، بل كل أمره علم وحكمة وصواب . ثم ان علوم الامام لا تستطاع الاحاطة بها ، ولو كان للناس استعداد لحدثهم بما لهم وما عليهم دنيا وأخرى ، وقد أمر الله بطاعته ونهى عن معصيته تخصيصاً وتنصيصا . فهو كالرسول فى كل شيء إلا فى النساء ، وأما فيما خلا ذلك فهو كهو ، ولهذا فان له جميع النواميس النبوية ، وقد كان مع رسول الله روح أعظم من جبرائيل وميكائيل وهذا الروح مع الامام ، ولا نعلم ماذا يريدون بالروح ، وأية روح هي أعظم من جبريل وميكائيل ؟ ولعلهم يريدون الحلول المشهور عنهم كما سوف يجيء . ثم هنالك سلاح وعلم وكتب تتوارثها الائمة ، وكل امام يعهد الى الامام الذى بعده كتاباً فيه جميع ما يحتاج اليه البشر ، ولهذا فان الائمة أركان الارض يمسكونها عن الميدان والزلزال ولولاهم لا نكفأت بأهلها ، ومن ادعى أنه امام وليس كذلك فهو كافر كما أن من ادعى انه إله أو رسول فهو كافر ، والامام مخالف للمخلوقات فى خلقته وفى موته وفى كل شيء . فهو مخلوق من شربة تحت العرش ، واذا ماولد جاءه ملك وكتب على يده آية ثم رفع له منار يرى به أعمال العباد أين كانوا . والائمة متقدمو الوجود على الموجودات ، فقد كانوا مع الله قبل أن يكون معه أحد ثم بدا له أن يخلق فخلق وهم معه . وأرواح الأئمة وأبدانهم مغايرة لارواح الناس وأبدانهم . فأرواحهم من نور عظمة الله فهى الهية ، وأبدانهم مخلوقة من

طينة تحت العرش ، وأما سائر الناس فهمج للنار والى النار ، والامام مكلف بمثل ما كلف به النبي من البلاغ والهداية لانه مثله يوحى اليه ، وبيده الخير والشر والاسعاد والاشقاء . فلا يدخل الجنة داخل ولا يدخل النار داخل إلا بقسمته وأمره ، وقد أعطى التصرف فى ست فى المنايا والبلايا يميت ويحيي ويبتلى ويعافى من يشاء ، وقد وكل اليه أمر الوصايا وفصل الخطاب وفوض اليه أمور العالم فهو يحل ويحرم ويفعل كل مايشاء

هـذه مجموعة من الاوصاف اذا ما نسقت لموصوف واحد ونسق معها ما قدمنا خرج من بينها رب عظيم جامع لاوصاف الربوبية ، فاذا ما أضيف الى هذا ما يمنحونه الائمة من الضراعات ومعانى العبودية خرج من ذلك إله عظيم معبود ، ولا فرق بين الامام عنـد الشيعة وبين اللاهوت والناسوت وروح القدس أو المسيح عند النصارى ، ولعل هـذه مستعارة من تلك ، والشيعة تقول بحلول اللاهوت فى ناسوت الأئمة ، وقد جهر قدامى الشيعة بهـذا ، وهذه الأوصاف التي يخلعونها على الامام لا فرق بين قولهم بها وبين أن يقولوا ان الامام شريك لله أو مساو له أو هو هو ، لأن هذه الأوصاف الامامية هى أخص أوصاف الله . ولهذا كثيراً ما يجهر المتشيعون بتأليه أئمتهم وبتأليه أنفسهم كما صنع الفاطميون ودعاتهم ، ومن هذا الطريق دخل الى الاسلام القائلون بوحدة الوجود وبحلول الخالق فى خلقه ، وكان هذا أصل الأصول لما أصاب الاسلام والمسلمين من الفساد واعتلال العقائد

(المسلمون فى رأى الشيعة)

للشيعة فى سائر الأمة ولا سيما الصدر الأول رأى شنيع . وقد تعبدوا بتأليف اللعنات الملتهبة وارسالها على المسلمين ، وقد خصوا بأشد ذلك أكابر المسلمين كالخلفاء وقد ملئوا كتبهم بهذه اللعنات وأبدعوا أي ابداع فى إجادتها وإسباغ الأثواب الشعرية الخيالية عليها ، وهم لا يشكون فى كفر كبار الصحابة كالخليفتين وكفر من

تولوهم فى جميع العصور . والنقل فى كتبهم لا يحصره كتاب . وفى كتابنا هـذا أفانين من هذا النوع . وقد تقدم قولهم ان الشيعة والأئمة هم الناس وأن المسلمين وغيرهم همج للنار والى النار ، وأن الله لا يتقبل من مسلم حسنة مهما أحسن وبالغ فى الاحسان إن لم يكن شيعيًا . وتقدم أن من أنكر أحداً من أئمتهم فهو كافر ضال والله شانيء لأعماله ، وأن من تولى اماماً جائراً كأبي بكر وعمر فهو كافر للنار والى النار . وقد روى الوافى « ان أول من بايع أبا بكر هو إبليس ، وأن النبي قال أول من يبايع أبا بكر فى منبري هذا هو ابليس » وفى الوافى أيضاً عن الصادق « ان قول الله وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم » نزل فى أبي بكر وعمر حين قالا يوم وصاة النبي بالامر لعلى انظروا الى عينيه (أي عيني النبي) تدوران كأنهما عينا مجنون » وفى الكافى : « أن النبي قال لابي بكر لما رأى جزعه فى الغار أسكن ثم أراه النبي معجزات فأضمر أبو بكر فى نفسه حينذاك أن النبي ساحر فسمى صديقاً » وفى الكافى والوافى « ان قول الله ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ـ الآية نزل في عائشة وحفصة وإنهما كافرتان منافقتان خالدتان فى النار » وروى الوافى وغيره عن الصادق أنه قال « ما من مولود يولد الا وابليس من الأبالسة بحضرته فان علم الله أن المولود من شيعتنا حجبه من الشيطان وإن لم يكن من شيعتنا أثبت الشيطان اصبعه فى دبر الغلام فكان مأبونًا وفى فرج الجارية فكانت فاجرة » وفى التهذيب : « كان الصادق يقول خذ مال الناصبي حيث ما وجدته وادفع الينا الخمس » وفى الوافى قال : « كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله » وقال فى الوافى أيضاً « الجهاد مع غير الامام حرام مثل حرمة الميتة والخنزير ، ولا شهيد الا الشيعة ، والشيعي شهيد ولو مات على فراشه حتف أنفه ، والذين يقاتلون فى سبيل الله من غير الشيعة فالويل يتعجلون »

وفي الوافى « قال رجل للباقر قد حججت وأنا مخالف فقال أعد حجك » وفى الوافى : « ما اختص بروايته الامة فلا تلتفت اليه » وفى الكافى « أن قول الله (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) الآية قد نزل فى الصحابة بعد موت النبي » وفى الكافى « ان قول الله (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً) الآية نزل فى أولياء أبي بكر وعمر » وفى الكافى أيضا أن قوله « ان الذين آمنوا ثم كفروا » الآية نزل فى أبي بكر وعمر وعثمان آمنوا بالنبي ثم كفروا حيث عرضت عليهم ولاية على ، ثم آمنوا بالبيعة لعلى ، ثم كفروا بعد موت النبي ، ثم ازدادوا كفراً بأخذ البيعة من كل الأمة »

(تفسير الشيعة للقرآن)

لم يعتد على كتاب الله بتفسيره التفاسير المنكرة المضحكة مثل الشيعة . وقد وضعنا أمام القاريء نماذج من هذه التفاسير . فيفسرون الجبت والطاغوت بأبي بكر وعمر ، ويفسرون الأنداد في قوله (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً) بالخليفتين أيضا . ويقولون فى قول الله (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) الآية أنهم هم الصحابة اذ تولوا الخلفاء . ويقولون إن امرأة لوط وامرأة نوح الكافرتين المذكورتين فى القرآن هما عائشة وحفصة ، ويقولون فى قول الله (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر) الآية أنه نزل فى أبي بكر وعمر . ويقولون فى أئمة الكفر فى قوله (فقاتلوا أئمة الكفر) أنهم طلحة والزبير ، وأن الشجرة الملعونة فى القرآن هم بنو أميـة ، وأن البقرة التى أمر بذبحها هى عائشة ، ويقولون فى « مرج البحرين » انهما علي وفاطمة وفى « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » انهما الحسن والحسين وقد حمل طوائف منهم الفرائض والمحرمات على أنها رجال ، فاستحلوا المحرمات وتركوا الواجبات ، ومن الظريف أن شيخا منهم واسمه بيان كان يزعم أن الله يعنيه بقوله « هذا بيان للناس » وكان آخر منهم يلقب بالكسف

فزعم هو وزعم له أنصاره أنه المعنىّ بقول الله « وإن يروا كسفاً من السماء » الآية ،
وقد جاء المختار بن أبي عبيد من ذلك بأعاجيب الأعاجيب

كربلا أفضل من مكة عند الشيعة :

لما أن كان مذهب الشيعة قائماً على عداء الصحابة وعلى الغلو في آل البيت كره المتشيعون كل أرض يوالى أهلها الصحابة وقدسوا كل أرض يعاديهم أهلها ، ولهذا فإنهم يكرهون الحجاز أشد الكراهة لأن أهله لم يزالوا من أولياء أبي بكر وعمر ولأن في الحجاز جسدي هذين الخليفتين ، وقد قدمنا أن بعض الناس سأل أحد أئمة الشيعة عن النزول في مكة والمدينة فنهاه وسبَّ أهلها أمر السب ، ونصح له بالنزول في العراق . وهجوم القرامطة على مكة وتخريبها وانتهاب الحجر الأسود وقتل الحجيج مرجعه هذا ، لأن القرامطة فرقة من فرق الشيعة . ولأجل هذا فإنه يندر أن يحج الشيعة وهم يعتقدون أن بلداً يحله مشهد من مشاهد آل البيت أفضل من مكة ، وزيارة واحدة لمشهد من المشاهد أفضل من الحج . ومن أفظع ذلك أن ثلاثة من رجال الشيعة وهم محسن الأمين العاملي وأحمد عارف الزين صاحب مجلة العرفان وعبد الحسين شرف الدين ألفوا رسالة سموها « الشيعة والمنار » وقد جاء في هذه الرسالة ص ٢٥ أن كربلاء أفضل من مكة وأن زيارة آل البيت فيها أفضل من حج بيت الله . وذكروا في وجه ذلك أن كربلاء تضم رفات آل البيت . ومن الجراءة أنهم ذكروا لهذا عنواناً في رأس الصفحة ونصه : « وجه تفضيل كربلاء على مكة عند الشيعة »

فكربلاء أفضل من مكة ، وزيارة المشاهد أفضل من الحج ، والأئمة أفضل من الأنبياء ، وظلمة الشيعة أفضل من أبي بكر وعمر ، ومن أتقى أهل السنة ، وسيئات الشيعة أبر وأفضل من حسنات أهل السنة ، وأهل السنة لا تقبل لهم حسنة

والشيعة لا يؤاخذون بسيئة ، والأئمة يعلمون كل شيء ، ويقدرون على كل شيء ، ويصنعون كل ما يصنعه الله ، ويُسألون كل ما يُسأله الله . هذا كله من عقل الشيعة ودينها وإسلامها منقولا من أصح كتبهم . وإننا ندع للقاريء وحده هذا السؤال : هل يمكن أن يكون أصحاب هذه الآراء من أصدقاء الاسلام ؟؟ أما أنا فلا أشك أن مذهبا هذه الروايات بعض نصوصه لا بد أن يكون قائما على عداء الاسلام والكيد المسلمين ، ولا أستطيع أن أفهم أن مرجع هذا هو الخطأ والزلل ، والله العليم بذات الصدور غير أن لفحات النفاق لاتشتبه بنفحات الايمان ، وسمائم الكذب المحرقة لا تلتبس بنسائم الصدق المنعشة . ومن العجيب أن يحاول هؤلاء النيل من أهل السنة ومن الحكومة السعودية غيرة على الاسلام والمسلمين فيما يزعمون ! ان الحكومة السعودية اليوم هي الأمل المنبلج المسلمين وللعرب بين دياجي اليأس القاتمة المحيطة بأرجاء الاسلام وأرجاء كل شيء عربي . فمن قدح فيها كان قدحه مسدداً الى فؤاد الاسلام النابض وقلب العروبة الخائر الراجي . ها نحن وا أسفاه نرى حكومات البلاد العربية والاسلامية تتنكر للاسلام وتقلب لكل شيء عربي واسلامي ظهر المجن ، اجابة لدسائس الغرب وخدعه المجرمة ، فحق على كل مسلم الغيرة على هذه الحكومة ما استطاع ، وحق على كل مسلم وعربي النصح لها ولربان سفينتها

ان الحكومات الاسلامية وا أسفاه تسعى بخطوات جريئة الى الهوة السحيقة ، فواجب علينا المحافظة على معانينا وعقائدنا وأخلاقنا من هذا المرض المنيف الذي ألح على أكثر الناس حتى وقعوا صرعى على مذبح المدنية الطائشة . والويل للمسلمين وللعرب وحدهم إن لم يحافظوا على أنفسهم وإن لم يتماسكوا إزاء هذه العواصف . والويل لهم أن تركوا الفرص تمر بهم وهم عنها غافلون نيام ؟

عبد الله علي القصيمي

الشعاع الهابط

فى سنة (؟) ميلادية فصلت الارض من السماء فصلا تاما وغلقت جميع أبواب السماء دون الارض وأهلها وفزعت الاملاك الى أقطار السماء وانقطع ذلك المدد الروحى الذى كانت تعان به الارض وأهلها على اجتياز ظلمات المادة وفسق المادة وكثافات المادة سيراً الى عالم الارواح ومستقر الروحانيين ، فخبط الناس فى ظلمات ثلاث : ظلمة العقائد ، وظلمة القانون ، وظلمة الانفس . أما العقائد فلا يجد المتأمل فيها بصيص نور يهتدى به الى هداية أو يخلص به من ضلالة . وأما القوانين فلا يجد المتأمل فيها مايعين على عدالة أو مايخرج من ظلامة . وأما الانفس فلا يجد المتأمل فيها مكانا لعقيدة صحيحة سليمة ولا لقانون عادل إنسانى رحيم

فبظلمة العقائد استبد رجال الدين بقلوب الناس وعواطفهم ، وبظلمة القانون استبد رجال السلطة الزمنية بأموال الناس وظهورهم ، وبظلمة الانفس واتى رجالَ الدين ورجال السلطة الزمنية الاستبدادُ بأموال الناس وقلوبهم وعواطفهم وظهورهم

فما زالت الانسانية تتخبط فى هذه الظلمات الثلاث ، وتنحدر الى الهاوية السحيقة ، وتتخلى من المعانى الانسانية شيئا فشيئا ، ومن تراث رسالات السماء وبقايا تعاليم الانبياء ، حتى تمخضت عن أمم كان من قسوتها وفظاعتها أن تقتل بنيها شر القتلات خيفة أن يشاركوهم فى مآكلهم ومكسبهم ، ومن عقلها ودينها أن تصنع بأيديها معبوديها ، ومن مجدها الذى يتغنى به الرائح والغادى والطفل والشيخ وتنسج له برود الثناء الحذق فى انتزاع الارواح والمهارة فى إيتام الاطفال وإرمال النساء واثكال الامهات والآباء ، ومن كرمها وخلقها أن تغتصب أموال العاجزين عن الذياد عنها لتقدمها للاضياف مكرمة ونزلا . حتى لقد صدق فى تلك الامم قول الحق « أولئك كالانعام بل هم أضل »

وفى ذات ليلة من عام ٦١٠ ميلادية بينما كان الكون ساكنا صامتا و الاشياء راكدة مصغية متوجسة كأنها تتوقع حدوث أمر عظيم ، انفتحت فرجة من السماء تعاقت بها الأبصار انبعث منها شعاع قوى وهاج باهر فهبط على غار يقيم هنالك فى جانب من جوانب قرية تقع هنالك فى جانب خامل مهجور من جوانب أركان الارض الخاملة المهجورة يقيم فى ذلك الغار رجل لا كالرجال يحمل نفسا لا كالأنفس وقلبا لا كالقلوب ، هرب بنفسه وقلبه وفطرته من أولئك الناس وعقائدهم وأعمالهم الى السكون والدعة والى الطهارة التى لا يظفر بها بين الناس فى حدود القرية والمدينة مخليا بين روحه وما فطرت عليه من الطهر والنبل والعظمة والتأملات السامية الحادة النافذة ، واصلا بين نفسه وربه بصلة هذا الكون وما أودع فيه من آياته وبيناته

فكان هذا الشعاع الهابط هو ما عرف بعد بالاسلام ، وكان هذا الغار هو ما عرف بعد بغار حراء ، وكان هـذا الرجل الذى لا كالرجال هو منقذ الانسانية الأكبر من كبوتها محمد بن عبد الله ﷺ ، وكانت هذه القرية هى مكة المكرمة الواقعة فى قلب بلاد العرب الجدباء العتيدة .

تسلل ذلك النور الموصول بالسماء العليا ، من غار حراء الى مكة متوجسا مترهجا فى صدر محمد ﷺ مشعا من جوانب صدره . فغمر بيوت مكة وفجاجها ، وسال فى طرقاتها ونواديها ، وتناثر على وجوه الرائحين فيها والغادين .

فانبهر الناس ودهشوا لهذا النور الوهاج الذى لم يعهدوه ولم يبصروه ولم يسمعوا به . فوقفوا منه موقفين متباينين متخاصمين : وقف الجمهور الأكثر منه موقف الوجل الخائف الكاره المنكر فأوصدوا دونه أبوابهم ونوافذهم ، ثم قلوبهم ونفوسهم ، وقاموا منه مقام العداء والنضال الحاد العنيف .

ووقف منه القليل النزر موقف الراضى المسرور المعجب المغتبط ، ففتحوا له

أبوابهم ونوافذهم وفتحوا له قبل هـذا قلوبهم ونفوسهم وطلبوه فى مكانه وسعوا اليه خفافا وثقالا .

فكان من هذا القليـل النزر بيوت عرفت بالسبق الى الهداية والاسـلام ونصرته ، وكان من هذه البيوت أبيات أبى بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب ، هؤلاء الذين عرفوا فيما بعد بالخلفاء الأربعـة الراشدين ، وكان من هذا القليل النزر غير هؤلاء .

فقبست هذه الصدور من نور محمـد ﷺ ، كلٌّ صدر بقدره وما أهّـل له ، فتعددت مصادر هـذا النور الالهى وزاد إشعاعه واتقاده وزاد فى مكة وضوحا وإشراقا وتوهجا ، وهكذا ظل يتزايد إشعاعا وإشراقا فى تلك القرية المحـدودة الضيقة حتى ضاقت به فسال منها وتناثر الى الجارات ، ثم انتقـل مصدره الأول الأكبر الى قرية عرفت فيما بعـد بالمدينة المنورة ، فغشاها هـذا النور الوهاج الهابط وتدفق الى بيوتها ، فقبست منه الصدور ، فازداد إشعاعه وإشراقه ، حتى ضاقت به تلك المدينة ، ولم تعد واسعـة له ، فتدفق منها الى هاهنا وهاهنا ، الى الشرق والغرب ثم الى الشمال والجنوب ، هازما كل ما أمامه من الظلمات الثلاث ظلمة القانون ، وظلمة العقائد ، وظلمة الأنفس ، وما استطاعت ظلمة من هـذه الظلمات الثلاث أن تثاقفه أو تواقفه لا طويلا ولا قصيراً

تكاثف هذا النور واتسع نطاقه فى السماء وفى الأرض ، وتفاعل تفاعلا إلهيا وتجسد تجسداً سماويا ، حتى صار دينا قيما باهراً ، ذا تعاليم وقوانين ، وشرائع محكمة سامية يعشقها القلب إن لم يحبها العقل ، ويحبها العقل إن لم يعشقها القلب ، ويدينها عشقا من لم يدنها برهانا ، ويدينها برهانا من لم يدنها عشقا .

ثم صار لهذا الدين أنصار وقواد ، يحملونه فى إحدى اليـدين وفى الأخرى الحديد ذو البأس الشديد ، ويعرضونه على الناس فى هالة مفرغة من الأسياف الظماء

فى قلب نطاق من الأبطال الأشداء ، يذودون عنه الايذاء والاعتداء ، ويخلون له الطريق الى القلوب والعقول ، وما أجمل الحق تعرضه القوة ، وما أجمل القوة تنصر الحق ، وما أوضح الحق متدرعا !!!

فأصبح ذا قوتين عظيمتين : قوة تعاليمه ، وقوة رجاله وأنصاره ، فتعاليمه قوية بالغة نهاية القوة لأنها مفهومة ميسورة ، لا تعقيد فيها ولا اضلال ، فالعبد يتصل بربه مباشرة فيدعوه ويعبده ويرفع اليه حاجاته مباشرة لا وسيط ولا شريك ، ويخصه بكل معانى عبادته ودينه وحده ، والمعرض المبعد عن ربه إذا ما أراد التوبة والرجوع اليه فما عليه إلاّ أن يخلص له قلبه وعمله ، ويبسط اليه تعالى يد المتاب فيقبله ويغفر له ذنوبه وإن كانت عدد ذنوب الخلق جميعا ، ولا يحتاج الى أن يذهب الى قسيس أو راهب أو وثن أو حجر أو قبر رجل صالح ، فيذل له ويشكو اليه ليرفع أمره وتوبته الى الله ، كى يغفر له ، وكى يعفو عنه ، فتعاليمه ليست سوى إيقاظ الفطرة الانسانية وتخليصها من الأخلاط والأغلاط ، فالله كما خلق الخلق وحده بلا شريك ولا معين ، فكذلك ليعبدوه وحده لا شريك له ولا نديد

وأين من هذه التعاليم الأقانيم الثلاثة : الآب ، والابن ، والروح القدس شىء واحد ، وحلول اللاهوت فى الناسوت ، والاعتراف ، وبيع الجنة ، والصلب ، والفداء . وما فى هذه من التخليط والتضليل ! ؟ وأين من هذا إلها المجوس ، وأوثان العرب ودعاوى اليهود وتشبيههم وأقوالهم العظيمة فى الله وفى أنبيائه والاغلال والآصار التى كانت عليهم

وأما رجاله وقواده فكانوا أقوياء أيضاً غاية القوة لأنه علمهم ألا يخاف العبد إلا ربه وذنبه ، وألا يذل إلاّ لمن ذل له كل شىء وخلق كل شىء ، ولمن بيديه أسباب الخوف وأسباب الأمن وحده ، وألا يتأخر عن الموت من طلب الحياة وأحبها . فان من رغب فى الموت ذلت له ناصية الحياة ، ومن رغب فى الحياة

ذلت ناصيته هو للموت . . فكانوا يقدمون على الموت إقدام من ليست حياته ملكا له . فأخذوا بنواصي الأكاسرة والقياصرة وذروا التراب على جباه العظماء الطاغين الذين طالما جرعوا الانسان جرع الذل والهوان وأذاقوه غصص الخسف والاستبداد . .

فتهاوت العروش العتيدة الظالمة تحت أقدامهم وحوافر خيولهم ، وتساقطت تحت مناسم إبلهم شرفات إيوانات طالما تساقطت تحتها رؤوس الملوك والعظماء والقواد . فطوروا بأطراف سيوفهم وعصيهم وقسيهم ممالك وملوكا كانت تستعدى على الدهر ويشتكي اليها الزمان . ووضعوا كل أنف عات أشم في الرغام ، وأنزلوا كل بطريق متأله من سماء الأحلام والالوهية الى أرض الحقيقة وبساط العبودية ، فكانت فترة من الزمن تجمع فيها الزمن ، ورواية فصولها ثلاثة : الايمان ، والشجاعة ، والعدالة . خاتمتها تلك السعادة التى تمتع بها الانسان أحيانا متطاولة . طأطأ الخصوم رؤوسهم حينئذ وعلموا أنه لا قبل لهم بموافقة هذا الدين ولا بمشاقة أنصاره ورجاله من طريق الحرب والنضال المادى العسكرى ، وعلموا أن منازليه ولا محالة مصيرهم الى الفناء ، وعلموا أيضا أنه لا قبل لهم بمنازلته علميا برهانيا وأنه لا يمكن من هذه السبيل أن ينتصر عليه دين من الأديان ، ولا أن يوافقه حينا من الزمان

فماذا إذن يصنعون لاضعاف هذا الدين الهائل العظيم الذى فعل بهم وبقومهم وملكهم الطاغى الباغى ما فعل من الغلب والاحباط ؟؟ وهم لا بد فاعلون شيئا بل أشياء ، فاتقون حيلة بل حيلا . أيقدحون فيه ويحشدون عليه الشبهات والشكوك ليزعزعوا عقيدة أهله وإيمانهم به ؟ كلا ان هذا أمر غير ممكن لأن هذا الدين ليس دين شكوك وشبهات لأنه دين الفطرة الخالصة من الأخلاط والاغلاط . ثم ان أهله لن يدعوه للشكوك والمشككين يعبثون به . فهذا ما لا يستطاع . فماذا إذن يصنعون ؟ أينتحرون استشفاء مما فى صدورهم من غيظ وحسد ؟ كلا إن موتهم لا يشفى صدورهم بل موت هذا الدين . أيهربون الى حيث لا يرون هذا الدين

ولا يسمعون به ؟ وأين يهربون ؟ أليس قد سار مسير الليل والنهار ، وبلغ مبلغ الليل والنهار ؟ أيدخلون فيه كما دخل الناس باخلاص وصدق ؟ كلا ان الاخلاص يملك ولا يملك ، وإن الاخلاص لشيء مع احتقاب الحقد له أمران لا يجتمعان أبداً . هذا إذن كله ليس برأى ولا عقل ، فماذا إذن يفعلون ؟؟

إن ها هنا حيلة واحدة لانفاذ هذا المشروع الهدام لا حيلة غيرها ولا حيلة أفضل منها . هذه الحيلة هى أن يدخلوا فى هذا الأمر لا إيمانًا وتصديقاً ، ولكن نفاقا ومكيدة ليستطيعوا افساده والعبث به من كثب فيبتدعون فيه ويدخلون فيه الأباطيل والضلالات باسم الدين والتقوى وبحجة الاستزادة من العبادة والتقرب الى الله فيخدع بذلك المؤمنون ويتقبلونه بسلامة نية وطهر قصد ، وتخفى عليهم الأغراض الباعثة على هذا ويخفى عليهم ما يضمره هؤلاء الخادعون المنافقون ، فيحسب على مر الدهور ما ليس من الدين دينا ، بل ويحسب ما ينابذ أصول الدين وأسسه من أصوله وأسسه . والحق اذا لابسه الباطل أصبح نسيب الباطل وعز تخليص أحدهما من الآخر ، والحق نزيه كريم اذا نزل به الباطل ارتحل عنه

وهذه حيلة من حيل أهل النفاق والدهاء المر ، مازال يلجأ اليها المكرة الدهاة حتى عصرنا هذا

وقد افتنّ الاوربيون فى هذه الحيلة والمكيدة أيما افتنان فلا يرى الواحد منهم بأسا فى أن يتظاهر بالاسلام عشرات الأعوام ويبدى ضروبا من الزهد وطلاء الورع والتقشف ليدل المسلمين على صحة اسلامه وايمانه باطنا وظاهراً . وقد لبس ثوب الاسلام من وراء بشرته رجل هولاندى وجاور فى مكة المكرمة خمسة وعشرين عاما مظهراً الاسلام والايمان والزهد والورع كل هذه الأعوام صابرا مصابرا حتى ان القمل كان يتناثر من أثوابه ومن بدنه فى طرق مكة المكرمة وفى المسجد الحرام حتى استطاع أن يخدع المسلمين ، وأن يقنعهم بأنه مسلم الباطن والظاهر وأنه من

كبار الزاهدين وحتى استطاع أن يفقه الاسلام وأن يلم بفقه المذاهب الأربعة الفقهية واستطاع أن يمتحن نفوس المسلمين وأن يسبر مبلغ تدينهم واسلامهم ، وأن يلمس أماكن الضعف والقوة فيهم إن كانت للقوة فيهم أماكن وحتى تم له أن يعرف من أحوال المسلمين فى أنحاء الأرض وما يشتملون عليه من آلام وآمال ما لم يعرفه المسلمون من أنفسهم وما لن يعرفوه فيما أظن

وهـذا الرجل الهولندى كان يشغل الى وقت قريب أعظم منصب حكومى فى الشئون الاسلامية فى حكومة هولندة الجاوية

وأمثال هذا الرجل كثيرون اليوم وقبل اليوم ومنهم من يدعى حب العرب والحرص على حقوقهم وانصافهم كى يقرّبوه ويطمئنوا بجانبه فيطلعوه على أسرارهم وعلى ذات صدورهم ، ويدلوه على ثغورهم . ولهم فى هذا حيل غريبة ...

وهذا من شر أنواع النضال ومن شر ماجبل عليه رجل الغرب من لؤم ونذالة ودهاء كريه مرذول . وقد كان رجل الجاهلية العمياء يتذمم من مثل هذا الدهاء ويأنف منه ويرى به من الصغار مايحمله على الرغبة والعزوف عنه . وحكومات أوروبا العاتية الجبارة البالغة من القوة المادية مالا مطمع وراءه لطامع ، تلجأ الى هذا الدهاء والنفاق ، لايقاع الدويلات الصغيرة الضعيفة فى فخاخ كيدهم ومكرهم ، واسلابهم مابقى فى أيديهم من حرية وحصانة . ولكن هيهات ثم هيهات ، فقد برح الخفاء وعرف الناس هذه المكايد والمصايد ، وصاروا لا يثقون بأمر من أمور أوروبا لما شهدوا وعلموا من خداعها وتضليلها . والمغرور لعمر إلهك من غروه بعد اليوم . .

صمم هؤلاء الاعداء الالداء الاسلام على إنفاذ هذا الامر ، وعلى التظاهر بالاسلام إرادة إفساده واحباطه وإفساد أهله ، فدخل فيه من هذا الصنف لاجل هذا الغرض رجال من اليهود ورجال من المجوس الفرس ورجال من غير هؤلاء

وغير هؤلاء وكل منهم يحتقب أنواعا من الضلال والخبال وكل منهم مصمم على إنفاذ ماهمّ به وما ادعى الاسلام لأجله ، وكان من برنامجهم أيضا اغتيال الخلفاء الذين تم على أيديهم تحطيم ممالك الظالمين واجتياح ظلمهم وظلماتهم . وبأيدى هؤلاء الأئمة قتل الخليفتان بلا ريب عندنا عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، وكذلك قتل الخليفة على وأريد قتل معاوية وعمرو بن العاص وغير هؤلاء ، وذلك أن هؤلاء ماعدا عمر قتل منهم من قتل وأريد قتل من أريد بدعوى الغيرة على الدين والخروج على الظلم والظالمين لأنهم زعموا أن هؤلاء الخلفاء والامراء كفروا فحق قتالهم واغتيالهم انتصاراً للدين وللحق . هذه هى دعوى القوم . ولكن الفاحص للحوادث النافذ فى أحشائها المستقرىء لما أحاط بها يعلم أن هذه الآراء الغريبة فى الاسلام الشاذة الباطلة إنما دخلت على جماعات المسلمين من سبيل هؤلاء الأدعياء الخونة الضلال ومنهم انبعثت فى الجماعات الاسلامية وخيلت رشداً ودينا وقد أشار الى هذا النبى الكريم إذ حذر فى أخبار معلومة كثيرة المنافق المتأول للقرآن الواضع له فى غير موضعه

ويقرّب هذا الينا أننا إذا ما تتبعنا تاريخ كل بدعة ورأى شاذ فى الاسلام وجدنا مصدر ذلك من غير العرب من الأمم الموتورة من الاسلام وأهل الاسلام كاليهود والمجوس الفرس وكغير هؤلاء . أما المبتدعة من العرب فهم تبع لهؤلاء مستقون منهم أصول ما عندهم من البدع والشذوذ مخدوعون بهم . والعربى بطبعه نزاع الى التصديق لأنه مجبول على الصدق . والصادق فى نفسه ميال الى تصديق غيره . ولا شك عندنا فى أن كل الاخلاط التى أصيب بها الدين الاسلامى ترجع الى غير العرب . ومن أشهر الفرق المبتدعة فى الاسلام الرافضة والمعتزلة والخوارج . وقد اجتمع لهذه الفرق الثلاث من أصول الابتداع والشذوذ مالم يجتمع لغيرها من الفرق المنتسبة للاسلام . والواضعون لأصول هذه الفرق الثلاث

المنافية لأصول الاسلام مباشرة يرجعون الى أصول غير عربية . فان الواضع لأصول مذهب التشيع والرفض هم اليهود كما سوف يجيء . والخوارج ليسوا سوى فرقة من الشيعة خالفو عليا وشيعته فخرجوا عليه وعليهم وأكفروهم وأكفروه . وضلالات المعتزلة منها مايرجع الى هؤلاء ومنها مايرجع الى هؤلاء والباقى يرجع الى الفرس وكذلك جميع ما أصيب به الدين الاسلامى من الآراء الفاسدة كالقول بوحدة الوجود والتناسخ وإنكار صفات الله والقول بعصمة الأئمة والغلو فيهم وعبادة القبور والانقطاع الى الاموات وما تبع هذا من زخرفة القبور والبناء عليها ، الى غير هذا من التشبيه والاقوال المنكرة فى الله وفى صفاته وفى رسله من مستبشع الآراء .

وكان من أشهر هؤلاء الذين زعموا للناس أنهم أسلموا ليخرجوهم من الاسلام رجل ماكر خبيث يهودى من يهود صنعاء يقال له عبد الله بن سبأ ، ويعرف أصحابه من فرق الشيعة بالسبئية .

نبغ هذا اليهودى فى عهد الخليفة عثمان رضى الله عنه ، وأظهر الاسلام والزهد والغيرة على الدين وأهل الدين وبالغ ظاهراً في حب آل البيت النبوى وموالاتهم والعطف عليهم لأنهم مظلومون ، مهتضمو الحق كما زعم هذا الرجل وكما زعم أصحابه وكما زعمت فرق الشيعة من بعده ، وراح يزعم ويدعو سراً وجهراً الى ما يزعم أن الخليفة بعد رسول الله هو على بن أبى طالب ، ثم أولاده من بعده وراثة ويزعم أن رسول الله قد أوصى بهذا الأمر وصاية جلية ظاهرة عرفها الخاص والعام ، ودل الناس على هذه الوصية دلالة واضحة فى المجامع الحافلة العامة ، وربما زعم أن شيئا من هذه الوصية كان فى القرآن يتلى ، وزعم أن الصحابة أنفسهم ومنهم الخلفاء الثلاثة الراشدون ما كانوا يجهلون أمر هذه الوصية ولا يجهلون هذا الوصى صاحب هذا الأمر الحقيق به ، ولكنهم لعداوتهم عليا وولده ولحرصهم

على الدنيا و الملك و الرئاسة ، ثم لتمكن مرض الحسد فى صدورهم كتموا هذه الوصية ، وأخفوا هذا الأمر ، وحاربوا هذا الوصى ، واغتصبوا حقه وما قضى به له رسول الله وما قضى به القرآن . ثم أخذ يزعم ثانيا و يدعو الى زعمه أن علياً رضى الله عنه كان ماتقى الفضائل ، ماتقى المعجزات كما تسمى الشيعة الكرامات معجزات ، وراح يلى عليه خياله من هذه الفضائل و المعجزات ما لايقره العلم والعقل والدين ، ومالا تسنده الرواية الصحيحة ، وراح يبالغ فى تكثير هذه الفضائل وهذه المعجزات حتى طفق ينزل كثيراً من آيات الكتاب الحكيم فى فضل على و يقسرها على هذا قسرا ، وراح يزعم أن هنالك آيات قرآنية نزلت فى فضل على قرأها الناس أزمانا متطاولة قد صادرها الصحابة المنافقون ومحوها من المصاحف كتماناً لفضل هذا الفاضل الوصى والخليفة بنص النبى ، ثم تهور وتطور فى المبالغة و الدعاوى حتى تفوه بالسوءة الكبرى وأتى بالجريمة العظمى فزعم أن الله سبحانه تنزل من علياء سمائه لحل فى على رضى الله عنه إعظاما لقدره كما قال النصارى ان الله حل فى عيسى وزعم أنه لحلول الاله فى شخصه يستحق العبادة والتأليه ، و يستحق مايستحقه الرب فى علياء سمائه فدعا جهرة الى عبادة على وتأليهه و القيام له على قدم العبودية الخالصة ، وأخلص فى دعوته هذه وصابر عليها حتى أضل بها قوما خلقوا للضلال و للنار فآمنوا بدعواه النكراء وصدقوه فى هذه السوءة الفاضحة وجهروا بها وراحوا الى الامام على رضى الله عنه وقالوا له : أنت الله ، أنت خالقنا ورازقنا ! فارتاع على لهذه المقالة وفزع أشد الفزع وهاله الأمر واهتزت له جوانب قلبه وحلمه فدعا القوم الى التوبة والرجوع الى العقل فأصروا على دعواهم وأبوا المتاب فأمر باضرام نيران عظيمة فقذفهم فيها أحياء وقالوا وهم يحترقون فيها : الآن صح عندنا أنك أنت الله إذ لايعذب بالنار إلا رب النار

واصرار هؤلاء الضلال على دعواهم هذه على رغم تكذيب الاله فى زعمهم لهم وعلى رغم قوله لهم انكم كاذبون فى مقالتكم هذه كافرون بالله تستحقون غضبى وغضب الله معا ونارى في الدنيا ونار الله فى الآخرة يستوقف النظر، إذ كيف يكذب الاله اذا كانوا يظنون حقاً أنه إله وكيف يعذب الاله عباده اذا ما عبدوه وقاموا له بفروض العبودية ؟؟؟ !!! ان الجواب المعقول المقبول على هذا السؤال لعسير . ولأجل هذا أذهب الى أن دعواهم هذه حيلة مدبرة ومكيدة يخفى مكانها على الألباب الألمعية . وأذهب الى أن القوم ما كانوا صادقين فيما زعموا . ولكن هذا الزعم كان تضليلا والاصرار عليه أيضا كان تضليلا والأمر كله كان ضلالا فى تضليل .

أما واضع بذور هذه الضلالة ومتولى كبرها عبد الله بن سبأ فطلبه على ليوقع به أشد العذاب ولكنه كان أحذر من الغراب فهرب وترك له البلاد، وما كان هروبه وضعاً لأوزار هذه الفتنة المدمرة وتسليما بالهزيمة بل كان هروبا بهذه الآراء ضنا عليها بالقبر والقتل، ليضل بها المسلمين ويفتن بها المفتونين وتبقى عارا وناراً الى يوم الدين

تطايرت دعاوى هذا الرجل ومبتدعاته فى كل جانب ورن صداها فى أركان المملكة الاسلامية رنينا مرا مزعجا واهتزت لها قلوب ومسامع وطربت لها قلوب ومسامع ورددت صداها أفواه خلقت لهذا ورددتها أفواه أخرى وطال الترديد والترجيع حتى نفذت إلى قلوب رخوة لا تتماسك فحلتها حلول العقيدة ثم تفاعلت حتى صارت عقيدة ثابتة تراق الدماء فى سبيلها ويعادى الأهل والصحاب غضباً لها وصارت فيما بعد معروفة بالمذهب الشيعى والعقيدة الشيعية وقوامها الغلو ظاهراً فى على وبنيه إلى حد التأليه والعبادة ثم الغلو فى معاداة سائر المسلمين ومنهم الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان والكرام الآخرون إلى حد المقت والاكفار والقذف

العلى .. وقوامها أصالة فى صدور مبتدعيها نسف الاسلام وتحطيم ما شيده من ملك ثابت الآساس ثابت المبادىء والشرائع ..

ثم دخل هذا المذهبَ الشيعى كسائر المذاهب الصحيحة والباطلة التحوير والتطوير والتكميل والتغيير وسائر ما تقضى به طبيعة الأشياء وطبيعة العقائد والآراء وقام بزعامته وقيادته رجال كثيرون كل منهم يحتقب أغراضاً خاصة وآراء خاصة وأساليب لأنفاذ هذه الآراء والأغراض خاصة ولكل من هؤلاء الزعماء أسلوب خاص فى زعامته وقيادته وطريف يضيفه الى هـذا المذهب وهذه النحلة وبدعة خاصة تكمل بها .. حتى خلص من هذا كله المذهب الشيعى أو المذهب الرافضى وصارت له فروع وأصول فى أكثر الممالك الاسلامية وأصيب به الاسلام وأهله في عصور مختلفة إصابات لاتزال دماؤها تتقاطر ولا تزال جراحاتها مفتوحة لم تلتئم فى أعماق القلوب المسلمة .. وهل تصاب قلوب المؤمنين حقًا بأشد إيجاعًا وإيلاما من إكفار أمثال أبي بكر وعمر بن الخطـاب وعثمان بن عفان وأزواج النبى وخالد ابن الوليد وطلحة والزبير وعمرو بن العاص وطارق بن زياد .. وأمثال هؤلاء الذين بهم لا بغيرهم تنطلق اليوم كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله من أربعمائة مليون شفة تجلجل فى أفواه السماء ومسارب الأرض والهواء لا يستطيع رادّ أن يردها ولا كاظم أن يكظمها ولو كان أهل الأرض جميعا ؟؟؟ وهل تصاب قلوب المسلمين بأشد إيجاعاً وإيلاماً من رمى هؤلاء السادة القادة بالنفاق والخيانة حتى فى كتاب الله وكلام الله كما تدعى الشيعة الرافضة أن هؤلاء الصحـابة حرفوا القرآن وحذفوا منه أشياء نفاقا وبغضا وحسدا لعلى وبنيه

وتنفرد هذه الطائفة بأمور تخصها دون سواها من طوائف الأهواء .. فمما تنفرد به أنها تمقت العرب أشد المقت وتكرههم كراهة تكاد تكون مرضا يأكل صدر صاحبه ويستل منه الحياة ومعانى الحياة . ومن كره القوم للعرب كرهوا كل ما

أتوا به من دين ولغة وأدب وكرهوا ملوك العرب الذين جمع الله كلمتهم بهم ورفع بهم ذكرهم وأعلى شأنهم . ولعل من الشواهد على هذه القضية مقتهم أمثال أبي بكر وعمر وعثمان . وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وبنى أمية وبنى العباس جميعا . فان هؤلاء قد أعز الله بهم العرب ، ورفعهم بهم أيام خلافتهم وبعدها الى اليوم . ولعل من الشواهد على هذه القضية أيضا موقف أكثر الشيعة من الحكومة العربية السعودية بعد أن رأوا بوارق نصرها ونصر العرب والاسلام بها تتألق فى سماء العروبة وبعد أن جمع الله بها قلب جزيرة العرب ولفهم تحت رايتها وراية الدين الحق والاسلام الصحيح بعد الشتات والضلال والفتن الهوج ، فان كثيرا من رجال الشيعة المسئولين وقفوا من هذه الحكومة موقفا لايغبطون عليه بحجة الغيرة على الدين وعلى آل النبي اذ هدمت بعض القباب المقامة على بعض القبور وإذ مُنع العامة الجهلاء من الاستغاثة بالأموات والانقطاع الى القبور والتقبيل لها والتمسح بها وغير ذلك من الأمور الشاذة الخارجة عن حدود الدين والعقل . وقد حاولوا نسف هذه الحكومة وحاولوا اثارة العالم الاسلامي بها وأرجفوا أيما إرجاف بعد أن دخلت جيوشها الحجاز ظافرة وبعد أن تألق نجمها ونجم العرب بها وملأ اسمها فم الزمان وحديثها اذن الجوزاء واتخذت من خيوط الشمس سلما الى مجد السماء

ولرجال الشيعة المسئولين محاولات فى هذا معروفة مؤلمة ومن هذه المحاولات العقيمة التي قاموا بها ذلك الكتاب الذى قام باختلاقه وطبعه الشيخ محسن الأمين العاملي أحد كبار علماء الشيعة ومجتهديهم فى جبل عامل فى سوريا . وهذا الكتاب ألف بعيد دخول العساكر السعودية الحجاز وتمزق القوات الهاشمية واستبشار المسلمين فى أطراف المعمورة بهذه النتيجة الحاسمة وهذا الانقلاب الذي علقوا عليه سعادة الجزيرة ورفعة شأنها وحفظها من أخطار كانت توعدها وتهددها

وكان الغرض من هذا الكتاب تغيير نفوس المسلمين وانهاضهم لمقاومة الحكومة العربية وإخراجها من الحجاز والقضاء عليها واحلال دولة أخرى حتى ولو غير مسلمة محلها فى الحجاز وفى قلب الجزيرة العربية . وذلك أن هذا الكتاب مملوء بالأكاذيب الفاضحة الواضحة وبالاعتقادات التى يندى لها جبين الحق وجبين الاسلام الصحيح ومملوء بالحملات على الحكومة العربية وعلى سياستها ودينها وعلى ادارتها ورجالها وزعمائها وعلمائها ، أشياء صريحة بأنه لا يراد بها سوى التحريض والارجاف لا النقد العلمى الاعتقادى ، فان رجال الشيعة بعيدون عن هذا

ولا تزال مجلات شيعية تلحّن هذا الكتاب تلحيناً مشجيا مبكيا وتضرب أوتاره ضربات تبعث الأسى فى أعماق الصدور المؤمنة

وصاحب هذا الكتاب واخوانه يزعمون أنهم ما فعلوا ذلك الا دفاعا عن الاسلام والا غيرة على الحق وعلى القباب المهدمة ...

وليت هذا هو الباعث لهم على هذا الموقف المريب المعيب ، ولو أن الأمر هو هذا لقلنا لا بأس ، قوم خرجوا عن سبيل الله وضلوه فيوشك أن يعرفوه فيتبعوه ، ونشأوا فى الباطل فأحبوه ولزموه فيوشك أن ينكروه فيهجروه ، واستوحشوا من الحق فأبغضوه ونبذوه فيوشك أن يأنسوا به فيحبوه ، لكن الأمر كما ذكرنا هو مقت العرب بلا ذنب سوى نصرتهم الدين وانتصارهم على الأعداء المهاجمين

وقد ذكر الأمير الجليل شكيب أرسلان فى كتاب حاضر العالم الاسلامى أنه التقى بأحد رجال الشيعة المثقفين البارزين فكان هذا الشيعى يمقت العرب أشد المقت ويزرى بهم أيما إزراء ويغلو فى على بن أبى طالب وولده غلوا يأباه الاسلام والعقل فعجب الأمير الجليل لأمره وسأله كيف تجمع بين مقت العرب هذا المقت وحب على وولده هذا الحب ؟ ! وهل على وولده الا من ذروة العرب وسنامها الأشم ؟ ! فانقلب الشيعى ناصبيا محضا واهتاج وأصبح خصما لعلى وبنيه ، وقال

ألفاظا فى الاسلام والعرب مستكرهة

ولو أن هؤلاء الشيعة صادقون فيما فعلوا ، صادقون فى أنهم ما فعلوا هـذا الا غيرة وذيادا عما حسبوه حقا ودينا لوجدوا لجلالتهم وارجافاتهم مناديح وفسحا فى غير هذا الجو ولوجدوا من الحكومات الأخرى ومن الملحدين المحسوبين على الاسلام والمسلمين ما يشغلون به وقتهم وعلمهم وهجاءهم ونقدهم عن السلفيين السعوديين ، ولوجدوا أعراضا خصبة المقام يصدر عنها المهاجم الذام ريان شبعان ، ولكن نيات القوم وعقائدهم مدخولة

ومما ينفردون به أنهم يكرهون المرء بمقدار ما عنده من حب الدين ومناصرته وإعزازه ، وبمقدار ماله من آثار في خذلان الكفر وأهله والظلم ونصرائه .. فمن كان حظه من نصرة الاسلام وتأييده ومن دحر الكفر واجناده عظيما كان حظه من مقت هؤلاء وبغضائهم عظيما ، ومن كان دون ذلك كان حظه عندهم من هذا المعنى دون ذلك .. وهذا أمر مشهور معلوم عن طائفة الشيعة الغالية .. ومن الدلائل التى لاترد على وجود هذا المعنى فيهم أنهم يخصون أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعائشة وحفصة وغير هؤلاء من عظماء الاسلام وأبطاله بأشد الكراهة ويمقتونهم مقتا لا يمقتونه أحدا من البشر . حتى إنهم ليتأولون الآيات النازلة فى صناديد الكفر وأركان الشرك فى هؤلاء الصحابة الاجلاء بل ويتأولون آيات نزلت فى الشيطان الرجيم فى أبي بكر وعمر وقد قالوا ان قوله تعالى « كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر » نزل فى أبي بكر وعمر وقالوا فى قوله تعالى « فقاتلوا أئمة الكفر » إنه نزل في طلحة والزبير ، وفى قوله « إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » إن البقرة هي السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق أحظى أزواج النبي إليه . ونظائر هذه الروايات والأقاويل عن الشيعة سوف يأتى فى كتابنا هذا نقلها من مصادرها الشيعية الثابتة عندهم وعند الناس جميعا

وهؤلاء لا يتنازعون فى أن هؤلاء الصحابة كفروا وفسقوا وضلوا السبيل وطوائف منهم تزعم أنهم كانوا منافقين وأنهم مازالوا كذلك في حياة الرسول وبعد وفاته وأن الرسول كان مخدوعا بهم أو كان يداريهم ويتقيهم لأنه عالم نفاقهم وكفرهم المضمر

ثم يجىء بعد هؤلاء الصحابة فى كراهية هؤلاء أئمة السنة والحديث كالأئمة الأربعة وكأئمة الحديث أمثال البخارى ومسلم ومن يفضلهم أو يفضلونه وهكذا يتسفلون فى عداوتهم وينحدرون فى بغضائهم يبدؤن بالخلفاء الثلاثة من الصحابة وبكبار المهاجرين ثم بعامة الصحابة ثم بأعاظم التابعين ثم بأعاظم الأئمة المشهورين المعروفين بنصرة السنة والعناية بجمع الحديث وتدوينه وهكذا يظلون يهوون فى عداوتهم ومقتهم من الأعلى الى الأدنى الى أن يصلوا الى جمهور أهل السنة والعامة من المسلمين

والشيخ محمد أمين العاملى قد وضع القناع عن هذا وقطع الظنون وجاء بالأمر اليقين . وذلك أنه فى كتابه المذكور الذى سوف ننقضه عليه راح يدافع وينافح دون جهلاء المسلمين ودهمائهم المنقطعين الى الأموات والى الأجداث متأولا لهم أخطاءهم وألفاظهم المستكرهة الدالة على الاعتقادات الشنعاء وراح يغضب لهم وينضح عنهم آبيا أن تضاف اليهم ضلالة أو خطيئة مهما فعلوا وقالوا ومهما زلوا وضلوا . بل كل ما يقولونه من أقاويل الضلال والسوء واجب أن يتأول لهم وأن يحمل على المجاز ولا يصح أبدا غير هذا . هذا هو رأى هذا المجتهد الشيعى فى هؤلاء الجهلاء الضلال أما الصحابة وأما الخلفاء الرشدون أمثال أبى بكر وعمر وعثمان فهم عند هذا الشيعى العاملى وعند الشيعة قديما وحديثا كفار منافقون وجماع للآثام والخطايا . . ومن لم يقل فيهم هذا القول فهو كافر منافق مثلهم ومن أراد التأويل وإحسان الظن بما يعده الخصم لهم سيئات فهو ضال منافق مثلهم وهو من الضالين الهالكين . . فما تأويل هذا فى عالم التأويل والفهم ؟؟؟ . .

قوم يمقتون صحابة رسول الله ﷺ والخلفاء منهم ويمقتون من لا يمقتهم ومن يروى فضائلهم وجلائل أعمالهم من المحدثين ، ثم يقومون يدفعون عن الجهلاء وعامة الناس الذين ليس لهم من الاسلام الا أن قالوا انهم مسلمون ، حاملين كل مايصدر عنهم من أعمال الضلال وأقواله أحسن المحامل ، مخرجين لها أحسن التخريج ، لايقبلون فيهم قدحا ولا انتقادا لا لشيء غير انتسابهم إلى الاسلام وغير أن ولدوا فى جو يقال انه جو اسلامى ، فما تأويل هذا ؟ ؟ ؟ إنه لاتأويل له غير ما ذكرناه من مقتهم الرجل بقدر ما معه من الايمان والدين ، وبقدر جهاده خصوم الدين .

وعلى هذا السبيل وبهذه الطريقة كرهوا النجديين وعلماء النجديين ، وكرهوا الحكومة العربية وكرهوا علماء السلف والسنة مثل ابن تيمية وابن القيم ، وغضبوا للجهلاء المبتدعين وامتدحوا هؤلاء وذموا أولئك ولم يقبلوا فى هؤلاء قدحا ولا فى أولئك مدحاً

ومما تنفرد به هذه الطائفة أن هواها أبدا مع خصوم الاسلام الكائدين له المريدين به كل داهية دهياء . وما تقاتل المسلمون والمشركون أو تناضلوا أو اختلفوا إلا ركنت طائفة الشيعة الغالية إلى خصوم الاسلام والا كانت معهم فى الهوى وفى العمل وفى الظاهر والباطن بل وربما سعوا لتمكين الكفار من نواصى المسلمين ومن جز رقابهم وافتتاح بلادهم . وهذه أشياء معلومة يحفظها التاريخ الحفيظ ولا ينساها قد سجلها على حساب هذه الطائفة المغبونة

وحادثة ابن العلقمى الشيعى مع هولاكو طاغية التتار محفوظة تقطر ألما ودما على صفحات التاريخ وصفحات قلوب المسلمين إلى اليوم وإلى يوم الدين . فان ابن العلقمى هذا كان شيعيا وكان وزيرا للمستعصم آخر خلفاء بنى العباس ، فلما أن قدم الطاغية هولاكو لمهاجمة عاصمة الاسلام ومقر عرش الخلافة دار

السلام سهل هذا الوزير الشيعى ابن العلقمى لجيش التتار افتتاح العاصمة ومكنه من فتحها ودخولها وقد كاتبهم بذلك .. ثم جمع الخليفة وكبار رجال الدولة وكبار علماء المسلمين وذهب بهم إلى هولاكو ليقتلهم صبرا وغدراً ومؤامرة كلها نذالة وضعة فكان هذا . ولهذا كان جزاء ابن العلقمى من هولاكو أعدل الجزاء فانه قتله بعد ذلك شر القتلات بعد أن قتله لوما وتعنيفا

وكذلك كان للنصير الطوسى الشيعى شر المواقف من الاسلام والمسلمين فى هذه الفتنة النادرة ، وقد سعى جهده لاستئصال العلماء وكبار المسلمين

وقد ذكر علامة العراق الألوسى المرحوم محمود شكرى أن الشيعة فى إيران نصبوا أقواس النصر ورفعوا أعلام السرور والابتهاج فى كل مكان من بلادهم لما أن انتصر الروس على الدولة العثمانية فى حروبها الأخيرة .

وذكر الدكتور حسن ابراهيم حسن فى كتابه « الفاطميون فى مصر[1] » راويا عن الحافظ مؤرخ الاسلام الامام الذهبى أن أبا القاسم بن عبيد الله الفاطمى الشيعى أمر بلعن الأنبياء وأطلق مناديا ينادى بلعن الغار ومن لاذ بالغار وانه كان يكاتب القرامطة الذين ابتلى بهم الاسلام والمسلمون ينصح لهم بتحريق الكعبة والمصاحف . وفى بلاد إيران الشيعية تحارب اليوم اللغة العربية وآدابها حرباً زعم أنها لأجل السمو باللغة الفارسية

وهذه أمور يطول عدها وتؤلم ذكراها المريرة النفوس المؤمنة

ومما تنفرد به هذه الطائفة الغلو فى على وذريته رضى الله عنهم . فهى تبالغ فى تقديسهم مبالغة هى فوق الهوس وفوق حدود العقول . ولا نعنى بهذا أنها ترفعهم فوق الناس أجمعين ، وفوق أبى بكر وعمر وعثمان والصحابة الآخرين ، أو أنها ترفعهم على الانبياء والمرسلين ، أو أنها تضعهم فوق حدود البشرية وآفاقها

---

(١) ص ٢٧٤

بل نعنى أنها تسويهم بالله رب العالمين بل قد ترفعهم على الله . أما من جهة التعظيم والتقديس والرغبة والرهبة فليس من شك أنها تمنحهم من ذلك كله مالا تمنحه الله . وقد قالت بالحلول وزعمت أن الله حل فى على وأن الأئمة فيهم جزء الهى وأنهم لهذا يستحقون العبادة وكل مايستحقه الله من عباده . وقد زعم هذا أصحاب عبد الله بن سبأ وغيرهم من فرق الشيعة وقالوا لعلى أنت الله أنت خالقنا ورازقنا . وقد روى الامام ابن الامام عبد الله بن أحمد بن حنبل فى كتاب السنة له عن الشعبى عن علقمة قال لقد غلت هذه الشيعة فى على كما غلت النصارى فى عيسى بن مريم . قال : وكان الشعبى يقول لقد بغضوا إلينا حديث على .

وهذا حق لاريب فيه . فان هؤلاء إن خالفوا النصارى فى شىء إنما يخالفونهم فى الاسماء أما فى الحقائق فلا . . فهم قائلون فى على وبنيه قول النصارى فى عيسى بن مريم سواءاً مثلا من القول بالحلول والتقديس والمعجزات ، ومن الاستغاثة به وندائه فى الضراء والسراء والانقطاع اليه رغبة ورهبة وما يدخل فى هذا المعنى . ومن شاهد مقام على أو مقام الحسين أو غيرهما من آل البيت النبوى وغيرهم فى النجف وكربلاء وغيرها من بلاد الشيعة وشاهد مايأتونه من ذلك هنالك علم أن ماذكرناه عنهم دون الحقيقة وأن العبارة لا يمكن أن تفى بما يقع عند تلك المشاهد من هذه الطائفة . ولأجل هذا فان هؤلاء لم يزالوا ولن يزالوا من شر الخصوم للتوحيد وأهل التوحيد المتمسكين بالكتاب والسنة وبالاسلام الصحيح المنقى من المبتدعات والاخلاط النكراء

ومن العجيب غير العجيب أن توجد هنالك نبوءات نبوية صادقة تحدّث عن خروج هذه الطائفة وعما تحدثه فى الاسلام من الاحداث الجسام . وما كان هذا الا لعظم خطر هذه الفرقة ولعظم ماتأتى به من الارزاء العظيمة فى الملة والدولة . وقد عهد كثيرا أن يحدّث النبى الكريم عن الحوادث المقبلة المستقبلة وعما سوف

يصيب أمته من أشتات المصائب المادية والمعنوية الخاصة والعامة وعما سوف يصيبها من الضعف والفرقة والشتات وفساد الدين والدولة . ولكن هذا عهد بالاجمال والابهام . أما التحديث والانباء عن هذه الفرقة الخطيرة فقدكان بالتعيين والتصريح باسمها ووصفها اللذين لايختلف الناس فيهما البته

وذلك مارواه الامام ابن الامام عبد الله بن أحمد بن حنبل فى كتابه السنة بأسانيده قال حدثنى محمد بن أبى جعفر أبو عمران الوركانى حدثنا أبو عقيل يحيى بن المتوكل عن كثير النواء عن ابراهيم بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب عن أبيه عن جده قال قال على بن أبى طالب قال رسول الله « يظهر فى أمتى فى آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الاسلام » ثم ذكر هذا الحديث بأسانيد أخرى وذكر بعده باسناد آخر عن على بن أبى طالب قال قال النبى عليه السلام : « يا على أنت وشيعتك فى الجنة . وإن قوما لهم نبز يقال لهم الرافضة إن أدركتهم فاقتلهم فانهم مشركون » قال على ينتحلون حبنا أهل البيت وليسوا كذلك . وآية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر

وذكر هذا الحديث أيضاً الحافظ ابن قتيبة فى كتاب تأويل مختلف الحديث عن عبد الله بن عباس عن رسول الله ﷺ . وقطع ابن قتيبة بثبوت لفظه النبوى . وذكر القاضى عياض فى آخر كتاب الشفاء أحاديث أخرى فى معانى هذه الأحاديث بألفاظ أخرى . وروى أيضاً الامام ابن الامام عبدالله بن أحمد فى كتاب السنة بسنده عن علىّ قال : دعانى رسول الله ﷺ فقال : « ان فيك مثلا من عيسى بن مريم ، أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه ، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذى ليس به » قال على : ألا وانه يهلك فىّ اثنان محب مفرط يقرظنى بما ليس فىّ ومبغض مفتر يحمله شنآنى على أن يبهتنى . ورجال الشيعة يعترفون بأن عليا قال : يهلك فىّ اثنان غال وقال . ولا ريب أن هذه الأحاديث إنباءات صادقة عن خروج هذه الطائفة وعما

تصيب به الاسلام وأهل الاسلام من الأرزاء الكبرى . والواقع قد صدق هذه الانباءات وهذه الأنباءات قد صدقت الواقع فصدق الخبر والمخبر

وللعاقل أن يسأل ـ لو كان أمر هؤلاء القوم يدخل تحت مساءلة العقلاء : كيف أمكن أن يتفق لهم حب على وذريته وموالاتهم مع مقتهم العرب جملة ، ومع مقتهم أعظم رجالات الاسلام وأعظم قواده وفاتحيه الممكنين له فى امتلاك الرقاب والبلاد وهذا السؤال قد سأله الأمير شكيب أرسلان ذلك الشيعى المتغالى فى على وولده ، وفى كره العرب ومقتهم كما تقدم . لأن من الغرابة والنكارة بمكان بعيد أن تكره العرب لأنهم عرب والمسلمين لأنهم مسلمون ، ثم تذهب تغالى فى حب طائفة منهم وتقديرها لأنها من العرب ولأنها من المسلمين ومن نصراء الدعوة الاسلامية . هذا أمر ظاهره الاستحالة أو أمر متناقض متدافع على الأقل . ولكن جواب هـذا السؤال أن يقال إن في الأمر أسراراً غير شريفة وأموراً معروفة للقوم . ومن جواب هذا السؤال أن يقال إن زعماء هذا المذهب ومبتدعيه لم يكونوا حقا يحبون عليا ولا بنيه ولا يضمرون لهم ولاء ومودة نظير عبد الله بن سبأ وإخوانه ولكنهم لجأوا الى هذه الحيلة وإلى هذا الحب لأنهم وجدوا مشروعهم الهدام فى حاجة الى هذا الحب الكاذب والى هذه الدعوى المنافقة . وذلك أنهم وجدوا شئون المسلمين قد انتظمت وسياستهم قد ارتقت وأحكمت بقيادة أبي بكر وعمر وعثمان ، وأن جانب المسلمين والاسلام قد عز فى تلك العهود ووطىء كل جانب عزيز فى الأرض ، فأرادوا إثارة الناس على تلك الخلافة والخلفاء ، وأرادوا بالتالى تفريق المسلمين وتمزيق كلمتهم ثم اضعافهم وتقويض ملكهم الثابت الدعامات . وعلموا أن عليا و بنيه من بعده هم أولى من يدعى أنهم أصحاب الحق المعلوم فى الخلافة وفى قيادة المسلمين وزعامة الاسلام الحسية والمعنوية لقرابتهم من النبى الكريم ، ولعظم مكانتهم من الدين والفضل والمجد ومن قلوب المسلمين ونفوسهم . وعلموا أن هذه الدعوة لا محالة أن

مجد تليدا وآذانا تاتمهما التهاما . بيد أن الهدف الأقصى لهذا كله هو إثارة المسلمين بخلافتهم التى عزوا بها وسادوا وركبوا كاهل المجد ، ثم قتل أولئك الخلفاء بأيد مسلمة أو بأيد أخرى كافرة . ولو أن الأمر كان بيد على وبنيه وكانوا هم الخلفاء الذين قام عليهم أمر المسلمين وعمود الاسلام لكانت دعوى هؤلاء القوم غير دعواهم اليوم ولسعوا بلا ريب لتأليب المسلمين ضد على وآل بيته ، ولمقتوهم كما مقتوا أبا بكر وعمر والخلفاء الآخرين ، لأنه ليس المراد من هذه المناورة حب على وبغض أبى بكر وغيره ولا معاداة فلان وموالاة فلان ، ولكن المراد الذى عودى من أجله من عودى وقدس من قدس هو القضاء على هذا الدين ونسف هذا الملك الذى قام على هذا الدين بقيادة هؤلاء الخلفاء

أولم تر كيف عادى هؤلاء المدعون حب النبى وعترته دولة بنى العباس وخلفاء العباسيين كما عادوا أبا بكر وعمر وعثمان وبنى أمية والخلفاء الأمويين ؟؟؟ أفلم يكن بنو العباس من عترة النبى الكريم وقرابته الأقربين ؟! فانهم بنو العباس عم النبى وعم الرجل من عترته ولا ريب ومن أولى الناس به . ولكن هؤلاء المدعون التشيع لآل النبى وقرابته يمقتون بنى العباس أمرَّ المقت ، ويكفرونهم ويسبونهم السب العلنى الصريح .. فلماذا هذا يارعاك الله ؟؟؟ وكيف يمقت الرجل بنى عم من يتعصب لقرباه وأقربيه التعصب الأعمى الأهوج ؟

الجواب عن هذا أن بنى العباس عُودوا وعدوا من زمرة المغضوب عليهم الممقوتين لأنه تم لهم الامر واجتمع عليهم المسلمون وعز بهم الاسلام وحموا بيضته وثغوره من العوادى والخصوم ما شاء الله أن يعز وأن يحموها . ولو أن بنى العباس أخفقوا ولم يتم لهم ما تم ولم ينالوا من الخلافة ما نالوا لما عودوا وكرهوا ، وهذا ما لا شك فيه

والعجب فى الأمر أن هؤلاء كانوا ينشرون الدعاية لبنى العباس قبل أن

تصير اليهم الخلافة فلما أن صارت إليهم عادوهم وجعلوا الدعاية ضدهم والدعوة لغيرهم وذلك كله لأن الغرض هو إفساد هذا الأمر يدورون معه كيف دار ، فان قضى هـذا بمعاداة النبى وعترته عادوهم ولا كرامة ، وإن قضى بموالاتهم والغلو الشديد فيهم والوهم وغلوا فى موالاتهم ، وإن قضى بغير ذلك لم يتأخروا عنه . ولكنهم ليسوا صادقين فى الولاية وإنما هم صادقون فى المداوة

نحن لا ننكر أن في هـذه الطائفة من يحبون عليا وبنيه ظاهرا وباطنا حبا متجاوزا الحد المشروع بل ويغلون فيهم أشد الغلو ، ولكن هذا الفريق هو الفريق المقلد المخدوع السليم النية والطوية من لا يريد سوى الحق والخير لكنه مخدوع مضل بأهواء الزعماء الدهاة الخونة . وهذا له وجه وذاك له وجه . والله العليم بما تشتمل عليه صدور الجميع

ومن الجواب على هذا السؤال أن نقول من المعلوم أن الفرس هم أنزع الناس الى هذا المذهب ، وأكثرهم تعلقا واستمساكا به ، ومكانته ومكانه فى قلب بلادهم وعصبيته وعصائبه هنالك ، والغلو فيه منهم يبدأ واليهم يعود . فلماذا هذا وإلام يرجع سببه فان فيه مخالفة لطبائع الأشياء فى الظاهر وإلا فلماذا كانت بلاد الفرس دون سواها شيعية محضة خالصة ولماذا آثروا التشيع على مذهب أهل السنة ولماذا انتشر هذا المذهب فى إيران ولم ينتشر فى الحجاز وبلاد العرب والأقطار الأخرى ولماذا امتاز المسلمون من الفرس بموالاة على وأهله دون أكثر المسلمين بل دون جمهرة العرب بل دون بنى هاشم وآل على من أهل السنة ؟ ولا ريب أن هذه أسئلة تتطلب الجواب . والجواب عنها سهل على من ألم بأغراض ما قدمناه . ولهؤلاء نظرة تعصب جنسى فى تحيزهم الى على وبنيه . وذلك أنهم يذكرون أن عليا كان بطبعه ومواقفه ميالا إلى الفرس والى موالاتهم وصداقتهم ويذكرون لذلك شواهد يذكر بعضها التاريخ وان كانت ليست فى سبيل مما أرادوا : من هـذه الشواهد التى

يتعلقون بها انهم يذكرون أن عليا رضى الله عنه قد وقف موقف المدافع المناضل عن الهرمزان الفارسى حينما قتله عبيد الله بن عمر بعد أن قتل أباه عمر أبو لؤلؤة الغلام المجوسى . وقد كان عبيد الله بن عمر اتهم هذا الهرمزان بأنه كان متآمرا مع أبى لؤلؤة ممالئا له على جريمته المنكرة . فهؤلاء يزعمون أن عليا طالب عثمان بقتل عبيد الله بن عمر قصاصا اذ قتل الهرمزان

ومن الشواهد عندهم على هذه القضية أنهم يذكرون أن عليا كان مواليا لسلمان الفارسى كل الموالاة وانه كان يهواه ويقول سلمان منا والينا أهل البيت وانه كان يقول فى سلمان ما تقولون فى رجل أوتى حكمة لقمان الى أشياء أخرى يتخذها هؤلاء برهانا على أن عليا كان نزاعا الى الفرس محبا لهم مظهرا حبهم وولاءهم لتجانس تام بينه وبينهم لم يغيره أمر من تلك الأمور التى غيرت غيره . ثم يذهبون مذهبا آخر وينظرون فى هذا نظرة أكثر دخولا فى الجنسيات وهوى الجنسيات العمياء . وذلك وانهم يذكرون لآل على مصاهرة فارسية وان أولاد على يمتون بهذه المصاهرة الى الفرس وأنهم محسوبون من أجلها فرسا لان الدم الفارسى يجرى حارا متدفقا فى عروقهم فمن والاهم وأحبهم فقد والى الدم الفارسى وأحبه . ومن دعا اليهم وطلب الأمر لهم فقد دعا الى آل ساسان وطلب الأمر لفروع أنوشروان . فالفارسى إذ اما تعصب لآل على انما يتعصب لقومه ولآل جرثومته واذا فضلهم على الصحابة وعلى سائر العرب الأولين والآخرين وطلب انتزاع الخلافة من أبى بكر وعمر وسائر الخلفاء لوضعها فى أيدى العلويين انما يفضل قومه وبنى ارومته ويطلب الأمر لهم لا لسواهم

وحقيقة هذه المصاهرة أنهم يذكرون ان الحسين بن على بن أبى طالب قد تزوج شهربانوه ابنة يزدجرد آخر ملوك ساسان الفارسيين وبهذه المصاهرة أصبح العلويون فرس الدم واللحم فحق التعصب لهم والدعوة اليهم على الفارسيين . هذا مر من

أسرار تشيع الفارسيين وغلوهم الظاهر فى آل علي . ولسنا نزعم أن أمثال هذه الأسرار والمعانى يعرفها ويحيط بها الجمهور الفارسى الشيعى وانه يرمى اليها . كلا لا نزعم هذا وانما نزعم أن هذه الأسرار والمعانى يعرفها الزعماء والعلماء ويرمون اليها ويحيطون بها ، أما الجماهير أما الدهماء فلا ننكر أن يكونوا مخلصين حقا متدينين حقا محبين لآل النبي وللنبي وللعرب كافة حبا خالصا ظاهرا وباطنا وانهم لا يريدون سوى وجه الله الاعلى وسوى الدار الاخرى ، ولكن الجماهير تبع لآراء الزعماء والقادة . على أننا نزعم أيضا أن جماعات من العلماء الفارسيين قد يكونون طاهرى القصد والنية محبين للحق وللعرب ولكن هذا القسم تناقص أخيرا كثيرا

ونحن نعوذ بالله من الهوى ومن التعصب لغير الحق ووجه الحق الاعلى ونعوذ بوجهه من أن نبغض مؤمناً لشهوة نفس أو أن نحب ظالماً باغيا لهوى باغ ظالم

فى المذهب الشيعى معتقدات فى غاية الشذوذ والنكارة وآراء لا يمكن أن تقر فى قلب قرّ فيه الايمان بالله ورسوله وكتابه ، ولا يمكن أن تقر في قلب فيه موضع للاسلام ومكان حرمة لأهل الاسلام . وسيجد القارىء من هذه المعتقدات أفانين مبثوثة فى كتابنا هذا . وهذه الآراء فى هيكل الاسلام والمسلمين تشبه الجرثومة المرضية النازلة فى الجسم النامى الحى لا يمكن علاجه ولا يرتجى شفاؤه إلا بقتل تلك الجرثومة وإبعادها من الجسم وتعقيم جوه من وبائها وضرائها أما محاولة العلاج وارتجاء الشفاء مع ترك تلك الجرثومة والمواد المرضية ترعى فى الجسم فمحاولة عابثة ناصبة وارتجاء لما لا يمكن أن يكون . وشفاء تحته مادة لأمراض ان أمكن أن يكون ليس سوى وضع قناع شفاف سريع البلى والفناء على الخطر القريب الا كشب لا يلبث أن يتكاثف ويتكاثر ثم يعود ويظهر جليا عنيفا حاداً . وكذلك لا يمكن البتة التوحيد بين سائر المسلمين وبين هذه الطائفة إلا بتطهير الجو من هذه المعتقدات وإبعادها من البين اما باقبار الكتب التى تحمل هذه الآراء الخطيرة وتحريقها واما ببراءة القوم من هذه الكتب ومما فيها

من تلك المعتقدات والبراءة من كاتبيها ووازريها . وأما بغير هذا افهيهات الوحدة والصفاء التام بين المسلمين وبين هذه الطائفة . والذين يرجون هذه الوحدة وهذا الصفاء مع ثبوت هذه المعتقدات فى كتب القوم ورضاهم بها وعنها إنما هم عابثون فى رجائهم وأنا لا أحسب شخصا يؤمن بالله وباليوم الآخر يستطيع أن يصافى قوما يكفرون أمثال أبى بكر وعمر وعثمان وسائر قواد الاسلام وفاتحيه فى جميع عصوره الاموية والعباسية وما بعد ذلك . ولا أحسب قلبا استشعر الايمان بالله وحمل احترام الاسلام يستطيع أن يحمل وداً ولاء لقوم يسبون أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة وطلحة والزبير وطارق بن زياد وموسى بن نصير وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان سبا علنيا ويضيفون اليهم كبريات الجرائم والتهم الفاضحة الواضحة كدأب الشيعة المغبونة الغابنة . ان امرءاً يصافى هؤلاء الخليق بأن لا يكون من المؤمنين بالله ورسوله . وان فرقة فيها منابذة هؤلاء لخير من وحدة فيها موالاتهم ، وان عداء فيه مغاضبتهم لخير من صداقة وسلم فيهما مراضاتهم

إنه يجب أن نكون هنا صرحاء كل الصراحة ، ويجب أن نجانب الأدهان والأمور المغماة والجمجمة بالحقيقة الواحدة الخالدة ، فنقول اننا نكذب ان ادعينا مصافاة خصوم الصحابة وخلفاء المسلمين ونضل ضلالا مبينا ان دعونا المسلمين الى ذلك وان أمرءاً يدعى مصافاة هؤلاء أو مصادقتهم لـكاذب اما فى اسلامه ودينه واما فى دعواه هذه الصداقة والمصافاة واما فى هذا كله

أنت لاتستطيع أن تكون صديقا مخلصا لمن تعلم أنه يمقتك ويكرهك ويرميك بكل صيلم . والمؤمن المسلم لا يستطيع أن يكون صديقا مخلصا لخصم أبي بكر صاحب النبي الأكبر ولخصم جميع الصحابة والخلفاء ولمن يرميهم بالطامات المفظعات هما اثنتان لابد منهما اما كره حماة الاسلام وكره الاسلام نفسه ، واما كره

خصوم حماة الاسلام والبراءة لله منهم . أما أن تحب الاسلام وحماته وتحب من يكرههم فأمر لا يكون ولا يستطاع ومدعى هذا كاذب . ولو أراد من قلبه ونفسه ذلك لأراد تكليفهما مالا يستطيعانه، ولاراد منهما شيئا ليس فى طوقهما ولا في طبعهما حمله

فعلى هؤلاء الذين يريدون التوحيـد بين طائفة الشيعة الغالية وبين سائر المسلمين ويسعون لذلك أن يسعوا أولا وقبل كل شيء لحمل الشيعة على رفض هذه المعتقدات وتطهير كتبهم وصدورهم وألسنتهم منها . أى عليهم أن يسعوا أولا لاستئصال الداء وجراثيمه التى هي مرعى علة الاختلاف والافتراق والنزاع والصراع . فإذا ما قضوا على هذه الجراثيم بالموت والفناء كانت نتيجة ذلك بلا شك زوال أعراض هذه الجراثيم التى هى الخلاف والنزاع والصراع بين الحزبين وعلاج الداء بانتزاع جرثومته أشفى وأحجى من محاولة علاجه بالأعراض عنه ونسيانه واغماض العينين عنه . بل هذا ليس علاجا طبعيا وهو قمين بأن يزيد الداء وينمى جرثومته ومادته ، ولا ريب أيضا أن العلاج بهذه الطريقة أيسر وأقرب من العلاج بالطريقة التى يتبعها هؤلاء المترنمون بأناشيد الوحـدة وأغانى الجماعة . الوحدة والجماعة لفظان لذيذان وألذ منهما معناهما وليس من ريب فيما لهما من الأثر النافع فى الدولة والدين والأمة ولكن الأمر كما قيل:

فان الجرح ينفر بعد حين اذا كان البناء على فساد

فان ذلك كما تقضى طبيعة الأشياء ليس ممكنا ولا مستطاعا . والسعى له كذلك سعى عابث ناصب لا أجر ولا حمد

وأنت إذا أردت أن تشيد بناء منيعا باقيا على العوادي وجب عليك أن تشيده على أساس ثابت قوى بعيد عن الضعف والخلل من مادة قوية سليمة صلبة ووجب أن تبعد عن ذلك المواد الضعيفة وما به خلل وضعف أو قبول للخلل والضعف ،

وإلا انهار عليك بناؤك وخسرت نفسك وأهلك ومالك . وكل صلح بين اثنين ان لم يكن صادراً عن القلب والضمير فليس صلحاً وليس إلا كذبا وخداعا وزوراً سميت أسماءصالحة وليس سوى مكيدة مشتركة بين اثنين يصطلحان عليها ويوقعانها على أنها خديعة وجريمة نالت الرضا بالاجماع أى اجماع المتخادعين

فالصلح يجب أولا أن يعمد الى القلب فيغسله من غسلين العداوة وينتزع منه موادها وغذاءها انتزاعاً تاماً شاملا ثم يضع فيه حب المحبة ويسقيه بحباب الحب الانسانى الصحيح ، فاذا ما كان كذلك وهذا هو ما يجب أن يكون فقد تم الصلح وتم توقيعه بوثيقة لا يمكن أن تحل ولا أن تمسها يد النكث والنقض وان لم توقع هذا الصلح يد وان لم يعقد له مؤتمر وتؤلف له جمعية . فاذا ما تقاطعت القلوب فقد قطع البلى وثائق الصلح وان كانت لا تزال كما وقعت جدة ووضوحا بل وان كان مدادها لايزال رطبا لم يجف بل اذا ما كانت القلوب كذلك فقد تمد احدى يديها للصلح ولتوقيع معاهدة الصداقة والمحبة وتمد يدها الأخرى فى الساعة نفسها للقتل والضرب ولتمزيق ما وقعته اليد الأخرى . وهذا هو البلاء الأحمر العتيد التليد الذي لا تفتأ الانسانية الغابنة المغبونة تصرخ وتستصرخ منه

ان الصلح لا يوقع توقيعاً ولا يطلب طلباً وهو شيء لا يكتب بالأقلام ولا يدون فى القراطيس وكل صلح احتاج الى هـذا فليس صلحاً ولو كان صلحاً لما احتاج اليه ، ولكن الصلح يقوم بين النـاس حين تزول عوارض العداوة ومواد الشرور من غير أن يطلبوه وأن يسعوا اليه . فاذا ما انتزعت أسباب العـداوات والضغائن لم تبق هنالك حاجة الى الصلح الرسمى المذيل بالأسمـاء الضخمة . وهم ما احتاجوا الى هذا الصلح وما بادروا اليه وأجمعوا عليه إلا لما يبصرونه في الأفق العام من بوارق الشر وهامم الفتن وصراخ الويلات ، وان صلحاً يوقعه بنان الظلم لا يقال مه اذا مزقته يداه وإن صداقة تبعث عليها الحاجة لا يقال كيف اذا أفسدتها

الحاجة نفسها ، ووحدة تنال بالسؤال تفقد أيضا بالسؤال وبغير السؤال

ولو كنت دولة لماعاهدت دولة ، وذلك أنى أعلم أن دولة من الدول لن تلتزم القيام بشروط معاهدة وقعتها بدمائها قبل أن توقعها بمدادها إلا حين تضطر الى ذلك اضطراراً وحين تعلم أن بقاءها وحياتها فى الوفاء بتلك المعاهدة ، ودولة من الدول اذا ما اضطرت الى أمر لأنها شعرت أن بقاءها وحياتها فيه لا بد أن تأخذ به وقعته بمعاهدة أم لم توقعه ، ولو عاهدتها لكنت أتقيها وأحذر شرها فوق ما كنت أتقيها وأحذرها قبل إبرام المعاهدة التى وصفت بمعاهدة الصداقة والمحالفة ولما قدرت تلك المعاهدة إلا أنها إعلان بالعداوة وإعلام بأن الشر قد تفاقم واقترب لأخذ الحذر والحيطة

ما هذه الحفلات التى تؤلف لاحلال الصلح والمحبة بين الدول أو الأفراد والمعاهدات التى توقع و تسمى بأسماء المحالفات و مبادلة المنافع و الصداقات إلا مناظر سينمائية يراد بها التأثير الهاجم من طريق الخيال وحده على مواطن الضعف والوهن فى الانسان فاضحاكه حيناً و إبكاؤه أحياناً أخرى و خديعته قبل كل شىء على ما يملكه من معانى القوة وأسباب الحياة الفانية فاستلاب ماله وإضحاكه بما ينطوي على البكاء و إفراحه بما يشتمل على الحزن المجسم و ترقيصه بما لو أبصره بعين ليست سينمائية لاستصرخ وصرخ ولأعول ولدم

اذهب الى هذه السينمات وانظر ما تعرضه من مناظر الحب والبغض والحزن والسرور والحرب والسلم ومناظر ما شئت واعلم قبل أن تبصر شيئا من ذلك أنك لست أمام شىء مما تحسب وتنتظر وأن من حبسوا هذه الصور والمواقف لعلهم كانوا يبكون حينما أروك أنهم يضحكون ، ولعلهم كانوا يضحكون حينما أروك أنهم يبكون وأنهم ما تلونوا هذه الألوان الكاذبة المزرية بالانسان إلا حرصا على مالك واغتصابا لك ما تملك لا لشىء غير هذا ؟ اذهب الى هذه السينمات واعلم هذا كله وضع خيالك

وحواسك تحت سلطان عقلك وانظر هل تستطيع بعد هذا أن تضحك مع الناس حينما يضحكون أو تطرب معهم حينما يطربون أو تصفق حينما يصفقون أم هل تعود الى هذه المعارض المزرية مرة أخرى ، لا ريب انك إن فعلت هذا كله سوف تنظر الى هؤلاء المصفقين المتضاحكين الطربين حينما يكشف الغطاء عن هذه المناظر نظرنا الى الأطفال والى ذوى الأمراض العقلية نظر الرثاء والرحمة

ولو أن هؤلاء المصفقين المهللين بهذه المعاهدات والمحالفات والصداقات السينمائية نظروا اليها نظرتنا الساعة الى حقيقة السينما ، وما طويت عليه ، وما قامت لأجله ، لصفقوا تصفيق الحسرة ، ولأهلوا بالاعوال واللوعة ، ولنظروا الى هؤلاء المعجبين المسرورين بذلك نظرتهم الى الاطفال والى ذوى الامراض العقلية ، أعنى نظرة الرثاء والرحمة والعطف

لقد أخرجنا هذا الحديث المثير للاشجان الكامنة ، الحاشد للذكريات المرة الشتيتة عما كنا فيه ، فلنقطعه اضطرارا ، ولنعد الى ما كنا بصدده :

أما شعاعنا الهابط فقد ادركه ما أدرك الشمس من اختلاط أشعتها النيرة القوية بخيوط الليل المظلمة الضعيفة ، ومن تشويهها بما يعلو طبعها النورى الناري فيما يرى الرائى بما تضعه الطبيعة والهواء على محياها الالهى المشرق الوضاء من تراب مظلم كثيف وقسطل أهوج بليد ، ومن طفول نحو المغيب فى أحشاء هذا الفضاء اللانهائى . ولكن سوف يدركه بلا ريب ما أدرك الشمس أيضا من اشراق وصفاء وجمال واكتمال . وليس من شك عندنا أن الاسلام لم يحارب بيد هى أقوى وأمضى من يد تدس فيه الخرافات والمبتدعات المكروهة باسم الدين والتدين وبدعوى التزيد من عبادة الله والتعديل على شرعه . فاننا نعلم أن الاسلام دين الله الحق بحجج كثيرة معلومة حسية ومعنوية ولكن أبين البراهين وأنطقها على أنه دين الله الحق هو أنه جاء كما جاء ونزل كما نزل أسمى مايتصوره العقل

للبشرى من سمو وجمال وحكمة ومطابقة للفطر الالهية التى لم تكدرها الأهواء والدعاوى والدعايات المدخولة . فان العقل الفنى البارع فى معرفة الحق من حيث هو حق ولأنه حق يدرك من صدق هذا الدين وصحته مالا يدركه الرجل الحسى بما يشاهده من المعجزات الكونية المادية على أنه دين الله الحق النازل من تحت سدرة المنتهى ، وهذا هو السر العظيم فى خلود هذا الدين ، وفى معاركته الخطوب والعوادى وخروجه من بين أيديها مظفرا عزيز الجانب . . ولا ريب أن أقوى ما فى الحق هو ما فيه من صفة الحق ومعنى الحق ، ولكن هذا الدين الجميل البالغ الجمال القويه لن يبقى له هذا الوصف حينما تدخله الآراء البشرية التى مصدرها التراب والانسان

وليس مثله حينئذ الا صورة فنية رائعة الصنعة والجمال جاءت وفق ما يتخيله أفرس خيال فنان سيال بارع وضعت عرضة لكل اقتراح يلقيه من يلقيه من مريض العقل الى مريض القلب إلى طفل النفس الى أسير الهوى والحسد . وكل من اقترح اقتراحا فى هذه الصورة الفنية أجيب اقتراحه وعدل فيها ما اقترح تعديله : ألا ترى أن هذه الصورة سوف تصبح ولا محالة من أقبح ماينتجه الخيال وما تراه العين

وهكذا الدين إذ ماترك عرضة لابتداع المبتدعين ولاقتراح المقترحين لا محالة من أن يشوه وجهه وينطفىء جماله وحسنه : وهذا هو ما أصاب الاسلام وما فطن له خصومه الدهاة فجدوا فى حربه من هذه الناحية وفى أخذه من وجهها .

ويقال بنحو آخر ان الله تعالت قدرته وحكمته قد بنى شرعه أفضل بناء فجاء علاجا لكل ما بنيت عليه النفوس من داء وأفضل مايوصف لها وما تحتاج اليه من دواء لأنه تعالى وهو العليم بداء النفوس ودوائها قد قدر شرعه على ماجبلت عليه النفوس تقديراً محكما متقنا وفصله عليها تفصيلا تاماً موجبا بحيث لا يصلحها

غيره ولا تصلح هى بغيره وبحيث لا يروضها ولا يسوسها في أمورها كلها مثل أن تأخذه جملة كما جاء لا زيادة ولا نقصان ولا تغيير ولا تحوير . ولو دخله شيء من ذلك لأفسده ولأبطل حكمته وما وضع من أجله

وذلك أن الشرع الالهى وضع كعلاج لأمراض النفوس التى جبلت عليها من شهوة وشبهة وفسوق . وكل علاج يضعه حكيم عارف بصنعته يفسد لا محالة اذا تناولته يد التغيير والتبديل والزيادة والنقصان . بل ويعود ضاراً مؤذيا ولن يكون علاجا نافعا مجديا إلا اذا أخذ كما وضع وركب عن طواعية ورضى

ولو أن مريضا أراد أن يتصرف وأن يجتهد فيما يركبه له طبيبه من علاج ودواء حسب علته ومرضه فناله بالتغيير والتحوير والزيادة أو النقصان وغير الوقت الموقوت لتعاطيه لكان خليقا بأن يضر نفسه بل ربما قتلها ولكان خليقا بأن يعد من السفهاء الجهلاء .

والذين يتعدون على الشريعة وعلى حدودها بالتغيير كالزيادة والنقصان لا يقلون عن هذا المريض سفاهة وجهالة وإفساداً لهذا العلاج السماوى الهابط به جبريل سيد الملائكة من لدن رب العالمين الى محمد سيد الخلق عليه الصلاة والسلام ليبلغه أفضل الأمم وسيدتها سابقها ولاحقها

فالذين يتناولون هذا الدين بالتغيير والتحوير وقد نزل محكما متقنا وأعد إعداداً حكيما لمعالجة أدواء النفوس ومعالجة ماجبلت عليه من ضعف خلقى وشهوة وشبهة ولدت جرثومتها يوم أن ولدت جرثومة الانسان الأول إنما يعملون بهذا جهلا وقد يكون قصدا لافساد الدين ولابطال الحكمة التى أنزل الله دينه لأجلها وابطال أثره الجليل الحميد الفعال فى هذه النفوس التى هى أبدا فى حاجة الى علاج سماوى قدسى لينتشلها من ورطات المادة ونقصان المادة الأثيمة الفاسقة وليسمو بها فوق هذا العالم الأرضى وما كبّل به من أنكال الضعة والهبوط والضعف اللازم

الوجود ولتتعلق بأسبابه الموصولة بأعلى السماوات العليا لتعلو بها الى حيث يكون مستقر هذا الدين ومهبطه الأول الأعلى

ولهذا فاننا نحمّل الدعاة الى الابتداع فى هذا الدين أوزار ضعف أثره فى النفوس وأوزار صدوفها عنه رغبة عما مزج به من مبتدعات المبتدعين السخفاء الأغبياء . . وانما دعاة البدع من شر خصوم الأديان وخصوم الانسان ، ونهيب بالمؤمنين إلى أن يتضافروا على تطهير الدين وتخليصه من هذه الزلات والعورات والنزهات التى حلت عليه فشوهت محاسنه أو بالأصح ألقت عليه سرادقا كثيفا من جفاء وغباء ووحشة ينظر اليها بعين الحذر والريبة والزراية الأليمة والمضاضة المرة . .

ونحن فى كتابنا هذا نهدم إن شاء الله ركنا من أركان هذا الباطل ونهتك حجابا من هذه الحجب التى ضربت على الدين والتى فرضت على عقول جمهرة كبيرة من الناس

وليس فى المخلوقات كلها ما هو أعجب أمراً من الانسان ولا ما هو أكثر جمعا للمختلفات منه . فالانسان أمره كله عجب . انظر اليه فبينما ترى فريقا منه ينازع الملائكة الطهر والسمو الروحى والجمال المعنوى النفسى إذا بك ترى فريقا آخر منه ينازع الشياطين الخبث والانحطاط الروحى والقبح المعنوي النفسى

ثم انظر اليه فبينما ترى فريقاً منه يسمو ويمعن فى سموه حتى يتصل بالملأ الأعلى بل ويتجاوزه حتى يتصل بالرب الأعلى فيحظى بخطابه نجيا فيصطفيه بكلامه وبرسالاته إذا أنت ترى فريقا آخر منه يهوى ثم يغلو فى هويه فى دركات الصغار والضعة والهوان المزرى حتى يرضى لنفسه بأن تتعبد الأحجار والأشجار والجماد الصامت الوضيع وتتلمس حاجاتها وشفاء كلومها تحت أطباق الرغام وبين ضرائح الرمم وعظام الموتى وهيا كل الانسان الفانية البالية وحتى تشكو قضاء السماء الى

رهين الثرى والبلى وحتى يفزع الانسان الحى السوى الى الانسان الميت يستدفع به فوادح الأقدار

ضل الانسان وغوى فعبد الشمس والقمر والأجرام العلوية فقيل أغراه بهذه الضلالة وبهذا النزول الفكرى الاعتقادى ما رآه فى هذه الأفلاك العلوية النيرة من الجلال والجمال والاشراق البــاهر والمظهر المشهود الفتان ، ثم ضل وغوى فعبد الملائكة فقيل أغراه بعبــادتهم ما أكرمهم الله به من طهارة وعلو ومن اتصال به تعالى ومن خصائص خلقية عجيبة ، ثم ضل وغوى فعبد هذه الأنهار المتدفقة عن اليمين وعن الشمال فقيل أغراه بعبادتها ما أودعها الله من المنافع للانسان والحيوان ، ثم ضل وغوى وانحط غيه وضلاله فعبــد الأحجار والأخشاب والستائر المنصوبة على هيكل مخلوق ضعيف عاجز عن نفع نفسه وعن ضرها حيا . فلما أن قيل ما الذى أغراه بعبادة هذه الأخشاب والأحجار والأجداث وما الذى أبصره هنالك حتى ضل هذا الضلال المبين لم يكن الجواب سوى أن يقال أغراه بهذا نقص الانسان وإفلاس الانسانية وانحدار مداركها انحداراً يصرخ في وجه الانسان المزهو بانسانيته قائلا : ها هنا ينتحر العجب الانسانى وها هنا تنتحر الانسانية

عرج على قبر من تلك القبور ثم استمع حشرجة تلك الصدور بهتافات الرغبة وإعوال الرهبة وتسمع تساقط الرغبات الملحة من تلك الشفاه الذابلة بحرارة الذعر وتوهج الرجاء وانظر الى تلك الوجوه الذاهلة الساهمــة بنشوة الخضوع وجلال الخشوع والى تلك الدموع المتحدرة فى الحس ماء من العين وفي العقــل عبادة واستسلاما لغير الله من القلب والعقل وإهانة كبرى للانسانية أينما كانت ، والى تلك الأيدى المبسوطة ظاهراً بالأمل المبسوط على تلك الستائر والأبواب والأخشاب والعمد المبسوطة معنى الى كرامة الانسان ومجد العبودية الالهيــة لتمزيقها شر ممزق والى الشرف الانسانى الرفيع لتهبط به تحت أقدام الموتى وأشلاء

الفناء وانظر الى تلك الوفود المختلفة المزدحمة ذات الحاجات المختلفة المزدحمة والجموع المتدافعة على تلك القباب والأبواب ذات الأنواط والحبال وعلى تلك الأضرحة رجاء البعيد القصى وقرة عين القريب النجى

انظر الى ذلك كله وتسمع ما هنالك كله ثم صب الدمع سخيناً غزيراً على كرامة الانسان ومجده وعلى عزة العبودية الماجدة الواحدة الموحدة المراقة بلا ثمن سوى الخزى والعار فى الدنيا ثم الويل والنار فى الأخرى ثم قل والخطاب للمسلم وحده :

ويحك أيها المسلم ماذا دهاك ؟ !! ان أسلافك الأماجد لم يقنعوا بهذا العالم كله مطلباً وغاية حتى عقدوا من أسيافهم وصالح أعمالهم درجات يمتطون بها ثبج الهواء ويشقون بها حواجز المادة والطبيعة ليتصلوا بغاية الغايات ونهاية كل موجود فما أنت والرضا بالتراب ؟؟ ولقد كان المسلم يتلو قول الله « أليس الله بكاف عبده » فيحمل سيفه المثلم ورمحه المحطم من مسايفة الأبطال ومقارعة الصناديد المغاوير فيقذف نفسه فى غمرات الموت يطعن ويضرب فلا يفكر في أن ينهزم وصدره يعى هذه الآية ومعناها العلوى السماوى ، حتى لو وقف العالم كله ليصده عما أراد وليحول بينه وبين الانتصار للحقيقة الواحدة الخالدة . فما أنت وخشية التراب ؟ ؟

ولقد كان الأعرابى يلقى محمداً ﷺ فيتلو عليه قول الله : « كل شىء هالك إلا وجهه » فتتضاءل المخلوقات وتتلاشى فى عينه ومن نفسه حتى يدركها الفناء فيروح يضرب الباطل ويفلق هامات الضلال غير حاسب لغير الله حسابا وغير قابل إلا لخالقه حكما وغير محس لغير الحق وحده وجوداً . فيكبر هو فى عين الوجود وفى نفسه حتى يتصدع له بناء الطبيعة ويخشع له إجلالا قانون المادة ، ويجل فى حساب الباطل والضلال حتى يبصرا فى كل شعرة منه ألف جحفل يقاتل فى سبيل الله . فما أنت والرغبة فى التراب ؟؟

وكان المشرك الدنس يتلقى لا إله إلا الله فتتمشى فيه فتعقم جسمه ونفسه وتطهرها من معانى الشهوة والفسوق والحيوانيـة النهمة فيسمو على الشهوات وحاجات النفوس وعلى مآرب الطبيعة وحاجات المادة فيروح ويغدو ملكا فى أثواب انسان ومعنى طاهرا مقدساً فى صورة مادة . فما أنت ومساءلة الأطلال الفانية ؟؟ !

وكان المسلم الأول يمر على قول الله « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً » فتحول بينه وبين الخلق جميعا وتسد عليه طريق الرغبـة في العباد كافة فتمر به مصائب الناس جميعاً ويلقى فى حياته معنى صفة الله الجبار الممحص في معناها الجلى الظاهر الكامل فلا يدل مخلوقا على مكان ألمه ولا يكشف لغير الله عن موضع علته ولا تسمع منه أذن مخلوقة قولة آه ولا يسأل مخلوقا عونا حتى لقد كان تسقط منه عصاه فلا يقول لأحد ناولنيه . فما أنت ودعوة الأموات والشكوى الى الرمم والعظام النخرة

ويلك أيها المسلم ماذا غرك بهذه الأنصاب والأجداث ؟؟ أرأيت شيئا منها خلق شيئا منك فاستحق خضوعه وعبادته ورغبته ورهبته . أم علمت أن شيئا منها خلق شيئا من هذا العالم فملكه حتى طمعت فيما خلق وملك فرحت تسأله وتستوهبه إياه برغب ورهب . أم وجدت أن شيئا منها امتنع على الله حتى رحت ترجو منعته أو أعانه وشاركه حتى رغبت فى معونته ومشاركته . أم وجدت هذه الأخشاب والأبواب والأموات أقرب اليك من الله وأرحم بك وأعلم بحاجتك منه أم أسرع إجابة وأوسع سلطانا وأعظم فضلا من رب العالمين فطفقت تسألها حاجاتك يوم يسأل المؤمنون ربهم . أم علمت أن الله لا يسمع دعاءك ولا يتقبل عبادتك حتى تذل لعبيده وحتى تسألهم أن يعطوك ما لا يملكه وما لا يقدر على ملكه واعطائه سوى رب العالمين . . ؟؟؟

ويحك أيها المسلم رغبت عن الله فرغب الله عنك ، ورغبت فى غير الله فرغب من رغبت فيه فى الله عنك . فلا أنت أدركت رضا الله ولا أنت أدركت رضا من رغبت فى رضاه فخسرت الرضوانين وهذا هو أشد الخسران ، فتخلى الله عنك بنصره وعونه إذ تخليت أنت عن استنصاره واستعانته ، وتخلى عنك الخيار من عباده إذ تخليت عن إرشادهم وسننهم فخلا بك الشرار من خلقه فافترسوك فهلكت بين نسيان الله والخيار من عباده لك وبين ثورة الشرار من خلقه بك ، فأصبحت فى الهالكين الغابرين

ويحك أيها المسلم ؟ ! ! شرب المؤمنون صفواً وشربت أنت كدراً ، ودعوا هم رباً واحداً ودعوت أنت ألف رب « أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » ، ورغبوا هم فى السماء ورغبت أنت فى الارض ، ونادوا هم خالق الاحياء وناديت أنت أشلاء الاموات ، ورفعوا أبصارهم الى السماء ونكست طرفك وخفقت برأسك أنت الى الثرى ؛ وأين الثرى من السماء وأين عابد الأموات من عابد الحيي المميت الذى لا يموت ؟ « هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون »

أو لم يبلغك أيها المسلم مصارع المشركين الأولين وكيف فعل الله بمن عدلوا به غيره من الاوثان والصالحين والأنبياء ؟ ألم يأخذ الله اولئك المشركين كلهم الى الهلاك ثم الى النار سوقاً بكلمة لا إله إلا الله إذ تواصوا يابائها قائلين « أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ؟ »

أما وجدت فى كتاب الله مثلات الاولين والآخرين وأمثال الهدى والضلال المبين ؟ ويلك لقد انقطعت الرسالات واحتبست السماء الكتب فلا رسالة بعد رسالة محمد عليه السلام ولا كتاب بعد كتاب الله القرآن فان لم تجد فيهما الهدى فلن تجده ولن تكون من المهتدين

هذا فى المسلمين بلاء أى بلاء و منكر مافوقه منكر . وليس هنالك ماهو شر منه سوى أن يقوم رجال محسوبون على العلم والعلماء وعلى الاسلام والمسلمين يذودون عن ذلك بغيرة لا أدرى بماذا أصفها ، ويثلبون من أنكره من صالح المؤمنين ثلباً مراً مزعجاً ويملئون عليه الفضاء صراخاً واعوالا ويرجفون به وبأمره ارجافا رنانا هائلا زاعمين أنه خرج على الاسلام والمسلمين وعاند الكتاب والسنة وقال قول الفرقة الضالة الملحدة متهميه بارادة السوء بالاسلام وبالهوى وبالشنم الاخرى متلمسين فى كتاب الله ورسالة نبيه البراهين على بطلان أمره وضلال رأيه مزورين هذا فى كتب وقراطيس مطبوعة محاولين اقناع المسلمين بها وخديعتهم بأمرها

هذا من شر مافى المسلمين ومن أظهر مافيهم من باطل قامت عليه عيوبهم المشهودة المشهود أثرها فى كل حال من حالاتهم

وسيشهد القارىء لكتابنا هذا أسلوباً من هذه الاساليب الملتوية وصراعاً عظيما بين هذا الداء العتيد فى الانسانية الضالة وبين علاجه الحاسم . والله من وراء كل قصد واليه المآب وعليه الحساب

١٤ رمضان سنة ١٣٥٥ — المؤلف

لماذا ألفت هذا الكتاب ؟

في ربيع الأول سنة ١٣٥٥ هجرية بعث إليّ الوجيه الحجازي المعروف محمد أفندي نصيف بكتاب « كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب » وقد كتب حضرته على طرته العبارة الآتية : « إن مؤلف هذا الكتاب قد أتى بأشياء لم يأت بها أحد قبله من أعداء الدعوة الاسلامية . فأرسلته لكم لابداء رأيكم فيه ، وللرد عليه »

فقلبت صفحات الكتاب مرة ومرة فرأيت فيه ما جعلني أتردد في الكتابة عنه . ثم بعث هذا الوجيه خطابًا الى أحد الاعزة في مصر يطلب اليه فيه أن يطلب إليّ الرد على الكتاب . فصح عزمي وكتبت ما يأتي :

ليس عجيبًا أن تسيء الشيعة الى أهل نجد وغيرهم من أهل السنة وتضيف اليهم من المعايب والشنع أفظعها وأكذبها ، أو ترميهم بالفسوق والكفور وبالامور الكبريات الأخريات ، أو تجدّ في مناوأتهم وايقاع الأذى بهم ، أو تؤلف الكتب المملوءة بذاءة ووقاحة . ليس شيء من ذلك عجيبًا من طائفة الشيعة وقد أكفروا خيار البشر وقدحوا فيهم أمرّ القدح وأكذبه ، فلسنا نطمع منهم في ولاء أو ثناء وقد عادوا أبا بكر وعمر والسيدة عائشة وحفصة وطلحة والزبير وفضلاء المهاجرين والانصار ومن تولاهم . وآذوا الله عز شأنه فوصفوه بالبداء ومعناه أنه يفعل الامر فيبدو له منه ما كان خافيًا فيستأنف الحكم والعمل . ومعنى هذا وصفه بالجهالة ، وقد وصفه اشياخهم ايضًا بصفات النقص كالحلول والجسمانية كما سوف ترى ذلك . وآذوا رسول الله ﷺ فقال فريق من اشياخهم : إن الرسالة كانت للإمام علي ولكن جبريل غلط فأداها الى محمد عليه الصلاة والسلام . وآذوا جبريل

نفسه فوصفوه بالغلط فى أشرف الأمور وهو أداء رسالة الله . فعدوه لذلك عدوهم المبين . وآذوا سائر المسلمين إذ لم يوافقوهم على عداوة صحابة رسول الله ، وعلى الغلو فى من يعدونهم أئمتهم المعصومين ، فدعوا المسلمين لذلك (النواصب) ، ويعنون بذلك أنهم أعداء بيت النبوة ، فقدحوا فى عقائدهم ودينهم وأئمتهم ، واستحلوا دماءهم وأموالهم . ومن أقوال كتبهم عن أئمتهم : « خذ مال الناصبى وادفع إلينا الخمس » وفارقوهم فى الجمع والجماعات ، وخالفوهم فى شعائر الاسلام كالصلاة والحج والشعائر الاخرى ، وتخلفوا عنهم فى الجهاد ، وناصبوا أمراءهم العداوة والبغضاء وسعوا فى تمكين أعدائهم منهم وأخذ نواصيهم . وأعانوا أخصام الاسلام نقمة من أمراء النواصب وسلاطينهم — كما يزعمون . وقعدوا عنهم فى كل أمر به نصرة الاسلام أو نصرة أوطان المسلمين ، وأتوا كل ما من شأنه إلقاء العداوة والفشل بين صفوف الاسلام ، وكل ما من دأبه أن يبعث الأحقاد القديمة الكامنة والحزازات الساكنة

ولا يزالون يأتون ذلك فى كل المناسبات وفى كل وقت تتحرك به نفوس المسلمين الى نصرة الاسلام أو نصرة أوطانه . وقى الله دينه وعباده شرهم

وقد كان أول أمر هذه الطائفة أن رجلا يهوديا يقال له عبد الله بن سبأ فى فجر الاسلام رأى سلطان الاسلام وقوته وعلوه على سائر الأديان وتهاوى عروش الباطل تحت عرشه الحق فغاظه ذلك فأراد الكيد له والايقاع الفظيع بأهله . وقد يكون عضواً قويا لجمعية سرية هائلة أنشئت لهدم الاسلام . وليس ببعيد أن يكون من أعضاء هذه الجمعية أبو لؤلؤة الغلام المجوسى الذى قتل الخليفة عمر . فان طوائف من الشيعة يحبون هذا الغلام المجوسى ويرون أنه قد أسدى اليهم يداً إذ قتل عمر . فتظاهر هذا اليهودى بالاسلام وادعى الايمان بالله وبرسوله ولجأ الى الزهد والى عون المظلومين فى زعمه فجهر بأن علياً مظلوم ظلمه أصحاب محمد النواصب

حسداً منهم وطمعاً فى الرئاسة والملك ، فاغتصبوا الخلافة منه وهى حقه المعلوم ، واستبدوا بالأمر دونه فهم الظالمون وهو وآله المظلومون وهم الخونة المستبدون وهو وآله المستضعفون المغبونون . وطوبى لمن رجع الحق الى أهله ومستحقيه ، فدعا إلى الانتقام من صحابة رسول الله ﷺ خصوم على ، والى عون على صاحب الامر ووليه ولم يقف أمر هذا اليهودى الخائن عند هذا الحد بل غلا وأسرف فى غلوه طمعاً منه فى تفاقم الفتن والفشل والهرج والمرج فادعى فى على الالوهية وزعم أن فيه جانباً إلهياً ، وربما زعم أن الله قد حل فيه كدعوى المسيحيين فى المسيح . فأتت علياً دعواه فهمّ بالانتقام منه ، وأراد الايقاع به ، فهرب منه وظل يتنقل من بلد الى بلد مدعياً دعواه المنكرة داعياً الناس اليها ، وليس أمثال هذا الرجل منا ببعيد فكثير من الاوروبيين اليوم يدعون الاسلام ، أو يدعون حب العرب ونصرتهم : ومرادهم الذي يضمرون وله يسعون ، هو هدم الاسلام ، وافتراس أهل الاسلام كيداً وغشاً

فتطاير صدى دعوى هذا اليهودى الى بعض الأذهان المريضة ، ونادى قوم بألوهية على وبأنه الله سبحانه وتعالى . فتنة يهودية محكمة . فاستتابهم الامام على فلم يتوبوا ، فأضرم نيراناً عظيمة وقذفهم فيها فازدادوا بذلك ضلالا وكفروا وقالوا الآن علمنا بأنك أنت الله ، إذ لا يعذب بالنار الا رب النار . فأخاف عقاب على قوماً منهم فكتموا كفرهم وضلالهم لا أبداً ولكن الى حين ، الى أن تتهيأ لهم الفرصة ويأتى اليوم الذى به يستطيعون أن يقولوا كل ما يضمرون ، والتقية والنفاق من أبرز صفات الشيعة وعقائدهم . وهؤلاء هم أهل الدهاء منهم والمكر السيء

وكانت هاتان الحادثتان أساس المذهب الشيعى والحجر الأول فى بنائه ، عليهما أقيم المذهب وعنهما تفرعت حماقات الشيعة وعقائدهم الباطلة الآثمة ، ومن هذا الطريق أتى أهل الالحاد المدعون التشيع والغلو فى على وأولاده كالفاطميين والاسماعيليين والمختاريين

حماقات الشيعة

في هذا الفصل ننقل من أوثق المصادر التاريخية طائفة من حماقات الشيعة ومعتقداتهم السخيفة في الله ورسوله وآله وفي المؤمنين

قال ابن خلدون في مقدمته تحت عنوان « فصل في مذاهب الشيعة » :

« ومن الشيعة طوائف يسمون الغلاة تجاوزوا حد العقل والايمان في القول بألوهية هؤلاء الأئمة ، إما على أنهم بشر اتصفوا بصفات الالوهية أو أن الاله حل في ذاته البشرية . وهو قول بالحلول يوافق مذهب النصارى في عيسى صلوات الله عليه . ولقد حرق علي رضي الله عنه بالنار من ذهب فيه الى ذلك منهم ، وسخط محمد بن الحنفية المختار بن أبي عبيد لما بلغه مثل ذلك عنه ، فصرح بلعنته والبراءة منه . وكذلك فعل جعفر الصادق رضي الله عنه بمن بلغه مثل هذا عنه . ومنهم من يقول إن كمال الامام لايكون لغيره فاذا مات انتقلت روحه الى امام آخر ليكون فيه ذلك الكمال ، وهو قول بالتناسخ

ومن هؤلاء الغلاة من يقفون عند واحد من الأئمة لايتجاوزونه الى غيره بحسب من يعين لذلك عندهم ، وهؤلاء هم الواقفية . فبعضهم يقول هو حي لم يمت وأنه غائب عن أعين الناس ويستشهدون لذلك بقصة الخضر . قيل مثل ذلك في علي رضي الله عنه وأنه في السحاب والرعد صوته والبرق في سوطه . قالوا مثل ذلك في محمد بن الحنفية وانه في جبل رضوى من أرض الحجاز . وقال مثله غلاة الامامية وخصوصا الاثنا عشرية منهم يزعمون أن الثاني عشر من أئمتهم وهو محمد بن الحسن العسكري ويلقبونه المهدي دخل في سرداب بالحلة وتغيب حين اعتقل مع أمه وغاب هنالك وهو يخرج آخر الزمان فيملأ الارض عدلا وهم الى الآن ينتظرونه ويسمونه المنتظر لذلك . ويقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب

وقد قدموا مركباً فيهتفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم ثم ينفضون ويرجئون الأمر الى الليلة الآتية وهم على ذلك لهذا العهد ، وبعض هؤلاء الواقفية يقول ان الامام الذى مات يرجع الى حياته الدنيا »

وقال أبو حفص بن شاهين فى كتاب اللطف فى السنة : حدثنا محمد بن أبى القاسم بن هرون حدثنا أحمد بن الوليد الواسطى حدثنا جعفر بن نصير الطوسى الواسطى عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول عن أبيه قال : قال الشعبى « أحذركم أهل هذه الأهواء المضلة وشرها الرافضة . لم يدخلوا فى الاسلام رغبة ولا رهبة ولكن مقتاً لأهل الاسلام وبغياً عليهم قد حرقهم على رضى الله عنه ونفاهم الى البلدان منهم عبد الله بن سبأ يهودى من يهود صنعاء نفاه الى ساباط وعبد الله بن يسار الى خازر . وآية ذلك أن محنة الرافضة محنة اليهود : قالت اليهود لا يصلح الملك إلا فى آل داود وقالت الرافضة لاتصلح الامامة إلا فى ولد على . وقالت النصارى لا جهاد فى سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال وينزل سيف من السماء وقالت الرافضة لا جهاد فى سبيل الله حتى يخرج المهدى وينادى مناد من السماء » واليهود يؤخرون الصلاة الى اشتباك النجوم وكذلك الرافضة يؤخرون المغرب الى اشتباك النجوم . والحديث عن النبى ﷺ أنه قال : لا تزال أمتى على الفطرة مالم يؤخروا المغرب الى اشتباك النجوم . واليهود تزول عن القبلة شيئاً وكذلك الرافضة ، واليهود تنود فى الصلاة وكذلك الرافضة ، واليهود تسدل أثوابها فى الصلاة وكذلك الرافضة ، واليهود لا يرون على النساء عدة وكذلك الرافضة . واليهود حرفوا التوراة وكذلك الرافضة حرفوا القرآن . واليهود قالوا افترض الله علينا خمسين صلاة وكذلك الرافضة ، واليهود لا يخلصون السلام على المؤمنين انما يقولون السام عليكم والسام الموت وكذلك الرافضة ، واليهود لا يأكلون

الجري و المرماهي [1] وكذلك الرافضة ، واليهود لا يرون مسح الخفين وكذلك الرافضة ، واليهود يستحلون أموال الناس كلهم وكذلك الرافضة ، وقد أخبرنا الله عنهم بذلك فى القرآن قالوا « ليس علينا فى الأميين سبيل » واليهود تسجد على قرونها فى الصلاة وكذلك الرافضة ، واليهود لا تسجد حتى تخفق برؤسها مراراً تشبيها بالركوع وكذلك الرافضة ، واليهود ينتقصون جبريل ويقولون هو عدونا من الملائكة وكذلك الرافضة يقولون غلط جبريل بالوحى على محمد ، وكذلك الرافضة وافقوا النصارى فى خصلة ، النصارى ليس لنسائهم صداق انما يتمتعون بهن تمتعاً وكذلك الرافضة يتزوجون بالمتعة ويستحلون المتعة ، وفضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين : سئلت اليهود من خير أهل ملتكم ؟ قالوا أصحاب موسى ، وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم ؟ قالوا حوارى عيسى ، وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم ؟ قالوا أصحاب محمد . أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم ، والسيف عليهم مسلول الى يوم القيامة . لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا مجتمع . ولا تجاب لهم دعوة ، دعوتهم مدحوضة وكلمتهم مختلفة وجمعهم متفرق وكلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله »

وقال الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل تحت عنوان « الشيعة » :

« ومنهم الكيسانية أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين على رضى الله عنه وقيل تلميذ للسيد محمد بن الحنفية يعتقدون فيه اعتقاداً بالغاً من إحاطته بالعلوم كلها واقتباسه من السيدين الأسرار بجملتها . ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل حتى حملهم ذلك على تأويل الاركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج

---

(١) نوعان من السمك تزعم الشيعة أن عليا رضى الله عنه وقف على البحر فخرج اليه أنواع السمك وسلمت عليه ماسوى هذين النوعين فهما حرام لذلك

وغيرها على رجال فحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول الى طاعة الرجل . وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت ، فمن مقتصر على واحد معتقد أنه لا يموت ولا يجوز أن يموت حتى يرجع ، ومن معد حقيقة الامامة الى غيره ثم متحسر عليه متحير فيه ومن يدع حكم الامامة فليس من الحيرة . وكلهم حيارى منقطعون ومن اعتقد أن الدين طاعة رجل ولا رجل له فلا دين له . ونعوذ بالله من الحيرة والحور بعد الكور »

قال ومنهم الهاشمية أتباع أبي هاشم بن محمد بن الحنفية وفرقة من أتباع هذا الرجل قالت إن أبا هاشم أوصى الى عبد الله بن عمرو بن حرب الكندى . وكان من مذهب عبد الله أن الارواح تتناسخ من شخص الى شخص وأن الثواب والعقاب فى هذه الاشخاص اما أشخاص بنى آدم وإما أشخاص الحيوانات

قال وروح الله تناسخت حتى وصلت اليه وحلت فيه . وادعى الألوهية والنبوة معاً وأنه يعلم الغيب فعبده شيعته الحمقى وكفروا بالقيامة لاعتقادهم أن التناسخ يكون فى الدنيا والثواب والعقاب فى هذه الاشخاص . وتأول قول الله تعالى «ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فى ماطعموا» الآية على أن من وصل الى الامام وعرفه ارتفع عنه الحرج فى جميع ما يطعم ووصل الى الكمال. وعنه نشأت الخرّمية والمزدكية بالعراق وهلك عبد الله بخراسان وافترقت أصحابه فمنهم من قال إنه حى لم يمت ويرجع . ومنهم من قال بل مات وتحولت روحه الى اسحاق بن زيد بن الحارث الانصارى وهم الحارثية الذين يبيحون المحرمات ويعيشون عيش من لا تكليف عليه . قال ومنهم البنانية أتباع بنان بن سمعان قالوا بانتقال الامامة من أبى هاشم اليه . وهو من الغلاة القائلين بالهية أمير المؤمنين على . قال حل فى على جزء إلهى واتحد جسده فيه . كان يعلم الغيب اذا أخبر عن الملاحم وصح الخبر وبه كان يحارب الكفار وله النصرة والظفر ، وبه قلع باب خيبر

وعن هذا قال والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانيه ولا بحركة غذائية ولكن قلعته بقوة ملكوتية بنور ربها مضية . فالقوة الملكوتية فى نفسه كالمصباح فى المشكاة والنور الالهى كالنور فى المصباح . قال وربما ظهر على فى بعض الأزمان . وقال فى تفسير قوله تعالى « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام » أراد به عليا فهو الذى يأتى فى ظلل ، والرعد صوته والبرق تبسمه . ثم ادعى بنان أنه قد انتقل اليه الجزء الالهى بنوع من التناسخ . ولذلك استحق أن يكون إماماً وخليفة وذلك الجزء هو الذى استحق به آدم سجود الملائكة . وزعم أن معبوده على صورة إنسان عضوا فعضواً جزءاً فجزءا . وقال يهلك كله إلا وجهه لقوله تعالى « كل شىء هالك إلا وجهه » . ثم قال الشهرستانى ومنهم الرزامية أتباع رزام ادعوا حلول روح الاله فى أبى مسلم الخراسانى وقالوا بتناسخ الارواح . والمقنع الذى ادعى الألوهية لنفسه كان على هذا المذهب وتابعه مبيضة ماوراء النهر وهؤلاء صنعة من الخرمية دانوا بترك الفرائض وقالوا الدين معرفة الامام فقط . ومنهم من قال الدين أمران معرفة الامام وأداء الامانة ومن حصل له الأمران وصل الى حال الكمال وارتفع عنه التكليف» قال ومنهم الغالية الذين غلوا فى حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم بأحكام الالهية فربما شبهوا واحداً من الائمة بالاله وربما شبهوا الاله بالخلق وهم على طرفى الغلو والتقصير . وانما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق والنصارى شبهت الخلق بالخالق، فسرت هذه الشبهات فى أذهان الشيعة الغالية حتى حكمت بأحكام إلهية فى حق بعض الأئمة . وكان التشبيه بالأصل والوضع فى الشيعة . وبدع الغلاة محصورة فى أربع التشبيه والبدء والرجعة (١) والتناسخ

(١) المراد بالرجعة رجوع من مات أو غاب من أئمتهم الى الدنيا

قال : ومنهم السبائية أصحاب عبد الله بن سبأ الذى قال لعلى : أنت أنت . يعنى أنت الاله ، وزعموا أنه كان يهودياً فأسلم وعنه انشعبت أصناف الغلاة ، وزعموا أن علياً حى لم يقتل وفيه الجزء الالهى ، ولا يجوز أن يستولى عليه ، وهو الذى يجىء بالسحاب والرعد صوته والبرق تبسمه ، وأنه سينزل بعد ذلك الى الأرض ، وهم أول فرقة قالت بالتوقف والغيبة والرجعة وقالت بتناسخ الجزء الالهى فى الأئمة بعد على

قال : ومنهم الكاملية أصحاب أبى كامل أكفر جميع الصحابة بتركهم بيعة على وطعن في على بتركه طلب حقه ، قال : وكان عليه أن يخرج ويظهر الحق ، على أنه غلا فى حقه . وكان يقول الامامة نور يتناسخ من شخص الى شخص وذلك النور فى شخص يكون نبوة وفى شخص يكون إمامة ، وربما تتناسخ الامامة فتصير نبوة وقال بتناسخ الأرواح وقت الموت . والغلاة على أصنافهم متفقون على التناسخ والحلول[1] ، ولقد كان التناسخ مقالة لفرقة فى كل أمة تلقاها من المجوس المزدكية والهند البرهمية ومن الفلاسفة والصابئة ، ومذهبهم أن الله قائم بكل مكان ناطق بكل لسان ظاهر بشخص من أشخاص البشر ، وذلك معنى الحلول ، وقد يكون الحلول بجزء وقد يكون بكل

قال : ومنهم العليائية أصحاب العلياء بن ذراع الدوسى ، كان يفضل علياً على النبى عليه الصلاة والسلام ، وزعم أنه الذى بعث محمداً وسماه إلهاً وكان يقول بذم محمد لأنه بعث ليدعو الى على فدعا الى نفسه ، ويسمون هذه الفرقة الذمية ، ومنهم من قال بالهيتهما معاً ويقدمون علياً فى أحكام الالهية ويسمونهم العينية ، ومنهم من قال بالهيتهما معاً و يقدمون محمداً فى الالهية ويسمونهم الميمية ، ومنهم من قال بالهية خمسة أشخاص أصحاب الكساء محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين ، وقالوا :

---

(١) المراد بالحلول فى كلام القوم حلول ذات الله فى بعض ذوات المخلوقين .

خستهم شيء واحد والروح حالة فيهم بالسوية لا فضل لواحد على الآخر وكرهوا أن يقولوا فاطمة بالتأنيث بل قالوا فاطم

قال ومنهم المغيرية أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي ادعى أن الامام بعد محمد ابن على بن الحسين محمد بن عبد الله بن الحسن وزعم أنه حى لم يمت . وكان المغيرة مولى لخالد بن عبد الله القسرى ، وادعى الامامة لنفسه بعد الامام محمد وبعد ذلك ادعى النبوة وغلا فى حق على غلواً لايعتقده عاقل وزاد على ذلك قوله بالتشبيه . فقال ان الله صورة وجسم ذو أعضاء على حروف الهجاء وصورته صورة رجل من نور على رأسه تاج من نور وله قلب تنبع منه الحكمة . وزعم أن الله لما أراد خلق العالم تكلم بالاسم الأعظم فطار فوقع على رأسه تاجا . قال وذلك قوله : « سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى » ثم اطلع على أعمال العباد وقد كتبها على كفه فغضب من المعاصى فعرق فاجتمع من عرقه بحران أحدهما مالح والآخر عذب والمالح مظلم والعذب نير . فاطلع فى البحر النير فأبصر ظله فانتزع عين ظله فخلق منها الشمس والقمر وأفنى باقى ظله . وقال لا ينبغى أن يكون معى إله غيرى . قال ثم خلق الخلق كله من البحرين المؤمنين من البحر النير والكافرين من البحر المظلم وخلق ظلال الناس . وأول ما خلق هو ظل محمد وعلى قبل ظلال الكل ثم عرض على السموات والأرض والجبال أن يحملن الأمانة وهي أن يمنعن على بن أبى طالب من الامامة فأبين ذلك ثم عرض على الناس فأمر عمر بن الخطاب أبا بكر أن يتحمل منعه من ذلك وضمن أن يعينه على الغدر به على شرط أن يجعل الخلافة له من بعده فقبل منه وأقدما على المنع متظاهرين . فذلك قوله « وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا » وزعم أنه نزل فى عمر قوله تعالى « كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك » . ولما أن قتل المغيرة اختلف أصحابه فنهم من قال بانتظاره ورجعته ، ومنهم من قال بانتظار إمامة محمد كما كان يقول

هو بانتظاره . وقد قال المغيرة لأصحابه انتظروه فانه يرجع وجبريل وميكائيل يبايعانه بين الركن والمقام »

وقال« ومنهم المنصورية أصحاب أبى منصور العجلى. زعم هذا الرجل أن عليا رضى الله عنه هو الكسف الساقط من السماء وربما قال الكسف الساقط من السماء هو الله عز وجل . وزعم حين ادعى الامامة لنفسه أنه عرج به الى السماء ورأى معبوده فمسح بيده رأسه وقال له : يابنى انزل فبلغ عنى ثم أهبطه الى الأرض فهو الكسف الساقط من السماء . وزعم أن الرسل لاتنقطع أبداً والرسالة لاتنقطع . وزعم أن الجنة رجل أمرنا بموالاته وهو امام الوقت وأن النار رجل أمرنا بمعاداته وهو خصم الامام . وتأول المحرمات كلها على أسماء رجال أمرنا الله بمعاداتهم وتأول الفرائض على أسماء رجال أمرنا بموالاتهم . واستحل أصحابه قتل مخالفيهم وأخذ أموالهم واستحلال نسائهم . وإنما مقصودهم من حمل الفرائض والمحرمات على أسماء رجال هو أن من ظفر بذلك الرجل وعرفه فقد سقط عنه التكليف وارتفع عنه الخطاب إذ وصل الى الجنة وبلغ الكمال . ومما أبدعه العجلى أن قال أول « ماخلق الله هو عيسى بن مريم ثم على بن أبى طالب »

قال « ومنهم الخطابية أصحاب أبى الخطاب محمد بن أبى زينب الأسدى . زعم أن الأئمة أنبياء ثم آلهة ، وقال بالهية جعفر بن محمد وإلهية آبائه وهم أبناء الله وأحباؤه . والالهية نور فى النبوة والنبوة نور فى الامامة ولا يخلو العالم من هذه الآثار والأنوار . وزعم أن جعفرا هو الاله فى زمانه وليس هو المحسوس الذى يرونه ولكن لما نزل الى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها . ولما وقف عيسى ابن موسى صاحب المنصور على خبث دعوته قتله بسبخة الكوفة : وافترقت الخطابية بعده فرقا : زعمت فرقة أن الامام بعد أبى الخطاب رجل يقال له معمر ودانوا به كما دانوا بأبى الخطاب وزعموا أن الدنيا لاتفنى وأن الجنة هى ما يصيب الناس من

خير ونعمة وعافية وأن النار هى ما يصيب الناس من شر ومشقة وبلية واستحلوا الخمر والزنى وسائر المحرمات ودانوا بترك الصلاة والفرائض وتسمى هذه الفرقة المعمرية . وزعمت طائفة أن الامام بعد أبى الخطاب بزيغ وكان يزعم أن جعفراً هو الاله أى ظهر بصورته للخلق وزعم أن كل مؤمن يوحى اليه وتأول قول الله « ما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله » أى إلا بوحى من الله إليه . وكذلك قوله تعالى « وأوحى ربك إلى النحل » وزعم أن فى أصحابه من هو أفضل من جبريل وميكائيل وزعم أن الانسان إذا بلغ الكمال لا يقال إنه مات لكن الواحد منهم اذا بلغ النهاية قيل رفع إلى الملكوت وادعوا كلهم معاينة أمواتهم وزعموا أنهم يرونهم بكرة وعشيا : وتسمى هذه الطائفة البزيغية . وزعمت طائفة أن الامام بعد أبى الخطاب عمير بن بنان العجلى وقالوا كما قالت الطائفة الأولى ، الا أنهم اعترفوا بأنهم يموتون وكانوا قد نصبوا خيمة بكناسة الكوفة يجتمعون فيها على عبادة الصادق فرفع خبرهم إلى يزيد بن عمر بن هبيرة فأخذ عميرا فصلبه فى كناسة الكوفة وتسمى هذه الطائفة العجلية . وزعمت طائفة أن الامام بعد أبى الخطاب مفضل الصيرفى وكان يقول بربوبية جعفر دون نبوته ورسالته »

وقال « ومنهم الهشامية أصحاب الهشامين هشام بن الحكم صاحب المقالة فى التشبيه وهشام بن سالم الجواليقى الذى نسج على منواله فى التشبيه . حكى ابن الراوندى عن هشام أنه قال : ان بين معبوده وبين الأجسام تشابها ما بوجه من الوجوه ولولا ذلك لما دلت عليه . وحكى الكعبى عنه أنه قال هو جسم ذو أبعاض له قدر من الاقدار ولكن لا يشبه شيئا من المخلوقات ولا يشبهه شىء . ونقل عنه أنه قال هو سبعة أشبار بشبر نفسه وأنه فى مكان مخصوص وجهة مخصوصة وأنه يتحرك وحركته فعله وليست من مكان الى مكان . وقال هو متناه بالذات غير متناه بالقدرة . وحكى عنه أبو عيسى الوراق أنه قال ان الله تعالى مماس لعرشه لا يفضل

منه شيء من العرش ولا يفضل على العرش شيء منه

وقال هشام بن سالم إنه تعالى على صورة انسان أعلاه مجوف وأسفله مصمت وهو نور ساطع يتلألأ وله حواس خمس ويد ورجل وأنف وأذن وعين وفم وله وفرة سوداء وهو نور أسود لكنه ليس بلحم ولا دم . وقد نقل عنه أنه أجاز المعصية على الأنبياء مع قوله بعصمة الائمة

وقال « ومنهم اليونسية أصحاب يونس بن عبد الرحمن القمي ، زعم أن الملائكة تحمل العرش والعرش يحمل الرب . وهو من مشبهة الشيعة وقد صنف لهم كتبا في ذلك [1] »

وقال الامام ابن حزم في كتاب الملل والنحل تحت عنوان « ذكر شنع الشيعة » :

ومن قول الامامية كلها قديما وحديثا أن القرآن مبدل زيد فيه ماليس منه ونقص منه كثير وبدل منه كثير . حاشا على بن الحسن بن موسى وكان إماميا يتظاهر بالاعتزال مع ذلك . فانه كان ينكر هذا القول ويكفر من قاله . وكذلك صاحباه أبو يعلى وأبو القاسم الرازى . قال ابن حزم : والقول بأن بين اللوحين تبديلا كفر صحيح وتكذيب لرسول الله . وقالت طائفة من الكيسانية بتناسخ الأرواح وبهذا يقول السيد الحميرى الشاعر . قال ويبلغ الأمر بمن يذهب الى هذا الى أن يأخذ أحدهم البغل أو الحمار فيعذبه ويضربه ويعطشه ويجيعه على أن روح أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فيه وكذلك يفعلون بالمعز على أن روح أم المؤمنين رضى الله عنها فيها . وجمهور متكلميهم كهشام بن الحكم الكوفى وتلميذه أبى على الصكاك وغيرهما يقول ان علم الله محدث وانه لم يكن يعلم شيئا حتى أحدث لنفسه

---

(١) هذا بعض ما كتبه الشهرستانى عن فرق الشيعة مع أنه قد اشترط على نفسه فى مقدمته أنه لاينقل عن طائفة الا شيئا وجده فى كتبها

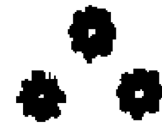
علما . وقد قال هشام هـذا فى حين مناظرته لأبى الهذيل العلاف . وكان داود الجوازى من كبار متكلميهم يزعم أن ربه لحم ودم على صورة الانسان ، ولا يختلفون فى أن الشمس ردت على علىّ بن أبى طالب مرتين ، وطائفـة منهم تقول ان الله يريد الشىء ويعزم عليه ثم يبـدو له فلا يفعله ، ومنهم من يحرم الكرنب لأنه انما نبت على دم الحسين ولم يكن قبـل ذلك ، وكان يزعم كثير منهم أن علياً لم يكن له سمى قبله . ومنهم طائفة تقول بفناء الجنة والنار » . ثم قال بعد كلام « فهذه مذاهب الامامية وهى المتوسطة فى الغلو من فرق الشيعة ، وأما الغالية من الشيعة فهم قسمان قسم أوجب النبوة بعد النبى لغيره والقسم الثانى أوجبوا الالهيـة لغير الله فلحقوا بالنصارى واليهود وكفروا أشنع الكفر ، فالطائفة التى أوجبت النبوة بعـد النبى فرق فمنهم الغرابية وقولهم ان محمداً ﷺ كان أشبه بعلى من الغراب بالغراب وأن الله عز وجل بعث جبريل عليه السلام بالوحى الى على فغلط جبريل بمحمد ولا لوم على جبريل فى ذلك لأنه غلط ، وقالت طائفة منهم بل تعمد ذلك جبريل وكفروه ولعنوه » .

« وفرقة قالت بنبوة على وفرقة قالت بأن على بن أبى طالب والحسن والحسين وعلى بن الحسين ومحمد بن على وجعفر بن محمـد وموسى بن جعفر وعلى بن موسى ومحمد بن على والحسن بن محمـد والمنتظر بن الحسن أنبياء كلهم . وفرقة قالت بنبوة محمد بن اسماعيل بن جعفر . وفرقة قالت بنبوة على وبنيه الثلاثة . وفرقة قالت بنبوة المغيرة بن سعيد وهو الذى أحرقه خالد بن عبـد الله القسرى ، وكان يقول ان معبوده على صورة رجل على رأسه تاج وأن أعضاءه على عدد حروف الهجاء »

« وذكر هشام بن الحكم الرافضى فى كتابه المعروف بالميزان وهو أعلم الناس بهم لأنه جارهم بالكوفة وجارهم فى المذهب : « أن الكسفية خاصة يقتلون من كان منهم ومن خالفهم ويقولون نعجـل المؤمن الى الجنة والكافر الى النار .

وكانوا بعد موت أبي منصور يؤدون الخمس مما يأخذون ممن خنقوه الى الحسن ابن أبي منصور . وقالت فرقة بنبوة بزيغ الحائك . وفرقة قالت بنبوة معمر بائع الحنطة بالكوفة . وقالت فرقة بنبوة عمير التبان بالكوفة ، وكان يقول لأصحابه : لو شئت أن أعيد هذا التبن تبراً لفعلت »

ثم نقل ابن حزم أشياء كثيرة من شنع الشيعة أعرضنا عن نقلها ، وقال فى آخره : « اعلموا أن كل من كفر هذه الكفرات الفاحشة ممن ينتمى الى الاسلام فانما عنصرهم الشيعة والصوفية ، فان من الصوفية من يقول ان من عرف الله تعالى سقطت عنه الشرائع وزاد بعضهم واتصل بالله . وبلغنا أن « بنيسابور » اليوم فى عصرنا هذا رجلا يكنى أبا سعيد من الصوفية ، مرة يلبس الصوف ومرة يلبس الحرير المحرم على الرجال ومرة يصلى فى اليوم ألف ركعة ومرة لا يصلى لا فريضة ولا نافلة ونعوذ بالله من الضلال »



مع اعتقاد الشيعة هـذه العقائد الشنعاء الموبقة تقتضيها التى لا أحصيها أن تتناول أهل نجد وأهل الحجاز وغيرهم من أهل السنة بالذم والتجريح وتلصق بهم كبريات التهم وعظائمها وترميهم با كفار المسلمين ، ومفارقة جماعة المؤمنين وتصنف الكتب الأثيمة فى ثلبهم وافساقهم واحراج صدورهم بما تختلقه عليهم وعلى عقائدهم وأخلاقهم وعلى أئمتهم وزعمائهم من البهائت المنكرة والمختلقات المفضوحة

ثم تحاول أن تفهم المسلمين أن أهل نجد وحدهم هم أهل الزيغ والكفر والحماقة .

ومع هذه العقائد المشبهة المجسمة التى تصف الحق بصفات الحدوث والضعف والنقص والجهالة والرعونة تجرؤ أن تجاهر بأن السلف من أهل نجد وغيرهم هم الكفار المجسمون الضالون ، لأنهم آمنوا بعلو الله على خلقه كما ذكر القرآن علواً يليق به ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

إن هذه لهى الصفاقة التى لا تقف عند حد ، والظلم الذى لا يجرؤ عليه سوى هذه الطائفة الباغية . .

وبهذا الغلو الذى رأيت من طائفة الشيعة فى أئمتهم وبهذا التأليه الذى ممعت منهم لعلى وولده ، عبدوا القبور وأصحاب القبور وأشادوا المشاهد وأتوها من كل مكان سحيق وفج عميق ، وقدموا لها النذور والهدايا والقرابين ، وأراقوا فوقها الدماء والدموع ، ورفعوا لها خالص الخضوع والخشوع . وأخلصوا لها ذلك وخصوها به دون الله رب الموحدين . وعلى هذا الأساس الواهى كرهوا من يريد الله وحده ومن يدعوه وحده . ومن جعل محياه ومماته وصلاته ونسكه وخضوعه وخشوعه له وحده لا شريك له . وعلى هذا الأساس الواهى كانت كراهية القوم لمن دعا الى عبادة الله وحده ، والى دعائه ورجائه وخوفه وحبه ، وتعظيمه والرجوع اليه وحده . ومن هذا الطريق ــ لا من غيره ــ مقتوا أهل نجد وخصوهم بشديد العداوة والبغضاء والكراهية والأذى . فان طائفة الشيعة مقت القوم بمقدار ما عندهم من

الدين والايمان والاخلاص لله . وتحب القوم بمقدار ما عندهم من الشرك والالحاد والكفر بالله . ولهذا كانت كراهتهم لأبى بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة وطلحة والزبير لا تعادلها كراهة ، فانهم لا يكرهون أبطال الكفر والضلالة من العرب وقريش وغيرهم كراهتهم لخيار الصحابة والأنصار والمهاجرين الأولين ، بل قد يحبون الكافرين بالله وبرسوله لأنهم يبغضون هؤلاء الصحابة ، أو لأن هؤلاء الصحابة حاربوهم ووقعوا معهم فى خصام ، مثل ذلك أن طوائف من أئمة هؤلاء الشيعة الامامية يخلصون الود والولاية لبنى حنيفة الكفار الذين آمنوا بمسيلمة الكذاب المتنبىء ويعتبرونهم مسلمين موحدين ، وذلك ليدعوا أن أبا بكر والصحابة الذين كانوا معه ما كانوا محقين ولا راشدين يوم أن حاربوا بنى حنيفة وقاتلوهم وعدوهم مارقين من الاسلام ، ومثله أيضا أن قوما منهم يترضون عن أبى لؤلؤة الغلام المجوسى الذى قتل الخليفة عمر رضى الله عنه وقد يعدونه من أهل الجنة ولا فضل له عندهم سوى قتله الطاغوت عمر فى زعم القوم أبعدهم الله

والسبب فى هذا كله هو ما ذكرناه من كراهيتهم أهل الايمان والاخلاص والتوحيد ، وجنوحهم الى أهل النفاق والالحاد والاشراك

ويوضح هذا أن هؤلاء الشيعة الامامية لا يرون فى بنى حنيفة الذين آمنوا بمسيلمة المتنبىء الكذاب وكفروا بالله ورسوله بأساً ولا يجدون لهم ذنباً يؤاخذونهم عليه كخروجهم فى بلاد نجد الممقوتة عندهم التى قال فيها الرسول : من هاهنا تخرج الفتنة والكفر والفسوق كما يدعون ، ولكنهم يذمون النجديين ولا يرضونهم اليوم ، ويعدون من الدلائل على ضلالتهم وكفرهم خروجهم من بلاد نجد التى قال فيها الرسول ما قال كما زعموا ، وقد يعدون من ذنوبهم خروجهم فى بلاد بنى حنيفة ومسيلمة ، وينسون فى سبيل ذلك أن بنى حنيفة من اخوانهم أعداء أبى بكر وعمر والمهاجرين والأنصار كما ينسون أن أشياخهم القدماء كانوا من أنصار بنى حنيفة ،

كما ذكر ذلك ابن المطهر فى كتابه الذى رد عليه شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتابه منهاج السنة ، وذلك قبل أن تصير نجد بلاد التوحيد والايمان واقامة شعائر الاسلام ، والسبب فى ذلك كله هو ما ذكرناه من خلق الشيعة ودينهم

وعلى هذا النحو ألف الشيعة كتاب « كشف الارتياب فى أتباع محمد بن عبد الوهاب » فجاء آية فى أفانين النقص واختلاق الكذب والارتجاج الفكرى وسوء المصير

يشتمل هذا الكتاب على موضوعين أحدهما تاريخ الوهابيين ومبدأ دعوتهم كما يقول صاحب هذا الكتاب ، والموضوع الثانى فى عقيدتهم ، وبيان مذهبهم والرد عليهم تفصيلا وجملة كما ذكروا

اما الموضوع الأول :

أى الموضوع التاريخى فاننا لن نعرض له فى هذا الكتاب . فلسنا نعبأ أو يعبأ الله أو يعبأ أحد من عباده المؤمنين أن تغلط الشيعة فى تاريخ إمام من أئمتنا أو زعيم من زعمائنا أو فى نعت موقعة من مواقع حروبنا دفاعا عن الدين والوطن والخلق . غير أنا نقول هنا إن كل ما يذكره هذا الرافضى فى هذا الموضوع من قتل الأطفال والنساء والرجال غير المحاربين ، وأخذ الأموال بكل ما لا تجيزه الحروب المشروعة دفاعاً عن العدل والدين ، فكذب واختلاق ، ليس له من سند غير التعصب ونضوب الحياء والدين . وكل ما يذكره من القدح فى سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كقوله إنه كان مولعاً بتتبع أخبار مدعى النبوة وأخبار الضلال وكقوله إن أهله وعشيرته كانوا يتنبئون له الشر والمروق والالحاد ، أقول إن كل ما يذكره فى هذا الموضوع من أمثال هذه القادح كذب مبين . وكذلك ما يذكره على طريق التهويل والتشنيع والارجاف

اما الموضوع الثانى من الكتاب :

وهو ما يخص العقائد والمباحث العلمية التى طرقها هذا الكتاب فهو الموضوع الذى سوف نتناوله إن شاء ونميز فيه الحق من الباطل والصحيح من السقيم. ونسأل الله أن يعيننا على اجتناب الهوى والتعصب للباطل مع من نحب ومع من نكره. وطريقة صاحب هذا الكتاب فى هذا الموضوع على سبيل الاجمال أنه عمد الى جميع ما ابتدعه المنتسبون للاسلام سواء فى ذلك الخاصة والعامة من أكارين وحمالين وزبالين وصنعة وفعلة، وسواء في ذلك أيضاً المنافقون والمخادعون الذين دخلوا فى الاسلام لافساده وإفساد أهله وكتابه، ومن لا خلاق لهم من طلاب الدنيا والشهوات والأغراض على حساب اختراع الغريب من الأقوال والعقائد فى الدين والعلوم والفنون، وما أكثر هذه الأصناف، عمد إلى ما ابتدعه هؤلاء وما قد يبتدعونه فحكم عليه كله بأنه حق ودين وذوق وهدى. وحكم بأن من رد منه أو أنكره أو شك فيه فهو جامد الفكر ضيق العطن قليل الحيلة عدو لأولياء الله والمسلمين. ثم تحيل لاستخراج الدلائل من الكتاب والسنة والعقل والاجماع - وما أبعد هذا الرجل عن هذه الأمور - على أن كل ما يعمله من يقول إنه مسلم حق لا باطل فيه وخير لا شر معه ولو كان ظاهره الكفر والاشراك والنفاق. ولو كان ظاهره الحق البارد والصفاقة المكشوفة بل وإن كان ظاهره ما كان وما قد يكون فان كل ما يقع من ذلك إن لم يجد له دليلا من الكتاب والسنة حسب فهمه فهو محمول على المجاز العقلى والمجاز بالاسناد والمجاز بالكذب وفساد الذوق. وعلى ذلك أجاز المسلم أن يقول يا رسول الله اغفر ذنبى واكشف كربى. ويا سيدة زينب أغيثينى واشفينى واهدى قلبى ونحو ذلك وما هو أعظم منه مما سوف يأتيك

ومن رأى هذا المؤلف أنه ما دام هنالك مجاز فى كلام العرب فلا مانع من أن

يقول من ينتسب إلى الاسلام أو من يقول إنه مسلم ما شاء من الألفاظ والأقوال ولا مانع من أن يستغيث بالأموات ويسألهم غفران الذنوب وكشف الكروب وهداية القلوب ويهبهم ما يشاء من كلمات التعظيم والاكبار . فان كلام العرب لن يضيق أن يجد لذلك مخرجا من مخارج التأويل أو ضربا من ضروب المجاز قرب ذلك المخرج أو بعد . وإذا ما جاز أن يقول المؤمن أنبت الربيع البقل جاز أن يقول شفانى رسول الله أو أغنانى أو غفر لى ذنوبى أو هدى قلبى ، فان هذا مجاز عقلى قرينته إيمان القائل ومثله الأول والقرينة هى هى ولا فارق بين الأمرين

ولو أننا أبينا جواز شفانى الرسول لأبينا جواز أنبت الربيع البقل أو أنبت الماء العشب ، لأن الأمرين سواء ، واذا جاز هذا جاز ذاك واذا امتنع امتنع ، والتفريق بينهما جهل وتحكم ، ولا ريب فى جواز أنبت الربيع البقل فليكن مثله شفانى رسول الله أو أغنانى

ومصاصة هذا الكلام أنه يجوز لمن يدعى الايمان أن يقول ما يشاء وأن يفعل ما يشاء فان كل كلام فى الدنيا يستطاع أن يحمل على المجاز وأن يلتمس له ضرب من ضروب التأويل والتخريج فيوجد وليس هنالك كلام يعيا صاحبه أو سامعه عن أن يجد له نوعا من ذلك ، ولو كان ظاهراً فى ارادة الحقيقة كل الظهور ، فان قول القائل : عيسى ابن الله أو هو الله نفسه يستطاع أن يحمل على المجاز ، مثل أن يراد أنه ابن أمة الله أو أن الله يعطف عليه عطوف الوالد على ولده ، أو نحو ذلك ، وهذا له نظائر فى خطاب العرب لايستطاع جحدها ، وليست أبعد عن قبول المجاز من قول القائل شفانى الولى أو الرسول ، والقرينة فى المثالين واحدة ، بل ان قول القائل الله ليس موجوداً يستطاع على هذا الجنون المسمى بالمجاز أن يحمل على وجه صحيح كأن يراد أنه ليس موجوداً لذاته فى كل مكان أو فى الأرض مثلا ، والقرينة على هذا التأويل هى حال القائل لأنه من المدعين الايمان ، وهذا غاية الكفر والجنون

وكذلك لو سمعنا مدعياً للاسلام يقول ان محمد بن عبد الله ليس رسولا ولا نبيا لما جاز لنا أن نبـادر الى الحكم بكفره ، بل وجب أن نقول انه يريد ليس رسولا للأمم التى كانت قبله أو ليس رسولا الى الملائكة وأشباه ذلك من التأويل البارد السقيم الذى من اتبعه وحافظ عليه عدّه الناس من الحمق ، ولو صح هذا القانون لصح لمن شاء أن يقول ما شاء فيمن شاء ولما استطاع قانون أن يؤاخذ أحدا على كلام ما إذ يقدر كل أحد على أن يؤول كل كلامه وأن يمره على أنواع المجـازات ويمر أنواع المجازات على كل كلامه بحيث لا يستطيع قانون ولا قضاء أن يؤاخذه بشىء إذا ما قال انى عنيت بكلامى كذا وكذا وذكر احتمالا بعيداً أو قريبا

وهذا فساد فى الدين والدنيا ، وسيجىء نقضه . وانما نقول هنا ان دفاع صاحب هذا الـكتاب عن جميع ما يقوله ويعمله من انتسب للاسلام وادعاه أن ذلك كله من الدين باطل ضرورة وعادة وشرعا وعقلا فانه لا العقل ولا الشرع ولا العادة تتقبل أن يكون هناك كتاب من الكتب سماويا كان أو أرضياً يأتى بأحكام وقوانين وشرع فى جميع شئون الدين والدنيا وتؤمن بذلك الكتاب أمم كثيرة مختلفة الأغراض والبيئات والأفهام والاستعداد فتظل تلك الامم الكثيرة موافقة أعمالها كلها وأعمال أفرادها اعتقادية وقولية وعملية لذلك الكتاب الذى آمنت به موافقة تامة بحيث لاتخالف عقيدة فرد من أفراد تلك الامم لما جاء فى ذلك الكتاب من العقائد وبحيث لا تضل جماعة من جماعات تلك الامم فى فهم من أفهامها لذلك الكتاب وبحيث يجىء كل عمل وكل عقيدة وكل رأى يراه كل فرد من أفراد تلك الأمم مطابقاً للـكتاب الذى آمنت به لا خلاف ولا خلل . أحسب أن مثل هذا لم يقع فيما مضى ولا يمكن أن يقع فيما سيأتى وأحسب أن ادراك هذا جيداً كاف للتقض على صاحب هذا الكتاب الذى أراد فى كتابه هذا أن يجعل كل ما صدر أو يصدر ممن ادعى الاسلام أو ممن كان مسلم الأب والمولد من دين الله الذى ضمنه رسالة جبريل

الى محمد بن عبد الله ، وهذه مخرقة لم يأت بها أحد قبل صاحب هذا الكتاب ، وهو في الواقع لا يؤمن بها . كيف وطائفة الشيعة تكفر الصحابة ، فكيف يعدون مسلمي أهل هذا العصر مسلمين

هذا ونحن نعلم أن عامة الناس ودهماءهم لا يصدرون في أعمالهم وعقائدهم عن كتاب أو سنة أو برهان أو قول إمام حجة ، ولكنهم يصدرون في الأكثر الغالب عن العادة والهوى أو العاطفة والتعصب والغرض . وهذه الأمور أو الأدواء لا يمكن أن تساير الكتاب والبرهان والحجة أبداً بل هي في الغالب الخصم المبين للكتاب والسنة والبرهان . وما نحسب عالما يستطيع أن يدعى أن جمهور الناس ولا سيما اليوم يعملون ما يعملون ويعتقدون ما يعتقدون ويقولون ما يقولون لأنهم علموا له دليلا من الشرع أو العقل أو الحس أو يدعى أنهم لا يصدرون إلا عن ذلك الدليل . وإذا كان ذلك كذلك كان من الحق المبين أن يقوم من يدعى العلم والايمان والعقل يزعم أن جميع ما تمليه عواطف الجمهور وعاداته وأهواؤه وغباواته من دين الله ومما يصدقه كتاب الله كما فعل هذا الرافضي المتعصب ...

هذا من جهة النظر والمعقول . أما من جهة الشرع والدين فقد تواتر عن النبي الكريم ما معناه أن الأمة الاسلامية لا بد أن تصير إلى مثل ما صارت اليه الأمم السالفة من المخالفات والوقوع في البدع المنكرة والشرك الخفي والجلي والغلو في المخلوق غلواً يفارق الايمان والتوحيد . ولقد تواتر عنه عليه السلام ما معناه : لتتبعن سنن من كان قبلكم سواء سواء ومثلا مثلا . وتواتر عن علماء الأمة سلفا وخلفا أن هذه الأمة لا محالة صائرة مصاير الأمم قبلها وواقع منها الشرك والضلال والجهل بالدين والايمان . وهذا من أوليات الدين . ومن عجب أن هذا الشيعي يدافع عن عامة من ادعى الاسلام ويؤول لهم كل ما يأتونه من المنكرات والخرافات ويحملها محملا حسنا متكلفا أو غير متكلف وإن كان ظاهرها الكفر والشرك ،

والشيعة يدعون أن صحابة رسول الله ﷺ كفار منافقون أو مرتدون بعد وفاة رسول الله ﷺ ويحملون كل ما يعملونه من البر والتقوى على النفاق والخداع والغش . وقد يزعمون أنهم قد ارتدوا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعقابهم ويحتجون بالحديث المشهور : « ليذادن أقوام عن حوضى ، فأقول أصحابى أصحابى فيقال انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك ، انهم ما زالوا على أعقابهم مرتدين فأقول سحقاً سحقاً « أى بعداً بعداً » ولكن الحق أن الشيعة لا يرون أحداً من المسلمين لا من الصحابة ولا ممن بعدهم مسلماً ما لم يطابقهم على عقائدهم الغالية الهوجاء من الايمان بالرجعة و بالأئمة المعصومين وتكفير من لم يغل فى علىّ وولده غلو تأليه وعبادة ، وما يدعيه صاحب هذا الكتاب من الدفاع عن عقائد المسلمين ومن ادعائه الاعتراف بايمانهم هو اختلاق اضطره اليه طمعه فى أن يجد لأهل نجد عيباً يشنع عليهم به ، ومثله فى هذا مثل اليهود : كانوا يشنعون قبل بعثة الرسول على العرب ويعيبون عقائدهم ويدعونهم الوثنيين المشركين . فلما أن بعث الله رسوله ﷺ ودعا الى الاسلام وتوحيد الله ، الأمر الذى يفخر به اليهود ، رجعت اليهود الى ما كانت تعيب من عقائد العرب فأثنت عليهم وعلى دينهم وما هم فيه . وما يريدون من ذلك غير عناد الاسلام والوقوف فى سبيله وتقدمه . وقد ذكر القرآن الكريم ذلك بقوله « ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا »

وهذا الكتاب أى كشف الارتياب موضوع فى ثلاث مقدمات وثلاثة أبواب وخاتمة . « المقدمة الأولى فى تاريخ الوهابية » والثانية فى أمور يتوقف عليها المقصود من رد شبهات الوهابية ، والمقدمة الثالثة فى شبه الوهابيين بالخوارج

أما الأبواب : فالأول فى ذكر جميع معتقدات الوهابية ومحور مذهبهم ، والثانى فى معتقدات الوهابية التى كفّروا بها المسلمين وحججهم وردها على وجه العموم ، والباب الثالث فى تفصيل الأمور التى كفّر بها الوهابية المسلمين ورد كل واحد منها بخصوصه . أما الخاتمة ففى متفرقات من مقالات الوهابيين »

هذا ما ذكره صاحب هذا الكتاب فى كتابه وهذه هى عناصر ما كتب عنه وهذا ما ننقض عليه فيه باطله

أما المقدمة الخاصة بالتاريخ فلا نعرض لها كما ذكرنا آنفا للسبب المذكور نفسه

والسبيل الذى نسلكه فى هذا النقض أننا لن نلتزم ذكر عبارات الكتاب بنصها دائما لأننا لو فعلنا ذلك لطال بنا القول . وانما نعمد الى غرضه والى حججه وشبهه و نستقصى ذكرها بعبارتنا غالباً ، وقد نبقى على عبارات الرافضى نفسها أحيانا ونحن أيضا لن نلتزم ابطال كل ما فى كلامه من الباطل كالتهافت والأخطاء التاريخية أو اللغوية وكسوء الادب الذى يتناول به علماء الاسلام والسنة وكل ما لا يتصل بالموضوع الذى نحن بصدده فان القيام بذلك كله يحتاج الى مجلدات ضخام والى زمن قد يكون طويلا ، وأخطاء هذا الرجل أقل عندنا من أن نضيع لها وقتاً طويلا ولكن النقض عليه فى الصميم يغنى عن ذلك كله واذا ما هدمنا له البناء الذي أسس كتابه عليه أغنانا عن أن ندل على كل ما فى كتابه من خطأ وضلال مبين

مقدمة الكتاب الثانية

هذه المقدمة هي أول شروع الكتاب فى الموضوع وقد ذكر فيها أموراً :

الاول :

ذكر أن الأحكام الشرعية منها ضرورى ومنها نظرى . أى منها مالايحتاج إلى الاجتهاد لوضوحه ، ومنها ما يحتاج إلى ذلك لخفائه . وذكر أن منكر الضروري كافر . وأن منكر النظرى الاجتهادى لايكفر ولا يفسق بل هو معذور مأجور لا تجوز معارضته ولا ممانعته . وذكر من مُثل القسم الاول وجوب الصلاة والزكاة وتحريم الكذب والزنى . وذكر من مثُل القسم الثاني حكم البناء علي القبور وحكم شرب الدخان والتبرك بقبر الرسول وتقبيله وشد الرحال إليه والاختلاف فى خلق أفعال العباد ورؤية الله والكلام النفسى وهل صفات الله عين ذاته وهل الامامة بالنص أو باختيار الأمة . هذا ماذكره فى هذا الأمر . ونحن نقول إن فى هذا الكلام مآخذ :

(أولا)

لاريب أن الأحكام الشرعية منها ضرورى ومنها نظرى ولكن الشأن كله فى معرفة الضرورى من النظري وتمييز أحدهما من الثانى . . ولا مماراة أن ذلك قد يخفى . وان الناس قد يختلفون فيه . فقد يرى عالم أن أمرا معينا ضرورى ثم يراه عالم آخر نظريا اجتهاديا . وقد يكون أهل جهة من الجهات يرون أشياء نظرية يراها غيرهم من أهل الجهات الأخرى ضرورية فيختلف الناس فى الحكم علي الأمر الواحد نظرا الي هذا الاختلاف . ولا مماراة أن المسلمين إذا

ما أخرجنا من بينهم الشيعة يعدون إيمان أبي بكر وعمر وحفصة وعائشة وكبار الأنصار والمهاجرين أمراً ضرورياً لايخالج أحداً منهم الشك فيه ، ولكن الشيعة ينكرون هذا الأمر الضرورى وينكرون إيمان أبي بكر وعمر وفضلاء الصحابة ويصرون على اكفارهم والقدح فيهم وعلى أنهم مرتدون منافقون . فالشيعة على حكم هذه القاعدة التى ذكرها هذا الشيعى ورضيها كفار مارقون ، لانهم نازعوا فى أمر ضرورى من الدين

ولا مماراة أيضا فى أن المسلمين ماخلا الرافضة يعلمون علماً ضرورياً أن ادعاء الشيعة عصمة أئمتهم وادعاءهم تلقيهم العلوم عنهم ووجود الامام المنتظر فى السرداب ادعاء كاذب بالضرورة الدينية . فالشيعة على هذا كفار مارقون لأنهم خالفوا أمراً ضرورياً . ثم هم يزعمون أن هنالك قسما من القرآن الكريم نزل فى حق على وولده وفيه الوصاة بالخلافة له ولمن يدعونهم أئمتهم قد حذفه الصحابة وكتموه ليدعوا الأمر لأنفسهم وينتهبوا الخلافة من على وولده كما فعل الخلفاء الثلاثة . ويزعمون أن النسخة الكاملة من القرآن قد كتبها على رضى الله عنه وهى موجودة إلى اليوم فى الارض سوف يبرزها الامام المنتظر عند مايخرج ويزعمون أيضاً أن محمداً المهدى ابن الحسن العسكرى قد دخل فى سرداب فى « سرَّ من رأي » منذ أكثر من ألف عام وأنه خارج لامحالة وآت بالنسخة الكاملة من القرآن . والمسلمون جميعاً يرون أن هذه الدعاوى الرافضية كاذبة بالضرورة . ولا يعدون بطلان شيء منها نظريا البتة . . فالشيعة مخالفون إذن فى أمور ضرورية . فهم خارجون كما يقول هذا الرافضى من الاسلام . وليس من ريب أننا نحن نعلم بالبداهة الحاكمة أنه لم يكن رسول الله ولا أحد من أصحابه ولا أحد من الأئمة الأربعة ولاغيرهم من علماء الأثر والحديث والفقه فى الدين يصنعون ماتصنعه الشيعة ونظراؤهم من العكوف

على الأجداث والانقطاع اليها والذبح والنذر لها والاستغاثة بأصحابها والتمسح بها وبأبوابها ونظير ذلك من منكر القول والفعل . ولا نشك فى أن ذلك كله من البدع المحمولة على الاسلام حملا لاشبهة فيه . ولا نرتاب أن من يدعو إلى ذلك أو يدعى جوازه إنما يدعو الى أمر نعلم بطلانه ضرورة . وكذلك نعلم بداهة أن تشييد المشاهد على النحو الموجود اليوم فى بلاد الشيعة « كالنجف وكربلاء » ومن يحاكيهم أمر مبتدع مخالف لروح الدين ونصوصه وإجماع العلماء ، مخالف لحكم العقل والمنطق ، وكذا نعلم أن الشيعة مخالفون فى أمور ضرورية أخرى

وهذا الرجل ذكر ما ذكر هنا لأجل القدح فى النجديين والقدح فى دينهم . ذلك ليقول ان البنـاء على القبور والطواف بها ودعاء المقبورين على النحو الذى يدعو اليه ، ليس من ضرورات الدين ولايعلم بطلانه إذا افترض بطلانه بالضرورة، وإذن فالذين ينهون عنه ويمانعون فيه غالطون آثمون

ولكن ما ذكر إذا صح هو رد عليه كما رأيت وليس فيه شيء يتوقف عليه النقض على الوهابيين كما زعم بل هو نقض عليه وعلى شيعته

(ثانيا)

قوله : أن منكر غير الضروري لايمـانع ولا يعارض ، لايصح على وجه الاطلاق فان علماء الاسـلام فى كل مكان وزمان ما زالوا يعارض بعضهم بعضا ويمانع بعضهم بعضاً فى مسائل غير ضرورية ، بل ويرد بعضهم على بعض ويضعون فى ذلك الكتب والمجـلدات وتنشب بينهم المعارك القولية والمساجلات القلمية ، وقد يكون فى ذلك نوع من الشدة غير يسير ، وقد يكون فيه شيء من الجرح والايلام وأكثر مثارات الجدل والنزاع عند علماء الاسلام قد كان فى ما لايعده هذا الرجل

ضروريًا وأهل السنة وأهل الحديث ينكرون على الشيعة انكارًا شديدًا لاهوادة فيه انكارهم صفات الله السمعية وينكرون عليهم انكارهم رؤية الله وزعمهم أن العباد خالقون لأفعالهم وإنكارهم أن يكون الله خالقهم وينكرون عليهم استحلال متعة النساء وإنكارهم المسح على الخفين وإنكارهم غسل الرجلين وجمعهم بين الصلاتين . وينكرون عليهم جميع ما اختصوا به من الأمور التى يزعم هذا الرافضى أنها ليست ضرورية وليس منكرها كافرًا

بل المسلمون كلهم ينكرون على الشيعة ومن طابقها هذه الأمور ويشتدون فى فى الانكار ويعدّونهم لأجلها ضلالا يستحقون اللوم والتثريب . وقد صنفوا فى الرد على الشيعة كتبًا وما زالوا كذلك . وهل هذا الرجل فى مقالته هذه صادق أم هل يعمل بها ؟ كلا . فان طائفة الشيعة ينكرون على أهل السنة تحريمهم هذه الأمور الشيعية ويعدون أهل السنة لأجل ذلك ضلالا يستحلون لأجله لعنهم ومعاداتهم . وفى كتب القوم الوعيد الشديد واللعن العنيف لمن ينكر متعة النساء أو يستحل غسل الرجلين أو يجيز المسح على الخفين . وهذه الأمور كلها نظرية فى زعم هذا الرافضى .

وكيف يصدق في مقاله ان منكر النظرى لايعارض ولا يلام ولا يفسق ، ولدى الشيعة أن من لم يؤمن بالامام المنتظر ومن لم يعترف بالعصمة له ويعترف بوجوده يموت ميتة جاهلية كما يقولون فى كتبهم المطبوعة ، إلا أن يدعى أن ذلك كله ضرورى وحينئذ يصير الى اكفار المسلمين ، لأنهم ينكرون هذه الأمور ، وحينئذ يقع فى الأمر الذى اتهم به أهل السنة من أهل نجد وغوّر وأنجد فى ذمهم لأجله .

ثم لندع هذا كله جانبا ولنبطل قوله هذا بكتابه الذى بين أيدينا . فانه فى هذا الكتاب قد رد على النجديين فى أمور لا يستطيع هو مطلقًا أن يزعم أنها ضرورية ولا يستطيع أن يمارى فى كونها نظرية . ولا يمكن مهما أسرف فى

ضروب الابتداع والغلو أن يدّعي أن جواز الاستغاثة بالأموات والعكوف على القبور وشد الرحال اليها أمر ضروري يكون المخالف فيه كافراً . فلا ريب أنه يعد هذه الأمور التي ادعى الرد على النجديين بها أموراً نظرية فاذا ما كانت كذلك وكان زعمه أن منكر النظرى لا يعارض ولا يمانع ولا يفسق صحيحاً ، فلماذا عارض أهل السنة من أهل نجد فى هذه الأمور النظرية ، ولماذا غدا وراح فى إيذائهم ؟ ولماذا حرص على تأليب المسلمين عليهم وحرص على أن يبعثها شعواء وهو لا يراهم غلطوا إلا فى أشياء نظرية اجتهادية وهو يسلم أن المجتهد فى النظرى يثاب وإن أخطأ ؟؟ لا ريب أن الرجل مخطىء فى تأليف هـذا الكتاب أو فى مقاله هذا أو فى الأمرين معاً . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور

على أننا نسائل هذا الشيعى ونأتيه من طريق لا يمارى فيها وذلك أن نقول إما أن تجوّز معارضة المخالف فى النظرى وممانعته أو لا تجوز ذلك فان قال بالجواز بطل قوله هذا . وإن قال بالامتناع صار الى أمر كبير وهو أن كل متنازعين إما أن يكون نزاعهما فى أمر نظرى وإما فى أمر ضرورى . فان كان فى الأول كان أحدهما عاصياً فاسقاً . وذلك لأن المعارضة والمنازعة لا تجوز فى النظريات كما يذكر هذا الرجل ، وإن كان النزاع فى أمر ضرورى كان أحدهما كافراً ولا محالة . لأنه خالف فى الضرورى والخلاف فيه كفر كما ذكر ، فالنزاع بين المسلمين لا يجوز البتة سواء أكان في ضرورى أم فى نظرى وهـذا باطل بالضرورة والاجماع . وهو لا يرضاه أحد وهذا ما يقضي به كلام هذا الرافضى

ولا ندرى علم الله لماذا لا تجوز المعارضة فى النظرى ؟! وهل يكشف الصوابَ إلا المعارضة ؟ وهل تسمو المدارك إلا بذلك وهل تزدهر العلوم على اختلافها إلا بالبحث والنزاع والممانعة ؟ وهل اذا ارتكب مسلم أو انسان ما ذنباً من الذنوب أو خطأ من الأخطاء أدعه على ذنبه وخطئه لأن ما فعله ليس من الأمور الضرورية

وأنا أعلم أنه غالط وأنه بعيد عن الصواب ؟ ان الناس كلهم لا يقرون هـذا القول لا فى أمور دينهم ولا فى أمور دنياهم

ويريد هذا الرافضى أن يصل بقوله هذا هو وشيعته الى الفساد الكبير ولا يتعرض لهم أهل الحق ، لأنه يزعم أن أغلب منكرات الشيعة ليست معلومة البطلان بالضرورة . فلهم أن يسبوا صحـابة رسول الله ﷺ ويكفروهم ويستحلوا متعة النساء وكل ما سمعت من عقـائدهم الموجاء . ولا يجوز للمسلمين نزاعهم وجدالهم لأنه نظرى والمنازعة فى النظرى لاتجوز بل كل معذور مأجور . فالشيعة معذورة مأجورة فى اكفارها الصحـابة وفى ثلبها المسلمين ، وهذا هو الفساد الكبير والقول الزور

(ثالثاً)

تذهب الشيعة تبعاً للمعتزلة الى انكار رؤية الله يوم القيـامة وإنكار صفاته وإنكار أن يكون خالقاً أفعال العباد لشبهات باطلة معلومة . وقد أجمع العلمـاء من أهل الحديث والسنة والأثر كالأئمة الأربعـة على الايمان بذلك كله ليس بينهم خلاف فى أن الله خالق كل شىء حتى العباد وأفعـالهم ولا فى رؤية الله يوم القيامة ولا الايمان بصفاته التى جاءت بها النصوص الثابتة ، والنصوص فى الكتاب والسنة على هذه الأمور لا تحصى

وهذا الرجل جاء بذكر هـذه الأمور عرضاً ليست من موضوع كتابه وإلا لكتبنا عليها كتابة مسهبـة . والشبهات التى أنكروا ذلك لأجلها شبهات واهيـة ردها عليهم أهل السنة حديثاً وقديماً

ومن عجب أن تنكر الشيعة ذلك خوف التشبيه وهم كما تقـدم يقولون بالحلول بالتشبيه الصريح وبتأليه البشر ووصف الله بصفات النقص . وأهل السنة يعدون

الشيعة و المعتزلة مبتدعين غير مهتدين فى جحدهم هذه الصفات

وقوله « ان الامامة بالنص أو باختيار الأمة » نقول عليه ان الشيعة ترى أن الامامة بالنص وأنه قد نص على خلافة على رضى الله عنه وخلافة أئمتهم نصاً جلياً واضحاً ولكن الصحابة لعداوة على وذريته وطمعهم فى الرئاسة والملك جحدوا ذلك النص وحرفوه ليولوا أبا بكر وعمر وعثمان . والشيعـة تكفّـر الصحابة أو تفسقهم لذلك ، بل قد يكفرون من ينكر ذلك النص ممن بعـد الصحابة . وصاحب هذا الكتاب لقلة إنصافه ومخادعته أهل السنة يدعى أن هذه المسألة من المسائل النظرية التى لا يضل بها أحد ولا يفسق بل ولا يعارض أو يمانع ، ومذهب الشيعة قائم على هذه المسألة والدعوة اليها ، ولا تشك الشيعة فى أن من أنكر النص على خلافة على وولده فهو ظالم فاسق ، فما ذكره هنا كله مخادعة و تضليل ..

وأما التبرك بقبر الرسول وتقبيله وشد الرحال اليه فسوف يجىء الكلام فيه وكذلك لعله يجىء على شرب الدخان

الامر الثانى

قال فيه ما معناه : « إن القرءان كلام الله وهو يقينى السند ولكن منه المجمل والمتشابه والمنسوخ والمطلق والمجاز والعام والخاص . ولوجود هذه الأمور فيه استطاعت كل فرقة حتى الضالة المبطلة أن تحتج لأقوالها الباطلة به ، حتى الوهابيون استدلوا على عقيدتهم بقوله « فلا تدعوا مع الله أحداً » وقوله : « قل لله الشفاعة جميعاً » . وغيرهم استدل به أيضاً ، كما سوف تجىء أدلتهم »

هذا خلاصة الأمر الثانى فى مقدمته الثانية

ونحن نقول :

(أولا)

ان الشيعة لا تقول هذه المقالة ولا تعتقد هذه العقيدة ، بل تقول ان القرءان قد زيد فيه وحرّف كما تقدم ذلك فى كلام ابن حزم وغيره وقد قال : « ومن قول الامامية قديماً وحديثاً ان القرآن مبدل مزيد فيه ما ليس منه ونقص كثير منه وبدل منه كثير . . . »

ولعلهم يعنون بالآيات المزيدة الآيات التى فيها الثناء على الصحابة كافة ، والتى فيها الثناء على أبى بكر أو عمر أو عائشة خاصة . . . لأنهم يقدحون فى الصحابة ويستثنون بضعة رجال . . . والآيات المثنية على الصحابة تناقض قولهم هذا كل المناقضة فهم فى حاجة الى تكذيبها . فقول هذا الرافضى كذب وخداع

(ثانيا)

هم وان صدّقوا بأن كل ما فى المصحف كلام الله لا يصدقون بأنه كل كلام الله بل يرون بأنه بعض كلام الله . وان هنالك آيات نزلت فى الثناء على علىّ وولده جحدها الصحابة النواصب المنافقون وحذفوها من المصحف عمداً وذلك قد سلف

وقد ألف بعض علماء الشيعة كتاباً سماه « اثبات تحريف كلام رب الأرباب » وهذا الكتاب قد طبع فى ايران . وفى كتاب « الوشيعة » : « القول بتحريف القرءان الكريم باسقاط كلمات وآيات قد نزلت وبتغيير ترتيب الكلمات والآيات أجمع عليه كتب الشيعة . وأخبار التحريف مثل أخبار الامامة متواترة عند الشيعة - من رد أخبار التحريف أو أوّلها يلزم عليه رد أخبار الامامة والولاية . وللأئمة مثل مباقر والصادق في تحريف الكتاب الكريم أيمان بالغة ، ولهم في تكذيب ماثبت فى القرآن الكريم والمصاحف على التواتر كلمات شديدة ، والأحرف السبعة والوجوه العربية قد أتت فى القرءان الكريم متواترة عن الأمة كافة فى القرون كافة . ويقول

فيها الصادق كذبوا على الله أعداء الله لكن القرءان نزل على حرف واحد من عند الله الواحد ، ويروى الكافى[1] عن الصادق أن القرآن الذى نزل بهجبريل على محمد سبعة آلاف آية والتى بأيدينا منها ستة آلاف ومائتان وثلاث وستون والبواقى مخزونة عند أهل البيت فيما جمعه على . ويروى الكافى أن القائم يخرج المصحف الذى كتبه على وأن المصحف غاب بغيبة الامام . : . »

فهذا الكلام من هذا الشيعى خداع فاضح

(ثالثا)

زعمه أن كل مبطل يمكنه الاحتجاج بالقرءان على صحة ما ذهب اليه زعم كاذب قبيح ، وهو من أشد المطاعن فى القرءان . فانه اذا كان ذلك كذلك لم يكن القرآن هدى وشفاء لما فى الصدور ولم يكن فى نزوله رحمة للعالمين بل ولم يكن فيه فائدة مطلقاً بل يكون نقمة وزيادة فى الفتن والضلال والهرج والمرج . وأية فائدة فى كتاب تكون فيه الدلائل على كل شىء حتى على الكفر والنفاق والضلالات جميعا ؟ ! وهل يقال فى مثل هذا الكتاب انه هدى وانه شفاء وانه نور وبيان وانه الصراط المستقيم وانه آية الله الكبرى وحجة الله على العالمين ؟ ولماذا يؤمر بالرد اليه عند التنازع اذا كان فيه كل شىء وقد قال الله تعالى « وان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » ولكن الشيعة لا تعنى بالقرءان ولا بما فيه وليست له قيمة فى صدور القوم

وفى كتاب (الوشيعة) : « لم أر بين علماء الشيعة ولا بين أولاد الشيعة لا فى العراق ولا فى إيران من يحفظ القرا ن ولا من يقيم القرآن بعض الاقامة بلسانه ولا من يعرف وجوه القرآن الأدائية »

---

(١) الكافى أحد كتب الشيعة الأربعة المعتمدة

وذلك لأنهم يرون أن هذا المصحف الموجود محرف فهم لايعتمدون عليه ولا يرون فيه الهدى المبين . واذا كان هذا الشيعي صادقاً في قوله إن القرآن حجة لكل مبطل وصاحب حق فهل يستطيع أن يأتي بآية واحدة تعد دليلا له ولاخوانه على قدحهم في صحابة رسول الله ﷺ وإكفارهم إيام وتخصيصهم بأشد ذلك ابا بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة ؟ وهل يستطيع أن يأتينا بحرف واحد يعارض قول الله في الصحابة « لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة » وقوله « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة » وقوله « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجّداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » . وغير ذلك من الآيات المثنية على الصحابة عموما ؟ أم هل يستطيع أن يجيء بحرف واحد من القرآن يدل على قول الشيعة بتناسخ الارواح وحلول الله في أشخاص أئمتهم وقولهم بالرجعة وعصمة الأئمة وتقديم على على أبي بكر وعمر وعثمان أو يدل على وجود على في السحاب وأن البرق تبسمه والرعد صوته كما تقول الشيعة الامامية ؟ أم هل يقدر على الاتيان بحرف واحد من القرآن يدل على جواز دعوة الأموات والذبح والنذر لهم والعكوف على الأجداث والتمسح بها والتقبيل لها الى غير ذلك مما تأتيه الشيعة عند قبور آل البيت وسائر المشاهد ! ؟

ليس من ريب أنه لا يستطيع أن يدعي القدرة على الاتيان بشيء من ذلك إلاّ أن يلجأ الى التأويل والتحريف ويصير الى المحالات

وأما ما ذكره من استدلال الوهابيين واستدلال غيرهم معاً بالقرآن وأن الطائفتين استطاعتا الاحتجاج على دعواهما به ، فنرجيء القول فيه الى مواضعه

الخاصة به الآتية . وسوف يرى هو وغيره أنه لم يكن صادقا ولا راشداً فى دعواه هذه

وأما ما زعمه هذا الرجل وغيره من أصحاب الاهواء من أن القرآن يدل على رؤية الله يوم القيامة بقوله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » . وعلى ضدها بقوله تعالى « لاتدركه الأبصار » . وعلى الجبر بقوله تعالى « وخلق كل شيء » وقوله « قل كل من عند الله » الى آيات فى ذلك كثيرة . وعلى ضد الجبر بقوله « وما الله يريد ظلماً للعباد » وقوله « يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » الى غير ذلك . وعلى التجسيم بقوله « بل يداه مبسوطتان » وقوله « تجرى بأعيننا » الى نظائر ذلك . وعلى ضده بقوله « ليس كمثله شيء » . الى آخر المثل التى يدلون بها فى هذا المقام . فليس كتابنا هذا موضوعا للجواب عن مثل ذلك فنتوسع فيه ولكن لما كان كتاب هذا الرجل قد وضع لايراد الشبهات على القرآن وعلى عقائد الاسلام اليقينية فلا مانع من أن ننبه الى غلط القائلين بذلك بذكر جواب وجيز عما ذكرناه هنا ليكون جواباً يحتذى عما لم نذكر . . فنقول :

أما مسألة الرؤية فالآيتان فيها لاتتعارضان البتة وكل واحدة منهما واردة فى جهة كما هو واضح من اللفظ نفسه . فان قوله «الى ربها ناظرة » صريحة فى رؤية الله يوم القيامة وقوله «لاتدركه الابصار » صريحة فى نفى إدراك الابصار إياه ، ومعلوم أن الادراك أخص من مطلق الرؤية ولا يدل نفى الأخص على نفى الأعم بالضرورة البينة . فقد يصدق أن تقول رأيت الشمس ولا يصدق أن تقول أدركت الشمس أو أدركت الشمس ببصري . وذلك لاختلاف الادراك والرؤية معنى . والذين ينفون رؤية الله يوم القيامة ينفونها بحجة العقل كما يدعون وكما يؤخذ من كلامهم ولا يحتجون بالآية . ولكنهم يزجون بها هنا زجاً ترشيحاً لدعواهم المنتزعة مما يدعونه العقل وعلى كل حال لا يصح لمدع أن يدعى أن الآيتين تتعارضان حتى

يذكر الحجة التى لا تدفع على أن الادراك والرؤية يتفقان معنى . وبغير ذلك لا يصح الادعاء . . هذا عن الرؤية

وأما الجبر وضده فنقول : ان قوله تعالى « وخلق كل شىء » وقوله « كل من عند الله » . لا ينافيان قوله « وما الله يريد ظلماً للعباد » وقوله « يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » فان معنى الآيتين الأوليين أن الله هو الخالق لكل شىء المسبب لكل شىء يصيب الأنسان من خير وشر . وليس فى هذا المعنى ما ينافى كون الله لا يظلم الناس ولا يريد بهم إلا اليسر . بل قد يكون خلقه لكل شىء من إرادة التيسير لا التعسير . ولكن قوماً قد يرون بعقولهم أنه اذا كان الله خالق كل شىء وخالق أفعال العباد كان من الظلم المبين عندهم ومن إرادة التعسير عليهم أن يؤاخذهم عليها وأن يعذبهم لأجل الأعمال التى خلقها الله . لأن ذلك عندهم تكليف على عمل لم يجنوه . فيذهبون لأجل ذلك يتعللون بالآيات احتجاجا واعتماداً والآيات لا دليل فيها لولا الشبهات المأخوذة من المعقولات . فالتعارض ليس بين الآيات نفسها ولكنه بين الآيات وما ويزعمونه معقولات . هذا عن الجبر وضده

وأما التجسيم وضده فنقول : الآيات التى ذكروها فى باب التجسيم إما أن تكون دالة على ذلك أم لا

فان كانت دالة على التجسيم لم يكن ذلك منافياً لقوله ليس كمثله شىء بالبداهة اللغوية . فانك تقول فلان ليس كمثل فلان وتقول القط ليس كمثل الليث ونحو ذلك ولا تريد أن أحدهما غير جسم وأنه مخالف للآخر من هذه الجهة . وأما ان كان الثانى أى بأن كانت الآيات غير دالة على التجسيم بطل الاحتجاج وخرجت المسألة من أن تكون من مثل هذا الموضوع . وعلى كل الافتراضات لم يبق بين الآيات فى ذلك تعارض

وليعلم القارىء أننا لسنا هنا بصدد بيان هذه المسائل بياناً كافياً وانما الغرض إبطال زعم هذا الرافضى أن بين آيات الكتاب العزيز تعارضاً واختلافا يعسر معه تمييز الحق من الباطل . . وليقس على هذه المثل باقيها مما لم نذكره

وهذا المؤلف الرافضى أتى بهذه المسألة فى مقدمات كتابه ليدعى أن مايذكره الوهابيون من الدلائل فى هذه المسائل هى ظواهر من القرآن مؤولة غير معمول بها وكل أحد يستطيع الاتيان بالظواهر وليس فى ذلك برهان على صدق الدعوى ولا دليل على وجوب اتباع من جاء بذلك . ولكن سيرى القارىء قيمة كلام هذا الرجل عند عرضنا الدلائل عرض بسط وبيان

الامر الثالث

قال فيه « السنة قول المعصوم أو فعله أو تقريره وشرط الاحتجاج بالفعل ظهور الوجه فلو فعل المعصوم شيئاً وجهل وجهه علم عدم تحريمه مع تردده بين الوجوب والندب والكراهة ولم يثبت واحد منها . ولا تثبت السنة لنا الا بالخبر المتواتر وهو إخبار جماعة كثيرة يمتنع عند العقل تواطؤهم على الكذب أو المحفوف بقرائن توجب القطع بصدوره . ولا يثبت بخبر الفاسق ولا مجهول الحال لعدم افادته العلم وعدم الدليل على حجيته بل الدليل قائم على عدمها من قوله تعالى « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » والنهى عن اتباع الظن

أما خبر الثقة العدل مع عدم افادته العلم فقد اختلف فى حجيته فمنعها قوم لاصالة عدم حجية الظن وأثبتها آخرون واستدلوا بأدلة مذكورة فى الأصول

واثبات عدالة من بعد عنا زمانهم من أصعب الأمور لانحصار الأمر فى علمنا بها فى اخبار الغير ، وهو مفقود غالباً الا من اخبار البعض المستند على الظنون والاجتهادات التى تخطىء كثيراً لا على الممارسة والمعاشرة مع اختلاف الآراء فيها

يوجب الجرح وما لا يوجبه ولذلك وقع الاختلاف كثيراً فى الجرح والتعديل فما عدله واحد جرحه آخر والقاعدة أن الجرح مقدم على التعديل لجواز اطلاع الجارح على ما لم يطلع عليه المعدل. فعلم من هذا أن التسرع الى القول بمضمون الخبر بمجرد وجوده فى أحد كتب الحديث أو بمجرد قول واحد انه صحيح وتخطئة الغير بذلك فضلا عن الحكم بكفره أو شركه خطأ محض . ويشترط لجواز العمل بالخبر عدم مخالفته لدليل قطعى من اجماع المسلمين وسيرتهم أو نص القرآن أو نص خبر آخر متواتر بل وعدم مخالفته للمشهور بين علماء المسلمين مع كونه برأى منهم ومسمع وعدم معارضته بدليل أقوى منه . والخبر فيه الأقسام السابقة فى الكتاب كلها وما يحتج به من الكتاب من تلك الأقسام يحتج به من الخبر وما لا فلا . و يشترط فى العمل بالخبر ما اشترط فى العمل بالكتاب مما مرّ فى الأمر الثانى

وبسبب وجود هذه الأقسام فى الخبر أمكن لكل ذى قول حق أو باطل الاستناد الى ظاهر رواية حتى ان البابية يحتجون على ضلالتهم بخبر أن المهدى يأتى بأمر جديد وقرآن جديد . وأتباع القاديانى يحتجون على ضلالتهم بخبر لا مهدى إلا عيسى » . انتهى

وفى هذا الكلام ما يأتى :

(اولا)

يقول : السنة قول المعصوم ولم يقل قول الرسول عليه الصلاة والسلام . والذى يجهل مذاهب الرافضة وهذا الرجل منهم يحسب أن هذه العبارة لا بأس بها إذ يحسب أنه يعنى بالمعصوم رسول الله ﷺ إذ لا معصوم غير الانبياء عند المسلمين ، ولكن الشيعة تقول إن الأئمة ــ أى أئمتهم ــ معصومون كالأنبياء أو أكثر ولا يخلو زمان عندهم من امام معصوم يتلقى منه الهدى والدين . وهذا الرجل نفسه ذكر

هذا فى كتابه ص ٩٦ إذ قال « أو لوجود معصوم بينهم بناء على عدم خلو العصر من معصوم كما يقوله أصحابنا ـ أى الشيعة ـ وهو رئيس أهل الحل والعقد »

وهذا أمر لا نزاع فى وجوده عند طائفة الشيعة وهم يعترفون به بل ويفاخرون فالسنة عندهم غير السنة عند سائر المسلمين ، فهى عندهم الروايات المكذوبة فى كتبهم التى يزعمون أنهم تلقوها عن أئمتهم المعصومين إما بطريق الكشف والالهام أو بطريق الرقاع التى يزعمون أنهم يضعونها فى مكان معلوم فيكتب فيها الامام المنتظر المختفى فى جهة من الأرض ما يسألونه عنه . أما السنة عند المسلمين فهى أقوال النبى الكريم محمد بن عبد الله ﷺ وتقريراته وأفعاله . والاختلاف بين أهل السنة والشيعة فى هذا الموضوع لا تحتج الشيعة بأحاديث رسول الله ﷺ التى يرويها أهل السنة

فما ذكره هذا الرجل تضليل فاضح

(ثانيا)

قوله « ولو فعل المعصوم شيئا وجهل وجهه علم عدم تحريمه مع تردده بين الوجوب والندب والكراهة ولم يثبت واحد منها »

إن كان يريد بالمعصوم الرسول كان قوله هذا خطأ ، فان الذى يفعله الرسول بالصفة المذكورة يدور بين الوجوب والندب والجواز إذا لم يعين واحد منها ، ويثبت أقل ذلك وهو الجواز والعلم بأنه ليس محرماً ولا مكروها ولو كان محرما أو مكروها لما أقدم على عمله رسول الله ﷺ فان أعمال الرسول تدور على الوجوب والندب والجواز ، ولا تدور على المكروه كما لا تدور على المحرم فان فعل المكروه لا يليق برسول كريم من رسل الله الكرام إلا أن يكون ذلك على وجه الزلة الصغيرة التى لا ينجو منها البشر والتى يبادر الى التوبة منها . ولسنا فى هذا

ومع ادعاء هذا الرافضى أن فعل الرسول يتردد بين الوجوب والندب والكراهة يدعى فى ص ٩٢ من كتابه أن فاعل المكروه ملعون فى الشرع ، وذكر مثال ذلك لعن المحلل والمحلل له . ومن بين قوليه هذين يخلص أن الرسول الكريم قد يفعل ما يستوجب به لعنة الله ، بل إنّ فعله دائما يتردد بين الوجوب وبين الندب وبين ما يستحق أن يلعن عليه ، وهذا من أعظم التنقص لرسول الله ﷺ ، وصاحب هذا القول هو الذى يتهم السلفيين بتنقص الرسول وأولياء الله إذ قالوا لا يستغاث بالأموات ، انما يستغاث بالله وحده

وأما ان كان هذا الرافضى يريد بالمعصوم غير الرسول كأئمتهم كان هذا القول خطأ أيضا . فان المعصوم لا يفعل ما يستوجب به اللعنة وإلا لما كان معصوماً وقد فرضناه معصوماً ، هذا تناقض

على أن أفعال الرسول فيها تفصيل طويل فى علم الأصول ، فان ما يفعله ويكثر من فعله ويواظب عليه مما يراد به العبادة ومما يدخل فى معنى الدين لا يمكن أن يقال فيه انه يتردد بين الوجوب والندب والجواز فضلا عن الكراهة بل لابد أن يكون هذا النوع واجباً أو مستحباً على الأقل فان أفعال الرسول مما هو عبادة محمول على التقرب الى الله وعلى ما يراد به ثوابه ورضاه . ولا يتقرب الى الله إلا بالواجبات والمستحبات ولا يتقرب اليه بالجائزات فضلا عن المكروهات ، ولكن أفعال الرسول التى تحمل على الجواز لاغير اذا لم يتعين غير ذلك هى الأفعال التى تدخل فى معنى العادة والشئون الدنيوية مما اعتاد الناس أن يفعلوه ، أو الأفعال التى تكون فى مقابلة التحريم والمنع

فأقوال هذا الرافضى ظلمات فوق ظلمات والعياذ بالله

(ثالثا)

قوله « أما خبر الثقة العدل فمع عدم افادته العلم فقد اختلف فى حجيته »

نقول : ذهب أكثر علماء الكلام والجدل الى أن خبر الواحد لايفيد اليقين ولا العلم أبداً بل لايفيد سوى الظن والترجيح وذهبت طوائف من علماء الحديث والأخبار الى أنه قد يفيد ذلك ، واحتجت الطائفتان بحجج كثيرة ليس هذا موضعها

ولا ريب أن من قال ان خبر الواحد لايفيد العلم مطلقا غالط غلطا بينا . كما أن من قال بأن خبر الواحد يفيد ذلك دائما غالط كذلك . ولكننا لا نرتاب فى أن خبر الواحد قد يفيد العلم بل واليقين أحيانا . ولا شك فى صحة هذا وصدقه ؛ وأحيل كل قاريء الى نفسه يجد ما أقول صحيحاً فى كثير مما يسمعه . فلقد يخبرك بعض الناس خبراً لا تجد فى نفسك أقل شك فى صدقه وثبوته ولا تجد مناصا لا فى زوايا نفسك ولا فى زوايا عقلك من الاعتراف بصحة ذلك الخبر ، وكل أحد فيما أعلم يجد ذلك أحيانا فى نفسه ، ومن رد هذا فقد كابر الحق وجهل أسرار النفوس

وقد قام بينى وبين عالم كبير من العلماء العصريين الذين يقولون ان خبر الواحد لا يفيد العلم جدال فى ذلك : قلت له هبك كنت معاصراً لأبى بكر الصديق أو عمر الفاروق أو عثمان أو على كرم الله وجهه أو أحد كبار الأنصار والمهاجرين فحدثك أبو بكر أو عمر أو عثمان أو أحد هؤلاء أن رسول الله ﷺ الساعة هذه قد صعد المنبر فوعظ الناس موعظة بليغة أسالت الدموع ودعت الخشية حتى سمعنا البكاء والعويل . . فهل ترتاب فى هذا الخبر أو هل تشك في إفادته العلم . فقال لا أرتاب فى ذلك . فقلت له هبك كنت معاصراً للامام أحمد بن حنبل رجل الورع أو الامام الشافعى عالم قريش أو الامام مالك امام دار الهجرة أو غيرهم من

الأئمة الموسومين بالتقوى والصدق والامانة فحدثك أحدهم حديثاً قال لك انه سمعه الساعة هذه من المحدث فلان . أو شهد أمام القاضى على شخص لمصلحة شخص آخر فهل ترتاب فى هذا الخبر ؟ فقال كلا . قلت له : إذن خبر الواحد قد يفيد العلم بل واليقين أحياناً كثيرة . فقال : نعم

وإذن لا يجوز أن نطلق القول اطلاقا بأن خبر الواحد ظنى بل يجب أن نقول إن ذلك يختلف باختلاف القائل والسامع فقد يشك أحد الناس اليوم فى أحاديث البخارى أو أحاديث غيره لشكه فى صاحب الكتاب ورواة أحاديثه لقلة معرفته بهم وقلة معرفته مكانتهم من الرجاحة والصدق والعقل والحفظ لأنه لم يتجرد لمعرفة أخبارهم ودراسة سيرهم ، ولكن قوماً آخرين درسوا رجال هذه الأحاديث ودرسوا ما كانوا عليه من الأمانة والرجاحة والايمان وواظبوا على ذلك كله حتى أتقنوه لا يشكون في ثبوت ما يروون وما يقولون ، وليس بجائز أن نعيب هؤلاء اذا وصلوا الى ما لم نصل إليه من أحوال الرجال وانما نعيب القوم الذين جهلوهم فلم يطمئنوا الى أخبارهم فذهبوا يعيبون من عرف القوم فاطمأن الى أخبارهم ، وهؤلاء يقال لهم ادرسوا تعرفوا وتعذروا وتؤمنوا بأن خبر الواحد قد يفيد العلم

ومايقال هنا فى رجال الحديث يقال مثله فى رجال التاريخ والأدب والفلسفة وسائر العلوم ، فان من شغل بدراسة أساطين التاريخ يعلم من حالهم ما لا يعلمه من شغل بدراسة رجال الأدب مثلا ، ومن شغل بدراسة رجال الأدب عرف من حالهم ما لا يعرفه من شغل بدراسة رجال التاريخ ، وهكذا يقال فى كل فن من الفنون ، فقد تصل معرفة الرجل بالعالم من علماء التاريخ أو الأدب أو الفلسفة الى أن يؤمن ايمانا ثابتاً بأنه لايكذب ولايغش أبداً ، والى أن مايرويه حق لاريب فيه والى أن لايقبل الشك فى نقله وقوله وصدقه ، ورجال الحديث أولى وأجدر بالثقة والاطمئنان الى نقلهم من كل الطوائف ، فانهم قد جمعوا من صفات الصدق

والصلاح والورع والحيطة لما يروون مالم يتفق لطائفة من الطوائف المنسوبة للعلم . وقد بلغ الاحتياط بكثير منهم الى حد الوسوسة والاسراف . وقد يردون حديث الرجل لأقل الهفوات التى لا يباليها غيرهم من رجال التاريخ والفلسفة . وعلم الاسناد أى علم الرواية أى رواية الحديث النبوى وما يشترط له من الشروط لم يكن لأحد سوى رجال الحديث وعلمائه كما أنه من خصائص الأمة الاسلامية

على أن قول الرافضي هذا لايؤمن هو به ولا طائفته ، وليس مما يوافق أصولهم . فان القوم يعتقدون فى أئمتهم العصمة أى العصمة من الكذب والغلط وكل ما يشين ويعاب . وهم لا يشكون فيما يحدث به واحد من أئمتهم ولا يقولون إنه لا يفيد العلم بل يرون أن ما يحدث به واحد منهم يفيد أعلى درجات اليقين

ونحن نعلم بالضرورة أن الأئمة الاربعة وكبار علماء الحديث كالبخاري ومسلم ونظرائهم لا يقلون عن أئمة الشيعة صدقاً وحفظاً للرواية ونأياً عن الغلط والغش وما يعيب النقل . وإن خالفت الشيعة فى ذلك فان أهل السنة كلهم يعلمونه ولا يرتابون فيه . فما ذكره هذا الرافضى خلط وتضليل مقصود مع سبق الاصرار

وأما العمل بخبر الواحد الثقة فى الحالة التى لا يفيد فيها العلم فأهل السنة كلهم يعملون به ، بل نوشك أن نقول ان المسلمين كافة يعملون به فى الواقع . والذين يرفضون العمل به موضوعا يقبلون العمل به شكلا . وأعمالهم شاهدة على ما نقول . وما زال المسلمون يعملون بخبر الواحد فى كل المناسبات والوقائع . ومن شك فى ذلك فقد شك فى أمر جمع كل معانى التواتر . ومن يأب العمل به يلجأ الى العمل بالرأى الخطل المدخول ويتناقض فى آرائه ولا محالة . . .

(رابعا) :

قوله وإثبات عدالة من بعد عنا زمانهم من أصعب الأمور قول ليس صحيحا فان اثبات عدالة الماضين العدول ميسرة على من أراد أن يعرف فبحث ونقب ودرس ودارس . ومن ذا يصعب عليه إثبات عدالة كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار كأبي بكر وعمر والحسن والحسين والسعدين « سعد بن معاذ وسعد ابن عبادة » والعبدين « عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس » وأمهات المؤمنين؟؟ أم كيف يصعب اثبات عدالة أئمة الحديث والفقه أمثال أبي حنيفة والشافعي وابن حنبل ؟!!؟ ومن ذا لا يستطيع اثبات عدالة أئمة رجال المذاهب المشهورين؟! إن هذا كله سهل ميسور .. والمسلمون لا يشكون فى عدالة أئمتهم وعلمائهم بما تواتر لديهم من أخبارهم . وقد عنى علماء الحديث بتراجم رجال الرواية عناية فائقة لا يمكن أن يظفر بأفضل منها بحيث يستطيع الباحث أن يعرف الثقة العدل من المتهم المريب بسرعة وسهولة . وقد سطروا جزاهم الله عن الاسلام والعلم خير الجزاء ..! كل ما يمكن أن يكون شاهداً على عدالة الرجل وما يكون شاهداً على ضعفه بقدر الطاقة والامكان ، وما تركوا من ذلك شيئاً معلوماً . وقد ينقلون عن الرجل الأمور التافهة الصغيرة ، التى لا تمس عدالته ، حرصا على الوصول الى الواقع والى ما كان عليه الرجل . ولعل المعاصر لرجال الحديث لا يستطيع أن يلم بتراجمهم وما يحملونه من عدالة أو كذب إلمام كتب التراجم أو المام من درس هذه الكتب . وليس الشأن لمعرفة عدالة الرجل وضدها تقدمه عنا زمنا وتأخرنا عنه . ولكن الشأن فى ذلك لمعرفة سيرته وترجمة حياته . ولقد تعرف عدالة من ذهب من مئات الاعوام ولا تعرف عدالة من يعيش معك ومن تراه صباح مساء والعدالة وضدها أمران نفسيان قد لا يعرفهما المعاصر المعاشر وقد يعرفهما من تأخر

اذا جمع أطراف سيرة الرجل وقلبها وامتحنها ثم وازن ورجح

أجل قد يصح قول هذا الرجل فى رجال الرافضة وحدهم فانه يصعب عليهم حقاً أن يعرفوا حال رجالهم ومكانتهم من عدالة وضعف إلا إذا رجعوا الى كتب أهل السنة ، فان الشيعة ليست لها كتب تراجم يميزون بها العدول من غيرهم ، والأحاديث الموجودة فى كتبهم غالبها مختلق مكذوب لهذا السبب ولأسباب أخرى

والرافضى يريد بقوله هذا القدح فى السنة وفى الاحتجاج بالأخبار النبوية ، لأن القوم لا يعتمدون فى دينهم على الأخبار النبوية الصحيحة ، وانما يعتمدون على الرقاع المزورة المنسوبة كذبا الى الأئمة المعصومين فى زعمهم وحدهم . ولكنه يحور فى الكلام لبساً على من لا يعرف حاله من أهل السنة

(خامسا)

قوله « فعلم من هذا أن التسرع الى القول بمضمون الخبر بمجرد وجوده فى أحد كتب الحديث أو بمجرد قول واحد انه صحيح وتخطئة الغير بذلك فضلا عن الحكم بكفره أو بشركه خطأ محض »

نقول سوف يجىء البيان أن هذا الرجل لم يعمل بما قاله هنا ، وسوف يجىء استدلاله بالأحاديث المكذوبة باتفاق أهل الحديث فضلا عن الضعيفة والمنكرة والمجهولة وبالأحاديث التى لم ترد فى كتاب من الكتب

ومَن هؤلاء القوم الذين يتسرعون الى القول بالأخبار بمجرد وجودها فى الكتب !! ومن هؤلاء القوم الذين يكفرون الناس ان خالفوا حديثاً قال بعض الناس انه حديث صحيح !!! ومن هؤلاء الذين يعنون بكلام هذا الرجل الشيعى !!!

ان الجماعة التى يرد عليها بكلامه هذا تدعو الى أمر أطبقت عليه

آى الكتاب العزيز وأطبقت عليه السنة الصحيحة فى روايات يعز احصاؤها . وما كان منهم الاستغاثة بالأموات ودعاءهم والنذر والذبح لهم اعتماداً على حديث أو أحاديث ، ولكنهم اعتمدوا فى ذلك على القرآن بجملته وعلى السنة ، وعلى العقل وعلى الضرورة الدينية ، وقد جاء القرآن بجملته ناهياً عن ذلك أشد النهى منذراً من فعله أعظم التنديد . وسوف ترى هذا . وقول هذا الرافضى يوهم أننا نستدل على ذلك بأحاديث مقدوح فى أسانيدها ورواتها

وقوله « وبسبب وجود هذه الأقسام فى الخبر أمكن لكل ذى قول حق أو باطل الاستناد على ظاهر رواية » قد تقدم الكلام على مثله فى الأمر الثانى

(سادسا)

الحديثان اللذان ذكرهما هنا . الأول : وهو أن المهدى يأتى بأمر جديد وقرآن جديد ، حديث مكذوب لا أصل له ، وهو من الأخبار التى توافق معتقد الشيعة فى الامام المنتظر ، لأنه عندهم يأتى بأمر جديد وقرآن جديد وهو المصحف الكامل الذى كتبه على رضى الله عنه فى زعمهم . والحديث الثانى : وهو لامهدى إلاّ عيسى حديث ضعيف . وهذه حال أكثر أحاديث الرافضة ، ضعيف أو موضوع

الامر الرابع

قال ما معناه « إن الأحاديث المتعارضة عن الرسول الكريم كثيرة وسبب التعارض أن يكون أحد الحديثين المتعارضين مكذوبا ، كذبه بعض الناس تقربا الى أصحاب الدنيا طمعاً فيها . أو يكون سبب التعارض الخطأ فى فهم المعنى ، أو الاطلاع على المنسوخ دون الناسخ والعام دون الخاص والمطلق دون المقيد . وعند وجود هذا النوع المتعارض يصار الى الترجيح . وسبيل الترجيح أن يعرض

الحديثان المتعارضان على القرآن وعلى الثابت من السنة . فما وافق عمل به وما خالف طرح . ويعرض أيضا على الاجماع والسيرة المشهورة بين علماء المسلمين وما كان عليه الصحابة والتابعون . فالموافق حينئذ هو الصحيح . أو يرجح أحد الحديثين المتعارضين على الآخر برجاحة سنده أو بلاغة لفظه أو جودة نظمه » انتهى

ونحن نقول : إن التعارض بين الاحاديث الصحيحة قليل جداً لا يقال انه كثير

نعم يوجد التعارض بين الاحاديث الضعيفة والمكذوبة كثيرا ، وعند من ليس لأحاديثهم كالشيعة أسانيد . والكذابة حقا كثيرة فى رجال الشيعة وأصحاب الاهواء طمعا فى الدنيا وتزلفا الى أصحابها أو كيداً للدين والسنة وحنقاً على أهلها ولكن علماء السنة كشفوا ذلك وأبانوه أتم البيان ، ومازوا الاحاديث الموضوعة والضعيفة من الصحيحة ، ووضعوا كتبا خاصة حشدوا فيها الاخبار المختلقة كما وضعوا كتبا خاصة بالرجال الضعفاء والمتهمين بالكذب والغش والخداع وكما وضعوا مثل ذلك فى الاحاديث الصحيحة والرجال الثقات وسموها « الصحاح » وكتب « الثقات » ومن قدح فيهم من الرجال العدول : كل ذلك بأقصى ما يمكن أن يصل اليه الفكر البشرى والقريحة الانسانية من الجودة والاتقان والضبط ، وليس فى رجال الحديث من أهل السنة من هو متهم بالوضع والكذابة طمعا فى الدنيا وازدلافا الى أهلها وانتصاراً للاهواء والعقائد المدخولة الباطلة

نعم قد يوجد بينهم من ساء حفظه أو من كثر نسيانه أو من انخدع بالمدلسين الضعفاء . ولكن رجال التراجم والجرح والتعديل قد بينوا هذا النوع كله ، حتى انهم يقولون : هذا الرجل ضعيف فيما روى عن فلان فقط وفيما يرويه عن أهل هذا البلد فقط ، ثقة فى غير ذلك ، كما يقولون ان هذا الرجل كان حافظا فى أول عمره سيء الحفظ فى آخره . ويقولون إذا قال كذا فهو غير صحيح الحديث ، وإذا قال

كذا فهو صحيحه ، وأشباه ذلك من الضبط والحيطة المتقنة . وهذا الفن لا يوجد لغير أهل السنة والحديث ، وهو من خصائص الامة الاسلامية . فانه لا يوجد لغيرها أسانيد لما ترويه عن أنبيائها

وكلام هذا الرافضى يفهم منه أن الكذابين المنافقين اختلطوا بالعدول الثقات ومزجوا مزجاً لا يستطاع تمييز خبيثه من طيبه فلا يمكن التمييز بينهم . وأن الاحاديث المكذوبة مزجت بالصحيحة مزجاً لا تستطاع معه معرفة أحدها من الآخر ، وأن معرفة الحق فيه عصية عسيرة وأن الواجب لأجل ذلك أن تلتمس معرفة الصحيح والحق بالقرائن الخارجية . وهذا لا يصح فى أحاديث أهل السنة أهل الأسانيد وأهل الجرح والتعديل ، ولكنه يصح فى أحاديث الشيعة ونظرائهم من أهل الاهواء والبدع الذين قصارى أمر أحاديثهم أن تكون بلا إسناد ولا رواية ولن تستطيع الشيعة أن تعرف مكانة رجل من رجالها إلا إذا مارجعت الى كتب أهل السنة والى بيانهم وتراجمهم المعروفة بكتب الجرح والتعديل وكتب نقد الرجال

وأما قول هذا الرافضى إن من أسباب التعارض بين الأخبار الاطلاع على المنسوخ والعام والمطلق ، دون الناسخ والخاص والمقيد ، فخلط فظيع لا يقع فيه إلا من لم تكن له يدان ولا يد واحدة فى هذا الشأن ، ومن لم يعرف قواعد أهل العلم واصطلاحاتهم . فانه اذا كان هنالك ناسخ ومنسوخ وخاص وعام ومطلق ومقيد لم يقل ان هنالك تعارضاً : لا من اطلع على الخاص والعام والناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد ولا من جهل ذلك . فان من اطلع على ذلك لم يكن لديه تعارض البتة . بل كان عنده خاص وعام ومنسوخ وناسخه ومطلق ومقيده . ومن جهل ذلك لم يكن هنالك تعارض عنده أيضا ، فانه اذا عرف المنسوخ دون الناسخ عمل بالمنسوخ ولم يعلم أن هنالك ناسخاً مثلا . فلا تعارض البتة . ومثل الناسخ والمنسوخ العام والخاص والمطلق والمقيد

مثل ذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام نهى عن زيارة القبور فى أول الامر ثم أباح ذلك وقال « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة » فمن اطلع على النهى عن الزيارة ولم يطلع على الناسخ المبيح لم يكن عنده تعارض مطلقا ، بل كانت الزيارة لديه محرمة ، وكان هذا هو الحكم الثابت عنده ومن اطلع على الناسخ والمنسوخ فى الزيارة علم أن الزيارة كانت محرمة ممنوعة ثم جائزة مباحة . ولم يكن هنالك شيء من التعارض فلا تعارض على الفرضين والحالتين . وكذا يقال فى العام والخاص وفى المطلق والمقيد . فزعم هذا الرجل أن مثل هذا النوع من التعارض زعم غير صحيح ولا كرامة وما هو من الحق فى صدر ولا ورد

وأما العرض على الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة والتابعون والمسلمون ، والترجيح ببلاغة الالفظ وجودة النظم ، فصحيح إذا ما افترض وجود التعارض . بل لابد من الرجوع الى الكتاب والسنة الثابتة وسيرة الصحابة والمسلمين في كل شيء ، ونحن في هذا المقام الذى يدعى هذا الرجل الرد علينا فيه إنما ندعو الى أمور أطبق عليها الكتاب والسنة والاجماع فى صدر الاسلام وفى القرون الاولى كلها ، وما كان ذلك للاستدلال بحديث فرد أو رواية منكرة ضعيفة ، أو رأي رجل من الناس جل ذلك الرجل أو دق . وإنما ندعو الى أساس الاسلام الاول وهو ما أنزلت لأجله الكتب وابتعثت الرسل وهو عبادة الله والرجوع اليه فى كل الحالات . وما كان هذا المعارض راجعاً الى كتاب أو سنة لا صحيحة ولا ضعيفة ، ولا الى رأى من يعتد به من العلماء . وما كان فى يديه سوى تأويل النصوص الاسلامية البينة وتسليط الشبهات الواهية عليها والتحيل للخلاص منها بالتكذيب حيناً والتحريف حيناً آخر وبالأمرين أحياناً كما سوف ترى ذلك كله

ولسنا فى هذا المقام ندعو الى أمر فيه ترجيح ومفاضلة إنما ندعو الى الدين

جملة والى نصوص الكتاب والسنة المتواترة العملية التى لاخلاف فيها . وليس الامر الذى ندعو اليه وندعيه قائماً على روايات تعارض بروايات أخرى أصح أو أضعف ، ولكنه التوحيد يعارضه الشرك والنور يعارضه الظلام الحالك والسنة البيضاء تعارضها البدع السوداء . ولا يستطيع مخالف لديه شيء من العقل أن يدعى أن هنالك روايات تجيز الذبح والنذر للاموات والطواف بالأجداث والاستقبال والتقبيل لها ، وسؤال الموتى مختلف الحاجات ، أو تجيز البناء عليها وتشييدها ، ذلك التشييد الذى لايستطيع أن يظفر به جمهور الأمة ليسكنه . فليس هنالك عاقل يدعى وجود شيء من ذلك لا صحيح ولا ضعيف ، ولكن المعارضين لنا فى هذه المسائل العالية يعارضون الامور المتواترة المتفقة بالآراء الفاسدة المدخولة والشبهات المنكرة ويحرفون النصوص لأجلها

الامر الخامس

قال فيه « الكتاب والخبر عربيان وفيهما كسائر كلام العرب الحقيقة والمجاز ومما جاء منه فى القرآن « يد الله فوق أيديهم » « يا حسرتا على مافرطت فى جنب الله » « كل شيء هالك إلا وجهه » « الرحمن على العرش استوى » « فكان من ربه[1] قاب قوسين أو أدنى » « الا من رحم الله » « غضب الله عليه » « الله يستهزىء بهم » « وجاء ربك والملك »

وفى الحديث : لا تمتلىء النار حتى يضع الله قدمه فيها . وكذلك ورد اضافة الضحك والعجب الى الله

---

(١) هكذا ذكر الآية بزيادة من ربه ، وهذه الزيادة ليست موجودة فى مصاحف المسلمين ويظهر أنها فى مصحف الشيعة المدخر المدعى

والقرينة فى الكل على المجاز عدم امكان ارادة المعنى الحقيقى المستلزم للتجسيم والتحيز والوجود فى مكان دون غيره ، وكونه محلا للحوادث ، ولا بد للمجاز فى الاسناد أيضاً من قرينة لفظية أو عقلية . كقول الموحد أنبت الربيع البقل فان كونه موحداً كاف فى حمل كلامه على المجاز . ومثله لو قال المسلم الموحد يا رسول الله اغفر لى أو اشف ولدى أو طول عمري أو ارزقنى أو رد غائبي أو نحو ذلك فيجب حمل كلامه على المجاز فى الاسناد . أى كن سبباً فى ذلك بشفاعتك ودعاء الله لى ، ويكفى قرينة على ذلك كونه مسلما موحداً ولا يجوز تخطئته فى هذا اللفظ فضلا عن الحكم بكفره وشركه الموجب لحل دمه وماله ، الا من غبى غير عارف بأساليب كلام العرب أو معاند

وقد اختلف فى الأمر كافعل هل هو للوجوب أو للندب أو مشترك بينهما وفى النهى كلا تفعل هل هو للتحريم أو الكراهة أو مشترك بينهما ، وقد كثر استعمال اللفظين فى الندب والكراهية بحيث يصعب الحكم بالوجوب أو الحرمة بمجرد ورودهما إذ لعلهما صارا مجازاً مشهوراً بملاحظة خصوصيات المقامات المبعدة للحمل على الوجوب أو التحريم

وفى الكتاب والخبر المبالغات كسائر كلام العرب . ومن المبالغات الواقعة فى الكتاب والسنة تسمية الذنب أو العظيم منه كفراً وفاعله كافراً ، واطلاق المعصية على فعل المكروه خصوصاً اذا صدر من الأنبياء والأولياء ، وذلك كما قال بعض العظماء « بلسان الورع والتقوى لا بلسان الفقه والفتوى » ومنه المعاصى المنسوبة في القرآن الى الأنبياء بعد قيام الدليل على وجوب عصمتهم وامتناع صدور المعاصي منهم » انتهى

هذا ما ذكره الرافضى فى هذا الأمر . ونحن نقول رداً على ما فيه من باطل :

(أولا)

أما ان فى القرآن حقيقة ومجازاً فلا نخالفه فيه هنا . ولكننا نقول ان دعواه بأن ما فى هذه الآيات من صفات الله مجاز دعوى باطلة لا برهان له بها ، وهى دعوى مخالفة لما اتفق عليه السلف من الصحابة وعلماء الحديث والأثر ومنهم الأئمة الأربعة . فقد اتفق هؤلاء وهم القوم على وجوب الايمان بما جاء فى الكتاب والسنة الصحيحة من صفات الله بلا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل ، وما جاء عن أحد منهم أنه ادعى بأن شيئاً من ذلك مجاز ولا قال انه غير حقيقة ، وهذه كتب المقالات والعقائد مبثوثة فى كل أنحاء المعمورة ، وقد أنكر السلف أشد الانكار على الجهمية ومن ذهب مذهبهم يوم أن ابتدعوا تأويل صفات الله وعدوهم ضالين مبتدعين ، ووضعوا كتباً خاصة فى ابطال أقوالهم ونقض مذاهبهم

وأنت اذا كلفت نفسك مراجعة كتاب من كتب الحديث والسنة كالبخاري ومسلم والكتب الستة وسائر كتب الحديث وجدت ذلك ماثلا فى كل كتاب كثيراً كثرة تصيره من الضروريات ، وتجد أن هؤلاء المحدّثين يقولون مثلا : (باب فيما أنكرت الجهمية من صفات الله) أو (باب فى الرد على الجهمية) ونحو ذلك ثم يذكرون ما ورد فى الكتاب والسنة من صفات الله كهذه التى أنكرها هذا الرجل وعدها تجسيما ونقصاً ؟ !

ولو كلف انسان نفسه ليعثر على رواية واحدة عن واحد من الصحابة وعلماء السنة بأنه أوّل آية من هذه الآيات لكلف نفسه أمراً لا يستطاع ، ولسنا نشك فى أن الصحابة كانوا راشدين فى ذلك ، وكانوا يعرفون ما يجوز من وصف الله وما لايجوز ، وانهم لو كانوا يعلمون أنه لايجوز وصفه تعالى بصفة من هذه الصفات التى يقال انها نقص فى حقه لبادروا إلى تأويلها وبيان وجهها الصحيح . لأن سكوتهم

عنها وهم يعلمون أن ظاهرها باطل أمر لا يحل ، فانه سكوت عن بيان الحق واقرار للمنكر الذي يخفى على غير الراسخين فى العلم

وإنما دخل التأويل وانكار صفات الله على المسلمين من طريق الكتب اليونانية التى نقلت الى العربية ، وتعشقها أهل الجدل وعدوها أعلى أنواع الفلسفة ونهاية اقدام العقول ، ومن طريق الفلسفة البوذية وغيرها من الفلسفات العجمية

ولسنا فى حاجة الى التدليل على أن السلف ما كانوا ينكرون صفات الله ، وما كانوا يؤولون ذلك فان هذا ضرورى واضح لا ينازع فيه انسان ولا أحد من المخالفين

ولكن هؤلاء المنكرين والمؤولين لما يزعمون أن العقل وحده هو الذى ألجأهم الى التأويل والانكار ، ولولا ذلك العقل الواضح لما أنكروا ولما أولوا . فهم في حاجة إذن الى التدليل على أن العقل لا يأبى الايمان بصفات الله الواردة فى النصوص ، كآيات الرحمة والرضا والغضب والاستواء على العرش والعلو على المخلوقات وسائر ما أتى فى نصوص الكتاب ونصوص السنة الصحيحة الصريحة ، وأنت اذا ما تتبعت أقوالهم وجدت أن الحجة التى بها يخاصمون هذه النصوص وبها يأبون اقرارها هى زعمهم أن هذه الصفات تقضى بالتجسيم وتشبيه الله بمخلوقاته ، واذا ما تتبعت أقوالهم مرة أخرى لتعرف كيف تقضى هذه الصفات بالتجسيم والتشبيه لم تجد لهم من دليل على ذلك غير أمثال قولهم « نحن لا نعرف يداً مثلا إلا جارحة مؤلفة من اللحم والدم والأعصاب والعظام » ، « ولا نعرف الغضب إلا أنه ثوران النفس رغبة فى الانتقام » ، « ولا نعرف الرضا إلا أنه خفة الروح » ، « ولا نعرف الاستواء على العرش إلا أن يكون استقرار جسم على جسم آخر » وهكذا سائر الصفات المثبتة لله» . « ولا نستطيع أن نفهم من هذه الصفات غير هذه المعانى إذا ما أريد حقيقة الكلمات العربية » ، « لأننا لم نجد لهذه الكلمات

معنى غير هذه المعانى » ، « وهذا باطل فى حق الله فلا بد من الحمل على المجاز . ولا بد من المصير الى التأويل تنزيهاً لله وتقديساً له عن سمات الحدوث والنقائص » هكذا يبدأون حجتهم على وجه الاجمال وهنا ينتهون منها

ونحن اذا ما أردنا الاسترسال معهم وأردنا النسق على حجتهم قلنا أنتم تذهبون الى تأويل الاستواء بالاستيلاء وتأويل الرضا بارادة الاحسان ، والغضب بارادة الانتقام ، والوجه بالذات ، والعين بالرعاية والحفظ ، وهلم جراً . وهذه المعانى التى هربتم اليها وفسرتم النصوص بها هى مثل ما هربتم اليه لزوماً واقتضاء سواءاً . فاننا لانستطيع سيراً معكم أن نفهم من الاستيلاء فى كلام العرب إلا أن ذاتا أى جسما استولى على جسم آخر أو أن معنى من المعانى القائمة بالأجسام استولى على جسم آخر أو معنى آخر ، ولا نعلم مستولياً على غيره إلا أن يكون جسما قائما بنفسه أو معنى قائما بغيره ، وكذلكم ارادة الاحسان والانتقام اللذان فسرتم بهما الرضا والغضب يقضيان بما هربتم منه ، فان معنى الارادة تعلق النفس أو الضمير بالشيء أو تصميمها على المراد . فلا بد من النفس والضمير والتصميم في الارادة ، والنفس والضمير والتصميم هذه الأمور الثلاثة أشياء فى حاجة الى الأجسام ، وهى من صفات المخلوقات أيضاً . وكذلكم تأويل الوجه بالذات فانه ينصبّ على الذات من الاعتراضات والشبهات ما ينصب على الوجه انصباباً لامهرب منه فاذا قيل الوجه لا بد أن يكون جسما أو جزءاً من جسم ، قيل وكذلك الذات لا بد أن تكون جسما ذا أعضاء وأجزاء وحدود ونهايات . وهكذا فى كل الصفات التى يؤمن بها هؤلاء . فما يرد على ظواهر النصوص من الاعتراضات والشبهات يرد على المعانى التى فسروها بها وروداً لامناص منه . فمن أول نصوص الدين لشبهة ادعاها غلبت عليه نفسه ، أو دسها بعض الدساسين لم يكن فاعلا شيئاً غير العدوان على حرمة الدين وافساده وإحلاله محل المتهم المزنّ بتأويل نصوصه وتفسيرها

تفاسير تنزع منها القداسة التي كانت لها في صدور المؤمنين الأولين وصور الذين تلقوها بالاطمئنان واليقين

وقد عرفنا بالاستقراء أن من اعتاد تأويل نصوص الكتاب والسنة استهتر بالدين وانتزع من صدره برد اليقين ثم هيبة الله . وهذا أول مفاسد التأويل . ولما سمعت كان كلام السلف شديداً في المؤولين لأنهم يدرون ما يعقب ذلك من الفوضى والفساد

فادعاء هذا الشيعي أن هذه الصفات والآيات مؤولة ادعاء باطل لأنه لا دليل عليه كما رأيت ، فان الشبهة التي حملتهم على التأويل هي أن الحقيقة في هذه الصفات تقتضي التجسيم والتشبيه ، لأنهم لم يعهدوها الا صفات أجسام ، فهم لا يعقلون أن تكون صفة لغير جسم . هذا هو مجموع الشبهة ، ولكننا نقول لو أن هذه الشبهة صحيحة لقضت بألا يوصف الله بصفة ما ، فما الفرق بين هذه الدعوى وبين قول القائل : العلم عرض من الأعراض ، والعرض مفتقر الى محل يقوم به من الاجسام . فالله ليس له علم لئلا يوصف بالاعراض . أو قول القائل الله ليست له حقيقة ، لانه لو كان له حقيقة لكانت هذه الحقيقة جوهراً أو عرضاً ، أي جسما أو معنى ، لانا لا نعرف حقيقة الا جوهراً أو عرضاً . والله لا يصح أن يكون جوهراً ولا عرضا . ويصبح بقية المقدمة فالله ليست له حقيقة . وهكذا يقال في الصفات التي يقرون بها لله

وهذه الشبهة وأمثالها طلائع الالحاد والجحود ومن ثم فان الامر يؤول بهؤلاء الى الزيغ والتمرد على الاديان ، ولهذا مواضع أخرى يبسط فيها القول وإنما هذه كلمة خاطفة نبهنا بها هؤلاء المؤولين الى أنهم غالطون غلطين : غلطا في المنطق ، وغلطا في الدين ، ومسيئون اساءتين : إساءة الى الدين بتأويل نصوصه وتحريفها ، واساءة الى المنطق بالخروج على قواعده وسبيله الواضحة

فالآيات التي ذكرها هذا الرافضي في هذا المقام ليست مجازاً ، بل هي حقيقة على معنى يليق بذات الله ، لا كما يكون ذلك في المخلوقات والمحدثات

على أن هؤلاء المؤولين خوف التشبيه هم في الحق المشبهون من حيث لا يدرون فانهم ماجردوا الله من هذه الصفات إلا لزعمهم غلطا أن الصفة لاتثبت لله الا كما تثبت للمخلوق ، وان المعنى لايكون لله الا مثل مايكون لخلقه ، ومن هنا زعموا أنهم لو وصفوا الله بشيء من هذه الصفات التي وصفت بها المخلوقات لكان وصفه تعالى بها تشبيها وتجسيما كما أن ذلك في المحدثات . فزعموا أن الله لا يوصف بها سيراً وراء هذه الأوهام والأغلاط ، ولو عقلوا أن وصف الله بالصفة ليس كمثل وصف غيره بها ، وأن قيام المعنى به ليس كمثل قيامه بغيره من خلقه ، لما احتاجوا الى هذه العثرات ، والله من وراء الكل محيط

على أنه من العجب أن تؤول الشيعة هذه الصفات فراراً من التشبيه والتجسيم وأشياخ الشيعة من أصرح الناس أقوالا في التشبيه والتجسيم ، كما تقدم في باب حماقات الشيعة ، حتى انهم ليقولون بحلول ذات الله وصفاته في بعض عباده

فالقوم حيارى لا يهتدون الى الحق أية سلكوا

(ثانيا)

أما زعمه أنه يجوز للموحد أن يطلب من الرسول وغيره غفران الذنب وشفاء الولد وتطويل العمر واغداق الرزق ورد الغائب ، وغير ذلك . وزعمه أنه ليس في ذلك خطأ ولا غلط ، وأنه مجاز اسنادي كقول الموحد أنبت الربيع البقل . وأن القرينة في الأمرين هي ايمان القائل وتوحيده ، فهي مقالة ما كنت أحسب عاقلا يقولها قبل هذا المصنف الرافضي ، ولي أن أقول ولا أخشى أن أخالف الحق ان كثيراً من المشركين أنفسهم ما كانوا يقولون هذه المقالة كلها ولا كانوا

يتوسعون فى دعاء الأصنام والعوذ بها كل هـذا التوسع ، وما كان مثل هذا القول يحتاج الى الرد عليه لولا أن كل قول يقال وإن كان السخف نفسه لابد أن يجد آذاناً وقلوباً تحله محل الحق المبجل ، وتنزله منها أفضل منزل . ومثل هـذا الرجل لا يقنعه أن يرد عليه بالكتاب والسنة وأقوال المسلمين ، بل هو لايستحق ذلك ولا يجدر بمجادله أن يصنعه ، وما يغنى مثله أن تسرد عليه آيات الكتاب الكريم الناهية عن دعاء غير الله أشد النهى ، الزاجرة عن ذلك أعظم الزجر . هين على مثله أن يؤول القرآن والسنة ، وهين عليه أن يدخل من باب المجاز ويخرج من ذلك الى حيث شاءت له نفسه وشاء له ربه ، وهين عليه أن يقول إن الدعاء أقسام منه الجائز والواجب ، وأن يضرب ذلك كله بعضه ببعض فلا يهتدى سبيلا ، وإنما نرد عليه بحيث نكسر عليه به قوله ، ونأتيه بأشياء لنا فيها اللهو المباح وفيها بعد ذلك إدحاض حجته إن كان لمثل هذا الباطل أن يسمى حجة

فنقول : إما أن يقول ان كل ما يطلب من الله يصح أن يطلب من خلقه إذا استطيع حمله على المجاز بضرب من ضروبه الكثيرة ، وإما أن يقول لايجوز ذلك

فان قال بالاول ، قيل إذن يجوز أن يقول المسلم الموحد ان الرسول الكريم خالق السموات والأرض وبديع السموات والأرض ، ورب السموات والأرض ورب كل شيء ومالكه ويقدر كلمة محذوفة هى « رب الرسول » على أن يكون ذلك مجازاً بالحذف كما يقولون فى قوله تعالى واسأل القرية ، وهـذا جائز فى كلام العرب لاخلاف فى جوازه

وكذا عليه يجوز أن يقول من يدعى الاسلام ان الامام الشافعى هو الذي يدفع عن مصر البلاء ، وهوالذى يسوق لها الخير والنعماء ، وهوالذي بيده إسعادها وإشقاؤها وعزها وذلها وحياتها وموتها . بل ويقول هو الذي يحيي ويميت وهو الذي يعطى ويمنع وهو رب كل شيء وخالقه ، أو يقول إن الامام الحسين هو

الرب الأعلى والإله الأكبر . وأمثال ذلك ممـا يستطاع أن يقدر فيه « رب » فيراد رب الحسين ورب الشافعى ، نظير واسأل القرية أى أهل القرية

بل ويجوز أن يقول : ان الشمس (على اضمار رب الشمس) هى إلهنا الذي نفرده بالركوع والسجود والدعاء والخشية وكل معانى الانقياد والعبادة ، وتكون الحكمة فى تخصيص الشمس هنا هى أنها من أعظم نعم الله علينا ، وبالاجمال يجوز على هذه القاعدة لمن يدعى الاسلام أن يقول كل شيء اذا كان يستطيع أو يستطيع أمثال هـذا الرافضى أن يؤول قوله وأن يقدر فيه مضافا أو يجعله مجازاً أو غير ذلك : فيسب الله . ويقال انه يعنى عباده الاشرار ويسب الانبياء فيقال أنه يريد معنى من المعانى . ويقذف من يشاء ويرميه بما يشاء ويؤول ذلك كله . والقرينة فى ذلك كله ادعاؤه الاسلام أو الصلاح أو التقوى أو تسميه بأسماء المسلمين . وفى هذا أعظم الكفور والجنون والفساد فى الارض

هذا ان قال بالأول ـ وهو مايلزم كلامه ـ وأما إن قال بالثانى ، أى ان قال : ليس كل مايصح فيه المجاز يصح أن يطلب من العباد على سبيل المجاز ، بل من ذلك ماهو كفر صراح وخروج من الدين ، قيل : إذن كيف جاز عندك طلب غفران الذنوب وهداية القلوب وشفـاء المرضى من الرسول أو من غيره ؟؟؟ ولعل هذا الطلب من الكفر ومن مفارقة الملة ، وحينئذ لن يجد جواباً عن هذا ، ولا مناص له من التزام أحد الأمرين الأول أو الثانى ، وهو على كل حال خاسر القضية ، وهو على الفرضين واقع فى الغلط المبين ، وهذا ما نريد

ويمكننا صياغة هـذا الدليل بعبارة أخرى ، بأن نقول مثـلا : دعواك بأنه جائز أن يطلب من المخلوق مالا يستطيعه إلا الله كالشفاء والهداية وغفران الذنوب على أن يكون مجـازاً ذلك الطلب لاتصح ، لأنها لو صحت لمـا أمكن أن يحكم على أحد بالردة والكفر ، ولا بالخطأ والغلط ، ولما استطيع أن يحكم على من ادعى

الاسـلام بغلط ، لا كفر ولا مادون الكفر ، مهما قال ومهما أسرف فى القول وجنف فيه ، وان سب الله وسب الأنبيـاء وقدح فى المصحف وقدح فى الاسلام وقدح فى الأديان كلها . بل وان أنكر وجوب الايمان بالله ووجوب الصلاة والصيام وسائر الفرائض ، بل وإن أنكر البعث والحشر والجنة والنار والجزاء كله ، بل وإن أباح الفواحش ما ظهر منهـا وما بطن وادعى إباحة الزنا والخمر وجميع المنكرات ، بل وإن ادعى الألوهية والربوبية لنفسه أو لغيره وقال أنا ربكم الأعلى أو قال ما علمت لكم من إله غيرى كما قال فرعون ، أو قال مافى الجبة إلا الله كما قال الحلاج أو غيره ، أو قال سبحانى عز شأنى كما قال الآخر ، أو قال إن كلمة لا إله إلا الله كلمة فاسدة كما قاله من قاله من الضلال ، أو قال ان الأنبياء لم يأتوا إلا بالشرك كما قاله بعض الزنادقة ، بل وإن قال كل ما يستطيع أن يؤلفه من حروف الهجاء . وذلك لأنه يجب أن يحمل كل ما يقوله المنتسب للاسلام المحمل الصحيح من المجازات والتأويلات والتخريجات فراراً من تكفير المسلم الموحد . والقرينة على ذلك كله إسلام القائل أو ادعاؤه الاسلام والايمان

ولا يشك عاقل فى بطلان هذا ، كما لا يشك فى لزومه كلام هـذا الرافضى المؤلف لزوماً لا خلاص له منه . أو يقال : لو كان هـذا الكلام صحيحاً لما كانت العرب الذين قاتلوا رسول الله كفاراً ولا مشركين ، لأنه اذا كان المراد بالتوحيد هو الاعتقاد بأن الله الخالق لكل شيء الفاعل لكل شيء فقد كان العرب مؤمنين بذلك كله كما جاء فى آيات القرآن أنهم اذا سئلوا من خلق السموات والأرض ، ومن يدبر الأمور ، ومن يجير ولا يجار عليه ومن ... ومن .. ؟ يقولون ان ذلك هو الله وحده لا أحد غيره ، حتى انهم عند اشتداد البلاء والضراء ليدعون كل من سوى الله من الأصنام والأنداد ويخلصون لله كل شيء « واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه » وذلك لاعتقادهم بأن الله هو الفاعل وأن

كل شيء ما خلاه باطل وأنه ليس وراء الله للمرء مذهب ، فالعرب مؤمنون بأن الذى يعطى ويمنع ويحيي ويميت ويفعل ما يريد ، لا معقب عليه هو الله رب كل شيء وخالقه ، فلماذا إذن كانوا مشركين كافرين إذا كانت العقيدة كما ذكر منجاة من الكفر والشرك منجاة من عذاب الله ؟ ! فانهم ما كانوا يطلبون من الأصنام والأنداد أكثر من أن يطلبوا منهم الشفاء والرزق ورد الغائبين وكشف ما بالمكروبين . هذه الأمور التى يقول هذا الرافضى انه يجوز طلبها من غير الله ، وما الفرق بين ما كانوا يصنعون وما يدعو اليه هـذا الشيعى المتعصب ؟ ؟ ان كان الفرق عنده هو ايمان هؤلاء بالله فقد كانت العرب كذلك كما ذكرنا ؟ ! لا ريب أنه لو صح وهم هذا الرجل لمـا كان العرب كافرين ولا مشركين ولكانوا من المؤمنين الموحدين

ثم نقول أيضاً ان أمثال هذه الاستغاثات والمطالب من غير الله كطلب الشفاء والهداية وإزالة الكروب هى شرك وكفر لامرية فيه ، سواء أقيل انها مجازات أم قيل انها حقيقة ، وسواء أكان القائلون الطالبون مؤمنين بأن الله الفاعل الخالق لكل شيء أم كانوا مؤمنين بأن معه شركاء فى الملك والخلق ، وسواء اعتقـدوا ما قالوا أم لم يعتقدوه ، وسواء أفهموا ذلك أم جهلوه

فهذه المطالب شرك بالله على كل الوجوه ، وعلى جميع الافتراضـات ، وعلى رغم أنف التأويلات

وليس هنالك من ينازع أن من الأقوال ما هو كفر وخروج من الدين وان لم تعرف عقيدة القائل ومراده ، وان كانت عقيـدته ما كانت ، وأن الرجل قد يقول القول يلحقه بالكافرين وإن لم يقصـد ظاهر ما قال وما يفهمه الناس منه . بل هو كفر بالوضع الدينى ، ولو أن مسلماً سخر من الاسـلام أو من الله أو من رسوله مازحا غير جاد لكان كافراً ولا ريب ، أو لو أنه تكلم فى الله أو فى دينـه

أو في كتابه أو في رسوله أو في الجنة والنار كلاماً فاحشاً لأجل إضحاك الناس وإدخال السرور على بعض القلوب أو إرضاء لأعداء الله وخصومه لكان بذلك القول كافراً خارجا من الملة وإن كان لا يصدق ما يقول ولا يعتقده

وهذا فى الأقوال والأفعال . فان الرجل يفعل الفعل يكفر به ولو كانت عقيدته وإيمانه فى جانب آخر من فعله وما ظهر منه . فلو تظاهر مسلم بموافقة الكافرين على أفعالهم وما يختصون به من عباداتهم فصلى صلاتهم وصام صيامهم ، واستقبل قبلتهم وتزيى بزيهم — وكان ذلك منه تقربا إليهم وطمعاً فيما لديهم — لكان بذلك الفعل كافراً يهودياً أو نصرانياً أو ما شاء ، وإن لم يعتقد شيئا مما صنع ، وان كان مؤمن الباطن والضمير

فالكفر يكون بالقول والفعل كما يكون بالقلب والعقيدة ، وكذلك أيضاً الايمان ، وذلك أن الايمان كما يقول السلف قول وعمل وعقيدة

وإذن فالعقيدة وحدها ليست ضماناً من الوقوع فى الكفر والشرك مالم تصن الأقوال والأفعال من ذلك ، وهذا لاخلاف فيه بين علماء الأمة المهتدين

وإذن قول هذا الرافضى أن المطالب العالية من غير الله لاتوجب الكفر بل ولا الخطأ مادام الطالب يعتقد أن الفاعل هو الله وحده قول باطل بالاتفاق

ثم نقول أيضا نحن لا نستطيع أن نسلم بأن أولئك الذين يستغيثون الأموات ويسألونهم ضروب الحاجات ، ويطلبوا منهم تلك المطالب العالية التى لايستطيعها سوى الله مثل قولهم يا رسول الله اشفنى أو يافلان اهد قلبى ، أو ياسيدة ارزقينى أو ردي غائبى ، لانستطيع أن نسلم بأن هؤلاء المستغيثين لا يعتقدون فى الأموات المسئولين القدرة على الاعطاء والمنع ، والضرر والنفع ، والشفاء والهدى وضروب ما يطلبونه منهم ، ولا نسلم بأن هؤلاء موحدون الله توحيد الربوبية على ما يفهم هؤلاء المخالفون ، وأنهم لا يريدون من الموتى سوى الشفاعة والوساطة ، بل

لا نرتاب فى أن من يطلب من غير الله الشفاء وهداية القلب يؤمن بأن ذلك المخلوق المسئول قادر على إعطائه وشفائه وإغنائه ومنحه جميع ما يسأله إياه ، ثم لا نرتاب فى أنه لولا هذه العقيدة ورسوخها في نفوس السائلين الطالبين لما طلبوا منهم ولما استغاثوا بهم ، ولما فكروا فى استحالة ذلك وبعد جدواه ، فان النفوس مجبولة على الاعراض عمن لا يستطيع نفعها وضرها ، وأى انسان يملك عقله يقول لمن يعلم أنه لا يملك من الحياة قليلا ولا كثيراً ، هب لى من المال كذا وكذا ، ومن القصور كيت وكيت ، ومن الجواهر مامقداره كذا وكذا ، أو يقول لأمي لايقرأ ولا يكتب اكتب لى هذا الكتاب بخط واضح جيد ، أو صحح هذا الكتاب أو يقول لأعمى يعلم أنه أعمى خذ هذا الكتاب واقرأه ، ونظائر ذلك ، بل وأى عاقل يطلب جاهلا أن يعالج مرضاً ألم به ، وهو يدري أنه لا يعرف الطب ولا يملك من أسبابه شيئاً ، لاريب أن ذلك وأمثاله مستحيل أن يصنعه عاقل يملك عقله ، ولا شك أننا اذا ما وجدنا إنساناً يطلب إنساناً آخر حاجة من الحاجات علمنا بأن ذلك الطالب السائل يعتقد فى المطلوب القدرة والكفاءة وإلاَّ لما سأله أو رغب فيه

فلا شك أن هؤلاء الذين يسألون الموتى الحاجات يعتقدون فيهم القدرة على ما يطلبون وهبة مايسألون وغير هذا لا يكون معقولا ، والدلائل الخارجية على هذه العقيدة كثيرة ، منها : أنهم يسمون هؤلاء الموتى « أهل التصريف » ويسمونهم « الأقطاب » وهم لا يفهمون من كلة التصريف غير تصريف الكون من الاعطاء والمنع والايجاد والاعدام . ولا يعنون بالأقطاب الا أنهم الذين تسير الشئون حسب ارادتهم وما يحبون مأخوذ من قطب الرحا ذلك العصا الذى تدور عليه . ويقولون « قطب الأقطاب » و « قطب الوجود » وذلك خاص بمن كانت وظيفة تصريفه ودائرة « قطبيته » أوسع وأعمق

ومن ذلك أن الواحد منهم اذا ما نذر لأحد هؤلاء الأقطاب نذراً فتأخر فى إنفاذه أو أخلف ، فاصيب بأمر من الله قال ان ذلك الشيخ أصابنى لأنى لم أوف بنذره ، فاجتهد ذلك المسكين فى التقرب الى الشيخ من تقديم النذور والقرابين ، والصدقات ، واتيانه من المكان السحيق ، حتى يرضيه ويطمئن الى رضاه . وهذا لا نزاع فى وجوده بين كثيرين من المدعين الاسلام . ولا ريب أن هذه الأعمال كلها دلائل لا حيلة فى دفعها على إيمانهم بقدرة الأموات واستطاعتهم النفع والضر

ومن ذلك أن هؤلاء الغلاة فى القبور اذا وجدوا من لا يعنى عنايتهم بها ، يحذرونه الشر والمصيبات وينصحون له بزيارة المشايخ وتقديم ما يمكن تقديمه والا فبيته صائر الى الخراب ، وبنوه متتابعون الى الهلاك ومصبحون جزر الأحداث والأرزاء الجسام . ومن ذلك ما نلحظه من الخشوع الذي يعلو هؤلاء الغلاة عند زيارتهم شيخاً من الأشياخ وما يرهقهم من الذلة الممزوجة بالمهانة المخلوطة بالدموع الحرّى والأنفاس المتتابعة والتأوهات العميقة

هذه الأمور التى لا تكون الا فيمن سما به الأمل حتى جاوز السماوات ، وخفضه الوجل حتى هوى فى أسفل الدركات . ولن تكون هذه الأعمال بين يدي من يعلم أنه لا يستطيع الضر والنفع والاعطاء والمنع . اللهم انا نشهدك أن هذا غير معقول

أما خرافة المجاز وما يدعيه المحرفون هنا من المستغيثين بالأموات الداعين لهم أنهم يريدون بذلك المجاز العقلى الاسنادى ، وانهم لا يقصدون أكثر من ذلك ، فهذا القول مهزلة من مهازل عباد القبور والغلاة فى الأجداث

ونحن لا نشك فى أن أكثر هؤلاء الدعاة للأموات لا يعرفون هذه المسألة المجازية أصلا ولا يدرون ما المجاز لا الاسنادى ولا غيره ، ولا ما الحقيقة فضلا عن أن يعرفوا أن هذه المسألة بعينها مجاز وأن القرينة هي التوحيد والايمان ولا يدرون

من هذه العملية الاصطلاحية قليلا ولا كثيراً . وهؤلاء الدعاة أقل وأغبى من أن يقصدوا بقولهم اعطني يا رسول الله كذا سؤاله أن يكون سبباً فيما يطلبون ؛ ولو كانوا يريدون ذلك لفاهوا بما يريدون واختصروا الطريق وجاءوا المسألة من بابها

وما أبعد عقول الدهماء والجهال عن أن يقولوا اشفنا أو رد غائبنا يا رسول الله وهم لا يريدون الا كن لنا سبباً وشفيعاً فيما نرجوه ، وما أظن أمثال هذا المؤلف يريد ذلك حينما يستغيث ويلجأ الى موتاه

وغريب أن يريد الانسان شيئاً ويطلب سواه من غير فائدة ولا حكمة معقولة

فنحن ننازع هذا الرافضي في ادعائه أن دعاة الاموات لا يريدون منهم إلا الشفاعة ولا يريدن بقولهم الا المجاز

على أننا نقول هب الأمر كما ذكر ، وهب أن مرادهم سؤال الشفاعة والوساطة لا غير ، ولكننا نمنع جواز طلب الشفاعة من الأموات ، ونقول ان هذا من أعمال المشركين الذين يتقربون الى الله بالرجوع الى الأموات ، وبيان هذه المسألة يأتى فيما بعد في الباب الخاص بها

ثم ان هذا الرافضى لم يوفق حتى ولا فى المثل التى يجعلها حججاً يتشبث بها فى دعاويه . فانه زعم أن قول القائل يا رسول الله اشفنى جائز كقوله أنبت الربيع البقل . وهو فى هذا غالط غلطاً فاحشاً بيناً . وذلك أن قول القائل يا رسول الله اشفنى إنشائى طلبى . وقوله أنبت الربيع البقل خبرى . والشبهة قد تجوز لو كان جائزاً للمسلم الموحد أن يرغب الى الربيع وأن يطلبه طلباً حقيقياً إنبات البقل . ونحن نقول ولا نخشى مخالفاً إن من ضرع الى الربيع وطلب اليه بخشوع وذلة وأمل ووجل أن ينبت البقول وأن يخرج الأثمار والازهار كما يفعله بين يدي الميت من المشايخ المعظمين ، نقول ان من يطلب من الربيع ذلك الأمر خاشعاً خاضعا مستكينا

فهو خارج من الملة خروجا صريحاً لا شبهة فيه ولا ريب . ومثله من يضرع الى الشمس والى القمر والى الاجرام العلوية طالباً منها الحياة والشفاء . فان هذا هو عبادة الشمس والقمر والافلاك . وهذا لا فرق بينه وبين من يطلب من الربيع إنبات البقل طلباً كالطلب من الأموات

ولو أن انساناً طلب من الشمس الشفاء والحياة والرزق لكان فى نظرنا أقرب الى الحق ممن يطلب الى الاموات ذلك . والفرق بين الامرين واضح جلى

فاستبان أن المثال الذي ظفر به هذا المؤلف الشيعى هو رد عليه وإبطال لدعواه إبطالا لا حيلة له فيه . وذلك جزاء الظالمين ، وما للظالمين من أنصار

هذا ومن جهل المرء بما لا يستطاع جهله التسوية بين الاستغاثة بالأموات وسؤالهم ضروب الحاجات ، وبين قول القائل أنبت الربيع البقل . فان سؤال الموتى لن يكون إلا مصحوباً بالخشوع والخضوع والخشية الظاهرة والباطنة ، ثم التمسكن والخنوع لذلك الميت المسئول . وهذه الأمور هى لباب العبادة وخلاصتها . وليس كذلك قولهم أنبت الربيع البقل . فان أحداً من الناس فيما نعلم لا يمكن أن يصطحب قوله أنبت الربيع البقل شىء من الخشية والخضوع للربيع . وما يزيد هذا عن قولنا : مات فلان وجاء فلان ، وجاء الربيع وذهب الربيع ، إخبار فقط . ومن ذا لا يفرق بين الحالين ؟ !

ثم إن سؤال الأموات موضع غلو وافتتان ، يكون أبداً خطراً على العقيدة والتوحيد ، دفّاعاً الى الكفر والشرك بخلاف قولهم أنبت الربيع البقل . وقد عبد البشر البشر ولا يزال يعبده . وقد أله أوائل الشيعة الخليفة عليا فأحرقهم وهم الى اليوم يؤلهونه هو وذريته ويرون حلول ذات الله فى ذواتهم . فمن المعقول أن يفرق بين الأمرين لما يوجد بينهما من الفرق فى الجوهر والمعنى

بعد هذا كله نستطيع أن نرد على هذا الضلال بنوع آخر من الرد ، كأن

نقول مثلا إذا كان مثل هذه الاستغاثات بالعباد معناه طلب الوساطة والشفاعة لغة ، وكان هذا جائزاً دينا ولغة ، فلماذا لا نجد أحداً من المسلمين المهديين لا من الصحابة ولا ممن جاءوا بعدهم واتبعوهم باحسان فعلوا ذلك فدعوا الاموات وطلبوا منهم الشفاء والغنى والرزق ورد الغائبين وشفاء المرضى ، وهذا الرافضى وإن أسرف فى الدعاوى الباطلة لا يستطيع أن يدعى أن أحداً من الصحابة طلب من الرسول ولا من غيره حياً ولا ميتاً شفاء ولا هداية قلب ولا رد غائب ولا إغاثة مكروب محروب ، ولا غير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله فما جاء لا بسند صحيح ولا ضعيف أن أحداً من الصحابة قال يا رسول الله إغفر ذنوبنا أو اهد قلوبنا أو أغثنا أو ارزقنا أو ماشابه ذلك . بل كانوا يأتونه عليه السلام ويقولون له ـ اذا ما نابهم نائب ـ يا رسول ادع لنا ربك ينزل علينا الغيث والمطر ويشفى مرضانا ويبارك لنا فى كذا وكذا . فيقوم رسول الله فيدعو الله لهم . وهذا متواتر معلوم . واننا نعلم يقيناً وكل المسلمين يعلمون أن أحداً من أصحاب رسول الله لم يقل يوماً يا رسول الله أغثنا أو وسع رزقنا أو اشف مرضانا . ونعلم أن أحداً منهم لو قال ذلك لأنكره عليه رسول الله كل الانكار ولما رضيه منهم . ولقد قال له رجل يوماً ماشاء الله وشئت فقال له عليه السلام « اجعلتنى لله ندا . بل ماشاء الله وحده » ولما استغاث به بعض الصحابة وهو حى بين أظهرهم من منافق كان يؤذي المؤمنين قل لهم « إنه لا يستغاث بى وانما يستغاث بالله » ولقد قال خطيب يوماً أمامه ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له عليه السلام بئس الخطيب أنت قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى »

وذلك لجمعه بين الضمير العائد على الله والضمير العائد على الرسول الكريم وما يكون ذلك بالنسبة الى طلب الشفاء والرزق من الرسول وغيره ونحسب أن رجلا لو طلب منه صلى الله عليه وسلم شيئا من ذلك لأنكره عليه كل الانكار

ومكان القول فى الرد على هذا الضلال واسع جداً يستطاع أن يؤتى من طرق كثيرة ، كل منها يوصل الى هدمه وتقويضه . فان الله الذى خلق الحق والحقيقة خلق الباطل ذليلا أين وجد وحيث كان ، لا يستطيع مقاومة الحق ولا يخفى على من أراد الهداية الفرق بينهما . وسوف يجىء لهذا زيادة بيان فى الأبواب الآتية

(ثانيا)

قوله وقد اختلف فى الأمر هل هو للوجوب أو للندب أو مشترك بينهما وفى النهى هل هو للتحريم أو للكراهة أو مشترك بينهما ؟ يقال فيه نعم قد وجد الخلاف فى ذلك بين علماء الكلام والنظر . ولكن اتفقت كلة السلف وقر رأى عامة المسلمين على أن الأمر « كافعل » وما يتصرف من هذه الكلمة مثل : أنتم مأمورون ، أو أمرناكم للوجوب والالزام ، بحيث أن من ترك ما أمر به يؤاخذه الله يوم الدين الا إذا قامت قرينة على أن أمراً معيناً ليس للوجوب والالزام . وحينئذ يصار حيث تدل القرينة ، واذا قامت القرينة على أن أمراً معينا ليس للوجوب تردد بين الندب والاباحة فقد يكون ندبا وقد يكون اباحة ، والأخير يكون اذا ما أتى الأمر بعد الحظر كقوله تعالى « واذا حللتم فاصطادوا » وقوله : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » وقوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث الصحيح « كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحى فوق ثلاثة أيام فادخروا وكلوا وتصدقوا » ، وقوله عليه السلام فى الحديث الآخر الصحيح « كنت نهيتكم عن الانتباذ بكذا وكذا من الأوانى فانتبذوا بما شئتم غير أن لا تشربوا مسكراً »

وظاهر كلام هذا الرافضي أن الأمر يدور بين الوجوب والندب والاشتراك

بينهما دائما ، ولكن الأمر كما ذكرنا نحن ، واذا لم يكن هنالك قرينة على الندب والاباحة فلا بد من الحمل على الوجوب والدلائل على هذا لا تحصى ، ولولا ذلك لما استطعنا أن نفهم أن الحج والزكاة والصلاة والصيام وسائر فرائض الاسلام واجبة فان الذى جاء فيها هو أوامر شديدة ووعيد شديد لمن ترك تلك الفرائض فاذا ما كانت الأوامر ليست للوجوب وكان الوعيد الشديد يكون لترك المندوب كما يقول هذا المؤلف فكيف يستطيع أن يقطع بأن أمراً من الأمور أو فريضة من الفرائض واجبة ؟

لا ريب أن الذهاب الى هذا الرأي انحلال من الدين جملة وتفصيلا

وكذلك اتفقت كلمة السلف واستقر رأى المسلمين على أن النهى مثل « لاتفعل » وما تصرف من ذلك مثل أنت منهى ، أو نهيتك للتحريم ما لم تكن فى الكلام قرينة تبين أن النهى المعين ليس للتحريم ، وحينئذ يصار الى ما تدل عليه القرينة ، وأما عند فقدان القرينة فلا بد من الحمل على التحريم ، ومن لم يصنع ذلك لم يستطع أن يقطع بأن الفواحش الظاهرة والباطنة محرمة من النهى عنها ، بل قد تكون مكروهة كراهة تنزيه فقط ، وأما الوعيد عليها باللعنات والنار فلا يدل على التحريم أيضاً عند هذا المصنف ، فقد ذكر أن تارك المندوب أو فاعل المكروه يوعد بالنار ويلعن . وهذا مؤد ولا محالة الى الاباحية المطلقة . وهذا هو ما يرمى اليه هذا المؤلف وهذا هو قيمة ردوده على النجديين أهل السنة والجماعة الذين ينهون عن الفواحش بصرامة ، ويأمرون بالطاعات بصرامة ، ولا يقبلون من يتهاون فى ذلك

وليعلم أن الدلائل الدينية واللغوية والعقلية على أن الأمر المطلق للوجوب ، والنهى المطلق للتحريم كثيرة جداً مذكورة فى كتب أصول الفقه تستطاع مراجعتها بسهولة ، ونحن إنما غرضنا هنا ذكر ما يقتضى كلام هذا الرجل من الفساد

والانحلال حيث ادعى أن معرفة المحرم والواجب من النصوص عزيزة عصية

ويح هذا الرجل وطائفته !!! تارة يدعون أن الكتاب والسنة يدلان على كل شيء حتى على العقائد الفاسدة وعلى كل الضلالات كما تقدم ، وتارة يدعون أنه تعز معرفة الواجب والمحرم ومعرفة فرائض الاسلام ، وتارة يدعون أن الكتاب محرف مزيد فيه منقوص منه ، وتارات يدعون أقبح من هـذا وهذا كما سوف يمر بك الشيء الكثير من هذا الخلط فى أثناء هذا الكتاب . وأنت اذا ما فكرت فى الحامل لهذا الرجل على الاصطدام بهـذه الحقائق الاسلاميـة العليا ، وفى محاولته القدح فى النصوص وقيمة النصوص عرفت إن كنت فطيناً أن الحامل له على ذلك كله هو طمعه فى التنصل من حجج القرآن والسنة التى يدلى بها أهل الكتاب والسنة على امتناع دعوة الأموات وامتناع الرعونات الشيعية . فان هذا الشيعى يعرف أن نصوص الاسلام ضده وضـد ما يدعو اليه ، فلا سبيل له إلا القدح فيها بايراد الشبهات عليها ، ولو كان معه شيء من النصوص لما ذهب هـذا المذهب الأبعد ، ولما غص بالكتاب والسنة كل هذه الغصص ، وما الله بغافل عما يعمل الظالمون

(ثالثا)

قوله وفى الكتاب والسنة المبالغات كسائر كلام العرب ، الجواب عليه أن يقال أن المبالغة فى كلام العرب أقسام منها الكذب الصراح المستهجن والمجازفات المنكرة على الشاعر ومن الشاعر نفسه . وهذا القسم من المبالغـة لا يمكن أن يدخل كلام الله ولا أن يدخل كلام رسوله . وهذا القسم لو ارتكبه عالم من العلماء لكان غالطاً ولكان فاعلا ما لايجوز مثله من مثله ، ومن مثل هذا القسم قول الشاعر :

كفى بجسمى نحولا اننى رجل لولا مخاطبتى إياك لم ترنى

وقوله أيضاً :

ان كان مثلك كان أو هو كائن فبرئت حينئذ من الاسلام

وقول الآخر :

لأخفت أهل الشرك حتى انه لتخافك النطف التى لم تخلق

***

وهذا النوع من المبالغات قد أباها علماء الأدب والنقد على الشعراء أنفسهم ، وهم يقولون ان أحسن الشعر أكذبه ، فكيف يمكن أن يدخل كلام الله وكلام رسوله ؟ هذا مالا يكون ، وكلام هذا المصنف صريح فى أنه يجوز عنده هذا النوع فى الكتاب والسنة ، والمسلمون والعقلاء جميعاً ينزهون كلام الله وكلام رسوله عن هذا الهراء القبيح ، فكلامهما ان يتصل به شيء من المبالغة التى تخرج عن نطاق الصدق والحق ، وذلك أنه لا يراد منهما سوى الصدق والحق ، ولهذا نجده يقول تعالى « يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار » ويقول « وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم » وانتظر الى تقييد الكلام « بيكاد » فى الموضعين بعداً عن المبالغة الكاذبة التى يتراكض الى تصيدها الشعراء

ولا يظن القارىء أن قوله تعالى « ومكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال» من هذا النوع الممنوع بل أن « أن » هنا نافية والمعنى وما كان مكرهم لتزول منه الجبال لحقارته وضآلته وضعفه ، وقد جاء فى بعض القراءات « ما » بدل « ان » أى وما كان مكرهم والمراد من الآية أن القوم وان كانوا شديدى المكر والدهاء والحال فهم أقل وأضعف من أن يغالبوا الله سبحانه فيزيلوا ما وطد أو يهدموا ما شيد كقوله تعالى « ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا » أو يكون المراد بالجبال هنا آيات الله وبيناته أى انهم لا يستطيعون أن يزلزلوا براهيننا وآياتنا التى أعطيناك إياها فنفسوها عليك وغاظهم ذلك منك ، والمعنى على كل صحيح سليم جيد

وهذا هو سبيل القرآن والسنة الذى لا يختلف لا يصل الى المبالغة الخارجة عن الواقع والصدق

وكلام هذا المؤلف ينبؤنا أنه باطنى غال متعصب ، فانه يسعى طاقته للتفصى من ظواهر النصوص ونزع الدلائل منها بما استطاع من ادعائه ضروب الاحتمالات تارة بادعائه المجازات وتارة بادعائه المبالغات وتارة بادعائه الاشتباه وتارة بقدحه فى الروايات والرواة وتارة بغيرذلك من الدعاوى الرامية عن قوس قرمطية هوجاء ولكنه فى كل ذلك لا يريش ولا يبرى

وأما تسمية بعض المعاصي كفراً كقول النبى ﷺ فى الحديث الصحيح : « اذا أبق العبد من مواليه فقد كفر » وقوله : « اثنتان فى الناس هما كفر الطعن فى الأنساب والنياحة على الميت » وأشباه ذلك فليس من المبالغة فى شىء كما يدعى هذا الرافضى

فان حاصل قوله : إن ذلك ليس كفراً ، ولكن الشارع سماه كفراً تهويلا وإرهابا ، أو كذباً بالعبارة الصريحة . وهل يكون الالحاد والقدح فى الدين غير هذا

هذا منزع للملحدين قديم يرمون من ورائه الى انتزاع الثقة من الأديان . يقولون إن ما فى النصوص من أهوال يوم القيامة المعدة للكافرين ، ومن اللذات المعدّة للمؤمنين هى أقوال غير صحيحة يراد بها المبالغة وحفز الناس الى الطاعات ، واجتناب المعاصى ، ولكن لا شىء من ذلك واقع صادق . ونحن نقول : كذبوا والله هم ، وصدق الله ورسوله فى وعده وايعاده ، والله لا يقول للشىء إلا ما يستحق ، فلا يسمى ما ليس كفراً كفراً ، كما لا يسمى ما ليس إيمانا ايمانا ، لا على سبيل المبالغة ولا على سبيل غير سبيلها ، بل لا يسمى الأمر غير اسمه

أما تسمية المعاصى كفرا فليست مبالغة بل هو وضع شرعى لها . فهى كفر حقيقة . ولكن الكفر أنواع كما جاء عن عبد الله بن عباس « كفر دون كفر » فانكار الله كفر ، وانكار الاديان كلها كفر ، والشرك بالله مع الايمان به كفر والمعاصى التى سماها الشارع كفراً كفر . ولكن هذا الكفر ليس فى مرتبة واحدة من الشناعة والقبح . فكفر يخرج من الملة وكفر لا يخرج منها ، بل يكون صاحبه مسلماً آتيا بما يسمى كفراً . وكذلك كل ما فيه مخالفة لأمر الله ، يقال فيه ذلك . فالظلم مثلا أنواع منه المخرج من الدين كالشرك بالله كقوله تعالى « إن الشرك لظلم عظيم » ومنه مالا يخرج منه ، وهو مادون ذلك . ومنه المخلد فى النار ومنه ماليس مخلداً . وكذلك الشرك منه الأصغر الذى لا يوجب الخلود فى العذاب ومنه الأكبر الذي يوجب الخلود فى العذاب المقيم الأليم .

ومثل ذلك الايمان بالله نفسه . فمنه الايمان الصحيح البرىء من الشرك ومنه الايمان الممزوج بالشرك الذى لا ينجى صاحبه كايمان الكافرين بأن الله خالقهم وخالق كل شىء حتى أصنامهم . كقوله تعالى « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » هذا هو سبيل هذه النصوص . وبها ينجو المرء من مزالق وقع فيها كثيرون . أما ماذكره من التأويل لما أضيف الى بعض الانبياء وزعمه أن ذلك بلسان الورع والتقوى لا بلسان الفقه والفتوى ، فهو تأويل بعيد عن الورع والتقوى بعيد عن الفقه والفتوى . فانه يقضى بأن يكون للكتاب والسنة لسانان وخطابان : لسان للورع ولسان للافتاء أحدهما مخالف الآخر ، وخطاب للاولياء والانبياء وخطاب لعامة الناس ، أحد الخطابين مخالف الآخر . وهذا كذب والحلال فان خطاب الشارع هو خطاب فتوى وتقوى . فخطاب التقوى لا بد أن يكون خطاب فتوى . وخطاب الفتوى لا بد أن يكون خطاب تقوى . والخاصة والعامة فى ذلك سواء . فما سماه الله من نبى معصية أو ذنباً لا يمكن أن يسميه من غيره

طاعة وقربة . وما سماه من عامة الناس طاعة وقربة لا يمكن أن يسميه من الانبياء والأولياء ذنبا . ولو كان الأمر كذلك لما صح للعامة أن يقتدوا بالخاصة من الانبياء والاولياء إذ يكون حينئذ لكل من الطائفتين خطاب ولسان وعمل خاص به ونحن اذا ما نظرنا الى ما نسب الى بعض الأنبياء تبين لنا فساد قول هذا الرجل بوضوح وجلاء ، فننظر مثلا الى ما نسب الى آدم عليه السلام من خطيئة ، فنجد أن الله نهاه عن الأكل من الشجرة وحذره ذلك تحذيراً واضحاً ، ثم نجد أنه قد أكل من الشجرة ، فقال الله له اخرج من الجنة ، فأخرجه منها وقال فى هذه المخالفة « وعصى آدم ربه فغوى » ثم ندم على أكله من الشجرة واستغفر ربه وأناب اليه فتاب الله عليه ، فهل يسمى الله أكله من الشجرة طاعة ، أو هل يقول انها ليست معصية لو كان الخطاب بلسان الفتوى لا بلسان الورع المدعى ، أو لو كان المنهى عن الأكل من الشجرة الآكل منها واحداً من عامة الناس ؟ ؟ كلام هذا الرجل يقضى بأن يكون الجواب « نعم » ولكننا نحن نقول اللهم لا

ثم ننظر الى ما حكاه الله عن نبيه موسى عليه السلام من قتل القبطى بوكزة كانت هى القاضية عليه ، فاذا ما افترضنا هذا القتل غير مشروع أو افترضنا أن موسى عليه السلام كان متعمداً القتل ، اذا افترضنا ذلك فهل يقال ان موسى عاص مقترف ذنباً لأنه يخاطب بلسان الورع والتقوى ويقال لفاعل مثل فعله من عامة الناس كأن يقتل رجلا بوكزة انه غير عاص ولا مذنب لأنه يخاطب بلسان الدين والفتوى ؟ كلام هذا الرافضي يقضى بأن يكون الجواب « نعم » ولكننا نحن نقول اللهم لا

هذان مثالان من الأمور المضافة الى بعض الأنبياء يفسدان على هذا الشيعى قوله وتأويلاته الباطنية ، وليقس عليهما ما لم نذكره

أما الذي نقوله نحن ويقوله جمهور المسلمين ويشهد له الكتاب والسنة ، فهو

أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد تقع منهم أحيانا ذنوب صغيرة وأخطاء يسيرة إقراراً للانسانيـة فيهم ، واعترافا لهم بالضعف أمام الله وأمام جبروته وكمالاته ، ولـكنهم يتوبون من ذلك بلا ريث ولا تأخير « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » ثم ان الله لا يقرهم على تلك الذنوب الصغيرة بل يعاتبهم وينبههم فيزدادون بذلك رجوعا الى الله وإنابة اليه

وكم من مرء يزداد بالذنب قربا الى ربه ، ويزيده تعالى تقريبا اليه ، لما يعقب ذلك من الندم والانابة والخشية والوقوف بين يديه ضارعا مستكينا ، كما قد يزداد بالطاعة بعداً من الله لما يكون مع ذلك عند المانين على الله من الاغترار والانخداع والامتداح بما عملوا

وبهذا التفسير لا حاجة الى التأويلات الباطنية التى حشدها الشيعى فى كتابه هذا تضليلا وجهلا

الامر السادس

قال فيه ما مختصره « ليست جميع المعاصي ولا الكبائر كفراً لكن قد يطلق على كثير من الذنوب اسم الكفر والشرك والنفاق تعظيما للذنب وتحذيراً منه أو تشبيهاً لمؤاخذته لعظمها بمؤاخذة الكفر كما قد جاء التهديد بالنار واللعن على ترك بعض المستحبات أو بعض المكروهات بيانا لتأكد الاستحباب حتى كأنها واجبة ، ولشدة الكراهة حتى كأنها محرمة ، أو لأن التهاون بها ربما يجر الى التهاون بالواجب ، كما ورد أن من ترك فرق شعره فرق بمنشار من نار . ونظير ذلك اللعن على فعل المكروه كلعن المحلل والمحلل له ، ولعن النائم فى البيت وحده والمسافر وحده وآكل طعامه وحده ، واطلاق المعصية على فعل المكروه ، كما فى المعاصي المنسوبة الى الأنبياء . قال : وحكم

الوهابيون بكفر تارك الصـلاة وإن لم يكن مستحلا واستحلوا القتـل بترك بعض فرائض الاسلام أو شعائره على عادتهم فى تكفير المسلمين وإحلال دمائهم اقتداء بالخوارج »

وهنا نقل من كتاب الهدية السنية لعلماء نجد كلاماً فى حكم تارك الصـلاة وفيها أن العلماء مختلفون فى إكفار تارك الصلاة ، وذكر أدلة الفريقين وذكر بعض الأحاديث الدالة على كفر تارك الصـلاة وفيه أيضا أن العلماء مختلفون فى قتل تارك الصـلاة وأن الجمهور ومنهم الأئمة الأربعة خلا أبا حنيفـة قائلون بقتله وذكر من دلائلهم قوله تعالى فى سورة التوبة « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » وقوله ﷺ فى الحديث الصحيح : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة)

ثم قال بعد ذلك :

« ونقول أما الأحاديث التى أطلق فيها الكفر على جملة من المعاصى فقـد عرفت أنه لم يرد بها الحقيقـة ، وأما الاستدلال بآية فاقتلوا المشركين فغير صحيح لأن الاسلام قول باللسان وعمل بالأركان فمن كان مشركا وتشهد الشهادتين ولم يأت بأعمال الاسلام لا يحكم باسلامه بخلاف المسلم الموحد المولود على فطرة الاسلام الملتزم بأحكامه الفاعل لها اذا عصى بترك فرض يعتقد وجوبه ويعلم أنه عاص بتركه فالآية واردة فى الأول لافى الثانى . والحاصل أنه لايجوز التهجم على دماء المسلمين بأخبار غير ظاهرة وبأقوال الاجهورى والأذرعى والحرانى والهيتمى »

ونحن نسأل الله أن يفرغ علينا صبره كى نستطيع مجابهة مافي هذا الكتاب من العناء والبلاء والخروج عن الصراط المستقيم

(اولا)

قوله : ليست جميع المعاصى كفراً ، لا معنى لحشره هنا لأن القوم الذين يزعم أنه يرد عليهم لايقولون ان جميع المعاصى ولا جميع الكبائر كفر . فلا يدعون أن الزانى والسارق والقاتل وظالم الناس وآكل الربا وأموال الناس بالباطل ، لايدعون أن أحداً من هؤلاء كافر إذا ما كان مؤمنا بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر ايمانا صحيحا ، واذا ما سلم عمله من الشرك بالله وعبادة غيره . بل هم يبرءون ممن يكفّرون المؤمنين العصاة ، ويعدونهم مخالفين الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة المهديين ، ويوردون من الدلائل على ذلك أشياء كثيرة لا يعلمها هذا المؤلف ولا طائفته ، وهذا مذكور فى كتبهم المطبوعة لا يخالف فيه واحد منهم

فما الذى دعا هذا الرافضى الى حشده هذا الأمر فى هذا الكتاب ؟ ؟ ؟ انه يريد بذلك التضليل وترويج الكذابة على أهل نجد وغيرهم من أهل السنة بزعمه أنهم يكفّرون بالذنوب ليدعى أنهم هم الخوارج كما سوف يجىء فى مقدمته الثالثة

(ثانيا)

ان الشيعة فى الحق هى التى تكفّر بالذنب لا من يرد عليهم هذا الشيعى العنيد فانهم يكفّرون من لا يؤمن بامامهم المعصوم المنتظر ، ومن لا يؤمن بالعصمة لأئمتهم ومن لا يقدم عليا على أبي بكر والخلفاء ، ومن لا يبرأ من معاوية وعمرو بن العاص وعائشة والآخرين ، بل ويكفّرون الخلفاء الراشدين الثلاثة لأنهم كما زعموا اغتصبوا الخلافة من الخليفة الحق على ، ويكفرون من مكن هؤلاء الخلفاء من الخلافة وقدمهم على علي رضى الله عن الجميع ولا رضى عمن سب أحداً منهم ، وقد يكفرون كل من لايكون شيعيا من المسلمين الأولين والآخرين وفى هذا الكتاب الذي نتولى الرد عليه ص ٦٥ بيتان من الشعر فى غاية البذاءة والوقاحة يقدح

قائلهما فى غير الشيعة من آل البيت أشنع القدح ، مع العلم بأن أكثر آل البيت ليسوا شيعة ، والبيتان هما :

اذا علوى تابع ناصبياً لمذهبه فما هو من أبيه
فان الكلب خير منه طبعا لأن الكلب طبع أبيه فيه

والناصبى عند هؤلاء القوم البعداء هو من قدم أحداً على علي فى الخلافة أو فضله عليه ، فكل علوى يفضل أبا بكر أو عمر أو عثمان أو يقدمهم على علىّ فليس لأبيه ولا منه ، أى انه ابن زنا ، وهو شر من الكلاب خلقاً وطبعاً لمحافظة الكلاب على طباع آبائها بخلاف العلوى الذى يفضل أحداً على علىّ . فالمسلمون الذين لايفضلون علياً على جميع الصحابة هم شر من الكلاب ، والكلاب خير منهم طباعا عند الرافضة والشيعة ، وهذا شر مايكون من القدح والأذى . وقد ثبت فى البخارى وغيره من طرق لا تحصى أن علياً نفسه كان يفضل أبا بكر وعمر على نفسه وعلى غيره فهو ناصبى وهو شر من الكلاب عند هؤلاء القوم المبعدين

وفى كتاب الوشيعة (ص ٢٤) تحت عنوان : « كتب الشيعة فى الفرق الاسلامية » :

« صرحت كتب الشيعة أن الفرق الاسلامية كلها كافرة ملعونة خالدة فى النار إلاّ الشيعة . والمخالف مطلقاً شر من الكفار . وصرحت كتب الشيعة أن دم الناصب وماله حلال إلا امرأته لأن نكاح أهل الشرك جائز . والناصب على حسب بيان كتب الشيعة من يقدم الأول والثانى على على أو يعتقد إمامة الأول والثانى . وتقول كتب الشيعة ان الله قد نصب علياً علماً بينه و بين خلقه من أنكره فهو كافر ومن أشرك معه آخر فهو مشرك وإن ايمان المخالف فى الامامة لا إيمان له هو للنار والى النار . والمخالف فى الامامة حكمه حكم المشرك والكافر فى جميع الأحكام ، لكن أجرى عليهم زمن الهدنة حكم المسلمين رحمة للشيعة . واذا ظهر القائم قائم آل محمد أجرى على المخالف فى الامامة حكم المشرك والكافر فى جميع الأحكام . ويقول

الامام الباقر والصادق : لولا أنا نخاف عليكم أن يقتل رجل منكم برجل منهم والرجل منكم خير من مائة الف رجل منهم لأمرنا كم بقتلهم كلهم ، ويقول الامام فى أئمة المذاهب الأربعة من هذه الأمة : لا تأتهم ولا تسمع منهم لعنهم الله ولعن مللهم المشركة . وفى التهذيب[1] كان الصادق يقول خذ مال الناصب حيث ما وجدته وادفع الينا الخمس[2] »

فهذا القول الذى ذكره هذا المصنف هنا يوجَّه الى طائفته وبنى دينه الرافضة لا الى أهل السنة

(ثالثاً)

أما إطلاق الكفر والنفاق والشرك على بعض الذنوب فقد تقدم الكلام عليه فى الأمر الذي قبل هذا وتقدم أن هذه الاسماء ، الكفر والنفاق والشرك أنواع صغرى وكبرى مخرج من الملة وغير مخرج كشأن جميع الاسماء الشرعية وغيرها منها ما يكون للمعنى الأكبر ، ومنها ما يكون للمعنى الأصغر ، ومنها ما يكون لما بين ذلك فالاستغاثة بالموتى مثلا شرك أكبر ، والحلف بغير الله شرك أصغر ، كما جاء فى الاحاديث . فكلا العملين يسمى شركا تسمية حقيقية شرعية ، ولكن أحدهما أكبر مخرج من الاسلام ، والثانى أصغر غير مخرج من الاسلام . وكذلك جحود القرآن والاسلام مثلا كفر ، وقتال المسلمين كفر ، كما جاء فى الاحاديث الصحاح ، ولكن الكفر الاول كفر أكبر مخلد فى النار ، والثانى دون ذلك

---

(١) التهذيب أحد كتب الشيعة المعتمدة

(٢) يلاحظ أن الشيعة تنسب الى أئمة آل البيت كذباً وهى تسبهم فيما تحسب أنها تستدل بأقوالهم

والكذب على الله وعلى كتابه وادخال ماليس منه فيه من أفظع أنواع الكذب وأكبرها وهو كذب يخرج صاحبه من دين الله . والكذب على الناس لأسباب دنيوية كذب لكنه دون الاول فظاعة وعاقبة وعقوبة . وكلا النوعين كذب ولكن شتان ما بين النوعين . بل والايمان بالله منه الايمان الصحيح التي المستوجب رضا الله . ومنه الايمان المشوب بالشرك والكفر بالله ، كايمان المشركين . وهذا قد تقدم

أما التأويلات التي ذكرها الشيعي فهي تأويلات فاسدة قرمطية

(رابعا)

أما زعمه أنه جاء التهديد بالنار واللعن لمن ترك بعض المستحبات أو فعل بعض المكروهات ، فزعم يأباه الله ورسوله والمؤمنون . فان الله لا يمكن أن يوعد بالنار أو يلعن إلا من يستحق ذلك الوعيد وتلك اللعنة . ولا يستحق النار واللعن إلا من فعل فعلا منكراً أو ترك أمراً واجبا . فانه لو قال من فعل كذا فله النار وكان ذلك الفعل الموعد عليه أمراً مستحباً ليس واجباً فعله ولا مؤاخذا فاعله لكان ذلك القول كذبا صحيحاً صريحا ، والله لن يكذب أو يخلف في وعده أو إيعاده . ولو قال من فعل هذا الامر فهو ملعون ، وكان ذلك الامر في الواقع أمراً غير واجب ولا معاقبا عليه ، لكان ذلك القول كذبا أيضا . لان اللعن معناه الابعاد من رحمة الله ورضاه ، كما يقول العلماء ، وكيف يبعد من رحمة الله من لم يفعل محرماً ومن لم يدعْ واجبا ؟ ! هذا مالا يكون

واذا كان الله يلعن ويوعد بالنار من يدع المستحبات ومن يفعل المكروهات فكيف يمكن أن يعلم الواجب من غيره والحرام من الحلال ! ؟ أمن الامر والنهي مثل (افعلوا) و (لا تفعلوا) ! ؟ إن هذا الرجل قد ذكر في (الأمر الخامس)

أن هاتين الصيغتين أي الأمر والنهى لا يدلان على الوجوب ولا على الحرمة دلالة بينة لكثرة اللبس والاختلاف . وذكر هنالك أيضاً أنه يصعب معرفة الواجب والمحرم من الأمر والنهى

فاذا كان الأمر بالشيء والوعيد بالنار واللعن لايدل شيء منها على وجوبه شرعاً ، فمن أين يعلم وجوب الواجبات ؟ واذا كان النهى عن الشيء والوعيد بالنار واللعن على فعله لا يدل على أنه حرام شرعاً فكيف يعلم أن شيئاً من الأشياء حرام شرعا ؟ لاجرم أن أقوال هذا الرافضى تقضى بأن لايعلم الحلال من الحرام والواجب من غيره . وهذا عين الفوضى والانحلال والاباحية المسرفة وهل يستطيع هذا المصنف أن يتنصل من هذا الالزام المحرج ؟ ليفعل إن كان مستطيعا

والأحاديث التي استدل بها هنا قوله (من ترك فرق شعره فرق بمنشار من النار) وقوله (لعن النائم وحده والمسافر وحده وآكل طعامه وحده) هى أحاديث تحتاج الى الصحة والاثبات وبغير ذلك لا تقبل . وهنا خالف ما قاله (فى الامر الخامس) وتقدم من أنه من الخطأ المحض القول بمضمون الخبر لوجوده فى الكتب أو لتصحيح بعض الناس له . وهذه الأخبار لو صحت لكان فرق الشعر واجبا ولكان نوم الرجل وحده وأكله وحده وسفره وحده حراما . فهل يستطيع تصحيح هذه الاحاديث ؟ هذا مايعسر عليه

وأما حديث المحلل والمحلل له فهو حديث رواه الامام أحمد والنسائى والترمذى وصححه وروى مثله من طرق أخرى صحيحة

و (المحلل) هو الذى يتزوج المرأة قاصداً أن تحل لزوجها الأول . و(المحلل له) هو الذى يرضى ذلك ويطلبه . وهذا العمل من الفاعلين في غاية الخسة وضعة النفوس وصغارها وهو حرام شنيع على الاثنين معاً (المحلل والمحلل له) وعلى المرأة

أيضاً اذا كانت عالمة وقد جاء فى حديث آخر أن الرسول ﷺ قال (ألا أخبركم بالتيس المستعار قالوا بلى يا رسول الله قال هو المحلل ، لعن الله المحلل والمحلل له) رواه ابن ماجه ، ولا نحسب إنساناً يشتمل على شيء من اباء النفس والرجولة الحرة يرضى بأن يقدم زوجه الى رجل وحش ليفترسها كى يفترشها هو من بعده

وعندنا أن هذا النوع من أقبح أنواع الزنا المنكر . فمن ذا الذى قال لهذا الرافضى إن هذا العمل ليس حراماً ، وقد اعترف أن الرسول ﷺ لعن فاعله ، ومن ذا الذى أعلمه أن ذلك حلال مكروه فقط ؟ ان منطقه فى هذه المسألة هكذا : فاعل المكروه ملعون والدليل على أنه ملعون لعن المحلل و المحلل له : والدليل على أن هذا التحليل مكروه فقط و ليس حراما أن مرتكبه وراضيه ملعونان . هكذا منطق هذه المسألة ، وهو منطق خليق بأن يعزى للجان

نعم الشيعة تحلل (التحليل) لأنها ترى جواز ما هو أفظع منه ، أعنى متعة النساء وهي شر من التحليل وأبعد تحليقا فى جواء الاثم والجريمة . فمن أباح متعة النساء فكيف يحرم فعل (المحلل والمحلل له) والمتعة التى تتعاطاها الرافضة أنواع صغرى وكبرى ، فمن أنواعها أن يتفق الرجل والمرأة المرغوب فيها على أن يدفع اليها شيئاً من المال أو من الطعام والمتاع وإنْ حقيراً جداً على أن يقضى وطره منها ويشبع شهوته يوماً أو أقل أو أكثر حسب ما يتفقان عليه ثم يذهب كل منهما فى سبيله كأنهما لم يجتمعا ولم يتعارفا . وهذا من أسهل أنواع هذه المتعة

وهناك نوع آخر أخبث من هذا يسمى عندهم بالمتعة الدورية ، وهي أن يحوز جماعة امرأة واحدة فيتمتع بها واحد من الصبح الى الضحى ثم يتمتع بها آخر من الضحى الى الظهر ، ثم يتمتع بها آخر من الظهر الى العصر ، ثم آخر الى المغرب ، ثم ثم آخر الى العشاء ، ثم آخر الى نصف الليل ، ثم آخر الى الصبح . وهم يعدون هذا النوع ديناً لله يثابون عليه . وهو من شر أنواع المحرمات

فالرافضة يحلون « التحليل » ويحلون ماشاءوا من الفواحش مادامو يحلون هذا النوع من المتعة المنكرة

أما نحن فنقول ان « التحليل » حرام والدليل على ذلك عندنا أن الرسول الكريم لعن فاعله وقابله . ورسول الله ﷺ لايلعن الا من استحق اللعن . ومن لم يفعل محرماً أو يدع واجبا فلن يستحق اللعن

وأما الأمور المنسوبة الى الانبياء فقد تكلمنا عليها فى الأمر الذى قبل هذا

(خامسا)

أما قوله « فحكم الوهابيون بكفر تارك الصلاة وإن لم يكن مستحلا » فنحن نقول : الكلام على هذا فى مقامين :

(المقام الاول) أن الوهابيين ليسوا منفردين بهذا الحكم ولا مبتدعيه . بل هم تابعون أئمة الاسلام : الامام أحمد وغيره . وقد شاركهم فيه جماهير من الأئمة وعلماء الحديث والصحابة ومن بعدهم ومن قبلهم

و (المقام الثانى) بيان أن الحق مع من كفر تارك الصلاة .أما المقام الاول فقد سبق (الوهابيين) اليه صحابة رسول الله . فروى الترمذى والحاكم وصححه على شرط البخاري ومسلم ، عن عبد الله بن شقيق العقيلى قال : كان أصحاب رسول الله لايرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة ، وذكر فى نيل الاوطار عن على رضى الله عنه بخصوصه أنه كان يكفر تارك الصلاة . والشيعة تدعى كذبا أنها تابعة عليا وولده

وروى البخاري أن حذيفة الصحابى الكبير رأى رجلا لايتم الركوع والسجود فقال ماصليت ولو مت مت على غير الفطرة التى فطر الله عليها محمداً ﷺ

وقال ابن حزم : « قد جاء عن عمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل

وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة أن من ترك صلاة فرض واحد متعمداً حتى يخرج وقتها فهو كافر مرتد . قال ولا نعلم لهؤلاء الصحابة مخالفا »

وروى ابن رجب فى كتاب (جامع العلوم والحكم) عن أيوب السختيانى أنه قال : ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه . وهو يعنى بذلك إجماع الصحابة . وروى ابن رجب فى الكتاب المذكور أيضاً عن اسحاق أنه قال أجمع أهل العلم على ذلك . والعلماء المتقدمون إذا أطلقوا الاجماع يذهب أول ما يذهب الى الصحابة وكبار التابعين . وقد لا يعنون غيرهم ولا يعتدون بالمخالفين بعدهم

اذن فقد سبق الوهابيين الى هذه المسألة الصحابة أجمعين كما رأيت وسبقهم بعد الصحابة طوائف من علماء المذاهب والأخبار . فمذهب الامام أحمد واحدى الروايتين عن الامام الشافعى ا كفار تارك الصلاة

قال ابن رجب فى(جامع العلوم والحكم): « قد وردت أحاديث متعددة تدل على أن من ترك الصلاة فقد خرج من الاسلام . وقال عمر لا حظَّ في الاسلام لمن ترك الصلاة . وقال سعد وعلى بن أبى طالب من تركها فقد كفر »

وفي (الترغيب والترهيب) للحافظ المنذرى « قد ذهب جماعة من الصحابة ومن بعدهم الى تكفير من ترك الصلاة متعمداً لتركها حتى يخرج وقتها منهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس ومعاذ بن جبل وجابر بن عبد الله وأبو الدرداء . ومن غير الصحابة أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وعبد الله ابن المبارك والنخعى والحكم بن عتيبة وأيوب السختيانى وأبو داود الطيالسى وأبو بكر بن أبى شيبة وزهير بن حرب وغيرهم »

إذن فالوهابيون لم ينفردوا بهذه المسألة . وإذن تخصيصهم بها ظلم أو قلة علم : ظلم إن كان يعلم ذلك فكتمه خداعاً وتغريراً ، وقلة علم إن كان يجهل ذلك ولا يعلم أن أحداً قال قبل من يسميهم (الوهابيين) باكفار تارك الصلاة . وما هذا الرجل من الظالمين ببعيد . على أنى أقول فيه قولا لا أخاف أن أخالف به

الحق وباطن الأمر فأقول : إن هذا المصنف الرافضى جعل من سماهم (الوهابيين) رمزاً للمسلمين الحق الذين يمثلون الاسلام الحق المبرأ من الشوائب والجهالات والبدع : جهالات الرافضة وبدعها وحماقاتها . فهو يقول قال (الوهابيون) وفعل (الوهابيون) و (الوهابيون) يكفرون المسلمين ويستحلون دماءهم وأموالهم . ويعنى بالوهابيين كل من جانب آراء الشيعة وباطلها الأحمق ، ويعنى بالمسلمين الشيعة ومن دان دينهم وقبل خرافاتهم وضلالهم المبين . فكل من يأبى ذلك المعتقد الشيعى فهو وهابى فى هذا الكتاب وعند صاحب هذا الكتاب . وكل من يطابق الشيعة ويتقبل آراءهم فى الله وفى دينه وأنبيائه والصحابة والأئمة فهو المسلم الذى تجدر به الكرامة ويستوجب العطف والحنو والرضا . هذا الأمر الذي أقوله فى هذا الرافضى ، والدليل على صحة ما أذهب اليه ، أنه قد عد كل من يقول من المسلمين باكفار تارك الصلاة وهابيا مستحلا دماء المسلمين وأموالهم ، وقد رأيت أن الصحابة ـ وقد كانوا قبل أن تعرف كلمة الوهابيين بأكثر من ألف عام ـ يقولون باكفار تارك الصلاة ، فهم وهابيون . ورأيت أيضا أن علماء الحديث والسنة يقولون باكفار تارك الصلاة ، وقد كانوا قبل الوهابيين بمئات الأعوام فهؤلاء الصحابة وهؤلاء المحدثون والأئمة وهابيون ضلال تجب مقاتلتهم ومعاداتهم عند هذا الرافضى أبعده الله . إذن فالوهابيون ليسوا هم أهل نجد الذين نسبوا الى الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذى ولد منذ مائتى عام تقريبا

والدليل على ذلك أيضـا أنه يعد كل علماء الحديث والسنة وهابيين اذا ماوجدهم يأبون البدع فى الدين وفى العقائد مثل الاستغاثة بالأموات والبناء على القبور والحج اليها ونذر النذور لها والحلف بغير الله . إنه يجعل كل من أنكر شيئا من ذلك وهابيا ، وان كان قبل أن يوجد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمئات الاعوام وفى ص ٣٢٨ و ص٣٢٩ جعل الامام أبا حنيفة وأتباعه وهابيين لأنهم

منعوا سؤال الله بحق أحد من خلقه ، وفى ص٣٣٧ ثم ٢٣٨ وما بعد ذلك جعل ابن عبد البر الامام المحدث المشهور والامام البيهقى والنووى والقسطلانى وهابيين أيضاً لأنهم حظروا الحلف بغير الله ، وهكذا يصنع فى جميع الذين يخالفونه من السابقين واللاحقين ، ولا أحسبه يعد محمد بن عبد الله ﷺ وسائر الأنبياء بل وعلى بن أبى طالب رضي الله عنه إلا وهابيين ، لو عرضت عليه أقوالهم ولم يدر من قالها ، إنه يجعل كل الناس إذا ما تمسكوا بالسنة وهابيين تقدموا أم تأخروا كثروا أم قلوا

وأما المقام الثانى ـ وهو بيان أن الحق فى جانب الذين يقولون باكفار تارك الصلاة ـ فنقول لا خلاف بين الناس أن دعوة الرسول الكريم كانت مرتبة هكذا : الايمان بالله إيماناً صحيحا ، ثم الايمان بالرسول الكريم إيماناً صحيحا ، ثم إقام الصلاة ثم سائر فروض الاسلام الخمسة ، ثم شعب الايمان ، ولا خلاف بين الناس أن الرسول الكريم لم يقبل الاسلام من أحد على أن يدع الصلاة مطلقا ، وعلى أن يكتفى بالشهادتين والايمان الباطن ، ثم لا خلاف بين الناس أنه لم يكن أحد من صحابة رسول الله يدع الصلاة لوجه من الوجوه أو يعذر أحداً من المسلمين فى أن يدعها ، ولا خلاف بعد ذلك أنه لم يكن يعرف فى صدر الاسلام اسلام بلا صلاة ، ولا دين بلا صلاة ، ولا إيمان بلا صلاة . بل لم يكن المسلمون يعرفون هذه الأسماء (الاسلام) و (الدين) (والايمان) إلا أن تكون مقرونة بالصلاة وإلا أن يكون صاحبها مصليًا راكعاً لله ساجداً قائما بين يديه قيام الخاضع الخاشع المستكين ، ولم يكونوا يعرفون المسلم إلا أنه المصلى لربه الساجد الراكع له

هذه أمور لاخلاف فيها . ثم لاخلاف أن أشرف مواقف العبودية هو موقف الصلاة ذات الركوع والسجود ، والقيام والقعود ، ولا أدل على عبادة العبد لمولاه من الصلاة التى يمرغ فيها أشرف أعضاء جسده فى التراب ، ويضع أرفع مافى جسمه فوق الارض ذلا لله وعبادة له : ولاخلاف لأجل ذلك أن الصلاة أكبر برهان

يقدمه المرء المؤمن بالله على إيمانه به ، وعلى اعترافه بأنه عبده المطيع وأن من يسجد له معبود مشكور ، وأنها أعظم وسيلة تقدم لاستنزال رضا الله واستهباط الرحمة من السماء الى الارض، ثم لاريب بعد ذلك فى ان صلاة المسلم أدل على إيمانه بالله من اعترافه بذلك قولا وشهادة ، وأدل من الشهادتين . لأن الصلاة شهادة فعلية كبرى بالغة . والشهادة الفعلية أدل من الشهادة القولية . على أن الصلاة فيها الشهادتان بل لن يجد المؤمن بالله دليلا يقدمه على إيمانه فى أنواع العبادات كلها أبلغ من الصلاة .

هذه أشياء لاخلاف فيها . فمن ترك الصلاة فقد ترك أبلغ العبادات وأدلها على الايمان وأشرفها غاية ، وأكبرها وسيلة بين يدى الله وأعظمها استنزالا لرحمته ورضاه ، وأكثرها خضوعا وخشوعا لرب الموجودات . ومن ترك مثل هذه العبادة فأين يكون إيمانه وما برهانه على صدقه فى دعواه الايمان ؟ ومن ترك هذه العبادة فكيف يقال له انه ممن عبد الله وممن أسلم له ؟ ان كل أحد يستطيع أن يقول ، فالانسان يستطيع أن يقول انه مسلم ، وانه مؤمن ، وانه محسن ، وانه صديق ولى ، وأنه فوق ذلك . ولكن العمل هو الذي يصدق ذلك أو يكذبه ، واذا كان من يأبى الشهادة بأن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله مع ايمانه بقوله لا يعد مؤمنا ولا من الناجين ، فأنى يكون مؤمنا ناجيا من لم يركع لله فى حياته ركعة واحدة ولا سجدة واحدة مع وفور صحته وسلامة بدنه ؟ لسنا نستطيع أن نفهم أن من يأبى الشهادتين يكون كافراً مع ايمان قلبه ، ومن لايصلى فى حياته كلها مع ما وهبه الله من القوة والصحة والفراغ يكون مؤمنا مع المؤمنين المصلين الذين هم على صلواتهم يحافظون ؟ نحن نعلم بالضرورة أن الشهادتين ليستا أدل على الايمان والاسلام من الصلاة . وما أعظم شأن الصلاة لو يشعرون . ومن يشك فى هذا ؟

هذا من جهة ، ثم نقول من جهة أخرى اننا لانستطيع أن نتصور رجلا موفور

الصحة قوي البدن واسع الفراغ يقضي عمره الطويل العريض كله فى لهوه ولعبه ، وسروره ومرحه وخدمة شهواته ومآربه ، وخدمة دنياه وعاطفته ليلا ونهاراً ثم لا يرضى أن يركع لله الذى وهبه كل ما هو فيه من سرور وقوة وحياة ركعة واحدة ولا سجدة واحدة فى حالاته كلها ثم لا يكون من الكافرين الذين لا يوجد فى قلوبهم شيء من بصيص الايمان أو الاسلام

ونحن لا نستطيع أن نتصور أن مثل هذا الانسان يكون مسلما ، أو أنه يحمل فى قلبه مثقال ذرة من الايمان بالله ومن خوفه وحبه والخضوع له والاعتراف به ، أو أن يكون لدى مثل هذا الانسان تفكير فى معاده ومقامه بين يدي الله يوم الدين للحساب ثم الثواب أو العقاب ، كلا ان مثل هذا الانسان لن يكون فى قلبه شيء من الله ومن الايمان به والرجاء له ، وان قلب مثل هذا الانسان لا يمكن أن يكون لله فيه شيء لا قليل ولا كثير فان الأمر كما قيل :

واذا حلت الهداية قلبا نشطت للعبادة الأعضاء

وكما قيل أيضاً :

ان المحب لمن يحب مطيع

وإنسان يكون فارغاً من الله فارغا من كل لوازم العبادة لن يكون مسلما ولا مؤمنا . فالذى يدع الصلاة يكون كافراً ، لا لأنه ترك فريضة من الفرائض ، بل لأن تركه الصلاة دليل على فراغ قلبه من الايمان ومن خشية الله وخوفه وتعظيمه وإكباره ومن فرغ قلبه من ذلك فليس مؤمناً ولا كرامة . هذه فلسفة هذه المسألة

ثم نقول على نحو آخر : لو كان ترك الصلاة لا يوجب الكفر ولا ينافى الايمان والاسلام لكان ترك جميع الأعمال صغيرها وكبيرها دقيقها وجليلها من أعلاها الى أدناها لا يوجب الكفر ولا ينافى الاسلام والايمان . لأن من لا يكفر بترك الصلاة لن يكفر بترك غيرها من الأعمال . والذى يترك جميع الأعمال كلها

الصلاة والصيام والزكاة والحج والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وجميع أفعال البر والخير من المحال والضلال أن يكون من المؤمنين المسلمين الداخلين الجنات مع الداخلين . هذا محال نظراً وعقلا ودينا

هذا من طريق النظر ، وأما من طريق النص فالمسألة أوضح وأظهر . فقد أطنب الكتاب العزيز والسنة الصحيحة فى مسألة الصلاة أى اطناب ، وأوعدا من تركها أو تهاون فى أدائها أنواع الايعاد وهددا غير المصلين بالنار والغى والويل والكفر والشرك ، فقال تعالى « ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين » وقال « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً » وقال تعالى « واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون * ويل يومئذ للمكذبين » وقال تعالى « يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون » وقال تعالى « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين » وقال « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » الى غير ذلك من الآيات المعلومة

وأما الأحاديث فروى مسلم وغيره عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال (بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة) وروى أصحاب السنن أنه قال عليه السلام (العهد الذى بيننا وبينكم الصلاة فمن تركها فقد كفر) وروى الامام أحمد عن رسول الله أنه ذكر الصلاة يوماً فقال (من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهانا ولا نجاة يوم القيامة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبيّ بن خلف) وروى البخارى أنه عليه الصلاة والسلام قال (من ترك الصلاة فقد حبط عمله) وروى أحمد بن حنبل وابن ماجه أنه قال (من فاتته صلاة العصر حبط عمله) وروى البخاري ومسلم أنه قال عليه السلام (بنى الاسلام على خمس شهادة أن

لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان) وفي حديث جبريل المشهور الصحيح : أنه لما سأل النبي عليه السلام عن الاسلام قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة الحديث . والأحاديث في هذا الموضوع كثيرة جدا والقرآن بجملته مبين في آيات لا نحصيها الآن أن المؤمنين الذين يحوزون هذا اللقب هم الذين يقيمون الصلاة ويحافظون عليها وهذا مذكور في أوائل السور كأوائل سورة البقرة ، وسورة الأنفال ، وسورة المؤمنون ، وغير ذلك . كما قد بين بجملته أيضا أن أهل الجنة الوارثين لها هم العاملون الصالحات ، وأول مايفهم من الأعمال الصلاة ولا شك ، وكم في القرآن من أمثال قوله « ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » وقوله « هل تجزون إلا بما كنتم تعملون » وقد وضع البخاري في صحيحه بابا جعل عنوانه (باب من قال الايمان هو العمل) لقوله تعالى « وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون »

وما يوجد في الكتاب العزيز على ما أذكر أن الله قال لأحد من أهل الجنة ادخل الجنة بإيمانك المجرد من العمل وعقيدتك بأن الله وحده خالق كل شيء ، والشيطان نفسه مؤمن بالله وبأنه الخلاق وحده فلما أن قيل له اسجد لآدم فأبى السجود أصبح من الكافرين المبعدين من رحمة الله ولم ينفعه ايمانه بالله وبأنه خالق كل شيء ورب كل شيء بل قيل له اخرج منها انك رجيم ، وهذا أمر يطول بنا القول فيه اذا أردنا استقصاءه

وثمت أمر يجب أن يعرف ، ذلك أننا وجدنا بالاستقراء أن الذين لا يصلون يتجردون من الخير ومن كل عاطفة دينية لا يتأثمون من غشيان المحارم أصغرها وأكبرها ولا يتهيبون اقتحام السبل المضلة الأثيمة ولا يدعون من الشر الا ماعجزوا عنه ولا يفعلون من الخير الا ما اضطروا اليه ، وبالاجمال يدعون أنفسهم تذهب وراء سجياتها والظلم من بعض سجاياها ولا شيء يحجزها عن آثامها سوى

مراقبة الله وخشيته ومن لم يصل لله فلن يراقبه وان يخافه ولن يعبأ بثوابه أو عقابه وقد قال الله فى هذا « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وقد بولغ في تكرار الصلاة فى اليوم مرات لهذا الغرض الاجتماعى العظيم غرض تنقية النفوس من آثامها وذنوبها ، فالذين لا يصلون هم ولا ريب جوارح الآثام وغذاء المعاصى والجرائم فهم لا يصلحون لأن يحملوا اسم المؤمنين أو يجازوا ما يجازى به المؤمنون . هذا مضاف الى ما تقدم من اجماع الصحابة على اكفار تارك الصلاة

هذا عن اكفار تارك الصلاة . وأما قتل تاركها ، فقد ذهب أكثر أئمة الاسلام ومنهم الائمة الثلاثة احمد والشافعى ومالك الى وجوب قتله حدا عند من لايقول بكفره أو كفرا وردة عند من يقول بذلك . وذهب الامام أبو حنيفة كما هو مشهور فى مذهبه وآخرون الى أنه لايقتل بل يعزر مثل أن يضرب ويسجن ويهان حتى يصلى . واحتج القائلون بوجوب قتله بقوله تعالى « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » . وبالحديث المتفق عليه « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة » الحديث . وقد ورد هذا الحديث وصح من طرق كثيرة . ولا خلاف بين أهل الحديث فى صحته : واحتجوا أيضا بالأحاديث الكثيرة التى فيها أنه يقال للرسول الكريم « ألا نقتل فلانا » أو « ألا تأمرنا بقتله » لمن قال أقوالا تنبىء عن نفاقه وغدره فيكون جواب الرسول الكريم : لا ، لعله يصلى . أو نهيت عن قتل المصلين . أو لا ماأقاموا الصلاة . ونحو ذلك واحتجوا أيضا بالأدلة السالفة الدالة على كفر من ترك الصلاة فان من يقول بكفر التارك يقول بقتله

هذه بعض دلائل القائلين بالقتل . ويدل عليه أيضا أن الصحابة أجمعوا على قتال من منعوا الزكاة بعد وفاة رسول الله وقال أبو بكر فى ذلك كلمته المشهورة الخالدة والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم على منعه واحتج

الصحابة على ذلك بالحديث المذكور « أمرت أن أقاتل الناس » . الحديث . والاحاديث صريحة فى هذه المسألة كما أن الآية المذكورة صريحة أيضا فان الآية قيدت تخلية سبيل الناس بثلاثة أمور: التوبة من الشرك ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ـ فمن لم يجمع هذه الأمور الثلاثة لم يخـلَّ سبيله ، ولم يعصم ماله ودمه من سيوف المؤمنين

وأما جواب هذا الرافضى عن الآية بادعائه الفرق بين من ولد مسلما وبين من دخل الاسلام بعد كفره وإدعاؤه أن الآية خاصة بالأول دون الثانى فجواب وادعاء باطلان ، لأنه اذا سلم بأن من أراد الدخول فى الاسلام بعد كفره فشهد الشهادتين وتظاهر بمظاهر المؤمنين المسلمين إلا أنه لم يصل ولم يزك كسلا ، مع اعترافه بوجوب ذلك كله ، إذا سلم بأن ذلك الانسان لا يحكم باسلامه ، ولا يخلى سبيله ولا ينجو من أسياف المؤمنين فكيف يدعى بأن من ولد على الاسلام وصار مسلمًا بالتقليد والمحاكاة يحكم باسلامه ويخلى سبيله ولا ينال بسوء وإن ترك الصلاة والزكاة والفرائض أجمع ؟ لا يدرى ما الفرق بين الرجلين فى الخيال الرافضى . . ؟ أنا أحسب أن الداخل فى الاسلام حديثًا أولى بالعذر والصفح من المولود فى الاسلام إذا لم يصلّ ويزك ويعمل لله عملا . ولكن هذا الرجل لا يدع المنطق يسير فى وجهه وسبيله الصحيح

وماذا يقول فى نصرانى أو يهودى أو ملحد أراد الدخول اليوم فى الاسلام والايمان بالقرآن وبالنبى الكريم وبالدين جملة ، فآمن كذلك ولم يأت بأمر يقدح فى ايمانه واسلامه إلا أنه ترك الصلاة والأعمال كسلا مع اقراره بوجوبها وايمانه بأنها فريضة من الفرائض اللازمة . مثل هذا الرجل لا يحكم باسلامه هذا الشيعى كما قال هنا ، ولكن يحكم باسلام جهال الشيعة الذين ولدوا شيعة رافضة يقدحون فى خيار الصحابة من الأنصار والمهاجرين ويعبدون الأموات ويأتون من المعاصي

بالأفانين ، وان لم يصلوا لله ركعة واحدة ولم يعملوا خيراً قط . هؤلاء عند هذا الرجل مسلمون لا يؤذون ولا يساءون أما ذلك المسلم الحديث الفيلسوف مثلا المؤمن بالحجة والدليل فليس مسلما ولا مؤمنا عنده ، بل هو كافر يجب إزهاق روحه

فالآية عامة لا يصح تخصيصها . والله لم يخصصها ولا رسوله ولا أحد من المؤمنين المقتدى بهم

أما قوله ان الأحاديث التي أطلق فيها الكفر لم يرد بها الحقيقة فجوابنا عليه ما قدمناه في الأمر الخامس

وأما الحديث الذى زعم أنه يعارض الأحاديث الصحيحة فى إكفار تارك الصلاة فهو حديث ضعيف لأن فيه راويا غير معروف . والحديث هو ما روى عنه ﷺ أنه قال « خمس صلوات كتبهن الله على العباد من أتى بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة . ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء غفر له » . رواه الامام أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه »

فهذا لا يستطيع معارضة الأحاديث الكثيرة الصحيحة والآيات السالفة

(سادسا)

قوله « واستحلوا القتل بترك بعض فرائض الاسلام على عادتهم فى تكفير المسلمين وإحلال دمائهم اقتداء بالخوارج »

نقول فيه إن هذا القول من هذا الرافضى طعن وجيع فظيع فى جميع الصحابة وجميع العلماء الذين قالوا بوجوب قتل تارك الصلاة وهم أكثر العلماء كما قدمنا ، بل هو طعن وجيع فظيع في جميع المسلمين فى جميع العصور ، لأنه لا يوجد مسلم فى الأرض ولا امام من أئمة الاسلام الا ويكفر بترك بعض فرائض الاسلام . ولو أن أهل

بلدة من البلدان الاسلامية اجتمعوا على ترك جميع فرائض الاسلام كالصلاة والصيام والحج والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك لوجب قتالهم في جميع المذاهب الاسلامية

وقد أجمع الصحابة بقيادة أبي بكر على قتال مانعي الزكاة ولم يخالف في ذلك أحد لا علي ولا غيره ، وأجمعوا على اكفار تارك الصلاة كما قدمنا ، وأتى عن علي نفسه أنه كان يكفر تارك الصلاة

فالصحابة كلهم وهؤلاء الأئمة كلهم ضلال يستحلون دماء المسلمين وأموالهم اقتداء بالخوارج لأنهم قاتلوا مانعي الزكاة وأجمعوا على كفر تارك الصلاة كالوهابيين فهم إذن وهابيون . وهذا الرافضي إذن يرد عليهم في كتابه « كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب » . وهم كلهم من أتباع محمد بن عبد الوهاب المقتدين بالخوارج

واذا ما كان هذا الشيعي يرد على هؤلاء المسلمين جميعاً ويقدح فيهم كافة ، وينازعهم ويخالفهم فمن هم المسلمون الذين يدعي الغيرة لهم والدفاع عنهم وانقاذهم من تكفير الوهابيين وأسيافهم ؟ أهم جهال الرافضة أعداء أبي بكر والصحابة الكرام وأعداء أهل السنة والجماعة ؟ ويل لصاحب هذا الكتاب من كتابه وويل للشيعة من عالمهم هذا

نحن نعلم أن الشيعة تقدح في هؤلاء المسلمين وتفاخر بالقدح فيهم وتجاهر ، ونعلم أنه لا يسوءهم أن نقول فيهم هذا . ولكن لما كان هذا الرجل يدعي في هذا الكتاب أنه موافق المسلمين ماخلا الوهابيين ، وأنه يغار لهم ويعدهم مسلمين ويعد أقوالهم حججاً وبراهين كان عدلا أن نرد عليه بما رددنا

وقوله (انه لا يصح الهجوم على دماء المسلمين بأخبار غير ظاهرة وبقول الأجهوري والأذرعي والحراني والهيتمي) نقول جوابا له : ومن ذا الذي قال إن

أقوال هؤلاء حجة فى الشرعيات فضلا عن أن تباح دماء المسلمين بآرائهم ؟ ليعلم إن كان لا يعلم أننا معشر السلفيين لا نحتج فى أصول ديننا إلا بأمرين كتاب الله وسنة رسوله . ونحن لا نذكر آراء العلماء إلا تقوية واستئناسا وردا على من يدعي أننا منفردون بما نقوله فى هذه المطالب العليا ، أو اقناعاً لمن يدعى التقليد والذهاب مع العلماء المهتدين ، وهذا الرجل الذى يزعم أن هؤلاء العلماء غالطون متشددون وأنه لا يجوز تكفير المسلمين انسياقا وراء آرائهم سوف يمر بك أنه يحتج بأقوالهم ويتعصب لها ويعارض بها الوحيين ، ولا سيما أقوال ابن حجر الهيتمى ، بل ويكاثر بذلك ويفاخر ، وسيمر بك أنه يستحل لحوم أكابر علماء السنة كشيخ الاسلام ابن تيمية ومن كان مثله بأقوال الهيتمى ومن هو أقل من الهيتمى من أرباب البدعة الغلاة . فالرجل لدى هذا الشيعى فاضل محقق قوله حجة اذا ماوجد عنده بدعة نكراء ، وجاهل غبى لايعتد بآرائه ولا بما يقول اذا وجد عنده سنة أو حقا وهذا صنيع أسرى الاهواء

وأما أن الاخبار فى اكفار تارك الصلاة غير ظاهره فجواب ذلك قد سلف

الامر السابع

قال مامعناه « الاجماع حجة شرعية ، وهو قولى وفعلى ، والقولى هو ما اتفقت عليه أقوال أهل الحل والعقد من أمة محمد ، والعملى هو ما اتفقت عليه سيرة المسلمين » قال « وهو حجة شرعية لقوله ﷺ (لا تجتمع أمتى على خطأ) أو لوجود معصوم بينهم بناء على عدم خلو العصر من معصوم ، كما يقول أصحابنا ، وهو رئيس أهل الحل والعقد ، أو للكشف عن أن ذلك مأخوذ عن صاحب الشرع » قال : « والوهابيون يسلمون الاحتجاج بالاجماع » ونقل لهم كلاما فى ذلك . قال « ولكن الصنعانى وهو منهم أنكر وجود الاجماع وأنكر العلم به قائلا : ان العلماء كثيرون

مبثوثون فى أطراف المعمورة ، فما أبعد أن يتفقوا على مسألة اجتهادية ، ثم ما أبعد أن يعلم ذلك لو وقع » . قال الشيعي « ولكن كثرة العلماء لاتمنع وقوع الاجماع ولا تمنع العلم به إذا ماوقع ، فاننا نعلم بالضرورة اجماع العلماء على أن للبنتين ثلثى الميراث فرضا إذا لم يكن معهما اخوة وإن لم نشافه جميع العلماء ، ونر فتاويهم . كما نعلم بالضرورة إجماعهم على استحباب زيارة النبي ﷺ وتعظيم قبره وحجرته ورجحان بنائها والتبرك به وبها ، وجواز بناء القبور وبناء القباب عليها ، لاستمرار سيرتهم على ذلك قولا وعملا فى كل العصور . بل ليست هنالك مسألة اتفق عليها المسلمون قولا وعملا من جميع المذاهب مثل هذه المسألة » انتهى كلامه

(أولا)

قلت : اذا ما كان هذا الشيعي يسلم الاحتجاج بالاجماع ، ويسلم أن الوهابيين الذين يرد عليهم بكتابه يسلمون ذلك ويعترف لهم به ، أى اذا كان هو وهم متفقين على الاحتجاج بالاجماع فما الفائدة فى حشر هذه المسألة فى الكتاب ؟؟؟ أهو يريد تضخيم حجم الكتاب وتكثير ورقاته ليرهب به الخصوم وليخدع الناظرين وليقال رد على الوهابيين بكتاب عدد ورقاته كذا . ومثل هذا ما ذكره فى مقدمات الكتاب الثلاث فانه لا يتعلق بأكثره شيء من الموضوع

(ثانيا)

قوله الاجماع حجة لقوله لا تجتمع أمتى على خطأ فيه نزاع . فان هذا الحديث رواه الترمذى وغيره بلفظ ضلالة بدل خطأ . وهو حديث فيه رواة ضعفاء فلا يصح ومثله لا يقوى على أن يكون دليلا على أن الاجماع حجة شرعية . وهو لو كان فى بيان حكم من أحكام الفروع كالوضوء والطهارة لكان غير مقبول وغير

لازم العمل به لأجل ضعفه ، فكيف يقوى أن يكون دليلا على الاحتجاج بالاجماع ومسألة الاحتجاج بالاجماع مسألة عظمى لا يستدل لها بالأخبار الواهية الضعيفة ، فلو كانت دلائل الاجماع ما ذكر هذا الرافضي لما كان الاجماع حجة بلا ريب ، ولكن للاحتجاج بالاجماع دلائل أخرى كثيرة قوية من الكتاب والسنة والعقل مذكورة فى كتب الأصول ، وفى كتب أخرى غابت عن هذا الرجل المؤاف

(ثالثا)

قوله : « أو لوجود معصوم بينهم » هـذا الرأي خاص بالرافضة وحدهم لا يشاركهم فيه أحد من المسلمين ، وهو خطأ قائم على أخطاء . أولها اعتقادهم عصمة الأئمة ، ثانيها اعتقادهم وجود الامام المعصوم فى كل وقت ، ثالثها اعتقادهم الاتصال به ولقاءه ، رابعها اعتقادهم أنهم يتلقون الدين من ذلك الامام المعصوم مباشرة أو بوساطات . وهذه كلها أخطاء لا يصدق منها شيء ولا يقبل أهل العقل منها شيئاً وليس للرافضة على واحد منها دليل واحد

فالأئمة ليسوا معصومين ، بل هم بشر يصيبون ويخطئون وهم يموتون كسائر الناس ، ولا يختفون فى المغارات والكهوف ، كما تدعى الشيعـة . ومن مات منهم لا يبعث حتى يبعث الناس للثواب والعقاب

واذا كان المسلمون جميعاً ما خلا الشيعة لا يعتقـدون عصمة الأئمة ، بل ولا يعتقدون وجود أحد من هؤلاء الائمة الذين تعنيهم الشيعة ، ولا يصدقون بامكان الاتصال بهم ، كما لا يصدقون أن الدين يجوز تلقيه عنهم ، فكيف يقال إن دليل صحة الاحتجاج بالاجماع هو وجود الامام المعصوم . فاذا كان المجمعون لا يؤمنون بوجود هذا الامام فضلا عن أن يؤمنوا بعصمته فأنى يكون دليل اجماعهم هو هذا الأمر الذى يجحدونه ولا يعترفون به ؟ قوم لا يعترفون بوجود فلان أو فلان هل

يمكن أن يكون ذلك « الفلان » هو مصدر هداهم وعلومهم وفتاويهم . أو هل يمكن أن يتعلموا منه مسألة واحدة أو يتلقوا عنه أمراً من أمور الدنيا والدين ، وهم يؤمنون ايمانا لا شك فيه أنه غير موجود بل وهم لا يفكرون فى هذا الفلان وفى انكاره بل وهم يرون أن المؤمنين به جهلة كذبة يجب أن يزجروا وأن ينهروا على هذه المهزلة الفاضحة ؟

إنه لا جواب عن هذه الأسئلة الا أن يدعوا أن هذا الامام المعصوم المزعوم يوحى الى الناس من حيث لا يشعرون ويقذف فى صدورهم المعارف والعلوم قذفا خفيًا لا يحسونه ولا يعلمونه ، ويلقى فى قلوبهم الاجماع على المسألة ويهديهم اليها ، ويجمعهم عليها ، وهم لا يدرون من ذلك شيئًا ، فيجمعون بفعل هذا المعصوم الخفى ويكونون مصيبين فى إجماعهم بتوفيق هذا الامام الذي لا يعرف ، فاذا ما صار هذا الرافضى وشيعته الى هـذا الجواب فقد صاروا الى تأليه ذلك الامام المعصوم واعطائه صفة الربوبية كما قدمنا فى أول الكتاب أن شيوخهم يؤلهون عليًا ويؤلهون غيره من ولده وغيرهم

واذا ما صاروا الى هذا الجواب قيل لهم : ولعل مخالفيكم لا يخالفونكم الا بالهام الامام المعصوم وهدايته وارشاده . ولعلهم يتلقون منه بالطريقة المذكورة المسائل التى لا يوافقونكم عليها . ولعل المسلمين الذين لا يرتضون مذهب الشيعة ويعدونه مروقا وخروجا مدفوعون الى ذلك بالهام ذلكم المعصوم . وحينئذ يكون مذهب الشيعة غلطا ، ومن مذهبهم كل ما يقوله صاحب هذا الكتاب . لأن الامام المعصوم هو الذى ألهم بطلان مذهبهم وبغضه الى الناس . ويصير هـذا المؤلف غالطا على جميع الفروض

فان شغبوا شغبًا آخر وقالوا إن الله هو الذي يجمع المجمعين على المسألة التى ادعى فيها الاجماع ولكنه تعالى يجمعهم على رأي الامام المعصوم ويريهم ما يرى

ويرشدهم الى القول الذى يرضاه ويريده ؛ ان شغبوا هذا الشغب قيل إذن ما فائدة الامام المعصوم وما الحكمة فى وجوده وعصمته والناس لم يستفيدوا من ذلك فائدةما لا قليلة ولا كثيرة . فليس له فى اجماع المجمعين أثر ولا شيء يذكر . وغاية مافى هذا أن الله أرى المعصوم رأيا وأراه الناس المجمعين . فصار الناس والامام المعصوم متفقين فى ذلكم الرأى ؛ ولكن لم يأخذ أحد عن أحد . فالامام لم يأخذ عن المجمعين والمجمعون لم يأخذوا عن الامام . وهذا خلاف المفروض وخلاف ما تريده الشيعة وتدعيه ؟

ولو ادعى مدع العصمة للاجماع نفسه بدليل شرعى أو عقلى لكان أهدى سبيلا من ادعاء الشيعة فى هذا الامام وعصمته . وعقيدة الرافضة فى هذا الامام المدعى من أشنع المهازل والنقائص الفكرية . فان هذا الامام الذى يدعون الايمان به ويدعون أن من لم يؤمن به غير ناج من عقاب الله ليس هنالك دليل واحد على وجوده فضلا عن عصمته وتبليغه الناس . فان أحداً لم يحسه باحدى الحواس الخمس ، أو يحس أثراً من آثاره أو تتصل به رواية عنه ، لا عن الله ولا عن رسوله الكريم ولا عن أحد من الثقاة العدول ، ولا اضطره الى الايمان به عقل ولا نظر ولا شيء من الأشياء التى يعدها الناس العقلاء حججاً أو أنصاف حجج أو أشباه حجج

واذا ماقيل لهؤلاء اذا ما كان هذا الامام المعصوم المزعوم موجوداً بين أظهر الناس وأنتم تصفونه بأكمل الأوصاف من العصمة والقوة والعلم والعدل والرحمة بالخلق وحب الحق ، فلماذا لا يظهر للناس أو لكم وحدكم ليقول الحق وينصره ويخذل الباطل ويكسره ، وليدفع عن دين الله المهتضم ، وليقضى بين الناس فيما اختلفوا فيه ، بل وليقضى بين الشيعة أنفسهم فى المسائل والاعتقادات التى اختلفوا فيها ، أو اذا كان موجوداً كما تدعون فلماذا لا يخرج المصحف الصحيح الذي

تدعونه ، والأمر الجديد فى الدين الذى تزعمونه ، ولماذا يظل مختفيًا هاربًا بنفسه وأتباعه ومن به يؤمنون وإياه ينتظرون ، بل وذرية على وولده مظلومون مضطهدون كما تدعون ، اذا ماقيل لهم لماذا لايخرج لأجل هذه الاغراض الشريفة والمطالب العالية لم يجدوا جوابا غير هروبهم إلى وصفه بالجبانة والمخافة والاختفاء خوف الأعداء . ما أهونها من دعوى وأهونه من جواب !

ما آن للسرداب أن يلد الذى ثلثتموه بزعمكم ما آنا ؟
فعلى عقولكم العفاء فانكم ثلثتم العنقـاء والغيلانا

ومن ذا الذى لا يستطيع أن يدعى دعوى الشيعة فى الامام المنتظر المعصوم فيزعم مثلا أن ثمت معصومًا آخر منتظراً خروجه يخـالف معصوم الشيعة ويكذبه ويكذب قولهم فيه !!! ثم يزعم كما تزعم الشيعة أنه يتلقى من المعصوم المفروض وجوده عقائده وآراءه ومذاهبه وكل ما يتصل برأيه ودينه وصلته بالله وبالعالمين الدنيوى والأخروى . ثم يزعم فيه كل ما تزعم الشيعة فى منتظرها من العصمة والمعرفة والقوة والكمال وغير ذلك !!! وحينئذ تتعارض الدعاوى ويتكاثر المعصومون المدعون ، وتزعم كل طائفة أنها تتلقى ما تقوله فى الطوائف الأخرى عن معصومها الذي لايغلط ولا يخطىء ولا يكذب ولا يسهو ولايذنب ، وهذا نهاية الضلال والفوضى ، وهذا ما يقضى به كلام الشيعة ودعاواها . والعجب أن يكون هـذا الامام المعصوم المعدوم رئيس أهل الحل والعقد !!! فأين كانت هذه الرئاسـة ومتى كانت ومن الذى اعترف لصاحبها بالوجود فضلا عن الاعتراف له بالرئاسة والزعامة ؟!

واعجبًا لقوم يعترفون بالزعامة والرئاسـة لمن لا يرى ولا يحس ولا يسمع له قول أو يرى له أثر أو تشم له رائحة أو يدل على زعامته ورئاسته شيء من الأشياء المحسة أو المعقولة ، والناس يعجبون ممن يزعّمون عليهم جاهلا ضعيفًا عن القيـام بفروض الزعامة وحقوقها . فكيف بقوم يسلمون قيادة زعامتهم عن رضا وطواعية

الى ميت من مئات الأعوام بل الى معدوم لم يوجد بالصفة المذكورة عند الشيعة

واذا ضلَّت البصائر يوما فماذا تقوله النصحاء ؟

وقوله أو للكشف كلام باطل أيضاً ، فليس هنالك كشف بالمعنى الذي يريده هذا المؤلف ، والكشف لا يكون طريقاً من طرق الدين والأحكام الشرعية لو افترض وجوده عند بعض الناس . وما ادعى هذا الكشف أحد من سلف الأمة لا الصحابة ولا من بعدهم من الأئمة الراشدين . وادعاء الكشف هو الخطوة الجريئة الى ادعاء النبوة ثم تغيير الشرع والتلاعب به ، وما ادعى الكشف إلا ضالّ مارق أفسد عقله الخبال ، أو ملحد زنديق يكتم كفرانه وإلحاده ، واذا ما افتتح هذا الباب باب الكشف ولجه كل غوى مبين واستطاع به إفساد الشرائع وإفساد العقول والضمائر

فهذا الرافضى مثلا هو وشيعته الرافضة يدعون الكشف وغيرهم يدعى الكشف وكل يدعى وصلا لليلى فتفسد (ليلى) من كثرة من يدعيها ويدعى وصلها كذبا وفسوقا

(رابعا)

وأما ما أنكره الشيعى على الصنعانى من قوله إنه يعسر وقوع الاجماع وتعسر معرفته لو وقع لكثرة العلماء وانتشارهم فى أطراف الأرض فهو ليس إنكاراً على الصنعانى وحده ولكنه على جماهير كثيرة من العلماء سبقوا الصنعانى الى هذه المقالة فذهبوا الى أنه غير ممكن حصول الاجماع ، وذهبوا الى أنه غير مستطاع علمه لو حصل ، وذلك لكثرة العلماء ولما بين الأنظار والأذهان من التفاوت والاستعداد والاختلاف الى ما مع ذلك من تأثير البيئات واختلاف الأمزجة ، ومن تأثير الصحة والمرض والرضا والغضب ، وما يلحق ذلك من جزر الآراء ومدها ، فذهبوا

لهذه الأسباب ولأسباب أخرى الى أنه غير ممكن وقوع الاجماع ، والى أنه لو أمكن فوقع لما أمكنت معرفة وقوعه ، فان العلماء لايمكن أن يتفقوا أجمعين على رأى واحد كما لا يمكن أن يتفقوا في ساعة واحدة على أن يأ كلوا طعاماً واحداً ، أو يلبسوا زياً واحداً ، أو يفعلوا فعلا واحداً ، أو يقولوا قولا واحداً ، أو يكونوا على هيئة واحدة كجلسة واحدة ، أو نومة واحدة أو قومة واحدة أو لبسة واحدة ، وما أشبه ذلك مما لا يمكن الاجتماع عليه فى ساعة واحدة عادة ، وان كان العقل بالعرف المنطقى لا يرى فى ذلك مانعاً ، فان دائرة جائزات المعقولات أوسع من دائرة جائزات العاديات

ثم لو وقع ذلك فكيف تقع معرفته ، وهى لا طريق لها إلا الرؤية أو السماع أو الكتابة ، ولا يمكن أن يرى انسان جميع العلماء المجتهدين المعاصرين . وعليه لا يمكن أن يسمع أقوالهم كلها ؟ وأما الكتابة فلا يمكن أن يكتب كل عالم كل آرائه وكل ما يقوله ، ولو كتب كل عالم جميع آرائه لأمكن أن يكون قد رجع عن بعض ذلك مما قدر فيه الاجماع ، ولو فرض أنه كتب ذلك كله ، وفرض أنه لم يرجع عن شيء منه فهل يستطيع انسان ما أن يقرأ جميع ذلك كى يعرف أنهم أجمعوا على تلك المسألة المفترض فيها الاجماع ، ولو افترض أنه قدر على قراءة ذلك كله فقرأه فهل يمكن أن يحصر آراءهم كلهم فى ذهنه فى مسألة ما كى يعرف أنهم قالوا كلهم فيها قولا واحداً متفقاً مجتمعاً ، ثم ألا يمكن أن يكون أحد من هؤلاء قد كتب رأيه تحت تأثير غيره وتحت تأثير قوة قاهرة !!! وهذا قريب على أصول الشيعة ، لأن الكذب الذى يسمونه التقية جائز عندهم بمعنى واسع كثير بل هو مرغوب فيه مثاب عليه فى مذهب القوم

لهذه الأسباب ولغيرها ذهب جماهير من العلماء ـ وقد روى عن الامام احمد ـ الى أن الاجماع لايمكن أن يحصل والى أنه لو أمكن فحصل لما عرف

وهؤلاء العلماء يفرقون فى ذلك بين عصر الصحابة والعصور المتأخرة ، وبين اجماع الصحابة واجماع غيرهم ، فقد يرون الاجماع ممكنا ويرون معرفته ممكنة فى عصر الصحابة وعصر التابعين لفقدان تلك الأمور الآنفة في صعوبة وقوع الاجماع وصعوبة معرفته لو وقع ، فيرون أن الاجماع قد يحصل فى عهد الصحابة فيعرف حصوله ، فلا إجماع عندهم غير اجماع الصحابة ، وهذا ما يقوله طوائف من أهل العلم والحديث

وأما قوله اننا نعرف بالضرورة إجماع العلماء على أن للبنتين الثلثين ، فهو ضلال عن محل النزاع . فان النزاع فى مسألة لم ينص عليها القرآن نصاً صريحاً أو السنة الثابتة نصاً صريحاً لا يقبل الاختلاف ، أما المسائل المذكورة فى النصوص بنحو ظاهر بين فليست مما يحتج لها بالاجماع . ومعرفة هذا النوع من المسائل ليست قائمة على الاجماع ولا على معرفته . وانما طريق هذا أن يقول القائل القرآن ناص نصا جليا على أن للبنتين الثلثين مثلا . ولا يمكن أن يخالف مؤمن بالقرآن نص القرآن والا لما كان مؤمنا وقد فرضناه مؤمنا . فكل مؤمن بالقرآن يقول ان للبنتين منفردتين الثلثين . فالمسلمون اذن مجمعون على هذه المسألة ومثل هذا أن يقول القائل المسلمون مجمعون على أن كتاب الله حق وهدى ، ومجمعون على أن محمد بن عبد الله رسول الله ونحو ذلك . فهل يقال ان مثل هذا من الاجماع ، أو من دلائل وقوع الاجماع والاحتجاج بالاجماع ؟!؟ كلا . ان هذا لا يقوله عاقل . ونظيره قول القائل : ان المسلمين مجمعون على أن البنتين ترثان الثلثين . وليتفطن القارىء لهذا جيداً

وما ذكره من الاجماع على استحباب زيارة قبر الرسول وتعظيمه الى آخره نرجىء القول فيه الى مواضعه الخاصة به

وأما قوله « ان المسلمين ما أجمعوا على مسألة مثل اجماعهم على جواز البناء على القبور وعقد القباب فوقها ، فهو من أعظم المجازفات الكاذبة بل هو قول

مشتمل على أنواع كثيرة من أنواع الكفر والضلال والخروج على اصول الدين واصول العقل

أفليس من أعظم الضلال والخبال أن يقال ان المسلمين مجمعون على جواز البناء على القبور وعقد القباب فوقها قولا وعملا أعظم من اجماعهم على وجوب الصلاة والصيام والحج والزكاة وسائر فرائض الاسلام ، وأعظم من اجماعهم على الايمان بالله وبرسوله وبيوم الدين ؟؟ أفليس هذا من أعلى أنواع الالحاد ونقض قواعد الاسلام ؟؟ والا فان مسلماً عاقلا لن يقول ان المسلمين مجمعون على جواز البناء على القبور أكثر من اجماعهم على وجوب الصلاة والصيام والحج وجميع الفرائض التى لا يتم الاسلام الا بها ..

وهذا القول آت على اصول الشيعة من الغلو فى القبور والاموات والتفانى فى ذلك .. فهم يفضلون الحج الى المشاهد على الحج الى بيت الله الحرام ، بل على الصلاة والصيام وجميع العبادات ويفضلون المشاهد على المساجد ويعمرونها ويهجرون بيوت الله وان عمروا شيئا من ذلك فلأجل الاموات الموجودين فيه . . وقول هذا الرجل دليل أي دليل على ذلك .. وبعد هذا القول ينكر على شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره أن قالوا ان الشيعة يحجون الى المشاهد ويفضلون الحج اليها على الحج الى بيت الله الحرام وأنهم يهجرون المساجد ويعمرون المشاهد ، ونحمد الله أن أنطقهم بما كانوا يضمرون وأشهدهم على أنفسهم فشهدوا أن المسلمين مجمعون على التبرك بالقبور والبناء عليها وعقد القباب فوقها أكثر من اجماعهم على الصلوات الخمس وفرائض الاسلام قولا وعملا أي واعتقادا أيضا بل وأكثر من اجماعهم على الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . وعلى الايمان بالجنة والنار والثواب والعقاب لأنه يقول « بل الانصاف أنه ما من مسألة اتفق عليها المسلمون قولا وعملا من جميع المذاهب مثل هذه المسألة »

ونحن نعوذ بالله من خذلان الدنيا ويوم الدين ، واذا ما كانت مسألة البناء على القبور ورفع القباب فوقها والتبرك بها بهذه المنزلة عند الشيعة ، فلا ريب أنهم يكفرون من ينكر من ذلك شيئا ، لانه يكون منكراً حينئذ أعظم أمر ضروري في دين الاسلام - ونذكر هذا الرجل أنه قال في الامر الاول ص ٨١ وأن من الاحكام الشرعية ما هو نظري ، وجعل من أمثال ذلك البناء على القبور وقال هنالك ان المخالف في الامور النظرية لا يضلل ولا يفسق كما لا يعارض ولا ممانع !! وما أكثر ما بين القولين من التخاذل

الامر الثامن

قال « ان الأصل في الأشياء أن تكون حلالا ما لم يقم دليل على أنها حرام واحتج بأنه قبيح في العقل العقاب بلا بيان واحتج بقوله تعالى : « خلق لكم ما في الأرض جميعاً » وبقوله « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » وقوله « قل لا أجد في ما أوحي الىّ محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقًا أهلّ لغير الله به »

(اولا)

قلت : لا داعي الى ذكر هذا الأمر في هذا الكتاب ، لأن القوم الذين يدعي الرد عليهم ليس لهم كلام خاص في هذه المسألة . ولا يمتازون عن العلماء فيها بكلام ، وما أظنهم تكلموا فيها خاصة . أو أن لهم فيها رأيا خاصا بل ولعلهم لم يتكلموا فيها لا نفيًا ولا اثباتا

ولا يتوقف موضوع رده على شيء من ذلك . لأنه يزعم أنه يرد بالكتاب وبالسنة وباجماع المسلمين وبسيرتهم التى لا تختلف وبالمعقولات الباهرة القاهرة

(ثانيا)

قوله هذا مخالف لقوله فى الأمر التاسع الذى يلى هذا فانه يقول فيه « البدعة ادخال ما ليس من الدين فى الدين ولا يحتاج تحريمها الى دليل خاص لحكم العقل بعدم جواز الزيادة على أحكام الله ولا النقص منها لاختصاص ذلك بالله وبأنبيائه » فاذا كان العقل عنده يحكم بأنه لا يجوز الحكم بزيادة شيء ولا نقصانه تحليلا ولا تحريمًا لأن التحليل والتحريم أمران خاصان بالله وبأنبيائه فكيف يحكم هنا بأن الأصل فى الأشياء أن تكون حلالا ؟

واذا ما كان الاصل فى الأشياء عنده أن تكون حلالا فكيف لا يجوز أن تكون الأشياء التى لم يذكرها الشارع بتحريم ولا تحليل ولا مدح أو قدح حلالا اوتسمى بدعة لأن الشارع لم يعملها ولم يحللها أو يحرمها ! ؟

وبيان هذا بوضوح ان مضمون كلامه فى الأمر الثامن أن العقل يحلل ويحرم ومضمون قوله فى الأمر التاسع أن العقل لا يحلل ولا يحرم ولا يحكم بشيء ما لم يحكم الله به فهو فى أحد القولين إذن غالط ولا محالة

(ثالثاً)

قوله : ان الأصل أن تكون الأشياء حلالا مالم يكن هنالك دليل . يقال فيه : هذا الدليل إما أن يدخل فيه الدليل العقلى أو لا يدخل على أن يكون المراد بالدليل هنا قول الشارع خاصة ؟ ان أراد الأول وأراد أن الأشياء حلال ما لم يقم دليل لا عقلي ولا نقلي على أنها حرام كان هذا الكلام فارغا من الفائدة والمعنى . إذ يكون تلخيص الكلام وبيانه هكذا : الأشياء قد يحكم العقل بأنها حرام ، وقد يحكم النص بأنها حرام وما لم يحكم العقل ولا النص بتحريمه فهو حلال . ومعنى هذا أن الأشياء قبل

ورود النص اما أن تكون حلالا واما أن تكون حراما والعقل يحكم بهذا تارة وبذاك تارة أخرى . ولا بد أن يحكم بأحد الحكمين ولا يتوقف أو يشك

وإذا كان معنى الكلام كذلك فكيف يقال ان الأصل فى الأشياء التحليل ما لم يقم الدليل ؟ ! ! فان هذا يمكن عكسه ويكون مثله بأن يقال ان الأصل فى الأشياء التحريم ما لم يقم الدليل على التحليل . والقولان سواء لايقدم أحدهما على الآخر إذا كان المعنى كذلك ، وما يراد بالدليل دليل العقل والنقل ، وعلى هذا لافرق بين قوله هنالك وبين عكسه . بل هما يفيدان معنى واحدا وكلاهما يكون صحيحا . وكيف يكون الحكم بالأمر وضده يفيد معنى واحداً ؟

هذا ان اريد بالدليل دليل العقل والنقل . وأما ان اريد بالدليل قول الشارع خاصة وأراد أن الاشياء كلها حلال ما لم يحرمها الشارع ، قيل هذا لا يصح على اصول الشيعة الذاهبين مذاهب المعتزلة فى التقبيح والتحسين العقليين . وهذا أيضا يقضى بأن يكون قتل الانفس البريئة واغتصاب أموال الناس اغتصابا ، ونهب أعراضهم ، والكذب ، والبذاءة ، والشرك بالله وعبادة الاصنام وكل العظائم والكبائر حلالا .. ولا ريب !!! وهذا غريب !!! فاننا لا نشك أن انسانا لم تبلغه كتب الله ومحارمه وما جاءت به رسله لو عرضت عليه هذه المنكرات وكان سليم العقل والذوق لبادر الى القول بأنها حرام لا يصح الاقدام عليها ولا غشيانها

فما اختاره هذا الرجل من الآراء باطل على الفروض كلها ..

(رابعا)

هذه المسألة فيها خلاف ومذاهب ذات عدد مذكورة فى كتب أصول الفقه : قالت طائفة ان الأصل فى الأشياء أن تكون حلالا قبل ورود الشرع ، وقالت طائفة أخرى ان الأصل فى الأشياء أن تكون حراما قبل ذلك وطائفة ثالثة توقفت

فى المسألة لم نختر شيئاً من الآراء . وطائفة رابعة فصلت فى المسألة تفصيلا طويلا ، وأدلت كل طائفة بدلائل كثيرة معلومة . وهذا الرجل ذكر مذهباً من المذاهب واختاره وقطع به بلا دليل ولا حجة

أما الآيات المذكورة فلا دليل فيها لدى التحقيق . أما قوله (خلق لكم ما فى الأرض جميعاً) فمعناها أنه تعالى أوجد كل ما فى الأرض من ماء وهواء ونبات وثمار ومعادن وخيرات وغير ذلك لأجلكم ولأجل أن تنتفعوا به . لكن لا يمكن أن يقال ان الآية تريد أن كل شيء من ذلك حلال لكل انسان منكم ، لأنها لو أرادت ذلك لكان هذا الحكم باقياً أبداً ولكان كل شيء فى الأرض حلالا لكل انسان منا ، لأن إخبار الآية إما أن يكون قدريا قضائياً وإما أن يكون شرعياً . فان كان قدريا كان المعنى أن الله قدر أن يكون كل شيء فى الأرض لكل انسان منكم حلالا ، ووجب أن يكون ذلك المقدر دائماً فى كل الأوقات ، لأن ما قدره الله لا يمكن أن يختلف ، وباطل أن يقال بعد مجيء الشرع أن كل شيء فى الأرض حلال لكل انسان فى الأرض . ثم الشيء الذى قدره الله لا يلزم أن يكون حلالا فى الشرع ، لأن الله قدر كل شيء حتى الحرام وسائر الكائنات والموجودات الضارة والنافعة

وأما ان كان الاخبار شرعياً وجب أن يكون حكمه مستمراً الى اليوم والى غد والى قيام الساعة ولكن باطل أن يكون كل شيء فى الأرض حلالا لكل انسان فى الأرض

وتوضيح هذا أنه لا يمكن أن يفهم من الآية أنها تريد أن كل شيء فى الأرض حلال لكل انسان فى الأرض . وذلك لأننا نقول وكل مسلم يقول كما فى القرآن : ان الله خلق لنا ما فى الأرض جميعا ، مع وجود الحرام والحلال ومع وجود التحريم والتحليل . فاذا ما كان الله يقول (خلق لكم ما فى الأرض جميعا) فى

الوقت الذى كان ينزل فيه التحليل والتحريم ، وفى الوقت الذى لا يمكن أن يقال فيه ان كل شيء فى الأرض حلال لكل انسان فى الأرض ، فكذلك لا يمكن أن تدل هذه الآية البتة على أن جميع ما هو فى الأرض حلال مباح لكل فرد من أهل الأرض

ومثل الآية : قول الناس جميعا (مصر للمصريين) و (فلسطين للفلسطينيين) والبلاد الاسلامية للمسلمين ونظائر هذا ، ولا يمكن أن يفهم انسان من ذلك أن كل شيء فى مصر حلال لكل مصرى ، وأن كل شيء فى فلسطين حلال لكل فلسطينى وأن كل شيء فى البلاد الاسلامية حلال لكل مسلم

ومثل ذلك هذه الآية فهى بعيدة جداً عن محل النزاع وعن المعنى الذى يريده منها هذا الرافضى

وأما قوله (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فالذي فى الآية أن الله تعالى برحمته ورفقه لا يعذب الناس حتى يقيم عليهم الحجج بارسال الرسل بالبينات وبالآيات . ولكن ليس فيها أن الأشياء كلها قبل إرسال الرسل محللة بحيث يباح تناولها لكل انسان : لأن هذا معنى كونها حلالا ، ومن المستحيل أن تكون الآية دليلا على أنه حلال للناس أن يزنوا وأن يقتلوا ويشركوا بالله وأن يعبدوا الأصنام وأن يغشوا كل الآثام قبل ورود الشرع

ولقد تكون الأشياء حراماً قبل تحريم الشارع ونصه على أنها حرام ، ولكن لا يعذب على ذلك قبل إرسال الرسل لأنه تعالى قد بعث الى جميع الأمم الرسل والمنذرين كما قال (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) وقال (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا)

وأما قوله (قل لا أجد فيما أوحى إلى . . . الآية) فلا شيء فيها مما يريده ، لأنها تقول قل لا أجد فيما أوحى إلى ، والنزاع ليس فى الأمور التى فى الوحى وبعد

الوحى وإنما هو فيما قبل الوحى . فالآية تقول قل لا أجد من المحرمات المطعومات شيئا خلا المذكور فى الآية . ولكن هل معنى هذا أن الأشياء كلها المأكولات وغير المأكولات حلال مباح قبل الوحى ، اللهم لا

على أن ما فى هذه الآية خاص بالمطعومات ، والمسألة المفروضة هى أوسع نطاقا من المطعومات ، فلو افترض أن الآية دالة على أن كل المطعومات مباح حلال قبل ورود الشرع لما دل على أن كل شيء كذلك ، ثم ان هنا أمراً غفل عنه هذا الرافضى ومن احتج بحججه على المسألة ، ذلك الأمر هو أن النزاع فى الأشياء قبل مجيء الشرع وقبل حكمه عليها بالتحليل والتحريم ، فان كانت هذه الآيات دلائل على أن كل شيء حلال سوى ما نص على تحريمه كانت هذه الأشياء حلالا بالنص بعد وروده لا بالبراءة الأصلية والاصالة قبل وروده كما يقولون . وعلى هذا تخرج المسألة من النزاع لأن النزاع لم يكن فى ما قام الدليل على إحلاله أو تحريمه . فان ذلك لا نزاع فيه

والذى نذهب اليه فى اختيار هذه المسألة أن الحلال والحرام هنا إن كان يراد بهما الشرعيان ، أي اللذان نص الشارع على أنهما حلال أو حرام ؛ فالأشياء قبل ورود النص من الشارع لا حلال ولا حرام بهذا المعنى . لأن الحرام الشرعى هو الذى قال الشارع انه حرام ، والحلال الشرعى هو الذى قال الشارع انه حلال . والكلام مفروض فى الأشياء قبل الشرع وقبل حكمه بالاحلال والتحريم ، وقبل ورود الشرع بهذا أو بهذا لا يمكن أن يحكم على شيء لا بهذا ولا بهذا وهو بين

وإن أريد بالحلال والحرام ما دل العقل على أنهما حرام وحلال أي قبيح لا يجوز فعله ، وقد يعاقب عليه وحسن يجمل فعله وقد يثاب عليه . إن أريد هذا فالأشياء فى الأصل منها الحلال ومنها الحرام ولا جرم . هذا اختيارنا فى هذه المسألة وعلى كل حال فالمسألة تكاد تكون افتراضية

الامر التاسع

قال الشيعي « البدعة ادخال ما ليس من الدين فى الدين بقصد الدين ، وهي حرام لايحتاج تحريمها الى دليل خاص لأن العقل يحكم بقبح الزيادة على حكم الله أو النقص منه لأن ذلك خاص بالله وبالأنبياء . ولكن تشخيص البدعة يقع فيه اختلاف واشتباه فكم بدعة عدت سنة وكم سنة عدت بدعة . ويكفى للحكم على الأمر بأنه ليس بدعة دخوله تحت الاطلاقات الشرعية العامة . لهـذا أخطأ قوم منعوا القيام عند ذكر ولادة النبى عليه السلام فقد علم بالاطلاقات الشرعية العامة لزوم احترام النبى ﷺ وتعظيمه حياً وميتاً كل أنواع الاحترام التى لم ينص الشارع على منعها وأخطأ (الوهابيون) اذ منعوا الترحيم والتذكير وعدوها بدعتين ، وذلك خطأ لدخولها تحت الاطلاقات الشرعية الخاصة على ذكر الله ودعائه ، وعلى الصلاة على النبى الكريم ، وتخصيص ذلك ببعض الأزمان والأمكنة لغرض من الأغراض مع عدم اعتقاد أن ذلك التخصيص وارد فى الشرع لا يجعله بدعة . وكذلك أشياء عدوها بدعا يجيء الكلام عليها » انتهى . قلت :

(أولا)

نحن ندع له هذا التعريف للبدعة على ما فيه من نزاع . وندع له قوله : إن البدعة لا يحتاج تحريمها الى برهان خاص . ولكن نقول اذا ما اعترفت بأن البدعة حرام واعترفت بأنها ادخال ماليس من الدين فى الدين إرادة الدين ، فكيف يقع الاختلاف والاشتباه فى تشخيصها ومعرفتها ، وقد أعطيتها التعريف الجامع المانع لذلك . والاشتباه فى ذلك يقع لدى من جهل ما هى البدعة أو جهل ما هي السنة فعز عليه تمييز هذه من هذه لجهله بحقيقتهما . ومن عرف البدعة بأنها ما أدخل فى

الدين ، أى زيد فيه بقصد الدين عرّف السنة أنها هي العبادة المأثورة عن صاحب الشرع عليه الصلاة والسلام قولا أو فعلا تصريحًا أو تلويحًا

وما على من اعترف بأن البدعة حرام وعرفها بأنها المزيد فى الدين لأجل الدين الا أن يعلم الدين من مصادره النقية الصحيحة فيمسك بها بكلتا يديه ، ويرد ما لم يجده فى المصادر الصحيحة النقية ردّ قالٍ هاجر : فانه واجد فى مصادر الاسلام الصحيحة أن رسول الله ﷺ كان اذا زار القبور يدعو لأهلها ولنفسه ثم ينصرف وواجد أنه عليه السلام كان يعلم أصحابه اذا زاروا القبور أن يدعوا لأصحابها ولأنفسهم . ولا يجد غير ذلك من الاستغاثة بالأموات ، والتمسح بالأجداث وتقبيلها وقراءة القرآن والاحزاب والاوراد فوقها . فهل يقع اختلاف أو اشتباه لدى المسلم المتبع سنة الرسول ﷺ أن السنة فى زيارة القبور هي أن يدعو الزائر لمن زاره ولنفسه ثم ينصرف . وأن كل ما زاده الناس بعد ذلك هو من البدع المنكرة

ثم يرجع الى مصادر الاسلام الصحيحة الصافية فيجد أن رسول الله ﷺ وأصحابه ما كانوا يبنون على القبور ، ولا يضعون فوقها ما يضعه الناس اليوم ولا يسرجونها أو يكسونها أو يرصدون لها السدنة والحجاب لابتزاز أموال الناس وسرقتها العلنية باسم الدين . بل يجد أن الرسول الكريم نهى عن ذلك أشد النهي وأوعد فاعله أنواع الايعاد ، ويجد أن علماء الاسلام الحق نهوا عنه أيضًا وشددوا فى النهى . فهل يشتبه على من أراد السنة حقًا أن يعرف أن ذلك كله بدع فيجانبه بعيداً لانه يعلم أن الابتداع حرام لأنه تشريع والتشريع خاص بالله وبأنبيائه

ثم يرجع أيضًا الى المصادر النقية فيجد أن الأذان الشرعي فى زمن النبى ﷺ وزمن الخلفاء الراشدين والتابعين الى قرون بصفة محدودة معلومة محفوظة متواترة يملأ آذان الملايين في اليوم خمس مرات ، ويتدفق من موجات الهواء الى منافذ

حجرات المخدرات فى خدورهن والقاعدات الملازمات بيوتهن ، وان أول كلمة فيه (الله أكبر) وآخر كلماته هى (لا إله الا الله) ولا يجد فى رواية ولو ضعيفة أن مؤذنا كان فى ذلك العهد المرضى عنه يختتم الأذان بالصلاة والسلام على الرسول الكريم جهراً مثل ما يفعله الناس اليوم . كما لا يجد أن مؤذناً فى ذلك العهد النبوى كان يفعل شيئاً مما يفعله كثيرون اليوم قبل الأذان من الدعوات المبتدعة والاشعار الجوفاء الجاهلة والاناشيد الكاذبة فيعلم أن السنة هى الأذان المبدوء (بالله أكبر) المختتم (بلا إله الا الله) وأن ما قبل ذلك وما بعده بدع منكرة مزدراة فلن يصل اليه شيء من الاختلاف والاشتباه

وهكذا يصنع فى جميع العبادات والاعتقادات يتعلم ما جاء عن صاحب الرسالة فيعرفه ويتبعه اعتقاداً وعملا وقولا ويجانب غيره ولا كرامة . وهذا من الميسور الهين على من أراده فان الله الرحيم بعباده لم يضع الشرع فى قالب عسير يعز فهمه ولم ينزل كتابه ألغازاً وأحاجى يصعب ادراكها بل وضع شرعه فى قالب يسير وأنزل كتابه ميسراً قريبا لأنه دين الجميع الخاصة والعامة ، ولانه دين الفطرة

ومن أراد ذلك ففعله خلص من الاشتباه والاختلاف ولم يحسب السنة بدعة ولا البدعة سنة بل يضع هذه فى موضعها وهذه فى موضعها . وهكذا كان علماء الحديث والسنة كالأئمة الأربعة وكأئمة الحديث . وكذلك كان الصحابة والتابعون لهم باحسان كانوا من أهل السنة الخالصة المبرأة من الشوائب والمبتدعات لم يتمسكوا بالبدع حاسبيها سنناً ولم يهجروا السنن حاسبيها بدعا ، ولم يقولوا : إن معرفة السنة من البدعة عسيرة كما يقول هذا الرجل ، أو يقولوا إن السنن التى هى دين الله ودين رسوله ودين أبى بكر وعمر والصحابة ودين الاسلام والتوحيد تشتبه بالبدع التى هى دين الجاهلين الضالين وبقايا دين المشركين الغابرين ورشاش أديان اليهود والنصارى والصابئين . لم يقعوا فى شيء من ذلك لا قولا ولا عملا ولا

اعتقادا . وهذا لاريب فيه ، وهل يستطيع المخالف أن يظفر بشيء منه ؟ وأنما يقع في ذلك ويغوص فيه الى أذنيه وفرق رأسه أشباه المعترض ممن ردوا البدعة موضوعاً وقبلوها شكلا ، وبعبارة أوضح ردوها جملة وقبلوها تفصيلا متعلقين بالاطلاقات والعمومات وبأقل مايمكن أن يتعلق به صاحب ضلالة وبدعة أو هوى وهذا كله بريء منهم عند اصابة النظر . فان قوله (ويكفي للحكم بأن الأمر ليس بدعة دخوله تحت العمومات والاطلاقات الشرعية) قول يراد به ادخال جميع البدع في الشريعة ومزج كل الخرافات في السنن النبوية المطهرة . ثم يراد به النقض على قوله الأول في إنكار البدع أو التنصل منه أو الرجوع عنه بهذا النحو الذى رضيه واختاره من اتباع العمومات والاطلاقات الشرعية ، وهو يعلم - وقد يكون لا يعلم - أنه بهذا القول يمكن الاستدلال على جميع البدع والاحتجاج لها بالعمومات والاطلاقات كما يدعى هو وكما يحتج وكما فعل في كتابه هذا . فانه قد أدخل جميع البدع المتعلقة بالقبور وأصحاب القبور من الاستغاثة بهم وشد الرحال اليهم والحلف بهم ، ونذر النذور وتقريب القرابين لهم تحت مادعاه من وجوب التعظيم والاحترام لهم ، وهكذا صنع في جميع المحدثات التى حشدها في هذا الكتاب ودعا اليها من غير تفصيل ، وعلى هذا الأساس الواهي قال « وقد أخطأ قوم منعوا القيام عند ذكر ولادة النبي عليه الصلاة والسلام » فاذا ما قيل له إن هذا القيام لم يؤثر عن أحد من صحابة رسول الله وقد كانوا ولا ريب يذكرون ولادته عنده وبعد موته ، وقد كانوا أيضا حراصاً كل الحرص على العمل الصالح وعلى تعظيم النبي واحترامه بكل مايستطاع ويحل من أنواع الاحترام ، وقد كانوا أيضا بصراء بما يجب لرسول الله وما يستحب وما يمنع من ذلك ، وكذلك لم يؤثر هذا القيام عن أئمة الهدى ومصابيح الدجى من رجال الحديث والسنة ونقلة الأخبار لا بسند صحيح ولا ضعيف فاذا ماقيل له ذلك كله ، وقيل له أيضا ان الرسول الكريم كان

حريصاً على تعليم أصحابه ما به يدركون ثواب الله ورضاه ، وعلى تعريفهم كل ما يقتربون به من الجنة وما يبتعدون به عن النار ، وما أتى عنه ﷺ أنه أشار عليهم بالقيام عند ذكر ميلاده ، ولا أرشدهم اليه أو حضهم عليه . اذا ما قيل لهذا الرافضى هذا وأكثر منه كان جوابه : ان القيام عند ذكر ميلاده من أنواع التعظيم والاحترام ، وإطلاقات الشرع حاضة على تعظيمه عليه السلام ، فهو مأمور بالقيام عند ذلك تضمناً لا نصا . لكننا نقول هذا باطل لأمور :

(أولها)

أن صحابة رسول الله ﷺ كانوا يعلمون هذه الاطلاقات المدعاة ، وكانوا يعلمون أنه واجب اعظام النبي الكريم واحترامه ، وكانوا أتقى لله وأسبق الى الخيرات والطاعات من رجال الرافضة وجهال الشيعة ، وقد يكون قولنا هذا مثل ما قيل :

ألم تر أن السيف ينقص قدره اذا قيل ان السيف أمضى من العصا

ونحن نستغفر الله من ذلك . بل كانوا أتقى الأنام على الاطلاق وأعرفهم بالله وبرسوله وما يجب لهما على الاطلاق أيضا . انهم كانوا كذلك علماً وعملا ، ومع هذا كله لم يؤثر عن أحد منهم أنه قام عند ذكر ولادته عليه السلام ، ولا عند ذكر ولادة غيره من الأنبياء والصالحين ، ولا عند ذكر شيء من الأشياء المعظمة فى دين الاسلام وفى أعماق الصدور المسلمة ، ومن ادعى ورود شيء من ذلك كان عليه البيان والتبيين

أفلا يدل هذا على أحد أمرين : اما على القدح فى الصحابة لأنهم قصروا فى حق الرسول الكريم ، وفى تعظيمه فسبقتهم الرافضة وجهالهم ، وإما على القدح فى الشيعة ومن يقول قولهم هذا ، لأنهم ابتدعوا فى الدين مالم يكن منه ارادة الدين وخالفوا سيرة المسلمين الأولين المعلومة بالتواتر العملى والسيرة الفعلية ؟ اننا نختار

القدح فى هؤلاء المبتدعين كلهم على أن نقدح فى أحد من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام

(ثانيها)

لم يكن القيام للرسول ﷺ مشروعا يوم أن كان حيا ، ولم يكن صحابته يقومون له يوم أن كان بين أظهرهم يبصرونه ويسمعونه حينما يدخل أو يخرج وحينما يقعد أو يقوم . بل لقد أنكر ذلك منهم وكرهه . « فروى مسلم فى صحيحه أنه قال لأصحابه إذ قاموا وراءه يصلون إن كدتم تفعلون فعل فارس والروم فلا تفعلوا » وفعل فارس والروم هنا هو أنه يقوم بعضهم لبعض ويقومون لكبرائهم وأهل الكبرياء منهم تعظيما وإكباراً وذلة وخضوعا ، وروى الامام أحمد باسناد صحيح عن أنس بن مالك قال لم يكن شخص أحب إليهم أى الى الصحابة من رسول الله وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمونه من كراهيته لذلك ، والكراهة يراد بها فى الكلام الأول البغض . فيقال للمحرم انه مكروه ، أى حرام فظيع كقوله تعالى « كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها » وقوله « ولكن كره الله انبعاثهم » وفى الحديث الصحيح (ان الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال) ونظائر ذلك كثيرة . وروى أبو داود باسناد زعم الهيتمى أنه صحيح وروى الترمذي وقال حسن أنه عليه السلام قال : من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار وروى أبو داود باسناد زعم الهيتمى أنه حسن أن الرسول خرج على أصحابه فقاموا فقال لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا

وإذا لم يكن القيام مشروعا له ﷺ حينما كان حيا عند حضوره وقيامه وكان هو يكرهه أي يبغضه وكان أصحابه يدعون ذلك وهم لايحبون أحداً بعد الله حبهم له لأنه هو لايريده ولايرضاه منهم ، فالعجب أن يكون ذلك مشروعاً عند ذكر

ولادته بعد وفاته وانتقاله الى الرفيق لأعلى ، والخطاب هنا لمن يفهمون ولا يقلدون

(ثالثها)

لو كان القيام عند ذكر ولادته مشروعاً لأنه تعظيم لكان ذلك مشروعاً عند ذكر الله تعالى وعند ذكر كلامه وذكر القرآن الكريم ، وعند ذكر الانبياء والأولياء والصالحين ـ وعند ذكر الاسلام والأديان ، وعند ذكر كتب الحديث والسنة ، وعند ذكر الأئمة الهداة ، وعند ذكر كل شيء يشرع بالجملة احترامه وتعظيمه ومن قام عند ذكر هذه الامور كلها أو قال ان القيام عند ذلك مشروع كان الى الهوس أقرب منه الى العقل الذى تجدر به المخاطبة

ولا ريب أن هذا لازم كلام هذا الرافضى لزوماً لا انفكاك له منه

والدليل على أن القيام عند ذكر هذه الأمور مشروع ما ذكره هو من الدليل على أن القيام عند ذكر الولادة مشروع ، والدليل هو الاحترام والتعظيم ووجوبهما فى الجميع . ولا يشك أحد من المسلمين فى أنه اذا كان القيام لدى الذكرى تعظيما كان الله وصفاته وكلامه أولى بذلك من الرسول ﷺ ومن جميع الخلائق . بيد أننا نعلم بالضرورة أن القيام ليس مشروعاً المسلمين عند ذكر الله أو ذكر كتابه أو ذكر صفاته وأسمائه وأفعاله ، ومثل هذا عند من يفهم القيامُ عند ذكر ولادة النبى ﷺ

(رابعها)

نحن لا نسلم أن القيام تعظيم دائما حتى يتجه ما قاله ، بل قد يكون التعظيم فى خلاف القيام . وهذا أمر تختلف فيه الأنظار وتتشعب لديه المذاهب والآراء . فقد يرى بعض الناس فى بعض البلاد ، فى بعض الأماكن ، فى بعض البيئات : أن تعظيمه فى أن يجد الناس أمامه جالسين خاضعين منصتين يستمعون لما يقول

ويتلقفون ما يتفوه به ، كما قد يرى آخرون أن التعظيم الجم فى أن يجلس المعظم بين أيديهم واضعاً يديه على ركبتيه إجلالا وهيبة ، هيئة جلوس المتشهدين . كما يرى المتكبرون أن تمام تعظيمهم وتقديسهم فى أن يخر الناس لهم على الأذقان ركعا وسجداً عند رؤياهم أو عند ذكراهم ونحو ذلك ، والدليل القاطع على أن التعظيم قد يكون فى غير القيام صفة الصلاة لله رب العالمين ، فان الجلوس بين السجدتين وفى التشهدين تعظيم لله أى تعظيم والقيام فى وقتهما لا تعظيم فيه بل هو حرام لا يحل فعله ومثل ذلك السجود فانه أبلغ تعظيما من القيام والركوع والجلوس ، وهو في وقته التعظيم وحده وغيره ليس تعظيما ، بل لا يجوز عمله

فالقيام إذن ليس تعظيما في كل زمان ومكان فى جميع الحالات . بل قد يكون حراماً ممنوعا لأنه خال من التعظيم والوقار ، فالدليل الذى ذكره على استحباب القيام عند ذكر ميلاده ﷺ وهو التعظيم ليس دليلا مقبولا لما ذكرنا

(خامسها)

اذا كان كل ما فيه تعظيم مشروعا تقديمه للرسول الكريم . فان السجود والركوع والجلوس كهيئة التشهد ، كل ذلك تعظيم ولا ريب . فهل يقول هذا ان ذلك كله جائز أن يفعل عند ذكرى ميلاد الرسول أو عند ذكر اسمه ﷺ ، فيجلس من يجلس ويركع من يركع ويسجد من يسجد تعظيما واحتراماً ؟؟ ان هذا لازم لكلامه ، ولكنه قول يرغب كل مسلم بنفسه عنه . فان قيل أنه قد جاء النهى عن السجود لغير الله . قيل ان الأخبار الناهية عن السجود للرسول وللمخلوق هى أحاديث آحاد على مذهبكم تردون ما هو أصح منها وأكثر أسانيد وأجود رواية فلا تصلح لمعارضة ما علمتموه بالضرورة والاجماع والتواتر والقرآن والسنة من وجوب تعظيم الرسول الكريم واحترامه أنواع الاحترام والتعظيم والأحاديث التى وردت فى النهى عن السجود لغير الله أحاديث ليست قوية ، ولكن ذلك

معلوم تحريمه بنص القرآن وباجماع المسلمين بطريقة لا يرتضيها هؤلاء كما سوف يأتى

وإذا ما سلمنا مسألة السجود بقى غيرها كالجلوس هيئة المتشهد ، وبقى الركوع أيضا ، والتكفير [١] عند الأعجام ، فإذا ما قيل ان المسلمين مجمعون على أن السجود لغير الله لا يجوز بحال قلنا ليس إجماعهم على امتناع السجود لغير الله بأظهر من إجماعهم على امتناع الاستغاثة بالأموات ، وسؤالهم ما لا يقدر عليه إلا الله كطلب الرزق والهداية وغفران الذنوب وشفاء المرضى ورجع الغائبين . وقد أباح هذا الرافضى هذا كله كما سلف وكما سوف يأتى ، وإذا لم يكن الاجماع حجة فى هذا لم يكن حجة فى هذا . ثم نقول أيضا هب أن السجود عند ذكر ولادته لله لا له ، أيجوز ذلك . ان هذا يلزم قوله لزوما لا مفر منه ولكنه باطل بالضرورة والاجماع فالاحتجاج للقيام بالادعاء أنه تعظيم احتجاج لا يثبت على حال

وأما قوله ان الوهابيين أخطأوا أيضا في منع الترحيم والتذكير واحتجاجه لجواز ذلك بما جاء عاما من الحض على ذكر الله ، والصلاة على النبى الكريم فهذا القول وهذا الاحتجاج سبيلهما سبيل أقواله الأول ، وأظنه يعنى بالترحيم والتذكير تلك الأشعار التى يشاد بها فوق المنارات قبيل صلاة الصبح ، وهى أشعار فائضة بالغلو المنكر ، وبالأدعية الفاسدة ، والتوسلات الباطلة الممنوعة شرعا وذوقا وأدبا من التغزل بالرسول ومن ذكر الخد الأسيل ، والطرف الكحيل ، والوجه الجميل ، ومن دعاء الأموات كشيخ العرب وغير شيخ العرب ومن الاشادة بمذهب وحدة الوجود ، ومن غير ذلك من الأمور الباطلة التى اشتمل عليها ذلك الترحيم والتذكير ، اللذان يدافع عنهما هذا الرجل . ولا ريب أن ما ادعاه باطل بدلائل كثيرة :

---

(١) التكفير هو وضع اليد فوق اليد هيئة القائم فى الصلاة

(أولها)

أن ذلك لم يكن شيء منه على عهد الصحابة ولا عهد من بعدهم من أهل القرون المثنى عليها المفضلة بإخبار الرسول الكريم وبالقرآن العظيم . ولو كان ذلك خيراً لما تركوه ليظفر به المتأخرون الجاهلون بأسرار الشريعة وما تنطوي عليه من سمو وبراءة وحكم عليا تدق على أفكار هؤلاء

(ثانيها)

أن فى هذه الأشعار من التوسل ودعاء الاموات الذاهبين والغلو فى الرسول ﷺ وغيره ما ستجيء البراهين على بطلانه ، فان فيها الاستغاثة بشيخ العرب وفيها الاسراف فى الدعاء وفى المديح بل وفى كثير منها تأليه الرسول الكريم واعطاؤه ما لا يكون الا لله وحده

(ثالثها)

لو كان هذا الدعاء مشروعا بالجملة لكان ممنوعا بهذه الصفة . فان المطلوب فى الدعاء أن يكون خفية سراً الا فى حالات معلومة لوظائف لا يؤديها الاخفات . والاسرار بالدعاء مأمور به على سبيل الاجمال في آيات وأحاديث كثيرة ، وذلك لأغراض شريفة عليا نفسية . منها : الابتعاد عن مواطن الرياء والنفاق ، ومنها : أن الاسرار أقرب الى الخشية والخشوع وحضور القلب ومنها غير ذلك . وقد قال الله فى ذلك « ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين » ومن الظاهر جداً أن يتسر هنا الاعتداء بالجهر بالدعاء وقال « واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال » وفى الحديث الصحيح المشهور أنه ﷺ سمع أصحابه يجهرون بالدعاء فقال : « أيها الناس اربعوا على أنفسكم ، فانكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً ، انما تدعون سميعاً بصيراً أقرب الى أحدكم من عنق

راحلته » وفى الحديث أيضاً أن قوما سألوا الرسول قالوا : أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله قوله « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان » الى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على أن المطلوب فى الدعاء ما خلا مواضع معلومة أن يكون سراً لا جهرا . وقد كره لذلك كثيرون من أئمة الاسلام الدعاء بعد الصلاة جهرا في المساجد وان كان أصل الدعاء عقب الصلوات وارداً فى أخبار صحيحة بل وإن كان قد جاء فى الأحاديث ما يدل على أن الجهر بالدعاء عقب الصلوات كان على عهد الرسول الكريم ولكن هؤلاء العلماء رأوا أن النصوص فى الاخفات أظهر وأكثر . وقد ذكر هذا الشاطبى فى كتابه الاعتصام المشهور . ولا ريب أنه لم يأت خبر واحد يخص هذا الترحيم وهذا التذكير من هذه العمومات المطلقة الطالبة من الناس أن يسروا بدعواتهم ، ولو جاء ذلك لبادرنا الى القول به . وفى الاخفات بالدعاء فى هذه المواضع أسرار عظيمة لحظها الشارع الحكيم وغفل عنها هؤلاء المغالون المخالفون . وذلك أننا وجدنا بالاستقصاء والاستقراء أن هؤلاء الذين يدعون هـذه الأدعية فوق المنارات جهراً انما يرون ذلك صنعة ووظيفة يؤدونها أداء آلياً بعيداً عن مراقبة الله وارادة الله نائين عن الخضوع والخشوع ، مملوئين زهواً وغروراً ، مملوئين بالخداع والنفاق : وهذا كله آت من طريق الجهر والمظاهرة بالدعاء وذكر الله . وفى هذا ابطال حكمة الله فى دعائه ومناجاته

واذا ما كان الداعون لله المتظاهرون بدعائه بعيدين حين دعائهم عن الخشية ومراقبة الله كان لذلك أثر عظيم فى نفوس السامعين وما الله بغافل عن شيء من ذلك ولا مهمل له . بل وفى دعاء الله بهذه الطريقة الجوفاء امتهان لهذه العبادة العليا التى قال فيها رسول الله عليه الصلاة والسلام « الدعاء مخ العبادة »

(رابعها)

ان السلف الصالحين قد أنكروا ماهو أقل من ذلك توغلا فى البدعة وأقل إثما وعاقبة ، وذلك منهم محافظة على السنة وعلى الطريقة الاسلامية العملية الأولى إذ هم يعلمون ولا يشكون أن الاسلام أراد من أهله المحافظة الشديدة عليه والتمسك الشديد بالمأثور ومجانبه بنيات الطريق بشدة وصرامة ، وقد ذكر الامام الشاطبي فى كتابه المشهور « الاعتصام » قال « وحكى ابن وضاح قال ثوّب المؤذن بالمدينة فى زمان مالك فأرسل اليه مالك فجاءه فقال له ماهذا الذى تفعل فقال أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر فيقوموا . فقال له مالك لا تفعل . لاتحدث في بلدنا شيئا لم يكن فيه ، وقد كان رسول الله فى هذا البلد عشر سنين وأبو بكر وعمر وعثمان فلم يفعلوا هذا ـ فلا تحدث فى بلدنا مالم يكن فيه . فكف المؤذن عن ذلك وأقام زمانا ثم انه تنحنح فى المنارة عند طلوع الفجر فأرسل اليه مالك فقال له ماهذا الذى تفعل ؟ قال أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر فقال له ألم أنهك ألا تحدث عندنا مالم يكن . فقال إنما نهيتنى عن التثويب فقال لاتفعل فكف زمانا ثم جعل يضرب الأبواب فأرسل اليه مالك فقال ماهذا الذى تفعل ؟ فقال أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر ، فقال له مالك لاتفعل لا تحدث فى بلدنا مالم يكن فيه » وقال الشاطبى أيضا فى الكتاب المذكور :

« وروى عن ابن عمر رضى الله عنه أنه دخل مسجداً أراد أن يصلى فيه فثوب المؤذن فخرج عبد الله بن عمر من المسجد وقال اخرج بنا من عند هذا المبتدع ولم يصلّ فيه . قال ابن رشد وهذا نحو مما كان يفعل عندنا بجامع قرطبة من أن يفرد المؤذن بعد أذانه قبل الفجر النداء عند الفجر بقوله : حى على الصلاة . قال وقيل إنما عنى بذلك قول المؤذن في أذانه حى على خير العمل لأنها كلمة زادها في

الأذان من خالف السنة من الشيعة ، ووقع فى المجموعة أن من سمع التثويب وهو فى المسجد خرج منه كفعل ابن عمر ، وفى المسـألة كلام المقصود منه التثويب المكروه الذي قال فيه مالك انه ضلال ، والكلام يدل على التشـديد فى الأمور المحدثة أن تكون فى مواضع الجماعة أو فى المواطن التى تقام فيها السنن والمحافظة على المشروعات أشد المحافظة لأنها اذا أقيمت هنالك أخذها الناس وعملوا بهـا فكان وزر ذلك عائداً على الفاعل أولا فيكثر وزره ويعظم خطر بدعته . وقد فسر التثويب الذى أشار اليه مالك بأن المؤذن كان اذا أذن فأبطأ الناس قال بين الأذان والاقامة قد قامت الصلاة . حى على الصلاة . حى على الفلاح . وهذا نظير قولهم عندنا : الصلاة رحمكم الله

وقد أحدث بالمغرب المتسمى بالمهدي تثويبا عنـد طلوع الفجر وهو قولهم أصبح ولله الحمد اشعاراً بان الفجر قد طلع لالزام الطاعة ولحضور الجـاعة وللغدوّ لكل ما يؤمرون به فيخصه هؤلاء المتأخرون تثويبا بالصلاة كالأذان ، ونقل أيضا الى أهل المغرب الحزب المحدث بالاسكندرية وهو المعتـاد فى جوامع الأندلس وغيرها فصار ذلك كله سنة فى المساجد الى الآن ، فانا لله وإنا اليه راجعون . »
اهـ الشاطبى

واذا كان مثل هذا التثويب وما ذكر هنا من التنحنح وضرب الابواب حراما غير جائز عند عبد الله بن عمر وعند الامام مالك وعند الامام الشاطبى وعند هؤلاء العلماء فكيف يجوز هذا النشيد الهراء العامي المكسر لغة وشعرا وذوقا ونحوا ؟ وكيف يجوز أن يقذف به من فوق المنارات منصات الداعين الى الله والى الفلاح . والى الصلاة برهان الصلاح .؟ ولقد جاء أبلغ من هذا كله فى المحافظة على المأثور وهجر المبتدعات عن أئمة السلف . فذكر الامام الشاطبى فى الـكتاب المذكور قال :

«قال أبو مصعب : قدم علينا ابن مهدى فصلى ووضع رداءه بين يدى الصف فلما سلم الامام رمقه الناس بأبصارهم ورمقوا مالكا وكان قد صلى خلف الامام فلما سلم قال من هاهنا من الحرس ؟ فجاءه نفسان فقال خذا صاحب هذا الثوب فاحبساه فحبس فقيل له إنه ابن مهدى فوجه اليه وقال له ما خفت الله واتقيته أن وضعت ثوبك بين يديك فى الصف وشغلت المصلين بالنظر اليه وأحدثت فى مسجدنا شيئاً ما كنا نعرفه . وقد قال النبى ﷺ : من أحدث فى مسجدنا حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . فبكى ابن مهدى وآلى على نفسه ألا يفعل ذلك أبداً فى مسجد النبى ﷺ ولا فى غيره . وفى رواية عن ابن مهدى قال : فقلت للحرسيين تذهبان بى الى أبى عبد الله ، قالا إن شئت . فذهبنا اليه فقال ياعبد الرحمن تصلى مستلبًا ؟ فقلت يا أبا عبد الله انه كان يوماً حاراً كما رأيت فثقل ردائى علىّ . فقال آلله ما أردت بذلك الطعن على من مضى والخلاف عليه ؟ قلت الله . قال خلياه » انتهى ما نقله الشاطبى

وما يكون وضع الرداء أمام المصلى فى جانب المسائل المذكورة ؟ ان البون لشاسع . وهذا نوع من كراهة السلف للمحدثات ومقتها واجتنابهم إياها يعرف بها أتكون هذه الأناشيد من التذكير والترحيم حلالا أم حراماً

(خامسها)

ان ملازمة المؤذنين هذه الأناشيد والأغانى وجهرهم بها فوق المنارات من الدعاء والصلاة على الرسول والاستغاثة بالمخلوقين يوهم الجمهور والعامة أن ذلك واجب لايصح تركه وقد وقع هـذا فعلا فان جماهير من العامة يرون وجوب الصلاة على الرسول عقب الأذان جهراً ولا يرون الأذان يصلح بدون ذلك وقد كان من جراء ذلك أنهم يثورون بمن أذن الأذان الشرعى ولم يأت بهذه

البدعة الحدثة ، وقد وقع هذا مرات فى بلاد مصر . وكان من جراء ذلك أن وقع قتل وجنايات وذلك لاعتقادهم وجوب هذه الصلاة وهم يعدون من لا يصلى كذلك مبغضاً للرسول الكريم ، تاركا واجباً من أعظم الواجبات وأقدسها ، وكذلك شأنهم فى الكثير من المبتدعات التى يشاهدونها صباح مساء . واذا كان ذلك كذلك كان اللازم هجران هذه المبتدعات خشية أن تحسب سنناً واجبة . ولقد كان بعض السلف يدعون السنن خشية أن يظنها الناس فروضاً واجبة ، فكيف بالبدع ؟ ؟ ؟

قال الامام الشاطبى فى كتابه الاعتصام :

« لقد كان السلف يتركون السنن خوف اعتقاد العوام أمراً هو أشد من ترك السنن وأولى أن يتركوا المباحات ألا يعتقد فيها أمر ليس بمشروع . فقد ذكروا أن عثمان كان لا يقصر فى السفر فيقال له أليس قد قصرت مع رسول الله؟ فيقول بلى ولكنى إمام الناس فينظر الى الأعراب وأهل البادية أصلى ركعتين فيقولون هكذا فرض . قال الطرطوشى تأملوا رحمكم الله فان فى القصر قولين لأهل الاسلام . منهم من يقول فريضة فمن أتم فانما يتم ويعيد أبدا . ومنهم من يقول سنة يعيد من أتم فى الوقت . ثم اقتحم عثمان ترك الفرض أو السنة لما خاف من سوء العاقبة أن يعتقد الناس أن الفرض ركعتان . وكان الصحابة [1] رضى الله عنهم لا يضحون . قال حذيفة بن أسد : شهدت أبا بكر وعمر رضى الله عنهما لا يضحيان مخافة أن يرى أنها واجبة ، وقال بلال : لا أبالى أن أضحى بكبشين أو بديك . وعن ابن عباس أنه كان يشتري لحماً بدرهم يوم الأضحى ويقول لعكرمة من سألك فقل هذه أضحية ابن عباس . وقال ابن مسعود : انى لأترك أضحيتى وانى لمن أيسركم مخافة أن يظن أنها واجبة . وقال طاوس ما رأيت بيتاً أكثر لحما وخبزاً وعلماً من بيت ابن عباس ، يذبح وينحر كل يوم ثم لا يذبح

---

(١) أى بعضهم

يوم العيد ، وانما كان يفعل ذلك لئلا يظن الناس أنها واجبة وكان إماما يقتدى به . قال الطرطوشي والقول فى هـذا كالذي قبله ، وان لأهل الاسلام قولين فى الأضحية أحدهما سنة ، والثانى واجبة . ثم اقتحمت الصحابة ترك السنة حذراً من أن يضع الناس الأمر على غير وجهه فيعتقدونها فريضة . قال الامام مالك فى الموطأ فى صيام ستة بعد الفطر من رمضان : أنه لم ير أحداً من أهل العلم والفقه يصومها . قال ولم يبلغنى ذلك عن أحد من السلف ، وان أهل العـلم يكرهون ذلك ويخافون بدعته ، وأن يلحق أهل الجهـالة والجفاء برمضان ما ليس منه لو رأوا فى ذلك رخصة من أهل العلم ورأوهم يقولون ذلك فكلام مالك هنا ليس فيه دليل على أنه لم يحفظ الحديث كما توهم بعضهم ، بل لعـل كلامه مشعر بأنه يعلمه ، لكنه لم ير العمل عليه وإن كان مستحبا فى الأصل لئلا يكون ذريعة لما قال ، كما فعل الصحابة فى الأضحية وعثمان فى السفر . وحكى الماوردى ما هو أغرب من هـذا وإن كان هو الأصل ، فذكر أن الناس كانوا اذا صلّوا فى الصحن من جامع البصرة ورفعوا من السجود مسحوا جباههم من التراب لأنه كان مفروشا بالتراب فأمر زياد بالقاء الحصى فى صحن المسجـد . وقال لست آمن من أن يطول الزمن فيظن الصغير إذا نشأ أن مسح الجبهة من أثر السجود سنة فى الصلاة . وهـذا فى مباح فكيف به فى المكروه أو الممنوع [1] (انتهى كلام الشاطبى)

وذكر الشاطبى فى موضع آخر أن من ذلك نهى الرسول الكريم ﷺ أن يتقدم شهر رمضان بصيام يوم أو يومين وقال ان وجه ذلك عنـد العلماء مخافة أن يعد ذلك من جملة رمضان

بهذا ليعتبر المعتبرون

وأما ما يتعلق به هـذا الرجل من العمومات والاطلاقات ، فجوابنا عليه أن

---

(١) نحن لا نتقيد بكل ما نقلناه هنا ولكننا سقناه لغرضنا المذكور

نقول له اعلم أن هنالك أمراً يسمى البدعة الاضافية . والبدعة الاضافية هي الأمر المحدث على نحو لم يكن في الاسلام ولا في عصر الرسول الكريم ﷺ وعصر خلفائه الراشدين ، إذا ما كان أصل هذا الأمر موجوداً مشروعاً بالجملة لكن على نحو آخر وفي هيئة أخرى ، أي على شكل لم يكن معروفا في صدر الاسلام ولا في أيامه الأولى . نظير ذلك مثلا صلاة النوافل والسنن الرواتب التي تكون قبل الصلوات الخمس وبعدها ، فان هذه السنن وهذه الرواتب مشروعة مرغب فيها بالجملة على أن تؤدى كما جاءت عن صاحب الشرع عليه السلام . ولكن لو أن قوماً اجتمعوا واتفقوا على أن يصلوها جماعة بامام كما يصلون الفروض ثم واظبوا على تأديتها كذلك كانوا مبتدعين غالطين في هذه الصلاة غلطاً يلامون عليه ، ووجب لما ذكرنا زجرهم ونهيهم نهياً شديداً . وكان هذا العمل بدعة إضافية لا أصلية فان أصل النافلة مشروع مطلوب ولكنها بهذا الشكل المجتمع عليه غير مشروعة ولا جائزة

وكذلك الأذان للصلوات مشروع في أوقاتها المعلومة وهيئته المعروفة عن صاحب الرسالة . ولكن لو أذن لكل صلاة مرتان أو ثلاث أو أكثر خلا ماجاء في صلاة الفجر والجمعة كان ذلك غير جائز ولا مشروع ، وكان بدعة نكراء يجب اطراحها وإزالتها . هذا مع أنه لاريب أن الأذان مشروع بالجملة وهو تعظيم لله وتوحيد وثناء وشهادة للرسول الكريم بالرسالة ودعاء الى الله والى الفلاح والصلاة ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله والى الصلاة والى الفلاح ؟!

وكذلك لو كرر أكثر مما حفظ أو لو وضع في أوقات غير أوقات الصلوات أو لو غير ترتيبه . كل هذا يكون من الابتداع المذموم

وكذلك الصلاة على الرسول الكريم مرغب فيها مثاب عليها مطلوبة طلباً مطلقاً ومن صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشراً . ولكن هنالك أوقات لا تجوز فيها

هذه الصلاة . وهنالك هيئات لا تجوز عليها ، فلا تجوز الصلاة على الرسول ﷺ في مواضع من الصلوات المفروضة ذات الركوع والسجود ، فلا يجوز ذلك في أثناء القيام ولا في مواضع أخرى منها . وكذلك لو صلى عليه في التشهد جهراً لكان ذلك عملا باطلا . مع أن الصلاة عليه في التشهد مطلوبة وكذلك الجهر بالأدعية الواردة في الصلوات هو غلط ومبتدعات . مع أن أصل ذلك مشروع كله . ولكن وضعه في غير موضعه أو في غير هيئته يصيره من الأعمال المحرمة الممنوعة

وليس لصلاة العيدين أذان ولا إقامة ، فلو أذن وأقيم لها لأن الأذان والاقامة مشروعان بالجملة للصلوات ولأنهما توحيد ودعاء الى العبادة والفلاح والخير لكانا بدعتين محرمتين ، ولكان فاعلهما آثماً محسوبا من المبتدعين الملومين ولم ينفعه أن كان أصل الأذان والاقامة مشروعا . ومثل هذا أو أكثر مناسبة الموضوع الجهر بكلمات الاقامة كما يجهر بكلمات الأذان ، فان ذلك يكون ولا ريب عملا باطلا وبدعة مذمومة ، مع أن الاقامة مشروعة ومع أن أصل الجهر بكلمات الاقامة أيضاً مشروع . مع هذا كله لا يكون هذا الجهر جائزاً ولا مستحباً ، ونظائر ذلك مما لا خلاف فيه ومما يوضح الموضوع الذي معنا كثيرة

وبالاجمال فان الشريعة الاسلامية يجب أخذها كما جاءت كاملة تامة بهيئاتها وأوقاتها وأعدادها « وكمها وكيفها » لا ينال ذلك تغيير لازيادة ولا نقصان ولا تحريف ولا تأويل . فان زمان العبادة معتبر كما أن عددها معتبر وهيئتها معتبرة كما أن موضعها معتبر . فلا يجوز تغيير شكلها كما لا يجوز تغيير عددها ، فلا تجوز الزيادة فيها كما لا يجوز النقصان منها ، ولا يجوز الاخفات بما كان يجهر به كما لايجوز الجهر بما كان يخفت به وهكذا . وهذه أشياء لا خلاف فيها بين علماء الاسلام . والنقل في ذلك عنهم متواتر وكذا عن الرسول الكريم وعن صحابته

والشيعة متناقضة لا تسير على هدى ولا على عقل ، فان هذا الشيعي يمتدح

هذه المبتدعات ويناضح عنها ويكافح ، ويدعى أنها ليست بدعًا لأن أصلها مشروع وارد بالجملة ، هذا قوله هنا . والشيعة يرون أن صلاة التراويح التى يصليها المسلمون فى كل مكان جماعة يعدونها كذلك بدعة وضلالة . وكذلك يرون الأذان الاول يوم الجمعة بدعة وضلالة ، كما يرون الدعاء فى خطب الجمعات للخلفاء الراشدين بدعة وضلالة وكذلك يرون أشياء كثيرة أطبق عليها المسلمون فى كل مكان قولا وعملا واعتقاداً من المبتدعات

هذه الأشياء : صلاة التراويح والأذان الأول يوم الجمعة والدعاء للخلفاء الراشدين في خطبة الجمعة مبتدعات مذمومة عند الشيعة . أما صلاة التراويح فقد صلاها رسول الله ﷺ فى أصحابه ليالى ذات عدد ثم تركها ــ أى ترك صلاتها ــ جماعة قائلا « خفت أن تفرض عليكم » وفى خلافة عمر رأى الناس يصلونها فرادى فى المسجد فأشار عليهم بالاجتماع عليها فاجتمعوا فصلوها جماعة ، واتفق الصحابة على ذلك لم يخالف منهم أحد فيما نقل لا علىّ ولا غيره . ثم تتابع المسلمون على صلاتها كذلك جماعة فى المساجد وواظبوا عليها الى اليوم فى سائر البلدان الاسلامية . بيد أن الرافضة أبوها وعدوها بدعة وزيادة فى الاسلام ، وإن كانت الاحاديث الصحاح جاءت مرغبة فى قيام رمضان وإن كان رسول الله ﷺ صلاها بأصحابه مرات ورغب فى ذلك ثم خاف أن تفرض فتركها لا لأن صلاتها جماعة ممنوعة ، بل لخوفه أن تفرض . والأمر الذى كره هذه الصلاة الى الرافضة جماعة هو أن عمر رضى الله عنه هو الذى أشار بالاجتماع عليها بعد رسول الله ﷺ فكان ذلك ، لأن الشيعة يكرهون عمر ويكرهون ما يأتى به عمر من السنن والدين . ولو أن بعض الجهال الفسقة هو الذى أشار بالاجتماع لهذه الصلاة لقالت الشيعة ولقال صاحب هذا الكتاب إن هذه سنة وعمل صالح مستدلا بأن أصلها مشروع مثل ما فعل فى الترحيم والتذكير والقيام عند ذكر ولادة الرسول ﷺ وفى الصلاة على

على النبي الكريم عقيب الأذان جهراً

وأما الأذان الأول يوم الجمعة فإن الذى أشار به هو الخليفة الراشد عثمان رضى الله عنه لما أن كثر الناس في عصره واحتيج الى دعوتهم لصلاة الجمعة واسماعهم النداء واعلامهم حلول وقتها ، وهم كثر لا يعلمون الوقت إلا بالأذان والاعلان فأشار بهذا الأذان وأشار بأن يكون على الزوراء ، فكان ذلك ، ولم ينكره من الصحابة أحد ، وجرى العمل عليه في خلافة على رضى الله عنه ومن بعده لم يغيروه وبقى الى اليوم معمولا به فى أطراف الأرض ، وهذا من أعظم أنواع الاجماع ، ولكن الرافضة يعدون هذا الأذان بدعة قبيحة مع أن الأذان بالجملة مشروع مذكور فى القرآن الكريم ، ومع أن تثنية الأذان للصلاة الواحدة وارد بالجملة كما فى صلاة الصبح ، ومع أن الصحابة أجمعوا عليه ، ولكن كراهية القوم للخليفة عثمان أرتهم هذا باطلا أو حملتهم على أن يدعوا أنه باطل

وأما الدعاء للخلفاء فوق المنابر يوم الجمعة فقد ورد بالجملة فى الشريعة الدعاء المؤمنين فى الخطاب وأتى الحث على الدعاء للمسلمين إطلاقا وإجمالا فى القرآن وفى السنة . وأما الدعاء بالشكل الموجود اليوم فقد روى أنه قد كان فى عهد عمر بن الخطاب ، وروى أنه كان فى عهد خلافة عمر بن عبد العزيز

فاعجب للرافضة أن يعدوا هذا كله من المبتدعات المنكرة المضلة ثم يعدون القيام عند ذكر ميلاد الرسول ﷺ والصلاة عليه جهراً فوق المنارات والترحيم والتذكير والأناشيد الجوفاء بتلك الأصوات النكراء سننًا وأعمالا صالحة !!

ويحك ياهذا ! أمن العدل والحق أن تكون صلاة التراويح جماعة ، والأذان الأول يوم الجمعة ، والدعاء للخلفاء الراشدين بدعا منكرة تذمون أهل السنة والجماعة وتذمون الخلفاء الراشدين لها ولاجماعهم عليها . ثم تروحون تدّعون أن الأغانى والأناشيد المملوءة بالاستغاثات ودعاء الاموات المملوءة بالأخطاء اللغوية

والنحوية والشعرية سنن ممتدحة ؟ أمن العدل والحق أن يكون ما أجمع عليه الصحابة والمسلمون فى كل زمان ومكان إذا ما استثنينا شراذم خارجة ضلالات وبدعا قبيحة ، وأن يكون ما اخترع الجهال والأغمار المتاخرون من الأمور الفاسدة كالرقص والغناء والحداء فوق المنارات أعز مكان وأشرفه أعمالا صالحة ؟ ماهذا لعمر الله بانصاف ولا دين

وأما زعمه أن تخصيص ذلك ببعض الأزمنة والامكنة لفائدة ما مع عدم اعتقاد ورود ذلك التخصيص عن الشارع لايجعله بدعة فزعم باطل منكر . بل إن ذلك يجعله بدعة ذميمة ولا شك على كل الأحوال ، فلو أن إنسانا خص بصلاته على الرسول الكريم مكانا معينا ووقتا معينا لا يعدوهما ولا يقصر عنهما لكان بذلك مبتدعاً ضالا فى رأي جميع علماء السنة والحديث ، ولو أنه خص بذكره الله وقتا معلوما ومكانا معلوما لا يعدوها ولا يقصر دونهما لكان ضالا مبتدعا فى جميع المذاهب الاسلامية ، أو لو أنه خص بصلاته لله وقت طلوع الشمس ووقت غروبها وحين زوالها عند القبور وعند الشيخ فلان أو الضريح المعظم لكان بذلك ضالا مبتدعا وآتيا أمراً نكرا عند جميع الفرق الاسلامية

وقد صحت الاحاديث النبوية من طرق كثيرة مختلفة أن الرسول الكريم نهى عن ذلك أشد النهى . ولم يختلف علماء الحديث فى صحة الاخبار بذلك . ولو أنه خص يوم الجمعة وليلة الجمعة بقيامه وصيامه لكان من الضالين المبتدعين بلا ريب . وقد صحت الروايات النبوية فى النهى عن ذلك . ولو أنه خصص مسجداً من المساجد ذات المشايخ المعظمين لصلاته وصيامه وعبادته وأذكاره وقراءته القرآن لا يتجاوز ذلك المسجد لكان من الضالين المبتدعين باجماع المسلمين الأولين

وقد نهى السلف الصالحون عن ذلك أشد النهى وحذروا فاعليه . أتى ذلك من طرق كثيرة صحيحة معلومة عنهم

ومن ذلك ما رواه الامام أبو يعلى فى مسنده أن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رأى رجلا يجىء الى فرجة كانت عند قبر النبى فيدخل فيها فيدعو فنهاه فقال ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبى عن جدى عن رسول الله ﷺ أنه قال (لاتتخذوا قبرى عيداً ولا بيوتكم قبوراً فان تسليمكم يبلغنى أينما كنتم) وروى سعيد بن منصور أن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رأى رجلا عند القبر فناداه وهو فى بيت فاطمة يتعشى، فقال مالى رأيتك عند القبر فقال سلمت على النبى فقال إذا دخلت المسجد فسلم عليه ثم قال ان رسول الله عليه السلام قال (لاتتخذوا بيتى عيدا ولا بيوتكم مقابر. لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وصلوا علىّ فان صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم. ما أنتم ومن بالأندلس منه إلا سواء

وهذان الخبران من رواية أهل البيت. والشيعة تدعى اتباعهم ونهجها منهجهم وتلقيها الأحكام عنهم. والخبر الأول عن على بن الحسين المعروف بزين العابدين عن الحسين عن على رضى الله عن الجميع. والثلاثة فيما ترى الشيعة من الأئمة المعصومين الذين لا يسهون ولا يغلطون ولا يقولون إلا الحق لا عمداً ولا سهواً فهذه رواية أهل البيت وهذه آراؤهم

وقال الامام الشاطبى فى كتاب الاعتصام: « وقد نهى الأكثر عن اتباع الآثار كما خرج الطحاوى وابن وضاح وغيرهما عن معرور بن سويد الأسدى، قال: وافيت الموسم مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فلما انصرفنا الى المدينة انصرفت معه فلما صلى لنا صلاة الغداة فقرأ فيها « ألم تر كيف فعل ربك » و « لئيلاف قريش » ثم رأى اناسا يذهبون مذهبا، فقال: أين يذهب هؤلاء؟ قالوا: يأتون مسجدا هاهنا صلى فيه رسول الله ﷺ فقال: إنما هلك من كان قبلكم بهذا. يتبعون آثار أنبيائهم فاتخذوها كنائس وبيعا. من أدركته الصلاة فى شىء من هذه المساجد التى صلى فيها رسول الله ﷺ فليصل فيها وإلا فلا يتعمدها

وقال ابن وضاح : سمعت عيسى بن يونس مفتى أهل طرسوس يقول أمر عمر ابن الخطاب بقطع الشجرة التى بويع تحتها النبى عليه السلام فقطعها لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها فخاف عليهم الفتنة . قال ابن وضاح : وكان مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة يكرهون اتيان تلك المساجد وتلك الآثار للنبى ﷺ ماعدا قباء وحده . وقال : وسمعتهم يذكرون أن سفيان دخل مسجد بيت المقدس فصلى فيه ولم يتبع تلك الآثار ولا الصلاة فيها . وكذلك فعل غيره أيضا ممن يقتدي به وقدم وكيع أيضا مسجد بيت المقدس فلم يعد فعل سفيان . قال ابن وضاح فعليكم بالاتباع لأئمة الهدى المعروفين ، فقد قال بعض من مضى كم من أمر هو اليوم معروف عند كثير من الناس كان منكرا عند من مضى . وقد كان مالك يكره كل بدعة وإن كانت فى خير وجميع هذا ذريعة لئلا يتخذ سنة ماليس سنة أو يعد مشروعا ما ليس معروفا

وقد كان مالك يكره المجىء إلى بيت المقدس خيفة أن يتخذ ذلك سنة . وكان يكره مجىء قبور الشهداء ويكره مجىء قباء خوفا من ذلك مع ما جاء فى الآثار من الترغيب فيه ولكن لما خاف العلماء عاقبة ذلك تركوه . وقال ابن كنانة وأشهب سمعنا مالكا يقول : لما أتاه (١) سعد بن أبى وقاص قال : وددت أن رجلى تكسرت وأنى لم أفعل . وسئل ابن كنانة عن الآثار التى تركوا بالمدينة فقال : أثبت ما فى ذلك عندنا قباء الا أن مالكا كان يكره مجيئها خوف أن يتخذ سنة » اه كلام الشاطبى

فهذه أقوال الرسول ﷺ وهذه أقوال أصحابه وأهل بيته وعلماء السلف أهل البصر بالدين وبأسرار الدين . فعلى من تعتمد الشيعة والى أين تذهب وعمن تأخذ وبمن تقتدى ؟

---

(١) كذا وجد فى الاعتصام

الامر العاشر

قال الرافضي : « الأفعال تختلف أحكامها باختلاف القصد بها وباختلاف الأزمان والأمكنة والاحوال والاشخاص . فضرب اليتيم مثلا محرم بقصد الايذاء راجح بقصد التأديب . وغيبة المسلم محرمة بقصد الانتقاص واجبة بقصد نهيه عن المنكر [١] والسجود عند قبر النبي مستحب بقصد شكر الله أن وفقه لزيارته . محرم بقصد السجود لغير الله . وكذلك مثلا لبس الثوب الازرق اذا عد زينة فى بعض الازمان والامكنة حرام على الزوجة فى أيام الحداد مستحب اذا أرادت التزين لزوجها ، وكذلك لباس الشهرة ولباس النساء المحرم على الرجال ، ولباس الرجال المحرم على النساء يختلف باختلاف الأزمان والاماكن والأشخاص . وكدفن المؤمن العظيم بجوار المزبلة فانه حرام لانه يعد إهانة له بخلاف دفن الزبال أو من صناعته نزح الكنيف وكذلك انزال الضيف الشريف فى مرابط الدواب معدود اهانة ، وليس كذلك المكارى . وقد يكون ترك القيام للمرء فى زمان أو بلاد معدوداً إهانة فيحرم ، وفى زمان آخر فى بلاد أخرى لا يعد كذلك فلا يحرم وملبوس الزهد ومأكوله يختلف باختلاف الازمان والأحوال والاماكن وكذلك هدم قبور الانبياء والاولياء وقبابهم ومشاهدهم . فهب أنه منهى عن ذلك نهى كراهة أو تحريم الا أن الهدم فى هذا الزمان صار يعد اهانة لهم فيتعارض واجب وهو الهدم ومحرم وهو الاهانة ، فيقدم الاهم . ولا شك أن مراعاة عدم اهانة النبي أو الولى أولى من كل شيء » انتهى كلام الرافضى

قلت : هذا الكلام وإن عده قائله من أعلى أنواع الفلسفة وأصدقها أو عده

---

(١) الغيبة هي ذكر المرء بما يكرهه غائباً فكيف يتأتى نهيه عن المنكر بذمه غائباً ؟ ! هذا ما لا يكون

بعض من لم يحط به علماً حقاً وصواباً ـ حاو لانواع كثيرة من أنواع الخلط وارتجاج المنطق وركاكة التصور وضآلة البصر بالدين وضعف التأليف ولو أريد بيانه كله لاحتمل وحده كتاباً مستقلا . ونحن ندل على بعض ما فيه دلالة سريعة عجلى ، وذلك بأمور :

(أولا)

الصحيح أن يقال ان أحكام القصد بالأفعال تختلف تبعاً لاختلاف القصد بها ، لا أن يقال ان الأفعال تختلف أحكامها باختلاف القصد بها كما ذكر هـذا . فان الفعلين المتساويين كما هو المفروض هنا لا يمكن أن يختلفا حكما وهما متساويان شكلا ودلالة إذا ما اختلف القصد بهما ، فيكون أحدهما حلالا والآخر حراما ، أو يكون أحدهما واجباً والآخر جائزاً . وهكذا . ولكن الذى يختلف فى ذلك هو حكم القصد لهذه الأفعال وما ينوى بها . فان نوي بها شر كانت هذه النية شراً محرم وإن نوى بها خير كانت خيراً حلالا مثابا عليها . فرجلان ضربا يتيما كما ذكر هذا الرجل انتفع هـذا اليتيم بالضرب أو ضر ، وكان أحد الضاربين ينوى فى نفسه العدوان والايذاء وكان الآخر ينوى التأديب والاصـلاح ، فانه لا يقال هنا ان حكم هذين الضربين اختلف لاختـلاف القصد فى نفس الضاربين ، فكان أحد الفعلين حراما وكان نظيره حلالا مستحباً أو واجباً ، ولكن يقال ان القصد بالفعلين اختلف فكان قصد خير وكان قصد شر . أو فكان أحد القصدين خيراً مثابا عليه وكان الثانى شراً معاقباً عليه ، فالقصدان هما اللذان اختلفا ، لا الفعلان ، ولا حكم الفعلين . ويوضح ذلك جيداً أن يعمل انسان طاعة من الطاعات المشروعة ، فيصلي مثلا أو يصوم أو يحج أو يزكى أو يعمـل عملا آخر من أعمال البر : يصلى مرة ، والحامل له على الصلاة غير الله كأن يرائى الناس ، أو يصلى طمعاً فى شهوة دنيوية

يريد قضاءها بصلاته ، ويصلى مرة أخرى ، ويريد بصلاته وجه الله وحده والدار الآخرة ، فالقصدان هنا مختلفان والفعلان متفقان صورة وشكلا . فلا يقال فى مثل هذا يقيناً ان حكم الصلاتين اختلف تبعاً لاختلاف القصدين ، بأن تكون إحدى الصلاتين حلالا والأخرى حراماً . ولكن الذى يقال هنا ان الذى اختلف هو القصد بالصلاتين فاختلف الجزاء على ذلك تبعاً لاختلاف القصد والنية ، لأن الأعمال بالنيات والمقاصد ، وبيان ذلك توضيحاً أن الأفعال إما أن تكون فى الأصل أفعال طاعة وخير كذكر الله ودعائه وكقصد المساجد وكالعطف على المنكوبين واليائسين وإما أن تكون أفعال معصية وشر كجحد الله وكالقدح فى الأديان والأنبياء ، وكالخضوع لغير الله من الأموات ، وكقهر الأيتام ونهر السائلين والمحتاجين ، وإما أن تكون دائرة بين هذه وهذه . وإما ألا تكون لا هذه ولا هذه

فالقسم الأول من الأفعال إذا ما جاء على وجهه المشروع لايمكن أن يكون معصية حراماً وإن كانت نية فاعلة ما كانت ، ولكن قصد الفاعل هو الذي قد يكون إثماً وبغياً محرماً ، وقد يكون طاعة وبراً وخيراً ، فالقصد بهذه الأفعال هو الذى يختلف فيكون حيناً حراماً وإثماً ، وحيناً آخر براً حلالا . أما الأفعال الظاهرة نفسها من هذا القسم فلن تكون حراماً ، فمن ذكر الله ودعاه وأحسن الى الفقير واليتيم والمنكوب ، وكان فى ذلك غير تقى القصد والنية لم تكن هذه الأفعال ذكر الله ودعاؤه والاحسان الى المحتاجين حراماً وجريمة ، بل ذلك طاعة ولاريب ولكن قصد بها معنى آخر

وأما القسم الآخر من الأفعال وهى أفعال المعصية والشر كالقدح فى الأديان والأنبياء وكالزنا والسرقة ونهر السائل وقهر اليتيم ونظائر ذلك ، فليس يمكن أن يكون طاعة ، ولا يمكن أن يكون حلالا مثاباً عليه . لكن لو فرض أنه رخص فى شيء من ذلك فى حالة من الحالات لغرض من الأغراض فى زمن من الأزمان لم

يكن ذلك الترخيص لأنه طاعة أو لأنه صار غير معصية . بل حكمه هو لم يختلف وإنما عارض حرمته معنى آخر ، كأن يكون وسيلة الى قهر معصية أكبر منه أو جلب طاعة نفعها أكبر من ضرره هو ، فيؤتى أخف الضررين ، كما يقولون لنيل كبرى الفائدتين ، فيؤتى الحرام ليقهر ما هو أحرم منه أو لتكتسب فائدة نفعها أعظم من ضرر ذلك الحرام المفترض ، ويكون ذلك كجائع خاف هلاك نفسه فوجد ميتة فأكل منها ليحتفظ برمقه . فالميتة ميتة لم تتغير ، وحكم الميتة هو لم يختلف لأنها حرمت للضرر الذي فيها . وضررها لايذهب أن وقعت فى يد جائع يخشى على نفسه الهلكة . ولكن هذا الضرر يحتمل لدفع ضرر أكبر منه ، وكذلك يقال فى سائر الضرورات وما يباح عند الضرورات فيه المعنيان معاً المقتضى والمانع كما يقولون . ولكن يُقْدم على الأخف الأسهل . وليس فى هذا أن شيئاً من الأشياء خرج عن حقيقته ، من حسن الى قبح أو من قبح الى حسن

وأما القسم الدائر بين أفعال الطاعات والخير وأفعال المعصية والشر كمثل السفر مثلا . فقد يكون سفراً يراد به طاعة وخير ، وقد يكون سفراً يراد به معصية وشر على حسب ما فى نفس المسافر ، فهذا القسم فى الواقع ليس طاعة فى نفسه ولا معصية . فلا يستحق صاحبه لذاته ثوابا ولا عقابا ولا قدحا ولامدحا ، ولكن القصد فيه هو الذى يكون تارة هذا وتارة هذا ، فتارة يكون شراً فيكون القصد نفسه هو الحرام والمعصية ، وتارة يكون خيراً فيكون القصد نفسه هو الطاعة . أما السفر نفسه فانه لم يوضع لا لهذا ولا لهذا فلا يكون بظاهره لاهذا ولا هذا

وأما القسم الرابع فكالكلام المباح العادي وكالحركات العادية ونظائر ذلك فهذا أيضاً لا يقال له طاعة ولا معصية ، ولكن قد يكون فى نية فاعله شيء من ذلك

وإذن لايصح قوله « ان الأفعال تختلف أحكامها لاختلاف القصد بها » وإنما الصحيح أن يقال ان القصد بالأفعال يختلف كثيراً ، ولو أنه صح قوله لكانت صلاة

من أراد بها غير الله حراماً معصية يطالب بتركها ويطالب بالتخلي عنها ، ولكن ذلك لا يمكن أن يكون ، فالصلاة طاعة مطلوبة من الناس وإن قصدوا بها غير الله كانوا معاقبين على القصد لا على الصلاة نفسها ، وكذلك من تصدق بماله في وجوه الخير والبر والاحسان وكان يقصد بعمله وصدقاته الفخر والمديح من الناس لا جزاء الله سبحانه وحده ، لا يقال ان عمل مثل هذا إثم وحرام ومؤاخذ عليه ، لأنه لو كان كذلك لكان مطالباً بتركه وهجرانه ، ولن يطالب محسن بترك احسانه لأن نيته مدخولة ، بل أعمال البر والخير تقبل من فاعلها وحساب ضميره الى الله وحده والله لن يقول له لماذا أنفقت مالك على المحتاجين والمعوزين ، ولا لماذا حنوت على الأيتام والأطفال ؟ وانما يقول له لماذا لم تقصد وجهي بذلك الانفاق وأنا الذي موّلك وأعطاك وأغناك ويسر لك سبل جمع الأموال ثم يسر لك سبل انفاقها والجود بها ألستُ أحق بأن ترعى رضاي وارادتي بأعمالك وبانفاق مالك ؟ واذا ما جاء في الكلام خلاف ذلك ، فهو متوسع فيه بضرب من ضروب المجاز والتأويل السائغ في الكلام الذي لا يعنى به التحقيق العلمي

(ثانيا)

قوله : « ان السجود عند القبر النبوي مستحب راجح بقصد شكر الله على أن وفقه لزيارته » قول قائم على أمرين : أحدهما أن من زار قبر الرسول ﷺ ستحب له أن يسجد لله شكراً على تلك الزيارة وذلك التوفيق . وثانيهما أنه جائز بلا كراهة ولا تحريم السجود عند القبر النبوي وعند القبور على وجه العموم . والمقدمتان كلاهما باطلة كاذبة وكلاهما خلاف سنة المسلمين العملية التي لا تختلف ولا يتنازع فيها اثنان من العلماء الذين لهم لسان صدق في العالمين وإمامة في المسلمين . أما الأمر الأول وهو استحباب سجود الشكر لدى زيارة القبر الشريف فلا ريب

أن ذلك عمل غير صالح وعمل غير مشروع . فلم يأت فيه خبر صحيح ولا ضعيف لا عن رسول الله ﷺ ولا عن صحابته ولا عن أحد من أهل البيت وأئمة البيت ولا عن أحد من علماء الحديث وعلماء الفقه كالأئمة الاربعة ، ولا عن أحد ممن يشابه هؤلاء دينا وعلماً . بل لقد كان الناس يزورون الرسول الكريم نفسه ويرون ذاته الكريمة ووجهه الكريم ويسمعون كلامه ويتمتعون بلقائه ، ولم يأت عن أحد منهم أنه سجد عند لقائه شكراً لله على رؤياه ولقياه ، ولقد كان أصحابه الكبار يفارقونه عليه الصلاة والسلام فى الغزوات وفى الاسفار المطوحة وفى المهاجرة ثم يلاقونه بعد الفراق وبعد اصطلائهم بنيران الاشواق فلا يسجد أحد من هؤلاء الصحابة لله شكراً على أن ظفر بلقاء أحب الناس اليه وظفر بزيارته . انه لم يأت عن أحد من هؤلاء أنه فعل ذلك أو همَّ به أو تحدث عنه ولا جاء عنه عليه السلام أنه أمر بذلك أو أشار به أو ذكر له فضلا وقربة أو أباحه ، لا خلاف أنه لم يكن شيء من ذلك فممن إذاً يجوز هذا العمل ، وبأي دليل يعلم انه يشرع لمن زار القبر النبوى أن يسجد شكراً لله ، بل وأين البرهان على أن زيارة القبر الشريف عمل عظيم يستحق أن يسجد لله شكراً لاجله ، انه لم يأت حديث واحد صحيح يدل على أن فى ذلك فضلا وثوابا ، وأجراً كبيراً . وما جاء من الأحاديث فى ذلك كلها غير صحيح ، كما سوف يجيء بحث ذلك فى الباب الخاص به . ولا عرف أن أحداً من صحابة الرسول أو أن أحداً من شيوخ السنة والحديث والفقه كان يحرص على ذلك ويتطلب أجره وثوابه ، بل لقد جاء نهيهم عن ذلك من طرق مختلفة كما مر عن على بن الحسين ، وعن الحسن بن الحسن وعن غيرهما من الصحابة رضوان الله عليهم ، وقد صح عن الامام مالك أمام دار الهجرة ومدينة الرسول ووكر الأنصار والمهاجرين أنه كره أن يقال زرنا قبر النبى . وقد روى هذا عنه القاضى « عياض » فى الشفاء وغيره ، وذلك لأنه لم يعرف فى ذلك

نقلا ولم يجده من سنة المسلمين التى وجد عليها أهل المدينة . كيف ذلك والسفر الى الرسول الكريم لما أن كان حيًا لم يكن مطلوبا لذاته ومرغوبا فيه نفسه ، وانما كان السفر اليه مطلوبا وواجبا حينما كان الناس يهربون بدينهم وعقائدهم وأنفسهم اليه والى المدينة عاصمة الاسلام ، وحينما كانوا يذهبون اليه ليتلقوا عنه الاسلام وتعاليمه ، أما بعد ذلك فلم يكن السفر اليه مطلوبا ولا مرغوبا فيه ، والحجة على ذلك أنه عليه السلام كان يقول للناس بعد انتشار الاسلام وعلو سلطانه (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية) . وكان يأبى مبايعة الناس على الهجرة بعد الفتح ولكن يبايعهم على الاسلام والايمان والجهاد والنية ، وذلك لأن السفر الى ذاته الشريفة لم يكن مطلوبا لذاته كما قلنا . بل يطلب ذلك لدى الفائدة كالرغبة فى التعليم منه والجهاد معه ومناصرته والفرار بالدين اليه فى دار منعته وعزه ودار جيوشه وجنود الله الأنصار . أما بعد ذلك فلا فائدة فى الذهاب اليه بهذه الدلائل

أتراه لا يرغب فى السفر اليه حينما كان حيًا ويرغب فيه بعد انتقاله الى الله والى الرفيق الأعلى ؟ هذا مالا يكون ، كيف والزائر اما أن يكون من أهل المدينة أو يكون من أهل الأقطار والبلدان الأخرى النائية فان كان من أهل المدينة نفسها فذهب الى القبر الشريف وزاره وطاف به ، فأى فضل حازه بهذه الزيارة ، وأية منقبة نالها يسجد لله شكراً لأجلها ؟ لا أظن أحداً يستطيع أن يثبت أن فى ذلك أي فى الوصول الى القبر الشريف فضيلة أو ثوابًا . وأما الثواب الذى يكون بالصلاة والسلام عليه فانه يحصل للقريب من قبره والبعيد عنه ولا فرق . وقد جاء فى الحديث أنه عليه السلام قال : « إن لله ملائكة سياحين يبلغونني عن أمتي السلام » وتقدم حديث على بن الحسين الذى فيه (وصلوا عليّ فان صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم) وتقدم قول الحسن بن الحسن (ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء) وروى البيهقى وابن أبى شيبة أنه عليه السلام قال « من صلى عليّ عند قبرى سمعته

ومن صلى على نائياً بلغته) فالأشياء المشروعة كالصلاة والسلام على الرسول الكريم لافرق فيها بين القرب والنأي فانها حاصلة فى الحالتين . وأما مشاهدة القبر الشريف نفسه ومشاهدة الأحجار نفسها فلا فضل فيها ولا ثواب بلا خلاف بين علماء الاسلام . بل ان مشاهدته عليه الصلاة والسلام حينما كان حياً لا فضل لها بذاتها ، وانما الفضل فى الايمان به والتعلم منه والاقتداء به والنهج منهجه ومناصرته . وبالاجمال ان أحداً من الناس لن يستطيع أن يثبت لزيارة القبر الشريف فضلا ما وهذا واضح من سيرة المسلمين الأولين ، فانهم ما كانوا يتهافتون على الزيارة كما كانوا يتهافتون على الطاعات واتباع الرسول الكريم والسير على آثاره والنهج مناهجه فى أعمال البر والخير . بل الذى جاء عنهم النهى عن الحرص على زيارة القبر الشريف كما سبق فى حديث على بن الحسين وحديث الحسن بن الحسن . ولا يصلح آخر هذه الامة إلا ما أصلح أولها كما قال الامام مالك

هذا اذا فرضنا الزائر من أهل المدينة المنورة

وأما ان كان من أهل الاقطار الأخرى النائية فهذا لا تشرع له الزيارة التى تكون بسفر مقصود كما سوف يجيء فى الموضع الخاص به من الكتاب . فمشاهدة القبر المطهر لا فضل فيها على الحالين والافتراضين

وأما المقدمة الثانية وهي السجود عند القبر فنقول : ان ذلك لا يجوز ولا يشرع مطلقاً بل هذا من أعظم الذرائع والوسائل الى عبادة الرسول الكريم والغلو فيه وفى الأموات . وما فعل هذا أحد من علماء الاسلام الحق أو رضيه أو دعا اليه أو أباحه ، وقد جاءت الاحاديث الصحاح ناهية عن ذلك أشد النهى بأساليب مختلفة وطرق مختلفة وعبارات مختلفة فجاء فى الصحيح (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) وجاء فيه أيضاً (ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فانى أنهاكم عن

ذلك) وفى صحيح مسلم عن أبي مرثد الغنوى أن النبي عليه السلام قال « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها » ، وروى الامام أحمد وغيره أنه عليه السلام قال « ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد » وقال « لا تجعلوا قبرى عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا علىّ فان صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم » رواه أبو داود ، وقال : « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد . اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » رواه الامام مالك فى الموطأ

والأحاديث فى هذا الباب بالغة مبلغ التواتر المعنوى وستأتى فى الباب الخاص بها ان شاء الله

وقد تقدم أن عمر بن الخطاب كان ينهى عن اتباع آثار الرسول الكريم خوف الفتنة والغلو . وتقدم أنه لما رأى الناس يذهبون الى المسجد الذى صلى فيه الرسول عليه السلام ليصلوا فيه أنكر ذلك ونهى عنه . وقال ان مثل هذا هو الذى أهلك الامم السابقة . وأنه أمر بقطع الشجرة التى بويع تحتها الرسول ﷺ لما رأى أناساً يقصدون الصلاة عندها

وتقدم أن على بن الحسين زين العابدين وأن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب أنكرا على الرجل الذى كان يدعو عند القبر ونهياه وأخبراه أن الرسول ﷺ نهى عن ذلك ومنعه

فاذا ما كان الصحابة ، الخلفاء وآل البيت ، وكان الأئمة كمالك وغيره ينهون عن الدعاء وقصد الدعاء عند القبر الشريف . فكيف تكون حال الصلاة عند القبر بل كيف تكون حال السجود الذي يسميه هذا الرجل سجود شكر لله ؟ ان الفرق بين الأمرين عظيم جداً . وليس من ريب أن السجود مفرداً فى هذا المقام أشد خطراً على العقيدة وأكثر ايهاماً من الصلاة التامة ذات الركوع والسجود والقيام

والقعود فان السجود المفرد عند القبر يشعر إشعاراً قويا يكاد يكون صريحاً أن السجود لصاحب القبر . وبعيد جداً أن يفهم أحد أن ذلك السجود سجود شكر لله على أن وفق للزيارة

وروى الامام أحمد وابن ماجه أن رجلا قال للرسول ﷺ إنى نذرت لله نذراً فى مكان كذا فقال الرسول له : أ كان بهذا المكان الذى نذرت لله فيه وثن أو طاغية ؟ فقال الرجل لا . فقال له الرسول (أوف بنذرك) . ومعنى هذا أنه لو كان فى ذلك المكان الذي نذر أن يذبح لله فيه وثن أو طاغية كان يعبده أهل الجاهلية لما جاز أن يذبح لله فيه ولا أن يعبد الله فيه ، وإن كان العابد والذابح لا يقصد شيئا مما كان يقصده أهل الجاهلية . وإن كان لا يقصد إلا وجه الله . ولا ريب أن مثل الذبح الصلاة والركوع والسجود ونظائر ذلك . ولماذا هذا ؟؟؟ لاريب أن ذلك نأى عن مواقع الشبهات ووسائل الضلالة ، ومشابهة المشركين الناذرين لغير الله الذابحين للأصنام والأوثان . واذا كان ذلك كذلك فلا ريب أن السجود عند القبر الشريف فيه هذا المحذور بشكل أعظم وأكبر ، لأن الرسول الكريم ﷺ يخشى من الغلو فيه ومن عبادته أكثر مما يخشى ذلك فى غيره لما له من المقام العظيم فى نفوس المؤمنين ، ولما له من المكانة العظيمة عند الله ، ومن كان بهذه المنزلة كان ولا شك الغلو فيه ذريعة الى إعطائه أكثر من حقه . وقد عبدت الأنبياء وعبد الصالحون ، وعبد النصارى عيسى وعبدت الشيعة عليًا كما تقدم ،وعبد قوم نوح عليه السلام وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً - كما فى القرآن - وهم رجال صالحون كما روى ذلك البخارى عن عبد الله بن عباس ، وغيره عن غيره . ولقد جاء فى الشرع أبلغ من هذا كله فى مجانبة مواطن الفتن وإفساد العقيدة ومحاكاة المشركين والكافرين ، وصحت الأحاديث من طرق كثيرة فى كتب الصحاح أن الرسول الكريم نهى عن الصلاة لله وقت طلوع الشمس ووقت غروبها

ووقت زوالها ، وذلك خوف أن يثب الى الأذهان أن الصلاة فى هـذه الأوقات للشمس لا لله ، لأن المشركين كانوا أو كان طوائف منهم يسجدون للشمس فى هذه الأوقات : وقت طلوعها تحيـة لها وسروراً بها ، ووقت غروبها توديعاً لها وتودداً اليها لتعود طالعة . وهكذا دواليك ، وليس من ريب عنـد المسلمين أن خوف الفتنة فى الرسول الكريم وفى الصالحين والأشياخ المعظمين أعظم وأظهر منه فى الشمس والقمر وسائر الأفلاك . فان غلوهم فى الرسول وفى الأوليـاء مخوف ، بل وواقع اكثر منه فى الشمس ، بل لا مناسبة بين الأمرين مطلقاً . والذى وقع وحق أنهم غلوا فى الرسول وفى الأولياء ، ولكنهم لم يغلوا فى الشمس ولا فى غيرها من الأجرام العلوية . ولا ريب أنه يجب أن يعطى الشيء من التقدير بقـدر ما له من التأثير ، وإلا كان الحكم جوراً لا عدلا والعدل مطلوب فى جميع الحالات وفى كل الأشياء . وقد جاء عن السلف من المبالغة فى هـذا الشيء الكثير ، حتى انهم تركوا بعض السنن خوفا أن تكون وسيلة وذريعـة الى باطل ، وهو أن يظن الجهال أن هذه السنن واجبات وفرائض . فكيف اذا كان الشيء يخشى أن يكون ذريعة الى عبـادة المخلوق وإعطائه حق الله ؟ ! ان الفرق واسع بين . وقد سلف ما نقلناه في ذلك من كتاب الشاطبي الاعتصام عن السلف الصالحين . فانظر أيدك الله فهم القوم روح الدين وتخوفهم من الباطل وفرارهم من الخطأ غايات ووسائل

ولو ذهبنا نعدد الدلائل على أن السجود عند القبر الشريف من أكبر الضلال وأعظم مكايد الشيطان لطال بنا القول ولخرج بنا من المقصود . ولكن هذا الرجل لو طلب منه دليل واحد على جواز السجود عنـد القبر النبوى سواء أكان هـذا السجود جائزاً أم ممنوعاً لما استطاع اليه سبيلا ، بل ولما وجد عالماً من علماء الاسلام المشهورين يوافقه عليه . وقول هذا حاله لا يعبأ به ، ويا ويح طائفة الشيعة ! ! ! كم لقى الاسلام والمسلمون من مبتـدعاتهم واختراعاتهم وغلوهم فى عباد الله وانتقاصهم

حق الله . فأوّلوهم عبدوا علياً وألهوه ، ثم ظلوا يشيدون المشاهد ويزخرفون القبور ويعظمونها شتى التعظيم بالأقوال وبالأعمال وبكل ما استطاعوا ، وما اقتصروا على ذلك ، بل غلوا وغلوا حتى ادعوا العصمة فى أئمتهم ، وادعوا أنهم لا يخطئون ولا يقولون إلا الحق لا عمداً ولا سهواً ، وحتى ادعوا أن من لم يدع فيهم العصمة ومن لم يقدمهم على كل الناس فليس له إيمان ولا إسلام ، وها هم بقاياهم يدعون الى الاستغاثة بالأموات وطلبهم ما لا يقدر عليه إلا الله ، ويدعون الى السجود عند القبور وفوقها مضلاين على الناس مرادهم ، مدعين بأن ذلك سجود شكر لله أو مدعين أن فى ذلك مجازاً أو تأويلا . هذه وثنية ولكنها وثنية مخادعة مغررة غير صريحة ولا صادقة . بل هى وثنية منافقة مضلة . والله بقصدهم محيط . فالسجود لأجل الوصول الى القبر كما يدعون ، ثم هو عند القبر وقبالته . فما بقى بعد هذا ??? انهم يحشدون فى الكلام « شكراً لله » دريئة وتقية لا أقل ولا أكثر

(ثالثها)

قوله « وقد يكون ترك القيام للمرء في زمان ومكان إهانة فيحرم وقد لا يكون إهانة فى بلاد أخرى وزمان آخر فلا يحرم »

لا يدرى ما معنى هذا ولا ما موضعه إن كان يريد أن الشرع جاء مفصلا هذا التفصيل ، أي قائلا اذا كان ترك القيام للمرء إهانة فواجب عليكم أن تقوموا وإلا أثمتم لأن إهانة الناس جريمة . وإذا كان ترك القيام لا يعد إهانة فليس واجبا عليكم القيام ، بل جائز أو مندوب أو مكروه أو حرام ، إن كان يريد أن الشرع جاء بهذا التفصيل فهذا القول غلط فاضح واضح لا دليل عليه سوى الدعوى والتحكم . وأما إن كان يريد أن الشرع جاء بتحريم القيام تعظيما للناس ، ولكن مع هذا إذا ما كان أناس فى زمن من الأزمان يعدون ترك القيام لهم إهانة وجب

القيام للناس ، ولذلك الانسان الذي يعد ترك القيام اهانة له تخصيصاً لما جاء في الشرع وتغييراً لما حكم به تبعاً لاختلاف العادات والأزمان والبلاد والأحوال والأشخاص ، فهو أيضاً غلط واضح ، فان شرع الله لا يغير ولا يخالف بمثل هذا ولو فتح هذا الباب لفسد الدين جملة . فقد يرى المتكبرون أن من الاهانة لهم أن يدعوا خدمهم ومن تحت سلطانهم فلا يلبوا نداءهم ولا يبادروا الى المثول بين أيديهم ، حتى ولو كانوا وقوفاً بين يدى رب العالمين ، يؤدون الواجبات الدينية فهل يقال انه واجب على الخدم فى هذه الحالة وهذا الموقف أن يخرجوا من صلاتهم ويقطعوا عباداتهم ليقوموا برغبات أولئك المخدومين المتكبرين لئلا تلحقهم إهانة أو يستشعروا أن خدمهم أهانوهم ؟؟؟ الذى يقضى به كلام هذا الرجل إذا كان مراده ما ذكرنا أن يكون جوابه على هذا السؤال « نعم » ، وقد يرى كثيرون من البغاة الطغاة أن من الاهانة الكبرى لهم أن يسمع المجالس لهم النداء الى الصلاة فيقوم ويتركهم ليؤدى صلاته وليقوم بواجبه الدينى . فهل يحرم القيام للصلاة فى هذه الحالة لئلا يشعر هؤلاء بالاهانة ؟ ؟ وقد يرى كثيرون من المنسمين بالعلم والمعرفة أن مطالبتهم بالدليل على ما يقولون اهانة لهم ، وأن معارضتهم بالدلائل إهانة أيضاً ، فهل يتقبل قولهم على علاته وتقتفى آثارهم ويترك جدالهم بالبرهان لئلا تلحقهم إهانة؟ وكثيرون يرون أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر إهانة لهم . فهل يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خوف إهانة الناس ؟ هذا ما لا يكون

وأما إن كان يريد أن الشرع جاء مبيحاً القيام للناس إباحة مطلقة فى كل الحالات . ولكن قد يجب ذلك لمن يعدون تركه إهانة لهم وجرحاً فى عزتهم او كبريائهم فهو أيضاً غلط فاضح واضح ، ولا يوجد مثل هذا التفصيل فى دين الاسلام المسوى بين الناس ، الموعد المتكبرين ذوى الغطرسة والعنجهية بالعذاب الأليم الأشد . ومحال أن يقال ان القيام مباح فى الاسلام لكل الناس ، وجائز

لكل قادم . ولكنه واجب لمن يعدون تركه اهانة لهم ، فان فى هذا الاعتراف بالتفرقة بين الناس ، وجعلهم طبقات أشرافا وأطرافا وصغاراً وكباراً . وفي هذا الدعاية للكبرياء والتعاظم . وأى نفس لا تحب من الناس تعظيمها واكبارها بالقيام وبغير القيام وبكل مايشعر بالاحترام والتعظيم وهذا هو الفوضى بعينها

إذن انه لا معنى لقوله هنا . وقد قدمنا فى الأمر الذي قبل هذا أن أصحاب رسول الله عليه السلام ما كانوا يقومون له لما يعلمون من كراهيته القيام ، وتقدم أنه نهاهم عنه وقال : ان ذلك فعل فارس والروم ، فلاتفعلوا

(رابعا)

أما قوله « فهب أنه كان منهيًا عن البناء على القبور ورفع القباب فوقها ولكن لا يجوز هدم ذلك لأن هدمه صار يعد إهانة الى آخره » فقول يدعو للاسف والرثاء . فانه يقال لقائله : إما أن تريد أن ذلك أصبح يعد إهانة عند من يعتقد أن الاسلام نهى عنه ، ومن يعتقد أن الانبياء والعلماء نهوا عنه ؟ واما أن تريد أنه إهانة عند من لم يعلم النهى عنه ، أو تريد أنه اهانة عند الفريقين ؟ أما الاول فليس بصحيح ، وكذا الثانى . فان الذين يعرفون أن الاسلام نهى عن هذا البناء وأمر بهدمه لا يمكن أن يعدوا القيام بالشرع والعمل بما جاء عن الرسول الكريم اهانة لا للرسول الكريم ولا للاولياء المتقين الذين لا يتعشقون مثل أن يروا الشرع قائمًا معمولا به . هذا محال . بل إنهم يعلمون أن ترك الشرع وإهمال العمل بأقوال الشارع وأقوال العلماء الأعلام هو الاهانة الكبرى البينة ، وهذا لاينازع فيه من يعرف مايقال ، ونحن لانستطيع ولا عاقل والله يستطيع أن يدعى أن انفاذ قول الرسول فى هدم القباب يعد اهانة للرسول ! نعوذ بالله ! ! هذا من أعظم القدح فى الرسول وفى العلماء وفى المسلمين عموما

وأما إن أراد ان ذلك معدود اهانة عند من لم يعرف الشرع ولا حكم الله في هذه المسألة . فالجاهل يُعلم ويعرّف ، ولا يجارى على جهله وضلاله . فان في هذا الاعتراف عمليًا بالجهالات والضلالات ، والاسلام إنما جاء بالتعليم تعليم الجاهلين ، لا الاعتراف لهم بالحالة الراهنة الجاهلة ، وإلا لما كان هنالك حاجة الى الرسالة والرسل والكتب

وقد كان الاسلام بجملته معدوداً عند الجاهلين اهانة للاولياء والاصنام وللآباء والأجداد والاشياخ . والنصارى يعدون ما جاء به الاسلام من التوحيد وتقديس الله اهانة لعيسى وأمه وللاحبار والرهبان والقسيسين والآلهة الآخرين ، وما ترك الاسلام ولا الرسول الكريم الشرائع والتعاليم مجاراة للجاهلين واعترافا بالجهالات والضلالات مخافة أن يهينوا أحداً أو يؤذوا أحداً هذا محال وواضح في وقت واحد . فما قاله هذا الرجل بعيد جداً عن المعرفة بعيد عن المنطق الصحيح السليم بعيد عما يجب أن يكتب ويذاع، وأيضاً لاريب أن كل طائفة منحرفة تغلو في أشياخها ومن تعتقد لهم الكرامة والتبريز غلواً ترى من الاهانة معه لهم أن يحملوا على الشرع وأن يؤخذوا به وبآدابه . فالرافضة ترى أن من الاهانة الكبرى لعلى وبقية أئمتهم المعصومين أن يقال انهم غير معصومين أو أن يقال انهم يخطئون ويصيبون كبقية الناس ، وترى أيضاً أن من الاهانة تقديم أبي بكر وعمر وعثمان على عليّ وذريته فهل تجارى الرافضة على هذا الاثم والعدوان أم تُعلم وتدل على الطريق القويم ؟ الجواب معروف واضح

وكذلك الجهال الذين يغلون في مشايخهم ويرونهم لا يخطئون ولا يغلطون ولا يجادلون ولا يعترض عليهم ، ولو فسقوا وكفروا وجهلوا وخرجوا على الحشمة والأدب ، ولو تركوا الصلوات وفرائض الاسلام . فهل يجارى هؤلاء على هذا الجهل أم يعرّفون ويعلمون ويردعون ؟ ان الجواب واضح معلوم

بل ان كثيرين من الغلاة الجهال يرون من الاهانة العظمى للرسول الكريم القول بأنه لا يعلم الغيب ولا يقدر على اجابة طلبات الطالبين . فهل يجارى هؤلاء الجهال ويتركون وجهلهم أم ينهون ويعلمون ؟ الجواب واضح معلوم

على أننا نعارض هذا القول ونقول إننا نعرف بالضرورة أن من أعظم الاهانة للرسول أن ندع قوله والعمل به بعدا عن وهم اهانته وخوفا من الاساءة المزعومة فان فى هذا الاعتراف ضمناً بأنه عليه السلام يكره العمل بما جاء به فى هذه المسألة وأنه يحب أن يغلى فيه أكثر من المشروع والمطلوب الذي أتى به عن الله . ومن ظن فيه هذا الظن فقد قدح فيه أشنع القدح . بل اننا نعرف بالضرورة أن فى ترك العمل بما قاله اهانة له مقصودة أو غير مقصودة ، والاحترام والاكرام له ولغيره فى إنفاذ قوله والعمل بما جاء به وما قاله من الحق والهدى ، وهو لا يقول غير الحق والهدى

ولو أن رجلا معظما كملك أراد تعظيم مرء فطلب منه برغبة والحاح وتوكيد شديد أن يجلس بجانبه . فأبى ذلك المرء الجلوس بدعوى التأدب والاحترام للملك وخوف الاهانة له لكان ذلك المرء غالطاً جديراً بالملامة والاهانة ، ولو قبل قول الملك وقبل كرامته فجلس بجانبه لما عد أحد ذلك اهانة للملك البتة . هذا على أن بين المثالين فرقا عظيما يعلمه من يعلم مقام الرسول الكريم عليه السلام

وبالاجمال القول بمقتضى ماقال هذا الرافضى مفسد للدين وللدنيا والمعقولات

وهنا نذكر أن هذا الرجل يخلط بين القبر وبناء القباب والمساجد عليه ، وفرق بين الأمرين . فالقبر لا يصح هدمه بتاتا ولا يقول بهذا أحد من المسلمين وانما تهدم القباب والمساجد المشيدة فوق القبور لا القبور نفسها . فليفطن لهذا

هذا ماتصلح مناقشته مما كتب هنا والباقي حشو وغثاء لا يتعلق بموضوعنا منه شيء ، وسوف يجيء بيان أكثر من هذا

الأمر الحادى عشر

قال الرافضي « قد يتعارض محرم وواجب فيقدم الأهم ، وذلك كلمس جسم المرأة الأجنبية فانه محرم ولكن اذا توقف على ذلك انقاذها وعلاجها وجب أو جاز . وكالنظر الى العورة ، فانه حرام ويباح للطبيب ، وعلى هذا كان واجبا على الوهابيين ألا يتعرضوا لهدم القبور فان هدمها يسوء ثلاثمائة وخمسين مليون مسلم ومراعاة هؤلاء أهم فى نظر الشارع من البناء على القبور . وهدم القبور لو كان ذلك مشروعاً مطلوبا فان فى هدمها شق عصا المسلمين وتفريق كلمتهم . أفلا أبقوا عليها كما أبقوا على القبر النبوي وهو عندهم محرم ولكن تركوه دفعاً لأعظم المفسدتين ومراعاة لأهم المصلحتين » انتهى كلام الرافضى . قلت :

(أولا)

كلامه هنا مفروض فيه أن هدم القبور واجب والبناء عليها غير جائز . ولكن يترك ذلك لأن فعله يقابل مفسدة كبرى وهي اغضاب المسلمين وتفريق كلمتهم . فيترك هذا الواجب حذار هذا المحرّم . فاذا كان ذلك كذلك قيل له أنت تدلى بهذا الكلام وهذه النصيحة بعد أن انتهى الأمر وقضى ، وهدمت القبور التى تحذر من هدمها الفتنة والفرقة كما تزعم . فلماذا هذا الكلام وهذه النصيحة اليوم ، ولماذا هذا النزاع وقد حم الأمر وهدم ما وجب هدمه وكان ما كان ؟ انه لا فائدة فى كلامك هنا اليوم البتة لأنه لو فرض أن الحق فيما تقول وفرض أنه كان من الحق أن تترك القبور كما هى مشيدة مرفوعة حتى ولو كان واجباً هدم ما فوقها من القبب مراعاة لشعور المسلمين حسب قوله . ولكن هذا الكلام على هذا النحو إنما ينفع قبل وقوع الأمر حينما كان مستقبلا يمكن امتثاله . أما بعد انتهائه واستدباره فلا فائدة فى الكلام اليوم غير تأريث العداوة التى يخافها وإحداث الفرقة التى يتقيها ، وغير زيادة الفتنة فتنا

والمداوة عداوات ، هذا لا ريب فيه . بل كان الواجب عليه اذا كان كما يفرض وكما يقول أن يجهر وقد انتهى الأمر وحم المقدور بأن النجديين لم يفعلوا إلا واجبا ولم يزيلوا سوى ما وجب زواله ، وذلك لتسكين الفتنة التى يذكرها وتثبيط الفرقة التى يخوف بها ويخاف منها والتى يرضى ترك الواجب حذارها ، لا أن يذهب ينادى بأن النجديين هدموا القبور وآذوا المسلمين والصالحين وآذوا الرسول الكريم ، وأمثال هذه الكلمات التى لا يراد بها غير احداث البغضاء ، واحراج الصدور ، وتفاقم الفتن . .

وأيضا أنت أيها القائل اذا ما كان قولك حقا وكنت صادقا فيه حريصا على جمع كلمة المسلمين حريصا على نماء المودة ما بينهم أفلا كان الواجب عليك حينئذ ألا تهاجم أهل السنة بهذا الكلام الفاسد الباطل المثير لو فرض أنه صحيح وألا تكتب ما كتبت فى هذا الكتاب وألا تتعرض لأهل السنة من أهل نجد ولدولتهم القائمة فى ملجأ الدين وفى الحرمين الشريفين بالشريعة الاسلامية الغراء وبالقسط والعدل حذار الفوضى والتقاطع بين أهل الاسلام . أفما تخاف اذا ما كنت صادقا فى النصيحة من أن يحدث كلامك حربا أو حقداً أو عداوة ؟ فهلا نصحت نفسك قبل أن تنصح أهل السنة القائمين بالشرع النبوي ، أفلا تتلو الكتاب الكريم : « أتأمرون الناس بالبر . . » الآية

وأيضا إذا ما كان هذا الشيعى محقاً فيما قال حريصاً حقاً على لم شعث المسلمين صادقا فى هذه النصيحة ، فلماذا لا ينصح بنى دينه وجلدته الرافضة وينهاهم ويذودهم عن سب سادات المهاجرين والأنصار وخيار صحابة الرسول الكريم وخيار المسلمين من أهل السنة فى كل زمان ومكان ؟ . فان طائفته الرافضة تجاهر كما قدمنا بتكفير كبار الصحابة وأمهات المؤمنين أزواج النبى الكريم ورميهم ورميهن بكبر الكبريات التى لا يستطيع الكثيرون من عقلاء الكفار حكايتها فضلا عن اختراعها والايمان بها ؟

بل أفلا ينصح نفسه هو فيزجرها بألا يهاجم الصحابة وأمهات المؤمنين وأئمة المسلمين بالا كفار والمقادح الظالمة الأثيمـة ؟ أعدل أن ينصح من يهدمون القباب المشيدة فوق القبور امتثالا لأقوال الرسول ﷺ ولسنته وسنة أصحابه ومن تبعهم بالاحسان والايمان ، ولا تسدى هـذه النصيحة الى من يكفّرون الخلفاء الراشدين المهديين ، ومن يكفرون زوجات النبي ﷺ في الدنيا والآخرى ، ومن يكفرون أفضل البشر بعد الأنبياء لدى المسلمين أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة وطلحة والزبير وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد ؟ أمن الحق أن يكون هدم القبور يسوء المسلمين ويفرق كلمتهم ويشتت شملهم ثم لايكون شيء من ذلك في إكفار أبي بكر وعمر وعثمان وكبار المهاجرين والأنصار ؟ أمن الحق أن ينصح من هدموا القباب المزخرفة عبثا وجهلا وغلواً ، فيقال لهم لاتفرقوا كلمة أهل الاسلام ولا تؤذوا المسلمين ولا يقال لمن كفّـر أئمة الاسلام وأنصار الرسول وجنود الله لاتؤذوا الله ورسوله والمسلمين ولا تفرقوا كلمة المؤمنين

فاعجب أيها الانسان ممن يقول ان أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير كفار أو فسقة ظلمة إذا ما راح ينصح من يهدم الأبنيـة المقامة عبثا على القبور عصيانا لله ولرسوله ولصحابته ولأئمة المسلمين قائلا ان في هذا اساءة الى المسلمين . فاعجب ثم اعجب ثم اسأل الله السلامة ، سلامة الدين والعقيدة والضمير

(ثانيا)

انسلم أن في هدم القباب المشيدة شيئا من خوف الفتنة ، وشيئا من إيلام بعض النفوس . ولكننا نقول مع ذلك ان هدم القباب أرجح وأولى من إبقائها بدلائل كثيرة : (أولاها) أن المحذور في هدمها الذى ذكره هذا الرجل هو خوف الفتنة والعداوة ما بين المسلمين ، هذا هوالذى يخشى ويرعى جانبه . ولكن هذا المحذور

غير صحيح وغير واجب الرعاية . بل ولا كان مشكوكا فيه عند المتأملين ، والشاهد على ذلك الواقع نفسه . فان القباب هدمت كما يدعى هو وقضي الأمر وعمل بالسنة الآمرة بهدمها وفض النزاع ، ومع هذا لم يحصل المحذور الذى خشيه الرافضى وعده مانعاً من العمل بالسنة مانعاً من هدم القباب ، والواقع أكبر دليل . بل المسلمون اليوم راضون عن الحكومة السعودية كل الرضا ، وهم يزدادون مودة لها ورضا عنها كل يوم وكل ساعة ، وما كان هدم القباب مانعاً من هـذه المودة ومن نمائها ومن هذا الرضا ومن نموه بل لقد كان ذلك من أسباب هذه المودة وهذا الرضا ، بل لقد كان هذا من الدلائل القائمـة على أن الحكومة السعودية هى الحكومة الشرعية السلفية حقاً ، والواقع أفصح شاهد ، والدلائل على رضا المسلمين وانصباب أهوائهم نحوها تتناثر من كل جانب ، فلينظر ذلك من يريد الاعتراف بالحقيقـة الخالدة والحق الصراح

وإذا ما كان العمل بالواجب يعارضه خوف الوقوع فى أحضان المحرم ثم تبين أن هذا المحرم المخشي القائم فى وجه العمل بالواجب لا يصح أن يخشى ولا أن يرعى لأنه لن يكون ولن يقع ، كان العمل بالواجب لازماً ولا ريب ، وكان الغاء تخوف المحرم فرضاً ولا شك . وهذه المسألة التى معنا هى كذلك . فان الواجب وهو هدم القباب المشيدة قد نفذ وانتهى منه ولم يقع شيء من المحذور الذى هو خوف الفتنة والفرقة . فكان الصواب الذي لا صواب فى غيره القيام بهذا الواجب والاسراع الى انفاذه (ثانيها) أن الذي فرضه هذا الرجل فى المسألة أن هدم القباب واجب ، ولكن يعارض هذا الواجب محرم ، وهو الفتنة والتعادى بين أهل الاسلام ، فيتعارض الأمران فيرجح فى رأيه الأخير أي خوف الفتنة واتقاؤها على الأول . ونحن نقول اذا كان الأمر كما ذكر كان العمل بالواجب ولا شك أرجح من تركه خيفة الحرام ، وذلك أن فى بقاء هذا

المحرم محرمات أخرى متعددة كالغلو فى أصحاب القبور ودعائهم والاستغاثة بهم والرجوع اليهم حين النكبات والحاح الحاجات ، ولتقديم القرابين والنذور والهدايا ، وإيقاد السرج والأنوار فوقها وسائر المحدثات فوق القباب المشيدة وهذه كلها محرمات شرعا وعقلا وذوقا كما سوف يأتى ، واذا ما كان ذلك كذلك فلا ريب فى أن بقاء القباب وزخرفتها هو الذى يغرى بارتكاب هذه المآثم واجتراح هذه الكبائر المحرمة ، وهو الذى يقول للجاهلين باللسان الصامت والمشاهدة الصامتة اعملوا هذه الأعمال واغلوا أكثر مما كنتم تغلون

ولا ريب أن قبراً سواء أكان قبر نبى أم قبر ولى لا تكون فوقه هذه الزخارف والمظاهر من القباب والسرج والزينات والبناءات الهائلة لا يمكن أن يغلى فيه مثل مايغلى فى القبر الذى تكون فوقه هذه الأمور ، والدليل على ذلك أن طائفة الشيعة تغلو فى قبور آل البيت وغير آل البيت من المقبورين عندهم فى النجف وكربلاء المزينة قبورهم بالقباب والسرج والزينات غلواً لا يجعلونه بل ولا بعضه للانبياء وأولى العزم منهم كعيسى وموسى وابراهيم وغيرهم بل وخاتمهم ﷺ . بل ولعلهم لا يفكرون فى هؤلاء الانبياء . فلا يستغيثونهم ولا يدعونهم أو يحلفون بهم أو يرجونهم أو يخافونهم ، والسبب فى ذلك هو ما ذكرناه من اغراء القبور بالغلو فى المقبور وعبادته ، وما كان اعراضهم عن الأنبياء الا لأنهم ليست لهم مشاهد مزخرفة مزينة بالقباب والزينات الباهرة ، ولا ريب أن الانبياء أولى بالغلو إن كان جزءاً من آل البيت الامام على وأولاده رضى الله عنهم جميعا

فلا شك اذن أن هدم القباب ـ اذا افترض الامر كما يزعم هذا المصنف ـ أولى من ابقائها حذار حدوث العداوات والحزازات ، لأجل هذه المفاسد الكثيرة التى أشرنا الى بعضها ، والتى تنجم من بناء القباب وبقائها

(ثالثا)

اذا فرض أن المسلمين كلهم كما يدعى هذا الرجل يساؤون بذلك ويخشون به وقوع خلاف يتبعه قتال يتبعه ضعف الاسلام كما يقول ، إلا أنه يقابل ماذكره أمر خطير لم يفطن له هو ، ذلك أنه يخاطب بكلامه هذا من بأيديهم الحل والعقد والسلطة والسلطان من رجال الحكومة السعودية ، الذين يأمرون وينهون وينفذون ولاشك ، واذا كان ذلك كذلك وكانت الحكومة السعودية مطالبة بالترجيح بين الأمرين اللذين ذكرهما ، ومطالبة باتقاء أكبرهما ضرراً : هدم القباب المحرمة شرعا ، واجتناب ما يحدث العداوة وما يؤذى النفوس المسلمة ، فلا ريب أن بقاء القباب أعظم فساداً وخطراً وفتنة من هدمها ، ذلك أن النجديين الذين هم جند الحكومة وجيشها وعدتها وعتادها في سلمها وحربها لا يرضون أبداً بابقاء القباب ، وهم يعلمون ولا يشكون أن ابقاءها خلاف الشريعة التى يتفانون فى تطبيق أحكامها على أعمالهم ، ولا يرضون أبداً بتركها قائمة يطوف بها الطائفون ويلثمها اللاثمون ويمسحها الماسحون ويدعوها الداعون ويجترح فوقها جميع الآثام والأعمال المزدراة وهم يعلمون أيضاً أن هذا حرام كله بلا نزاع ، ويعلمون أنهم مافتحوا الحجاز وغيره إلا لاقامة الشرع والعدل والسنة ولمحاربة البدعة والدجل والخرافة ، وهم لا يعشقون شيئاً مثل عشقهم بعث السنة النبوية وابرازها كما كانت وكما يريد الرسول الكريم والصحابة والعلماء : أنهم لن يرضوا عن ذلك البتة ولن يقبلوا من حكومتهم سوي تقويض هذه المنكرات والمخالفات . هذا لا ريب فيه ، واذا كان كذلك فهل من الحكمة والعقل والشرع أن تتعمد الحكومة اهمال الشريعة والعمل بالسنة النبوية ، ثم اغضاب شعبها واحراج صدره بابقاء البدع التى لا يشكون فيها لنيل رضا الشيعة ، ولئلا تغضب الشيعة وتغضب الجاهلين بالشرع وقواطع

الاسلام ، ولئلا تنمو العداوة فى هذه الصدور الجاهلة ؟ هذا الرجل يريد هذا ، ولكن العقلاء جميعاً يعرفون أنه عين الجهالة والغباوة والسفاهة

ولن ترضى الشيعة عن الحكومة السعودية ، ولا عن غيرها من الحكومات الاسلامية ما دامت تعرف لله حقه وللمخلوق حقه ، فلا تخلط بين الحقين ، ولا تهب هذا حق هذا . وما دامت تغضب لسادات المسلمين ، ولامهات المؤمنين ، وللخلفاء الراشدين . وما دامت تقتفى آثارهم قولا وعملا وعقيدة . فالمانع من رضا الشيعة قائم عند أهل السنة دائماً . واذا كانت الشيعة لم يرضها أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علىّ نفسه ولا أمهات المؤمنين رضى الله عنهم ، فعبث لعمر الله أن نحاول نحن إرضاءها أو نأمل رضاها . ومحال أن نظفر بذلك حتى نغضب الله ونجانب سبيل الأولين وسبيل الخلفاء الراشدين . ولن نجانب ذلك أبداً إلا أن يشاء الله أن نضل ونغوى . ولكننا نسأله الهداية والثبات عليها ، ونعوذ به من الغواية وأسبابها

(رابعا)

أن فيما قاله هنا تركا لأوامر الشرع وابقاء على المحرمات لأسباب باطلة ، وخيالات متوهمة لما يأت دليل من الشرع ولا من العقل يدل على أنه يجب ترك الأوامر الشرعية لأجلها ، ويجب إبقاء المحرمات خوفا منها . وما كان كذلك فلن يعبأ به ، ولو بالى المسلمون بأمثال هذه العلل والأوهام لما عدموا من يذكر لهم عللا وأوهاماً مثل هذه وأحسن وأجود يتوسل بها الى اهال الشريعة جملة وتفصيلا والغاء أحكام القرآن والسنة المتواترة . مثل أن يقول الجاهلون لو عمل المسلمون بشرعهم وحدوده ومعاملاته وعقوباته وتسويته بين الطبقات الأشراف والأطراف لحدث كيت وكيت من المفاسد والأخطار والفتن الموبقة . وبأمثال هذا تهمل

الشريعة جملة وتفصيلا . وهـذه آخرة الشيعة وهدفها الأقصى . ولكننا معاشر المسلمين نقول أبينا « وان أرادوا فتنة أبينا »

(خامسا)

زعمه أن هدم القباب يسوء ثلاثمائة وخمسين مليون مسلم - أى يسوء المسلمين تقريبًا - زعم بعيد عن الحقيقة كل البعد . وما يسوء سوى الشيعة ، وسوى الجهال بالشريعة من العوام . وأما العالمون من المسلمين على اختلاف مذاهبهم والناس لهم تبع فانهم لم يساءوا بذلك ولم يذموه . بل انهم استبشروا به وفرحوا ، وحمدوا الحكومة السعودية وشكروها على إقامة السنة واحيائها بازالة القباب والبنايات التى حملت على الشريعة وعلى القبور حملا ، وذلك لأنهم يعلمون أن الاسلام يأبى بصرامة البناء على الأضرحة ويأبى رفع القباب فوقها . وهذا موجود فى كل كتاب من كتب الحديث والفقه تقريبًا بأسانيد متواترة تواترًا معنويا . ويعلمون أن المذاهب الاربعة تأبى ذلك بصرامة وشدة ، وتأمر بهدم ما يكون من ذلك . وهذا موجود فى جميع المذاهب الاربعة وفى كتبها . وقد ذكر ذلك الامام الشافعى فى كتابه (الأم) أعظم كتب الفقه . وسوف يجىء الكلام فى هذا الموضوع . وها هى مشيخة الأزهر أكبر معهد دينى اسلامى قد ألفت لجنة من علماء الأزهر مختلفة المذاهب لتؤلف كتابًا فى محاربة البدع ، ومن جملة ما عدّته من البدع البناء على القبور وتشييدها واسراجها وتعليق التعاليق فوقها

ومن الدلائل على أن هذا الشيعى غير صادق فيما قال أن المسلمين أجمعوا أو كادوا يجمعون بالجملة على الرضا عن حكومة الحجاز وعلى أنها هى الحكومة السلفية القائمة بالشريعة كما كانت منقاة من البدع والضلال . وهـذا قد أصبح واضحًا ملموسًا فى كل صحيفة عربية تقريبًا ، فان الاعتراف لهـذه الحكومة بهذه الفضيلة

يكاد يقرأ فى جميع الصحف الاسلامية على اختلاف منازعها ، وأنت واجد ذلك كثيراً واضحاً فى أيام الحج وفى الايام التى تلى الحج بعد أن يرى الناس بأبصارهم هذه الحقيقة الخالدة والفضيلة المميزة ، وقد كتب الناس كثيراً بعد دخول الحكومة السعودية الحجاز وأيدوها فى مسألة هدم القباب وغيرها من المسائل التى ينكرها الرافضة بل وأشادوا بمدحها والثناء عليها ، والشواهد على هذا كثيرة عديدة

وهل يستطيع هذا الرافضى أن يدلنا على رجل واحد من رجالات الاسلام أهل السنة الذين لهم قدم راسخة فى الدين والعلم والايمان أنكر هدم القباب ، ورفع صوته ساخطا على حكومة الحجاز أن فعلت ذلك ؟ أحسبه يعلم أن ذلك غير مستطاع

وهذا الأزهر أكبر معهد اسلامى وأجمه وأشهره هل سخط أهله ذلك أو أنكروه أو احتجوا عليه ، اذا كانوا يرونه مخالفاً للاسلام والدين كما يدعى هذا الرجل ، فانه لم ينكر ذلك من علماء الأزهر سوى بعض المغمورين الذين ليست لهم قدم راسخة فى العلم وهؤلاء معلومون بالخنوع للاهواء والأغراض التى كانوا يخدمونها فى ذلك الوقت . أما اليوم فكلمة الأزهر المسموعة التى لا تتنازع الموافقة التامة للحكومة السعودية فى هذه المباحث ، والرضا عنها ، والاعتراف لها بأنها المحيية للسنة ولسيرة السلف الصالح . وما يقال فى الأزهر يقال فى غيره من المعاهد الاسلامية

فالمسلمون لم يساءوا من هدم القباب ، ولم يغضبوا لذلك على وجه الاجمال ، وانما كان هذا من بعض الجاهلين بالدين الجاهلين بأسراره . ثم ان هؤلاء المنكرين الجاهلين أخذوا يرجعون عن ذلك ، وأخذوا يعترفون بالحقيقة الواضحة الخالدة

(سادسا)

هب أن المسلمين كافة أنكروا ذلك وغضبوا له ، وأنت فرضت هنا أن هدم القباب واجب وكلامنا هنا على هذا الافتراض ، أفلا يكون المسلمون حينئذ غالطين فى الانكار والغضب والاستياء ؟

لا شك أنهم حينئذ غالطون ، لأنهم أنكروا القيام بالواجب وسيئوا به ، فهم غالطون وجاهلون معاً بلا ريب ، واذا ما كانوا غالطين جاهلين أفلا يجب تعليمهم وارشادهم ؟ ثم ألا يجب علينا القيام بالسنة والشرع غير حافلين بانكارهم واستيائهم مما كانوا فيه غالطين ؟

لا ريب أن المسلم يجب أن ينصر الاسلام وأن يقوم به ، وان غضب الناس ، وأن طالب الحق يجب أن يجهر به وأن ينصره قبله الناس أم ردوه ، علموه أم جهلوه والاجماع نفسه ما قال القائلون به إلا لأنهم يعلمون أنه لابد أن يكون له دليل شرعى من الكتاب أوالسنة وإن لم يطلعوا عليه ، ولولا افتراض هذا الدليل الشرعى لما كان الاجماع حجة ولا مقبولا ، والشيعة نفسها لاتعتد بالاجماع إلا لأنها تدعى المعصوم ، فهى فى نفس الأمر تخالف الاجماع وتنكره

فاذا ما أبى المسلمون قبول الحق وأنكروه لم يوافقوا على ذلك بل وجب تعليمهم وارشادهم ، ولكن المسلمين لن يغضبوا من الحق ولن ينكروه مجمعين فان المسلمين لايجمعون على جهل الحق . وكلام هذا الرافضى من أسوأ القادح فى المسلمين والزراية بهم لأنه يجعلهم يغضبون ممن قام بالاسلام ونصر السنة وأحياها بعد اندثارها . وقد برأ الله المسلمين مما رماهم به فانه وإن وجد من الكثيرين الانكار لبعض الحق والاستياء منه ، وهذا مالابد منه ، فانهم لن يجمعوا على ذلك ولن تتفق كلمتهم عليه . والحق لابد أن يوجد بينهم بالجملة

وأما الكلام على القبر النبوى الشريف فنرجىء القول فيه الى الأبواب الآتية

الامر الثانى عشر

قال الرافضى « تكفير المقر بالشهادتين المتبع طريقة المسلمين ، وإحلال دمه وماله وعرضه عظيم لايجوز الاقدام عليه استناداً الى نظريات واجتهادات يكثر فيها الخطأ ، والى أخبار ظنية قابلة للتكذيب وللتأويل مثل الاجتهادات والأخبار التى يستند عليها الوهابيون فى تكفير المسلمين ولا يكفر المسلم إلا بشىء قطعى . وكانت سيرة النبي ﷺ والصحابة والتابعين وتابعى التابعين معاملة الناس على الا كتفاء باظهار الشهادتين والتزام أحكام الاسلام . روى البخارى أنه عليه السلام قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فاذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا حرمت علينا دماؤهم وأموالهم » وقال عليه السلام : « من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذى له ذمة الله وذمة رسوله » . وقال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة . فاذا فعلوا ذلك عصموا دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله »

« فيستفاد من هذه الأخبار أنه بعد إظهار الشهادتين يبنى على الاسلام مالم يعلم شيء ينافيه ، ولا يلزم التفتيش والتجسس . ولسنا نقول ان المقر بالشهادتين الذي يصلي ويزكى لايمكن الحكم بكفره مع ذلك لجواز أن يحكم بكفره مع ذلك كالخوارج والمجسمة ومنكر الضرورى . ولكنا نقول الاقرار بالشهادتين والتزام أحكام الاسلام كاف للحكم بالاسلام حتى يثبت ما ينافيه باليقين لا بالاجتهادات الظنيـة والأخبار الظنية وحتى ينتفى التأويل . وما كفّر به الوهابيون المسلمين لم تجتمع فيه هذه الشروط » انتهى كلامه . قلت :

(أولا)

يا ليت الشيعة صدقوا ما قاله هذا الشيعي ، فلم يكفّروا المقر بالشهادتين ، المتبع طريقة المسلمين الملتزم لأحكام الاسلام وشرائع الايمان . ياليتهم صدقوا هذا ، ولكنهم لم يصدقوه بل هجموا على صحابة رسول الله ﷺ وأنصاره وأنصار الله وجنود الاسلام بالاكفار والافساق وقذفوهم بأشنع التهم الكبريات ، وهجموا أيضا على من تولوهم من المسلمين بالاكفار والافساق والتضليل ودعوهم «بالنواصب» أي عداة آل البيت الذين ناصبوهم العداء ، وقد عدوا سائر المسلمين ما خلاهم هُمْ من النواصب الجناة الظلمة ، فاستحلوا دماءهم وأموالهم وأعراضهم وقدحوا في دينهم ومعتقداتهم ، ونقلوا في كتبهم عن أئمتهم « خذ مال الناصبي وادفع الخمس » كما سوف يجيء ذلك مستوفى . وقد نزّلوا آيات القرآن الكريم الواردة في رؤوس من المشركين معينين معلومين على كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة وطلحة والزبير . وقد قالوا ان الجبت والطاغوت المذكورين في القرآن هما أبو بكر وعمر ، وقالوا ان البقرة المذكورة في قوله : إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة الى آخر الآيات هي السيدة عائشة ، ونظائر ذلك من قبيح الرأى وفظيع القول مما سوف يأتي . فالشيعة لا يتقيدون بما قاله هذا الشيعي ولا يذعنون له . بل هم من أول من استحل دماء المسلمين وكفرهم بل دماء سادات المسلمين وأموالهم وأعراضهم فان كان في قوله هذا حق فليوجه الى الشيعة أولا

(ثانيا)

يقال لهذا الرافضي مَن من مخالفيك في هذا الموضوع لايحكم باسلام من أقر بالشهادتين واتبع طريقة المسلمين والتزم أحكام الاسلام وصلى وصام وزكى وقام بشرائع الاسلام والايمان ولم يأت بشيء يخالف ذلك ؟؟؟ ومن من مخالفيك يقول

ان مثل هذا المرء كافر حلال الدم والمال ؟؟؟

ان جميع من يزعم الرد عليهم فى كتابه هـذا لايخالفون فى أن الذى يقوم بما ذكر ويلتزمه ويقوم بأحكام الاسلام ويتبع طريقة المسلمين ويصلى ويصوم ويزكي ويستقبل قبلة المسلمين ويجمع أشراط الايمان والاسلام مؤمن من خيار المؤمنين ومسلم من أفضل المسلمين ، بل وولى من أولياء الله المتقين المقربين ، فليعلم هذا إن كان لايعلمه

ولكن ها هنا أمراً يجب أن يفهمه . هذا الأمر هو أن يعلم أن المراد من الشهادتين : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمـداً رسول الله هو معناها لا لفظهما ، وأن المقصد منهما مايدلان عليه من التوحيد والايمان بأن الله وحده هو الاله الحق والايمان بأن الرسول صادق فيما بلغ عن ربه ، وليس المقصـد منهما النطق بهما مجردتين من اللوازم والموانع ، ومن الشروط والأحكام ، ثم أن يعـلم أيضاً أن لهاتين الشهادتين شروطا ونواقض ، وأن من قالها بلسانه ليلا ونهاراً معتقـداً أو غير معتقد لايمكن أن ينفعاه ولا أن ينجياه لا فى الدنيا ولا يوم الدين اذا ما ظل يأتى بما يفسدها وينقضهما من قول وعمل ، ولا خلاف فى هذا لدى العقلاء والعلماء وهذا الرجل نفسه لا يخالف فيه بالاجمال ، وهو إن خالف إنما يخالف فى أن هذه الأمور منافية للشهادتين مناقضة لها . فلا يقول ان هذه الأشياء تناقض الشهادتين ، وإلا لو سلم هذا لسلم أن من قال الشهادتين وجاء بمـا يناقضهما يسلم أن الشهادتين لاغيتان فاسدتان ، وهذا لأن الألفاظ دلائل المعانى . فمن جاء بما ينقض قوله فقد ألغى قوله وألغى دلالته بالنسبة اليه هو . فمن قال لا إله إلا الله وهو يعبـد غير الله ويجعل معه آلهة أخرى لم ينفعه قول لا إله إلا الله بالاجماع والبـداهة ، وكذلك من شهد أن محمداً رسول الله ثم جاء بما يفسد هـذه الشهادة وما يبطلها من قول أو عمل فقد ألغاها وأفسدها ، وهذه أوليات لانزاع فيها ، ولكن النزاع يقع فيما يدعى

أنه يفسد الشهادتين وينافيهما لا فى أن من جاء بهما فقد فاز ونجا وإن أتى بما يفسدهما من الأعمال والأقوال

فنحن نقول مثلا ان الاستغاثة بالأموات والضراعة اليهم عند الرغبة والرهبة والعكوف على قبورهم والانقطاع اليها وتقريب القرابين والنـذور والصدقات لها ـ نقول ان هذه الأعمال والأقوال تفسـد شهادة أن لا إله إلا الله وتبطلها فلا تنفع قائلها الآتى بهذه الأشياء لأن الاله معناه المعبود وهذه الأعمال والأقوال عبادة بل من أعلى أنواع العبادات ، فاذا ما قدمها لغير الله فقد عبده بلا ريب ، والشهادةالتى قالها بلسانه كلمة لم يعرف معناها فلم يعمل بما تدل عليه فصارت كلمة لاغية لاقيمة لها وصار فى هذه الشهادة كجاهل باللغة قال هذا « ليث » عند ما رأى فأراً حاسباً أن هذا اللفظ لهذا المخلوق . فاذا قال ذلك فلا ريب أن قوله هـذا ليث ، يعنى الفأر لا يدل على أنه رأى ليثًا لا بالنظر اليه هو ولا بالنظر الى من فهم ما يعنى

وهذا الشيعى وبعض الناس لا يعلمون أن هذه الأعمال والأقوال تنافى لا إله إلا الله وتنقضها فيذهبون يحسبون أن من قال لا إله الا الله فهو مؤمن موحد مخلص الدين لله وإن استغاث الاموات وسألهم مالايقدر عليه الا الله كشفاء المرضى وهداية القلوب وغفر الذنوب ، وان انقطع اليهم وسألهم صباح مساء . فهذا كله وأكثر منه لا يضير قائل لا إله إلا الله عند هؤلاء ولا ينافى الشهادة لا من قريب ولا من بعيد لا فى الظاهر ولا فى الباطن لا تصريحا ولا تلويحا فالنزاع إذن فى هذه الأمور وفى معنى الشهادة ومعنى العبادة ومعنى التوحيد والايمان والاخلاص. فالذى على هذا الشيعى إذن أن يبين أن هذه الاعمال والاقوال لاتنافى الشهادة ولا تفسدها . والذى علينا نحن أن نبين أنها تنافيها وتفسدها . وهذا هو الذي يفض النزاع ويزيل الخلاف والا فان مثل قول هذا الشيعى حشو عبث لا حد له ولا ضابط . فهو يقول المقر بالشهادتين المتبع طريقة المسلمين الملتزم لأحكام

الاسلام مسلم ليس بكافر . أو ليس هذا الكلام كأن يقول قائل من قال فهو قائل ومن صلى فهو مصل ومن زكى فهو مزك . أو أن يقول المسلم مسلم والمؤمن مؤمن أو الاثنان اثنان والثلاثة ثلاثة ! ومن ذا الذى يحتاج لمثل هذا الكلام ومن ذا الذى لا يعرف أنه عبث حشو؟ فان قوله « المقر بالشهادتين المتبع طريقة المسلمين الملتزم لأحكام الاسلام ليس بكافر » بمثابة أن يقال المسلم ليس بكافر . لأن الذى يأتى بهذه الأمور هو المسلم . لأن من التزم أحكام الاسلام واتبع طريقة المسلمين صار مسلما يقينا . وهل يصح أن يقال ان المسلم حقا ليس بكافر مادام مسلما ؟ وهذا هو معنى كلامه . ولا ريب أن مثل هذا الكلام لا يجدي ولا يستفيد منه أحد لا من المخالفين لهم ولا من الموافقين . والذي ينفع هو أن يقيم البرهان على أن دعاء الاموات وسؤالهم ضروب الحاجات وتقديم النذور والهدايا إليهم والعكوف على قبورهم ليس بعبادة وليس بمناف للاسلام والايمان والتوحيد فاذا ما أقام الدليل على هذا أغناه عن هذا العبث والحشو . أما نحن فنعد القارىء أن نقيم الدلائل على أن ذلك عبادة وعلى أن من اجترحه فقد طعن إيمانه فى صميمه . ومكان هذا الأبواب الآتية الخاصة به . .

(ثالثا)

كلامه هنا قلق متخاذل . فهو يقول فيه « المقر بالشهادتين المتبع طريقة المسلمين لا يكفر » ويقول « إن الرسول والصحابة والتابعين وتابعى التابعين كانوا يكتفون من الناس بالشهادتين وبالتزام أحكام الاسلام » ثم بعد هذا القول ينقل الأحاديث النبوية القائلة بأن المسلم الذي يحرم دمه وماله هو من شهد الشهادتين ومن صلى وزكى وعمل بالاسلام : يقول هذا ، ثم يرجع ويغتصب هذه النتيجة الكاذبة : « فيستفاد من هذه الاخبار أنه بعد إظهار الشهادتين يبنى على الاسلام » فهل هذه

المقدمات وما ذكره هنا تكون نتيجته أن المقر بالشهادتين مسلم وأنه يحكم باسلامه ؟ كلا والله . فان الكلام الذي ذكر والأحاديث التى روى يجب أن تكون نتيجتها مغايرة للنتيجة التى اغتصبها اغتصابا ويجب أن يقال فيها إن المقر بالشهادتين القائم باعمال الاسلام ومظاهره من صلاة وصيام وزكاة وحج الملتزم لذلك ظاهراً يحكم باسلامه ولا يكفر ولا يقدم على إكفاره يجب أن تكون النتيجة هكذا . وإن كان الكلام على وجه الاجمال حشوا وعبثا . فاحداهما ـ النتيجه أو المقدمات ـ يجب ألا تكون كما ذكر

(رابعا)

قد قدم فى كتابه ص ٩١ وما بعدها فى الأمر السادس أن تارك الصلاة والزكاة والصيام أو فريضة من فرائض الاسلام لايكفر ولا يخرج من الاسلام بل يكون بالشهادتين مؤمنا معصوم الدم والمال لأنه مسلم ، وتقدم أنه عاب من يكفر تارك الصلاة وفرائض الاسلام أو يستحل قتله وهجاه وسماه وهابياً مقتفياً أثر الخوارج فى إكفار المسلمين وفى الاكفار بالذنب . هذا تقدم كله من هذا الشيعى ، ولكنه هنا نسى ما كتب هناك وحكم أن المسلم هو الذى يقبل الشهادتين ويتبع طريقة المسلمين ويلتزم أحكام الاسلام ويصلى ويزكى ، وحكم بأن من ترك شيئاً من ذلك لايكون مسلماً ولا معصوم الدم والمال بل يقاتل ويقتل حتى يقوم به كله وحتى يلتزمه أجمع بدليل ما ذكر وبدليل الأحاديث التى رواها من قوله عليه السلام (أمرت أن أقاتل الناس) الى قوله (ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) الى آخر الحديث . فأى شيء هذا الخلط وأية ناحية يذهب وأى قول يقول ؟

واذا ما كانت هذه الأحاديث صحيحة لديه حجة مقبولة وهى تصرح بأن تارك الصلاة والزكاة وفرائض الاسلام يقاتل ويقتل وأن الشهادتين وحدها

لا يعصمان الدم والمال ولا يكفيان فى إسلام المرء فما القول الذى قدم وما الهجاء الذى حمله على من قال با كفار تارك تلك الصلاة أو قال بقتله ؟ أما قال هنالك فى الأمر السادس :

« وحكم الوهابيون بكفر تارك الصلاة أو الزكاة واستحلوا القتل بترك بعض فرائض الاسلام على عادتهم فى التسرع الى تكفير المسلمين واستحلال دمائهم ، وتشددهم فى ذلك اقتفاء بالخوارج » هذا نصه ، فما هذا القول هناك مع اعترافه هنا أن الرسول الكريم أمر بمقاتلة الناس واستحلال دمائهم وأموالهم حتى يقيموا الصلاة ويؤدوا الزكاة ؟ ألا يكون فى هذا قادحا فى الرسول الكريم قادحًا في قوله رامياً إياه باستحلال دماء المسلمين وأموالهم اقتداء بالخوارج ؟ وإلا اذا ما سلم أن هذا هو حكم الرسول الكريم وسلم أنه حكم حق لا ريب فيه فلماذا يهجو من قال بقوله وحكم بحكمه ؟ لاجرم أنه لا بد من القول بأن المتبوع غالط وبرأه الله مما قال ، أو القول بأن التابع راشد مهتد ، وأما القول بأن المتبوع راشد مهتد والتابع ضال غوى فى المسألة الواحدة فقول متدافع ، فالى أين يذهب هذا الرافضي؟ وهذه الأحاديث التى ذكرها دالة ولا محالة على أن الشهادتين منفردتين لا يعصمان الدم ولا يكفيان فى إسلام المرء ودالة على أن تارك الصلاة مقاتل فمقتول ، وقد قدمنا ان هذا ما ذهب اليه أكثر أهل العلم ، ودالة على أن الشيعة غير راشدة فيما قالته هنالك وما قالته هنا

(خامسا)

نحن نقول قبله انه لا يجوز الاكفار اعتماداً على اجتهادات ظنية يكثر فيها الخطأ وعلى أخبار ظنية قابلة التأويل والتكذيب كما صنعت الشيعة فى اكفار المسلمين وخيار المؤمنين ولكننا نقول له إن الوهابيين لم تكن أدلتهم في هذه المطالب العالية

اجتهادات ظنية أو اخبارا فردية قابلة التأويل والتكذيب . ولكن دلائلهم القرآن بجملته والسنة المحمدية عمليا وقوليا كما سوف يجيء ذلك مفصلا فى أبوابه ، فان القرآن اجمالا أتى زاجرا أقصى أنواع الزجر وناهيا بأشد عبارات النهى عن دعاء غيره وعن الاستغاثة بالمخلوقين والانقطاع اليهم . وهذا لا يقبل التأويل ولا التكذيب البتة ، ثم هو آمر أيضا بافراد الله بالعبادة وافراده بالرجاء والخوف والخشوع والخضوع . وهذا لا يقبل التأويل ولا التكذيب البتة . وعن هذه الاصول تتفرع جميع المسائل التى نطالب المخالفين بها ويطالبهم بها الاسلام جملة . فليعلم هذا . ولكن الشيعة هى التى تعتمد لا أقول على الاخبار الظنية والاجتهادات المدخولة فان الأمر أقل من ذلك . بل هى تعتمد فى اكفار الصحابة وأئمة المسلمين على روايات موضوعة بلا ريب وعلى تحريف القرآن التحريف الذي لا يقبله من أراد الله به خيراً ومن كان له دين يحاسبه أو ضمير يؤنبه

(سادسا)

أما اعترافه بكفر الخوارج والمجسمة ومنكر الضروري . فسوف يعلم القارىء أن الخوارج على ما فيهم من الضلال والمروق والبدعة خير وأفضل من الشيعة إن كان فى هؤلاء ، أو أولئك خير وفضل . وانه اذا قيس شر الخوارج بشر الشيعة تلاشى وتضاءل ، وسوف يعلم القارىء أن السلف وعلياً رضي الله عنه بالخصوص لم يكفروا الخوارج ، وأما المجسمة فقد اتفقت كلمة المؤلفين فى النحل والفرق الاسلامية على أن أول من قال بالتجسيم وشهره وأذاعه هم شيوخ الشيعة ووضعة مذهبها وسوف يجيء البيان لهذا ، وقد تقدم جزء كبير من هذا النوع فى أول كتابنا ، وأما انكار الضرورى فان الشيعة هي أفرس الطوائف فى هـذا الميدان وأجراها بلا خلاف ، أليسوا ينكرون إيمان أبي بكر وعمر وعثمان وإيمان عائشة

وحفصة وطلحة والزبير وغيرهم ؟ أليسوا يزعمون أن المسلمين أجمعوا على جواز البناء على القبور أعظم من اجماعهم على الايمان بالله وعلى الصلاة والصيام وسائر فرائض الدين ؟ أليسوا يزعمون أن القرآن محرف مزيد فيه ومنقوص منه ، ويزعمون أن نسخة القرآن التامة الصحيحة عند إمامهم المنتظر سوف يخرجها ؟ أليسوا ؟ أليسوا ... ؟ فهذه الأمور التي كفّر بها هي مجتمعة بلا مشاحة في فرق الشيعة ، بل وشر منها بأضعاف مضاعفة ، فان كان هؤلاء كفاراً بدليل واحد فان الشيعة كذلك بدلائل عديدة .

الامر الثالث عشر

قال الرافضي « أقوال المسلمين وأفعالهم المحتملة أن تكون صحيحة وأن تكون فاسدة يجب حملها على الصحيح ولا يجوز مطلقا حملها على الفاسد الا مع العلم . وعلى ذلك سيرة المسلمين واجماعهم وبه انتظام معاشهم ومعاملاتهم . فاذا رأينا مثلا مسلماً يضرب يتيما وأمكن أن يكون ضربه تأديبا وإيذاء وجب حمله على الصحيح وهو التأديب ولم تنتقض عدالته ان كان عدلا وكذا لو رأينا مسلما يضاجع أمرأة ولم نعلم أنها زوجته أو رأيناه يشرب شرابا أحمر ولم نعلم أنه خل أو خمر أو سجد أو نذر أو اشترى أو باع ونحو ذلك وجب حمل هذه الأعمال على الصحيح إلا أن يعلم الفساد ولا يكفي الظن . وكذلك اذا قال المسلم قولا أو فعل فعلا له وجه أو معنى يوجب الكفر والردة وكان يمكن حمله على وجه أو معنى صحيح لا يوجب الردة ولا الكفر وجب حمل قوله وفعله على الوجه الصحيح الذي لا يوجب الكفر ، ولو كان احتمال هذا الوجه الصحيح ضعيفا فضلا عما لو كان ظاهراً أو مساويا الوجه الفاسد في الاحتمال . فاذا استغاث مسلم بنبي [1] أو ولي وجب حمله على معنى

---

(١) هنا بيت القصيد الذي ساق له هذه المقدمة

لا يلزمه الكفر أو الخطأ . وكذلك لو قال لذلك النبي أو الولى ارزقنى وعاف ولدى وانصرنى على عدوي ونحو ذلك ، واحتمل أنه يريد أن يكون له واسطة وشفيعاً على أن اسناد الفعل اليه من باب اسناده الى السبب كما فى بنى الأمير المدينة ، ولم يجز الحكم بشركه فضلا عما لوعلمت ارادته ذلك ، أو لو كان ظاهر حاله ذلك باعتباره مسلماً يعلم أن هذه الأمور لايقدر عليها غير الله » انتهى

بعد أن نستعيذ بالله من الشيطان ومن وساوسه وأوهامه وأغلوطاته نقول الكلام هنا فى ثلاث مقامات :

(المقام الأول)

هل من الصحيح والحق أن أفعال المسلمين الفاسقين والصالحين ، الأتقياء والأشقياء ، العلماء منهم والجهلاء ، من يعرف الاسلام ومن لايعرف منه غير كلمات « الله » و « النبي » والاسلام ، ومن لا يستطيع أداء كلمة الشهادتين أداء صحيحاً ومن لايخشى الله ولا يخاف مقامه ، ومن لايملك من الدين سوى اسمه ومولده وشكله وزيه ؟ هل من الصحيح أن أفعال هؤلاء وأقوالهم يجب حملها مطلقاً على الصحيح أى على أنها طاعات لم تشبها معصية ولم تخالطها بدعة أو ضلالة ؟ ؟ هذا هو المقام الأول ، وجوابنا نحن عليه أن نقول كلا والله لايمكن أبداً أن نحمل أفعال هؤلاء جميعاً وأقوالهم جميعاً على أنها طاعات بريئة من الاثم ومن المعصية والبدعة ، ولا يستطيع أحد متبصر يزن ما يقول قبل أن يقول أن يدعى ذلك . وانما الصحيح هنا الذى يصح أن يكتب وأن يقال التفصيل والتقسيم ، وأما إجمال ذلك بلامثنوية فلا أحسب انساناً يمارى فى بطلانه إلا أن يكون متعصباً له هوى يتبعه

أرأيت هاتيك النساء المتمايلات فى الطرقات الطاليات وجوههن وأكفهن بالأصباغ والمساحيق والألوان النكراء المتلونة ، ثم أرأيت تلك الملابس التى ما وضعت على

الأجسام إلا كى تعرى وإلا كى تكون قيد الأبصار وشرك الفسق ثم أرأيت تلك النظرات الحادة الفاترة وتلك المشية المتكسرة المتمارضة ، ثم أسمعت تلك الضحكات السكرى الذابلة الداوية ، ورأيت تلك الابتسامات والاشارات والتنهدات . أرأيت ذلك كله وسمعته كله ، ثم أرأيت غير ذلك مما في الطرقات العامة والمجامع المزدحمة بالصدور المضطرمة والأبصار الطامحة الى اقتطاف الفسق ومطارحة الهوى : أرأيت ذلك كله ، أتراك تستطيع أن تحمل هذا كله على الوجه الصحيح ، وعلى الأدب والعفاف والصون . وأتراك تتأثم من أن تحمل شيئاً من ذلك على الخروج عن الآداب وعن الحصانة والعفاف ، لأن ذلك ما تفعله المسلمات العارفات بأن ذلك حرام فى الاسلام ، لا يبيحه دين الله ولا ترضاه شريعته المطهرة ؟ وأتراك تستطيع أن تحمل نفسك على أن تتطلب لذلك كله المخارج البريئة والتأويلات الصحيحة ، لتقول ان هؤلاء النساء المسلمات لم يصنعن ذلك كله إلا لغرض شريف بارّ يتقبله الاسلام وتتقبله الآداب العفيفة ، كأن تقول انهن ماصنعن شيئاً من ذلك إلا لأجل أزواجهن ادخالا للسرور على قلوبهم وصوناً لأبصارهم عن أن تمتد الى محيا واضح وجبين مشرق . أو أن تقول انهن ما فعلن شيئاً من ذلك الا شكراً لله على ما وهبهن من جمال وصحة وغنى ، وإظهاراً لأيادى الله عليهن وعلى الانسان أجمع . أو أن تقول انهن ما فعلن ذلك الا تهيؤاً لعبادة الله وتزيناً لمناجاته وتجملا للغدو والرواح الى بيوت الله للصلاة والعبادة . أو تقول غير ذلك مما لا يضن عليك الخيال بالشيء الكثير منه ؟

ان كنت تستطيع أن تذهب هذا المذهب فى هذا الفجور المعروض للناظرين فى الطرقات العامة والمزدحمات فقد يكون لك شيء من العذر اذا قلت ان أفعال المسلمين وأقوالهم جميعاً يجب أن تحمل على انها طاعات وعلى ما لا إثم فيه ولا خطأ . أما اذا ذهبت الى أن ذلك فسق ظاهر ، وفجور لا ريب فيه ، ودعارة فاضحة ،

وخروج على الآداب والأخلاق ، وعدوان على أهل أولئك النسوة وعلى الناظرين اليهن أيضاً لأنهن يزينهن ما لا يقدرون على نيله كله وما لا يصبرون عنه كله . فأنت ذاهب ولا شك الى أن زعم هذا الشيعى زعم لا يتقبله الله وزعم لا يتقبله الناس الذين لم يؤسروا بالأهواء والأغراض

ثم أرأيت أولئك الشبان المتخنثين ، الصانعين بأجسامهم ما تصنعه الفتيات بأجسامهن من تنميص وتفليج وتزجيج وتصفيف وتفريج . المتراكضين وراء الفتيات ، الرامين لهن بأحر الألفاظ وأبردها ، المغازلين لهن ، المشيرين المادحين المثنين ، أرأيت هؤلاء فى آفاق المجامع والطرقات ؟ أتراك تستطيع أن تبرئهم من الاثم ومن الاتهام بسوء النية وفسق الضمير . أتراك تستطيع أن تحمل جميع ذلك على وجه صحيح ومعنى برىء عفيف وأن تتطلب له ضروب التأويل والتفاسير التى لا يضن بها خيال . لأن هؤلاء الشبان مسلمون . ولأن المسلمين يجب ألا يتهموا ويجب أن تحمل أقوالهم وأفعالهم المحامل الصحيحة البريئة مهما بعدت تلك المحامل وشطت ؟ إن كنت تستطيع أن تذهب هذا المذهب فى هذا فقد يكون لك بعض العذر إذا ادعيت أن أقوال المسلمين وأفعالهم لازم حملها على البراءة والطهر ؟

أما إذا ما أبيت إلا اتهام هؤلاء الرجال بالفسوق والدعارة ، وإلا رميهم بالانسلاخ والانملاص من الآداب الفضلى والأخلاق المطهرة ، واصررت على أنهم فى حاجة الى تأديب صارم حاسم وعقاب رادع عارم ، فلا ريب فى أنك قائل ان ما زعمه هذا الشيعى زعم أقل ما يقال فيه أنه زعم من هو فى حاجة الى أن يتعلم ، وزعم من العلم فى غنى عن أن يؤلف فيه كتابا يتصدى فيه لأسمى المباحث البشرية ، أعنى المباحث الالهية . ثم أرأيت إنسانا مسلما رأيته يقبل فتاتا في الطريق العام ويراشقها الألفاظ البذيئة ، أتراك تستطيع ألا تظن بهذا الفتى السوء والمكروه أو أتراك تستطيع أن تقول إن هذا زوج هذه بلا ريب ؟ إن كلام هذا الرافضى

يقضى بأن يكون الجواب نعم ؟ ثم أرأيت مسلما وجدته يضرب رجلا ضربا مبرحا وجيعا على مرأى ومسمع من النـاس ، والرجل المضروب يستصرخ ويستغيث ويطلب النجدة والعافية . أترانا مطالبين بأن نحمل هذا الضرب على التأديب والعقاب المشروع ، فلا نمد أيدينا لانقاذ ذلك المضروب المستصرخ الصارخ لأن ذلك الضرب مشروع مطلوب لايجوز منعه ؟ ان كلام هـذا الرافضى يقضى بأن يكون الجواب نعم ، أما نحن فنقول كلا والله . ثم أرأيت رجلا مسلمًا رأيناه حاملا سيفه على رجل لانعرفه ليقتـله ، أترانا مطالبين بأن نحمل ذلك القتل على القتل المشروع القصاص وأن نفهم لزومًا أن المقتول مستوجب القتل لذنب جنـاه ؟ أو رأينا مدعيًا الاسلام ممن فظعت أخلاقهم وخشنت طبـاعهم يضرب غلامًا ضربا فظيعًا وجيعًا والغـلام يصيح بأندى صوته : أغيثونى . أغيثونى ، أترانا مطالبين لزومًا بأن نبادر فنقول ان هـذا الضرب ضرب تأديب لازم فيه حكمة وفيه فائدة كمسألة اليتيم الذي افترضه هذا الرافضى؟ ان الجواب عنده نعم ، وعند الجميع لا

ثم أرأيت لو وجدنا مدعيًا للاسلام يغتاب إنسانًا أقبح الاغتياب أو وجدناه يسبه كفاحًا أقبح السب ، أترانا مطالبين بأن نحكم أن ذلك الاغتياب وذلك السب مشروعان وطاعتان إما لأجل تأديب ذلك المسبوب المغتـاب وإما لأجل النصح والتحذير منه أو لأجل أغراض أخر ؟ جواب الرافضى نعم ، وجواب الجميع لا

الى غير ذلك من المثل التى تبين فساد كلام هذا الرجل وخلطه العظيم

أما المثل الذى ضربه لنا من ضرب اليتيم ، فهذا على حسب القرائن والشواهد فقد نحكم بأن ذلك الضرب إثم وإيذاء وجريمـة ، وقد نحكم بغير ذلك . أما اذا لم تكن هنالك قرائن ولا شواهد لا فى الغـلام المضروب ولا فى الضارب فالراجح لدينا فى هذه الحالة أن نقضى بأن ذلك الضرب ضرب غير مشروع وأن الضارب ظالم والمضروب مظلوم ، وذلك لأن الغـالب على النفوس الظلم والشر والعدوان

ولأن الانسان ظلوم كفار جبلة وطبعاً ، والظلم من شيم النفوس ، كما فى الحكمة الطائرة ، وفى القرآن الكريم ان الانسان لظلوم كفار . وأما الرجل الذى يضاجع امرأة لاندرى حالها ولا حاله فعلى حسب القرائن أيضا يكون الحكم فى هذه المسألة . فلو رأيناه يضاجعها فى مكان مريب وحالة مريبة لرجحنا ألا يكونا زوجين ، وأن يكونا فاسقين عاهرين ، ولا سيما اذا علمنا رقة دينهما . وأما اذا ما وجدناه يضاجعها فى بيته مع الطمأنينة والهدوء والشواهد الزوجية ففى هذه الحالة نرجح أنهما زوجان ، لا لأنا مطالبون بأن نحسن الظن بالرجل لأنه مسلم ولأن المسلم يجب أن تحمل أفعاله وأقواله على الطاعة ، كلا . وإنما نرجح ذلك بالقرائن الموجودة حتى ولو كان ذلك المضاجع غير مسلم . فالعلة هنا فى هذا الحكم ليست هى الاسلام بل هى القرائن المحيطة

أما شارب الشراب الأحمر فعلى حسب ما تقضى القرائن أيضاً . فمن رأيناه يشرب ذلك الشراب الآخذ لون الخمر فى حانات الخمر ودور الفسوق وجب أن نرجح أو أن نقطع أن ذلك الشراب خمرة لا خل ، وأن ذلك الشارب آثم عاص ولا سيما اذا كان ذلك الشارب معلوماً بقلة الدين ورقته ، أو رأينا علامات الثمل بادية عليه قائمة فى عينيه وخديه وشفتيه . وهكذا يكون الجواب عن جميع المثل التى يذكرها هذا الرجل أو غيره

وليعلم أن ترجيح أحد الأمرين فى هذه الحالات ليس بالاسلام ولا بالكفر بل بالقرائن والشواهد الحافة بالموضوع ولا ريب ، فان اسلام أغلب الناس اليوم بل وفى أكثر الأيام لايمكن أن يكون حاجزاً عن غشيان المحارم وركوب الآثام والجرائم ، واذا كان الأمر كذلك فلا يكون ادعاء المرء الاسلام برهاناً على أنه لا يعمل إلا الصالح من الأعمال ، وأنه لا يعمل السوء والاثم ، هذا خلاف الواقع المشهود

ثم يقال لهذا الرجل : اذا كان صحيحاً واجباً حمل أقوال المسلمين وأفعالهم على الطاعة والصحة وعلى البراءة من الاثم والخطأ فلماذا لاتحمل أقوال مخالفيك ومن تزعم الرد عليهم على ذلك؟ ولماذا لاتتطلب المخارج الصحيحة البريئة لما يقولون ويفعلون فتبرئهم من التضليل والتخطئة واللائمة ؟ أتراه حقاً أن تؤول لعامة الناس ودهمائهم وفساقهم وجهالهم ولاتؤول لجهابذة الاسلام ونصراء الملة كشيخ الاسلام ابن تيمية وتلامذته ؟ بل لماذا لا تؤول هذا التأويل لصحابة رسول الله ﷺ فلا تكفروهم أو تفسقوهم . أترى التأويل والتخريج يسع جهال الشيعة وفاسقيهم وفي كل قوم فاسقون ولا يسع أبا بكر وعمر وعثمان وأزواج النبي المطهرات وصحابة رسول الله ﷺ . أترون هذا من الحق والصواب ؟ ويحكم ! أترون في هذا شيئاً من الهدى والرشاد ؟

يسير جداً على من وجد تأويلا بريئاً لجاهل يقول يافلان اشفني ويافلانة اهدى قلبي واغفري ذنبي أن يجد ذلك التأويل البريء لأبي بكر وعمر وأن يجده لمن قال وهو من الدعاة الى الله ومن نصراء دينه « لا يستغاث إلا بالله ، والأموات لا يدعون ولا يستغاثون ولا ينفعون أو يضرون » أو قال « ان الله تعالى يجب أن يوصف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من الاستواء على العرش والعلو على المخلوقات »

أما أن توجد التأويلات الصحيحة للجهلاء الظالمين اذا استغاثوا بالأموات ودعوهم وانقطعوا اليهم ثم لا توجد لمصاحة الناس وجهابذة الاسلام فهذا مالا يصطبر عليه مسلم وما لايطيق احتماله منصف

ثم ألا يعلم هذا الرافضي أن القرآن الكريم يقول في الشهادة والشهود : « وأشهدوا ذوى عدل منكم » في مواضع من كتابه . ألا يعلم لماذا يشترط في الشهود أن يكونوا ذوي عدل ؟ ألا يعلم أنه لو كان الواجب أن تحمل أفعال من

ادعى الاسلام وأقواله على الصحة والصدق والطاعة لما احتاج القرآن الى هـذا الشرط شرط العدالة ، هذا واضح بين . ثم ألا يعلم ما يشترطه المحـدثون لرجال الرواة من معرفة حال الراوى والعلم بعدالته . ومن قولهم انه لا يكفى فى عدالته ادعاؤه الاسلام وظهوره بشعائره . فكيف اذا ما كان فاسقاً واضح الفسق . وألا يعلم أنه لو كان واجباً الحمل على العدالة والصحة لما كانوا فى حاجة الى اشتراط معرفة عدالة الراوى ، بل كان يكفى فى عدالته ادعاؤه الاسـلام ، ومعرفته بأن الكذب حرام ! ؟ . هذا عن المقام الأول

(المقام الثانى)

يقال فيه نحن ـ وان سلمنا أن أفعال المدعين الاسلام وأقوالهم يجب أن تحمل على الوجه الصحيح البريء اذا كانت محتملة وجوها صحيحة وفاسدة ـ لا نسلم بأن الاستغاثة بالأموات وطلب الرزق والعافية منهم والنصرة على الأعداء من هـذا النوع المحتمل الوجوه الذى يجب أن يذهب فيه الى الوجه الصحيح البريء . بل نقول ان الاستغاثة بالأموات ، كقولهم يا فلان أغثنى ويا رسول الله ارزقنى واهد قلبى واغفر ذنبى وأشباه ذلك من الأقوال الصريحة الصحيحة فى البطلان وفساد العقيدة ، ولا تحتمل وجوهاً ولا وجهين يمكن أن تحمل على وجه صحيح بريء لايمس العقيدة والايمان . بل هي لا تحتمل غير وجه فاسد صريح فى فساده وهو الاعتقاد أن الأموات قادرون على اعطائهم ما يسألونه استقلالا ، إما بتفويض الله التصريف إليهم واما بغير ذلك . ولولا هذه العقيدة ورسوخها فى نفوسهم لما فزعوا الى الأموات ولما جاءوهم طامعين آملين ، ولوجدوا مندوحة عنهم وعن هذه الكلمات المملوءة بالطمع والاطمئنان إليهم والى قدرتهم على التصريف والامداد والاعطاء والمنع والضر والنفع . ولا يمكن أن يفهم أبداً لهذه الاستغاثات والضراعات موجب

ولا معنى اذا ما كان الداعون يعلمون أن من يدعونهم عاجزون عن نفعهم وعن إعطائهم ومنعهم . . ولا يستطيع إنسان عاقل أن يدعى أن انسانًا يطلب شيئا وحاجة ممن لا يقدر على شيء وممن هو عاجز عن نفع نفسه عنده

أترون هؤلاء الداعين المستغيثين بالأموات غير مالكين لألسنتهم ؟ أترونهم غير مختارين ولا كاملى التصرف ؟ وإلا فلماذا يقولون لمن يعلمون انه عاجز عن نفعهم وعن نفع نفسه أغثنا ، ارزقنا ، اهد قلوبنا . ألا يقدرون أن يقولوا غير ذلك اذا ما كانوا يريدون غير ما يفهم من هذه الكلمات وغير ما وضعت له فى الخطاب العام ؟ أية حكمة لهؤلاء الجهال فى عدولهم عن استعمال الكلمات فيما وضعت لتدل عليه واستعمالهم من الكلام ما يدل على معنى لمعنى آخر بعيد عنه جداً ؟ أيجد المرء لهذا شيئا من الحكمة والفائدة ؟ ولا ريب أن هذه الأقوال والدعاوى أقوال قرمطية باطنية . وسوف يعلم القارىء أن هذا الشيعى من الشيعة الباطنية الغالية ، وليس من الشيعة المعتدلين الذين يرعون للدين حرمة ولله وقاراً . وسيمر بالقارىء أنه على مذهب الفاطميين الذين استولوا على مصر وأفسدوها أعواما طويلة .

فهذه الأقوال والاستغاثات صريحة فى الضلالة لا ينازع فى ذلك الا من ينازع فى أن قول القائل « سبحانى عز شانى » وقول الآخر ان « لا إله الا الله ، ما فى الجبة الا الله » وقول الآخر « أنا ربكم الأعلى » وقوله « ما علمت لكم من إله غيرى » أقوال مؤوّلة مفسرة تفسيراً صحيحًا ، وانها ليست صريحة في الكفر والالحاد ، ولا ينازع فى ذلك الا من نازع فى قول بعض الملاحدة المدعين الاسلام « ان الأنبياء لم يأتوا الا بالشرك والالحاد » وقولهم « ان كلمة لا اله الا الله فاسدة ، و ان القرآن كله تشبيه وضلال ، وان الدين الاسلامي دين للعامة دون الخاصة » وقول أحد هؤلاء الملحدين :

عقد الأنام على الاله عقيدة ... وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

ونظائر ذلك من أقوال الملحدين . فالذى يحسن الظن بهذا يحسن الظن بذاك والذى يقول إن هذا كفر ولا ريب لأنه إنباء عظيم عن فساد العقيدة يقول إن ذلك أيضا كفر لأنه إنباء عظيم أيضا عن فساد الدين . والتفريق بين الأمرين اضطراب والتأويل لهذا كله من أكبر أنواع الضلال والمروق من الدين والعقل

ومما يردّ على هذا الشيعى دعاويه فى التأويل لهؤلاء الداعين الاموات أن على بن ابى طالب رضى الله عنه حرق أولئك القوم باذرى بذور الشيعة لما أن قالوا له : أنت ربنا وخالقنا ورازقنا . وهم كانوا من المتظاهرين بالتشيع المغالين فيه . فأضرم عليّ نيرانا عظيمة ورماهم فيها مستحلا دماءهم . وقد عدهم بهذه الاقوال كفاراً لاحظ لهم فى الاسلام وقضى عليهم بالموت تحريقا . فلماذا لم يؤول لهم على إذا ما كان هنالك شىء اسمه التأويل ولماذا لم يعد أقوالهم هذه مجازات يراد بها غير ظاهرها وما يبدر منها فلم يبح دماءهم إذا ما كان للتأويل أصل ؟ بل لماذا لم يشكّ فى مرادهم فيسألهم عما يريدون . ولعلهم يريدون غير ظاهر قولهم . ولعلهم يعرفون المجازات وضروبها ؟ ! لايقال إن بين أقوالهم هذه ودعواهم فيه وبين أقوال هؤلاء الدعاة للاموات فرقا . فلا يمكن التسوية بين هذا وهذا . فاننا نقول ليس المقام هنا مقام التسوية بين ما قاله الذين حرقهم على وبين ما يقوله هؤلاء المنقطعون الى الأموات وإنما الكلام فى المجاز واللجوء الى التأويل . فان جاز التأويل فى أحد هذين الأمرين جاز فى الامر الآخر وإن امتنع فى أحدهما امتنع فى الآخر ولا فرق . والمخالف يوافق أن ظاهر أمر دعاة الأموات كفر ، ولكنه أول ذاك وحمله على المجاز . ولولا التأويل والمجاز لحكم عليهم بالكفر والردة . وكذلك يقال في مقالة من حرقهم على هي كفر ظاهر ولكن التأويل واللجوء إليه يمنع التكفير ويدل على أن الظاهر غير مراد

ثم أى فرق بين قول القائل أنت ربنا وخالقنا ورازقنا لمخلوق وبين قول

الآخر أنت شافينا وغافر ذنوبنا وهادي قلوبنا ومغيثنا مما نزل بنا من الـكروب والخطوب لميت تحت الثرى . أظن أنه لافرق بين الأمرين . فان هذا كله فعل الله لا يقدر عليه سواه . وقد أضيف إلى غيره سبحانه

وكذلك أيضا الامام على لم يؤول للخوارج لما رموه بالـكفر والخروج من الدين لما أن قبل التحكيم ورضى بما قاله الحكمان . فلما أن قالوا له إنك قد كفرت فاعترف على نفسك بالردة بعد الايمان ثم ارجع الى الاسلام من جديد وإلا فلسنا منك ولست منا ونحن منك براء عد قولهم هذا صريحا فى ضلالهم لايقبل التأويل ولا الحمل على المجازات . فرد عليهم رضى الله عنه رد العارف بغرضهم وما يريدون ولقد كان هينا عليه أن يحمل كلامهم على المجازات وأن يحمله من التأويل مثل مايدعيه هذا الرافضى . ولـكنه لم يصنع شيئا من ذلك

هذا وليعلم أنه إذا ما استطيع تأويل هذا استطيع تأويل كل شيء . وهذا عين الخبال وغاية الفساد . هذا عن المقام الثانى

(وأما المقام الثالث)

فالجواب أن يقال نحن وإن سلمنا أن أقوال المسلمين وأفعالهم يذهب بها الى الصحيح البريء . وسلمنا أن الاستغاثة بالأموات من هذا النوع الذي يصح أن يؤوّل وأن يحمل على الصحيح إلا أنا نقول واثقين مطمئنين إن الاستغاثة بالأموات وسؤالهم مالا يقدر عليه إلا الله كطلب الشفاء والهداية وغفران الذنب حرام بلا ريب وخروج على الدين وعلى التوحيد وإساءة أدب مع الله مهما أراد به قائله ومهما كان سليم النية والقصد . بل وإن كان لا يريد بقوله شيئا من الاشياء أو أراد المجاز والتأويل أو عقد فى ضميره معنى من المعانى التى لا تخالف الدين ولا تحمل سوء أدب لله . فهذه الاستغاثات بالموتى وسؤالهم المطالب العالية التى لا يستطيعها

مخلوق لا حي ولا ميت لا اشتراكا ولا استقلالا بل هي من عمل الله وحده وفعله وحده هي قلة أدب مع الله تمس إيمان قائليها وتصدم عقائدهم وتفسدها على كل وجه من الوجوه المفترضة في قصد المستغيث السائل . ولا ينازع مسلم في أن هنالك كلمات تقضي بكفر قائلها وخروجه من الاسلام وتقضي بردته وإن كان قائلها لا يريد ما يبدو منها ، بل وإن صرح بأنه لا يعني ما دلت عليه ألفاظه وكلماته وصرح أنه ينتحل المجازات والكنايات فيما يقول وإن ادعى ما ادعى من ذلك ، فان من قدح في الاسلام أو في الله أو في الأنبياء حكم بكفره وردته بظاهر ما قال وإن زعم أنه يريد غير ما يفهم الناس من قوله بل وإن زعم أنه يحكي وينقل أو ذكر احتمالا من الاحتمالات ، فلا يمكن أن يقبل شيء من ذلك

وكذلك لو قال قائل ان القرآن ليس فيه ما يعرف العقيدة الصحيحة والدين الحق أو قال انه جاء بالباطل أو انه مخالف العلوم والواقع أو قال أنه متناقض متدافع أو زعم أنه جاء بالشر والفساد أو قال ان الرسول جاهل مثلا ونظائر ذلك فمن قال شيئاً من ذلك كفر وحكم عليه السامع بالردة وحكم عليه المسلمون بذلك ولم يتساءلوا عن ضميره وعما عقده في نفسه وعما ينويه ، بل ولم يشكوا أو يتوقفوا أو يختلفوا ، وبهذا ينتظم الأمر ويقمع الزيغ ويوأد الالحاد في صدور الملحدين ويضيق على الشر فلا يجد مناديح وفسحا فلا ينمو أو يشب أو ينتشر . وبغير ذلك يختل النظام ويقلق حبل الأمن ويجد الضلال المخارج والمولج والمصادر والموارد ويبدي كل صفحته ويرفع كل عقيرته فيتنفس الملحد إلحاده والضال ضلالته ويقول كل ما يشاء من الكلام الفاسد ومن سوء الأدب مع الله ومع الدين والمؤمنين والنبيين ويذهب بكل شيء من ذلك الى المجاز والتأويل ويفزع صاحبه إن أوخذ الى ذلك فلا يستطاع أخذه أو مؤاخذته بقول من الأقوال وكلمة من الكلمات فتفسق النفوس وتشيع الفوضى الاعتقادية ولا محالة . وهذا ما حصل لبعض الناس الذاهبين

هذا المذهب الفاسد حتى ان من قال « ما فى الجبة الا الله » ومن قال « سبحانى عز شانى » وجد من يؤول له كلامه ويحمله المحمل الحسن ومن يحسن الظن به ، وكذلك قال قوم ان كلمة لا اله الا الله فاسدة ، وان الأنبياء لم يأتوا الا بالشرك والشر وأن القرآن كله تشبيه وتجسيم ، وأن الأولياء أفضل من الرسل وقال أحدهم : أنا أفضل من جميع الأنبياء والمرسلين ، وقال بعض المنتسبين للاسلام أكثر من هذا وأشنع ، فوجد من أحسن الظن بهذه الاقوال ومن أولها وفسرها تفاسير جميلة أو مقاربة ، ومن صدق الدفاع والذياد عن أصحاب هذه المقالات حتى رموا من عارضوا قائليها بفساد العقيدة وبالكفر ، وهذا معلوم مدوّن فى كتب مطبوعة يحسن بها الظن اليوم وقد يحسن بها الى ما بعد اليوم الى ما شاء الله . وهذا البلاء دخل من هذا الباب باب التأويل المبنى على حسن الظن بمن ادعى الاسلام أو ولد بين آباء مسلمين ومدعين للاسلام

ولا نعرف لماذا لا يسع هؤلاء من الكلام المعروف البرىء ما وسع المسلمين الأولين وما وسع خيار المؤمنين اذا كان هؤلاء صادقين فى الاسلام والايمان ؟ ولماذا لم يسعهم ماوسع رسول الله وأبا بكر وعمر وعثمان وعلياً والأكرمين من الأنصار والمهاجرين ؟ وما الذى اضطرهم إلى تعشق هذه الألفاظ الموحشة والكلمات العظيمة الشنعاء اذا كانوا لا يريدون ظاهرها ، وان كانت لا تنبىء عن نبأ محبوس فى صدورهم ؟ أهم يرون فى هذه الالفاظ المخيفة زيادة قرب الى الله أو فضل فلسفة أو عمق بحث ؟ كلا ان ذلك لا يكون ، وانهم لا يدعون هذا ، بل لماذا لا يسعهم ما وسع عقلاء البشر من مسلمين وغير مسلمين من وضع الكلمات فيما وضعت لتدل عليه ؟ إنه لا جواب عن هذه السؤالات الا أن يكون الجواب ان فى نفوس قائليها أمراً نكراً عظيما ، وإن من وراء هذه الألفاظ عقيدة قذف بها الزيغ ، وهزها هزات متوالية تساقطت بها هذه الألفاظ المنكرة ، وأمطرت هذه الكلمات المخيفة

وإذا كان من الكلام ماهو كفر بظاهره كما رأيت فلا ريب لدينا أن من هذا النوع الاستغاثة بالأموات وطلبهم ما لا يقدر عليه الا الله وأن من هذا النوع أن يقول القائل الرسول خالقنا ورازقنا ومغيثنا ومحيينا ومميتنا وباعثنا . ومثله ولا خلاف أن يقول القائل أنه عليه السلام يشفي مرضانا ويهدى قلوبنا ويغفر ذنوبنا ويرد غائبينا ويوسع رزقنا . فقائل هـذا كافر ولا ريب ، وقد أجازه صاحب هذا الكتاب فخالف إجماع المسلمين بل وإجماع العقلاء من غير المسلمين ، وهذا لا فرق بينه وبين قول القائل ان الرسول أو غيره خالقنا ومحيينا ومميتنا ومحاسبنا ومعاقبنا أو مثيبنا ، بل هذا كله يبيحه هـذا الشيعي ويزعم أنه لا خطأ فيه ولا غلط ولا شيء من المؤاخذة بل هو مجاز معروف مشهور وارد في كلام العرب بكثرة لا تنكر

وقد قدمنا في الأمر الخامس أن هذه المطالب من الأموات متضمنة بلا ريب الاعتراف بأنهم يعلمون الغيوب وأنه لاتخفى عليهم خافية قريبة أو بعيـدة ، ولهذا يدعونهم من كل مكان وفي كل مكان ، وهذا الرافضي يقول أنهم يريدون بهذه الأدعية والضراعات أن يكونوا لهم شفعاء ووسطاء . فاذا سلمنا هذا كان برهاناً صارخاً بأنهم يعتقدونهم يسمعون دعاءهم من كل مكان بعيـد أم قريب ولا يخفى عليهم شيء من هذا ، وهذا كفر مستقل ، لأن الله وحده هو الذى يسمع من كل مكان وفي كل مكان لا يشغله صوت عن صوت ولا هتاف عن هتاف ، فمن اعترف بهذه الصفة لمخلوق فقد باء والله بها والعياذ بالله ، وهذا لا ينازع فيه على ما أعلم هذا المصنف المتغالي في تعصبه ، وأيضاً هذه الأدعية مشتملة على التعظيم الجم والتمسكن الوافر لهؤلاء الأموات وهذا نوع من أنواع فساد العقيدة سوف يجيء القول فيه

وأما ما ذكره من المجاز كقولهم بنى الأمير المدينة فقـد أسلفنا القول فيه مشبعاً في الأمر الخامس وسوف يأتي زيادة بيان لهذا

الامر الرابع عشر

قال الرافضى « العبادة فى اللغة الذل والخضوع ومنه بعير معبد أى مذلل ، وطريق معبد أى مسلوك مذلل ، ونقلت فى الشرع الى معنى جديد أو أريد بها معنى خاص من المعانى اللغوية

« فالعبادة بمعناها اللغوى الذى هو مطلق الذل والخضوع والانقياد ليست شركا ولا كفراً قطعاً وإلا لزم كفر الناس جميعاً من لدن آدم الى يومنا هذا لأن العبادة بمعنى الطاعة والخضوع لايخلو منها أحد ، فيلزم كفر المملوك والزوجة والولد والخادم والأجير والرعية والجنود بل كفر الأنبياء

« ثم أنه ورد فى الشرع إطلاق العبادة والعباد على مطلق المطيع والطاعة فورد أن العاصى عبد الشيطان وعبد الهوى وقال الله تعالى « أفمن اتخذ إلهه هواه [1] » « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » مع ما ورد أنهم ما صاموا لهم ولا صلوا وإنما حرموا عليهم حلالا وأحلوا لهم حراماً فاتبعوهم ، وان الانسان عبد الشهوات ، وإن من أصغى الى ناطق فقد عبده ، فان كان ينطق عن الله فقد عبد الله وان كان ينطق عن غير الله فقد عبد غير الله . ومن هذا القبيل قول رابعة العدوية :

لك ألف معبود مطاع أمره ... دون الاله وتدعى التوحيدا

« ولا ريب أن هذه الأمور التى سميت عبادة لا توجب الكفر والارتداد ، وإلا لم يسلم منه أحد والضرورة قاضية بخلافه

« ثم أن من جملة العبادة السجود وقد أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ، وسجد يعقوب وزوجته وبنوه ليوسف كما أخبر عن ذلك القرآن الكريم . فدل على أن

---

(١) وصحة الآية « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه »

السجود ليس فى نفسه قبيحاً وممنوعا منه موجباً للشرك والكفر وان سمى عبادة ، وإلا لم يأمر به الله وأنه ليس مثل اتخاذ الشريك للبارى فى جميع صفاته ، فان هذا لا يعقل أن يأمر الله به أو يجيزه ولا يمكن الا أن يكون شركا وكفراً . وعلم من ذلك أيضاً أنه ليس مطلق الخضوع والتعظيم حتى السجود لغير الله قبيحاً فى نفسه ، وشركا وكفراً

« ثم انه ورد اطلاق العبادة على دعاء الله تعالى فى القرآن بقوله تعالى « ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى » والأخبار بقوله عليه السلام « الدعاء مخ العبادة » ولكن ليس المراد بالدعاء هنا معناه اللغوي قطعاً وهو النداء ، وإلا لكان كل من نادى أحداً وسأله شيئا عابداً له ، بل المراد به نداء الله وسؤاله والقيام بغاية الخضوع والتذلل بين يديه وانزال حاجات الدنيا والآخرة به على أنه الفاعل المختار والمالك الحقيقى لأمور الدنيا والآخرة والمتصرف فيها كما يشاء . فمن دعا مخلوقا على هذا النحو كان عابداً له . أما من دعاه ليشفع له الى الله بعد ثبوت أن الله جعل له الشفاعة فلا يكون عابداً له ولا فاعلا ما لا يحل

« فظهر أنه ليس كل ما يطلق عليه اسم العبادة موجبا للشرك والكفر اذا وقع لغير الله بل ولا محرما ، الا أن ينص الشارع على تحريمه كالسجود للشمس والقمر المنهى عنه فى القرآن ، والسجود لغير الله متفق على تحريمه ، وأن مطلق الخضوع والانقياد لغير الله لا يوجب ذلك ولو فرض أنه سمى عبادة وأن العبادة التى يترتب عليها ذلك ليست العبادة اللغوية بل عبادة خاصة لا يمكن معرفتها الا ببيان الشارع ، وبدون بيانه تكون مجملة ، وأنه لا يجوز ترتيب حكم الشرك والكفر بل ولا التحريم على ما يسمى عبادة الا اذا علم أنها من تلك العبادة الخاصة ومع الشك أو الظن لا يجوز ترتيب ذلك الحكم . فاذا فرض ورود النهى عن عبادة غير الله فما علم أنه من المنهى عنه حرم ومالم يعلم لم يلحقه الحكم كالتكفير والانحناء عند العجم ورفع

اليد عند الجنود وكشف الرأس عند الافرنج وغير ذلك للعلم بأن المنهى عنه ليس مطلق ما يسمى عبادة وخضوعا

«ثم ان الذى علم ترتب حكم الشرك والكفر عليه من العبادات أو الاعتقادات أمور (الأول) اعتقاد المساواة لله فى جميع الصفات أو أنه هو الله كما يقول عبدة المسيح وأمه فيما حكاه عنهم القرآن ، وكما يقوله السبئية فى أمير المؤمنين على بن أبى طالب وكما يقوله الدروز فى الحاكم أحد الخلفاء العلويين المصريين وغيرهم من الألوهية لشخص من الأشخاص ولو بطريق الحلول (الثانى) انكار الشرائع وتكذيب الرسل وان اعترف فاعله بتوحيد الله ولم يعبد وثنا بل بقى على شريعة منسوخة (الثالث) ما ذكر مع عبادة الأوثان بما لم يأذن به الله بل نهى عنه من سجود ونحر وذبح لها وذكر اسمها عليه وطليها بدمه وتعظيم باعتقاد استحقاق ذلك بالاستقلال لرفعة ذاتية واعتقاد أن له تدبيراً واختياراً كما كان يفعله عبدة الأصنام سواء كان مع الاعتراف بوجود اله وعدمه » انتهى كلام العاملى

قلت : وهذا الكلام ينم على حيرة متمكنة وقلق مستول على عقيدة صاحبه حتى ليكاد القارىء يمس الحيرة والقلق والاضطراب مساً ، وقد جمع أنواعا من الخطأ فى اللغويات والعقليات والمرويات والاعتقاديات ، وبيان هذا بامور :

(أولا)

يقول ان العبادة معناها فى اللغة الذل والخضوع والانقياد : وعليه فكل من ذل لشىء أو خضع له أو انقاد فهو عابد له لغة . وهذا باطل بالاجماع لا يختلف فى بطلانه رجلان يعرفان مواقع كلام العرب . فانه لم يقل واحد من علماء اللسان ان كل خضوع عبادة ولا ان كل ذل عبادة ولا ان كل انقياد عبادة . ولا يوجد فى كلام العرب كلمة واحدة تشهد لهذا القول لا من قريب ولا من بعيد . بل إن

الضرورة قاضية ببطلان هذا القول وفساده ، والناس مجمعون على خلافه لا يظن إنسان يتكلم اللغة العربية أن كل خضوع عبادة وكل ذل وانقياد عبادة . ولا يمكن أن يقول انسان لمن رآه يخضع لأمر والده أو أمر رئيسه خضوعا مشروعاً لا إسراف فيه انه عبد أباه أو عبد رئيسه ولا أن يقول لمن ذل لمن هو أقوى منه ولمن هو قادر عليه أو انقاد له انقياداً لا غلو فيه بل انقياداً عاديا وخضوعا عاديا وذلة عادية : انه عبده أو انه عابده ولا يخطر هذا على بال انسان ، والناس كلهم يعلمون أن تسمية مثل هـذا عبادة غلط ولا ريب ، وهم لايمكن أن يعدوا أنفسهم عابدين لسلطة الحكومة وقانونها اذا خضعوا لذلك وانقادوا طوعا أو كرها ، ولا يرتابون في أن تسمية هذا الانقياد والخضوع عبادة غلط مبين ، ولو كان هذا القول صحيحاً لكان المسلمون والمؤمنون حتى خيارهم وفضلاؤهم بل ورسلهم وأنبياؤهم يعبد بعضهم بعضاً عبادة لغوية حقيقية لأن من الايمـان أن يذل بعضهم لبعض ذل تواد وتراحم وتعاطف لا ذل هون وهوان . قال الله تعالى فى وصفهم « أذلة على المؤمنين » وقال تعالى « واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » وقال فى بر الأبوين « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » ، ولأن من الايمان أن يطيع بعضهم بعضاً فى المعروف وأن ينقادوا لأوامر أولى الأمر منهم فى غير معصيـة ولا إثم ، ولكن من الاثم والسخف أن يقال ان المسلمين باتباعهم هذه الأخلاق السماوية الساميـة عابد بعضهم بعضاً عبادة لغوية ، أو أن يقال انهم بهذه الآداب الالهية الفضلى العليا يؤمرون بأن يعبد فريق فريقاً وأن تعبد طائفة منهم طائفة أخرى ، بل يؤمرون بأن يكون كل فريق عابداً معبوداً

ومن أكبر الاثم والجرم أن يقال : ان أبا بكر كان يعبد رسول الله وأن الصحابة كانوا يعبدونه ﷺ ، لأنهم كانوا مأمورين بطاعته والانقياد له والخضوع

لما يأمرهم به وقد كانوا كذلك ، أو يقال ان الصحابة كانوا يعبدون خلفاءهم وكانوا يؤمرون بعبادتهم ، والضرورة قاضية بأن من المدح والثناء أن يقال ان الصحابة والمؤمنين كانوا متطاوعين ، وكانوا أذلة على المؤمنين ، وكانوا منقادين لأوامر زعمائهم الراشدين الآمرين بالمعروف ، ولكن من الهجاء المر والذم القبيح أن يقال انهم كانوا متعابدين ، وأنه كان كل منهم عابداً معبوداً ، بل هذا من الكذب والضلال المبين ، ولو كان الأمران سواء لافرق بينهما ، وكانت العبادة هى الطاعة والذلة والانقياد مطلقًا بلا قيد ولا شرط لكان الأمران مديحًا أو هجاء ولكانا جائزين معاً أو ممنوعين معاً ، فاذا ما كان أحدهما مديحا وثناء وكان الآخر ذماً وهجاء علم يقيناً بأنهما ليسا سواء وأنه ليس معناهما واحداً ؟ وهذا واضح بين

فالعبادة لغة ليست هى مطلق الذل والانقياد والخضوع بالاجماع والضرورة . بل العبادة أمر أسمى من ذلك وأخص وأشرف

قال الزمخشرى فى تفسيره الكشاف : « العبادة غاية الخضوع والتذلل » . وكذلك قال غيره . وقالت العرب سبيل معبد . وبعير معبد . ويعنون بالسبيل المعبد : الطريق الذى وطئته الاقدام وطأ شديداً كثيراً حتى صار طريقا لاحبا بينا . ويعنون بالبعير المعبد المذلل المخضم شديداً بكثرة الحمل عليه وانقياده إلى الخسف والهون والمتاعب حتى سلس قياده وذهب شماسه . ولايقولون السبيل المعبد إلا إذا كان مطروقا موطوءا بشدة وكثرة حتى أصبح بينا واضحا . ولا يقولون أيضا بعير معبد إلا إذا كان مذللا مسلسا مقوداً كثيرا حتى صار طوع يد الصغير والكبير وطوع يد الصبى والمرأة . وأما ماليس كذلك من السبل والبعران فلا يقال له معبد ولا يحمل عليه هذا اللفظ

ويقال شعب معبد إذا ما أذل وأخضع كثيرا . ويقال عبَّد هذا الطاغية الناس أو استعبدهم إذا أرهقهم ذلة وهونا وهوانا وأشبعهم خسفًا وعسفا ، حتى

انقادوا له انقياد العبدان المماليك . قال الله تعالى حكاية عن نبى الله موسى مخاطبا عدوه فرعون « وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل » أى أن أخضعت بنى اسرائيل وجرعتهم من الذل أمرَّه وأنكره حتى ذلت نفوسهم وتضاءلت وتخلت من العزة والحمية حتى رحت تذبح أبناءهم صبرا وقهراً بلا ذنب ولا جريمة ، وتستحيي نساءهم أى تستبقيهن للخدمة والاذلال وللأمور الأخريات الكبريات ، ويقال عاشق عبده الحب واستعبده إذا ما غلبه الحب على أمره وقاده هواه وهوى من أحب انقياداً لا عقل له ولا اختيار فوهبه حبه وعقله وجسمه . وقد قال الله فى مثل هذا « ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله » ويقال هذا عبد الدنيا وعبد الشهوات والمآرب الوضيعة ، لمن تهالك على خدمة الدنيا وانصرف اليها بقلبه وقالبه ووهبها نفسه وقلبه ووقته وذله وخضوعه وصارت شغله الشاغل ومأربه الأول والآخر . وفى الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ أنه قال « تعس عبد الدينار . تعس عبد الدرهم . تعس عبد الخميصة . تعس عبد الخميلة . تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش ، إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط » وهذا وصف الغلاة فى خدمة الدنيا وما فيها من آكال وملابس ، من لا يبالون شيئاً إذا نالوا ذلك وظفروا به . ويقال لمن غلا فى شيخه فى حبه وتعظيمه وخوفه ورجائه فأحله أعمق جوانب نفسه حتى انقاد لارادته ودفع اليه زمام اختياره وزمام نفسه وذاته وكان كما يعبر أهل الطريق مثل الميت فى يد غاسله يقلبه كما يشاء يقال لمن غلا هذا الغلو فى شيخه انه عبده . وفى القرآن الكريم « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم » وهذا كما جاء فى تفسير هذه الآية عن الرسول الكريم ﷺ أنه قال « انهم أحلوا لهم الحرام فأحلوه وحرموا عليهم الحلال فحرموه » وقال « تلك عبادتهم للأحبار والرهبان » هذا معنى الحديث . وهؤلاء من غلوهم في الأحبار والرهبان يرون أن ما أحلوه فهو محلل عند الله ما

جرموه فهو محرم عنـده لصلتهم بالله الوثيقة الخاصـة ، وقربهم منه واطلاعهم على ما يريد ، وصلتهم بأسراره وأسرار تشريعه . وعلى هذا الاعتبار ذلوا لهم أبلغ الذل وأخلصه ، فانقادوا لما يهوون ويريدون بلا عقـل ولا اختيار ، حتى بلغ بهم الغلو أن راحوا يشترون لهم المنازل فى الجنة من أحبارهم ورهبانهم ، ويأخذون بها الصكوك والوثائق المختومة بخواتيم الكنائس والقسيسين ، كما راح المذنبون الجنـاة منهم ينثرون أسرارهم بين أيديهم وينشرون ما اجترحوه من الآثام والزلات الخفية المطوية حتى العذراء راحت تعترف لهم بما جنته على عفافها وعرضها وتنثر سرها بين أيديهم ، ويرون أنهم بذلك لا يؤاخذون ولا يعاقبون على ما قدمت أيديهم من ذنوب بعد هذا الاعتراف للقسيسين والرهبان

وقد صار الى هذا الغلو الفظيع كثيرون من جهال المسلمين ومن جهال الشيعـة خاصة ، فغلوا فى مشايخهم غلواً قبيحاً مزدرى فخافوهم خوفا نفسيًا غيبيًا عظيما عميقـا وراقبوهم فى الحضور وفى المغيب وعظموهم فى صـدورهم وفى أعمالهم تعظيما جعلهم يعتقدون أنهم يدخلون بينهم وبين أنفسهم ، وينفضون الى ذات صدورهم وينفذون بينهم وبين سرائر أنفسهم ، فراحوا يزعمون ويا بئس ما يزعمون أنهم يعلمون ما يجول فى زوايا أنفسهم وأنهم يسمعون دبيب الخطرات النفسيـة ويرونها تتقلب على صفحات القلوب والصدور بعيون نورانية إلهية ، ليست كهذه العيون المحدودة الجسدية الانسانية ، وأنهم يلمسون الأفكار والخلجات المترددة فى صدور مريديهم ومعتقديهم بأيد لا تحس ولا تمس ولا تدفع . وعلى هـذا الغلو راحوا يدعون أن مشايخهم أعلم بهم منهم بأنفسهم . ولا تسأل عما لازم هذه العقيدة وعما أثمرته من الذلة والخضوع والانقياد والطاعة العمياء لهؤلاء المشايخ أعاذنا الله من ذلك

ومن استسلم للذة نفسه وشهوتها وأخدمها عقله وقلبه وأعضاءه وسعى لها وحدها وحاسب نفسه لها وحدها ، من فعل ذلك فقد عبد لذته وشهوته ، وبتعبير أصح فقد

عبد حيوانيته . وفى الناس عباد شهوات ولذات كما أن فيهم عباد أوثان وأصنام ، وكلا الفريقين عابد غير ربه ، وكلا الفريقين مؤاخذ ملوم ، وقد قال الله تعالى فى عباد شهواتهم ولذاتهم « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه . أفأنت تكون عليه وكيلا » وقد جاء عن السلف أنهم قالوا « الهوى معبود » واستدلوا بهذه الآية الكريمة : « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه » ومن هذه المثل يرى القارىء أن العبادة فى لغة العرب ليست هى مطلق الذل والخضوع والانقياد والطاعة بلا قيد ولا شرط كما يدعى هذا الرافضى ، بل يرى القارىء من هذه المثل أن العبادة أمر أبلغ من ذلك وأخص ، ويرى أنها هى الذل البليغ المستولى على الظاهر والباطن ، مع الخضوع البليغ المستولى على الظاهر والباطن، مع الحب القوى المستولى على الظاهر والباطن مع الرغبة والرهبة المستوليتين على الأعمال وعلى القلب والنفس ، فمن ذل لشىء هذا الذل ، وخضع له هذا الخضوع ، وأحبه هذا الحب ورغب فيه هذه الرغبة ورهبه هذه الرهبة فقد عبد ذلك الشىء سواء أكان هو الله أم كان غير الله ، وسواء أكان فى ذلك مفرداً أم مشركا ، وسواء أسمى ذلك عبادة أم سماه غير ذلك ، وسواء أكان ذلك الشىء انسانا أم حيوانا أم جماداً حيا أم ميتا

أما من أحب شيئا كحب الزوج زوجته وحب الرجل أولاده ولم يخضع له فليس عابداً له لا لغة ولا شرعا . وكذلك من خضع لشىء كخضوع المرء لمن هو أقوى منه كالخضوع للاسد وكخضوع الشعب لسلطان الحكومة ولم يذل له ذلك الذل ولم يحببه ذلك الحب ولم يرهبه ويرغب فيه تلك الرهبة والرغبة فليس عابداً له وليس ذلك الشىء معبوداً . وكذلك من ذل لشىء ذلا مفرداً مجرداً لم يكن عابداً له لا لغة ولا شرعا . وهذا واضح

أما من جمع هذه الأمور كلها لشىء : للمخلوق أم للخالق فقد عبده ولا محالة لغة وشرعا . فمن أحب زوجته ذلك الحب وخضع لها ذلك الخضوع وذل لها ذلك

الذل ورهبها ذلك الرهب ورغب فيها ذلك الرغب فقد عبدها لغة وشرعاً ، وبلغة أخرى فقد عبد هواه وشهوته . ومثل هـذا المرء لن يكون عبد الله ما دام عبد امرأته وشهوته

ومن أحب شيخه هذا الحب وذل له هذا الذل وخضع له هذا الخضوع ورهبه ورغب فيه تلك الرهبة والرغبة فقد عبده لغة وشرعاً . أما من أحبه فقط حب احترام وإجلال فليس عابداً له ، أو خضع له ولأمره لأجل مصلحة عاجلة أو آجلة فليس عابداً له أيضاً ، وكذا لو رغب فيه أو رهبه لمـآرب خاصة

وهؤلاء المتعلقون بالأموات فى الشدائد لا ريب أنهم يحبونهم الحب الجم ، ويخضعون لهم الخضوع الوافر ، ويذلون لهم الذلة البالغة ، ويرغبون فيهم الرغبة الغزيرة ، ويرهبونهم الرهبة الكبرى . ولولا هذه الأمور وتغلغلها فى نفوسهم لما تجاوزوا إليهم كل صعب وذلول ، واقتحموا الى الوقوف بين أيديهم كل شقة ومشقة وعقبة كئود ، لم ينههم عن المثول بين أيديهم وفى حضراتهم منهنه ولم يعقهم عن ذلك عائق لا فقر ولا حاجة ولا مرض ولا شغل شاغل . وهؤلاء الذين يدعون الأموات حاضرين بين أيديهم وغائبين وينادونهم من كل مكان شاحط بعيد عند ما تحزبهم الحوازب وتمضهم المصائب لا شك أنهم خاضعون لهم أذلة محبون راغبون راهبون . ولا شك أنهم يحملون لهم من هذا المعنى فى قلوبهم وفى أعمالهم وأقوالهم النصيب الأوفر الأكثر . ولا شك أيضاً أن مخافتهم وحبهم والرغبة فيهم والرهبة من غضبهم ومنهم والخضوع والذلة لهم قد اخترقت أجسام هؤلاء الدعاة وتخللت عظامهم وجرت فى مساربها حتى اقتحمت القلوب والعقول والنفوس فتألفت فيها ذرات وقطرات فتكاثرت حتى صارت هى وحدها عناصر القلوب والعقول والنفوس وجواهرها وإن رؤيت بالابصار دما ولحماً وأعصابا ثم ذهبت تقسم على الأعضاء من لسان وعيون وجوارح من ذات نفسها فصارت

فى اللسان دعاء وضراعة واستغاثة ، وفى العينين نظرات ساهمة متلهفة شاردة ، وفى القدمين خطوات عجلى خاطفة ؛ وفى اليدين لمساً ومسحاً لتلك الأعتاب والأبواب والعمد والشبابيك ، وفى الشفاه لثماً وتقبيلا . وهذا كله لو حلل وتحلل فعاد الى مادته الأولى لصار ذلة وخضوعا وحباً ورغبة ورهبة ، ولصارت تلك فى أوفر حالاتها . وهذا ظاهر لا ريب فيه

ومن المحال أن يدعو انسان إنساناً وهو غير خاضع له أو غير محب أو غير ذليل أو غير راغب فيه وراهب منه . فالذى يستغيث الأموات ويستجديهم ضروب الحاجات لا محالة من أن يرغب فيهم وأن يرهب منهم وأن يذل ويخضع لهم وأن يقف بين الخوف والرجاء وقفة يقف معها القلب والعقل والنفس وتتابع بينهما ضربات القلب ولهفات النفس . وهذا مما لا ريب فيه

فالعبادة ليست هي مطلق الذل والخضوع والانقياد كما يزعم هذا الشيعى بل العبادة لغة هى ماذكرناه . وإننا نتحدى هذا الشيعى ونطلب اليه أن يذكر دليلا واحداً من كلام العرب نثرها أو شعرها ، أو من كتاب الله أو من حديث رسوله على أن مطلق الذل ومطلق الخضوع يسمى عبادة ، وأن كل خاضع وذليل ومطيع ومنقاد يسمى فى كلام العرب أو فى نصوص الدين عابداً . وأما ما ذكر فسوف نذكر ما فيه

(ثانيا)

وأما زعمه أن العبادة قد نقلت من معناها اللغوي الى معنى آخر أو أريد بها معنى خاص من معانيها اللغوية فزعم غير صحيح ، وهو مبنى على زعمه أن العبادة فى اللغة معناها مطلق الذل والخضوع والانقياد ، وقد رأيت وسمعت أن العبادة ليست شى هذا لغة وأنه لم يقل أحد من العرب أن كل ذل وخضوع وانقياد عبادة ولم

يشهد لذلك شاهد . بل الشواهد التى قدمناها كلها تبين كذب هذا الزعم

وإذ قد رأيت أن العبادة معناها غاية الخضوع والتذلل المتضمن للرغبة والرهبة والحب والانقياد والطاعة ، فلا يمكن الادعاء أن العبادة التى معناها هذا قد نقلت الى معنى آخر أو أريد بها معنى خاص من هذه المعانى . فان مسلماً لا يمكن أن يدعى أن هذه الأمور مجتمعة يصح أن تكون لغير الله لا لرسول ولا ملك ولا من دونهما . بل هذه كلها يجب أن تكون لله وحده لاشريك له وهي من حقه الخاص به ، ومن الدلائل على كذب هذا الزعم أنه لم يدع أحد من العلماء لا من السلف ولا من الخلف أن العبادة في اللغة ليست عبادة فى الشرع . ولم يدع أحد منهم أنه تحل عبادة غير الله ، وأنه لم يقل أحد من الناس للرسول الكريم لما طالب الناس بعبادة الله وحده إننا لانعرف معنى العبادة التى تطالبنا بها فما هي ؟ مهما لنا لنرى أنكون معك أم نكون ضدك ؟ ولنخص الله بها وحده ألا يلزم أن يسأل الصحابة عن العبادة المطلوبة منهم اذا كانت ليست هي التى يعرفون . ثم ألا يعرفها لهم الرسول أو القرآن وإن لم يسألوا عنها كما عرفوا الصلوات والصيام والحج وسائر العبادات ! ؟ ثم ألا يكون سكوت القرآن والسنة عن تعريف الناس ذلك مع مطالبتهم بعبادة الله وحده ثم سكوت الناس عن بيان ذلك برهاناً لا يدفع على أن العبادة هي مايعرفه الناس فى خطابهم ؟ أنا أحسب أن الجواب نعم

ومن الدلائل على ذلك أن القرآن والسنة والناس جميعاً يسمون ما يصنعه الناس قبل الاسلام للاوثان والأصنام عبادة . والذى كانوا يصنعونه هو الخضوع لها والانقياد والذلة والرغبة والرهبة وما يتفرع عن ذلك من الدعاء والنحر والنذر لها والتمسح بها وأشباه ذلك فسماهم القرآن والحديث والمسلمون جميعاً عباد الأصنام والأوثان وعباد غير الله . فهذا برهان لا ينازع على أن ذلك عبادة في الشرع وفى القرآن والسنة وفى كلام الناس جميعا

ومن الدلائل على خطأ مزعم هذا الشيعي أنه لو لم تكن العبادة فى الشرع هى هذا أى ما كانت لغة لكانت غير معلومة ولا مفهومة ولكان الأمر بهـا فى القرآن والسنة والحديث عبثاً لا فائدة فيه مطلقا . لأنه أمر بما لا يعلم ولا يعرف بل هو تكليف مالا يستطاع . وهذا باطل على مذهب الشيعة الذاهبين مذهب المعتزلة . وذلك أن هذا الرجل زعم هنا وفى مواضع من كتابه أن الذل والخوف والرغبة والرهبة والخضوع والاستغاثة والدعاء والنذر والحج وتقريب القرابين بل والسجود والركوع والصلاة والصيام ، زعم أن هذه الأمور كلها ليست عبادة شرعا . واذا كان ذلك كذلك فما هي العبادة في الشرع إذن ؟ انها حينئذ لا تعلم ولا تعرف وان الأمر بها حينئذ أمر بما لا يستطاع علمه ومعرفته . وهذا فى غاية الركاكة والقلق الفكري . وعلى هذا أيضاً فان المسلمين لا يعرفون ماهى العبادة شرعاً الى اليوم ، ولا يعرفون ما أمرهم الله به من ذلك فى آيات كثيرة جداً وأخبار لا يحصرها حاصر فى السنة . وهذا محال على مافيه من القدح فى جميع المسلمين السلف والخلف . وما جر الى هذا فهو باطل بلا نزاع

(ثالثـا)

وقوله حينئذ « فالعبادة بمعناها اللغوي الذى هو مطلق الذل والخضوع والانقياد ليست شركا ولا كفرا » الى آخر قوله قول غير صحيح . لأنه قائم على غلطه الفاحش الآنف وهو زعمه أن كل ذل وخضوع وانقياد عبادة فى اللغة ، وهذا غلط فى اللغة كما قدمنا . ولو كان هذا القول صحيحاً لكان الناس جميعاً عابدين معبودين ولكان الصحابة عابدين رسول الله ولكان هو أيضاً عابداً الصحابة لغة ولكان من قال بلسان العرب إن رسول الله كان يعبد الناس وكان الناس يعبدونه صادقا لم يكذب . وكفى بهذا دليلا على بطلان هذا الزعم وما شيد عليه

(رابعا)

وقوله « انه ورد فى الشرع اطلاق العباد والعبادة على مطلق المطيع والطاعة » قول أيضاً فى غاية الغرابة والنكارة . وما قال انسان قبل هذا الرجل إن مطلق الطاعة يسمى عبادة لا لغة ولا شرعاً وان مطلق المطيع يسمى عابداً لا لغة ولا شرعا . وما دل على هذا القول دليل . ولو كان هذا القول حقاً لكان قول الله (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) بمنزلة أن يقال اعبدوا الله واعبدوا الرسول واعبدوا أولى الأمر منكم . ولكان قول الله (من يطع الرسول فقد أطاع الله) مثل أن يقال من يعبد الرسول فقد عبد الله . ولا كان معناها هو هذا . وهذا عند المسلمين وعند غير المسلمين سخف وخروج من الدين

وأما قوله « فورد أن العاصى عبد الشيطان وعبد الهوى » فهذا غلط فى الشرع لم يقله رسول الله ﷺ ولا أحد من أصحابه ولا أحد من العلماء المهتدين بل هو من صنع الشيعة وعملها

وأما قوله تعالى « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه » فليس المراد بهذا مطلق من أطاع هواه من المسلمين فألم ببعض الآثام ولمس بعض الذنوب اختطافا ولماماً . وإنما المراد بهذا أولئك الذين أعرضوا عن الله وعن دينه وعن رسوله وعما جاءهم به من الهدى والدين والخير . لم يرفعوا بشيء من ذلك رأساً ولم يحملوا أنفسهم على أن يتفكروا فى شيء منه أو يعنوا بشيء منه ، فظلوا على كفرهم وغيهم وضلالهم وعنادهم عاكفين لا يريمون ، فأنفقوا أعمارهم سادرين فى الشهوات متخمين باللذات ممتطين أهواءهم تخب بهم الى كل فاحشة نخشاء وتخدى بهم الى كل ضلالة عمياء ، لم يستفيقوا بهزاهز الواقع الصداح الغشوم المجوم ، ولم يصيخوا لهتافات السماء ونداء الحق الصادع حتى غشيهم الحق اليقين واحتبس أنفاسهم الحمام فسيقوا الى غضب الله والى ناره ، وذلك مصير المعرضين عما خلقوا له ، العائشين كما تعيش الأنعام والأغنام

للأكل وللشهوات الحيوانية ، فهـذا الذى اتخذ إلهه هواه فسعى لرضاه وحـده ولعبادته وحده ، فلم يعبأ بالله ولا بأمر الله ، فلم يعبأ الله به ولم يعبأ بأمره

أما ذلك المسلم الذى يلم الأحيان ببعض الذنوب طاعة لداعى الانسانية الضعيفة وشطرها الحيوانى ، فلا ينشب أن يفيق وأن يعـلم أن قدمه على حافة هوة عميقـة لا قرار لها فيبادر الى النجاة بنفسه والهروب الى ربه فيجد فى تطهير نفسه وقلبه مما لوثهما من أدران الخطيئة وأوضار المعصية فيزداد الى ربه رجوعا وقربا ، وعن هواه وداعية نقصه فراراً وبعداً . فليس هذا ممن اتخذ إلهه هواه ولكنه من الذين قيل فيهم ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ، فهذا الذى عناه الله بهذه الآية ليس هو مطلق من أطاع هواه فدحضت فى المعصيـة قدماه ، ولكنه هو ممن ذكرنا من المعرضين عن الله وعن الدار الآخرة وعن الرسول وعن هداه ولم يرد إلا الحياة الدنيا . وذلك مبلغه من العلم

وأما قوله تعالى « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » فهؤلاء هم الألى غلوا فى أحبارهم ورهبانهم فأنزلوهم منازل من التقديس والتبجيـل لم ينزلهم إياها الله ولم تنزلهم إياها أقدارهم وأعمالهم ، فأعطوهم من أنفسهم وقلوبهم ومن دينهم ما لم يكن خليقاً إلا بالله وحده الذى خلق ورزق وهدى وأغنى وأقنى فراحوا يعظمونهم أفضل التعظيم ويذلون لهم وينقادون . فغلوا فى حبهم وفى الذلة والانقياد لهم وفى الرغبة فيهم والرهبة منهم ، حتى أحلوهم رتبـة التحليل والتحريم والتشريع ورتبة غفران الذنوب وتقسيم الجنـات على الأصفياء ومن ينقدون لهم الثمن غاليـا فراحوا يشترون لهم منازل فى الجنات من الأحبار والرهبان برفيع الأثمان ويتسلمون الصكوك الموقعة بأيدى هؤلاء الأحبار والرهبان كما أسلفنا ، فوهبوهم بذلك أفضل معاني العبودية من التقـديس والتعظيم ، ومن إعطائهم وظيفة التحليـل والتحريم والتشريع ، فأحلوا لهم الحرام فأحلوه ، وحرموا عليهم الحلال فحرموه . وهذا معنى

قوله ﷺ « أليسوا قد أحلوا لهم الحرام فأحلوه وحرموا عليهم الحلال فحرموه » فكانوا بذلك مشركين بهم ، غير موحدين الله ، ولم يكن قول الله هذا فيهم لأنهم أطاعوهم مطلق الطاعة كما يدعى هذا الرجل . وآخر الآية برهان صارخ بتخطئة هذا القول

وقوله « وإن الانسان عبد الشهوات » إن كان يريد أن الرسول ﷺ قال هذا كما يدل عليه قوله « فورد فى الشرع » فهو غلط واضح وعزو الى الرسول ﷺ لا يصح . وان كان يريد أن بعض الناس يقول هـذا أو قاله فما الفائدة فى وضعه هنا ، وكيف يكون من الشرع أم كيف يزعم أن هذا وارد فى الشرع ؟؟؟ وليس الكذب على الرسول هينا ولا سهل التبعة ، بل الكذب عليه كذب على الله والكذب على الله هو الهلكة عينها « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا »

وقوله « وإن من أصغى الى ناطق فقد عبده » الى آخره الرواية من أضعف الغلط وأبعده عن الصواب ، ومن أعظم الاثم والجناية على الاسلام وعلى رسول الله ﷺ نسبة مثل هذا القول الى الشرع . فهلا يتقى الله صانع هـذا ، وهلا يعلم أن مثل هذا من أشد المقادح فى الاسلام ونبىّ الاسلام ؟ وهذا القول لو عزى الى قائل ما أو الى زعيم ما لكان عيبًا فيه وسبة فاضحة ، فكيف نسبته الى الرسول ﷺ المبلغ عن الله رسالته وما ينطق عن الهوى ، ولن يقول مثل هـذا الكلام إلا عيي سخيف أحمق وإلا فان عاقلا أو نصف عاقل ـ ان كان للعاقل نصف ـ لا يمكن أن يقول إن من أصغى الى ناطق فقد عبده ، ثم يزعم أن هذه العبادة للناطق المصغى اليه هى فى الواقع للمنطوق عنه ، فان كان ناطقًا عن الله فالمعبود هو الله ، وإن كان ناطقا عن شاعر أو كاهن أو كذاب فالمعبود هو ذلك الشاعر ، أفيرى هذا الشيعى أن الرسول ﷺ اذا ما أصغى الى شاعر أو كافر يقول قولا ما عابد لذلك الشاعر والكافر ، وهل يرى أن الكفار إذا ما أصغوا للرسول ﷺ وهو ينطق عن الله

عابدون للرسول ولله معاً ؟ أي خطأ هذا وأي بعد ونأى عن سبيل الرشاد ؟!

وأما قول رابعة العدوية :

لك ألف معبود مطاع أمره (البيت)

إن صح عنها فهو من المبالغات الشعرية التى لا يوجد مثلها فى الشرع لا فى القرآن ولا فى السنة على أنها تريد بهذا أولئك المعرضين عن الله وعن عبادته وعن القيام بواجباته اشتغالا باللذات والشهوات ، ذهابا وراء المطامع الدنيا أولئك الذين رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ولم يريدوا سواها ، أو يفكروا فى أن يسعوا لدار الجزاء الأكبر أو يقدموا من صالح الأعمال المبرورة ما به يخلصون الى مائدة الله التى أعدها في دار كرامته لمن عملوا الصالحات وخلصوا من الأدناس والأرجاس

وهؤلاء كأكثر من تراهم اليوم من المدعين الاسلام والايمان والتوحيد وهم فى الحقيقة الواضحة من أزهد الناس فى التوحيد والايمان ومن أزهد الناس فى الجنات وفى الجزاء إن كانوا يفكرون فى ذلك أو يمرونه على أذهانهم . وهؤلاء من المحال أن يكونوا موحدين أو مؤمنين أو مسلمين . فما يقال فيهم من عبادة غير الله والاشراك به هو صحيح لاريب فيه ، بل لو قيل إنهم موحدون . أعنى أنهم موحدون الدنيا وما فيها من شهوات ولذات تشاركهم فيها الحيوانات الناهقة والراغية والثاغية كلها لكان ذلك القول صحيحاً لا مبالغة فيه ولا كذب . ويعرف هذا من علم واهتدى

ولم تكن هذه الأقوال للموحدين القائمين بفرائض الاسلام وشرائط الايمان لزلات زلجت فيها أقدامهم بلا ريب

وقوله : « ولا ريب أن هذه الأمور التى سميت عبادة لا توجب الكفر » يقال فى جوابه : لا ريب أن الذين قال الله فيهم « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلهـاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون » والذى قال الله فيه « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله

الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا يتذكرون » يقال لا ريب أن هؤلاء الذين عناهم الله فى هـذه الآيات ليسوا مسلمين ولا مؤمنين ، وما قال أحد قبل هذا الشيعى فيما نعرف أنهم غير كافرين والآيات واضحة جداً . ولا ريب أيضاً أن أقواماً كثيرين باتباعهم أهواءهم وغلوهم فى أشياخهم كفروا وقد كفر قدامى الشيعة إذ غلوا فى على رضى الله عنه وادعوا حلول الله فيه ، فحرقهم

(خامسا)

قوله : « ومن جملة العبادة السجود وقد أمر الله الملائكة بالسجود لآدم وسجد يعقوب وبنوه ليوسف فدل على أن السجود ليس فى نفسه قبيحاً ولا ممنوعا موجباً الشرك والكفر وان سمى عبادة والا لم يأمر الله به » الى آخره . يقال فيه اما أن يريد أن السجود قد أمر الله به لبعض الخلق وهو الى الآن جائز مأمور به لأنه نوع من التعظيم وتعظيم العظيم مطلوب دائماً . واما أن يريد أن ذلك قد وقع فى ظروف خاصة وأزمان خاصة لأناس خاصة . ولكنه اليوم غير جائز ولا مباح لغير الله ، بل هو من أكبر المحرمات شرعا ؟

ان كان يريد الأمر الأول ويريد أن السجود اليوم مشروع مأمور به لمن عظمه الله كالأنبياء والأولياء كان هذا مروقا من الاسلام بلا مرية لدى المسلمين عامة فان المسلمين لا يختلفون فى أن السجود لغير الله كفر وخروج من الاسلام . فان السجود أفضل هيئات الصلاة وأفضل أركانها . وقد جاء فى الحديث الصحيح « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » ومن صلى لغير الله لولى من الأولياء أو نبى من الأنبياء تعظيما وإكباراً فقد كفر باجماع العقلاء واجماع المسلمين . بل علم هذا محسوب من الضروريات الدينية التى لا يتنازع فيها . ولا خلاف بين

المسلمين أن من أباح الصلاة لغير الله فقد ارتد ووجب عليه حد المرتد ان كان فى بلد يقيم حدود الله . ومثل الصلاة السجود ولا خلاف . بل السجود هو أفضل هيئات الصلاة وأركانها . وهو أكثرها اقراراً بالخضوع والعبادة والذى يجوّز السجود لغير الله أو يقول انه ليس شركا ولا كفراً يقول بجواز الصلاة لغير الله أو يقول إنها لغير الله لا توجب الكفر والردة . ومن أجاز الصلاة لغير الله أجاز الصيام والزكاة والحج والذبح والنذر والضراعة والرغبة والرهبة وكل ما يعبد الله به ويتقرب اليه بعمله من الأعمال الظاهرة والباطنة ، ومن أجاز ذلك كله لمخلوق فقد انغمس ولا ريب فى حمأة الكفر والشرك والحماقة ، فان العقلاء لا يرتابون فى أن من تقرب بهذه الأعمال الى مخلوق عاجز مربوب فهو مارق من العقل ومن الدين

وأما ان أراد الثانى أي إن أراد أن السجود أبيح لأفراد تخصيصا فى وقت مضى لا يجوز تعديه ولا القياس عليه ، بل يوقف لدى القدر المعلوم بلا زيادة ولا قياس ، إن أراد هذا لم يكن له فى إيراد هذه الأمور هنا فائدة ولا حجة يناط بها فاننا لا نخالف أن القرآن قد أخبر أن الملائكة سجدوا لآدم وأن يعقوب وبنيه وزوجه سجدوا ليوسف ولا نخالف أن الله يفعل ما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لأمره ، فله أن يخص ما يشاء بما يشاء من التعظيم والاجلال لا يسأل عما يفعل وهم يسألون عما يفعلون وهو رب العباد ، والعباد مربوبون له يتصرف فيهم كما يشاء ويأمرهم بما يشاء وينهاهم عما يشاء ، لا اعتراض ولا ممانعة ، ومن عارض أو مانع كان من أتباع الشيطان الذي اعترض على أمره بالسجود لآدم ومانع فكان من الكافرين المقضي عليهم بالشقوة الأبدية ، والعبادة حقه على عباده فلو أمرهم بعبادة من يشاء لكان عدلا منه ولزمهم أن يطيعوه وأن يعبدوا ما أمرهم بعبادته مذعنين مسلمين لا معترضين ولا آبين . ولكنه تعالى أمرنا بألا نعبد إلا إياه لا شريك له

مخلصين له الدين فى كتابه وعلى لسان رسوله فقال تعالى « أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » وقال « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه » وقال « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلاّ الله » وقال « وما أمروا إلا ليعبدوا الله » وقال « فاعبد الله مخلصا له الدين » والاجماع قائم على أن عبادة المخلوق كفر بالله وشرك لا يختلف فى ذلك المسلمون ، وقائم على أن كل ما يسمى عبادة هو من خصائص الله وحده لا ندّ له

فقول هذا الشيعى هنا : « فدل على أن السجود غير ممنوع ولا موجب الكفر وإن سمى عبادة » قول فاسد باتفاق المسلمين بل هو خروج من الدين ولا ريب فيه . فانه لاخلاف بين أهل الاسلام أن كل أنواع العبادة من حق الله وان صرف شىء من ذلك لعبد ردة على جميع الحالات ، ولهذا لا يقول أحد من المسلمين إن سجود الملائكة لآدم وسجود يعقوب وولده وزوجه ليوسف كان عبادة . بل هم لا يشكون فى أن ذلك السجود لم يكن عبادة لآدم ويوسف وهم يرون أن ذلك أمر غير العبادة ، وذلك لعلمهم أن العبادة حق الله وحده ليس لمخلوق منها قليل ولا كثير . فقال قائلون : إن سجود الملائكة لآدم إنما كان استقبالا له لاسجودا حقيقة ، وقال قائلون إن المراد بالسجود هنا هو التذلل له أى الخضوع والقيام بمصالحه ومصالح ذريته ، وقال قائلون فى سجود يعقوب وأولاده إن معناه التذلل وقال قائلون إن معنى ذلك القيام عليه بالخدمة والأدب ، وقال قائلون غير ذلك ولم يقل أحد منهم إن ذلك السجود كان عبادة بوجه من الوجوه لاجماعهم على أن المخلوق لا يعبد البتة ، وعلى كل حال فالمسلمون متفقون على أن ذلك السجود لم يكن عبادة سواء أعرفوا معناه الحقيقى والمعنى به أم لم يعرفوه . إلا أنهم مجمعون على أنه ليس عبادة

وليس بعيداً أن يكون المراد بالسجود هنا الخضوع . فان السجود كما تقول

كتب اللغة من معانيه الذلة والانقياد ، وقد قيل ان قوله تعالى « ادخلوا الباب سجداً » معناه خاضعين منقادين لأن السجود الذى هو وضع الجبهة على الارض لا يستطاع حين الدخول ، وقال تعالى « النجم والشجر يسجدان » أي ينقادان لأمر الله الكونى . وقال تعالى « ولله يسجد مافى السموات وما فى الأرض من دابة » وقال « ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا و كرها وظلالهم بالغدو والاصال » الى غير ذلك من آي الذكر الحكيم . ولا يراد بذلك السجود الحقيقى المعروف ، وانما يراد ولا محالة الانقياد لأمر الله الـكونى القدرى كما هو ظاهر ، ولهذا القول شواهد أخرى من كلام العرب كثيرة ، وقد قال عمرو ابن كلثوم فى معلقته المشهورة :

اذا بلغ الفطام لنا صبى　　تخر له الجبابر ساجدينا

وقال المتنبى :

أبدو فيسجد من بالسوء يذكرني　　فلا أعاتبه صفحاً وإهوانا

وقال الآخر :

فلما أتانا بعيد الكرى　　سجدنا له ورفعنا العمارا

ولا أحسب هؤلاء الشعراء يريدون بالسجود هنا وضع الجبهة على الأرض ولا أحسبهم يريدون سوى الخضوع والطاعة

وفى كتاب غريب الحديث لابن الأثير :

« وفى الحديث إن كسرى كان يسجد للطالع . والطالع هو السهم الذي يجاوز الهدف . والمعنى أنه كان يسلم لراميه ويستسلم . قال الأزهرى معناه أنه كان يخفض رأسه . يقال أسجدَ طأطأ رأسه وانحنى قال الشاعر :

وقلن له أسجد لليلى فأسجدا

يعنى البعير . أي طأطأ لها لتركبه . فاما سجد فبمعنى خضع » انتهى

فالسجود بمعنى الخضوع والانقياد له شواهد من كلام العرب لا تجحد كما رأيت

والذى يزعم أن السجود لآدم ويوسف كان هو السجود الاصطلاحى المعروف عليه أن يقيم الدليل على أنه كان كذلك وبغير ذلك لا يستمع لقوله واذا ما قال إن السجود المعروف الشرعى هو المفهوم من الكلمة عند الاطلاق قيل له نعم إن ذلك كذلك فى الاصطلاح المتأخر وفى كلام الفقهاء والشرعيين ، أما فى كلام العرب القديم فلا نجد دليلا على أن ذلك هو السابق الى الفهم عند الاطلاق ، ولا شك أن ذلك يحتاج الى الحجة وإلا فمردود على من زعمه

ونحن نجد بعيداً جداً أن يكون سجود يعقوب و بنيه ليوسف سجوداً اصطلاحياً ، أى وضع الجبهة على الأرض ، ومن البعيد القريب من المحال أن يكون معنى الآية هكذا : ورفع أبويه على العرش وسجدوا له فوق الأرض ، فان ظاهر الآية السابق الى الفهم منها أن السجود كان بعد رفعهم على العرش ، وهل يمكن لمن هو فوق العرش أن يسجد على الأرض ؟

لا يقولن قائل إن « الواو » لا تقضى بالترتيب والتعقيب مباشرة ، لأننا نقول نحن : نرجع القارىء الى ذوقه وفهمه البرىء من المؤثرات الخارجية ، ليعرف صحة قولنا ، ومن البعيد القريب من المحال أيضاً أن يسجد نبى عظيم من أنبياء الله العظام لابنه عند لقائه ثم يرضى ابنه وهو نبى عظيم بسجود أبيه له ، والابن مأمور أبداً باكرام والده واحترامه الاحترام المشروع كله ، والسجود إذا كان هو السجود العرفى فلا ريب أنه سجود غير واجب على يعقوب وبنيه وزوجه ليوسف وإنما هو سجود جائز ، ولا أحسب أن عالماً يستطيع أن يدعى أنه كان واجباً على هؤلاء أن يسجدوا ليوسف سجوداً حقيقياً ، واذا كان ذلك كذلك أى إذا كان هذا السجود سجوداً حقيقياً فهل من اللائق أن يتعمد يعقوب وبنوه وزوجه القيام

بهذا الجائز ؟ أفلا يكون من اللائق حينئذ ترك هذا الجائز وإهماله ؟ ومن الدلائل على بعد هذا أنه لم يعهد مثله ، أى أنه لم يعهد أن نبياً عظيماً سجد لابنه ، بل لم يعهد أن نبياً سجد لانسان آخر سجوداً اصطلاحياً

ولو كان هذا السجود هو ما يعنون لكان خاتم الأنبياء وسيد المرسلين خليقاً به ، ولكان أحق بأن يسجد الناس له وأن يسجد له الصحابة ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك وهو ممنوع بالاتفاق وباعتراف هذا الرافضى . بل انه ﷺ أنكر السجود له وأنكر ماهو أقل من السجود ، والمسلمون متفقون على أن من سجد للرسول أو لغيره من الخلق فقد ارتد وأن مأواه النار وبئس القرار

وقد يقرب ما نقول ويقويه أن يوسف عليه السلام كان رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين ، فلما سجد أبوه وبنوه وأمه له قال هذا تأويل رؤياى فى سجود الكواكب والشمس والقمر ، وسجود الكواكب والشمس والقمر لايمكن أن يكون سجوداً اصطلاحياً ولا ريب . فالسجود الذى هو تأويل سجود الكواكب والشمس والقمر من القريب المتبادر أن يكون كذلك أيضاً ، أى أن يكون سجوداً على غير الشكل المعروف الذي هو وضع الجبهة على الأرض ، وقد قدمنا أن سجود النجوم وما لا يعقل معناه الخضوع والانقياد فكذلك سجود هذه الكواكب وسجود الشمس والقمر وكذلك سجود يعقوب وبنيه وزوجه الذى هو تأويل رؤيا يوسف

هذا . وما يقال فى سجود يعقوب يقال فى سجود الملائكة ، فما زعمه هذا الرجل من أن هذا السجود كان سجود عبادة زعم لم يقم عليه من الدليل غير أنه يسمى سجوداً . ولكننا ذكرنا أن السجود فى كلام العرب قد يكون غير عبادة وقد يكون غير وضع الجبهة على الأرض

ثم يقال أيضاً ان فى هذا لرداً كافياً عليه لو تفطن ، ووجه هذا أنه مسلم بأن

السجود لغير الله اليوم كفر وخروج من الاسلام ، ولا أحسبه ينازع فى هذا وإن نازع فهو لن ينازع فى أنه ضلال وحرام لأنه قال « ان المسلمين مجمعون على أن السجود لايجوز لغير الله » وغير الجائز دائر بين أن يكون محرماً وأن يكون كفراً وشركا واذا كان ذلك كذلك قيل له إذن يجوز أن يكون الأمر الواحد فى بعض الأزمان لبعض المخلوقين جائزاً ولا ريب ، بل ويكون عبادة لله وطاعة ثم يكون فى أزمان أخرى لأشخاص آخرين حراماً معصية بل وشركا بالله وكفراً . واذا كان كذلك قيل له إذن لا مانع من أن يكون الخضوع والتذلل والدعاء والنداء لبعض الناس وبعض الخلق حراماً معصية بل كفراً بالله وشركا ، ثم يكون ذلك فى وقت آخر لأناس آخرين ومخلوق آخر فى حالات أخرى جائزاً لا بأس به بل طاعة مثاباً عليها . وإذا كان ذلك كذلك قيل له إذن لامانع من أن يكون دعاء الأموات والاستغاثة بهم والخضوع لهم حراماً ممنوعاً وشركا وإن كان ذلك جائزاً مشروعاً فى حق الأحياء وفى حق من هم قادرون على ما سئلوه . فاذا ما وصلنا الى هذه النتيجة ـ ولا بد أن نصل اليها ـ وسلمها ولا بد أن يسلمها ، قيل له هذا خلاف قولك لأنك تقول فى كتابك هذا فى مواضع كثيرة إذا كان هذا الأمر مثل الاستغاثة شركا وحراماً إذا ما طلب من الأموات فلا بد أن يكون شركا وحراماً إذا ما طلب من الأحياء ، وإذا كان جائزاً أن يطلب من الأحياء فلا بد أن يكون جائزاً من الأموات ولا يجوز غير ذلك . لأن الشيء الواحد إذا كان قبيحاً فى وقت وجب أن يكون قبيحا فى كل وقت وإذا كان حسنا فى وقت وجب أن يكون حسنا فى كل وقت ، و إذا كان شركا فى حالة وجب أن يكون شركا فى كل حالة ، واذا لم يكن شركا فى حالة وجب ألا يكون شركا فى حالة من الحالات . وهذه الحجة يكررها ويبديها ويعيدها فى كتابه . ولكن ما ذكرناه هنا ينسفها من أساسها نسفاً ويقوض دعائمها سواء أقال ان السجود اليوم لغير الله شرك أم قال انه حرام دون

الشرك ، فالحجة قائمة على الفرضين والتقديرين ، إلا أن يلجأ الى القول بجواز السجود لغير الله فى هذا العصر ، ولكنه يقول إن المسلمين مجمعون على أنه لايجوز السجود لغير الله ، ويقول كما سلف إن اجماع المسلمين حجة شرعية يجب احترامها . فهو حينئذ قائل أحد أمرين : قائل ان السجود لغير الله حرام فقط ، أو قائل انه شرك وكفر . فان قال بالأول وما أظنه يجرؤ على القول به - لأنه باطل بالاجماع - قيل له أليس الحرام قبيحاً فى أثناء كونه حراما ؟ فلا بد أن يكون جوابه نعم ، فيقال له حينئذ قد يكون الشيء الواحد فى وقت قبيحاً حراما وفى وقت آخر حسنا حلالا ، فلا مناص من الاعتراف بهذا ، وإن قال بالثاني أى إن قال بأن السجود لغير الله شرك وكفر فقدألقى السلاح وسلم بكل فمه ، فهو محجوج على الفروض كلها

وليعلم أن هذا خلاف أصول الشيعة الضاربين على أعقاب المعتزلة فى التقبيح والتحسين العقليين

وقوله « وعلم من هذا أن مطلق التعظيم والخضوع ليس قبيحاً ولا كفراً أو شركا » نقول فى جوابه إننا لم نقل ان مطلق ذلك شرك وكفر ولا قبيح ولا حرام

(سادسا)

قوله « وقد ورد إطلاق العبادة على دعاء الله بقوله تعالى « وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين » وقوله ﷺ « الدعاء مخ العبادة » نقول فى جوابه لاريب أن العبادة إذا ما ورد ذكرها فى القرآن أو فى السنة مطلقة كقوله « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » وقوله « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » وقوله « فاعبد الله مخلصاً له الدين » وقوله « عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً » وقوله « ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ... والى ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدو الله » وقوله « والى

مدين أخاهم شعيباً قال ياقوم اعبدوا الله » وقوله « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » ونظائر ذلك من آى الكتاب العزيز . فلا ريب أن العبادة إذا أطلقت كما أطلقت فى هذه الآيات تضمنت الدعاء وغيره من أنواع العبادة كالصلاة والصيام والحج والزكاة والنذور وسائر الأعمال والأقوال التى يزدلف بها المسلم الى الله ويلتمس بها رضاه ، ولا يمكن أن تكون هذه الآيات تخص معنى دون معنى من هذه المعانى ، فلا يمكن ألا يكون من ضمن العبادة المطلقة فى هذه الآيات الصلاة أو الصيام ، أو الاستغفار أو التضرع أو الخشية أو الدعاء ، كما لا يمكن ألا يكون من ضمنها النداء والمناجاة بل ذلك كله داخل فى معنى العبادة المطلوبة المأمور بها ، ولا يختلف المسلمون فى ذلك ، ولا يقول أحد منهم ان هذه العبادة المطلوبة فى القرآن ليس منها الدعاء والمناجاة ، بل علم الناس بأن هذه الأمور منها علم ضرورى لا يقبل الخلاف والنزاع ، ولا يختلف أن من دعا الله وأمعن فى دعائه وناداه وأكثر من ندائه فقد أطاع هذه الأوامر بعبادة الله بالجملة ، وأن من لم يدع الله تعالى وإن قام بجميع الفرائض وآمن به الايمان الصحيح البرىء فقد عصى هذه الأوامر بالجملة وترك نوعاً من أنواع العبادة ، وهذا أمر لا يسمو اليه خلاف

فالعبادة فى الشرع ـ أي فى القرآن والسنة وأقوال العلماء ـ هى عند الاطلاق كل ما يحبه الله من الأقوال والأفعال وما يقرب اليه تعالى كالمراقبة والخشية والخشوع والخضوع والخوف والرجاء ونظائر ذلك ، ولا يختلف الناس أن من دعا الله فقد قام بجزء من العبادة المأمور بها ، بل ولا يختلفون أن الدعاء من أفضل أجزاء العبادة كما جاء فى الحديث الذى ذكره الشيعى وهو قوله ﷺ « الدعاء مخ العبادة » وفى رواية « الدعاء هو العبادة » وذلك لشرفه وسمو منزلته حتى كأنه خلاصة العبادة وأطيبها ولا يختلف الناس أيضاً أن الدعاء والنداء كانا من أجزاء عبادة المشركين الأصنام وأنه اذا ما قيل « ويعبدون من دون الله مالايضرهم ولاينفعهم » أو قيل « والذين

اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى » أو قيل غير ذلك من الآيات والأخبار المصرحة بأن المشركين كانوا يعبدون الأصنام والأوثان من دون الله ، تناول دعوتهم الأصنام بلا خلاف ، وقد ينص القرآن والسنة نصاً جلياً على أن الدعاء عبادة ، وحينئذ ينحسم النزاع ، وذلك كقوله تعالى « وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين » فان هذه الآية نص جلى على أن الدعاء عبادة وعلى أنه من أفضل أجزائها وأشرفها وكذلك الحديث القائل (الدعاء مخ العبادة) والقائل فى الرواية الأخرى (الدعاء هو العبادة)

وأما قول هذا الشيعى « انه لا يراد بالدعاء هنا النداء وأن المراد نداء الله وسؤاله والقيام بغاية الخضوع والتذلل وإنزال الحاجات به على أنه الفاعل المختار والمالك الحقيقى لكل الأمور المتصرف فيها . فمن دعا مخلوقا كذلك فقد عبده ، أما من دعاه ليشفع له فلا يكون عابداً له ولا فاعلا مالا يحل » فنقول فى جوابه : لا شك فى بطلان هذا وخروجه عن السبيل الصحيح ، فان هذا الذى زعمه ليس من معانى الدعاء يقيناً ، فان العبد يدعو الله بضراعة وخشية فازعاً اليه فيكون عابداً له ويكون دعاؤه إياه عبادة وهو غافل عن هذه المعانى التى ذكرها الشيعى ، نعم لاخلاف أن بعض هذه الأمور التى ذكرها عبادة ولكنها عبادة مستقلة غير الدعاء وبعض هذه الأمور التى ذكر ليست عبادة مطلقا ، وذلك كالايمان بأنه تعالى الفاعل المختار والمالك الحقيقى والمتصرف فى كل شيء ، فان هذه الأمور ليست عبادة وليست من أجزاء العبادة ، ومن آمن بها لايقال له انه عبد الله أو عابد له ، ونحن نعلم أن الشيطان مؤمن بذلك إيماناً لا شك فيه ، ولا يجرؤ مسلم أن يدعى أن الشيطان يعبد الله بهذا الايمان ويؤدي اليه عبادة ، وكذلك كثيرون من الكفار والضلال يعلمون هذه الأمور لله ويؤمنون بها له تعالى ولكن لايقال انهم يعبدون

الله إلا اذا عملوا له تعالى أعمالا صالحة

فهذه الأمور ليست عبادة ولا ريب ، ولكن لا بد من الايمان بها والاعتراف لله بجملتها ومن لم يؤمن بها لم يكن مؤمنا وإن عبد الله أنواع العبادة ، فالعبادة بدون ذلك لا تقبل فهى شرط فى قبول الأعمال وإن كان الايمان بها ملازماً العمل ، ولا يمكن أن يعمل لله إلا من آمن له بذلك ، ولكن هذا كالاعتراف مثلا بوجوده تعالى ، فليس يمكن أن يعمل أحد لله عملا خالصاً لوجهه إلا اذا آمن بوجوده ، ولكن هل يقول أحد من الناس ان الايمان بوجوده عبادة له أو يقول انه من أجزاء العبادة ؟ كلا . فانهذا شيء وذلك شيء آخر ، فهما أمران متباينان فقول الشيعى ان العبادة عبارة عن مجموع هذه الأشياء قول لا يوافقه عليه أحد من أهل العلم والعرفان ، ولن يجد له شاهداً من كلام العرب أو من رواية أئمة اللغة ونقلتها . ثم يقال ان ما قاله هنا يدل على أن من دعا مخلوقا مؤمناً بهذه الأمور كلها أى مؤمناً له بأنه الفعال المختار والمالك الحقيقى لأمور الدنيا والآخرة والمتصرف فيها كما يشاء ثم قام له بغاية الخضوع والتذلل وأنزل حاجات الدنيا والآخرة به . فمن دعا مخلوقا على هذا النحو كان عابداً له حسب قوله ، وأما من دعاه على نحو أقل من هذا النحو وأضأل فليس عابداً له حسب ظاهر قوله ، فمن دعا مخلوقا بغاية الذلة والخضوع والخشية والهيبة وسأله حاجات الدنيا والآخرة واعتقد بأنه قادر على إعطائه ومنعه وعلى ضره ونفعه واعتقد أنه فاعل مالك ومتصرف إلا أن ذلك الملك والتصرف والفعل أمور محدودة ليست مطلقة ، فليس بعابد له وليس مشركا بالله بل لا يكون عابداً له حسب قول هذا المصنف حتى يجعله فى المنزلة التى يجعل المسلمون الله بها من العظمة والقوة وسعة السلطان واتساع الملك وإطلاق القدرة ، أما من دعا مخلوقا ، وقام له بغاية الذلة والخضوع والضراعة والطاعة والهيبة والخشية معتقداً بأنه فاعل وقادر ومالك ومتصرف إلا أن ذلك كله محدود بحدود العبودية

وحدود الألوهية فليس بكافر ولا مشرك ، وهذا الزعم فى غاية الفظاعة والغرابة وفي غاية الخروج على الاسلام والاساءة الى الله والى الدين ، ولو كان هذا القول حقاً لما كان عباد الأصنام والأوثان ولا عباد الأشجار والأحجار مشركين ولا كافرين ، فان هؤلاء القوم ما كانوا يعتقدون أن آلهتهم هى الفاعلة المتصرفة المختارة بلا حد ، بل هؤلاء المشركون يعلمون بأن الله من وراء هذه الأصنام والأوثان ويعلمون بأنه المالك لها المتصرف فيها نفسها كما يشاء ، وأنها لا أمر لها ولا سلطان معه تعالى ، وأنه غالب عليها وعلى أمرها وأمر عبدتها ، فهم يعلمون ذلك كله ، وقد اتخذوها لتقربهم الى الله زلفى ولتشفع لهم عنده تعالى ، وما كانوا يسوونها بالله التسوية التامة أو يرونها الله عز سلطانه وشأنه ، وهذه أمور لا يختلف فيها العلماء من المفسرين والمؤرخين ونقلة الأخبار وجهابذة الفقه والحديث ، ولايختلف هؤلاء أن شرك المشركين لم يكن بجمع هذه الأمور كلها للأصنام والأوثان

فما قاله هذا الشيعى لن يوافقه عليه أحد لا من المسلمين ولا من غير المسلمين العقلاء . . .

أما الكلام على الشفاعة وطلبها من الأموات فنرجىء القول فيه الى المواضع الخاصة به

(سابعا)

قوله « فظهر أنه ليس كل ما يطلق عليه اسم العبادة موجباً الشرك والكفر اذا وقع لغير الله بل ولا محرما ، الا أن ينص الشارع على تحريمه كالسجود للشمس والقمر المنهى عنه فى القرآن والسجود لغير الله المتفق على تحريمه » الى قوله مايسمى عبادة وخضوعا ـ قول فاسد أيضاً باتفاق كلمة المسلمين وبنص الكتاب والسنة . فان القرآن قد نص فى غير ما آية على أن العبادة كلها حق الله وحده وقد نهى فى غير

ما آية عن عبادة غيره تعالى فقال تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً » وقال « أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » وقال : « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله » وقال « فاعبد الله مخلصاً له الدين » وقال « بل الله فاعبد » إلى غير ذلك من آيات الكتاب الحكيم . وهذه نصوص تحرم بصراحة عبادة غير الله على أية حال كانت العبادة ، وتنادى أن العبادة لله وحده لا شريك له وأنها حق الله المفرد . وقد اتفق على ذلك المسلمون قاطبة ، فانهم لا يختلفون فى أن كل عبادة لغير الله شرك وخروج من دائرة الاسلام . لا يخصون بهذا القول نوعا دون نوع ولا عبادة دون عبادة . وما أجازوه لغير الله من التعظيم وما يدخل فى هذا لا يسمونه عبادة ولا يجوزون أن يسمى عبادة بل لو علموا أنه عبادة لعلموا أنه لا يجوز إلا لله وحده ، وعلموا أن صرفه لغيره تعالى خروج من الاسلام وذلك لاتفاقهم ولعلمهم الضرورى أن عابد المخلوق مشرك بالله . ولعلمهم بأن الأديان جميعاً جاءت بافراد الله بالعبادة وتخصيصه بها لا يخرجون من ذلك قسما دون قسم ولا جزءاً دون جزء . ولن يجد المنقب فى كلام المسلمين أن عالما من علمائهم قال بجواز بعض أنواع العبادة لمخلوق كما يدعى هذا المخلوق ، ولا قال أحد منهم إن العبادة أنواع بعض أنواعها لله وحده وبعضها مشاع بين الله وبين عباده وبعضها من حق عباده وحدهم كما يدعى هذا المخلوق . ونحن نطالب هذا الشيعى أن يدلى بكلمة واحدة عن واحد من علماء المسلمين أنه قال بجواز صرف بعض أنواع العبادة أو صرف شىء مما يسمى عبادة لعبد من عباد الله . ولن يظفر بشىء من ذلك

ولعل أعجب الأمور أن يدعى بأن العبادة ليست لله وحده ، وأن المخلوقين تجوز عبادتهم . وكم لطائفة الشيعة من أحداث ورزايا فى الاسلام وعلى أهل الاسلام ، ودعواه هنا بأنه لا يحكم بأن شيئاً مما يسمى عبادة شرك إذا جعل لغير

الله بل ولا حرام حتى يخصه الشرع بالتحريم يقضى بأن تكون الصلاة للمخلوق جائزة . وكذا الصيام والحج والنذور والركوع وغير ذلك . ويقضي بأن من صلى وركع وصام وحج ونذر وذبح وحلق رأسه ونسك لرسول أو ولى أوصنم أو وثن لا يكون مشركا ولا فاعلا حراما . وذلك لأننا لا نعلم دليلا خاصاً فيه مقنع لهذا الشيعى يدل نصاً على تحريم هذه الأمور لغير الله فضلا عن أن نجد دليلا ينص على أن جعلها لمخلوق يكون شركا وكفراً . فلا ريب أن من لم يقل بأن العبادة لله وحده لا شريك له يلزمه لزوماً لا انفكاك له منه أن يقول إن المصلى والصائم والحاج والناسك لغير الله غير مشرك وغير آثم ، وقول يلزمه أن يبيح الصلاة والصيام والحج والنسك لغير الله ، قول يرغب العاقل المسلم بنفسه عنه بل هو قول يستوجب لصاحبه الرثاء والعطف

وقوله « إلا أن ينص الشارع على تحريمه كالسجود للشمس والقمر المنهى عنه فى القرآن » دليل على أن القرآن عنده لا يدل وحده على تحريم السجود لغير الشمس والقمر من الأوثان والأصنام ومن الأنبياء والأولياء . فلا يدل القرآن عند الشيعى على أن السجود والركوع للانبياء والأولياء والأحجار والأشجار والأصنام والأوثان شرك ولا حرام . ولزعمه أن القرآن لا يدل على تحريم هذا يلجأ فى تحريمه إن كان صادقا بزعم تحريمه لغير الله الى الاجماع لا الى القرآن والسنة ، واذا لم يكن القرآن دالا على تحريم السجود للاصنام والأوثان والأحجار والأشجار وجميع العباد فعلام إذن يدل ؟ أيكون القرآن دالا على كل شىء ولكل شىء حتى على الضلالات كلها وعلى الخرافات والأمور المكفرة كما زعم هذا المصنف فى ما قدمنا ثم لايكون دالا على تحريم السجود للانبياء والأولياء والأصنام والأوثان ؟ الله أكبر على هؤلاء المعرضين عن الله وعن دينه ورسله وعما جاءوا به من العلم والهدى

وليعلم هذا أن أناساً ممن ينتسبون الى الملة يبيحون السجود لغير الله بل ويسجدون هم لأشياخهم ومن يعظمونهم ، وقد أثبت التاريخ الجد أن خلفاء الفاطميين وكانوا من المظهرين التشيع يلزمون الناس السجود لهم ، وكانوا أحيانًا يقضون بالموت الناجز على من لم يسجد لهم عند ظهورهم ، وهؤلاء الفاطميون عند هـذا الشيعى من أفضل المسلمين ، فالمسلمون على زعمه لم يتفقوا على تحريم السجود لغير الله ، ونعنى بالمسلمين المنتمين الى الاسلام ، فعلام يعتمد فى تحريم السجود لغير الله وبأية حجة يقول ذلك وهو لا يرى فى القرآن دليلا واحداً على أن ذلك حرام ؟؟

على أن الشيعة فى الواقع لا يعتدون بالاجماع ولا يحتجون به ، وانما الحجة عندهم فى قول المعصوم المختفى ، ونحن نعلم يقينًا أنه لا معصوم حسب ما تزعم الشيعة فلا حجة فى الاجماع ، فلا دليل إذن على تحريم السجود لغير الله ، وهو حينما ذكر فيما مضى أن الاجماع حجة وأراد أن يذكر دليله لم يذكر له من الدلائل إلا حديثًا واحداً واهيًا ضعيفًا فأنى يكون الاجماع حجة بمثل ذلك الحديث الضعيف ؟!

وليعلم إن كان يعتمد على الاجماع حقا أن طلب الأموات مالا يقدر عليه إلا الله كسؤالهم الشفاء وهداية القلوب وغفران الذنوب أمر مجمع على تحريمه ومجمع على أن فاعله لانصيب له فى الاسلام . ودليل الاجماع على تحريم السجود لغير الله عنده هو دليل الاجماع على تحريم طلب الأموات هذه المطالب العاليـة عندنا . فاما تحريمها معا وإما إحلالها معاً . والتفريق بينهما تحليلا وتحريما باطل لاوجه له . فليعلم هذا

وقوله « إذا فرض ورود النهى عن عبادة غير الله فما علم أنه من المنهى عنه حرم وما لم يعلم لم يلحقه الحكم » قول غريب . فما معنى الافتراض هنا ؟ أفلم يبلغه قوله تعالى « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا اياه » وقوله « أمر ألا تعبدوا إلا إياه »

وقوله « تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله » الى غير ذلك

وأما التكفير (١) والانحناء اللذان يصنعهما الاعجام للتعظيم والاكبار فلا يحل عملهما لغير الله . فان التكفير هيئة من هيئات الصلاة وجزء من أجزائها والصلاة كلها وأجزاؤها كلها لله وحده . ليس لغير الله منها قليل ولا كثير . والصلاة كلها عبادة لله والعبادة جميعها لله لا شريك له . ولو جاز التكفير وهو أحد أجزاء الصلاة لغير الله لجازت الصلاة كلها لغير الله ، ولو جاز هذا الجزء من الصلاة لمخلوق لجازت الأجزاء الأخرى كالسجود والركوع والقيام والقعود والجلوس كهيئة المتشهد وعامة أجزاء الصلاة ، ولو جازت أجزاء الصلاة كلها لغير الله لجازت الصلاة كلها بالصفة التي تكون لله . ومن صلى لغير الله كفر باجماع المسلمين وإجماع العاقلين من غير المسلمين . ومثل هذا يقال في الانحناء فانه عند الأعاجم ركوع ، والركوع من أجزاء الصلاة أيضا . وما قيل في التكفير يقال في الانحناء فهما سواء ، ومن الجهل الفظيع بدين الله القول بجواز الركوع والتكفير لغير الله . ولقد كان عليه السلام يكره القيام له ويكره من أصحابه أن يقوموا عند مجيئه . فكانوا لعلمهم كراهته ذلك لايقومون له . بل لقد أنكر على الذين صلوا خلفه قياماً وقال « إن كدتم أن تفعلوا اليوم فعل فارس والروم . فلا تفعلوا » وقد روى ذلك مسلم في صحيحه كما قدمنا . وقد نهى أن يوطأ عقب الرجل أي أن يسير الناس خلفه تعظيما وإكباراً رواه عنه عليه السلام ابن ماجه ، فاذا كان ينهى عليه السلام عن ذلك ويكرهه أفما يكون من الجهل الشنيع القول بجواز الركوع والتكفير للمخلوق والاسلام جاء بل الأديان كلها باخلاص الدين وإسلام الوجوه والقلوب لله رب العالمين والنأى الشديد البعيد عن غير الله وعن كل مافيه رائحة العبادة أو صورتها أو محاكاتها . وكم في قوله تعالى « وقوموا لله قانتين » وقوله « قل إن صلاتي ونسكي ومحياي

(١) التكفير . هو الوقوف مع وضع الكف الأيمن على الأيسر هيئة المصلي

ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك امرت وأنا أول المسلمين » وقوله « فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص » وقوله « فلا تخشوا الناس واخشون » ونظائر ذلك من الحث على أن يكون العبد خالصا لله قلبه وقالبه ، وروحه ووجهه وظاهره وباطنه وكل شئ فيه ومنه ، وكم في هذه الآيات الصريحة البينة من الحض على أن يكون المرء عبد الله وحده ، وأن يوحده وحده كما خلقه هو وحده ، وألا يكون لغيره تعالى حظ فيه ولا فى عبادته ولا فى أعماله وأقواله ، كما لم يكن لغير الله تعالى حظ فى خلقه وايجاده وهبته كل ما يتمتع به من معنويات وماديات وأن يكون اختياره كله لله تعالى كما كان اضطراره كله لله

وأما رفع اليد وكشف الرأس عند الافرنج فهذان العملان ليسا من الاعمال الخاصة بالعبادة فلا يحرمان من هذه الناحية ، وإن حرما فمن ناحية التشبه بالأعداء فان التشبه بالأعداء منهى عنه شرعا ، وذلك لأن فيه انسلاخا من القومية وركونا ولو صوريا الى الأعداء الذين لا يريدون بنا الا الهلاك وما هو شر من الهلاك ، وفى الركون اليهم ولو صوريا اعلاء لشأنهم واعزاز معنوي يتلوه اعزاز حسى لهم واعزازهم هم يلزمه ولا ريب الاضعاف لنا والتهوين لشأننا معنويا وماديا ، والامة لن يقوم لها شأن ما دامت تهون من شأنها وتحتقر نفسها ولو فى الامور العادية الصورية ، وأن أمة تزهد فى مقوماتها وشخصيتها وترغب فى محاكاة غيرها ومحاكاة أعدائها وفى مقوماتهم وعاداتهم لا ينتظر لها إلا الانحدار والهوىّ الابدى فى أعماق الضعة والدرجات السفلى ، فمن يعتبر من الناس المفتونين المخدوعين بأعدائهم وبتقليدهم

(ثامنا)

قوله « ان الذى علم من المكفرات ثلاثة أمور الأول اعتقاد المساواة لله فى

جميع الصفات واعتقاد شيء من الاشياء هو الله أو اعتقاد حلول ذات الله في ذات مخلوق ، ثانيها إنكار الشرائع وا كذاب الرسل ، ثالثها عبادة الاوثان من السجود والنحر والذبح لها وذكر أسمائها على الذبائح وطليها بدمائها وتعظيمها باعتقاد استحقاقها ذلك استقلالا واعتقاد أن لها تدبيراً واختياراً » قول باطل لا يوافقه عليه أحد من أهل الملل ، فان المكفرات سوى ما ذكر كثيرة جداً ولا ينازع فيما نقوله أحد من أهل البصر بالأديان والمعقولات

أما المكفر الأول عنده وهو الاعتقاد أن شيئا مساوٍ لله في جميع الصفات أو الاعتقاد أنه هو الله أو أن الله حال فيه ، فما يقول في من اعتقد بأن مخلوقا مساوٍ لله في بعض الصفات لا في جميعها ، كأن يعتقد بأن مخلوقاً مساوٍ لله في صفة العلم فقط ، أو صفة القدرة فقط ، أو صفة الارادة فقط ، أو في القدم أو في البقاء ، أو في الكمال والبراءة من النقص ، أو في صفة السمع والاحاطة ، أو في صفة من صفاته تعالى ؟ أفلا يكون ذلك المعتقد كافراً خارجاً من الملة باعتقاد جميع أهل الملة بل باعتقاد أهل الملل جميعاً ؟ ولكن كلام هذا الشيعي نص صريح في أن المعتقد لا يكفر حتى يعتقد أن مخلوقاً مساوٍ لله في جميع الصفات لا في بعضها ، ولا ريب أن هذا باطل

وأما المكفر الثاني عنده ، وهو إنكار الشرائع وإكذاب الرسل ، فما يقول في من أنكر بعض الشرائع وأكذب بعض الرسل لا كل الشرائع ولا كل الرسل؟ أفلا يكون ذلك لديه من الكافرين الهالكين ؟ وما يقول في من أنكر بعض شريعة من الشرائع ، مثل أن ينكر أمراً واحداً من أمور الشريعة الاسلامية الثابتة في القرآن صراحة كالصلاة والحج والزكاة ونحو ذلك ؟ أفلا يكون ذلك لديه من الهالكين المبعدين وإن آمن بعد ذلك بسائر الشرائع وبالشريعة الاسلامية كلها ما خلا تلك المسألة المفروضة بل وإن أدى جميع الفروض على أتم الوجوه وأصحها ؟

ان قوله هنا نص جلي فى أن ذلك لا يكفر ما لم ينكر جميع الشرائع ويكذب جميع الرسل ، وهذا باطل بالضرورة

وأما المكفر الثالث عنده وهو السجود والنحر والذبح والتعظيم للأوثان باعتقاد استحقاقها ذلك لرفعتها الذاتية وباعتقاد أن لها اختياراً وتدبيراً ، فما يقول فى من سجد ونحر وذبح وعظم الأوثان على نحو غير الذى ذكره هو ؛ مثل أن يفعل ذلك لها على اعتقاد أن الله أمر بذلك وطلبه من عباده فهو يرضيه ويريده منهم لا على اعتقاد أن لها تدبيراً واختياراً ورفعة ذاتية مستقلة ؟ أفيقول ان من يسجد الأوثان ويذبح وينحر ويعظم بل ويصلي ويحج ويصوم ويعمل الأعمال الأخرى لا يمسه الكفر حتى يعتقد أن لها تدبيراً واختياراً ورفعة ذاتية وحتى يعتقد أنها تستحق ذلك بالاستقلال لا بالشرك مع الله ولا بفرض الله ذلك لها ؟ ان كلام هذا الشيعي نص فى أن ذلك ليس كفراً ، ولكنه على الرغم مما زعم باطل بالضرورة وبالاجماع وبالنص ، ولا يختلف المسلمون فى أن من سجد لوثن أو ركع له أو عظمه أو ذبح ونذر له أو ذكر اسمه على ذبيحته فقد ارتد سواء اعتقد أن لذلك الوثن تدبيراً واختياراً أم اعتقد أنه صنم من الأصنام لا يقدم ولا يؤخر ولا يريش ولا يبرى . ولا يختلف المسلمون أن المشركين الذين أبوا الاسلام والايمان برسول الله ﷺ أو جمهورهم ما كانوا يعتقدون هذه الأمور جميعها لأصنامهم وأوثانهم ، ولا يختلفون أيضاً أنهم أو أكثرهم كانوا بالجملة يعلمون أن الله خالق أصنامهم وما يعبدون ، وأنهم ما كانوا يعبدونهم إلا لأجل أن يقربوهم الى الله خالقهم وربهم الأعلى ، والقرآن ناص على ذلك فى آيات كثيرة معلومة

على أن كلامه هنا باطل ضعيف على جميع الافتراضات والحالات ، وذلك أن الذى يعتقد هذه الأمور التى ساقها هنا لصنم أو وثن ثم يذبح ويسجد وينحر ويعظم لذلك الوثن أو الصنم ويكون ذلك المعتقد الذابح الناذر الساجد كافراً عند

هذا الشيعى فكفره إما أن يكون لأجل اعتقاده أن هـذا الوثن تدبيراً واختياراً واستحقاقا ورفعة ذاتية ، وإما لأجل سجوده له وذبحه ونذره وتعظيمه وذكر اسمه على الذبيح ، وإما أن يكون لأجل الأمرين معاً . فان كان كفره عنـد الشيعى لأجل هذا الاعتقاد لم تكن هنالك فائدة فى اشتراطه الكفر بهذه الأعمال من السجود والنذر والنحر بل يكون حينئذ هـذا الاشتراط لاغياً باطلا مفسداً للمعنى الذى عناه ، وكان الواجب الصحيح أن يقول حينئـذ ان من اعتقد التدبير والاختيار للأوثان واعتقد استحقاقها ذلك استقلالا كفر على جميع الفروض سواء أعمـل لها شيئاً أم لم يعمل شيئاً ، وسواء أسجد لها أم لم يسجد ، ولا ريب أن من اعتقد هذه العقيدة فى وثن من الأوثان فقد كفر بلا قيد ولا شرط

وأما إن كان كفره عنده لأجل عمله هذه الأعمال من السجود والنذر والذبح والتعظيم للأوثان لم تكن هنالك فائدة فى تقييـد ذلك بالاعتقاد المذكور ، بل لم يكن من الصحيح الحق تقييـده به ولا بغيره ، وكان الصحيح الواجب أن يقول ومن سجد للأوثان وعظمها ونذر لها وذبح وذكر أسماءها على الذبيح كفر سواء اعتقد غير ذلك فيها أم لم يعتقد ، أما تقييد هذا بالاعتقادات التى ساقها فانه يفسد عليه المعنى الذي أراده بكلامه ، واذا ما افترضنـا أن هذا هو ما يريد بقوله هذا قيل له إذن قد أقررت أن السجود للأوثان والتعظيم والنذر والذبح وذكر أسمائها على النحائر كفر وخروج من الاسلام على كل الوجوه سواء اعتقد الفاعل غير هذه الأعمال للصنم أم لم يعتقد شيئاً ، واذا كان ذلك كذلك ، واذا أقر بأن الأعمال للأوثان كفر قيل اه ما تقول فى من عمل هذه الأعمال لرسول أو ولى أو عبد من عباد الله الصالحين الأموات أتقول انه كفر كما قلت فى من عملها للأوثان أم لا تقول ذلك ؟ فان قلت بالكفر أو فان قال بالكفر قيل له اذن أقررت بالحقيقة ، وهى أن تعظيم الأموات والنـذر والذبح لهم والعكوف على قبورهم شرك بالله وردة عن

الاسلام ، وهذا أكبر مواطن الخلاف بين الشيعي وبين من كتب محاولا الرد عليهم ، وأما ان قال بالسلب ، أى ان قال ان عمل هذه الأمور للأنبياء والأولياء والصالحين الأموات ليس كفراً وليس مخالفاً للدين بل هو طاعة وقرب الى الله ، قيل له اذا كانت هذه الأعمال للأوثان عبادة لها وشركا بالله العظيم فكيف لاتكون كذلك اذا عملت للأنبياء والأولياء ؟ أو ليس الشرك شركا سواء أكان لملك مقرب و نبي مرسل أم لحجر وشجر؟ وهل عبادة غير الله تجوز للأولياء والأنبياء ولا تجوز للأحجار والأشجار ، وهل يتفق هذا مع سائر أقوال الشيعي فى كتابه ومع قوله فى الأمر الخامس عشر ان الأحكام على الاشياء لا تتغير الموضوعات ؟ واذا كان ذلك كذلك كان جائزا حينئذ أن يكون الأمر الواحد تارة شركا وتارة ايمانا باختلاف محله وزمنه لا باختلاف ماهيته ومادته وكان جائزاً أن تكون الصلاة للرسول والولى ايمانا بالله ولغيرهما ممن ليس رسولا ولا وليا كفراً بالله وأن يكون دعاء الرسول الكريم والاستغاثة به والضراعة اليه ، وتقديم النذور والقرابين الى قبره ايمانا وطاعة لله ، وأن تكون هذه الاشياء نفسها لو كانت لمن هو دون الرسول منزلة وقدراً كفراً وشركا بالله ، وأن يكون الحج الى بيت معلوم كبيت الله الحرام طاعة وقربا الى الله ، وأن يكون الى غيره كالقبور والمشاهد معصية وخروجا من حدود الدين ودائرة الاسلام ، بل وأن يكون الطواف ببعض الاماكن ايماناً واسلاماً كالطواف ببيت الله وبين الصفا والمروة وأن يكون الطواف بالاماكن الاخرى كفراً كالطواف بالاضرحة والمشاهد والقبور ، وأن يكون الحلف بمخلوق ايمانا ودينا وبمخلوق آخر كفراً فيكون مثلا الحلف بالرسول من الاسلام والتقى وبغيره كالحلف بأبى بكر وعلى والحسن والحسين وبالكعبة وبالمساجد كفراً بالله ونظائر ذلك . وهذا كله خلاف رأى هذا الرجل وخلاف ما كتب فى كتابه فما هو فاعل ؟

ويقال بأسلوب آخر أقرب إلى اصابة الغرض : إذن يجوز أن يكون دعاء الأموات والاستغاثة بهم وشد الرحال اليهم وتعظيمهم دينا وتقوى، واموراً جائزة وأن يكون دعاء الأموات والاستغاثة بهم وتعظيمهم وشد الرحال الى قبورهم والانقطاع اليهم كفرا وردة . وهذا ماياباه هذا المؤلف وينكره

وقد كانت حجة هـذا الرجل المرددة قوله : « لو كان دعاء الأموات والاستغاثة بهم شركا وحراماً لكان دعاء الأحياء والاستغاثة بهم كذلك ، واذا كان دعاء الأحياء لا شرك فيه ولا مانع فكذلك دعاء الأموات . فاذا كان ذلك فى احدى الطائفتين شركا وحراماً كان كذلك في الطائفة الأخرى . وليس بممكن أن يكون فى حالة شركا وفى حالة إيماناً . وهذا باطل » هذا معنى كلامه

وهذه الحجة إن كانت صحيحة كانت حجة ضـده هنا ، وان كانت باطلة فاسدة بطلت هـذه الحجة التى بها يصول ويجول ويدعى أنه اذ ظفر بها قد ظفر بالحقيقة الخالدة

هذا على الافتراضين . وأما على الافتراض الثالث وهو أن يكون الكفر عنده بمجموع الأمرين المذكورين أي باعتقاد التدبير والاختيار والاستحقاق والرفعة الذاتية للاوثان ، ثم بالسجود والنذر والذبح والتعظيم لها ، فيقال على هـذا الافتراض انه باطل ولا شك فى بطلانه كما قدمنا فان أحد الامرين كفر بالاجماع ولا يتنازع المسلمون أن من اعتقد هذه العقيدة فى الأوثان فقد ارتد وان لم يعمل لها عملا . وأن من عمل لها هذه الأعمال فقد ارتدّ وان لم يعتقد فيها هذه العقيدة المذكورة ، ولا أحسب الرافضى ينازع فى هـذا . فهذا الافتراض باطل أيضاً فماذا يصنع ؟

ثم نقول بعد هذا فى المكفر الأول وهو الاعتقاد أن مخلوقا ما مساو لله فى اننا نستبعد جداً أن يوجد مخلوق عاقل يؤمن بالله يزعم أن مخلوقاً ما مساوٍ لله

فى جميع صفاته نفيًا واثباتًا ويزعم أن ما يجوز على الله يجوز على ذلك المخلوق وما يجب له يجب له وما يستحيل عليه يستحيل عليه . فهذه العقيدة نرى من البعيد القريب من المحال أن يتقلدها انسان يؤمن بالله

ومثل هذا مايذكره بعض الناس أن من الفرق الاسلامية فرقة تزعم أن صفات الله كصفات المخلوقين . فتزعم أن لله يداً كأيدينا وسمعا كأسماعنا وبصراً كابصارنا وهلم جرا . فهذا القول وإن كتب وشهر فهو على ظاهره وحقيقته باطل كذب عندى لا أظن إنسانا يدعى الاسلام والايمان يقوله ويعتقده . وهذا والله اعلم قد دخل على الناس من طريق الاشتباه والاشتراك . فان قوما يبالغون فى اثبات ماجاء فى النصوص من صفات الله ويحافظون على هذا الاثبات ويبالغون فى المحافظة لا يرضون التأويل والتفسير بغير الظاهر المفهوم من النصوص فيثبتون لله تعالى الصفات الواردة فى النصوص حقيقة بلا تأويل . فيحسب المخالفون لهم المؤولون الظانون أن هذه الصفات تقتضى التجسيم والتشبيه ان ذلك الاثبات عين التشبيه وأنه لا يمكن اثبات اليد لله إلا اذا كانت جارحة مركبة من الدم والعظام والأعصاب كأيدى المخلوقين . فيروح هؤلاء يزعمون أن المثبتين يشبهون الله بخالقه حقيقة . وأنهم يقولون ان صفات العباد كصفات الاله . وهذا غلط عظيم ووهم أظن طريقه ماذكرنا

نعم هنالك قوم قالوا بالحلول حلول الاله فى ذوات الخلق كقول النصارى فى الله وعيسى ، وكقول طوائف من الشيعة ـ حدثائهم وقدمائهم ـ ان الله حل فى ذات على وذوات ذريته . وقد كان من الخلفاء الفاطميين وهم من المتشيعين من يذهب هذا المذهب ويجاهر به ، ويدعى حلول ذات الله فى ذواتهم ، وكان الحاكم منهم ينزع هذا المنزع ويدعو اليه تصريحًا وتعريضًا ، حتى وجد من اعتقد فيه هذه العقيدة ، ويوجد اليوم من ينحله هـذه الصفة ، وكان أقوام كثيرون غير هؤلاء

وهؤلاء يدينون عقيـدة الحلول حلول الله فى ذوات ما يعبدون ويعظمون ، وهذا مشهور عن طوائف من المدعين الاسلام الممزوج بالفلسفة البوذية الطاغية العابثة ، ولكن هؤلاء المصابين بداء الحلول والانحلال تنحصر دعواهم فى أن ذات الله العظيم حلت فى هذا الجسم المرئى المشهود لأمر من الأمور وغرض من الأغراض ولكنهم على رغم هذا لايقولون ان الذات الالهية الحالة فى الجسم الانسانى الناسوتى مثل هذا الجسم الذى حلت فيه الذات المقدسة . انهم لايقولون هـذا القول ، وهم انما قالوا بالحلول لأجل أن يعظموا من شأن من زعموا أن الحلول وقع فى ذاته . فالنصارى مثلا يقولون ان المسيح هو الله أو ابن الله ، وهم يريدون بهـذا القول معنى قولهم حل اللاهوت فى الناسوت ، وهم يقصدون إعظام أمر عيسى عليه السلام والرافضة الذين يزعمون أن الله حل فى علي وولده والذين يزعمون أنه حـل فى الحاكم وغيره من الخلفاء ، إنما يريدون بذلك إعظام ذلك الشخص الذي افترض فيه الحلول ، ولكنهم لا يدعون أن الله مساوٍ لغيره سواء اعتقـدوا حلوله أم لم يعتقدوا . فليس هنالك فيما أحسب من المؤمنين بالله من يزعم أن مخلوقا مساو لله فى جميع الصفات نفياً وإثباتاً

وهذا الحلول الذى جعله الشيعى أول الكفرات أول من زقا به فى الاسـلام فيما نعلم هم شيوخ الشيعة ومخترعو المذهب الشيعى ، وهـذا الرجل يسلم أن عبد الله ابن سبأ ـ أول واضع المذهب الشيعى ـ كان يدعى ذلك فى على رضي الله عنه ، وعبد الله بن سبأ اليهودي المدعى الاسـلام والتشيع هو أول من زقا بالنحلة الشيعية الغالية وهو المخترع الأول لهـذه الترهات الفاضحة فى المذهب الشيعى المسرف ، وخلفاء الفاطميين كانوا يدعون الى ذلك ، أى الى مذهب الحلول جهرة ويدعون حلول الله جل شأنه وتقدس فى ذواتهم ، والفاطميون من الشيعـة فى الظاهر ومن المؤمنين العلويين لدى هـذا الشيعى كما ذكرهم فى كتابه ، فالبناة الأول لمذهب

الشيعة لدى هذا الشيعي كفار مرقة من دين الاسلام حسب اعترافه

وبعد هذا يقال لاريب أن حصره المكفرات فى الأمور الثلاثة التى ذكرها هنا باطل لايصح باعترافه هو وباعتراف كل شيعى أيضاً ، أو لايذكر هو أنه فى الأمر الثانى عشر صفحة ١٠٢ كفّر بغير هذه الأمور الثلاثة ، فأكفر منكر الضرورى ، والخوارج ، والمجسمة ، وهم لم يقعوا فى أحد الأمور الثلاثة التى حصر المكفرات فيها

الامر الخامس عشر

قال الرافضى « لا شك أن الله فاوت بين مخلوقاته فى الفضل : ففى الأزمنة فضل شهر رمضان على سائر الشهور وجعل فيه ليلة القدر وجعلها خيراً من ألف شهر ، وفضل يوم الجمعة على سائر الأيام . وفى الأمكنة فضل الكعبة على سائر بقاع الأرض وتعبد الناس بالحج اليها والطواف حولها وفضل مكة والمساجد الأربعة والمسجد الحرام على غيرها . وفى الأحجار فضل الحجر الأسود على غيره وتعبد الناس باستلامه وتقبيله ، وفي الآبار فضل زمزم على غيرها . وفى الحيوانات فضل الخيل على غيرها وجعل بعض دم الغزال مسكا . وفى بنى آدم فضل الأنبياء على غيرهم وفضل محمداً ﷺ على سائر الأنبياء وفضل الشهداء على غيرهم والعلماء على الشهداء وعلى بعض الأنبياء ، بل الشيء الواحد له فضل فى حال دون حال . فالكنيف لافضل له وهو فى منتهى الخسة ، فاذا جعل مسجداً صار معظما عند الله وحرم تنجيسه ووجب تعظيمه ، وجلد الشاة يجعل نعلا فيكون فى منتهى الاهانة ويعمل جلداً للقرآن فيكون فى منتهى الاكرام والاعظام ، والرجل يكون كسائر الناس فيبعثه الله بالنبوة فتجب طاعة أمره ونهيه ، أو ينصبه النبى بعده خليفة أو المسلمون ، بناء على أن الامامة باختيار الأمة فيدخل فى قوله تعالى « وأطيعوا الله

وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ومن هذا القبيل البقعة من الأرض تكون كسائر البقاع فيدفن فيها نبى أو ولى فتكتسب شرفا وفضلا وبركة [1] لم تكن لها من قبل الدفن ويجب احترامها وتحرم اهانتها ، ومن احترامها قصدها لزيارة من فيها وبناء القباب فوقها والحجر حولها لتقى زائريها من الحر والبرد ، وعمل الأضرحة لها التى تصونها عن كل إهانة وإيقاد المصابيح عندها لانتفاع زائريها واللاجئين اليها ، وجعل الخدمة والسدنة لها ، وتقبيلها والتبرك بها ووضع الخلع عليها والمعلقات فوقها وغير ذلك ، ومن اهانتها هدمها وهدم ما فوقها من البناء وتسويتها بالأرض وجعلها معرضاً لوقوع القاذورات ووطء الدواب والكلاب والآدميين وبول الدواب والكلاب وغير ذلك . وما ورد مما يوهم المنافاة لذلك مما سيأتى فى محله على فرض صحته مخصوص بغيرها أو منصرف بحكم التبادر الى غيرها لما علم من الشرع من لزوم تعظيم أصحابها أحياء وأمواتا وهذا من تعظيمهم وحرمة اهانتهم أحياء وأمواتا وهذامنها ، وهل يشك فى هذا عاقل وهو يرى أن الله جعل احتراماً لصخرة صماء بسبب وقوف ابراهيم الخليل عليها فقال « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » أفيجعل الله لمقام رجل خليله احتراماً ولا يجعل احتراماً لمدفن جسده أو جسد سيد الأنبياء ، وإذا كان له هذا الاحترام فلماذا حرم تقبيله والطواف والتبرك به والصلاة عنده ودعاء الله ، كما يصلى عند مقام ابراهيم ويدعى ؟ فان كان لتوهم أنه عبادة له كعبادة الأصنام فهو توهم فاسد ؛ لأن احترام من جعل الله له حرمة احترام لله وعمل بأمر الله وعبادة وإطاعة لله ، فهو كتقبيل الحجر الأسود وتعظيم الكعبة والحرم والمقام والمساجد والتبرك بماء زمزم وسجود الملائكة لآدم وإن كان لزعم ورود النهى فستعرف أنه لا نهى » انتهى كلام الشيعى . قلت والكلام فى هذا من وجوه :

---

(١) ومن هنا يبتدىء بيت القصيد

(أولا)

التفضيل لبعض المخلوقات على بعض قسمان : قسم منه يرجع لمزايا وجدت فى المفضل دون المفضل عليه . وذلك كتفضيل الخيل على غيرها من العجماوات كالحمير والبغال والأغنام . وكتفضيل الشهداء على غيرهم ممن قعدت بهم أنفسهم عن الجهاد وعن الموت قصفًا بالسيوف وطعنًا بالرماح . وكتفضيل العلماء على الجهلاء ، وتفضيل الأنبياء على من ليسوا أنبياء . وتفضيل الاولياء الاتقياء على الفسقة والعصاة المذنبين ونظائر هذا . فهذا القسم فضل على غيره لاختصاصه بفضائل لا توجد فيما سواه استحق بها عدلا وحكمة أن يكون مفضلا على غيره ممن لم تقدر لهم تلك الفضائل . وهذا القسم لا كلام لنا فيه هنا ، فانه لا ينازع أحد من الناس أن الشيء يشرف ويفضل بقدر ما له من الفضائل النفسية والخصال الحميدة الشريفة ، وبقدر ما يحدثه من آثار نافعة للامة والدولة والدين . هذا قسم

وقسم آخر فضل على غيره من غير أن نعرف له فضيلة ذاتية ترجع الى ذاته هو ولا مزية فيه تقضى بتفضيله وتقديمه على ما سواه فيما يبدو . وقد يكون شيء من ذلك لم نعرفه ولم يبد لنا . والله أعلم بالسرائر والخفيات . ومن هذا القسم تفضيل يوم الجمعة على سائر الأيام . وتفضيل شهر رمضان على سائر الشهور ، وتفضيل ليلة القدر منه على سائر الليالى وتفضيل الكعبة على سائر البلاد وتفضيل المسجد الحرام على سائر المساجد وأشباه هذا . فان هذه الاشياء فضلت على غيرها لا لأجل فضيلة خصت بها ترجع الى ذاتها ونفسها حسب ما نعلم بل فضلت محض تفضل من الله ومحض اختيار لحكمة تدق على الأفكار ويسمو منالها على العقول

وقد يقول قائلون إن التفضيل لهذه الأشياء التى ذكرت وأشباهها لم يكن عن اختيار محض وقضاء غالب صرف لا سبب له غير ذلك بل تفضيلها راجع لأمور

امتازت بها عن سواها لفضائل خصها الله بها وحدها دون ما فضلت عليه : فيوم الجمعة فضل على بقية الأيام لما امتاز به من المزايا الكثيرة . وقد روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة الا يوم الجمعة » وروى الترمذى وأحمد أنه عليه السلام قال (سيد الأيام يوم الجمعة فيه خمس خلال خلق الله فيه آدم وأهبطه فيه الى الارض وتوفاه فيه . وفيه ساعة لايسأل العبد الله فيها شيئاً إلا أعطاه إياه ما لم يسأل حراماً وفيه تقوم الساعة) الى غير ذلك من فضائل يوم الجمعة . ومن فضائل هذا اليوم أيضا اجتماع المسلمين فيه لصلاة واحدة ولاستماع موعظة عامة أسبوعية فيوم الجمعة فضل على أيام الاسبوع لأجل هذه الفضائل التى انفرد بها وكذلك شهر رمضان فضل على سائر الشهور لأنه أنزل فيه القرآن فيه هدى للناس وبينات . وشرع فيه الصيام والقيام وصلاة التراويح ومدارسة القرآن الكريم . وقد كان جبريل يدارس الرسول الكريم القرآن فى رمضان كل عام . ولأنه أيضا خص بليلة القدر دون سائر الشهور وليلة القدر خير من ألف شهر . وفضلت ليلة القدر على الليالى لأن القرآن نزل فيها ولأن الملائكة والروح يتنزلون فيها حتى مطلع الفجر كما قال تعالى « تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر » وكذا فضلت مكة على غيرها لأنها جعلت مثابة للنـاس وأمنا فيها يقضون أنفاسهم ويغسلون ذنوبهم وخطاياهم ويتطهرون فيها من أوضار المعاصى وأدناس القلوب ، يرجعون فيها الى الله خالصين من كل شىء إلا من ذكر الله والضراعة اليه وتلبية دعوته العامة والخاصة يجتمعون هنالك يشكون الى ربهم عدوان ضعفهم على قوتهم وتغلب مادتهم وحيوانيتهم على انسانيتهم وروحانيتهم ، ويهربون من نفوسهم ومن طبيعتها الجائرة المادية الى تلك البقعة مهبط وحى السماء ورسالة جبريل الى محمد بن عبد الله ﷺ

ويبثون إخوانهم آلامهم وآمالهم التى تعجز موجات الأثير عن أن تقذفها فى الآذان المسلمة القصية ، ويلتقى المحبون لدى ذلك المحبوب الذى يولون وجوههم مع قلوبهم شطر وجهه وسناه فى اليوم الواحد والليلة الواحدة المرات الكثيرة ، وتتنور قلوبهم وأبصارهم نور ذلك المعشوق الذى لا يحول ولا يخون كل يوم ماشاء الله على حسب ما ضمنته القلوب من شوق وهوى

وكذلك فضلت مكة لوجود بيت الله الحرام فيها ، وفضله وفضل المسجد الحرام على غيره من المساجد فضل بانيه وهو ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، ولأن الله أمرهما ببنائه وتطهيره للطائفين والعاكفين والركع السجود ، ولكثرة من صلى فيه من الأنبياء والأتقياء والصالحين والخلفاء الراشدين ، ولأنه قبلة أبصار المسلمين ومهوى قلوبهم فى الشرق والغرب حينما يقفون أفضل مواقف العبد وهو موقف الصلوات لله رب العالمين الى غير ذلك من الفضائل التى قضت بتفضيل هذه الأشياء على غيرها : إذا قال قائلون ذلك قيل لهم هذا أمر لاريب فيه ولا خلاف . فان هذه الأزمان والأماكن المفضلة قد خصت بفضائل لم يخصص بها غيرها من الأماكن والأزمان . بيد أن هذه الفضائل على كل حال فضائل ليست راجعة الى ذات هذه الأماكن والأزمان ولا الى طبيعتها ولا الى اختيارها وارادتها ، بل هى فضائل خصها الله بها محض تفضل ومنة ومحض أختيار قاهر غالب . ولا شك أن لله فى ذلك حكما عالية لازمة ، ولم يكن تخصيصها بهذه الفضائل راجعاً الى أمر قام بذاتها وطبعها قضى بتفضيلها على فاقد ذلك من الزمان والمكان ، وعلى هذا يقال ان هذه الأماكن والأزمان قبل تخصيصها بذلك كانت كغيرها ذاتا واستعداداً وطبيعة فلماذا خصت وحدها بهذه الفضائل ؟ ولو أن الله خص يوم الأربعاء بفضل يوم الجمعة لما كان لهذا مانع ، ولكان يوم الأربعاء أفضل من يوم الجمعة ، ويقال فى سائر أيام الأسبوع مثل هذا ، ولو خص أحد شهور السنة بما خص به شهر

رمضان من الفضائل المذكورة مثل إنزال القرآن وإنزال الآيات البينات ومثل تخصيصه بليلة القدر لما كان هنالك مانع ولكان ذلك الشهر أفضل شهور السنة وأفضل من رمضان ، وكذلك لو خصت إحدى ليالي السنة بما خصت به ليلة القدر من الفضل لما كان ثمة مانع ولكانت تلك الليلة المفترضة أفضل من ليلة القدر وهكذا يقال فيما ذكرناه فالسؤال باق ، وهو لماذا فضلت هذه الأماكن وهذه الأزمان على غيرها بتلك الفضائل التي قضت بأن تفضل ما سواها ، ولا شيء من هذه الفضائل يرجع الى ذات تلك الأزمان والأماكن ، وقد كان ممكنا ومعقولا أن تكون تلك الفضائل لغيرها ، وممكنًا أن يكون غيرها أفضل منها على هذا النحو الذي قوامه اختيار المولى ، وتفضله الذي لا يقف عند حد ولا يدع أحداً إلا يشمله ويعمه ، وهذا هو السؤال عينه ، وهو سؤال جوابه في الظاهر الذى لا يمكن غيره أن يقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

وليس كذلك القسم الأول فى الظاهر ، فانه قد امتاز بفضائل نفسية كسبية قضت بتفضيله على ما سواه ممن فقدوا تلك الفضائل والمزايا ، فان الذى فضل العالم على الجاهل هو العلم ، والذي فضل التقي على الفاسق الفاجر التقوى ، والذى فضل الرسول والنبي على سائر الناس ما امتازا به من الفضائل النفسية والفضائل الالهية التى مرجعها فضل الله ، والذى فضّل الشهيد على غيره فضائله النفسية من قوة الايمان التى زجت به فى غمرات الموت طائعًا مختاراً ، ومن الشجاعة التى رمت به فى أحضان الحمام المكروه ، ومن الدفاع عن دين الله الحق وعن العدالة ، ومن دفاع الظالمين والظلم ، ثم ما أصابه على ذلك من الآلام والموت المغتبط العنيف الناجز ، كما أن الذى فضل الخيل على غيرها من البهائم ما خصت به من كرامة النفس وجمال الصورة وشدة الجرى وطول الشوط وتعطفها طوع إرادة راكبها ، واقتحامها لجج الحروب والحتوف والصروف والأشياء الأخرى

اذا علم هذا قيل ان تفضيل الأمر يرجع الى أمرين كما ذكرنا : أمر يرجع الى ما امتاز به المفضل من فضائل نفسية كسبية ، وأمر يرجع الى فضل الله المحض وجميل اختياره ، وعلى هذا يقال لهذا الرافضى : أما القسم الأول من ذلك الذي حكم بتفضيله بمقتضى ما فيه من الفضل فلا كلام لنا هنا فيه إذ لا ريب أن ما ثبتت له فضائل لزم تفضيله بقدر فضائله لا كما يقضى هوى المفضل وارادته الذى ليس له من الأمر شيء

وأما القسم الثانى أي القسم الذى ترجع فضائله الى خالص فضل الله واختياره الجميل فلا خلاف فى وجوب تفضيله على مقتضى ما تدل النصوص الصحيحة الواردة فيه ، ولا خلاف فى لزوم القول بما جاء فى النصوص من ذلك الفضل المقدور ، فما قال الشارع فيه انه أفضل من غيره يقول المسلمون سمعاً وطاعة وما قال فيه أن غيره أفضل منه يقول له المؤمنون سمعاً وطاعة ، لا عصيان ولا اعتراض على رب العالمين

يدق على الأفكار ما هو فاعل فيترك ما يخفى ويؤخذ ما بدا

الله أعلم حيث يجعل رسالته ، وحيث يضع فضله وتفضيله ، وحيث يأمر وينهى ويقول ويفعل لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، ولن تحيط العقول المحدودة بحدود العبودية وبحدود الالهية ، العقول الضيقة الحادثة بأسرار علم من لا يحد علمه ومن لا يحاط بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ، واذا ما كان المريض لا يعترض على أوامر طبيبه وهما انسانان مخلوقان محدودا العلم فكيف يعترض الحادث العبد على رب العالمين خالق كل شيء العالم بما كان وما يكون

ولكن هذا القسم لا يمكن القياس عليه ولا يمكن إلحاق غيره به مما لم يدل الشرع على إلحاقه وفضله وتفضيله ، لأن هذا القسم فى منزلة تسمو على متناول العقول وهبوطها ، وفى منتهى تقصر عن الصعود اليه الأذهان البشرية الكليلة ، وفى مستوى رفيع من الحكمة الرفيعة تحار فيه البصائر وتقف الأبصار حيرى تائهة مشدوهة

لا تستطيع التقدم ولا التأخر ولا الذهاب يميناً ولا شمالا ، وما كانت حكمته كهذا من الدقة والخفاء فلن يمكن القياس عليه بالاجماع والبداهة والضرورة

أرأيت لو لم يدل الشرع على فضل رمضان أو فضل يوم الجمعة مثلا ، أفيمكن العقول أن تهتدى إلى تفضيل رمضان على مجموع الشهور وتفضيل يوم الجمعة على مجموع أيام الاسبوع ؟ أو لو لم تدل النصوص على تفضيل مكة المكرمة ووجوب استقبالها حين الصلاة وقصدها من كل مكان لقضاء فريضة الحج إحدى فرائض الاسلام المقدسة ، وأن اسلام المرء لايكون تاما كاملا إلا إذا ماقصد تلك المشاعر والمعالم وطاف بها وصلى وجأر إلى الله ودعاه وقبّل بعض ذلك ورمى الجمرات وأحرم وأحل وحلق وقصر وذبح وأهدى ، أفيمكن أن تهتدى العقول إلى معرفة ذلك كله لولا النصوص والرسالات النبوية ؟ كلا إن ذلك كله من وراء العقول وفوق مستواها وفى منقطع تنقطع فيه أشواط الاذهان وما كان كذلك لا يمكن القياس عليه ولا يمكن تعدى النصوص ، بل يوقف فى هذا القسم حيث وقفت النصوص ويذهب حيث ذهبت

فمن قال لما أن ثبت تفضيل مكة وتفضيل الكعبة وتفضيل تلك المشاعر والمعالم وتفضيل الحجر الأسود وجب قياساً على هذا تفضيل المشاهد والقبور وتفضيل آثار الأنبياء والصالحين وتفضيل ما لامس أبدانهم وما لمسوه بأجسامهم وما نزلوا فيه وطافوا به من الأرض والزمان ونحو ذلك كان غالطا غلطا فاحشا واضحاً . وكان قائلا ما لم يقله أحد من المسلمين والعقلاء أجمعين . وهذا القول مثل قول القائل الآخر لما ثبت فضل يوم الجمعة وهو فى معناه وصورته كسائر الأيام وجب تفضيل يوم السبت أو يوم الأربعاء أو يوم الثلاثاء أو يوم الخميس . لأنه لا فرق بين هذه الأيام فى معناها ومادتها . فلا يوجد فى يوم الجمعة أمر يفضله على سائر الأيام . فتجب التسوية بينه وبين أيام الأسبوع . وكمن قال لما ثبتت فضائل شهر

رمضان وتفضيله وجب تفضيل سائر شهور السنة كلها لأنه لا فرق بين هذه الشهور في المعنى ولأن تفضيل هذا الشهر على جميع الشهور تفضيل لا موجب له ، وترجيح بلا مرجح

وهذا النحو من القول كقول هذا الشيعي هنا . ولا ريب أن هذين القولين سواء . ولا ريب أنهما خارجان عن حدود الدين مخالفان اجماع الاولين والآخرين من المسلمين

وهذا أيضاً مثل أن يقول القائل : إذا ما فضلت مكة المكرمة ووجب الحج إليها ووجب الاتجاه نحوها وقت الصلاة ووجب صنع كل ما يصنعه الحاج هنالك من الطواف والاحرام والاحلال ورمى الجمار والسعي بين الصفا والمروة وتقديم الهدى وإشعاره الى غير ذلك من أعمال الحج وجب أن يفضل غيرها أيضاً من مواقف الانبياء والاولياء وآثارهم ومنازلهم وما عبدوا الله فيه وصلوا فيه وقاموا وكلموا الاله فيه أو فوقه ووجب أن يكون ذلك الفضل كله لمدينة الرسول وقبره الشريف المطهر ولكل مكان وقف فيه النبي الكريم وصلى فيه وعبد الله فيه وعنده من المساجد والمنازل والفلوات والجبال والغيران كغار حراء وغار ثور . ووجب أن يقوم القادمون الى مسجد الرسول الكريم وإلى منازله وآثاره في المدينة المنورة ومكة وما بينهما وغيرهما بما يقوم به الحاج وما يصنعه من الاحرام والتلبية والتحليق والتقصير وجميع أعمال هذه الفريضة المقدسة فريضة الحج ، ووجب أيضاً أن يستقبل ذلك المصلون في صلواتهم ، ووجب ذلك أيضاً لمنازل الانبياء ومساجدهم وآثارهم وما بهم عرف وكل ما هنالك في الشام وفي مصر وفي كل مكان ومنزل وفي كل مصر وفلاة . هذا القول وهذا الخيال مثل خيال هذا الرافضي ومثل قوله سواء ومثل قياسه واستنتاجه . ومن قال هـذا أو شك فيه خرج من حظيرة الاسلام باجماع المسلمين ووجبت استتابته إن كان في بلد إسلامي وإلا نالته عقوبة المرتدين

ولا خلاف فى ذلك

فالقياس على هذه المواضع يستلزم القول بهذه الاقوال ، وهي أقوال يكفى في إبطالها والنقض عليها تصويرها وتصورها . فانها فاسدة بالاجماع والضرورة المحكمة

فالذى يذهب يستدل على تفضيل القبور وتفضيل الصلاة فيها واليها وتقبيلها واستلامها والسفر اليها وتقديم الهدى لها واشعاره مستدلا بأن هذه الأمور مشروعة فى مكة المكرمة ومشروعة فى معالم الحج هنالك يلزمه لزوما صريحًا صحيحًا أن يجوّز أعمال الحج كلها من التحليق والتقصير ورمي الجمرات والفدية والاحرام وسائر واجبات الحج ومستحباته للقبور قبور الأنبياء والصالحين . بل وأن يجوز استقبال القبور فى الصلوات قصداً وعمداً . لأنه إذا وجب هذا التعظيم للكعبة فكيف لا يجب لمسجد سيد الأنبياء ومدفن أكرم رفات وأشرفه على الله وعلى عباده المؤمنين ، وهو رفات سيد الأنبياء عليه الصلاة والسلام ؟ وكيف لايجب لغار حراء وهو الغار الذى كان النبى الكريم يعبد الله فيه ويهرب اليه من شرك المشركين وضلالات الضالين . وهو الغار الذى نزل فيه أول ما نزل الوحى وكتاب الله أفضل الكتب على أفضل الرسل لأفضل الأمم ؟ وكيف لا يشرع ذلك لغار ثور وهو الغار الذى نجا فيه رسول الله وصاحبه من طلب المشركين وأذاهم ومنه خرج ليضع أعظم شريعة إلهية سماوية ، وليدرب أعظم أمة ، وبجند أعظم جند لمحاربة الرذائل ، وليخرج أعظم العلماء والفلاسفة والقواد لاصلاح البشر ولانقاذ البشرية ولافلات المعانى الانسانيـة المكفوفة المكبوتة بسلطان الحيوانية وحدودها ؟ وكيف لا يشرع ذلك لمنازل الرسول الكريم ومنازل أزواجه الطاهرات فى المدينة المنورة وغير المدينة . وقد أقام فيها أكرم جسد على الله وتلا فيها أكرم لسان أكرم كلام . وقد نزل فيها أكرم ملك على أكرم رسول بأكرم كلام . وقد سجد فيها أكرم ساجد وركع فيها أكرم راكع وقام

فيها قانتا أكرم قائم وقانت ؟ ان الذى يذهب يقيس كفعل هذا الشيعى ويستدل كاستدلال هذا الرافضى يلزمه أن يجوّز الحج أو يوجبه بفروضه وسننه الى هذه المنازل وإلى هذه الآثار فى المدينة المنورة وفى غيرها من المدن والبلاد وأن يجوز استقبال ذلك فى الصلوات الخمس وفى غير الصلوات الخمس أو يوجبه مثل ما كان هذا واجبا لمكة المكرمة وكما استدل بهذا هذا الشيعى على جواز ذلك ووجوبه للمشاهد والقبور

إن الاستدلال بهذا النحو الذى ذهب اليه هذا الشيعى استدلال أقل ما يوصف به أن يقال انه فاسد باطل ، وأن من احتذاه فقد أفسد الشرائع ومثل بها أشنع التمثيل وصيرها أمثولة ومثلة . وأصبح هو مثلا للاولين وللآخرين من ذوى التفكير المضطرب والآراء النية الفجة والمنطق المريض القلق

(ثانيا)

هب هذا القياس صحيحاً مقبولا بالجملة . ولكن هل يدل بعد ذلك على ما يريده منه هذا الرافضى ؟ ! كلا وبيان ذلك أن الذي يريده هو اذا كان الله قد فضل المساجد وفضل مكة وفضل يوم الجمعة وفضل شهر رمضان وفضل ليلة القدر وفضل العلماء والشهداء والأنبياء . اذا كان فضل ذلك كله وأوجب احترامه وتعظيمه كله وجب أن يكون هذا التفضيل والتعظيم والاحترام لقبور الانبياء وقبور الصالحين والعلماء ولآثارهم ولا يمكن أن تكون هذه المساجد والأحجار والبلاد والأيام والشهور أولى بالتفضيل والاحترام والتعظيم من قبور الانبياء والصالحين ومن آثارهم ومخلفاتهم . فيجب إذن أن يكون ذلك كله لهذه القبور والآثار والمخلفات على الوجه الاتم الافضل ويجب الاعتراف لهذا بهذا : هكذا استدلاله واحتجاجه وهكذا مقدماته ونتيجته ؛ ولكننا نحن نقول هب هذا الاستدلال صحيحا مقبولا

مرضيا بالجملة وهب تفضيل قبور الانبياء والأولياء واجبا وكذا احترامها وتعظيمها ولكن هل يلزم التفضيل والاحترام والتعظيم جواز سائر ما ينتحله هذا الشيعي ويدعيه من وجوب تقبيل القبور واستقبالها والبناء فوقها وعقد القباب عليها وتقديم القرابين اليها وتزيينها بفاخر الزينات من الذهب والفضة والمعلقات والمجوهرات، ومن شد الرحال اليها وقصدها من الأقطار الشاسعة النائية، ومن الحلف بها والاقسام على الله بذواتها؟ هل هذه الأشياء المبتدعة تلازم التفضيل والاحترام والتعظيم؟ هذا الرافضي يدعي هذا ويدعي هذا التلازم ويدعي أنه لا احترام ولا تعظيم ولا تفضيل بغير ذلك. أما نحن فنقول كلا. انه لا يلزم هذا هذا. والدليل على انفكاك هذا التلازم المدعى أن المساجد مفضلة محترمة معظمة كما يقول هذا المصنف الشيعي وهي مما قاس عليها مزاعمه ومع هذا لا يجوز استقبالها في الصلوات البتة اذا ما استثنينا المسجد الحرام ولا يجوز تقبيلها ولا تقبيل أرضها وجدرها وسقفها ولا التمسح بها ولا تقريب القرابين اليها ولاشد الرحال لزيارتها ولا للصلاة فيها كما جاء في الحديث الصحيح المعروف « لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجد المدينة » وكذلك لا يجوز تقبيل بيوت مكة ولا التمسح بها ولا التمرغ عليها طلبا للبركة والتعبد. ولا يجوز شيء من ذلك في الكعبة وفي المسجد الحرام سوى ما ورد في النصوص الصحيحة من تقبيل الحجر الاسود واستلام الركنين اليمانيين. فلا يجوز من ذلك إلا ما جاء فيه النص الصحيح عن الرسول الكريم. وقد قال الخليفة عمر بن الخطاب عند تقبيله الحجر الاسود قوله المشهور « والله اني لأعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك » رواه البخاري ومسلم وغيرهما. وعمر يريد أن مثل هذه العبادات تؤخذ كما أتت عن الشارع أخذاً بإيمان واستسلام لا يزاد فيها ولا ينقص منها. وهو في معنى قول علي رضي الله عنه « لو كان الدين بالعقل لكان

أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه » وكلهم يريد بهذا أن ثمت أشياء من شئون الدين تحار فيها العقول ولا تهتدى فيها الى عين الصواب لخفائها وبعد منالها ولو كان فى استطاعة العقول الوصول الى أحكام الشريعة وادراكها استقلالا وبلا توقيف ورسالة إلهية لما كانت هنالك حاجة الى ابتعاث الرسل والانبياء والى الكتب المنزلة فيها الشرائع والاحكام . واطلب من الناس تحكيم عقولهم واتباع ما تراه وما تحسبه حقا ودينا . ولكن الله يقول لأوفر الناس عقلا وأصفاهم ذهنا وقريحة « إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما » ومن هو دون الرسول أجدر بلا شك بألا يحكم الا بما أراه الله

ولا يختلف الناس أنه لا يجوز تقبيل حيطان مكة المكرمة ولا تقبيل بيوتها ومنازلها ولا التمسح بها ولا الاستقبال لها فى الصلاة مع العلم بتفضيل مكة والاعتراف بذلك ومع تعظيمها وكذلك لا يجوز استقبال العلماء والشهداء والانبياء فى الصلوات قصداً وعمداً طلبا للبركة والاجر ، كما لا يجوز التمسح بهم ولا الطواف بمنازلهم ومساكنهم ولا الاثم لاثوابهم وما تباشر أجسامهم من شعار ودثار ولا النذور ولا تقريب القرابين لهم ، ولا الحلف بهم ولا الأقسام على الله بذواتهم : إن شيئاً من ذلك لا يجوز عقلا ولا شرعا مع تفضيل هؤلاء ، ومع قول الرافضى بوجوب تعظيمهم واحترامهم ومع اعترافنا له به ، وكذلك لا يجوز شيء من ذلك ليوم الجمعة ولا ليلة القدر ولا شهر رمضان ، فلا يجوز الحلف بهذا اليوم ولا بهذا الشهر ولا بهذه الليلة ولا يجوز تقديم النذور ولا الهدايا والقرابين لذلك ، مع أنها أزمان مفضلة ممتدحة . وهذا واضح

إذن ليس هنالك تلازم بين تعظيم الشيء وبين هذه المبتدعات والخرافات التى يدعيها هذا الرجل ويدعى أنها من شرائط التعظيم والاحترام المأمور بهما شرعا وإذن يمكن القول باحترام الشيء وإعظامه من غير القول بهذه المبتدعات ومن غير

الالتزام لها ، بل هذا هو ما يجب وما يلزم المصير اليه عقلا ونقلا ونظراً

والسر فى هذا أن المراد بالتعظيم هنا هو التعظيم الشرعى ، أي التعظيم الذى يقبله الشرع ويحله ويرضاه ولا يرى فيه مفسدة دينية أو دنيوية ، ولا يمكن أن يراد بالتعظيم كل ما يمكن أن يعده الانسان تعظيما ولا كل ما يفهمه مشمولا بمعنى التعظيم ، ولا ما قد يعد فى بعض الأزمان فى بعض البلاد فى بعض البيئات تعظيما واحتراما ، إذ لو أريد ذلك لنسفت الشرائع جميعاً من أساسها ودعائمها ، ولأبيحت أنواع المحرمات والشرك والضلال المبين وعبادة الأصنام والأوثان ، ولأبيح من ذلك الأمر الكثير ، فان عبادة الملائكة والجن والأنبياء والأولياء بل والأصنام والأوثان جميعاً لا يراد بها إلا تعظيم أولئك المعبودين والتعظيم من شأنهم والرفعة لمقامهم ، وعباد الأحجار والأشجار يريدون بذلك إعظام الله وإعظام من جعلوا هذه الأحجار والأشجار رمزاً وإشارة اليهم ، لأنهم يزعمون أن الله أرفع وأعلى سلطاناً من أن يكونوا ـ وهم العباد الأذلة المذنبون ـ أهلا لخطابه ودعائه كفاحاً ، فينصبون نصباً يعبدونها ويدعونها ليصلوا بذلك الى الله غاية كل عبد ، وليقربوهم الى الله عز سلطانه ، لأن هؤلاء المعبودين أهل لدعاء الله ولخطابه لعلو مقامهم ورفعة شأنهم لديه تعالى ، وأهل لأن يجيب دعواتهم ويقضى حاجاتهم ، فيذهبون يعبدون الأصنام والأوثان والملائكة والأولياء والأنبياء ، ويأتون من ذلك بالطرف والأفانين ، وقد يمثلون الملائكة والأنبياء والصالحين ويصورونهم فيذهبون يعبدون تماثيلهم وصورهم ، وفى هذا فى زعمهم أبلغ التعظيم والاحترام لهم ، ولكن شيئاً من ذلك لا يجوز فى دين الله وإن عدوه تعظيما وعدوه احتراماً وتفضيلا ، وما يدعيه هذا الرافضى من تعظيم الأجداث وتعظيم من فيها من الأنبياء والأولياء سبيله سبيل هذه الخارق الجاهلية الوثنية والأباطيل المنتسبة للشرك أصلا وفرعاً والمنتزعة من الوثنية صورة ومعنى

فالقول الفاصل فى هذا الموضوع أن يقال لاريب أن الله تعالى قد فاوت بين مخلوقاته في الفضل ففضــل بعضها على بعض ، ورفع بعضها فوق بعض درجات فى الأخلاق والأذواق والدين والفهم والاستعداد والصــلاح ، وفى الرزق أيضاً وفى كل شيء . ولكن ليس معنى تفضيل بعض الخلق على بعض أن يغلى فى المفضل وأن يعطى أكثر من حقه وأن يوهب حق الله وأن تضاف اليه الخرافات والمعتقدات الباطلة الفاسدة على حساب التفضيــل ، وعلى حساب ما ميزه الله به من الفضــائل والمكرمات . كلا . ليس الحق هو هذا ، ولكن الحق الذى يجب أن يصار اليه أن يعلم أن الله الذى فضل الفاضل ووهبه تلك الفضائل هو الذى يحد لفضله وتفضيله الحدود ويعرف تلك الحدود ، فلا تتعدى ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم عين الظالمين اللومين ، وما أتى الضالون الخارجون إلا من هذه الناحيــة ناحية الغلو فى الفاضل وأهل التفضيل الذين قضى الله بأن يكونوا من المفضلين ومن أهل الفضل ، وما ضلت النصارى فى عيسى عليه السلام وفى الأحبار والرهبان إلا من ناحية الغلو وناحية المبالغة فى التعظيم والتفضيل ، وما ضل قوم نوح وعبدوا آلهتهم ودا ونسرا ويعوق ويغوث إلا من هــذه الناحية نفسها ناحية الغلو وناحية المبالغــة فى التعظيم والتفضيل ، وما ضل العرب المشركون وغيرهم وغيرهم إلا من ناحيــة الغلو والمبالغة فى الغلو والاسراف فى التعظيم لما كانوا يعبدونه من الملائكة والصالحين كما عبدوا اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، ولا ضلت طائفة الشيعة وزاغت عقيدتها فى علي وذرية علي ، وما زعموا فيهم الألوهية والارتفاع عن أفق البشرية ، وزعموا حلول الله فى ذواتهم كما قال عبد الله بن سبأ ومن قال قوله منهم وهم كثر إلا من هذه الناحية المريضة ، ناحية الغلو والمبالغة فى الغلو ، وما قدحوا فى خيار الصحابة وسادات المهاجرين والأنصار ومن تولاهم من المسلمين والمؤمنين إلا من هذه الناحية المدخولة المريضة فى الانسان ، ناحية الغلو فى علي رضى الله عنه وفى أولاده ، والا

من زعمهم غلواً وإسرافاً أنهم أهل الخلافة وحدهم وأربابها وحـدهم ، ولا ضل كثيرون من أهل الطريق وأهل الأحوال والتصوف إلا من هذه الناحية نفسها ، فقد طوح بهم وذهب بهم الغلو فى الأشيـاخ المعظمين كل مذهب حتى وقف بهم على حافة الهوة المهلكة العميقة حتى عبدوهم بل وألهوهم وادعوا عصمتهم وأكفروا من ينازعهم فى حال من الأحوال ومخرقة من مخارقهم الباردة الفاسقة عن الدين والعقل ، وقد روى الراوون من هذا النوع الشيء الكثير المخجل للانسانية جمعاء عن هذه الناحية المريضة حقاً فى الانسان ، أعنى ناحية الغلو والاطراء الذي لايقف بالانسان عند حد ، وقد بلغ الغلو بالانسـان والتعظيم لمن يحب ويرضى الى حالة مزدراة حقاً فاضحة حقاً ، وقد بولغ فى هذه الناحية حتى وجدنا من يدافع عمن قال الأقوال المنكرة العظيمة فى الله ورسله ودينه ، الأقوال التى لايستطيع أن يتفوه بها الملحدون أعداء الأديان كلها وأعداء الاله والمرسلين ، فقد دوفع عمن قال ان كلمة لا إله إلا الله فاسدة المعنى ، وعمن قال سبحانى عز شانى ، وعمن قال ان الأنبياء لم يأتوا إلا بالشرك والكفر ، ومن قال القرآن كله ضلال وكذب ، ودوفع عمن قال أفظع من ذلك ، وقد دافع عن صاحب هذه الأقوال المنكرة جماعات من الموسومين بالصلاح والفقه والعلم ، وكلفوا أنفسهم مؤنة تأويل هذه الأقوال الشنعاء وتخريجها التخريج الصحيح ، وتطلبوا لها الوجوه الصحيحة والتفاسير المقبولة ، وما دفع بهم الى هذه المضايق والمآزق إلا الغلو والمبالغة فى التعظيم والاحترام ، وقد ألفينا الانسان وقد زعم أنه صفوة المخلوقات لايقف عند حد فى هـذه الناحية ، وألفيناه يأتى بالأفانين والطرف والأعاجيب ، وهذا ما يحصل منه كل وقت ، ولولا ذلك لما وجدوا مندوحة تبرر ركونهم الى هذه المضايق المخيفة المذمومة بلا ريب

وقد حدث المحدثون عن الحلاج وأصحابه ورووا عنهم من هـذا النوع الشيء الكثير المفظع المنكر ، وقد حدث الامام الشاطبى فى كتابه الاعتصام راوياً عن

الفرغاني مذيل تاريخ الطبرى أن أصحـاب الحلاج غلوا فيه وفى التبرك به حتى كانوا يتمسحون ببوله ويتبخرون بعذرته ، وحتى ادعوا فيه الألوهية تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، وقد حدثوا والى اليوم يحدثون أن هذا الرجل المريض أعنى الحلاج لما أن حكم عليه بالقتل لأجل هـذه الأقوال الباطلة وقتل وتناثرت دماؤه الآثمة المجرمة زعم أصحابه والغلاة فيه أن دماءه صارت تكتب اضطراراً أو اختياراً وهى سائلة هذه الكلمة « لا إله إلا الله ، الحلاج ولى الله »

ورعياً لهذه الناحية الواهية فى الانسان كان من أقوال الرسول ﷺ المتواترة المعنى « لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » ولهذا أنكر ﷺ على من قالوا له أنت سيدنا وابن سيـدنا ، فقال ما معناه « لا يغوينكم الشيطان ولا يفتننكم ، وما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى التى أنزلنى الله بها » ، وأنكر على من قال له ما شاء الله وشئت وقال « أجعلتنى لله نداً بل ما شاء الله وحده » وأنكر على من استغاثوا به من منـافق فى عصره يؤذي المؤمنين ، فقال لهم « إنه لا يستغاث بى وانما يستغاث بالله » وقال ذات يوم خطيب بين يديه من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى ، فقال له ﷺ « بئس الخطيب أنت ! قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى » أنكر ﷺ أن يجمع بين الضمير العائد على الله ، والضمير العائد عليه هو حذر الغلو والذهاب مع الغلو ، والغلو كما عرفت لا يقف عند حد ، ومن هذا السبيل أمر الخليفة النافذ البصر عمر رضي الله عنه بقطع الشجرة التى بويع تحتها الرسول الكريم ﷺ حينما رأى الناس يقصدون الصلاة عندها ، ولما رأى قوماً يتعمدون الصلاة فى مسجد كان رسول الله ﷺ صلى فيه أنكر ذلك ونهى عنه ، وقال انما هلك من كان قبلكم بمثل هذا ، يتبعون آثار أنبيائهم فاتخذوها كنائس وبيعاً ، وقال من أدركته الصلاة فى هـذه المساجد فليصل وإلا فلا يتعمد الصلاة فيها ، وقد سلفت رواية هذا . وقد جاء عن

هذا الخليفة الراشد النافذ البصر بدين الله وبما جبلت عليه النفوس من فلسفة باطلة ومن ترهات متنوعة أبلغ من هـذا محافظة على عقائد الناس وحذراً من الغلو فى الاعظام والاحترام ، وجاء أيضاً عن غيره من الصحابة والتابعين وأهل المعرفة والبصر ، فجاء عنهم أنهم أحيـاناً كانوا يأبون الدعاء لمن طلبه منهم ويزجرون من طلب منهم الدعاء ، وذلك خيفة الغلو فيهم ، لأنهم فهموا من حال الطالب ومقامه روح الغلو ومزيد التعظيم والتبجيل ، فذكر الامام الشاطبى فى كتابه الاعتصام فى الجزء الثانى صفحة ١٥٨ أن الطبرى روى عن مدرك بن عمران قال كتب رجل الى عمر رضى الله عنه : فادع الله لى ، فكتب اليه عمر إنى لست بنبى ، ولكن اذا أقيمت الصلاة فاستغفر الله لذنبك ، قال الشاطبى « فاباية عمر رضى الله عنه فى هذا الموضع ليس من جهة أصـل الدعاء ولكن من جهة أخرى وإلا تعارض كلامه مع ما تقدم ، فكأنه فهم من السائل أمراً زائداً على الدعاء ، فلذلك قال لست بنبى ، ويدلك على هذا ما روى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه لما قدم الشام أتاه رجل فقال استغفر لى فقال غفر الله لك ، ثم أتاه آخر فقال استغفر لى ، فقال لا غفر الله لك ولا لذاك ، أنبى أنا ؟ فهذا أوضح فى أنه فهم من السائل أمراً زائداً وهو أن يعتقد فيه أنه مثل النبى أو وسيلة الى أن يعتقد ذلك أو يعتقد أنه سنة تلزم أو يجرى فى الناس مجرى السنن الملتزمة

ونحوه عن زيد بن وهب أن رجلا قال لحذيفة استغفر لى ، فقال لا غفر الله لك ، ثم قال هذا يذهب الى نسائه فيقول استغفر لى حذيفة ، أترضى أن أدعو الله ان تكن مثل حذيفة ؟ ، فدل هذا على أنه وقع فى قلبه أمر زائد يكون الدعاء له ذريعة حتى يخرج عن أصله لقوله بعد مادل على الرجل هذا يذهب الى نسائه فيقول كذا ، أى فسيأتى نساؤه لمثلها ويشتهر الأمر حتى يتخذ سنة ويعتقد فى حذيفة مالا يحبه هو لنفسه ، وذلك يخرج المشروع عن كونه مشروعا ويؤدى الى التشيع

واعتقاد أكثر مما يحتاج اليه

وقد تبين هذا المعنى بحديث رواه ابن علية عن ابن عون قال جاء رجل الى ابراهيم فقال يا أبا عمران ادع الله أن يشفيني . فكره ذلك ابراهيم وقطب . وقال جاء رجل الى حذيفة فقال : ادع الله أن يغفر لى فقال لا غفر الله لك فتنحى الرجل فجلس فلما كان بعد ذلك قال فأدخلك الله مدخل حذيفة أقد رضيت ؟ الآن يأتى أحدكم الرجل كأن قد أحصر شأنه . ثم ذكر ابراهيم السنة فرغب فيها وذكر ما أحدث الناس فكرهه . وروى منصور عن ابراهيم قال كانوا يجتمعون فيتذاكرون فلا يقول بعضهم لبعض استغفر لنا . فتأملوا يا أولى الألباب ما ذكره العلماء من هذه الأصنام المنضمة الى الدعاء حتى كرهوا الدعاء اذا انضم اليه ما لم يكن عليه سلف الامة . فقس بعقلك ما ذا كانوا يقولون فى دعائنا اليوم بآثار الصلاة بل فى كثير من المواطن »

هذا كله ما ذكره الشاطبي . وقال هذه الآثار قد خرجها الطبرى فى تهذيب الآثار له . قال « وعلى هذا ينبنى ما خرجه ابن وهب عن الحارث بن نبهان عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن ناساً من أهل الكوفة يقرؤون عليك السلام ويأمرونك أن تدعو لهم وتوصيهم فقال أقرؤا عليهم السلام ومروهم أن يعطوا القرآن حقه فانه يحملهم أو يأخذ بهم على القصد والسهولة ويجنبهم الجور والحزونة . ولم يذكر أنه دعا لهم » ثم قال الشاطبي « وقد جاء فى دعاء الانسان لغيره الكراهية عن السلف لا على حكم الاصالة بل بسبب ما ينضم اليه من الامور المخرجة عن الأصل »

وما هذا الا قطع لمادة الغلو وحسم لجرثومة الضلالة المتفرعة عن الغلو فى التعظيم والاحترام الذى ينادي اليه الجاهلون المسرفون . وهذا كله يفسر قوله الله تعالى « لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق »

وليقارن العاقل الناصح لنفسه بين أقوال الرسول الكريم وأقوال السلف النيرة وبين أقوال هذا الرجل وشركائه ليعرف الفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال ، والنور والظلام ، ثم ليسأل الله السلامة والعافية فى الدين والدنيا والنجاة من مخابط الفتن والغوايات ومن شبهات الشياطين وشبهات الضالين المفتونين

(الثالث)

قوله « وفضل العلماء على الشهداء وعلى بعض الأنبياء » قول فى غاية الفظاعة والنكارة . وقد يكون والعياذ بالله من أقوال الكفر والردة . فان غير الانبياء لا يمكن أن يكونوا أفضل من الانبياء ولا يمكن أن يكونوا مثل الانبياء لا فى دين ولا فى علم ولا فى سمو أخلاق ولا فى شيء من الأشياء الممتدحة . ومن ادعى أن العلماء أفضل من بعض الانبياء كما ادعى هـذا الرجل فقد أعظم على الله الفرية ، وأعظم القدح فى الانبياء وفى التهوين من شأنهم . ولن يقول من يؤمن بالله وباليوم الآخر ان أحداً من العلماء غير الانبياء أفضل من نبى الله موسى أو ابراهيم أو عيسى أو محمد ﷺ أو غيرهم من الانبياء ، ولا يمكن أن يقول من يؤمن بالله وباليوم الآخر وبالملائكة والانبياء ان أحداً من الناس أفضل من نبى اصطفاه الله بنبوته وبكلامه وخطابه . واذا ما وجد ذلك العالم المزعوم أنه أفضل من بعض الانبياء هو والنبى فى زمان واحد أفلا يكون واجباً على ذلك النبى أن يتعلم من ذلك العالم المزعوم أنه أفضل منه وأن يسأله علم ما يخفى عليه وما لا يعرفه وأن يتبع أمره وارشاده . ثم ألا يجب عليه أن يحترمه وأن يعظمه احترام المفضول للفاضل وتعظيم التابع المتعلم للمتبوع المعلم ؟ لان معنى تفضيل العالم على النبي الحكم على ذلك العالم بأنه أعلم من ذلك النبى ، لان العالم ما فضل على النبى الا من جهة أنه عالم . فالعلم هو الموجب التفضيل على ما زعم . ومن زعم أن نبياً من الانبياء يلزمه أن

يقوم مع أحد الناس ممن ليس نبيا هذا المقام فما هو من الراشدين ولا من المهديين وليعلم أن هذا الزعم أى زعم تفضيل بعض العلماء على الانبياء من أقوال الرافضة ولقد كفرهم القاضي عياض فى كتابه الشفاء لقولهم هذا ومن أقوال بعض الفلاسفة الكافرين والصوفية الزائغين أيضا . فالفلاسفة الضلال يفضلون الفيلسوف على النبى لامور زعموها وفلسفة باطلة ادعوها . والصوفية الضلال يفضلون الصوفى والولى على الرسول والنبي لفلسفة ومزاعم أيضًا لفقوها . والرافضة تدعى أن أئمتها الاثنى عشر أفضل من الانبياء . وهذا من عيون الضلالات والعياذ بالله

وقد قال أحد هؤلاء التائهين المنقطعين فى تيه الضلالة :

مقام النبوة فى برزخ فويق الرسول ودون الولى

فالولى عند هؤلاء الحيرى أفضل من النبي والنبي أفضل من الرسول . فالولى أفضل من النبي ومن الرسول لديهم . والقرآن والسنة مملوءان دلائل على كذب هذا القول . والمسلمون لا يختلفون فى ضلالة قائله ومنتحله . ومن الدلائل على ذلك أنه لا خلاف فى أن من سبّ نبيًا أو قدح فيه أو كفر به فقد ارتدّ ووجب قتله كفراً . وليس كذلك حكم من سب عالما أو قدح فيه أو كفر به . ولو كان العالم أفضل من النبي لكان الحكم بالعكس فى العالم الذى زعم أنه أفضل من النبى وفى النبي الذى زعم أن العالم أفضل منه

(الرابع)

أما جعل الكنيف مسجداً وجعل جلد الشاة حذاء ونعلا وجعله أيضًا جلداً للقرآن الكريم كما افترض الرافضى وأن ذلك في حالته الاولى لا فضل له بل هو مهين محتقر وأنه فى الحالة الاخرى مكرم مبجل . فيقال ليس كون الكنيف مهانًا معناه أن مادته مادة ناقصة قذرة مغايرة لسائر المواد التى صنعت منها . وليس معنى

جعله مسجداً كما افترض الرافضى أنه بذلك ينقلب مادة أخرى مطهرة مقدسة مخالفة للمادة التى تنتسب اليها من الحجارة والطوب والآجر والجص . ولا أن جدار المسجد وسقفه وأرضه أشياء مقدسة معظمة يلزم الناس اعظامها واحترامها وتقديسها وأن جدر الكنيف وسقفه وأرضه أشياء محقرة مزدراة ناقصة يلزم الناس احتقارها وازدراؤها وتنقيصها . كلا . . ليس هذا من الحق وليس هذا من الصحيح ، فان الأشياء هي الأشياء وحقائقها هى حقائقها لم تتغير ولم تنتقل من حقيقة الى حقيقة ولا من شيء الى شيء

ولو كان هـذا حقاً لكان ما ينقل من المساجد من الأحجار والأخشاب والتراب معظما مقدسا محترما وان فصل عن المسجد . ولكان ما ينقل من الكنيف من الأحجار والأخشاب والتراب محتقراً مزدرى وإن فصل عن الكنيف وأزيل منه . ولكن المحترم لدى المسلمين المعظم هو معنى المسجد وما تدل عليه كلمة مسجد لأجل ما يدل عليه ويقارنه من عبادة وصلاة وركوع وسجود لله . ولا يجوز تنجيس تلك البقعة المعدة للصلاة لأن الطهارة الحسية مطلوبة فى الطهارة المعنوية من الصلوات والعبادات جميعا والطهارتان مقترنتان غالبا فان من طهر معناه طهر ظاهره ومن طهر ظاهره طهر باطنه . وتلويث هـذه المواضع المعدة للصلاة بالقاذورات والنجاسات يشعر باحتقار العبادة نفسها التى هي الصلاة . وهذا مأبيّ لأن أماكن الصلاة يلزم ابعادها عن النجاسات كلها حسية ومعنوية

وأما بنيان المسجد نفسه فليس معظما من حيث مادته وبنيانه ، ومن ادعى ذلك فقد أبعد الانتجاع . ومن الدلائل على ما نقول أنه قد صح فى الأحاديث المتكاثرة عن النبى الكريم أنه قال « جعلت لى الأرض مسجداً وطهورا » وقد اتفق العلماء على معنى هذا الحديث سوى ماخصص من عمومه . فهل يجرؤ جرىء أن يدعى أن الأرض كلها معظمة مقدسة لأنها كلها ـ الا مواضع مخصوصة معلومة ـ

مساجد يصلى فيها المسلم ويتجه فيها الى الله

ومن الدلائل القاطعة أن المساجد ما عظمت التعظيم المشروع إلا لأجل الصلوات ولأجل إعدادها مواضع لها . فالصلوات بلا ريب هي التى رفعت شأن المساجد فهى بلا نزاع أفضل من بنيان المساجد وأكرم . ومع هذا لا يجوز تعظيم الصلوات ذات الركوع والسجود والقيام والقعود والدعاء والتسابيح التعظيم الذى يعنيه هذا الرافضى . وإنما معنى تعظيم الصلاة هو أن الله يحبها ويطلبها من عباده ويجازى فاعلها الجزاء الأوفى ويعاقب تاركها العقاب الصارم الوجيع . أما التعظيم الذي يريده هذا الرافضى فتعظيم من نوع آخر ، وهو تعظيم الخاضع الذليل للقهار المذل وتعظيم الصغير للكبير . وهذا النوع من التعظيم مأبى من المسلم لايشرع له أن يفعله . ومعلوم أنه لا يشرع للمسلم أن يعظم أعماله من صلاة وصيام وحج وزكاة ودعاء . هذا النوع من التعظيم بل هذا لايعرفه الناس ولا يخطر على بال سليم ، وعلى كل حال هذا القول لا ينفع هذا المصنف شيئاً ولو سلم له هذا التعظيم المزعوم . لأنه هو يريد أن يتوسل بهذا الزعم الى إباحة تقبيل الأضرحة والبناء عليها والتمسح بها والسفر اليها من أقاصى البلاد الى آخر مازعم وما ادعى . ولكن أحداً من المسلمين لم يقل ان هذه الأعمال المذكورة مشروعة فى المساجد وان عظمت وقدست وزعم لها ما زعم . ولا نحسب هذا الشيعى يخالفنا فى هذا . واذا كان غير مشروع فى المساجد فلن يكون مشروعاً فى الضرائح وفى القبور ولدى الأشجار والأحجار

وكذلك لا يعنى بجعل الجلد نعلا وجلداً للقرآن انه اذا كان جلداً للمصحف كان مقدس المادة معظمها . لايقول هذا أحد من العقلاء ، ولكن المعظم هو كلام الله وقرآنه . فلما أن كانت اهانة المصحف بأوراقه وجلده تدل عرفا وعادة على اهانة كلام الله واحتقاره حرم ذلك وامتنع وطلب من المسلمين إظهار الاحترام

لكلام الله ، والذي يظهر الاحترام للمصحف وجلده وأوراقه لا يريد بذلك إلا احترام كلام الله ولا يريد البتة احترام الأوراق والجلد والحبر إلا أن يكون جاهلا وهذا يجب تعليمه ، ولمذامح احراق المصاحف بأوراقها وجلودها وحبرها . أفيرى هذا أن جلدة المصحف نفسها وورق المصحف نفسه معظمان لذاتهما فيصح مع هذا إحراقهما وجعلهما للنار وقودا ؟

وها هنا برهان قاطع على فساد كلام هذا الرجل نذكره . هذا البرهان هو أن صدور حفاظ القرآن تقوم مقام الأوراق والجلود والحبر للقرآن الكريم على أقل الأحوال . أفيرى أن الصدور الحافظة للقرآن يجب تعظيمها واحترامها لأنها حافظة فقط ؟ أو لا يرى أن من هذه الصدور ما يجب إهانته وقرعه لأنه يحمل داء دويا ولأنه يحمل مرضاً يسمى مرض القلوب ومرض الاعتقاد ومرض الهوى ومرض الشهوات

فزعم هذا الرجل بأن جلدة المصحف فى نهاية الاكرام والاعظام من الأقوال الصادرة عن الخطل وضلال الرأي

(الخامس)

وأما قوله « ومن هذا القبيل البقعة في الأرض كسائر البقاع فيدفن فيها نبي أو ولى فتكتسب فضلا وشرفا وبركة » الى آخر قوله فهو كسائر أقواله بعيد عن التوفيق وعن الصواب فان الأرض لا تتشرف ولا تفضل ولا تعظم بوجود العظماء من الأنبياء والأولياء أحياء فيها . فكيف يكون لها ذلك إذا ما وجدوا فيها أمواتا أو وجد فيها رفاتهم وجثمانهم كما أنها لا تفقد الشرف والفضل والبركة إن كان لها شيء من ذلك لوجود الأشقياء فيها من المجرمين والمشركين ومن المفسدين والملحدين فانه لم يضر مكة والمدينة ان حلهما المشركون والظالمون

ورؤوس الكفر والضلالة ولم ينفع غيرها أن حل فيه الأنبياء والأولياء والعلماء والشهداء ، ولو كانت البقاع تعظم وتشرف بوجود العظماء فيها أمواتا لعظمت وشرفت بوجودهم فيها أحياء ، واذا لم تشرف ولم تعظم بوجود الأنبياء والأولياء فيها أحياء لم تشرف ولم تعظم بوجودهم فيها أمواتا ، ولو كانت البقاع تعظم وتشرف لوجود العظماء فيها من الأنبياء وغيرهم لكانت تحقر ويضيع شرفها وفضلها بوجود الأشقياء فيها ، واذا لم يضرها من هذه الناحية وجود هؤلاء الأشقياء فيها لم ينفعها من الناحية نفسها وجود الصلحاء من الأنبياء وغيرهم فيها وهذا واضح بين ، وليس هنالك دليل واحد يدل على أن الأرض تكتسب شرفا وفضلا وبركة بمقدار من يحل فيها ممن لهم شرف وفضل ومنزلة رفيعة سامية ، ولو كان هذا الشيعي الدليل على ذلك لما استطاع الظفر به ، والدلائل العقلية والشرعية كلها تخالف ما قاله وما ادعاه ، ولو أن القبور تشرف وتبارك وتفضل بدفن الصالحين فيها وحلول رفاتهم فيها أيضا لشرفت البيوت والثياب والازياء وبوركت بنزول هؤلاء فيها ولبسهم إياها ، ولن يجرؤ بصير بالدين وبالمعقول أن يدعي أن ثوب التقي والولي وبيتهما أشرف وأفضل من ثوب الفاجر والكافر ومن بيته ، ولن يدعي عاقل بأن كفن الصالح أفضل وأكرم من كفن الرجل الطالح . أو يدعي أن البنايات المشيدة على القبور متفاضلة كتفاضل أصحابها والذين يدعون مثل هذه الدعاوى ويقولون مثل هذه الأقاويل هم فى حاجة الى التعليم لا الى المجادلة والمساجلة

والشيعة مصابة بهذا البلاء بلاء الغلو فيما يتصل بالصالحين وما يتصل بمن يعدونهم صالحين فاضلين فانهم يغلون فى هؤلاء غلواً قبيحاً مستكرها تتجافى عنه العقول وتقتحمه الأبصار . حتى لقد بلغ الغلو بالقوم أن يحملوا معهم الأتربة من قبور الصالحين وآل البيت النبوى ويتزودوا بها أينما ذهبوا كى يسجدوا عليها

ويضعوا جباههم فوقها حينما يصلون لله غلواً وتعظيما ، وهذا من شر الغلو ومن أنباه عن العقل والدين

ولولا التقليد الذى لا عقل له ولا بصر لما وجد من يصنع هذا فى هذا العصر ولكن وا أسفاه فما أضيع البرهان عند المقلد !

وأما البركة التى ادعاها لمدافن الصالحين والنبيين فلا يدرى المسلمون ماهى ولا يدرون أية بركة في القبور ، وكل ماذكره هنا من تقبيل القبور والبناء عليها وتعليق الستائر والمعلقات فوقها وإرصاد الخدم والسدنة لها ندع القول فيه الى الأبواب الآتية الخاصة به ، وسوف يرى القارىء أن ما قاله هذا المصنف هنا مصادم لنصوص الشريعة مصادمة بينة جلية ، وكذلك ما ذكر من تعريضها للقاذورات والنجاسات ووطء الدواب والكلاب لها ، ثم ماذكر من تأويل النصوص وتحريفها لأجل مازعمه من الدليل على ذلك كله وكل مالم نتكلم عليه هنا ندع القول فيه الى الأبواب الخاصة به من هذا الكتاب

(السادس)

قوله إن الله جعل احتراماً لصخرة صماء بسبب وقوف ابراهيم عليها فقال « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » الى آخره يقال فى جواب ذلك إن الاحتجاج بهذه الآية على وجوب تعظيم القبور والصلاة فيها واليها وتقبيلها والطواف بها كالاحتجاج بقوله تعالى « فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » الى آخر الآيات على وجوب الصلاة الى القبور والى شطر القبور وكالاستدلال بقوله تعالى « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » على وجوب الحج الى المشاهد وقبور الصالحين من النبيين والأولياء وكالاستدلال بقوله تعالى « وليطوّفوا بالبيت العتيق » على

وجوب الطواف بالأضرحة وبالمقامات ويقال فى ذلك كله مثل ما قال هذا الرجل هنا : اذا كان الله أوجب استقبال المسجد الحرام وقت الصلاة لأن ابراهيم عليه السلام هو الذى بناه احتراما وتيمنا وتعظيما فكيف لا يكون هذا الاستقبال واجبا لمسجد خير الخلق وخاتم النبيين وسيدهم وفيه جسده الطاهر وقبره الشريف وقد صلى فيه ما شاء أن يصلى وقام فيه لله ما شاء أن يقوم ودعا فيه الى الله ما شاء الله أن يدعو . وهو الذى أمر ببنائه وقد بنى مع البانين بيديه الشريفتين . وقد جاءت فيه الفضائل المتكاثرة وقال فيه عليه السلام « ما بين منبرى وبيتى روضة من رياض الجنة » وقد دفن معه هناك أكرم الأجساد على الله وعلى المسلمين بعد الرسول الكريم جسدا أبى بكر وعمر . وان مثل هذا البناء وهذا المسجد لخليق بالاحترام والتعظيم وخليق بأن يكون فرضا على المؤمنين استقباله فى الصلاة وواجبا كما كان ذلك واجبا على المسلمين الى المسجد الحرام لأن ابراهيم خليل الله قد بناه ورفع قواعده وطهره للطائفين والراكعين والساجدين ؟

وكذلك يقال اذا كان الله أوجب الحج الى البيت العتيق وأوجب الطواف به وأوجب سائر أعمال هذه الفريضة ، وهذا البيت لا يزيد فى الظاهر عن أن يكون أحجاراً وبناءاً وترابا ، فكيف لا يكون الحج واجبا الى مشاهد الأنبياء والأولياء ومطارح أجسادهم الطاهرة ورفاتهم الكريم ونفوسهم الزكية : ان مثل هذه المشاهد لخليقة بوجوب هذه الفريضة اليها كما وجبت الى البيت العتيق الذى بناه نبى الله ابراهيم ! !

فان كان هذا الاحتجاج وهذا القول صحيحين مقبولين كان احتجاج هذا الشيعى وقوله صحيحين مقبولين ، وإن لم يكن هذا صحيحا ولا مقبولا وهو بلا شك غير صحيح وغير مقبول لم يكن قوله صحيحا ولا مقبولا فهما سواء فان صح أحدهما صح الآخر وإن بطل أحدهما بطل الآخر ، وهذا تلميح لا توضيح ، على

أن هذا الرجل لو كان بصيراً حقا بما يقوله عليما بمواقع كلامه لعلم أنه غالط فى هذا الاستدلال والقياس غلطا مبينا ، وذلك أنه يستدل بقوله : « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » على أنه يشرع تقبيل القبور والتمسح بها والتبرك وشد الرحال اليها وسائر هاتيك الدعاوي ، ولكن من ذا الذي قال له ان هذه الأعمال تجوز كلها وتشرع كلها فى مقام ابراهيم ؟ ومن الذي سلم له وقال انه يجوز تقبيل مقام ابراهيم والتمسح به والاستشفاء وطلب البركة حتى يصح أن يكون دليلا أو شبه دليل على جواز ذلك فى غيره ؟ وقد أخرج الطبرى فى تفسير هذه الآية عن قتادة أنه قال : إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه

وقد اختلف المفسرون ما المراد بمقام ابراهيم فى الآية ، فذهب ذاهبون الى أن مقام ابراهيم هو الحرم كله . أفيرى هذا الرجل أن الحرم كله يجوز تقبيله والتمسح والاستشفاء به وكل ما يدعيه هـذا المصنف فى المشاهد والقبور ؟ ان كان يجيب بالايجاب لم يعبأ به ولا بجوابه ، لأنه خلاف الاجماع والضرورة . وقد ثبت فى صفة حج النبي الكريم ﷺ أنه قام خلف مقام ابراهيم وصلى وقرأ « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى »

والذي نراه ونرضاه ، أن الأمر بالصلاة فى المقام ليس لأجل أن ابراهيم قام فيه وصلى ، وليس لأنه مقام ابراهيم أو مقام غيره من النبيين ، بل انما كان ذلك لأنه من بيت الله ، ولأن الله أراد من المؤمنين الصلاة فيه لأمر يعلمه وإن جهلوه ؛ وإنما قيل مقام ابراهيم لأنه معلوم بهذا الاسم معروف به ، ولو كان ذلك لأجل ما ذكر الشيعى لكان مقام سيد الأنبياء وخاتمهم أولى وأجدر بهذا الأمر وهذا الايجاب ، ولكان اتباع آثاره والصلاة فيها مطلوبا مشروعا ، ولكن ذلك ليس مطلوبا وليس مشروعا بل هو منهى عنه كما تقدم عن الصحابة ومن بعدهم من الخلفاء وأئمة آل البيت ، وقد تقدم أن عمر أنكر على الذين رآهم يتعمدون الصلاة

فى المسجد الذى صلى فيه الرسول ﷺ وأمر بقطع الشجرة التى وقعت تحتها بيعة الرضوان لما رأى قوماً يتعمدون الصلاة تحتها ، وتقدم رأى على بن الحسين المعروف بزين العابدين وروايته ورأى الحسن بن الحسن وروايته ، وتقدم قول الامام مالك وقول غيره من علماء السلف ، وتقدم قول الامام الشاطبى وغيره من علماء الاسلام والسنة . تقدم أن السلف بالاجمال كانوا يكرهون اتباع آثار الأنبياء والصالحين ويرون فى ذلك ذريعة عظمى الى عبادة المخلوق والى فساد العقيدة والذوق والعقل

وليس من ريب أنه لو كان اتباع آثار الأنبياء والصالحين مرغوباً فيه لفعله السلف وتعمدوه ولفعله الصحابة وأئمة الاسلام المرغوب فيهم وفى الاقتداء بهم ، ولكن لا يحفظ عن أحد من الصحابة ولا عن أحد من الأئمة المعترف لهم بالامامة الدينية أنه تعمد شيئاً من ذلك ، فلا يحفظ عن أحد منهم أنه تعمد غار حراء أو غار ثور أو غيرهما ليصلي فيه أو ليدعو أو يتحنث كما كان يفعل ذلك رسول الله ﷺ ، ولو أنهم كانوا يعلمون فى ذلك فضيلة وأجراً لتسابقوا اليه ولبادروا الى الأخذ به ، ولو أنهم كانوا يفهمون من شرعة الحج وقصد مشاعره ومن قوله تعالى : « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » هذه الروح وهذا المعنى الذى يذكره هذا الرافضى لكانوا بلا شك من السابقين اليه العاملين به ، ولا يجرؤ لا هذا الرجل ولا غيره أن يدعى أنهم كانوا يقصدون ذلك ويفعلونه كما لا يقدر أن يدعى أنهم كانوا يعرفون فى ذلك فضلا وأجراً فيرغبون عنه ، كما لا يقدر أن يدعى أنهم كلهم جهلوا هذا الفضل جهلا تاماً عاماً حتى جاء هذا الرجل وغيره من الغلاة فهُدوا اليه. هذه أمور واضحة بينة

وقد قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى الجزء الثامن من كتاب فتح البارى شرح صحيح البخاري ما يأتى :

« تكملة : قال ابن الجوزي إنما طالب عمر رضى الله عنه الاستنان (١) بابراهيم عليه السلام مع النهى عن النظر فى كتاب التوراة لأنه سمع قول الله فى حق ابراهيم « انى جاعلك للناس إماماً » وقوله « أن اتبع ملة ابراهيم » فعلم أن الائتمام بابراهيم من هذه الشريعة ، ولكون البيت مضافا اليه وأن أثر قدميه فى المقام كرقم البانى فى البناء ليذكر به بعد موته ، فرأى الصلاة عند المقام كقراءة الطائف بالبيت اسم من بناه . انتهى وهى مناسبة لطيفة » انتهى كلام ابن حجر ومعنى هذا الكلام أن الله أمر بالصلاة فى مقام ابراهيم اقتداء به عليه السلام لا كما يدعى هذا الرافضى

وقوله هنا « لأن احترام من جعل الله له حرمة احترام لله وعبادة » نقض على ما قاله فى الأمر الرابع عشر فى معنى العبادة فانه زعم هنا أن الاحترام عبادة لله وفى الأمر الرابع عشر ارتاب جداً فى معنى العبادة ولم يدر ماهي وأيقن أنها ليست هى العبادة اللغوية ولم يجعل منها نهاية التعظيم والاحترام ولا الدعاء والتضرع لله بل ولم يجعل دعاء الله هنالك عبادة لله شرعية ، وهنا اعترف بأن الاحترام عبادة ، بل اعترف بأن احترام الصالحين والأنبياء عبادة لله

وحينئذ يقال له اذا كان احترام الصالحين عبادة لله فكيف لا يكون احترام الأحجار والاشجار عبادة إما لله وإما لغيره ؟ وأحسب أن هذا الرجل لا يمكن أن يدعى أن احترام الاحجار والاشجار عبادة لله ، واذا لم يكن عبادة لله كان عبادة لغيره اذا ما كان الاحترام عبادة كما يدعى هنا وأما لو ادعى أن احترام الاشجار والاحجار وتعظيمها عبادة لله لكان هذا ادعاء أن المشركين وعبدة الاحجار والاشجار والتماثيل غير مخطئين وغير ضالين ، ولكان هذا ادعاء يخالف الاسلام جهرة ، ومن ادعى وجوب احترام القباب المشيدة على القبور ، واحترام الشبابيك والستائر المنصوبة على أضرحة الصالحين والنبيين ، واحترام الأبنية القائمة فوقها

(١) وذلك أن عمر طلب الى الرسول الصلاة فى مقام ابراهيم

ـ لأن ذلك كله متصل بذلك النبي أو بذلك الولي ومنسوب اليه ـ لكان مثل هذا الادعاء وجوب احترام الارض التي وطئها الصالحون والنبيون ، والمنازل التي نزلوها ، والبيوت التي ملكوها وسكنوها ، والكهوف التي حلوها ، والأثواب التي لبسوها ، والاشياء التي لمسوها ولامسوها ، ومن ادعى وجوب تعظيم ذلك كله واحترامه على النحو الذي يريده هذا الرافضي كان بلا ريب من الهالكين المبعدين ولا مسرة ولا كرامة

وليعلم أن من جملة معاني التعظيم والاحترام بل من شروط ذلك لدى هذا المصنف التقبيل والطواف والتمسح والتبرك والبناء وتعليق الستائر والزينات الى آخر ماتصنعه الشيعة لدى القبور المعظمة . فمن تعظيم الامر واحترامه عند هذا الشيعي تقبيله والطواف به والتمسح والتبرك والاستشفاء به . فاذا ما ادعى وجوب تعظيم كل ما يتصل بالأنبياء والصالحين ـ وهذا مايدعيه ـ فقد ادعى جهرة وجوب تعظيم كل البلاد والمنازل والغيران والاحجار والاشجار والأثواب والجمادات والحيوانات التي اتصل بها نبي أو ولي ، وبعبارة أوضح وأصح فقد ادعى وجوب تقبيل ذلك كله واستلامه والطواف به والتمسح والتبرك والاستشفاء به ، ومن ادعى أن هذه الأمور كلها من الدين فقد اعترف جهاراً بالشرك وبعبادة الأصنام والأحجار وأتى بأم الدواهي وكبرى الكبريات ، ونعوذ بالله من هذا

وقوله : « فهو كتقبيل الحجر الأسود وتعظيم الكعبة والمساجد والتبرك بماء زمزم وسجود الملائكة لآدم » جوابه أن نقول قد قدمنا الكلام عليه في صدر هذا الكلام

وقوله : « وان كان لورود النهي فانه لا نهي كما سوف يجيء » جوابه يأتي فيما يأتي

الأمر السادس عشر

قال الرافضي : « الأحكام لاتغير الموضوعات . فاذا كان الموضوع على حالة أو صفة قبل الحكم كان كذلك بعد الحكم ، وهذا من البديهيات التي لا يشك فيها من عنده أقل إلمام بالعلوم . مثلا اذا حرم الشرع شتم زيد أو أوجبه وكان الشتم في نفسه مع قطع النظر عن الحكم بتحريمه أو وجوبه إهانة لزيد لايصير بعد التحريم أو الوجوب احتراماً له ، وكذا لو أوجب إضافة زيد أو حرمها وكانت في نفسها إكراماً له لا تصير بعد ايجابها أوتحريمها إهانة له ، واذا كان تعظيم المخلوق واحترامه والتبرك به والقيام في خدمته بغاية الذل والخضوع وما أشبه ذلك عبادة له وشركا بالله فاذا أوجب الله تعظيم المخلوق واحترامه والتبرك به وإطاعته والذل والخضوع له ، ونحو ذلك لم يخرجه هذا الوجوب عن كونه عبادة وشركا ، بل يكون الله قد أوجب الشرك وعبادة المخلوق ، لأن الحكم لايغير الموضوع

« اذا عرفت هذا فاعلم أن وجوب تعظيم المخلوق من جماد وانسان واحترامه والتبرك به وإطاعته والقيام في خدمته بغاية الذل والخضوع وما ينتظم في هذا ثابت في الشرع بلا شك ، فقد أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ، ويعقوب وأولاده بالسجود ليوسف ، والولد بتعظيم الوالدين وخفض جناح الذل لهما ، وأمر باطاعة الرسول وأولى الأمر وبالائتمار بأمره والانتهاء عن نهيه وعدم رفع أصواتنا فوق صوته ، وأمر بتعظيم المساجد والكعبة والطواف بها وتعظيم المقام والحجر الأسود وبئر زمزم والتبرك بمائه وتعظيم الحرم الى غير ذلك مما ورد في الشرع ، فلا بد حينئذ من التزام أحد أمرين إما القول بأنه ليس كل تعظيم عبادة وشركا ، أو القول بأن الله أمر بالشرك وعبادة غيره ، ولما كان الشرك قبيحاً منهياً عنه موجباً للخلود في جهنم ، يغفر الله ما دونه ولا يغفره بنص القرآن لم يمكن أن يأمر الله به ، فتعين

القول بأنه ليس كل تعظيم عبادة موجبة للشرك ، انتهى كلام الشيعي

والجواب على هذا من وجوه :

(الأول)

قوله الأحكام لا تغير الموضوعات الى آخره ، إما أن يريد أن الأحكام لا تغير أحكام الموضوعات أو يريد أن الأحكام لا تغير حقيقة الموضوعات وماهيتها ؟ انه يريد بلا شك الأول بدليل ما ذكره من المثل بعد ذلك كشتم زيد وإضافته وكذا ما ذكر من تعظيم المخلوقات والتبرك بها وسائر ما ذكره فى هذا ، فانه كله يدل على أنه يريد أن أحكام الموضوعات لا تغير أحكام الموضوعات ، وليس بممكن أن يكون يريد أن الأحكام لا تغير نفس حقيقة الموضوعات وماهيتها ، فان ذلك لا يناسب موضوع البحث ، ولا يخالف فيه أحد ، ثم لا يحتاج الى الكلام والاحتجاج ، ولو أنه أراد هذا وأقام عليه الدليل الجلى لما أفاده شيئاً البتة ، لأن موضوعنا هنا يتعلق بأحكام الشرعيات وأحكام الأشياء ولا يتعلق بحقائق الأشياء وحقائق الموضوعات ، وهكذا مباحث الشرعيين جميعاً متعلقها أحكام الأشياء لا حقيقة الأشياء ، وإلا لو فرض أنه يريد الثانى أى يريد أن الأحكام لا تغير حقيقة الأشياء نفسها ثم أتى عليه بالحجج الكافية لما كان هذا دالاً على ما يريد إثباته هنا ، فاننا نقول آمنا واعترفنا أن أحكام الأشياء لا تغير حقيقة الأشياء ولا تغير حقيقة الموضوعات ، فماذا عساه يستفيد من هذا ؟ انه لا يدل مطلقاً على أن أحكام الموضوعات لا تتغير وهو يريد هنا تناول الأشياء وأحكامها لا حقيقتها وماهيتها

وإذ قد علم أنه يريد ها هنا أن الأحكام لا تغير أحكام الموضوعات احتيج مرة أخرى الى معرفة الأحكام التى لا تغير الأحكام ، وورد سؤال : ما معنى الأحكام لا تغير الأحكام ؟ فان ظاهره فاسد متهافت متدافع . وليس هذا من

الكلام الواضح الصحيح ، فليس من الصحيح أن يقال ان أحكام الموضوعات لاتغير أحكام الموضوعات ، فانه ان كان يعنى بالأحكام فى الأول والثانى الأحكام الشرعية كان هذا غير صحيح ، فان الأحكام الشرعية إذا وردت على الأحكام الشرعية كانت الأحكام الأخرى ناسخة للأحكام الأولى ان كانت مخالفة لها ، ومؤيدة مقوية ان كانت موافقة لها ، ومن المعهود في الشرع النسخ والتأييد والتقوية فماذا يريد إذن ؟ الذى يبدو لنا أنه يعنى أن الأحكام الشرعية على الأشياء لاتغير أحكام الأشياء العادية ، فاذا كان عند الناس زواج الأمهات والبنات فى عصر من العصور فى قطر من الأقطار حسنا وجميلا فنزلت شريعة من السماء تنادى بتحريم هذا النوع من الزواج ذاكرة أنه من القبائح المحرمة شرعاً ، لم يكن هـذا الحكم الشرعى السماوى مغيراً لحكم العادة القاضي بأن هذا النوع من الزواج حسن لاقبيح وهذا كالمثالين المذكورين فى إضافة زيد وشتمه . فاذا كان هذا هو ما يعنى قيل له لا ريب أنه غلط جلى ظاهر ، فان أحكام الشريعة على الأشياء أو الموضوعات كما يعبر الشيعى تغير أحكام العادة والعرف على الأشياء أو الموضوعات كما يعبر الشيعى بلا خلاف بين المسلمين ، فقد تحكم العادة بأن شيئا من الأشياء حسن جميل لايخجل فاعله ولا يندم بل وأنه ايمان وطاعة لله فتأتى الشريعة المنزلة من السماء فتغير حكم العادة والعرف وتبـدل معالمه ، وتقضى بأن ذلك الشىء الذى حكم عليه العرف بالحسن والجمال والايمـان قبيح وشر وكفر وشرك بالله ، وقد يكون عكس ذلك تماما . فتحكم العادة على الشىء بالقبح والشر فتأتى الشريعـة فتحكم عليه بالحسن والطاعة . وهذا مما لا نزاع فيه

والشرائع السماوية ما جاءت بالاجمال إلا لتغير أحكام العادات البـاطلة ، وتبدل معالمها

ولقد كان حكم العادة عند الناس قبل الاسلام جواز عبادة الأحجار

والأشجار ، وعبادة الأصنام والأوثان والصالحين . وكانت هـذه العبادة عند أولئك القوم جميلة ورضا لله وللآلهة المعبودة . فأتى الاسلام وحكم بأن تلك العبادة قبيحة وكفر بالله وغضب له وعصيان . وعصيان لنفس من كانوا يعبدونهم من الأنبياء والصالحين . فغيرت الشريعة السماوية حكم العادة . فصار الناس الذين كانوا يرون تلك العبادة عقلا وطاعة لله يرونها جهلا وعصيانا له . وكذلك كان حكم العادة في ذلك العصر عند أولئك الناس يرى من الحسن والطاعة وأد البنات والبنين خشية الفقر وخشية العار ، فجاء الاسلام وحكم بأن هذا الوأد قبيح شنيع ، وإثم كبير ، فصار الناس يعدونه قبيحا شنيعا حتى الذين كانوا يصنعونه

وكذلك كانت عند الناس في ذلك العصر أنكحة كثيرة يصفونها بالجمال والجواز والحسن . فجاء الاسلام حاكما على تلك الأنكحة بأنها القبح والشناعة الشنعاء فصارت قبيحة شنيعة عند الله وعند الناس

وكذلك يقال في كثير من عبادات المشركين وعاداتهم فانهم كانوا يرونها جميلة فجاء الاسلام وحكم عليها بالقبح فصارت كذلك ولم يبق لها ما كان يظنه الجاهلون من الحسن والحل والجواز

وقد تجرى عادة قوم في عصر من العصور على أن شيئا من الأشياء القولية والفعلية أمر يمتدح به ويفتخر ، فتأتى شريعة الاله وتحكم على ذلك الشيء الممتدح به المفتخر أنه أمر قبيح يذم فاعله ويعاب فيصبح كذلك في عرف أولئك القوم الذين كانوا يرون ذلك الرأى فيه . وقد يكون عكس ذلك . وهـذا أمر لا يتنازع فيه . . .

وإذا كانت العادة تغير حكم العادة ـ وهذا مما لا خلاف فيه أيضا ـ فان حكم الشريعة الالهية لن يكون دون ذلك ، ولن يعجز عما قدرت عليه العادة وحكم العادة . وقد تحكم عادة عصر وقوم بأن أمراً من الأمور حسن فتأتى عادة عصر

آخر وقوم آخرين فتحكم بأن ذلك الأمر عينه قبيح مذموم فاعله ، واذا ما كانت العادة كذلك فالشريعة لن تقل عن أن تصنع صنع العادة بالعادة . هذه حقائق واضحة جلية أولية . وهي لا تتعلق بموضوعنا كثيراً لولا أن هـذا الرافضي حشدها ، وحشرها في بحثه . فـكان لزاما علينا أن نتعرض لها تعرض موجز مختصر عجل . . .

وما ذكر من شتم زيد وإضافته ليس صحيحا ولا حقا أيضا ، فان المثالين كما ذكرا ليسا موافقين لبحث المسألة ولا ملائمين لما يراد ، وإنما يصح المثالان أن يقال ليفرض أن شتم زيد كان عدلا وجائزاً وفخرا لشاتمه فجاء الشرع وحكم بأن شتم زيد ظلم وعيب في شاتمه ، أفلا يكون بعد حكم الشرع عليه بأنه ظلم وعيب كذلك ؟ وكذا ليفرض أن الضيافة كانت مطلقا مكروهة معيبة في الضيف والمضيف ، فجاء الشرع وحكم عليها بأنها جميلة وفضيلة في الاثنين معا ، أفلا تكون كذلك ؟ أظن الجواب نعم ، هذا ما لا شك فيه

فلا ريب إذن أن أحكام الشرع تغير أحكام العادة واصطلاحات الناس على الموضوعات وتريهم ما كانوا يعدونه عيبا وعارا فضيلة وفخرا ، وما كانوا يعدونه فضيلة وفخرا عارا وعيبا

(ثانيا)

قوله : « وإذا كان تعظيم المخلوق والتبرك به والقيام في خدمته بغاية الذل والخضوع عبادة له وشركا بالله فاذا أوجب الله ذلك لمخلوق ، لم يخرجه الايجاب عن أن يكون عبادة وشركا ، بل يكون الله قد أوجب عبادة المخلوق والشرك به »

يقال في جوابه محال أن يوجب الله تعظيم مخلوق والتبرك به والقيام في خدمته بغاية الذل والخضوع ، ومحال أن يبيح الله ذلك لعبد من عبيده لا الأنبياء ولا من

دون الأنبياء . والله لا غيره هو الذي يجب على العباد أن يعظموه غاية التعظيم وأن يقوموا فى خدمته وطاعته بغاية الذل والخضوع . وغيره سبحانه لا يجوز له ذلك البتة

وأى مسلم يجوز أن يقول إن العبد المسلم يعظم عبدا آخر غاية التعظيم ويقوم فى خدمته بغاية الذل والخضوع ؟ وإذا ما كانت غاية التعظيم جائزة لغير الله وكانت غاية الذل جائزة لغيره تعالى وكانت غاية الخضوع جائزة لعباد الله فما الذى بقى لله من ذلك . وما الذى يجب إفراده به من التعظيم والخدمة والخضوع والذلة ؟ انه لا شيء لله حينئذ من ذلك

أليس أكبر مظاهر الخضوع والذل والتعظيم هو السجود والركوع . ثم الصلاة جملة ! وهل هنالك مظهر لغاية الذل وأبلغ الخضوع أعظم من السجود والركوع والصلاة ؟ أيقول هذا الشيعى ان السجود والركوع والصلاة لغير الله من جماد وحيوان وحجر وشجر جائزة لأن هذه الأمور هي أعظم مظاهر الخضوع وأبلغ الذل والتعظيم ، وقد قال إن ذلك جائز لغير الله ، ان كان يجب عنده حقا أن يعظم المخلوق من جماد وحيوان وإنسان غاية التعظيم ويذل له غاية الذل ويخضع له غاية الخضوع تقربا الى الله وتدينا كان ولا ريب واجبا السجود والركوع والصلاة للمخلوق : الأنبياء ومن دون الانبياء . لأن هذه الاشياء هى غاية مظاهر الخضوع والذلة البالغة ؟ واذا كان السجود والركوع والصلاة جائزة لغير الله كان غير الصلاة من العبادات كالحج والنذر والذبح والصيام والزكاة وغير ذلك جائزا أيضاً لغير الله . وكان جائزاً للمسلم المؤمن أن يؤدى جميع العبادات العملية والقولية من واجبات وسنن للانبياء وغير الأنبياء من حجر وشجر وناطق وصامت تقربا الى الله بذلك إذ لا يمكن أن يقول قائل يعقل مايقول بجواز الصلاة والركوع والسجود للمخلوق ثم يقول ان العبادات الاخرى كالصيام والزكاة والحج لا تجوز

إلا لله فالنتيجة التي لا ريب فيها لكلام هذا الرجل جواز جميع العبادات الفعلية والقولية لغير الله تقربا الى الله

واذا كانت العبادات كلها تجوز بل تجب للعباد فما الذي بقي لله وحده لا شريك له ، وبماذا يوحده الموحدون ؟ الجواب وا أسفاه لا شيء

ما أبعد مزاعم هذا الرجل عن القرآن وعن روح الاسلام ومعنى الاسلام وما اتفقت عليه كلمة المسلمين ، وعقدت عليه ضمائرهم ! وما أكثر هذه المزاعم مخاصمة لقوله تعالى « قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » وبقوله تعالى « إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً وما أنا من المشركين » ولنظير قوله « ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله » ولقوله أيضا « وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له » وقوله « فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص » وقوله « فاياي فارهبون » وقوله « فلا تخشوا الناس واخشون » وغير ذلك من آى الكتاب

ولو أن فطينا تدبر كلمة « ومحياي ومماتي لله رب العالمين » وخلص من الأوهام وعقابيل العقائد الطاغية لكفته دليلا وحجة على أن الاسلام يريد من أهله أن يخلصوا لله جملة وأن يهبوه كل خضوعهم وخشوعهم وذلهم وخوفهم وقلوبهم وقوالبهم وأن يهبوه ذلك كله وحده لا شريك له وألا يهبوا غيره منه لا قليلا ولا كثيرا

وقد سمى الله الدين المنزل على جميع الانبياء (الاسلام) وكلمة الاسلام صريحة في أن المسلم هو الذي يستسلم لله وحده ويسلم له كل شيء فيه ويمنحه ظاهره وباطنه ومادته ومعناه لا يشرك به شيئا . ولعل من العجائب أن تكون هذه الآيات بعض ما في القرآن ثم يذهب من يدعي الايمان بالقرآن ومن يدعي الاسلام يزعم ويكتب زعمه في كتاب ينشره على الناس أنه واجب على المسلم أن يخضع غاية

الخضوع ويذل غاية الذل للمخلوقات لا الأنبياء وحدهم بل ولا الانسان وحده بل للجماد من أحجار وأشجار . وقد قدمنا أن الصحابة ما كانوا يقومون للرسول الكريم تعظيما له وإكبارا . لأنهم كانوا يعلمون كراهيته ذلك وقدمنا أنه أنكر عليهم القيام وراءه فى الصلاة قائلا « إن كدتم تفعلون فعل فارس والروم . فلا تفعلوا » وأنه نهاهم عن القيام له فى مواضع معلومة . ولهذا ما كانوا يقومون له وهذا معلوم بالنقل الصحيح . وعجيب أن يتأبى الرسول القيام لنفسه ولمن هو دونه ويدع ذلك المسلمون رعيا لكراهية النبى عليه السلام ثم يقوم مسلم يدعى بأن الجمادات والمخلوقات يجب تعظيمها غاية التعظيم ويجب الخضوع لها غاية الخضوع والذل لها غاية الذل !

وفى كتاب نهج البلاغة المنسوب الى الامام على الذى تزعم الشيعة أنه أعلى وأسمى مما ثبت فى البخارى ومسلم ما يأتى :

« قال ولقد لقى عليا رضى الله عنه عند مسيره الى الشام دهاقين (١) الانبار (٢) فترجلوا له واشتدوا بين يديه . فقال ماهذا الذى صنعتموه ؟ فقالوا خلق منا نعظم به أمراءنا . فقال على والله ماينتفع بهذا أمراؤكم ، وانكم لتشقون به على أنفسكم فى دنياكم وتشقون به فى آخرتكم . وما أخسر المشقة وراءها العقاب . وأربح الدعة معها الامان من النار »

فاذا كان مثل هذا منكراً عند على رضى الله عنه مؤاخذاً عليه عند الله فاعجب أن يجوز ما يدعيه هذا الرافضى للانسان والجماد من التعظيم والذلة والخضوع وقد قدمنا أيضا أن رسول الله عليه السلام أنكر على رجل قال له ماشاء الله وشئت وقال له أجعلتنى لله نداً بل ما شاء الله وحده . وأنكر على من قام بين يديه وقال خطيباً : من يطع الله ورسوله فقد رشد . ومن يعصهما فقد غوى . وقال له بئس

---

(١) الدهاقين زعماء الزراع (٢) الأنبار بلدة فى العراق

الخطيب أنت . قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى . وهذا فى صحيح مسلم وأنكر على من قالوا له نستشفع بك على الله قائلا « شأن الله أعظم من ذلك . انه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه » . وقد حضر سارق بين يديه وقال أتوب الى الله لا الى محمد . فقال عليه السلام : « أما هذا فقد عرف الحق لأهله » وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها لما نزلت براءتها من السماء وقال لها أبواها قومى الى رسول الله واشكريه : كلا والله لا أحمد إلا الله ولا أحمد غيره فهو الذى أنزل براءتى . وهذا فى صحيح البخارى وغيره . وأنكر قول من قالوا له أنت سيدنا وابن سيدنا قائلا لهم : أيهـا الناس لا يغوينكم الشيطان ولا يفتننكم ، وكان من أقواله المشهورة الصحيحة : لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم . إنمـا أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله . الى أشياء أخرى كثيرة فى هذا الباب

فمن العجب أن تكون هذه من أقوال الرسول الكريم ﷺ ثم يقوم من يدعى الاسلام مدعياً أن المسلم يجب عليه أن يخضع لعبد مثـله غاية الخضوع وأن يذل له غاية الذل وأن يعظمه غاية التعظيم ، ثم يزهى هذا القائل بأقواله هذه ويعجب بها فيضعها فى قرطاس يحاول أن ينشره بين الناس ليروا رأيه

ثم من العجب ألا يكون هذا التعظيم وهـذا الذل والخضوع واجباً للأنبياء وللانسان فقط بل يدعى أنه واجب للحيوان والجماد والحجر والشجر أيضا ، ثم يقول بعد هذا إذا فرضنا أن هذه الأشياء المذكورة عبادة لمن كانت له ، ثم فرضنا أن الشارع أمر بها لمخلوق نبى أو ولى أو حيوان أو جماد لم يلزم أن يكون الشارع أمر بعبادة غير الله ولا بالاشراك به ولم يلزم أن تكون الأمور المذكورة المأمور بها عبادة وإن كانت قبل الأمر بها عبادة ، هذا معقول على رأى هذا المصنف ، ونظيره عنده أنه ذكر فى الأمر الرابع عشر أن السجود من جملة العبادة ، وأن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم ، وأن يعقوب و بنيه وزوجه سجـدوا ليوسف ثم ذكر فى

هذا الأمر أن الله لا يمكن أن يأمر بعبادة غيره ولا أن يأمر بالاشراك به ، فالسجود إذن باعترافه عبادة والله أمر به للمخلوق باعترافه أيضاً ، والله لا يأمر بعبادة غيره باعترافه أيضا ، إذن فالسجود كان عبادة فلما أن أمر الله به للمخلوق لم يكن عبادة ولا أمراً بعبادة غيره لأن الله لا يمكن أن يأمر بعبادة غيره كما يقول هذا الشيعى وهذا نقض على قوله هذا بين ظاهر لاحيلة له فى دفعه

(ثالثا)

قوله « ان وجوب تعظيم المخلوق من جماد وانسان واحترامه والتبرك به وطاعته والقيام فى خدمته بغاية الذل والخضوع وما ينتظم فى هـذا السلك ثابت فى الشرع » قول هو احدى مصائب الدهر ومآسيه

كان الناس العقلاء يزدرون عقول عباد الشمس والقمر وعباد النار والبقر وعباد الكواكب والحيوانات وعباد الانسان والجان والملائكة : كانوا يزدرون عقول هؤلاء الذين فتنوا بهذه المخلوقات فعظموها وذلوا لها واستبطنوا الخضوع والمهانة والخوف والرجاء لها ، فاذا بامام من أئمة الشيعة ومجتهديهم ، من يدعى بالمجتهد المطلق وبالسيد الأمين يتوقل الدرجات ويسمو ثم يسمو فيسمو على الأقران والفرسان فى هـذا الميدان ، فيذهب يزعم أن المسلم صاحب دين التوحيد الصفى الخالص ، وصاحب القرآن دين التوحيد والافراد يجب عليه أن يهون ثم يهون ويذل ثم يذل ويخضع ثم يخضع حتى يهوى ويسرف فى الهوىّ والانحدار حتى يضع نفسه فى سفلى الدركات ، ويصير تحت أرذل المخلوقات فيذل غاية الذل للجمادات ويخضع لها غاية الخضوع ويعظمها غاية التعظيم ، ثم لا يكفيه هـذا كله بل يذهب يقول ويكتب ما يقول : انه واجب على المسلم أن يقوم فى خدمة الجماد من حجر وشجر بغاية ما يقدر عليه من خشوع وخضوع وذلة وخشية ، ثم لا يكفيه هذا كله

بل يذهب يطلب البركات من الجماد كالأحجار والأشجار ، والبركات هي الزيادات ، أى يذهب يطلب الزيادة من هذه الجمادات ، الزيادة فى العمر وفى المال والعقل والروح والدين والبنين ، وفى الماديات والروحانيات ، ممن يطلب هذا ؟ انه يطلبه من الجمادات الأحجار والأشجار والصخور والرمال ، ماذا يطلب منها ؟ انه يطلب منها البركات ، وعلى حد تعبيره هو يتبرك بها ، وماذا يعنى بالتبرك ؟ انه يعنى به طلب البركات أى الزيادات ، ثم يعنى به العكوف عليها والتمسح بها والتقبيل لها وتقريب القرابين اليها والانقطاع على وجه الاجمال اليها ، أهذا كله يصنعه المسلم للجماد الصامت ؟ أجل ، ثم لايكفى كل هـذا بل يجب عليه أيضا أن يطيع الجمادات وأن ينقاد لأوامرها وينزجر عن نواهيها ، أوَ يمكن أن تأمر الجمادات وأن تتكلم حتى تمكن طاعتها والامتثال لأمرها ؟ أجل . انها تقول وتتكلم ولولا ذلك لما قيل تجب طاعتها

يا لله لدين الاسلام ودين التوحيد من أصدقائه الذين هم أضر عليه من أعدائه ومن القائمين للدفاع عنه الذين هم أشد ايقاعاً به من خصومه ؟ ويحك يا هذا !! اذا كان هذا كله جائزاً أن يعمله المسلم للمخلوقات كلها حتى الجمادات والصامتات فما الذى بقى لعبدة الأصنام وللمشركين والكفار ؟ وبماذا كان المشركون مشركين والكفار أعداء النبوة والأنبياء كافرين اذا كان تعظيم الجمادات غاية التعظيم والذل لها غاية الذل والخضوع لها غاية الخضوع من الاسلام ومن الايمان بالله ؟

أليس غاية الذل والخضوع والتعظيم هو الصلاة والركوع والسجود كما قدم آنفاً . فهل تقول انه جائز أن يصلى المسلم وأن يركع ويسجد للجماد وأن يصوم له ويزكى ويحج وينذر ويذبح ؟ ويح هذا ! ماذا بقى للمشركين بعد هذا ؟

ارجع الى كتب (الملل والنحل) وكتب (السير والأصنام) والى كتاب

(الملل والنحل للشهرستانى) فى مباحث عبدة الأصنام وعبدة الأفلاك والشمس والقمر والكواكب كى تعلم كيف كانت عبادة هؤلاء للاصنام وللكواكب وكيف كانت الوثنية والشرك والكفر . إنك اذا رجعت الى ذلك وجدتهم ينقلون ويصفون شرك المشركين بشكل قد لا يبلغ من الغلو والمغالاة فى الغلو ما تزعمه للجماد والانسان من التعظيم والذلة والخضوع ، وطلب البركات ، وضروب الحاجات

قال الشهرستانى فى كتابه المذكور تحت عنوان « عبدة الأصنام » :

« ولكن القوم لما عكفوا على التوجه الى الأصنام وربطوا حوائجهم بها من غير إذن ولا حجة ولا برهان ولا سلطان من الله ، كان عكوفهم ذاك عبادة وطلبهم الحوائج منها إثبات إلهية لها ، وعن هذا كانوا يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى ، فلو كانوا مقتصرين على صورها فى اعتقاد الربوبية والالوهية لما تعدوا عنها الى رب الارباب »

وقال تحت عنوان (عبدة الكواكب) : « وهي (أى الشمس) ملك الفلك يستحق التعظيم والسجود والتبخير والدعاء ، ومن سنة عباد الشمس أن اتخذوا لها صنما له بيت خاص ووقفوا عليه ضياعاً وقرى وله سدنة وقوام ، فيأتون البيت ويصلون ثلاث كرات ويأتيه أصحاب العلل والامراض فيصومون له ويصلون ، ويدعون ويستشفعون به » . وقال الشهرستانى أيضا تحت عنوان « آراء العرب فى الجاهلية » :

« أول من وضع الاصنام فى البيت عمرو بن لحى لما ساد قومه بمكة واستولى على أمر البيت ثم صار الى مدينة البلقاء فى الشام ، فرأى قوما يعبدون الاصنام ، فسألهم عنها فقالوا هذه أرباب اتخذناها على شكل الهيا كل العلوية والاشخاص البشرية نستنصر بها فننصر ونستسقى بها فنسقى ، فأعجبه ذلك وطلب منهم صنما

من أصنامهم فدفعوا له « هبل » فسار به الى مكة ووضعه فى الكعبة وكان معه أساف ونائلة ، فدعا الناس الى تعظيمهما والتقرب اليهما والتوسل بهما الى الله »
قال « والعرب أصناف فى ذلك صنف منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الاعادة وأنكروا الرسل وعبدوا الأصنام وزعموا أنهم شفعاؤهم عند الله فى الآخرة وحجوا اليها ونحروا لها الهدايا وقربوا لها القرابين وتقربوا اليها بالمناسك والمشاعر وحللوا وحرموا وهم الدهماء من العرب »

ثم قال الشهرستانى بعد هذا :

« فمن كان يعترف بالملائكة كان يريد أن يأتى ملك من السماء (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) ومن كان لا يعترف بهم كان يقول الشفيع والوسيلة منا الى الله تعالى هم الاصنام المنصوبة . أما الامر والشريعة من الله الينا فهو المنكر فيعبدون الاصنام التى هى الوسائل ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا . وكان ود لكلب وهو بدومة الجندل وسواع لهذيل وكانوا يحجون اليه وينحرون له . ويغوث لمذحج ولقبائل من اليمن . ويعوق لهمدان . ونسر لذي الكلاع بأرض حمير . وأما اللات فكانت لثقيف بالطائف والعزى لقريش وجميع بنى كنانة ومناة للاوس والخزرج وغسان . وهبل أعظم أصنامها عندهم ، وكان على ظهر الكعبة أساف ونائلة على الصفا والمروة وضعهما عمرو بن لحى وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة وكان لبنى ملكان من كنانة صنم يقال له سعد وهو الذى يقول فيه قائلهم :

أتينا الى سعد ليجمع شملنا ... فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة بتنوفة ... من الارض لا يدعو لغى ولا رشد

وكانت العرب إذا لبت وأهلت قالت : لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك » ونقل غير ذلك وكذا نقل غيره كابن هشام وغيره
وأنت ترى من هذه النقول التى لا خلاف فيها بالجملة بين أهل العلم أن عبادة

الأصنام كانت عبارة عن تعظيم صور الافلاك وصور البشر المختارين المصطفين وتعظيم الاحجار والاشجار والذلة والخضوع لها وتقريب القرابين والهدايا اليها والاستشفاع والاستشفاء بها، وما يشابه هذا. وهذا هو ما يزعم هذا الرجل أنه مطلوب من المسلمين أن يعملوه كله للجماد وللانبياء والصالحين على أن هذا الرجل يفوقهم في تعميم هذه العبادة وهذا التعظيم والخضوع والتبرك. والذلة للمخلوقات من الاحجار والاشجار وآثار الأنبياء والأولياء. أما المشركون الذين حدثنا عنهم المؤلفون الثقات وحدثنا عنهم القرآن فما كانوا يعممون بعبادتهم جميع المخلوقات من إنسان وحجر وشجر وجماد صامت بل كانوا يختارون من ذلك ما يختارون ويخصون ما يخصون من صور الافلاك النيرة العلوية وصور البشر العظماء المخصوصين بالنبوة والولاية. كما يخصون الملائكة لرفعة قدرهم وقربهم من الله، وما زعموا زعم هذا المسلم الشيعي وما عمموا تعميمه ولا أباحوا ما أباح وهذا ظاهر جلي

والمؤلم حقاً أن يزعم أن هذا ثابت في الشرع! وأين في الشرع ما يأمر بتعظيم الجمادات وما يأمر بالذلة والخضوع لها وطاعة أوامرها لو كانت لها أوامر وما يأمر بالقيام في خدمتها بغاية الذل والخضوع وما يقوم هذا المقام؟ هذا مالا يجد اليه سبيلا وهذا مايعيي طالبه

هذا القرآن من الدفة الى الدفة، ومن الفاتحة الى المعوذتين، ومن المعوذتين الى الفاتحة، أو من ألفه الى يائه كما يقولون، يأمر بالحاح وصرامة بعبادة الله والذلة له والرغبة والرهبة منه والخشوع والخضوع بين يديه وأن يخلص له الدين والرجاء والقصد والتوجه والاستسلام ظاهراً وباطناً قلباً وقالبا، ولكن لن تجد حرفا واحداً يأمر بتعظيم الجماد أو الذلة والخضوع له أو الطاعة لأوامره والقيام في خدمته قيام ذلة وخضوع على وجه من الوجوه. وها هو القرآن وها هي السنة

بل لقد تواتر فى القرآن وفى السنة الصحيحة الحث على افراد الله بالدين واخلاصه له واخلاص العبادة بكل معانيها . وليس هنالك ريب فى دخول هذه المعانى كلها فى مضمون الدين ومشتقات العبادة . كما سلف هذا فى الفصل الخاص بالعبادة

ومن أعجب ما فى هذا أن الشرع نهى عن الصلاة لله وقت طلوع الشمس ووقت غروبها ووقت انحرافها خوفا من أن يكون فى ذلك شبهة فى أن للشمس فى هذه العبادة حظا أو نصيبا ما ، ونهى عن زيارة القبور فى بدء الاسلام وقال طوائف من أهل العلم ان ذلك كان خوفا من أن ينقدح فى صدر الزائر أو يقع على لسانه أو على جوارحه شيء من الغلو فى الاموات المزورين ، وقد تقدم أن عمر بن الخطاب كان ينهى عن اتباع آثار الرسول الكريم ومنازله ، وينهى عن عبادة الله فى الاماكن التى كان النبى الكريم يعبد الله فيها ، وكذلك كان العلماء من السلف كالامام مالك ينهون عن ذلك

ومن أعجب ذلك وأبلغه ما رواه الترمذى وغيره عن أبى واقد الليثى قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ ونحن حدثاء العهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عليها ويعلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط ، فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال الرسول الكريم « الله أكبر . انها السنن . قلتم والذى نفسى بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة »

ولا ريب أن الصحابة ما كانوا يريدون بهذا الطلب أن يجعلهم يعتقدون أن الشجرة الهم وخالقهم ورازقهم ولا يريدون أن يصلوا لها وأن يصوموا وأن يركعوا وأن يسجدوا ، على أن المخالف لايرى فى السجود لغير الله شركا . لايمكن أن يكونوا يريدون شيئا من ذلك ، لأنهم انما نقلوا من هذا وكفروا به فى دخولهم الاسلام ، وانما كانوا يريدون تعظيم الشجرة والتبرك بها والعكوف عليها وتعليق الأسلحة وربط الحاجات بها والنزول تحتها للبركة والاستشفاع ، فقال لهم

النبي الكريم ﷺ ان ما طلبتموه اليوم هو الشرك عينه وهو ما طلبته بنو اسرائيل من نبيهم موسى بلا فرق وان كان هنالك فرق ففي اللفظ فقط . ولهذا تحقيق سيأتي . فلا ريب أن قول هذا الشيعي هنا قول عظيم

(رابعا)

قوله « وقد أمر الله الملائكة بالسجود لآدم والولد بتعظيم الوالدين وخفض جناح الذل لهما وإطاعة الرسول وأولى الأمر الى آخره »

جواب هذا تقدم فى الأمر الذي قبل هذا الأمر أي في الأمر الخامس عشر وفى الأمر الرابع عشر

(خامسا)

قوله « ولا بد حينئذ من أحد أمرين : إما القول بأنه ليس كل تعظيم عبادة وشركا ، أو القول بأن الله أمر بالشرك وعبادة غير الله . والله لا يأمر بالشرك فتعين القول بأنه ليس كل تعظيم عبادة موجبة للشرك »

يقال فى جواب هذا : ان مثل هذا الرجل فيما قاله هنا كمثل من قيل فيه المثل المشهور « وفسر الماء بعد الجهد بالماء » وذلك أن مخالفيه لم يدعوا قط أن كل تعظيم عبادة لمن عظم ، فانهم يرون وجوب تعظيم الرسول ﷺ وتعظيم سائر الأنبياء والمرسلين ، وسائر الصحابة وأئمة الدين ، وهم يعظمونهم التعظيم الخليق بهم ، ويرون أن من لم يعظم الأنبياء والمرسلين فليس بمسلم ولا بمؤمن ، ولا يرون أنهم بتعظيمهم إياهم يعبدونهم ويجعلونهم لله شركاء ولكنهم مع هذا لا يعظمونهم كما يعظمون الله ، ولا يبالغون فى تعظيمهم مبالغة تخرج بهم عن نطاق الذوق والدين والأدب السماوى ، ولا يعظمون أحداً كالله كما لا يحبون أحداً كالله ، ولا يرجون

أحداً كالله ، ولا يخافون أحداً كالله ، ولا يأملون أحداً كالله ، ولا يرهبون أحداً كالله ، ولا يرغبون الى أحد كرغبتهم الى الله ، ولا يطيعون مخلوقا كطاعتهم لله ، وهم يرون أن من سوّى بين الله وبين عباده فى هذه المعانى والأمور فقد فارق الاسلام واعتزل التوحيد المفترض على كل العبيد ، ثم هم يعظمونهم تعظيم العاقل لا تعظيم الجاهل فهم لا يهبونهم حق الله وما وجب له باسم هذا التعظيم وبحجة هذا الاحترام كما صنع أقوام ضلوا سبيل الله وسبيل العقل وتعدوا حدود الله وحدود العقل . فانهم بهذا انتقلوا من تعظيم العباد الى انتقاص رب العباد ، وهذا شر الضلال . ولاشك فى أن من انتقص الله وفرط فى حقه أخلق باللائمة والاثم العظيم ممن تهاون فى تعظيم عباده المصطفين المعظمين وفرط فى حقهم فراراً من إعطائهم حق الله الذي لايكون إلا له لأنه ربهم ورب العالمين

فالمخالفون لهذا الرجل لم يدعوا قط أن كل تعظيم عبادة ولم يتفوهوا بهذه الدعوى لا تصريحا ولا تلويحا ، فان كان كلامه قائماً على أنه ليس كل تعظيم عبادة فليبشر بأنه لا خلاف بينه وبين من يحاول الرد عليهم ، وليعلم أن السلفيين أو الوهابيين كما يعبرهو لايقولون ولا يدعون أن كل تعظيم عبادة . فلينعم بهذا عيناً وليطب بهذه النتيجة نفساً ! ولكنهم يقولون أن من التعظيم ما هو عبادة ومن المعظمين من هم معبودون . فالخلاف هو فى هذا فان كان يوافقهم على هذا كما يبدو من كلامه هنا فقد انقطع حبل النزاع واعترف بأن من التعظيم ما هو عبادة ومن المعظمين من هم معبودون ، واذا ما اعترف بهذا لم يكن له أن ينازع من قال ان هؤلاء المعظمين للأموات المنقطعين اليهم فى سرائهم وضرائهم وفى شدتهم ورخائهم خارجون على عبادة الله عابدون لغير الله . وهذا هو محل الخلاف ومعترك الخصام فان سلم هذا كما هو ظاهر كلامه فقد خسر الموقعة وألقى السلاح ، وان لم يسلم أن من التعظيم ما هو عبادة بأن زعم أن كل تعظيم ليس عبادة البتة فقد صار الى ما لا

يصير اليه عاقل ، فانه حينئذ يلزمه القول بأن من عظم مخلوقا ما من صامت وناطق أبلغ التعظيم وأعمقه بل وإن عظمه فوق تعظيمه لله لايكون مخالفاً للاسلام ولاواقعاً فى أمر يستوجب الكفر ، وهذا لا يقوله مسلم بل ولا عاقل غير مسلم ، وهذا رأس ما ننكره عليه وعلى إخوانه فى كتابنا هذا ، على أننا نقول ان هذا الشيعى لا يسير على نمط واحد ولا على منطق متسق متماسك بل هو يسير على نحو قلق مضطرب ومنطق متدافع متهافت ، وذلك أنه يقول هنا انه لا يمكن أن يأمر الله بعبادة غيره لأن ذاك قبيح شنيع تدفعه العقول وتأباه الألباب الصحيحة السليمة . هذا ما قاله هنا وقد قال فى الأمر الرابع عشر السابق فى معنى العبـادة ان الله قد أمر بعبادة غيره كما أمر الملائكة بالسجود لآدم ويعقوب وأولاده بالسجود ليوسف ، وزعم هناك أنه ليس كل العبادة لله خاصة ، بل الخاص بالله من العبادة قسم مجهول غير معروف ولا معلوم ، وقال أيضا انه لا يمكن أن يزعم أن كل أقسام العبادة خاص بالله وحده لا شريك له

وهذا التدافع فى كلام هـذا الرجل سببه أن صاحبه ليس على صواب وحق فيما يقول وما يكتب ، ولكنه يكتب تموجات فكرية وخطرات غير ثابتة ولا قارة بل هى قلقة مضطربة لا تستقر على حال ولا تسير الى وجه سوىّ بل هنا وهنالك والله هو الهادى وحده ومن وراء كل قصد

الامر السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر

هذه الأمور الثلاثة خاصة بحياة النبى الكريم وبحياة سائر الأنبياء والشهداء بل وبحياة سائر الناس فى قبورهم ، وخلاصة ما ذكره فى هذه الأمور الثلاثة أن الأموات كلهم حتى الكفار منهم أحياء فى قبورهم ، وقد ذكر فى ذلك روايات غالبها ضعيف ، وفيها ما هو موضوع مختلق .

ونحن نقول لسنا ننازع في أن الأموات كلهم أحياء حياة برزخية روحية غيبية بل و لسنا ننازع في حياة الكفار منهم هذه الحياة الغيبية الروحية ، وقد دلت على هذا الدلائل المتكاثرة من الكتاب والسنة ، وأجمع عليه أهل السنة من المسلمين ، وذلك أن المرء بموته تنتقل روحه الى النعيم إن كان من المؤمنين الصالحين ، والى العذاب الأليم إن كان من الكافرين المفسدين ، وقد جاءت الآيات والأحاديث النبوية في ذلك وأجمع عليه المسلمون ما خلا شراذم أنكرت وجود العالم الروحاني مستقلا ، وهذه الشراذم المنكرة محجوجة بنصوص الدين التي ليس هذا مكان بسطها وبيانها ، ولكن الشيء الذي نقوله هنا : أن يعلم أن وجود العالم الروحي ووجود الأرواح بعد موت أصحابها في الجنة أو في النار ليس دليلا على أنهم يستغاثون ويستصرخون ويسألون الحاجات ، لأن وجود أرواحهم كما ذكر ليس برهانا على أنهم يسمعون دعاء من يدعوهم واستصراخ من يستصرخهم ، وليس برهانا على أنهم يقدرون على ذلك وعلى إعطاء ما يسألون لو كانوا يسمعون الاستغاثة والاستصراخ ، ثم لو فرض أنهم يسمعون ويقدرون على إعطاء ما يسألون لم يكن هذا برهانا على أنهم يفعلون ذلك . ثم لو فرض أنهم يفعلونه لم يكن برهانا على أنه مباح للناس أن يسألوهم إياه ، وأن يستغيثوهم لأجله . وذلك لأنه ليس كل ما يفعل ويصنع يكون مباحا طالبه جائزا سؤاله ممن يقضيه ويعطيه ، وليس من ريب أن من ذلك ما هو ممنوع شرعا محرم عقلا ، وذلك كاستجداء الغني غير المحتاج وكطالبه الصدقة من المتصدقين ، فانه اذا سأل وهو غير معروف الحال ولا معروف الغنى يعطى شرعا ولا يجوز منعه ، مع أن استجداء الغني محرم ممنوع دينا ، فيعطى ما هو عليه حرام في الشرع وفي العقل ، وليس إعطاؤه ولا وجوب إعطائه دليلا على جواز سؤاله ما يعطى

ولهذا نظائر كثيرة معلومة ، ولا ريب أن هذه الأشياء كلها لا بد لها من

الدلائل والحجج كى تكون مقبولة ، وأما بغير ذلك فلن تقبل ، وإننا نعلم بالضرورة وبالحجج الكثيرة أنه غير جائز الاستغاثة بالأرواح ولا سؤالها ولا سؤال الأموات واستغاثتهم بحجة وجود أرواحهم وحياتها ، ويدل على ما نقول أمور كثيرة عقلية ونقلية :

(أولها)

أن أعلم الناس بالاسلام وأنفذهم بصراً بالدين وأتقاهم لله وأحرصهم على العمل الصالح ، الذين شهدوا تنزل الوحى ونزول القرآن ، وعرفوا أسباب نزوله ومواقعها وعرفوا مصادرها ومواردها ، والذين شهدوا الرسول الكريم يفسر لهم الكتاب الكريم بأقواله تارة وأفعاله تارة أخرى وعباداته تارات تلويحا وتصريحًا وايماء وتنبيهاً ، والذين هم أعلم الناس على الاطلاق بمرامى القرآن ومقاصد السنة وروحها ونحواها ، وأعنى بهؤلاء صحابة رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار . . . . أقول : إن هؤلاء كلهم يعلمون ـ ولا يشكون ـ وجود الأرواح بعد الموت : أرواح المؤمنين وأرواح الكافرين ، فريق فى الجنة وفريق فى السعير ، ويعلمون ما ذكر الله فى ذلك من دلائل الكتاب والسنة . ولكن أحدا منهم مع هذا لم يحاول يوما أن يسأل ميتا حاجة من حاجاته لا الرسول الكريم ولا من هو دونه لا فى حالات السراء ولا فى حالات الضراء ، ولم يحاول أن يطلب ميتاً قضاء حاجة واحدة من حاجاته التى تلازمه كل وقت والتى لا تنقضى ، وحاجة من عاش لا تنقضى ، ولم يستصرخ الرسول ﷺ ولا غيره بعد الموت لنازلة نزلت أو عظيمة وقعت لازالتها أو تخفيفها أو تلطيفها

وقد أصيب الصحابة بعد موت النبى ﷺ بمصائب متنوعة دينية ودنيوية ووقعوا فى أفانين من أشراك البلاء ووقعوا فى نزاع فى مسائل كثيرة وفى حروب

طاحنة مؤلمة وفى خلاف حاد فى أمور صغرى و كبرى جوهرية وغير جوهرية باعتراف هذا الشيعى وباعتراف طائفة الشيعة كلها ، ولكنهم مع هذا لم يحاولوا أن يفضوا النزاع أو يكشفوا ما بهم من بلاء بالرجوع الى الرسول ﷺ وبالرجوع الى سؤاله ، والاستغاثة به والاستصراخ بشفاعته لهم عند الله ليكشف ما بهم ، وما أصابهم

وقد كان من السهل الميسور عليهم أن يفزعوا الى النبى الكريم أو الى غيره من الصحابة والشهداء فيطلبوه أن يحكم بينهم فى مسائل الخلاف والنزاع وأن يغيثهم وأن يشفع لهم عند الله ليخلصهم مما حل بهم من شراذم البلاء والضراء ويطلبوه العون والامداد اما بالفعل واما بالدعاء والشفاعة وإما بهما معاً وإما بغير ذلك مما يصنعه هؤلاء المفتونون المتغالون لدى قبور أهل البيت النبوى

وقد كانوا رضى الله عنهم يرجعون الى النبى الكريم يوم أن كان حيا بين أظهرهم عند احمرار البأس واشتداد البلاء ، يسألونه الشفاعة والدعاء ويسألونه ما فى استطاعة مخلوق مختار مثله أن يصنعه من العون والامداد والشفاعة والدعاء والحكم والقضاء بينهم . وهذا وارد كثير فى كتب السنة الصحيحة بل هو متواتر عنهم بالأسانيد الصحيحة ، وهو أمر لا ينازع فيه أحد أو يجحده أحد من أهل العلم ، ومثله لا يحتاج الى ايراد الشواهد عليه لظهوره ولعلم الناس به ، ولأنهم لا يتنازعون فيه

فاقصار الصحابة عن ذلك كله بعد موت النبى الكريم وقد اصطدموا بحاجات ملحة إليه وبامور طاغية باغية يتعلق المصطدم بها بالأسباب كلها قويها وضعيفها ، برهان لا يرام اضعافه ولا القدح فيه على أنهم يرون ذلك بعد الموت غير جائز وغير مشروع وعلى أنهم لا يختلفون فى هذا ، لانه لم يأت عن أحد منهم بسند يعبأ به أنه فعله ، وعلى أن الأموات مع وجود أرواحهم وحياتها لا يدعون ولا

يستصرخون ولا يفزع اليهم البتة

وقد اصطدم الامام على رضي الله عنه على وجه الخصوص بمصائب جسيمة محطمة وبأمور نكراء جبارة ، وقد أحاطت الأرزاء بسماواته وجهاته بحيث يعيي القدمة الشجاع الحطمة الخروج منها ناجيا من داخلية الى خارجية ومن دينية الى دنيوية الى غير ذلك ، ومع هذا كله لم يحاول يوما أن يرجع الى النبي الكريم ، والى الاستغاثة به والفزع اليه لطلب الشفاعة وطلب المدد والعون . ولن يجيء عنه في ذلك نقل يشبه الحجج ويحرز اسم البراهين . وهذه خطبه وأقاويله المتنوعة الكثيرة المجموعة في كتاب « نهج البلاغة » كما يدعى الشيعيون ليس فيها لفظ واحد من هذا ، فلماذا أعرض عن الرسول ﷺ بعد موته ، إذا كان دعاؤه مستطاعا مشروعا لديه . .

وكذلك ابنته فاطمة رضى الله عنها واجهتها أمور تغرى بالفزع الى والدها عليه الصلاة والسلام وتغرى بالرجوع اليه لطلب النجدة والعون لكنها لم تفعل شيئا من ذلك ولم تحاوله على وجه من الوجوه

وكذلك الخليفة الحيي الأمين المين اللين المبتلى عثمان رضى الله عنه ، قد ابتلى بأعظم ما ابتلى به خليفة صالح مثله . ثار به الأشرار وحاصروه فى بيته وضيقوا عليه ، ثم ولجوا عليه داره وقتلوه قتلة سوء فى مدينة الرسول الكريم وجوار القبر النبوي الشريف ، وقد صحب هذا ما لا يطاق من البلاء والأرزاء الجسيمة ولكنه لم يسأل الرسول شيئا فى هذه النوازل ، ولم يطلب منه اغاثة ولا شفاعة ، ولا عونا ولا مدداً . ولا ريب أنه قد كان فى أشد الحاجات الى ذلك كله ، وأنه لا يمكن أبداً أن يصدف عنه وهو يعلم أنه مجديه ونافعه شيئاً

ومثل هؤلاء وهؤلاء غيرهم من الصحابة والتابعين ومن تبعهم باحسان وإيمان ، أصابهم ما أصابهم وحل بهم ما حل وانتقضت دنياهم ودولتهم ونابتهم

المصائب الخاصة والعامة فلم يستغيثوا بالأموات ولم يسألوهم شيئا لا الرسول ولا من دون الرسول من الصحابة وآل البيت الطاهرين

فلماذا هذا الاقصار عن الرجوع الى الأموات والفزع اليهم والاستعانة بهم وطلب الشفاعة منهم اذا ما كان ذلك مشروعا مستطاعاً ، واذا ما كان فيه خير فى الدين أو الدنيا ؟

ان الجواب الصحيح لهذا السؤال الصحيح هو الاعتراف بأن طلب الأموات وسؤالهم والاستغاثة بهم والرجوع اليهم ليس جائزاً وليس مشروعاً ولا مستطاعا باتفاق الصحابة ومن تبعهم باحسان وباجماع سيرتهم العملية الصامتة ، ثم الاعتراف بأن الاستغاثة بالموتى باطلة غير جائزة بالضرورة وبالاجماع الصامت وكل جواب غير هذا هو جواب باطل مدخول متكلف . فأن من جاوب عن هذا زاعماً بأنهم كانوا يصنعون ذلك غير أنه لم ينقل الينا كان متكلفاً وقائلا قولا باطلا لا ريب فى بطلانه ووهنه . فان علماء الرواية والنقل كانوا يروون كل مايتصل بعلمهم من سير الصحابة ومن دون الصحابة ، وكانوا لا يدخرون وسعا فى إثبات ما يعلمون من ذلك وفى روايته وتدوينه حتى لقد كانوا يلاقون المشاق ويقتحمون الشقق النائية المضنية برضى وطواعية فى سبيل رواية شيء من ذلك ، ولقد كانوا ينقلون عنهم ماقد يعدونه وما قد يعده غيرهم مآخذ وعيوبا فى حق الصحابة الكرام ، كما كانوا ينقلون التافة النزر من الأخبار . كل ذلك قد كان وأكثر منه حرصاً على الرواية والتدوين وعلى اثبات سير الاولين . فكيف بعد هذا كله يعرضون عن أمثال ماذكرناه من الشئون الكبرى التى هي فى صميم الدين وصميم العقيدة ؟ لاريب أن من اختار هذا الجواب فقد تكلف وقال قولا باطلا

وكذلك من أجاب عن هذا بأنهم كانوا يجهلون جواز هذه الأمور والمسائل ولا يعرفونها مع ثبوتها وجوازها . أو أجاب بأنهم يعرفون هذا كله ولا يجهلونه

ولكنهم أعرضوا عنه زهداً فيه وفى ثوابه ورغبة عنه وعما فيه من الأجر فقد انتحل جوابا باطلا جداً وضعيفاً جداً ، وفى هذا مافيه من القدح فى قادة المسلمين وفى علمهم ودينهم ، وان المؤمن يرغب بنفسه ودينه عن هذا وعن القدح فى سلف الامة الاكرمين ، ويرغب بدينه ونفسه عما رغب عنه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والانصار والمهاجرون والتابعون والائمة الآخرون.

(ثانيها)

إن الله تعالى قد قطع النزاع والخلاف فى هذه المسألة وأبانها وشفى فى بيانها فى آيات صريحة واضحة لا تنازع ولا تؤول. فقد أبان أن الأموات قد أفضوا الى عالم آخر بعيد قصى غيبى لا يسمعون ولا يعلمون عن أهل الدنيا وعن دعاهم فى الدنيا شيئاً لا قليلا ولا كثيرا ، وأبان أنهم لو علموا ذلك لما استطاعوا أن يعملوا شيئا ولا أن يقضوا مسألة سائل ولا حاجة محتاج ولا أن يجيبوا طلبة طالب ، وسائل من لا يجيب كمجيب من لا يسأل كما قيل.

وهذا فى آيات عدة. قال تعالى « إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين. ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون »

وهذه الآية بوضوحها وبينونة مغزاها غنية عن أن نقول انها نص واضح صريح على أن من كان يعبده المشركون من عباد الله الذين هم مثل العابدين بشر مابين رجال ونساء إلا أنهم قدذهبوا وأفضوا الى العالم الباقى الأخروى ـ لا يسمعون دعاء من دعاهم ولا يبصرون أعمال من أشرك بهم وفزع اليهم وقدم لهم ماشاء من القرابين والنذور وأنهم لو سمعوا الدعاء وأبصروا الداعين ثم أرادوا نفعهم ودفع

الضر ء نهم لما استطاعوا الى ذلك سبيلا . وذلك لأنهم فقدوا الآلات التى بها يستطيعون أن يعملوا وأن ينفعوا ويضروا . فقد فقدوا الأيدى التى بها يبطشون. والارجل التى بها يمشون فهم لا يستطيعون حراكا ولا بطشاً ولا مشيا . فهم لايتقدمون ولا يتأخرون ، ومن لا يسمع ولا يبصر ولا يبطش ولا يعمل ولا يمشى كيف يرجى لدفع البلاء أم كيف ينقطع اليه رجاء نفعه وعونه ؟ ان هذا مالا يسوغ ومن شك فى هذا أو خالف فيه فهاهم الاموات ليدعهم وليستجيبوا له ان كان صادقاً محقا (فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين) . إن هذا تسجيل أى تسجيل على هؤلاء الضالين المشركين

لا يقولن قائل : إن المراد بهؤلاء هى الجمادات من الأحجار والأشجار ومالا يعقل ، وأنه ليس المراد بهم الصالحين من الأنبياء والأولياء الذين يدعون ويستغاثون فان هؤلاء يسمعون ويقضون الحاجات ويصلح سؤالهم ودعاؤهم والفزع اليهم . فالآية ليست دليلا على أن الصالحين الأموات لايدعون لأنهم لايسمعون ولايعملون شيئاً . لايقولن قائل هذا فانه غير صحيح لدى من تدبر وفهم ؛ ذلك أن الآية تقول « عباد أمثالكم » ولو كان المراد بالعباد هنا الاحجار والاشجار والجماد الصامت — كما يزعم المخالفون — لقالت الآية عباد أقل منكم وأضعف من أضعفكم وأقل من أقلكم . لا أن تقول « عباد أمثالكم » فان المقام هنا مقام تهويل وتهوين . تهويل لدعوة الاصنام وعبادتها ، وتهوين لشأن من دعاها فالمطلوب هنا الاتيان بأوصاف المعبود الحقيرة والاشادة بنقصه وضعفه وهوانه فلا يليق — والحالة كما ذكرنا — أن يقال فى ذم الاحجار والاشجار والجماد الصامت لعابديها إنها عباد أمثالكم . بل الاحجار والاشجار والجماد كله أضعف وأنقص من هؤلاء ومن الانسان على جميع الوجوه

فاذا ماقيل والأمر كما ذكرنا إن الاحجار والاشجار والجماد مثل الانسان

كان هذا القول تقريظاً للاحجار والاشجار ومديحاً للجمادات ورفعاً من شأنها واعظاماً لأمرها . ولكنه ليس بلائق مدح هذه الاشياء والثناء عليها فى مقام ذمها لمن عبدها وهام بها فصلى لها وصام وعمل لها أفضل الأعمال وأعطاها خالص لبه وصفوة معناه . ان هذا لواضح

هذا وجه ، وفى الآية وجه آخر

وذلك أنها تقول « ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم آذان يسمعون بها أم لهم أعين يبصرون بها » أى ألهم هذه الموصوفات التى هي الجوارح بصفاتها التى هى المشى والبطش والسمع والأبصار . فكأن الانكار هنا للصفات أى كأن الانكار هو للبطش بالأيدى والمشى بالأرجل والابصار بالأعين والاسماع بالآذان ، وليس الانكار لهذه الجوارح نفسها : أى كأن الآية على هذا النظم تنكر وجود هذه الصفات لهذه الموصوفات مع الاعتراف بالموصوفات ووجودها ، وهذا معلوم من نظم الآية المذكورة . فلو كان المراد بالمدعوين فى الآية الاحجار والاشجار والجماد دون المعبودين العقلاء من الأموات والبشر لكان نظم الآية غير ماذكر على نحو آخر : وذلك أن الاحجار والاشجار والجمادات فاقدة هذه الجوارح فضلا عن أن تكون لهذه الجوارح صفات تنكر أو تقر

فكان ينبغى أن يكون تأليف الآية اذا كان الأمر كما قدر هؤلاء هكذا ألهم أرجل أم لهم أيد أم لهم أعين أم لهم آذان لأن المراد حينئذ انكار هذه الجوارح ونفيها عن الجماد لأنهـا ليست له وليس له منها شيء

هذا وجه ، وفى الآية وجه ثالث ، وهو أن الضمائر المذكورة فى الآية كلها ضمائر عقلاء ، وذلك فى قوله (ادعوهم) وفى قوله (ليستجيبوا لكم) وفى (ألهم) كذا ، وكذلك الاسم الموصول « الذين » وهذه الضمائر ليست موضوعة فى اللغة للجمادات من الاحجار والأشجار ومالا يعقل ، وانما هى موضوعة للعاقلين . فهذا برهان على

أن المدعوين فى الآية هم المدعوون من العقلاء كالأنبياء والأولياء الاموات هذا وجه ، وفى الآية وجه رابع

وذلك أن المشركين كانوا بلا خلاف يدعون الملائكة والجان والانسان أنبياء وغير أنبياء ويعبدونهم كما كانوا يعبدون غير هؤلاء من الاحجار والاشجار والصور والتماثيل والاجرام العلوية والحيوان ، فجاءت الآية ناصة على أن هؤلاء المدعوين المعبودين جميعا لا يسمعون ولا يبصرون ولا يبطشون ولا ينفعون أو يضرون من دعاهم وطلبهم شيئا من الاشياء ، ولم تخص الآية من هؤلاء المعبودين صنفاً دون صنف ولا طائفة دون طائفة . بل عمتهم كلهم وحدثت عنهم جميعاً بذلك وهذا جلي واضح . فالذين يخرجون من هذه الاصناف صنفاً أو من هذه الأنواع المذكورة نوعاً يفعلون مالا دليل لهم عليه . بل يفعلون ما ينازعه ظاهر القرآن وظاهر اللغة . فالآية نص فى المطلوب والمسألة

وقال تعالى : « والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ماالستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير » وما قيل فى الآية الأولى يقال فى هذه الآية من السؤال والجواب . فان هذه الآية بينة أيضاً فى أن من يدعون من البشر وغير البشر من الملائكة وغير الملائكة من الجن وغير الجن من الجمادات والحيوانات ومن الاحجار والأشجار فى غفلة وشغل شاغل عن دعاء الداعين وسؤال السائلين وفى انقطاع تام عن الدنيا وعما فى الدنيا وعمن تعلق بهم من أهلها . فلا يسمعون دعاء من دعاهم لانقطاع الأسباب بين الداعين والمدعوين ، ولبعد المسافات بين العابدين والمعبودين ، ولتباين ما بين العالمين عالم الدنيا مستقر الداعين ، وعالم الأخرى مستقر المدعوين ، ولفرق مابين هذين العالمين من الوسائل والغايات ومن الأحكام والشئون ، وفرق عظيم بين عالم الغيب وبين عالم الشهادة وبين

العالم الروحانى والعالم الجسمانى أو بين عالم الأرواح وعالم الأشباح . فهم لهذا كله لا يسمعون صرخات الصارخين وهتافات المستغيثين

ثم لو قدر أنهم سمعوا ذلك بطريق مباشر أو بوساطات كثيرة أو قليلة خارقة أو عادية ، فهل ينفع الداعين والطالبين ذلك شيئا وهل يهبونهم شيئا مما يطلبون ويسألون ، لأن الغاية التى تطلب من الدعاء والاستغاثة هى الظفر بالمطلوب وبالحاجة التى أملت الدعاء والرجاء والسؤال والطلب ؟ كلا ، انهم لن يستجيبوا لهم شيئا ولن يهبوهم بعض ما يسألون ولن ينفعوهم أو يضروهم أيضا لأنهم قد أفضوا الى حالة أخرى وعالم آخر لا يستطاع فيه النفع ولا الضر ولا الكدح والعمل ولا السعى والنضال ، بل ما هنالك افضاء الى مكان الجزاء والمكافأة على الأعمال الخالية في الأيام الخالية ، فهو عالم لا يستطيع العبد فيه نفع نفسه ولا العمل لها ، فأنى يستطيع نفع غيره من أهل الدنيا وعالم المادة ! ؟

ولقد صح فى الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه أنه عليه السلام قال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له »

ذلك : ثم هل ينتهى الأمر عند هذا الحد ، ويطوى البساط على هذا بحيث لا نفع ولا ضر ، فلا ينال الداعين من دعائهم هؤلاء الذين لا يسمعون دعاءهم ولا يستجيبون لهم نفع ولا ضر ؟ كلا . ان الأمر لن ينتهى عند هذا المقدار ، ولن يطوى البساط عليه . بل الأمر غير ذلك ، فسوف يلاقى هؤلاء الداعون من جراء دعائهم الذي حسبوه لهم نافعاً بلاء غير مقطوع ورزءاً عظيما . ونعوذ بالله من الخذلان ومن الخزى يوم الدين ، فسوف يخذلهم المدعوون المأمولون وهم أحوج ما يكونون الى نصرهم وتأييدهم وهم أرجى ما يكونون لنصرهم ونفعهم ، فيتبرأون منهم فى ذلك اليوم العصيب ، ذلك اليوم الذى كانوا يدخرون له شفاعتهم ووساطتهم وأخذهم بأيديهم

وسوف يكفرون باشراكهم بهم وعبادتهم إياهم ، فيلومونهم ويعنفونهم ثم يتبرأون الى الله منهم ، فيصبح ذلك كله حسرات على أولئك الداعين المساكين وخسرانا لا يجبر . وذلك هو الخسران المبين والخطب الجسيم

وهذا مثل قوله تعالى « يدعو لمن ضره أقرب من نفعه »

فالآية إذاً بينة فيما نقول ، بينة فى أنها تعنى المدعوين من الأموات الصالحين من الأنبياء وغير الأنبياء ، فان الضمائر الموجودة فى الآية والاسم الموصول فيها حجج متماسكة على أنها تعنى غير الجمادات وغير الأحجار والأشجار وأنها تعنى العقلاء

وقوله فى الآية « ويوم القيامة يكفرون بشرككم » حجة أخرى قائمة على أنها نازلة فى العقلاء المعبودين ، لأن الذين يكفرون بالشرك عادة وعرفا هم العقلاء لا الجمادات الصامتة ، إلا أن يصار الى القول بخرق العادة فى هذه الآية ، ولكن لا نحسب أن ثمة حاجة الى هذا المصير

وفى الآية شيء آخر صريح فيما نزعم محقق ما نرمى اليه ، ذلك أن الآية تقول « ولو سمعوا ما استجابوا لكم » ويعنى بهذا أن هؤلاء المدعوين لا يستجيبون للداعين البتة على جميع الحالات حتى ولو سمعوا دعاءهم وهتافهم بأن كانوا من العقلاء البشر أو كانوا من غيرهم كالجماد فخلق الله لهم الأسماع والأفهام تمزيقا لقانون العادة فسمعوا وفهموا ، وهم فى هذه الحالة من هذه الناحية يكونون مثل العقلاء أصالة ، فهؤلاء المدعوون لا يستجيبون للداعين إذاً سواءاً كانوا عقلاء أصالة أم كانوا عقلاء توقيتا بخرق العادة لهم ، فهم لا يدعون ولا يستجيبون لمن دعاهم على الافتراضين ، أى على افتراض أن يكونوا عقلاء ، وافتراض أن يكونوا غير عقلاء فخلقت لهم آلة العقل فى زمن ما ، وهذا فى غاية الصراحة والوضوح فيما ذكرنا وحاولنا . فالآية حجة ظاهرة على أن الموتى لا يسمعون ولا يستجيبون مع

وجود أرواحهم ومع حياتهم البرزخية

وقال تعالى « وما أنت بمسمع من فى القبور » وقال فى آية أخرى « فانك لا تسمع الموتى » وهاتان الآيتان على رغم ما يحملان من التأويل والتفسير صريحتان فى أن الموتى وأهل القبور لا يسمعون الخطاب الذي يوجهه اليهم أهل الدنيا إلا فى حالات معلومة لأغراض أيضا معلومة

والذين يؤولون الآيتين يدعون أن المراد بالموتى ومن فى القبور فى الآيتين هم الكفار الذين لا يفهمون الدعوة ولا يقبلونها ولا ينتفعون بها ولا يجيبون الى خير يدعون اليه ، وهو الاسلام والدعوة المحمدية ، فهم كالأموات من هذا الوجه وبهذا السبيل

ولا يراد بالأموات عند المؤولين الأموات حقيقة وانما المراد ما ذكرنا

هذا هو التأويل للآيتين عند طائفة المؤولين ، ولكن يقال لنفرض أن هذا التأويل صحيح ثم لنفترض أن الأموات ومن فى القبور هم الكفار الأغبياء الصم البكم الذين لا يعقلون . لنفترض هذا كله ، ولكننا نقول بعد هذا الافتراض ان الآيتين تدلان على قولنا دلالة صحيحة واضحة لا ريب فيها ، ذلك أن وجه التأويل وتوضيحه هو أن الكفار مثل الأموات فى أن الفريقين لا يسمعون دعوة النبى الكريم ولا ينتفعون بدعوة الاسلام ، لأنهم لا يفقهونها ولا يعلمونها ، فهم لا يتبعون النبى ﷺ ولا يستفيدون من دعوته اياهم الى الخير شيئا ، فالفريقان اللذان هما الكفار والأموات يشتركان فى هذه الأمور والمعانى . هذا ما نقول

واذا كان الأموات لا يسمعون دعوة النبي الكريم الى الاسلام ولا يفقهونها ولا ينتفعون بها مهما وجهت اليهم فكيف يسمعون دعوة من يسألهم حاجاته الخاصة الدنيوية المادية واستغاثة المستغيثين الطالبين منهم الحاجات السخيفة الباردة ؟ ثم كيف يفقهون هذه الدعوات ويفهمونها ويقبلونها مع أنهم كما فرضنا لا يفقهون

دعوة النبي الكريم الى خيرى الدنيا والآخرى ولا يفهمونها أو يقبلونها ؟ هذا مالا يمكن أن يكون

فالآيتان مؤولتين وغير مؤولتين برهانان ناطقان على أن الأموات بشراً وغير بشر لا يسمعون ولا يدعون ولا يستجيبون مع وجود أرواحهم ومع حياتهم الروحية الغيبية

فهذه الآيات الأربع تستأصل شأفة الخصام والخلاف في هذا الموضوع الجلل مع الاعتراف الصريح بحياة الانسان الروحية العجيبة ومع وجوب الايمان بها

وفى القرآن آيات أخرى تدل على ما دلت عليه هذه الآيات التى أوردنا أعرضنا عن إيرادها لأن المراد هنا الاشارة والتلويح لا الاستقصاء الجامع لأن ذلك يطول فيدل

(ثالث الأمور)

لو كان جائزاً دعاء الأموات والاستغاثة بهم احتجاجاً بأن أرواحهم حية حياة روحية برزخية واحتجاجا بوجود أرواحهم واتصالها بهم ان كانت متصلة لجازت دعوة الملائكة والجان والحور فى الجنان ، ولجازت الاستغاثة بهم وطلب الشفاعة منهم كما جاز ذلك كله من الأموات وأصحاب القبور ، فان حياة الملائكة والجن ولا سيما المؤمنين وحياة الحور المخلوقة فى الجنان لا تقل عن حياة الأموات الروحية البرزخية ، وهؤلاء لا ينقصون عن أموات الانسان جدارة بالرجاء وبالانقطاع اليهم ، بل لا ريب أن الملائكة والجن أولى بأن يدعوا ويستغاثوا وأن يستجيبوا من الأموات وأصحاب القبور ، لأنهم بلا ريب أقدر منهم على ما يسألون وأجدر بالاجابة والسماع والاعطاء والنفع والضر ان كان الاموات قادرين على شيء من ذلك

ولا يحسب انسانا يفهم ما يقال أو يفهم حقيقة الأشياء يذهب يجوز دعاء الأموات والاستغاثة بهم وسؤالهم الحاجات وضروب المآرب احتجاجا بأنهم أحياء حياة روحية برزخية ، ثم لا يذهب يجوز دعوة الملائكة والجان والحور التى خلقت فى الجنان وسؤالهم ضروب الحاجات ، بل ان من أعطى الأشياء ما هى أهله من التقدير والإنصاف والعدل قد يحكم بجواز الاستغاثة بالملائكة والجان ثم يمنع ذلك بالأموات من البشر ، لأن أولئك ولا ريب أحق بما ذكرنا ، فقد خلقوا أعظم استعداداً من البشر وأقدر على الأعمال والسعى وأوسع قوى حينما كان البشر أحياء ، فكيف بهم بعد الممات ؟؟ هذا ما لا ريب فيه وهذا ما لا خلاف فى صحته ووجاهته

ولكننا بعد هذا نقول أننا نعلم بالضرورة وبالبداهة الناطقة أنه من الحمق بمكان قصي ومن الجهالة التى لا ينادى وليدها سؤال الملائكة والجان والحور والاستغاثة بهم وطلب الحاجات منهم على حالة من الحالات ووجه من الوجوه . بل اننا نعرف معرفة الضرورة أن دعوة هؤلاء الخلق وسؤالهم الحاجات ليست من دين الاسلام وليست من دين هبط من السماء وليست من شرعة نبعت من عقل حكيم سليم . بل نعرف بالضرورة أن الرسول ﷺ وأصحابه ما كانوا ـ بل ولا كان أحد منهم ـ يستغيثون الملائكة والجان الخلق الآخر فى عالم الغيب ، ولا كانوا يفزعون اليهم من وجه المصائب والنوازل راغبين راهبين ، وأنهم لم يطلبوهم مطلقا شفاعة ولا عونًا ولا مدداً ، بل ولم يفكروا فى ذلك فى يوم من الأيام كما نعرف معرفة الضرورة أنهم لو وجدوا من يصنع ذلك لردوه عليه ولعابوه وذموه ولحجزوا بينه وبينه

ولقد كانوا يبتلون بأشتات المصائب وأصناف الآلام فى الدين والدنيا خاصة وعامة حتى تضيق عليهم حلقات النجاة والخلاص ، وحتى يتطلبوا المخرج فيعز عليهم ويتلمسوا النجاة فتفر من بين أيديهم ، حتى يلموا بجميع أسباب الخلاص ويجربوا

ذلك كله ويفعلوا كل ما ظنوه مخلصاً مخرجا مما هم فيه ، ولكنهم على رغم هذا كله ما كانوا يرغبون بل ولا كان أحد منهم الى الملائكة والى الجان طمعاً في شفاعتهم والاستعانة بهم ودعائهم ، وهم يعلمون أنهم منهم في كثب وأن لهم من حياة الخلق أكملها

ولن يظفر الطالب لذلك برواية من هذا النوع لا صحيحة ولا ضعيفة ، وهذه كتب الاسلام ، هذا القرآن وكتب الرواية متوفرة ميسورة ، فمن شك في ذلك فليطلبه ليعلم أنه يطلب مالا يوجد

ثم مالنا ولهذا الاستدلال ؟ فان هذه المسألة معدودة عند المسلمين من ضرورات الاسلام وقواطعه التي لا يتسع لها الخلاف ، فلا يرتاب المسلمون البصراء بالاسلام أن من راحوا يدعون الملائكة والحور العين والجان فقد هووا في أعماق الوثنية وأركسوا في طبقات الشرك السحيقة التي لاقرار لها ، فان المشركين الأولين كانوا يدعون الملائكة ويدعون الجان ويستغيثونهم عند ما تلم بهم الملمات رغباً ورهباً فكانوا بذلك مشركين وثنيين ، وهذا ما لايختلف فيه أهل الرواية والدراية ، وهذا كله حق لا تتسع له سبل الخلاف . واذا ما علم هذا وعلم أن دعوة الملائكة والجان والخلق الآخر في العالم الآخر ليست من الدين بحال من الأحوال ولا من العقل مع الاعتراف بأنهم أحياء وموجودون وقادرون على الأشياء التي لا يقدر عليها البشر الأحياء بله الأموات ، علم بداهة أن حياة الأموات وحياة أرواحهم الحياة البرزخية لا تقضي بدعائهم والاستغاثة بهم والرغبة اليهم والاعتماد عليهم . وفي هذا فساد هذه الحجة التي تعلق بها هذا المصنف الرافضي حاسباً أنه اذ ظفر بها ظفر بأمر ذي بال وبحجة فاصلة ، وليس لديه من دفع لهذه الحجة والمعارضة إلا أن يقول بجواز دعاء الملائكة والاستغاثة بهم وطلبهم كل ما يطلب اليوم من الأموات البشر ، واذا صار الى ذلك صار الى محادة الضرورة والاجماع الصامت والى

الوثنية فى أبشع معانيها وصورها

وهذا ما يهرب منه الحراص على دينهم وعقولهم وعلى سمعتهم ومن احتاطوا لأنفسهم

(رابع الأمور)

هذا المخالف ذكر هنا أن الأموات مؤمنين وكافرين أحياء هذه الحياة الروحية البرزخية ، فللكافرين هذه الحياة كما هى للمؤمنين وليست من خصائص المؤمنين المسلمين ، وهذا ظاهر ، وقد دلت الدلائل الشرعية عليه ولا ينازع فيه هذا المخالف ، بل هو قد ذكر هذا فى كتابه هذا ، فهى من مسائل الاجماع بينه وبين مخالفيه ، بيد أن الكافرين معذبون العذاب الاليم فى جهنم وفى العرض عليها وأن المؤمنين منعمون النعيم الاوفى فى جنات النعيم يغدون عليها ويروحون كما فى القرآن والسنة . وإذا كان ذلك كذلك قيل له إذا ما كانت الحياة حياة الاموات دليلا لديك على جواز سؤال الأموات لأنهم أحياء كما كانوا يسألون أيام كانوا فى الدنيا ، فهذا المعنى لا فرق فيه بين الكفار والمؤمنين من الأموات من هذه الناحية وكذا الفاسقون والفجار ، فاذا كان الأموات من المؤمنين الصالحين يدعون ويستغاثون ويجيبون احتجاجا بحياتهم البرزخية والحى صالح لأن يدعى ويستغاث ويجيب فكذلك الأموات من الكافرين والفاسقين والظالمين يجوز دعاؤهم والاستغاثة بهم احتجاجاً بحياتهم البرزخية كما كان ذلك جائزاً كله يوم أن كانوا فى الحياة الأولى المادية وليس ثمت فرق بين الفريقين فى هذا المعنى من هذه الناحية

فاذا ما كانت حياة المؤمنين البرزخية دليلا على جواز سؤالهم والاستغاثة بهم في قبورهم كانت حياة الأموات من الكافرين والفاسقين والظالمين دليلا أيضا على جواز سؤال هؤلاء والاستغاثة بهم ، أو ليكن ذلك . واذا لم تكن حياة هؤلاء

الكفار والظالمين برهانا على جواز الاستغاثة بهم والاستعانة فـاذا كانت حياة المؤمنين برهاناً على جواز الاستعانة والاستغاثة بهم ، والدليـل الذى هو الحياة موجود لدى الفريقين المؤمنين والكافرين ؟ فاما أن يقـال ان الحياة تدل على الاستغاثة بالطائفتين أو لاتدل على جواز الاستغانة باحدى الطائفتين لا هـذه ولا هذه ، والتفريق بين الطائفتين بالطريقة المذكورة مع الاستدلال المذكور غير صحيح وغير مقبول

بيد أن أحداً من الناس لا هذا المخالف ولا غيره من المتشيعين للبدع ان يزعم جواز الاستغاثة بالأموات الكفار والفسقـة ، ولن يزعم جواز طلبهم حاجة من الحاجات على النحو المعمول عند القبور ، والبرهان كما رأيت وسمعت يحكم بأنه لافرق بين الفريقين فى هذا المعنى ، فاذا ما علم بأن احدى الطائفتين لا يجوز سؤالها ولا الاستغاثة بها علم ولا ريب أن الطائفة المساوية لها فى ناحية من نواحيها مثلها فى هذه الناحية المساوية ، وقد علم أن إحدى الطائفتين لا يجوز سؤالها ولا الاستغاثة بها بالضرورة ، فلتكن الطائفة الأخرى مثلها فىهذا المعنى ، وهذا أمر واضح، وذلك أن حجة هؤلاء على جواز الاستغاثة بالأموات وسؤالهم مختلف الحاجات محصورة فى أنهم أحياء وفى أن أرواحهم موجودة حية عاملة كاسبة متصرفة ، لأن الأرواح كما يزعمون لا تموت ، وقد احتج بهذه الحجة قوم آخرون قبل هذا الرجل فلهم فضل السبق عليه ، فاذا ما كانت الحجة على هذه المسألة كذلك فلا ريب في أنه لافرق بين المؤمنين والكافرين فى الأمر الذي ذكرناه ، وهؤلاء يرون هذه الحجة صحيحة مقبولة ، واذا كان الأمر كذلك عندهم فلاريب فى دلالتها على الاستغاثة بالأموات الكفار وشمولها إياهم ، ولكن لا هم ولا غيرهم يقولون بجواز الاستغاثة والتوسل بهؤلاء ، وهذا يدل في التحقيق على أن هذه الحجة مدخولة فاسدة ، ولولا ذلك لما كانت بعض دلالاتها فاسـدة باطلة ، أما اذا فرقوا بين الطائفتين بأن زعموا أن

دليلا قد دل على جواز سؤال الأموات المؤمنين ولم يدل دليل على جواز سؤال الأموات الكافرين ، فلزم التفريق بينهما بالدليل الذي قضى بالفرق : إن فرقوا بينهما بهذه الطريقة قيل لهم إذن الحجة ليست هي حياة الأرواح ووجودها ، وانما هي الدليل الخاص الدالّ على جواز الاستغاثة بالأموات المؤمنين ، ولكننا نحن افترضنا أن ما ذكر هنا حجة قائمة بنفسها . وقيل أيضاً مستحيل أن يجد المخالف دليلا على أنه يجوز السؤال للأموات الكفار والظالمين دون الأموات المؤمنين الصالحين بل إن كل دليل ينهض على بطلان الاستغاثة بأموات الكافرين والظالمين كذلك هو دليل قائم على بطلان الاستغاثة بأموات المؤمنين

وقيل أيضاً سوف يجيء الكلام على ما زعم دلائل على سؤال الأموات ، وسوف يعلم أنه ليس هنالك دليل واحد صحيح يكون حجة على ما زعموا

وبعد هذا الذى قدمناه نقول : ان حال الأموات بعد كل فرض وتقدير ، وبعد تسليم كل ما زعموه من حياتهم وقدرتهم وتصرفهم وسعة سلطانهم ، وبعد إقصارنا عن جميع ما أسلفنا من المناقضات والدلائل نقول : إن حال الأموات بعد تسليم هذا كله لا تعدو أن تكون كحال الأحياء الذين فى أماكن بعيدة قصية فان الأموات أيضا وإن كانوا أحياء قادرين هم فى أماكن أقصى وأنأى كما دلت على ذلك الدلائل الدالة على حياتهم وما زعموا لهم من تصرف وعمل . وقد أخبر القرآن الكريم أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون . وجاء فى صحيح مسلم ما يعد تفسيراً للآية أن أرواحهم فى حواصل طير تروح وتغدو فى الجنان . وجاء فى أحاديث أخرى أن أرواحهم تتنقل فوق أشجار الجنة وأزاهيرها الى يوم القيامة ، وفى المعنى أحاديث وآيات معلومة ، ومثل الشهداء - بل أعلى وأكمل من هذه الناحية - الأنبياء ثم سائر المؤمنين . وكذلك دلت الدلائل على أن الكفار والمجرمين في أطباق النيران الحامية ، وأنهم يعرضون على النار غدواً وعشيا حتى

يرجوا فيها يوم الجزاء

وإذا كان كذلك وكان قصارى أمر الأموات من النبيين والصالحين وغيرهم أن يكونوا كالأحياء الموجودين فى أماكن قصية فمن ذا يزعم أنه تجوز الاستغاثة بمن كان فى مكان قصي عن المستغيث . . . وإذا علم ذلك كله قيل إذن لا يجوز سؤال الأموات والاستغاثة بهم حتى يجوز سؤال الأحياء البعداء الموجودين فى الأماكن القصية ومن ذا يجوز الاستغاثة بهم وطلبهم إلا أن تكون ثمت آلة تنقل الأصوات . ولا ريب أن من استغاث بالأحياء البعداء وسألهم الحاجات المذكورة مدخول فى عقله أو مصاب فى دينه وعقيدته أو فى الأمرين معاً

وقد يرى كثيرون من المغشوشين في عقولهم ودينهم أن شيوخهم متصلون بهم على القرب والبعد عالمون بهم وبما يعملون فى المحضر والمغيب سامعون لأصواتهم وهتافهم بهم من كل مكان مبصرون لهم على كل حال وفي كل مكان قربوا أم بعدوا ، ويرون بهذه الطريقة أن شيوخهم موجودون فى كل مكان حالون فى كل ذات مخترقون كل مادة كثيفة إذ لا تحجبهم الحجب ولا تحول بين أسرارهم ومن يريدون نفعهم أو ضرهم الحوائل . وقد ادعى هذه الدعوي قوم زعموا من أهل العلم والدين فى النبي الكريم وفى الأولياء والصالحين

وهؤلاء الذين يزعمون هذه المزاعم فى شيوخهم وعلمائهم المعظمين المعتقدين يذهبون يدعونهم ويستصرخونهم فى كل مكان ومن كل مكان ، ويرون أنهم سامعون حاضرون مبصرون لا يخفى عليهم مكان من دعاهم ، ولا من هتف بأسمائهم ولا ما هم فيه . وهؤلاء بهذه المعتقدات الباطلة والاستغاثات القائمة على هذه المعتقدات جامعون أنواعا من الضلال والجهالات الطريفة متقلبون فى طبقات من العمه والحيرة والشرك المبين والتشبيه برب العالمين

وهؤلاء الذين يدعون الأموات من كل مكان وفى كل زمان معتقدين أنهم

يسمعونهم ويعلمونهم ويرونهم فيجيبونهم لا ريب فى أنهم يرونهم موجودين فى كل مكان أو يسمعون ويعلمون ما يكون فى كل مكان ، ولولا هذه المعتقدات لم يهتفوا بأسمائهم من كل مكان ولم يدعوهم على النأي والقرب . فالذين يسألون النبي الكريم وغيره من الصحابة والمشايخ وهم فى أقصى الأرض لا ريب فى أنهم يرونهم موجودين سامعين من كل مكان وحيثما كانوا ، وإلا لما دعوهم فى جميع الحالات فى المحضر والمغيب . . وهم اذا كانوا يعتقدون فيهم هذه المعتقدات لا ريب فى فساد عقيدتهم وفى ضلالهم المبين وفى تشبيههم المخلوقين الضعفاء العاجزين المحدودين من كل وجه ذواتا ومعانى برب العالمين الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء والذي يعلم البعيد كعلم القريب ويرى الباطن كرؤيته الظاهر

وهذا أقل ما يقدر فى من دعا الأموات معتقداً أنهم أحياء وأن أرواحهم موجودة حية عاملة كاسبة ، والله العليم بما كان وبما يكون

وهنا انتهت مقدمته الثانية وتأتى بعدها المقدمة الثالثة وهى حسب زعمه فى شبه الوهابيين بالخوارج

مقدمته الثالثة

فى تشبيهه الوهابيين بالخوارج

قال الرافضي : « المقدمة الثالثة فى شبه الوهابيين بالخوارج ، وذلك من عدة وجوه : (أولا) كما أن الخوارج شعارهم لا حكم إلا لله ، وهي كلمة حق يراد بها باطل كذلك الوهابيون شعارهم لا اله إلا الله لا توسل إلا بالله لا استغاثة إلا بالله . وهى كلمات حق يراد بها باطل . كلمات حق لأن المدعو والمتوسل به حقيقة لرفع الضر وجلب النفع والمغيث الحقيق ومالك أمر الشفاعة هو الله ، يراد بها باطل وهو منع تعظيم من عظمة الله بدعائه والتوسل به ليشفع عند الله ويدعوه لنا ، وعدم جواز التشفع والاستغاثة والتوسل بمن جعله الله شافعاً مغيثاً وجعل له الوسيلة كجملة من كلماتهم المزخرفة . كقولهم لمن يقول يا محمد ويا فلان : هل الله أعطاك القوة أو محمد ﷺ فلا بد أن يقول الله . فيقولون له : لم لاتدعو الله وتدعو محمداً وهذا تمويه وتضليل يراد به باطل إذ لا يوجد أحد يعتقد أن محمداً أو غيره بيده الأمر أصالة ، وأنما هو التوسل وطلب الشفاعة ممن له الوسيلة والشفاعة ، واعتراضهم هذا يرجع الى الاعتراض على الله الذى جعل الشفاعة لمحمد ﷺ ، والا فمتى جعلها له فعلينا أن نطلبها منه . ولو صح اعتراضهم هذا لتوجه على من يسأل الدعاء من الغير فيقال له الله الذى يجيب دعاءك أو أخوك المؤمن فلابد أن يقول الله فيقال له لم لا تدعو الله وتطلب من أخيك أن يدعو لك

وكقولهم لمن يقبل ضريح النبي أو المنبر الموضوع فى مسجده وفى مكان منبره إنما تقبل حديداً أو خشباً جيء به من بلاد الافرنج ، ولم يعلموا أنه كما يحترم جلد الشاة بعمله جلداً للمصحف والورق والمداد بكتابة المصحف عليه وبه كذلك يحترم الحديد والخشب الذى وضع على قبر النبي ﷺ أو فى مسجده وفى مكان

متبره ، ومر بيانه فى الأمر الخامس عشر » انتهى

قلت : ذكر الرافضى فى هذه المقدمة ثلاثة عشر أمراً من أمور الخوارج وزعم أن الوهابيين قد أتوا بهذه الأمور واتصفوا بهذه الصفات ، والنتيجة التى يسعى لها هى أن يزعم أن أهل السنة من أهل نجد هم الخوارج الضلال الذين جاءت الأحاديث النبوية الصحيحة ذامة لهم قادحة فى دينهم آمرة بقتالهم واستئصالهم ونحن هنا إن شاء الله نثبت هذه الامور التى ذكرها هنا واحداً واحداً ، ونذكر بالبرهان الصارخ المسكت أن أهل السنة أو من يشتهى أن يسميهم الوهابية بريئون من صفات الخوارج التى خصوا بها وذموا لأجلها . ثم نكشف أنهم ليسوا هم الخوارج وأنهم بريئون منهم كل البراءة بدلائل كثيرة تاريخية وحسية وعقلية ، لأن هذه الدعوى أى دعوى أنهم هم الخوارج أو منهم دعوى قديمة قد رددها كثيرون من أهل البدعة والجهالة وأنسوا بها وحسبوها مقدحاً فى أهل السنة لا يظفر بأهدم منه لهم ، وقد تواصى بهذه الدعوى كل من نالوا هذه الدعوة الاصلاحية السلفية بالذم والقدح ورجم آخرهم ما زقا به أولهم ، وقد زادها الآخر تلحينا . ثم نذكر بعد هذا بالحجة الصارخة أن كل ما فى الخوارج من شر وضلالة يوجد لدى الرافضة قوم هذا الرجل مايقابل هذا الشر وهذه الضلالة بشكل أفظع وأوسع وأخبث . ثم بعد هذا نذكر شبه الرافضة بشرّ الأمم أى بالأمة اليهودية عدوة كل الأمم من وجوه كثيرة . ثم نذكر فضل اليهود على الرافضة وما فاقوهم به من الحق والهدى إن كان عندهم فضل أو حق أو هدى . ولسنا نقول هذا ثلباً وتهريجا ولا مقابلة للقدح بمثله ، بل إن هذه الامور سوف نذكرها مؤيدة بالحجج الحسية والتاريخية مؤيدة بالكتاب والسنة وبأقوال أئمة الاسلام الأقدمين الثقات الذين لا تمس امامتهم ودرايتهم ونصفتهم بمس سوء ، والله بالمقاصد محيط عليم وإليه يرجع الأمر كله

أما قوله هنا «إن شعار الوهابيين لادعاء إلا لله ولا شفاعة إلا لله ، ولا توسل إلا بالله ، ولا استغاثة إلا بالله » فيقال فى جوابه ان هذا الزعم على الاطلاق افتراء جريء لم يقله الوهابيون ولم يعتقدوه ولم يذكروه فى كتاب من كتبهم فضلا عن أن يكون شعارهم الذي به يعرفون ويمتازون . فانهم لا يقولون اطلاقا لادعاء الا لله ، ولكنهم يقولون ان الأموات لايدعون لأنهم لا يجيبون ولا يقدرون وكذلك الاحياء لا يدعون لما لا يقدرون عليه ولا يقدر عليه الا الله ، وهذا كهداية القلوب وغفران الذنوب وشفاء المرضى ورد الغائبين وانزال المطر ونحو ذلك ، وكذلك الغائبون لايدعون لما لايمكن عادة أن يكونوا قادرين عليه سماعاً وفعلا . أما من كان يقدر على شيء عادة وعرفا وكان مشروعاً طلبه لا محذور فى سؤاله فلا مانع من دعائه وطلب العون منه بالاسباب المعقولة المشروعة بل انهم يرون دعوة هذا أحيانا واجبة يؤاخذ تاركها ويعاقب عند الله وعند الناس ، وذلك كغريق أشفى على الهلكة رأى من يستطيع انجاءه والأخذ بيده . فمثل هذا واجب عليه عندهم شرعا أن يطلب النجدة والعون ممن رآه مستطيعاً انقاذه اذا لم يكن ثمت مانع شرعى ، ولو هلك ولم يدعه الى نجدته لكان ملوماً مؤاخذاً عند الله والناس

وكذلك يجب على المسلمين أن يدعو بعضهم بعضاً الى فعل المعروف والخير والى التعاون على البر والتقوى ، وأن يدعو بعضهم بعضاً الى الله والى سبيل الله وهداه والى مافيه قوتهم وسعادتهم الدنيوية والأخروية بالاسباب العادية المشروعة ، فهذا وأمثاله لابد من الدعاء اليه ولابد أن يتداعى المسلمون والناس كافة الى القيام به بقدر المستطاع المقدور عليه ولا خلاف بين الوهابيين فى ذلك بل لاخلاف بينهم فى وجوبه شرعا ، وعقلا ولا خلاف بينهم أن من لم يصنعه آثم واقع فى معصية الله ومحادته

والدعاء الذى يأبونه هو دعاء الأموات ودعاء الاحياء الى مالا يقدر عليه

عادة إلا الله كأن يطلب منهم هداية القلوب وغفران الذنوب وانزال الغيث ونحو ذلك

فزعم هذا الشيعي أنهم يقولون اطلاقا لا دعاء الا لله زعم أقل ما يقال فيه أنه غير صحيح وأشد ما يقال فيه مما يستحقه أنه هوى وخيانة وبهتان مبين

وكذلك هم لا يقولون على سبيل الاطلاق لا شفاعة الا لله بالمعنى الذى يعنيه وهو إنكارهم الشفاعة فانهم يؤمنون بالشفاعة للنبى الكريم وللأنبياء جميعاً وللمؤمنين والملائكة بل وللاطفال كما جاءت بذلك الآثار والاخبار عن النبى الكريم وعن السلف الصالح ويؤمنون بالشفاعة فى الدنيا ويوم القيامة على الوجه المشروع الوارد فى النصوص الشرعية نصوص القرآن والسنة ويؤمنون بأن المؤمن يشفع للمؤمن فى الدنيا بمعنى أنه يدعو له ويسأل الله له الهدى والعفو ونحو ذلك ، وليست الصلاة على الجنازة سوى شفاعة للميت ، ويؤمنون بأن الشفاعة يوم القيامة أقسام صغرى وكبرى وأن الشفاعة الكبرى هى الشفاعة لجميع الخلائق ليخلصوا من هول الموقف وعذابه . وهذه الشفاعة الكبرى هي من خصائص محمد عليه الصلاة والسلام . والشفاعة الصغرى بل الشفاعات الصغرى هى أقسام كثيرة وليست من خصائص واحد من الناس بل الانبياء يشفعون والملائكة يشفعون والمؤمنون يشفعون والاطفال يشفعون لآبائهم وأولى قرباهم

وهذه الشفاعات الصغرى هى لأغراض عديدة منها ما يكون لرفع درجات المشفوع له ، ومنها ما يكون لتخفيف عذاب بعض الناس ، ومنها ما يكون لاخراج قوم مسلمين من النار لأنهم أدخلوها لذنوب اجترحوها وأتوها ، ومنها ما يكون لغير ذلك . فهذه الشفاعات يؤمن بها السلفيون كل الايمان لا ينازعون فيها ولا يختلفون . وهذا مذكور فى جميع كتبهم الصغير منها والكبير ، وكلهم يقولون بذلك ويصرحون به ولا يختلف النقل عنهم فى هذا ، بل وهم يسألون الله جل شأنه أن

يوفر نصيبهم من هذه الشفاعات شفاعات سيد الأنبياء وشفاعات بجميع الشافعين ، ولكنهم ينكرون من ذلك أن ينقطع المسلمون الى الأموات راغبين وراهبين يسألونهم الشفاعة ويطلبون منهم أن يشفعوا لهم قارنين ذلك بصنوف الآثام والمنكرات المهلكات ، زاعمين أنهم بهذه الشفاعة وبهذا الاستشفاع يغفر لهم ما أتوه من أفانين الضلال وسيء الأعمال ، بل وإن كانوا ليسوا أهلا للشفاعة ولا من أربابها الجلالة ما يأتونه من عصيان الله ولكثرة ما يؤذونه بالعداوة والمناوأة ، مدعين أن هؤلاء الشفعاء يشفعون ولا محالة لكل من طلب منهم الشفاعة وأن الله يشفع كل شافع في كل مشفوع له ، وظانين أن هؤلاء الأموات يسمعون دعاءهم وضراعاتهم وهتافاتهم باسم الشفاعة والاستشفاع ، وما علم هؤلاء أنه لن يشفع أحد الا من بعد أن يأذن الله بالشفاعة للشافع ، ولن يأذن إلا لمن رضيه من عباده الجديرين بالشفاعة وبالعفو . وما علموا أيضاً أن هؤلاء المدعوين فى شغل عنهم وعن هتافهم شاغل وانهم ان يدعوهم لا يسمعوا دعاءهم وانهم او سمعوا دعاءهم ما استجابوا لهم ولا شفعوا وانهم يوم القيامة يبرؤن منهم ومن دعائهم ودعواهم ولا علموا أن الله تعالى قد أعظم اللائمة على الجاهليين لتعلقهم بهذه الدعوى ولتعلقهم بالشفاعة والشفعاء ، وانه قد أغلظ لهم الخطاب والملامة لأنهم كانوا يقولون هذه المقالة ، ويدعون هذه الدعوى ، ولا علموا أيضا أن الشفاعة تكون لمن عبد الله مخلصاً له الدين ولمن أتاه بقلب سليم ، ولمن رضى عنه لا لمن طلبها وألحف فى طلبها وعاذ بالأموات وانقطع الى المالكين . وقد روى البخاري عن أبى هريرة أنه قال قلت يا رسول الله : من أحق الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال « من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » ولم يقل كما سمعت أحق الناس بشفاعتى من طلبها وأوغل فى الطلب

هذه حقائق لا ريب فيها وقد نص عليها الكتاب والسنة فى آيات وأحاديث

يعز إحصاؤها على المحصين ، وسوف نتكلم عليها فى الباب الخاص بالشفاعة ، وهى حقائق لا خلاف بين أهل السنة فيها ولا خلاف فيها بين من يسميهم المؤلف الوهابيين . فانهم سلفيون بالمعنى الصحيح الخاص والعام ، بمعنى أنهم لا يخالفون السلف فى صغيرة ولا كبيرة بل ولا يستحلون خلافهم والخروج على هداهم . فهم إذن لا ينكرون الشفاعة ولا يقولون لا شفاعة إلا لله بالمعنى الذى يريده الرافضى ، بل هم يؤمنون بالشفاعة كل الايمان ويرجونها ويسألون الله أن يكتبهم من أهلها وأن يزيد نصيبهم منها ، وإنما ينكرون الشفاعة الباطلة التى ردها القرآن ورجمها على طالبيها وآمليها فى آيات كثيرة معلومة

وإذن زعم هذا الشيعى أن من شعارهم لا شفاعة إلا لله بالمعنى الذي يريده هو زعم أخف ما يقال فيه أنه غير صحيح ، وأثقل ما يقال فيه على أنه حق : انه هوى وخيانة وبهتان للمؤمنين وإصرار على إيذاء المؤمنين وإحداث الشحناء والبغضاء . والله بأسرار الصدور عليم محيط

وكذلك هم لا ينكرون الاستغاثة بالمخلوق إطلاقا على الوجه المشروع المعقول العادي ، فلا ينكرون أن يستغيث المسلم بالمخلوق فى الأمر الذى جعل الله فى استطاعة المخلوق القيام به وعمله بأسبابه الظاهرة ، ولكنهم ينكرون بصرامة وإباء الاستغاثة بالأموات بل الاستغاثة بالمخلوق مطلقا فى ما لا يقدر عليه إلا الله . وما قيل فى الدعاء من التفصيل ومن التجويز والمنع يقال فى الاستغاثة ، وقد قدمنا فى فاتحة الكلام القول فى الدعاء

وأما قوله لا توسل إلا بالله فقول غريب ، ومن ذا الذى يقول لا توسل إلا بالله وأى تركيب هذا وأي غلط يحمله ؟ فان من المحال أن يجد هذا القول بهذه الصيغة فى كلام من يزعم الرد عليهم . والله يتوسل اليه لا يتوسل به كما قال فى القرآن « اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة » وقال « أولئك الذين يدعون يبتغون

الى ربهم الوسيلة » وهكذا جاء التعبير في الأحاديث ، وإذا ما أريد نفي الوسيلة نفياً عاماً باتاً قيل لا توسل الى الله ، أو لاتوسل ، ولكن لن يقال لا توسل إلا بالله في هذا المعنى ، فان معنى هذه العبارة أنه لا يتوسل إلا بالله ، والى من يتوسل بالله لو كان هذا المصنف الشيعي يعرف مواقع الكلام ؟ هذا مالا يعقل وما يتقدس الله عنه ، وعلى ما في هذه الكلمة من الخطأ اللغوي والمعنوي الاعتقادي يقال ان من البهتان الصريح الصحيح الزعم أن الوهابيين ينكرون التوسل والوسيلة إنكاراً مطلقاً عاماً ، وإن من البهتان المتعمد أن يقال انهم يقولون لا وسيلة ولا توسل ، فان الوسيلة الصحيحة والتوسل المشروع مذكوران في جميع كتبهم المطبوعة المشهورة لا يختلف في ذلك ولايختلف النقل عنهم فيه ، وأنهم يتوسلون الى الله الليل والنهار التوسل الصحيح ويسألونه الوسيلة الليل والنهار وهم لا يرون الاسلام يصح إلا بهذه الوسيلة وهذا التوسل وذلك أنهم لا يختلفون أن من الوسيلة والتوسل الى الله الايمان به وبالأنبياء وحبهم واتباعهم والحذو حذوهم ورجاء شفاعتهم وتشفيع الله إياهم بهم ، كما لا يختلفون أن من التوسل الى الله الأعمال الصالحة والأقوال الصالحة والعبادات على اختلاف أنواعها ، وأن من ذلك كل ما دلت الدلائل الشرعية على أنه يقرب الى الله ، والى رضاه وكل ما يحبه الله ويطالب به عباده ، فالوسيلة التي هي الأعمال الصالحة وكل ما دل الشرع على أنه من الايمان والدين هم لا ينكرونها بل يرونها لازمة بل هم يرون الدين كله توسلا ووسيلة الى الله والى رضاه ، وهذا لايختلف فيه

ولكنهم ينكرون من ذلك توسل الجاهلية الذى هو عبارة عن الاستغاثة بالأموات والانقطاع الى القبور وسؤال أصحابها مالا يقدر عليه إلا الله عز شأنه وسلطانه . ثم ينكرون جميع هذه الأمور الشنعاء التي يجترحها هؤلاء العاكفون على الأجداث النازلون بأصحابها من الخضوع والخشوع والتمسكن المشبع بالتأله كما سوف

بجيء . فزعم هذا المصنف أنهم ينكرون التوسل والوسيلة ويبوحون بهذا الانكار إطلاقا افتراء عليهم مقصود . فان هذا فيما أحسب لا يخفى على مثل هذا المصنف لأنهم يذكرون فى جميع كتبهم التوسل المشروع والوسيلة المشروعة . فلن يند هذا كله عن بال هذا الرجل، ولكنه يتعمد مايتقوله عليهم تعمدا ، والله يتولى جزاء المتقولين ، وسوف نرى فيما بعد أن هذا الخلق خلق طائفتين اليهود والشيعة ونعوذ بالله من هذا.

هذا كله يقال ، ويقال بعد هب الوهابيين قالوا لا دعاء إلا لله ، ولا استغاثة إلا بالله ، ولا شفاعة الا لله . فاذا يكون ولماذا عددتهم غالطين بهذه المقالة اذا لم ينفوا حقا ثابتا ولم ينصروا باطلا معلوما ؟ أو ليس الله قد قال هذه المقالة اطلاقا بقوله «وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا» وقال «له دعوة الحق» وقال « قل لله الشفاعة جميعا » وقال « له ملك السموات والارض » وقال « أم من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء أإله مع الله » وقال عليه الصلاة والسلام فى حديث رواه الطبرانى « انه لا يستغاث بى وانما يستغاث بالله » وقال الله وقال رسوله غير ماذكرنا . فاذا ماقالوا هذه المقالة التى زعمها هذا الشيعى كانوا فى الظاهر موافقين لهذه الآيات ولهذا الحديث ولغير ذلك من النصوص ، ومن قال قولا موافقا النصوص الشرعية لا يمكن أن يلام عليه ولا أن يضاف اليه خطأ وضلالة ، وهذا معلوم لا يشك فيه المسلمون ، ولكن القائل ان كان يريد بما قاله موافقا النصوص معنى باطلا فاسدا أو كان يفهم من النصوص فهما باطلا فاسداً ليم على ذلك المعنى الذى أراده وعلى ذلك الفهم الذى قصده وأوخذ بما كان باطلا ضلالا فقط لا على الأقوال التى يقولها وفاقا للنصوص الدينية وسيراً معها

والخوارج لم يؤاخذوا على قولهم لا حكم الا لله ، ولكن أوخذوا على أن فهموا هذه الكلمة فهما باطلا فاسداً وعلى أن خالفوا بذلك النصوص الأخرى واجماع

المسلمين وما دلت عليه المعقولات ، ولأجل هذا قال الامام على ان كلمتهم هذه كلمة حق يراد بها باطل . فهم اذن مبطلون فى فهمهم هذه المقالة لافى قولهم اياها كما يبدو من كلام على نفسه . وعلى هذا فالوهابيون لو كانوا يقولون أقوالا باطلة ويدعون الى باطل كانوا غالطين لهذا الباطل ولهذه الأقوال الباطلة لا لقولهم لا دعاء الا لله ولا شفاعة الا لله ولا استغاثة الا بالله ، وهذا الرجل يدعى أنهم يريدون بهذه الأقوال أموراً باطلة فهو اذن لا يلومهم على نفس هذه الأقوال وانما يلومهم على الباطل الذى زعم أنهم يريدونه بها . فعليه اذن أن يثبت أن عقيدتهم فى دعاء الأموات والاستغاثة بهم وجميع ماورده عليهم فى هذا الكتاب ضلال مخالف الشرع ، وعلينا نحن أن نهدم مايدعى وأن نثبت بالبرهان أنهم مصيبون وأنهم على صراط مستقيم وهدى مستبين من الكتاب والسنة ، وبهذا يماز الحق من الباطل ويفصل فى المسألة فصلا حاسما تاما

وأما زعمه أنهم يريدون بذلك باطلا وهو منع تعظيم من عظم الله بدعائه والتوسل به وعدم جواز التشفع والاستغاثة والتوسل بمن جعله الله شافعاً مغيثا وجعل له الوسيلة . فيقال جوابا له : أما تعظيم من عظمه الله فان القوم الذين يحاول هذا الشيعى الرد عليهم من أوفر الناس تعظيما له ومن أعظمهم اعترافا بقدره وفضله وجاهه . ولكن ليعلم أن تعظيم من عظمه الله حقاً هو اخلاص الطاعة والانقياد له وتقديم قوله وحكمه وسنته على أقوال جميع القائلين وعلى جميع شهوات النفس وحاجاتها المدخولة كما قال تعالى « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » وقد قال القاضى عياض فى كتاب « الشفاء » تحت عنوان (معنى المحبة للنبى عليه السلام) : « قال سفيان المحبة اتباع الرسول عليه السلام . كأنه التفت الى قوله « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى » وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته ، وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب ، وقال

آخر : إيثار المحبوب . وقال بعضهم : المحبة الشوق الى المحبوب . وقال بعضهم : المحبة مواطأة القلب لمراد الرب ، يحب ما أحب ويكره ما كره . وقال آخر : المحبة ميل القلب الى موافق له » . هذا كله ذكره القاضى عياض

وليعلم أنه ليس من التعظيم فى شىء الافتآت عليه والابتداع فى شريعته ، وتقديم أقوال الرجال على قوله وعلى ما جاء به من الهدى والبينات ، كما أنه ليس من التعظيم له عليه السلام الزعم بأن الأئمة معصومون كعصمته أو أشد ، وليس من التعظيم له أيضاً الوقيعة فى خيار أصحابه وإكفارهم ، أصحابه الذين نصروه وآووه إذ خذله الناس وأخرجوه ، وليس من ذلك أيضاً رمى أزواجه بمفظعات الكبائر وسبهن والعيب لدينهن الى غير ذلك من الفظائع الشيعية المعروفة ، وليس كذلك من التعظيم له فى شىء عصيانه وعصيان الله جهرة ومنابذة الكتاب والسنة بدعوى إعظام من عظمه الله وبدعوى حبه والقيام بحقه والانقطاع اليه إعراضا عن الله ، ونأيا عن جانبه . وليس من تعظيمه كذلك سؤاله ما لا يسأل إلا الله وما لا يستطيعه الا الله بزعم حبه وإعظامه . هذا كله ليس من التعظيم له ولا من الاحترام ، بل هو من الاساءة اليه والعصيان والاغضاب له . كما أنه ليس غلو النصارى فى عيسى وفى الأحبار والرهبان بدعوى تعظيمهم واحترامهم احتراماً لهم وتعظيما ، بل ذلك إساءة الى عيسى والى الصالحين من الأحبار والرهبان . ومثل هذا وذاك غلو الشيعة فى على ودعواهم فيه العصمة والألوهية أو الرسالة أو ما لا يستحق من أفانين التعظيم الخاطىء . فهذا كله ليس من التعظيم وإن حسبه فاعله تعظيما . ولو فرض أنه تعظيم لغة أو عرفا خاصا أو عاماً لكان تعظيما محرما ممنوعا لا يجوز ارتكابه ، لأنه عدوان ومجاوزة لحدود الله . والقانون العادل الصحيح فى هذا بل وفى كل أمر دينى هو السير قولا وعملا واعتقاداً على ما نهجه الكتاب والسنة تقدما وتأخراً وقوفا وذهابا . فهما الشاهدان العدلان اللذان لا يخونان ولا يخطئان . وليس من

العدل والصواب والدين مخالفتهما ومحادتهما اتباعا للأهواء والأغراض ووساوس الشياطين المضلين وابتداع المبتدعين المخدوعين . فالمتمسك بالكتاب والسنة هو المعظم لله ولمن عظمه الله ، وهو الراشد المهتدي بلا ريب . والنابذ المخالف لهما غير معظم لله ولا لمن عظمه الله بلا شك ، وان ظن غير ذلك وادعى خلافه ، وهذا لا شك فيه بين أهل الملة الاسلامية . وهـذا هو برهان التعظيم وحجته الناطقة العادلة

وأما دعاء الرسول عليه السلام والسؤال له فليس بلازم أن يكون تعظيما له واحتراما لا شرعا ولا عرفا ، لا خاصا ولا عاما ، بل السؤال والدعاء كثيراً ما يكون محرما ممنوعا لأنه لا تعظيم فيه ولا احترام ، بل قد يكون إساءة للمسئول واغضابا له ، وقد كان الناس يسألون الرسول عليه السلام يوم أن كان حيا بين أظهرهم فيغضب لذلك ويذم المسألة والسائلين ، ويمتدح التعفف والمتعففين ، ويقول « لا يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم » وقد كان يشترط على أصحابه في البيعة ألا يسألوا أحداً فكانوا كما اشترط عليهم حتى كان السوط كما ورد في الحديث يسقط من يد أحدهم فلا يقول لأحد ناولنيه وقد كان كبار أصحابه عليه السلام من أقل الناس سؤالا له ومن أندرهم ، حتى قيل ان أبا بكر الصديق لم يسأله شيئا في مدى صحبته إياه كلها . وهـذا المعنى لا ريب فيه

فلو كان السؤال أو الطلب تعظيما ومشروعا دائما لما كان منهيا عنه محرما بصرامة وشدة وإن كثيرين من هؤلاء الذين يسألون النبي الكريم وغيره من الموتى يسألون مسائل محرمة منهيا عنها لو كان المسئول قادراً على اعطائها ومنحها . وهذه المسائل التي يسألها هؤلاء الجاهلون الرسل والأولياء وغيرهم من الأموات هي مسائل ما كان الصحابة يسألونها الرسول الكريم يوم أن كان حيا يرونه

ويراهم ويسمعونه ويسمعهم بل ولو سألوه شيئا منها لأنكره ولغاظه ذلك لأنها مسائل محرمة شرعا وذوقا

فالمسألة بالجملة محرمة ولكن تباح عند الضرورة الملحة كما تباح سائر المحرمات مثل الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير ونظائر هذا . والأحاديث النبوية فى هذا المعنى بالغة مبلغ التواتر المعنوى

وهذا الرفضى يدعى أن تعظيم الرسول هو دعاؤه ؛ فمن لم يدعه فليس معظما له ولا معترفا ولا قائماً بحقه المفروض اللازم من التعظيم ، وليكن معلوما هنا أن مراده بدعائه هو دعاء الجاهلين والعامة الذين يسألونه ضروب الحاجات الشخصية المادية ، كمن راح يسأله أن يزوجه أو يسأله أن ينصره على فلان أو فلان ، ويوليه مركز كذا أو يعطيه مقدار كذا من المال وأن يرد عليه غائبه وإن كان حيوانا ، وأن يشفى مريضه وأشباه ذلك من غرائب المسائل التى لوسئلها النبى ﷺ حيًا لكان إساءة اليه وقلة احترام له ، بل قديكون تحدياً له ، ونحن نعرف أن من سأل الرسول هذه الحاجات يوم أن كان حياً فقد آذاه واحتقره فى كثير منها ، ونعلم أن مثل هذا لن يكون له تعظيما البتة

ولينظر الفرق بين من قال ان تعظيم ارسول هو سؤاله هذه الحاجات المادية الشخصية وبين من يقول ان تعظيمه ﷺ هو الاتباع له ظاهراً وباطناً ، والنهج منهاجه قولا وعملا واعتقاداً . وألا يقدم قول أحد من الناس على قوله ، بل وألا يكون لأحد معه قول . لينظر القارىء أي القائلين أكثر تعظيما له واحتراما له ﷺ ، وأى هذين القولين هو التعظيم

على أن الدعاء المشروع نحن لا ننكره كما قلنا آنفًا بل نوجبه أحيانًا ليس من الرسول فحسب ، بل من سائر المسلمين والمؤمنين ، والقانون الفاصل فى هذا كما قلنا مراراً هو تحكيم النصوص الشرعية فما جاء فيها كان حقًا واجباً على المسلمين

فعله ، وما لم يرد فيها أو ما أنكرته كان باطلا واجبًا على المسلمين رفضه واجتنابه .
ونكرر أيضا قولنا بأننا لا ننكر الاستغاثة والتوسل المشروعين ولا الاستشفاع الصحيح . وقد ذكرنا مراراً الفرق بين هذه الأمور ، وذكرنا أن منها ماهو مشروع ومنها ما ليس مشروعا ، فما ذكره إطلاقا بأنا نمنعه هو افتراء متعمد كما قلنا ، وما ذكره من أنهم يقولون لمن يسأل الرسول الكريم ﷺ وغيره من الأموات : من الذى أعطاك القوة ؟ فاذا قال الله قالوا له لم تدعو فلانا وتدع الله الذى أعطاك القوة ؟ يقال فى جوابه أن هذا الكلام صحيح لا ريب فيه ، فالذى يعلم أن الله خالق كل شيء أقرب اليه من كل شيء وأرحم به من كل شيء وأعدل من كل شيء ثم يعلم أن جميع مابه من النعم روحية ومادية حسية ومعنوية من الله وحده لا شريك له ولا معين ، من يعلم ذلك كله كيف يهجر الله ويهجر سؤاله ، ويذهب يدعو مخلوقا عاجزاً عن نفع نفسه وعن دفع الأذى عنها ، مخلوقا خاضعاً لله فى كل شيء ؟ وكيف يذهب يسأل ميتاً أن يرزقه وأن يشفيه وأن يغنيه وأن يكشف بلاءه وضراءه وكل ما به من الأوصاب والخطوب ، وهو يعلم أن ذلك المخلوق المسئول وان جل قد وقع به أشد الخطوب وأمر المصائب وذلك هو الموت المحتوم ، ألا يعلم أنه لو كان يقدر على ما يسأل لجاد به على نفسه ولنفعها ودفع عنها ؟ ويشبه هذا من قريب قول الله تعالى على لسان رسوله ﷺ « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير » فالذى يعرض عن الله ويسأل المخلوق الميت رهين البلى والثرى كبريات المسائل مما لا يقدر عليها إلا الله مصاب ولاشك فى عقله أو دينه أوفيهما معًا ، وأين من يفهم قول الله « يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له . ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه ؛ ضعف الطالب والمطلوب . ماقدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز » ؟ وما أجمل ختم الآية بقوله إن الله لقوي عزيز ؛

ها هنا الاعجاز ، وها هنا البلاغة التي تتطامن عنـدها أعناق فحول البيان إجلالا وهيبة وصغاراً

وقول الرافضي « ان هذا تضليل إذ لا يوجد أحد يعتقـد أن الأمر بيد محمد أو غيره أصالة وانما هو التوسل وطلب الشفاعة ممن له الوسيـلة والشفاعة » يقال في جوابه : ان الغرابة والاشكال من هذه الجهة ! فانه اذا كان المرء لا يعتقد أن الأمر بيد من يسأله ويطلبه ويعلم أن من يطلبه منه لا قدرة له عليه مطلقا بل هو من صنع الله وحده فكيف يسأله إياه ولماذا يدعوه رغبـة فيه ؟ وكيف لا يطلبه ممن يعلم أنه بيده وأن بيـده كل شيء وكل ما كان وما سوف يكون ؟ ثم يقـال كذلك كان المشركون لا يعتقدون أن الأمور بيد الأصنام أصالة كما سوف يجيء . ثم لاندري كيف يقول انه لايوجد أحد يعتقد أن الأمر بيد غير الله أصالة ، ولا ندري كيف عرف أنه لا يوجد من يعتقد هذه العقيدة ؟ أو ليس نظير هذه العقيدة موجوداً في الناس في كل زمان ؟ أو ليس أوائل الشيعة أعني السبئية ، اعتقدوا الألوهية في علي باعتراف هذا الرجل ؟ فاذا ما وجد من اعتقد في علي الألوهيـة فكيف لا يوجد من يعتقد في الرسول ﷺ ذلك أو مادونه من التصريف والاعطاء والمنع ؟ ومنطق هذا الرجل منطق مريض بلا شك

وقوله هنا لا يوجد من يعتقد أن الأمر بيد الرسول أو غيره أصالة يدل على أنه لا يرى بأسا في من اعتقد أن الأمر بيد غير الله لا أصالة بل نيابة عن الله في تصريف الأمور وتدبير الكائنات

وقوله « وإنما هو التشفع والتوسل » يقال في جوابه كلا والله ، فان من يقول يا فلان أغثني أو ارزقني أو اشف مريضي أو اهد قلبي أو اغفر ذنبي لايمكن أن يقال في هذا انه متشفع ومتوسل البتة . والذي يسمى هذا بهذا الاسم غالط غلطين غلطاً لغويا إذ سمى هذا توسلا واعتقاديا إذ أباح مثل هذا وحسبه من الدين ، واذا

فرض أنه توسل وتشفع قيل من الذى قال ان كل مايسمى تشفعا وتوسلا يصح طلبه من المخلوقات ؟ هذا هو رأس المسألة ومبدؤها وهذا هو محل الخلاف ، وسوف يأتى بيانه

وقوله : « ولو صح اعتراضهم هذا لتوجه على من يطلب الدعاء من الغير فيقال له الله الذي يجيب دعاءك أو أخوك المؤمن ؟ فلابد أن يقول الله . فيقال له لم لا تدعو الله وتطلب من أخيك أن يدعو لك ؟ » يقال جوابا له : إن هذا الاعتراض اعتراض فاسد ، وذلك أن الذى يطلب من أخيه أن يدعو الله له لم يطلبه أن يجيب دعوته وأن يعطيه ماطلب أن يطلبه له من الله ولم يسأله شيئا غير قادر عليه ولو كان ذلك كذلك لتوجه هذا الاعتراض ، ولكنه يطلب منه أن يوحد الله وأن يعبده بدعائه وسؤاله والضراعة اليه . فهو انما يسأله أن يدعو الله ، والمسئول قادر على أن يسأل الله ، وهو لم يسأله أن يعطيه أو أن يجيب دعاءه أو أن يقضى له حاجة من الحاجات ، والاعتراض الذى ذكره الشيعى لا يتجه إلا على من سأل مخلوقا شيئا لا يقدر عليه بل لا يقدر عليه إلا الله

وبأمثال هذه الشبهات يهدم الدين من أساسه ، وتباح عبادة الأخشاب والأبواب والأنبياء والاولياء وغيرهم ، وبها يعارض القرآن والسنة والاجماع ويحارب المسلمون الخلص وتباح أعراضهم والوقوع فيها ، ونعوذ بالله من مقت الله

وما ذكره من تقبيل ضريح النبي أو منبره وما بعده تقدم بعض الكلام عليه فى الأمر الخامس عشر من مقدمته الثانية ونترك باقى الكلام فيه الى الباب الخاص به

هذا ثم لو أردنا أن نقابل أدبه بمثله فى هذا الوجه من الوجوه التى زعم أن الوهابيين شابهوا الخوارج فيها لقلنا راشدين صادقين : إن هذا المعارض الشيعى هو واخوانه يشبهون خصوم النبى الكريم وخصوم الدعوة الاسلامية من وجوه كثيرة . منها أن خصوم النبي والاسلام كانوا ينقمون من النبى ومن الاسلام

التوحيد الخالص وينكرونه أشد الانكار، وهذا مذكور فى آيات القرآن قال تعالى « واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون » وقال أيضا حكاية عن هؤلاء الخصوم « أجعل الآلهة إلها واحداً ان هذا لشىء عجاب » الى قوله « ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا الا اختلاق . أأنزل عليه الذكر من بيننا » ؟ وقال تعالى « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ، وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قل انما ادعو ربى ولا أشرك به أحدا » الى غير ذلك من الآيات المصرحة بأن خصوم الاسلام والنبى الكريم كانوا ينقمون من ذلك التوحيد الخالص النقى الذي يريد من أهله أن يسموا الى الله فى عليا سمواته وأن يتجاوزوا المادة وحدودها فيصلوا اليه تعالى بقلوبهم وعقولهم وايمانهم واعتقادهم وأرواحهم وألا يكونوا فى هذه الأرض مع المادة والماديات إلا بمادتهم فقط . أما أرواحهم وايمانهم وتوحيدهم فمع الله فوق سمواته حتى اذا ما أراد بهم مريد من عوادى الطبيعة كيداً أو أذاة أو إرهاقا لم يستطع الوصول ان استطاع الا الى مادتهم والى مافى تركيبهم من تراب وهيا كل جسدية مادية . أما ايمانهم وقلوبهم وما كانوا به أهلا لعبادة الله وخطابه ورسالته ووحيه فأسمى من ذلك وأبعد على المتناول المتطاول

كان خصوم الاسلام والنبى ينقمون هذا التوحيد النقى ، وكذا هذا الشيعى واخوانه ينقمون هذا التوحيد نفسه من الموحدين اليوم . فاذا قالوا لهم الله وحده وادعوا الله وحده ، ولا تدعوا مع الله أحدا ، واذا ذكروه سبحانه لا شريك له ولا معين اشمأزت قلوب هؤلاء المعارضين وهاجوا وماجوا وقدحوا وصخبوا واذا ذكر من دونه من المشايخ والمعتقدين ودعوا واستغيثوا وانقطع اليهم فرحوا واستبشروا وطاروا على أجنحة السرور الى حيث لايرجعون ، وأنسوا بذلك ورجوا به الخير والسعادة والعافية

فالفريقان : هؤلاء المخالفون وأولئك المخالفون للنبي المناوئون للإسلام يصدران عن عقيدة واحدة ويغترفان من منهل واحد وحجة واحدة . أفما ترى أن الليلة كالبارحة سواء كما يقولون في التعبير الصميم القديم

هذا جواب عن الوجه الأول من وجوه التشابه بين الوهابيين والخوارج

ثم قال الرافضي : « (ثانيا) كما أن الخوارج مواظبون على الصلوات وتلاوة القرآن والعبادة متصلبون في الدين طالبون للحق كذلك الوهابيون متصلبون في الدين ، يؤدون الصلاة لأوقاتها ويواظبون على العبادة ويطلبون الحق وان أخطأوه ويتورعون عن المحرمات »

ونحن نقول في جواب ذلك إن التصلب في الدين والمحافظة على الصلوات والعبادة وطلب الحق بنية خالصة صالحة واجتناب المحرمات والآثام ، ان هذه الأمور كلها لا يمكن أن تعد معاصي وعيوبا ولا يمكن أن تكون مكان ذم ومقدح وعيب في صاحبها . بل هذه الأمور كلها فضائل وطاعات يثاب عاملها ويمتدح ويجازى عليها الجزاء الأوفى ، وان سعادة المرء في الأخرى موقوفة على هذه الأمور ، وبقدر حظه منها يكون حظه من السعادة ، وان الاولياء ما كانوا أولياء وان المؤمنين ما كانوا مؤمنين إلا بجمعهم هذه الأمور ومحافظتهم عليها وتصلبهم فيها ، وما كان الشقي شقياً ولا العاصي عاصياً ولا أهل النار من أهل النار إلا بمخالفة هذه الأمور واهمالها ، وما استحق أهل الجنة الجنة ثم الخلود الأبدي فيها الا بالايمان وبالمحافظة على الصلوات والعبادات واخلاص النية في التماس الحق وطلب الحقيقة العليا والا بالتورع عن المحرمات . هذا مالا ريب فيه وما كان كذلك لا يمكن أن يعد مكان ذم وقدح وعيب ، والخوارج لم يؤاخذوا ويضلوا ويستحقوا عقاب الضالين الخارجين بتصلبهم في الدين ومواظبتهم على الطاعات وباجتنابهم المحرمات . هذا ليس هو موضع الذم فيهم بلا ريب ، ولكن

القوم ضلوا وذموا لما ابتدعوه فى كتاب الله وسنة رسول الله عليه السلام من البدع القبيحة الشنيعة ، وبوضعهم كتاب الله خلاف مواضعه وبخروجهم على سنة الصحابة والتابعين والرعيل الأول الأفضل جهلا منهم وضلالا وقصوراً فى الفهم وعرفان الحقيقة . حتى وقعوا فى اكفار الخلفاء واكفار الصحابة الراشدين ، وحتى طفقوا يمدّلون عليهم ويحاولون تعليمهم وارشادهم . فأكفروا عليا وعثمان ومعاوية وعمرو ابن العاص ومن تولاهم أو سار سيرتهم واهتدى هديهم ونهج منهجهم واعترف بفضلهم وحقهم ، وقد طالبوا الخليفة عليا بأن يعترف على نفسه بالكفر والردة والا فالحرب بينهم وبينه والعداوة المشبوبة المهلكة بين فريقهم وفريقه فضلوا بذلك وأضلوا كثيرا

وأصل ضلالتهم قائم على القدح فى الخلفاء وفي الصحابة ، وفروع ضلالاتهم متفرعة عن هذا الأصل الباطل الذى هو الوقوع فى السلف ، حتى أنهم بعد المحاولات الكثيرة والمناوآت التى قاموا بها تآمروا على اغتيال ثلاثة من كبار الصحابة وهم علي ومعاوية وعمرو بن العاص ، فقتلوا علياً وجرحوا معاوية وأصابوا خارجة مكان عمرو بن العاص الى تمام محنتهم وضرائهم الوجعة ، فها هنا كان داء القوم وبلاؤهم ، ولم يكن آتياً من جهة طاعاتهم ومواظبتهم على الصلوات والعبادات والتصلب فى الدين وإخلاص النية فى طلب الحق . كيف والشيعة يزعمون أن أئمتهم كانوا فى غاية من المحافظة والمواظبة على الطاعات والعبادات والصلوات وعلى غاية كبرى من التصلب فى الدين واجتناب الآثام حتى زعموا أن عليا كان يصلى فى الليلة الواحدة ألف ركعة مع قيامه بالجهاد وقتال الأعداء ، وزعموا أن علياً بن الحسين بن على بن أبى طالب كان يصوم نهاره ويقوم ليله ، وأنه كان يصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة ، وأنه كان يبكى من خشية الله حتى خددت الدموع لحم خديه وأنه سجد وأطال السجود حتى سمى ذا الثفنات ، وقد سموه زين العابدين ، وزعموا

أن ابنه محمداً الباقر كان أعظم الناس زهداً وعبادة حتى لقد بقر السجود جبهته ودعى لهذا بالباقر ، وزعموا أن ابنه جعفر الصادق كان أفضل أهل زمانه وأعبدهم وكذا كان ابنه موسى الكاظم وكذا كان جميع أئمتهم في زعمهم أعبد الناس وأخشاهم لله وأعظمهم مواظبة على حقوق الله ورعياً لجانبه واجتناباً لمحارمه ، وهم ينسبون اليهم هذه المبالغات لتقوم لهم دعواهم بأنهم هم الأئمة المعصومون وأنهم أفضل الناس على الاطلاق وأحقهم بالامامة والخلافة

إذن لن تكون مواظبة الوهابيين على الصلوات والعبادات واجتنابهم المحرمات قدحا ولا عيبا ، بل ان هذه فضائل يسلمها لهم خصومهم وأعداؤهم ويعترفون بها اضطراراً وكرها ، وإذ قد علم أن أصل ضلال الخوارج هو الوقيعة في سلف الأمة ورعيلها الأول وإكفارهم ومناصبتهم العداوة والحرب ، ثم الابتداع في الاسلام والخروج على السيرة الأولى الاسلامية سيرة الخلفاء ، ثم وضع كتاب الله خلاف وضعه ومواضعه فسوف نرى القارىء أن نصيب الشيعة من هذه البدعة أوفر نصيب وأوفر من نصيب الخوارج أنفسهم ، لأن الخوارج ان كانوا قد ابتدعوا أكفار علي ومعاوية وعمرو بن العاص ومن تولاهم فان الشيعة قد ابتدعوا اكفار أبي بكر وعمر وعثمان وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وأزواج النبي الكريم ومن تولى هؤلاء وسار سيرتهم ونهج نهجهم من الصحابة والتابعين وأئمة الحديث والفقه والافتاء وسائر المسلمين ، وشتان ما بين البدعتين فظاعة ونكرا !

وإذ قد اعترف للوهابيين وهو الخصم المبين بالمواظبة على الطاعات والعبادات والصلوات وهجران المحرمات واخلاص القصد في التماس الحق والهدى ، فمن ذا يشهد لشيعته الرافضة باحدى هذه الفضائل الجلائل والأمور الكبرى ؟ إن التاريخ من ألفه الى يائه كما يعبرون يشهد بصراحة أن الرافضة كانوا أبداً وفي كل وقت على نقيض ذلك تماما وكانوا على غاية من إهمال الواجبات والطاعات والعبادات

وعلى غاية من اقتحام مغاضب الله ومساخطه . وان التاريخ من ألفه الى يائه كما يقول بعض الـكتاب يتهم هؤلاء وهو على الحق الصادع بسوء القصد والنية وباتباع الأهواء المضلة وبارادة السوء بالدين وبالمسلمين . وإن من أنطق الدلائل التاريخية على ذلك ما جاء به الفاطميون وهم احدى طوائف الشيعة من المنكرات والمبتدعات الدالة على إرادة هدم هذا الدين وافساده عمداً وقصداً . ويكفى تدليلا على هذه القضية أن يعلم أن واضع بذور هذا المذهب هو عبد الله بن سبأ اليهودى المعروف . دع عنك طائفة القرامطة وما جاءوا به من البلاء المصبوب على الاسلام والمسلمين وعلى الأخلاق والفضائل جمعا . ومعلوم أن القرامطة كانوا متشيعين وكان وضعة مذهبهم فرسا ، وبين أحضان الفرس ترعرع المذهب الشيعى الرافضى الغالى وهناك نما وشب وفاض على الآفاق فان أبا طاهر والحسن بن بهرام المعروف بأبى سعيد الجنابى وغير هؤلاء من أئمة القرامطة وناشرى مذهبهم كانوا فرسا من بلدة جنابة احدى البلاد الفارسية

ذلك واذا أردنا أن نقابل أدبه بمثله قلنا صادقين راشدين : ان هذا الشيعى واخوانه من المبتدعين يشبهون خصوم الاسلام والنبى والمسلمين من وجوه كثيرة أحد هذه الوجوه قدحهم وعيبهم للمؤمنين الصالحين ولمزهم اياهم بالطاعات وباجتناب عصيان الله قال الله فى خصوم الاسلام والمسلمين : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم . سخر الله منهم ولهم عذاب أليم » الى غير ذلك من الآيات المعلومة فى هذا المعنى

وكذلك هذا الشيعى واخوته يلمزون المؤمنين السلفيين ويعيبونهم ، بماذا يعيبونهم وبماذا يلمزونهم ؟ بالطاعات والمحافظة على الصلوات وباجتناب المآثم والمحارم . فالفريقان : هذا الشيعى واخوته ، وأولئك المخاصمون للاسلام ولأوائل المسلمين يصدران عن رأي واحد وحجة واحدة . هذا عن الوجه الثانى الذى زعم

فيه هذا المصنف مشابهة الوهابيين للخوارج . ثم قال الرافضي :

« (ثالثا) كما أن الخوارج كفروا من عداهم من المسلمين وقالوا مرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار واستحلوا دماءهم وأموالهم وسبي ذراريهم ، كذلك الوهابيون حكموا بشرك من خالف معتقدهم من المسلمين واستحلوا ماله ودمه ، وبعضهم استحلّ سبي الذرية ، ولم يخاطبوه الا بقولهم : يا مشرك ، وجعلوا دار الاسلام دار حرب ودارهم دار إيمان تجب الهجرة اليها ، وحكموا بقتال تارك الفرض وان لم يكن مستحلا . وكذلك خرجوا عن السنة وجعلوا ما ليس سنة سنة مثل الخوارج »

قلت : وجواب ذلك أن يقال ان من عجائب الأيام وفكاهاتها المضحكة قوما، المبكية قوما آخرين أن تذهب الشيعة تتهم أهل السنة من أهل نجد با كفار المسلمين واحلال دمائهم وأموالهم في حين أن الشيعة تعلن على رؤوس الأملاء ومسامع العالمين ا كفار خيار الأمة وا كفار كبراء الصحابة ومن تولاهم من فرق المسلمين على اختلاف العصور واعتقاب الليالي !! والذي يكفر أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص كيف لا يمنعه الحياء أو كيف لا يجد عند الحياء ما يمنعه من أن يتهم أحداً با كفار المسلمين ، وكيف لا يجد في نفسه زاجراً يزجره عن التفوّه بهذه الحدبى حدبى ا كفار المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم وكيف لا يندى جبينه ويحمر وجهه خجلا عند الخوض في هذه المسألة أعني مسألة تكفير المسلمين ؟ ! ان الشيعة لا تهيب المجاهرة با كفار هؤلاء الصحابة وبا كفار من يأخذ اخذهم من المسلمين ، ولا تتهيب أن تسجل هذا الذنب العظيم عليها في تاريخها وفي كتبها المطبوعة المبذولة لعامتها . قال في كتاب الوشيعة :

« كتب الشيعة تكفر عامة الصحابة كافة ، لم ينج من التكفير سوى قليـل

منهم لاتزيد عدتهم على سبعة ، وللشيعة الأماميــة فى تكفير الأول والثانى أبى بكر وعمر صراحة شديدة ومجازفة طاغية ، وفى كتب الشيعة عن الباقر والصادق (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : من ادعى أمامة ليست له ، ومن جحد اماماً من عند الله ، ومن زعم أن أبا بكر وعمر لهما نصيب فى الاسلام) وفي المجلد الثانى من الوافى [1] صفحة ٤٤ وبعدها كلمات لا يقبلها الأدب . الأول والثانى أبو بكر وعمر فى كتب الشيعة رجسان ملعونان . هما الجبت والطاغوت وهما فرعون هذه الأمة وهامانها ، وهما أشد أهل النفاق نفاقا وعداء للنبى وضررا للاسلام . وفى كتب الشيعة أن أبا بكر أب لكل الشرور . لم يسم صديقاً إلا بعد أن رأى فى الغار معجزات أدهشته وحيرته فأضمر فى قلبه (الآن صدقت يا محمد انك ساحر عظيم) . وفى كتب الشيعة فى الكافى والتهذيب والوافى [2] لعنات على أبى بكر وعمر وعائشة وحفصة وعلى العامة وهم كل الأمة بعبارات ثقيلة شنيعة وللشيعة فى اللعن على الصحابة وعلى الأمة أدعية مأثورة ، وفى كتاب الوافى فى كتابه الثامن وفى غيره كلام طويل ثقيل يدل على أن دأب الشيعة فى الكتب والكلام والمجالس الانبساط فى اللعنات . يقول الوافى لم يدع الامام أحداً ممن يجب أن يلعن الا لعنه وسماه وأول من بدأ بأبى بكر وعمر وعثمان . ثم مر على الجماعة ولعن الكل ، وللباقر والصادق على حسب ماترويه كتب الشيعة دبر كل صلاة مكتوبة أوراد لعنات على أربعة من الرجال منهم الاول أبو بكر والثاني عمر وعلى أربع من النساء منهن عائشة وحفصة وفى الكافى والتهذيب أدعية مأثورة عند زيارة قبور الأئمة فى اللعن على العصر الأول وعلى كل الامة تقول كتب الشيعة ولله وراء هذا العالم سبعون ألف عالم . فى كل عالم سبعون ألف أمة . كل أمة

---

(١) الوافى أحد كتب الشيعة المعتمدة عندهم

(٢) هذه الكتب الثلاثة عمدة الشيعة

أه كثر من الجن والانس لام لهم إلا اللعن على أبي بكر وعمر وعثمان

« وفى الكافى (٣ ـ ٣٩١) أن عائشة وحفصة كافرتان منافقتان مخلدتان فى النار ، وفى صحائف الكافى كلمات تشمئز منها جلود الشياطين » ثم قال فى الوشيعة أيضاً « ما تقول كتب الشيعة فى الدول الاسلامية : حكومات الدول الاسلامية وقضاتها وكل علمائها طواغيت ، ومن تحاكم الى الطاغوت وحكم له فان أخذه فانما يأخذه سحتا ، وان كان حقه فى الواقع ثابتاً له لأنه يأخذه بحكم الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ، ويحرم على الشيعة أن تتحاكم الى الطاغوت ، وكل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله « الوافى » (٣ ـ ٢٨) فكيف يكون أساس الدول الاسلامية على وجه الارض من أول الاسلام الى يوم القيام والقيامة ان كانت عقيدة شعوبها وعقيدة رعاياها هذه العقيدة !

« وصرحت كتب الشيعة أن كل الفرق الاسلامية كافرة ملعونة خالدة فى النار إلا الشيعة والمخالف مطلقا شر من الكفار ، وصرحت كتب الشيعة أن دم الناصب(١) وماله حلال إلا امرأته لأن نكاح أهل الشرك جائز ، والناصب على حسب بيان كتب الشيعة من يقدم الخليفتين أبا بكر وعمر على عليّ أو يعتقد أمامتهما وتقول كتب الشيعة ان الله قد نصب علياً علماً بينه وبين خلقه من أنكره فهو كافر ومن أشرك معه آخر فهو مشرك وان ايمان المخالف فى الامامة لا ايمان له هو للنار والى النار . والمخالف فى الامامة حكمه حكم المشرك والكافر فى جميع الأحكام لكن الله أجرى عليهم زمن الهدنة حكم المسلمين رحمة للشيعة ، واذا ظهر القائم قائم آل محمد أجرى على المخالف فى الامامة حكم المشرك والكافر فى جميع الأحكام ويقول الامام الباقر والصادق (لولا أنا نخاف عليكم أن يقتل رجل منكم برجل منهم ، والرجل منكم خير من مائة ألف رجل منهم لأمرناكم بقتلهم كلهم) ويقول الامام

(١) الناصب جمعه نواصب وهم أهل السنة فى اصطلاح الشيعة

فى أئمة المذاهب الأربعة (لا تأتهم ولا تسمع منهم لعنهم الله ولعن مللهم المشركة) وفى التهذيب (٢ : ١١٦) ، (٢ : ٢٥٢) كان الصادق يقول خذ مال الناصب حيث ماوجدته وادفع الينا الخمس » هذا ما أردنا نقله من كتاب الوشيعة ، وقد قدمنا فى أول كتابنا أشياء من عقائد الشيعة فى الصحابة وفى المسلمين كافة ، وقوم يقولون هذه الاقوال كيف يجرؤون على اتهام أحد با كفار المسلمين ؟ ولا ريب أن غضب صاحب هذه الأقاويل الشنيعة للمسلمين وقيامه للذياد عنهم أفظع من هذه الأقوال نفسها وأغرب

أما زعمه أن الوهابيين يكفرون كل من خالف معتقدهم وانهم يبادرون الى الحكم عليه بالشرك . فهذه دعوى قديمة تقلدها رجال عدة من أركان البدعة والجهالة ، وتناقلوها واحداً عن واحد وتواصوا بها السابق يوصى بها اللاحق واللاحق يوصى بها من بعده حتى جاءت النوبة هذا الشيعى فاستخفته سروراً وطربا فطفق يتغنى بها مسروراً طربا فى كتابه هذا فى مواضع منه مضيفا اليها بعض التلحين والتنغيم خداعاً وتضليلا . وما ربك بغافل عما يعملون . وقد كان أهل السنة من أهل نجد سابقا وفى كل وقت يقابلون هذه التهمة المرددة والدعوى المعادة المكررة ـ وقد رموا بها من يوم أن ذر قرن سعدهم ـ بقولهم سبحانك هذا بهتان عظيم

ومن عجيب أمر هؤلاء المدافعين عن البدع والعقائد المريضة أن يصروا رغم كل شىء ورغم أنف الحقيقة على اتهام هؤلاء القوم بهذه التهمة ، تهمة إكفار المسلمين ، فى حين أن هؤلاء القوم ينادون فى جميع كتبهم المطبوعة ويسمعون الآذان الدانية والقصية بأنهم يبرؤن الى الله من هذه الاكذوبة ويصرحون بأنهم لا يكفرون أحدا من أهل القبلة بذنب وإن كان عظيما جليلا ، ويصرحون بأنهم على مذهب السلف وأهل الحديث نفيا وإثباتا لا يزيدون ولا ينقصون ولا يبغون

عن ذلك مذهباً ولا حولا ، وأنهم يتولون جميع المسلمين المؤمنين وإن جاءوا بالذنوب العظيمة مالم يقعوا فى كفر وشرك، بل ويصرحون فى جميع كتبهم بالبراءة من الخوارج إذ تقلدوا تكفير المسلمين بالآثام وإذ خرجوا على الخلفاء الراشدين ، مثل مايتبرؤن من الشيعة إذ تقلدوا تكفير الصحابة والخروج على الخلفاء الراشدين والوقيعة فى دينهم ويتبرؤن من جميع هذه الآثام قديمها وجديدها وفي أقوالهم مشافهة وفى مجالسهم وفى كل مكان وفى كل أداة بيان . ثم بعد ذلك يصر هؤلاء المخالفون على اتهام هؤلاء القوم بهذه التهمة وهذه الاكذوبة الباطلة وإننا نعيد القديم فنقول إننا نبرأ الى الله من أن نكفر المسلمين ومن أن نكفر أحداً بذنب ، ونبرأ الى الله من قول الخوارج : ان مرتكب الكبيرة كافر ، ومن قول الشيعة فى إكفار الصحابة وأزواج النبى ، ونسجل على أنفسنا راضين مختارين أننا على معتقد الأئمة الأربعة ومعتقد المحدثين وأئمة السنة نفيا وإثباتا . وذلك لأننا نعرف أن هؤلاء السلف هم أهل الحق والهدى وأنهم أجمعوا فى العقائد على الهداية والايمان والبصيرة النافذة فى دين الله وأن المخالفين لهم من أهل البدع يتسكعون فى ضلالات وجهالات يجهلون مصادرها ومواردها وتذهب بهم الى حيث لا يجدون إلا غضب الله وسخطه ، ولهذا فنحن لهم مجانبون و لبدعهم آبون هاجرون

هذا واذا ما أردنا أن نناقش قوله هنا مناقشة منطقية جدلية علمية قلنا : قوله « وحكموا بشرك من خالف معتقدهم » الى آخره إما أن يريد به أنهم حكموا بشرك من خالفهم فى أصول الدين وأمهات العقائد بمعنى أنهم كفروا المخالفين لهم الذين وقعوا فى الشرك والكفر على ما تقضي به الأصول التى علموها ودانوها . وإما أن يريد به أنهم حكموا بشرك من خالفهم مطلق مخالفة ولو فى أمر لايوجب الخلاف فيه الشرك والكفر على ما تقضي به الأصول التى علموها ووضوها . إن كان يريد الأول قيل له : ان جميع الناس جماعات وآحاداً كذلك يصنعون لايخالفون

في هذا ولا ينازعون أو يرتابون . فان كل انسان يؤمن بالايمان والكفر يحكم بكفر من وقع فى الكفر على مقتضى أصوله التى علمها ورضيها ، ولا معنى للكافر عند الناس إلا أنه من وقع فى الكفر حسب ما يفهمون ، ولا معنى للمشرك عندهم إلا أنه من صار الى الشرك كما يفهمون ويعلمون . فالمشرك عندك وعند غيرك هو الذي خالفك فصار الى الاشراك ، والكافر عندك وعند غيرك هو الذى خالفك فصار الى الكفر على مقتضى علمك وفهمك أنت ، ولو لم يكن المشرك عندك هو من وقع فى الشرك لم يكن ثمت مشرك عندك ، ولو لم يكن أيضا الكافر عندك هو من وقع فى الكفر حسب ما تفهم لما كان هنالك كافر لديك . وهذا لا خلاف فيه بين العقلاء . فان الناس جميعا يحكمون بشرك من وقع فى الشرك وبكفر من أتى بالكفر حسب ما يفهمون ، كما يحكمون بطول من حسبوه طويلا وبحمرة من حسبوه أحمر ، وبقيام من حسبوه قائما . واذا ما أريد الانكار على أحد فى هذا لم يقل له كيف تحكم على من اعتقدت انه كافر بالكفر وعلى من اعتقدت أنه مشرك بالشرك ، ولكن يقال له كيف اعتقدت بأن هذا العمل شرك وكفر أو ملازم للكفر والشرك ؟ وما الدليل لديك على أن من عمل كيت وكيت فهو مشرك أو كافر فى حين أنه لادليل لك على ذلك بل الدليل قائم على خلاف قولك ، دال على خلاف ما تحسب ؟ وكذلك لا يقال كيف حكمت بأن من وقع منه القيام قائم وبأن من اتصف بالحمرة والطول فهو أحمر وطويل ، ولكن يقال كيف علمت وحدك بأن فلانا قد وقع منه القيام وبأنه قد اتصف بالحمرة والطول ، كيف والناس يخالفونك فى ذلك ولهم مثلك أعين بها يبصرون وآذان بها يسمعون ، ولستَ أعلم منهم . هذا ما يقال فى مثل هذا ، وهذا ما تقضى به القوانين المنطقية الموروثة الطريفة والتليدة

إذن فالذى على هذا الرافضى أن يقيم الدليل على أن مخالفيه يحكمون بالشرك والكفر على من ليس مشركا ولا كافراً ، لا أن يقول إنهم يحكمون بالشرك والكفر

على من اعتقدوه كافراً مشركا . فان هذا المعنى يشترك فيه جميع الناس العقلاء كما ذكرنا . فعليه مثلا أن يقيم الدليل على أن طلب الأموات ما لا يقدر عليه إلا الله ليس كفراً ولا شركا ، فاذا ما استطاع ـ ولن يستطيع ـ إقامة الدليل على ذلك صح له أن يقول إن مخالفيه يحكمون على المسلم بالشرك والكفر اذا ما كفروا من طلب الأموات هذه المطالب العليا التى لا يستطيعها إلا الله وحده . أما غير هذا من القول فعبث وحشو

هـذا إن أراد الأول ، وأما ان أراد الثانى : أي ان أراد أنهم يحكمون بالشرك على من خالفهم مطلق مخالفة ، ولو فى أمر لا يوجب الشرك والكفر قلنا هذا تناقض باطل وقول لا يعقل فانهم هم وغيرهم لا يمكن أن يحكموا على أحد بالشرك والكفر حتى يعتقدوا أنه قد جاء بالشرك والكفر وحتى يعتقـدوا أن ما حكموا عليه لأجله بذلك كفر أو شرك وهم إذا حكموا على أحد بأنه مشرك أو كافر فلا ريب أنه قد عمل الكفر والشرك حسب اعتقادهم ولو لم يعتقدوا ذلك لما حكموا عليه به . وهذا من الضروريات الواضحة التى لا يتنازع فيها العقلاء

وهذا قصارى فلسفة كلام هذا الرافضى المعارض ، وقصارى ما فيه من دخل ودخن

وقوله : « واستحلوا ماله ودمه وبعضهم استحل سبى الذرية » الى آخره من الأكاذيب الطائرة المقصودة التى لا شبهة لها يمكن أن يتعلق بها جارمها

وقد حارب النجديون المخالفين المعتدين عليهم عشرات المرات وانتصروا فى مواقع كثيرة معلومة . وقد كان المخالفون لهم هم البادئين المهاجمين ، وكان النجديون هم المدافعين المظلومين ، وهذا ما لا ريب فيه ، ولكن لن يستطيع هذا المعارض أن ينقل عنهم صادقا أنهم سبوا الذرية فى موقعة من المواقع ، ولينقل ذلك عنهم إن استطاع ، ولن يستطيع أن ينقل عنهم أنهم استحلوا مال أحد من القوم الذين

استطاعوا التغلب عليهم والظفر بهم . وهذه حروبهم فى الحجاز واليمن الأخيرة والقديمة تشهد صادقة جاهرة على ما نقول ، وعلى أن هذا لم يصدق فيما قال

أما إن كان يريد أنهم استحلوا الأموال التى تكسب من المحاربين المقاتلين كالذخائر والعدد الحربية ونحوها مما جمعه المحاربون الغازون فمثل هذا كل الناس مسلمين وغير مسلمين يأخذونه ويستحلون أخذه ، لا لأن صاحبه كافر خارج من الاسلام بل لأن قوانين الحروب تقضى به ، وتبيحه السياسة العامة ، لأنه مجموع من مال الأمة

وقوله « وجعلوا دار الاسلام دار حرب ودارهم دار إيمان تجب الهجرة اليها » قول تبطله أعمال الحكومة السعودية اليوم ومواقفها من سائر الحكومات الاسلامية ؟ وها هي قد بعثت مفوضين لها فى أقطار يزعم هذا الرجل أنهم يعدونها ديار حرب تجب الهجرة منها ولا يجوز المقام فيها ، وها هى خطابات جلالة الملك عبد العزيز كل عام بين وفود الحجاج تبطل هذا الزعم ، وها هى حكومة جلالته تبعث البعوث العلمية دينية ومدنية الى الأزهر والى غير الأزهر ، وفى هـذا نقض صريح لزعم هذا الشيعى

نعم نحن لا ننكر أن فى بلاد نجد قوماً لم يضربوا فى الأرض ولم يفارقوا بلادهم فلم يعرفوا ما في الخارج ، سمعوا أنه فى كثير من البلدان الاسلامية تفشو المعاصي وتباح وكذا سائر المنكرات من الكفر والالحاد والقدح فى الأديان عامة وفى الاسلام خاصة وفى الأنبياء ، وسمعوا أن المسلم لا يستطيع أن يجهر بدينه أو أن يقول كلمة الحق أو أن يعادى الباطل ولو بالكلام والملام . ان قوما هنالك سمعوا هذه الروايات المبالغة ، وهم لم يروا ولم يعلموا الحقيقة فقالوا بناء على هذا ان المقام هنالك حيث لا يستطيع المسلم أن يعبد الله وأن يقول الحق وأن يحفظ عرضه ودينه لا يجوز ولا يباح ، بل تجب عليه الهجرة فراراً بنفسه وبدينه وبعرضه الى حيث يستطيع أن ينجو

بذلك من هذا البلاء ويبحث يستطيع أن يقول الحق . وهـذا كله قائم على جهل الحقيقة ثم على المبالغات فى الحديث والرواية ، ويقـابل هذا أن فريقا من المسلمين فى البلاد العربية وغير العربية مثل مصر والشام والعراق وغير هذه البلدان يسمعون أن النجديين أوالوهابيين كما يقولون خصوم للنبي الكريم ﷺ وللأولياء والصالحين وللمسلمين أجمعين ، وأنهم يأبون الصلاة والسلام على النبي ﷺ ، وأنهم يضربون وقد يقتلون من يصلى عليه ﷺ ، وأن من يذهب الى ديارهم على خطر عظيم فى ماله و نفسه ودينه ، ويسمعون أيضاً غير ذلك من الأكاذيب الشائعة التى أذاعها دعاة السوء والهوى طاعة لأغراض دنيئة دنيوية ، فيحكم هؤلاء الذين سمعوا هذه الروايات بأن أولئك القوم المعروفين بالوهابيين قوم خارجون ضالون لا يصلح البقاء بين أظهرهم ولا فى بلادهم لذلك ، ومبعث هذا كله هوالكذب والارجاف وإذاعة السوء والفاحشة ، وقد قال واحد من هؤلاء الموسومين عنـد العامة بالفقه والدين فى حلقة درسه الحافل بالدهماء الجهـلاء : ان الهجرة اليوم تجب من الحجـاز لأجل ما هنالك من الضلال والمروق ، وهذا كله من الجهل والغرارة ودواؤه العلم والمعرفة

ولكن هل من الانصاف والحكمة أخذ أمة بأسرها بمـا يقوله بعض الأغرار انخداعا باشاعات سمعوها لا عن عقيـدة اعتقدوها ، وهل اذا قال بعض الأغرار ممن لم يخبروا الدنيا وممن لم يعرفوا ما فيها قولا من الأقوال المبنية على السماع المخدوع المضل يؤاخذ أولو الأمر والشأن بما قالوا ؟ هذا عين الضلال والخطأ ، وهذا مالا نرضاه لأنفسنا ولا لأخواننا ، وهذا ما نذكره إنصافاً للحق والحقيقة

وقوله « وحكموا بقتل تارك الفرض وإن لم يكن مستحلاً » قد سلف الجواب عليه فى الأمر السادس من مقدمته الثانية ، وتقدم أن قوله هـذا طعن فى المسلمين جميعا وفى جميع الفرق الاسلامية حتى فى الشيعة نفسها

وأما زعمه أن الوهابيين خرجوا عن السنة وخالفوها فجوابه يعرف من كتابنا

هذا ومن أقوال هذا الشيعي التي نرد عليها ، ومن الظريف الطريف أن تتهم الرافضة والشيعة أهل السنة من أهل نجد بمخالفة السنة وبالخروج عليها

على أنها الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

هذا واذا أردنا أن نقابل أدبه بمثله قلنا صادقين راشدين : ان الرافضة يشبهون المنحلين من الأديان جملة من وجوه كثيرة ، منها أن الفريقين لا يبالون الأديان فلا يغضبون لله ولا لمحارمه فلا يؤاخذون أو يلومون من كفر بالله ومن جعل له أنداداً ولا من عبد خلقه وضرع الى الأموات ولا من أعرض عن ربه وعن رضاه وعن حكمته فى خلقه ، وإنما يغضبون للجهال الأغرار المنحلين من الدين ومن الفضائل ويدفعون عنهم ، حاملين على من غضب لله فناوأ خصوم دينه وخصومه ، كما فعل هذا الشيعي هنا ، فالفريقان يصدران عن عقيدة واحدة ويغترفان من منهل واحد ، فمن الأحق باللائمة يا ترى ؟

ثم قال الرافضى « رابعاً ـ كما أن الخوارج استندوا فى شبهتهم هذه الى ظواهر من الآيات والأدلة التى زعموها دالة على أن كل كبيرة كفر ، كذلك الوهابيون استندوا فى هذه الشبهة الى ظواهر بعض الآيات والادلة التى توهموها دالة على أن الاستغاثة والاستعانة بغير الله شرك وعلى غير ذلك من معتقداتهم »

قلت : وجواب ذلك أن يقال لا يعاب القوم بأن استدلوا على عقائدهم بظواهر الكتاب والسنة والمعقولات بل هذا أمر لا بد منه . فان العقائد التى لا تستند على أدلة الكتاب والسنة لا تقبل ولا يجوز التعلق بها ، وليس يعيب العقيدة أن تشهد لها ظواهر الكتاب والسنة وظواهر الأدلة الشرعية ، بل الذي يعيب العقيدة ألا تكون لها مستندات شرعية لا من الكتاب ولا من السنة هذا هو مايضير العقيدة وما يعيبها وما يقضى بردها . أما استنادها على الكتاب والسنة والأدلة الشرعية فليس هذا بدليل على بطلانها وعلى استحقاقها الرد والنقض . فان عقائد المسلمين الراشدين

كافة مستندة على ظواهر الكتاب والسنة وظواهر الدلائل الشرعية ، وان من دلائل صدق العقيدة وصوابها استنادها على كتاب الله وسنة نبيه ، ومن دلائل بطلانها ألا تكون لها مستندات شرعية . فانه اذا لم يكن لها ذلك لا من الكتاب ولا من السنة كانت عقيدة باطلة لأنه لم يدل عليها الكتاب والسنة . وما لم يدل عليه الكتاب والسنة غير مفروض على المسلم احترامه دينا . أما ان كان يريد أن هذه الظواهر هى ظواهر كاذبة خادعة وهذا هو مايريد قلنا ان الكلام على هذه المسألة سوف يأتى بيانه وسوف يعلم أن دلائلنا على هذه المطالب العليا هى دلائل بينة لا تقبل الجدل والنزاع وسوف يعلم أنه لم يوجد مايعارضها من المعقول ولا من المنقول ، وأن المعارضات التى يقابلون بها ظواهر الكتاب والسنة هى معارضات وهمية ترجع الى الظن والتخرص والتمحلات التى يستطاع تسليطها على جميع الكلام الموجود فى الدنيا وما سوف يوجد كما صنع ذلك أقوام ولا يزالون يصنعونه فيما يضعونه بينهم من عقود ومعاهدات ومحالفات راحوا يؤولونها ويفسرونها كما يشتهون وكما تقضى مصالحهم وأهواؤهم لا كما تقضى نصوص الكلام اتباعاً للاهواء والأنانية الظالمة الخاسرة ، وهؤلاء المخالفون المعارضون من المحال أن يظفروا بآية واحدة أو حديث واحد صحيح يدل ـ ولو بوجه ضعيف ـ على جواز الاستغاثة بالأموات والانقطاع الى القبور رغبة ورهبة . أما النهى عن دعوة الاموات الذى هو قولنا وما ندعو اليه فالقرآن والسنة مملوآن بذلك باعتراف هذا الرجل إلا أنه يلجأ الى التأويل والتحريف ويفزع من دلالتها الصادعة الى التمحل البعيد . والتأويل والتحريف لن يعجزا أحداً من الناس ولن يعصم منهما كلام فى الأرض أو فى السماء ، ولكن هذا ليس دليلا على أن من استطاع ذلك أو حاوله فأدركه راشد بل تحريف الكلام والذهاب به عن سبيله الواضحة المعلومة هو سنة اليهود كما ذكر الله ذلك عنهم فى آيات من كتابه ناعياً عليهم . وهذا الرافضى يذكر هذا

هنا ليدفع به مالابد أن يقوله له من يقرأ كتابه وهو أن يقال شتان مابينك وبين مخالفيك ! فانك تلجأ أنت فيما تدعى وتهول الى التأويل البعيد والاستمساك بالآراء المتطرفة الغالية التى لا مستند لها من الكتاب والسنة ، وأما مخالفوك فانهم يقابلونك بقول الله وقول رسوله وأقوال الأئمة من أهل الحديث والسنة ، ويضعون أمامك ألوانا وأفانين من دلالات القرآن والحديث وأقوال أئمة المسلمين بعبارات واضحة بينة وأساليب صريحة ظاهرة وأشياء لا يوجد ما يعارضها أو ما يقوى على معارضتها ، واذا ما كان ذلك كذلك فكيف ترجو من القراء أن ينصروك على مخالفيك وهذا مقدار ما بينكم من الفرق والبون ؟ فهذا الرافضى ذكر ماذكر هنا دفعا لهذا الاعتراض الذى لابد منه قائلا إن استناد العقيدة على دلائل الكتاب والسنة ليس دليلا على الاقتران بالحق ، وهذا كما وقع للخوارج .

ولكن يقال له ان الخوارج لم يضلوا لأنهم استندوا في عقائدهم على ظواهر الشرع ولكنهم ضلوا لأنهم ابتكروا عقائد ضالة باطلة . فاذا ما استطاع الشيعى أن يقيم الدليل على أن عقائد مخالفيه فى هذه المسائل العالية ضلال أدرك مايريد أن يقول واذا لم يفعل ذلك لم ينفعه ماقال ولم ينفعه أن يستند مخالفوه على ظواهر النصوص ولم يضرهم هم ذلك

هذا واذا أردنا أن نقابل أدبه بمثله قلنا ونحن صادقون : ان هذا الرافضى واخوانه يشبهون أخصام الاسلام والوحدة الالهية من وجوه كثيرة . منها أنهم يغلون فى العباد حتى يضعوهم فى أفق أسمى من أفقهم بلا سلطان من الله ، وانما ينتحلون ذلك بشبهات ومقاييس مضطربة مختلة وأمور مركبة من أمزاج الأوهام المعتلة كما قال الله فيهم «ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » وقال (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا إلا ليقربونا الى الله زلفى) وهذا كهذا ولا فرق

ثم قال الرافضي : « خامساً ـ كما أن الخوارج استحلوا قتال ملوك الاسلام والخروج عليهم كذلك الوهابيون استحلوا قتال ملوك الاسلام وأمرائه لأنهم باعتقادهم أئمة ضلال ناصرون للشرك والبدع » قلت وهذا أيضا من الأكاذيب الشهيرة . فان الوهابيين لم يبدؤا أحداً من ملوك الاسلام وأمراء المسلمين بالقتال ولم يخرجوا على أحد منهم الخروج الذي يريده ، وهذه التواريخ المختلفة هل يستطيع أن يظفر منها بالدليل على ما قال من استحلال الوهابيين قتال ملوك الاسلام وأمراء المسلمين وخروجهم عليهم ؟ وهذه حكومة الحجاز القائمة اليوم . هل خرجت على أحد من ملوك الاسلام وأمرائه وهل بدأت أحداً منهم بالقتال والمناوأة المزعومة ؟ وهذه الحكومات الاسلامية محيطة بجهاتها وحدودها ليس بينها وبينها حاجز سوى رعاية الله وامتثال أمره ثم الضن بدماء العرب والمسلمين ثم وفاء النفس فهل بدأت أحداً من هذا الحكومات بالقتال والخروج أو هل استحلت قتال ملك من ملوكهم ؟

وقد تحرش كثير من هذه الحكومات بها وأساءت اليها ونالتها بألوان من الأذى والسوء ، فهل قابلت هذه الاساءات بالقتال والثورة والجزاء العادل المشروع أم كانت تدفع بالتي هي أحسن ، وتجزي الاساءة بالاحسان والذنب بالغفران ؟ أو ليست كما يشهد الناس كلهم ما زالت تزدلف من الحكومات الاسلامية كلما ابتعدت عنها هذه الحكومات وتلين عليها كلما قست هي عليها ، أو ليس هذا مما لا ريب فيه ومما لا ينكره منكر أو يجحده جاحد ؟ وان أكبر دليل وأقربه على ذلك وعلى تعمد هذا الشيعي الوقيعة الجريئة ذلك الموقف الذي اختارته الحكومة السعودية من حكومة اليمن في الحرب الأخيرة المعلومة ، فقد وقفت الحكومة السعودية الوهابية من تلك الحرب أشرف موقف وأنبله قبل وقوع الكارثة ، وفي أثناء وقوعها ثم في تدبير وقفها ثم بعد انتهائها ، وصنعت يوم ذاك صنعاً هو غاية ما يصنعه

أعدل الناس وأرأف الناس وأحلمهم وأعفاهم ، فقد تحرشت بها حكومة الامام يحيى الشيعية المعتدلة مرات وفى كل مرة تغض الطرف عن ذلك بل وتتجاهله وتعده من الأحداث المحلية الهينة ، بل وتتودد الى الحكومة اليمانيـة وتجدد لها الولاء حتى حسب ذلك ضعفـاً ، وحسب موقفَ الضعيف العاجز أمام القوى الغالب ، حتى تطورت المسألة فهاجمت حكومة اليمن أطراف المملكة السعودية مريدة التوغل فى أحشائها ، فأرسلت الحكومة السعودية الى ملك اليمن الاحتجاج بلطف وتودد ورفق مراراً ، فلمـا لم يفد ذلك الاحتجاج المكرر لجأت الى أن تقابل المغير المهاجم بما يفرضه عليها الدين الحنيف وتبيحه القوانين الحربيـة كلها ففعلت ذلك مكرهة ، فتغلبت بسرعة مدهشة عجيبة على جيوش اليمن واكتسحتها وامتلكت ناصية النصر فى جميع الميادين ، واتفقت كلمة الناس حين ذاك على أن حكومة اليمن صائرة الى الفناء والتلاشي وأن الحكومة السعودية داخلة صنعاء عاصمة اليمن ولا بد وأجمعت على ذلك ولهجت به جميع الصحف العربيـة فى مصر وغير مصر ، وصار هذا الأمر حديث النـاس ورأيهم الذى لا يشكون فيه ولا يرتابون ، ولكن ! ولكن حدث حادث عدَّ خارقة لا مثيل لها فى سجل الحروب العالمية وفى الصراع بين داعى العفو والكرم وداعى الواجب ، واجب النفس وواجب الأمة المتفوقة الغالبة بأموالها ودمائها ، وحدث حادث عدَّ المثل الأعلى للتسامح والكرم فى أمر لم يعهد الناس فيه تسامحاً ولا كرماً ، وهو أمر الحرب واجتناء ثمار النصر : دعى الملك عبد العزيز سيد الحكومة الوهابية الى وقف الحرب ووقف تقدم جيوشه فلبى ذلك الدعاء وأولئك الداعين طائعا مختـاراً ، ثم دعى الى الصلح فلبى ذلك الدعاء وأولئك الداعين طائعا مختاراً ، ثم دعى الى ما هو أكثر من ذلك وأعز على النفس دعى الى إخراج جيوشه من البـلاد التى احتلوها بالدماء والخسائر الفادحة على أن يتحمل وحده تلك الخسائر وتلك المغـارم دون من جناها وأصلاها ، فلبى ذلك

الدعاء وأولئك الداعين طائعاً مختاراً ، ثم دعى الى ماهو أسمى من ذلك كله وأدخل في ضروب البطولة ، دعي الى عقـد معاهدة مع حكومة اليمن التى بالأمس آذته ثم حاولت اقتحام بلاده ثم اقتحمتهـا فلم يكن منه إلا أن يلبي ذلك الدعاء وأولئك الداعين طائعا مختاراً

لبى ذلك كله غير مكره ، ولو لم يلبه لما كان ظالما ولا ملوما ، ولما كان فاعلا أ كثر مما يفعله أعدل الناس وأرأفهم وأحلمهم

انتهى هذا كله وقابله العالم فى أطراف المعمورة بالاعجاب والدهشـة والثناء الحار المتواصل ، وصار هذا الصلح السعودى والعفو الوهابي حديث الناس وأغنية المتحدثين المعجبين ، وصار مثلهم المضروب في الكوم الحربي وتعشق السـلم وحقن دماء المسلمين والحرص على ولاء أهل الاسلام ، وراح الناس المعجبون المغالون بأمم الغرب ومدنيتها وسلمها ورحمتها يدلونهـا على مكان الشرف ومكان الحلم ومكان الشفقة والتعلق بالسلم ويرونها مكان ذلك فى جزيرة العرب المحرقة المتيـدة بين هضبات نجد منبت الشيح والقيصوم . تلك البلادالدائنة بالقرآن المتمسكة بسنة النبي العربى ﷺ

هذا أول فصول هذه القصة النادرة المعجزة ، ثم يلى هذا فصل آخر لا يقل عن الأول روعة وجلالا وجمالا ، وهذا الفصل هو فصل محاولة الاعتداء على حياة جلالة الملك عبد العزيز فى الشهر الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام واليوم الحرام . وذلك أن نفراً من رجال حكومة اليمن وموظفيها القريبين لم يرضهم عفوجلالة الملك وكرمه العجيب وتسامحه النادر المثال ، أو بالأصح لم يرضهم انتصاره البـاهر ، وإن كان هو لم يجن زهر ذلك الانتصـار وثمره ماديا عاجلا ، بل وإن كان هو المدافع وهم المهاجمين ، فائتمروا باغتياله وانتزاع حياته التي هى حياة أمة وملة غيلة وخيانة على رغم أنف المعاهدة المبرمة والصـداقة المعقودة والاحسان الجليل الجميل الذي وقفه

منهم و اختاره طائعا مختاراً : هجموا على جلالته محاولين اغتياله وهو يطوف فى بيت الله الذى جعله الله أمنا وجعل من دخله آمنا يؤدى نسكه وشعائر حجه وعبادة ربه . ولكن ! ولكن الله أنزل لطفه ورحمته وأهبط أحد شئونه الخفية التى تهبط الأحيان فى الأرض لرفع أمر عظيم ، فدفعت الكارثة عن عباده المؤمنين وبيته الحرام وبلده الحرام ، فكف تلك الأيدى الأثيمة وجعل بينها وبين حياة عماد هذه الأمة ورجائها برزخا موصولا بالسماء منسوجا من سلطان الله ورحمته لا يستطاع اجتيازه إلا بسلطان من الله ، ولكن سلطان الله لا يناله الظالمون المعتدون الغادرون

مرّت القارعة ومر ما كان مخوفا أن يتلوها من المحن والارزاء والمصائب الجسام بسلام وبقيت حياة الملك الغالية ، وعرف مصدر هؤلاء الأئمة وأثبت التحقيق أموراً عظيمة خطيرة كان الناس يظنون أنها سوف تعيد البلاء جذعا ، والشر فى عنفوانه وعنفه . ولكن حدث حادث آخر عدّه الناس خارقة أخرى ومثلا أعلى فى الصفح والعفو ، وفى النزاع العنيف بين داعى الجزاء العادل وداعى العفو الشامل ، جرّت ارادة الملك عبد العزيز على هذه الحادثة وعلى ما اكتشفه التحقيق فيها من أمور ودخائل عظيمة أذيال العفو والاغضاء والصفح الجميل ، ووهبت الحقوق كلها لرضا الله ولوجهه الكريم ، لمن لا يضيع لديه حق ولا ينسى لديه إحسان وعرف ، فعدَّ الناس هذا الفصل من فصول هذه القصة أروعها وأجلها وهبَّ الناس المفتونون المعجبون بأوربا ومدنيتها وشرفها وغرامها بالسلام والتريث لدى حمية الأنوف العزيزة الأبية يدلونها على مكان المدنية ومكان الشرف الرفيع ومكان عشاق السلام عند التهاب المعاطس أنفا وحمية . هنالك فى جزيرة العرب فى هضبات نجد حيث يدان لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

أفيمكن أن يكون أصحاب هذه المثل الرائعة والمواقف العجيبة يستحلون قتال ملوك الاسلام والخروج عليهم لاعتقادهم أنهم دعاة شرك ونصراء ابتداع ؟ أو يمكن

أن يكون قوم يتزعمهم هذا السيد الجليل الذى رفع رؤوس العرب والاسلام بصفحه وعفوه يستحلون قتال ملوك الاسلام وأمراء المسلمين لاعتقادهم أنهم دعاة شرك ونصراء بدعة ؟ اللهم سبحانك ! اللهم ان هذا لبهتان عظيم

أفيغضى هذا الشيعى عن خطوات هذه الحكومة نحو اكتساب صداقات الحكومات الاسلامية وملوك المسلمين ، والسعى الحثيث الى الاقتراب منهم وتجديد الولاء والمودة لهم فى كل وقت ، ثم ما تعقده معهم من معاهدات الصداقة والمحالفات الدفاعية عن بيضة العرب وقلب الاسلام ؟

أما إن كان يريد بقتالهم ملوك الاسلام ما وقع من القتال بين زعماء هذه الدعوة وبين الجيوش العثمانية وولاتها وما وقع بينهم وبين والى مصر محمد على باشا وبينهم وبين أشراف مكة الأقدمين . ان كان يريد هذا قيل له : إنك أنت قد ذكرت فى أول كتابك أن الدولة العثمانية وولاتها قد حاربوا الوهابيين فى قلب بلادهم وهاجموهم فى أقصى مأمنهم حتى خربوا عاصمتهم واكتسحوها وحتى أخذوا أميرهم عبد الله بن سعود هو ورجاله وقتلوهم صبراً فى بلاد الخلافة ، وذكرت أيضاً فى أول كتابك أن شريف مكة غالباً المعاصر لذرور هذه الدعوة قد غزا الوهابيين ما يزيد على خمسين غزوة مدى خمسة عشر عاما مهاجماً لهم فى أحشاء بلادهم ، وذكرت أنت فى هذا الكتاب أن هذا الشريف كان يغزو كل من قبل دعوة الوهابيين موقعاً بهم الخسائر الماثلة في الرجال والمال ، وذكرت غير ذلك من اضطهاد النجديين والبغى عليهم ومحاولة قتالهم واذلالهم . فاذا كان حقاً ما ذكرت أو بعض ما ذكرت فهل يصلح معه أن تدعى أن الوهابيين يستحلون قتال ملوك الاسلام والخروج عليهم ؟

أفما كان الصحيح الذى يطرد مع ما ذكرت أن تدعى أن ملوك الاسلام هم الذين كانوا يستحلون قتال الوهابيين والقضاء عليهم وغزوهم فى ديارهم لأن بعض

المموِّلين على العلم من المشايخ الرسميين أفتوهم بكفرهم وبلزوم الخروج عليهم وباستئصال شأفتهم كما تقول وكما تدعى

نعم انهم حاربوا أشراف مكة وافتتحوا الحجاز أولا وأخيراً ولكن بعد ماذا ؟ بعد أن اعتدى عليهم الأشراف وبعد أن بدؤهم بالقتال والسوء والأذاة وبعد أن ألبوا عليهم الأضغان وأثاروا بهم الحفائظ والعداوات ، وبعد أن أشاعوا عنهم مقالات السوء من كفر وبدعة وخروج على المسلمين وعلى الاسلام أيضاً ، وأخيراً بعد أن حالوا بينهم وبين حج بيت الله الحرام الذى جعل فيه سواء الحاضر والباد ومنعوهم من أداء هذه الفريضة المقدسة ، ويعترف بهذا الشيعى فى كتابه : ثم نعم حاربوا بعض الجيوش التركية ولكن بعد ماذا ؟ بعد أن اعتدت تركيا عليهم مرات وبدأت بقتالهم وأذاتهم . ومن ذا يقول من العقلاء إن المدافعين عن أنفسهم وبلادهم يستحلون قتال ملوك الاسلام لذلك ؟ ثم لو فرضنا أنهم بدؤا الدولة العثمانية بالقتال والثورة المدمرة ــ وهذا ما لم يكن ــ لما كانوا فاعلين أكثر مما فعله سائر العرب والمسلمين إبان الحرب الكبرى وقبلها وبعدها . أوليس شريف مكة الذى يدافع عنه هذا الرجل هوى وتغريراً ، بل أوليس جماهير رجالات العرب وزعمائهم قد قاموا فى صفوف الحلفاء والدول الغربية الظالمة فى الحرب العالمية يحاربون تركيا الدولة المسلمة ويحاربون الخلافة الاسلامية فى هيكلها ؟ ؟ أفما أعلن هؤلاء كلهم الخروج والثورة على الدولة العثمانية واقفين فى صفوف بريطانيا وفرنسا وايطاليا وغير هؤلاء من دول أوربا الظالمة الباغية ؟ أو ما أبى الملك عبد العزيز امام الوهابيين الانضمام الى دول أوروبا لحرب تركيا مثل ما فعل رجالات العرب وهو يعلم ما صنعته بآبائه وبلاده من العسف والتخريب . أفما رغبه الحلفاء فى الانضمام اليهم ، فبقى مصراً على الحياد باعتراف هذا الشيعى فى كتابه

ثم اذا كان يعتبر وقوع الحرب بين جيوش الامبراطورية العثمانية وبين أمراء النجديين السعوديين ـ وهم مبدوؤن بالحرب كما ذكرنا ـ دليلا على أنهم يستحلون قتال ملوك الاسلام والخروج عليهم فليعلم أن الحرب قد قامت بين جيوش الدولة العثمانية وبين دولة ايران الشيعية مرات ، وحدث قتال بين جيوش الدولتين والامتين عنيف ، فليعتبر هذا القتال وهذه الحرب برهانين على أن الشيعة يستحلون الخروج على ملوك الاسلام وقتالهم

ولو كان هذا الشيعي يرعى الحق ويحرص على قوله لقال مبادراً ان الشيعة هم الذين يستحلون قتال ملوك الاسلام وأمراء المسلمين ويستحلون الخروج عليهم وتبديد شملهم وتفريق كلمتهم فان الشيعة بجملتها ما كانت الا خروجاً على الخلفاء الراشدين وعلى الملوك المسلمين وأمراء المؤمنين ، فهي مؤسسة على هذا الغرض والمعنى . أعنى على منابذة الخلفاء ومناصبتهم العداء والبغضاء . فان أول وضعة المذهب الشيعي أعنى عبد الله بن سبأ كان أول أمره وأول ماقام به وسعى لنشره وكذا كان غيره هو القدح فى الخلفاء الراشدين والحث على الخروج عليهم وعلى قتالهم . لأنهم فيما زعموا ظلمة مغتصبون ماليس لهم قد ظلموا علياً وآله فاغتصبوا حقهم المشروع الواجب وهو الخلافه . وعبد الله بن سبأ هذا هو الذى دبر أبعده الله ثورة الناس بخليفتهم عثمان حتى راح قتيلا شهيدا ، وهو الذى ملأ صدور الناس عليه ضغينة وحقداً بما أبداه من الغيرة الكاذبة لآل النبى والولاء الخادع لهم والفضائل المزورة والدعاوى الباطلة الحمقى . فكان أول وضعة هذا المذهب هو أول السعاة الى القيام على الخلفاء واغتيالهم والثورة بهم . ثم تتابع الشيعة والمتشيعون على المناداة بمعاداة الخلفاء والأمراء المسلمين الشرعيين والخروج عليهم واغتيال من استطاعوا اغتياله وخضد شوكة من استطاعوا خضد شوكته ، ولايزالون هكذا الى يومنا هذا كما فعل هذا الشيعي العاملي هو واخوانه نحو الحكومة العربية النجدية

ولقد لقيت دولة بنى أمية من هؤلاء البلاء الأحمر والشر المستطير . فقد نسجوا الثورات المحكمة تلو الثورات المدمرة عليها وكادوا لها بكل ماوصلت اليه حيلهم وأذهانهم من مكايد وحاكوا لها مااستطاعوه من حبالات الشر والخداع وجاءوا من ذلك بالأفانين حتى زال ملك بنى أمية وخرج الأمر من بين أيديهم وهلكت خلافتهم . وكذلك لقيت دولة بنى العباس من هؤلاء أيضا ألوان البلاء والدسائس والثورات المتلاحقة . وجاءوا من ذلك بالأفانين حتى زال ملكهم أيضاً وطاحت خلافتهم وخرج الأمر من بين أيديهم . ودولة بنى العباس ودولة بنى أمية هما دولتا الاسلام العظيمتان اللتان رفعتا الاسلام والمسلمين حقباً متطاولة وهذه حقائق لا تنازع . وما كان الشيعة والمتشيعون يدعون من الكيد للخلفاء والامراء والاغتيال لهم والخروج عليهم إلا ماعجزوا عنه وخافوا من عقباه حز الغلاصم وتطاير الرؤوس . وليذكر من لا يذكر من هؤلاء البغاة المتشيعين المختار ابن أبى عبيد الثقفى الشيعى وما قام به من ثورة دامية أثيمة مقرونة بدعوة دينية هوجاء طائشة . وليذكر من هؤلاء المتشيعين دولة بنى بويه ودولة الصفويين الفارسيين . ثم ليذكر دولة الفاطميين العبيديين وما أنزلوه من الاضرار الجسيمة بالاسلام والمسلمين والخروج على خلفائهم وأمرائهم واغتصاب السلطان والأمر منهم بالكيد والغدر والدعاوى على الله وعلى الاسلام وعلى النبى الكريم وعلى آله الطاهرين ثم بالحروب والقتال وامتشاق حسام الفتنة والتمرد والخروج

دع عنك القرامطة البغاة وما أصابوا به الخلافة الاسلامية والمسلمين من إصابات هزت جنبات الاسلام هزات لا تزال آثارها مشهودة ماثلة فى معنى الاسلام وفى نفوس المسلمين وفى أخلاقهم ورجولتهم ، والقرامطة كما يعلم كانوا من الشيعة الغالية . ولهذا كانوا يصالحون الفاطميين العبيديين عند هذا المعنى . وقد كان مخرج زعماء القرامطة ودعاتهم من بلاد فارس مثل أبى سعيد الحسن بن

بهرام واخوته . فان هؤلاء وغيرهم من مشهوري القرامطة البارزين في حلبة العدوان والطغيان كانوا من بلدة جنابة إحدى البلاد الفارسية . وكان مخرج آخرين منهم في اليمن مثل علي بن الفضل القرمطي ، وقد أظهر هذا الدعوة في بدء أمره للمهدي المنتظر فخدع به كثيرون من أهل اليمن وترقى أمره الى أن تغلب على اليمن ، ودخل صنعاء وزبيد وأصبح ذا ملك واسم مهيب . ثم ادعى النبوة وأحل المحرمات ، وكان مؤذنه يقول بين يديه أشهد أن علي بن الفضل « يعني نفسه » رسول الله . ثم ارتخى حبل طغيانه في وادي الاثم والخطيئة فراح يكاتب أصحابه بمثل هذه الكلمات : « من باسط الأرض وداحيها، ومزلزل الجبال ومرسيها علي بن الفضل الى عبده فلان » . وقد سالت نفس هذا الطاغية في صنعاء اليمن بعد أن شقي به الملك ثلاثة عشر عاما ، وكان مخرج آخرين منهم في العراق مثل حمدان قرمط . وقد نبغ في سواد الكوفة ، قال المقريزي [1] « وكان ابتداء أمر قرمط هذا في سنة أربع وستين ومائتين وكان ظهوره بسواد الكوفة فاشتهر مذهبه بالعراق وقام من القرامطة ببلاد الشام صاحب الخال والمدثر والمطوق ، وقام بالبحرين منهم أبو سعيد الجنابي من أهل جنابه وعظمت دولته ودولة بنيه من بعده حتى أوقعوا بعساكر بغداد وأخافوا خلفاء بني العباس وفرضوا الأموال التي تحمل اليهم في كل سنة على أهل بغداد وخراسان والشام ومصر واليمن ، وغزوا بلاد الشام وبغداد ومصر والحجاز وانتشرت دعاتهم بأقطار الأرض فدخل جماعات من الناس في دعوتهم ومالوا الى قولهم الذي سموه علم الباطن وهو تأويل شرائع الاسلام وصرفها عن ظاهرها ، الى أمور زعموها من عند أنفسهم وتأويل آيات القرآن ودعواهم فيها تأويلا بعيداً انتحلوا القول به بدعا ابتدعوها بأهوائهم فضلوا وأضلوا كثيرا »

---

(١) في الخطط ص ١٨٣ الجزء الرابع

وكان مخرج آخرين منهم فى البحرين . وقد اتخذوا لهم بلدة فى العراق سموها الهجرة وذاعت دعوتهم فى القطيف والاحساء وأحدثوا ما شاء الله من الفساد والضلال . وقد كان من فعل القرامطة سبى الذرية

وقد ادعى هذا الشيعى [1] أن القرامطة خرجوا ونبغوا فى نجد زاعماً أنه أرشده الى هذا العلم بعض العلماء الذين سأل الله أن يكثر فى المسلمين من أمثالهم . ولعمر الله انه لو وجد لكل ماقاله من خطأ تأويلا صحيحاً لما وجد لهذا شيئاً من هذا ، أما ان كان يريد قيامهم فى القطيف والاحساء فلعمر الله انه أبعد المرمى. فان القطيف والاحساء أولا لم يكونا مظهراً لدعاة هذا المذهب ولكنه سال اليهما من سماء فارس والعراق كما تقدم ، وثانياً فان الاحساء والقطيف لم يكونا من البلاد النجدية البتة ولكنهما يقعان تحت سلطان نجد اليوم . ويغلب فيهما الى هذه الساعة مذهب التشيع وبالأخص القطيف ، ولعل هذا من بقايا القرامطة

فالقرامطة من الشيعة وإليهم منشأ وعقيدة وأصلا وفرعا ، وعندي أن ثورات الشيعة ووقائعها فى أركان الخلافة الاسلامية ورجرجتها إياها أحياناً طويلة من الأسباب البارزة فى عجز الخلافة عن مقاومة موجات التتار المندفعة وفى ذوبها أمامها ثم فى عجز المسلمين عن سد سيل الصليبيين الجارف وانهيال مجدهم الرفيع ، حينما اصطدم بأول عاصفة من تلك العواصف بعد أن كان نسيمهم الناعس يستطيع تقويض ما اجتمع على تشييده وبنائه الظلم كله ، ولله الأمر من قبل ومن بعد

ومن دأب الشيعة أنهم لا يتركون دولة يكونون تحت سلطانها وسلطتها تهدأ أو تستريح من الثورات ومن الاغتيال الدنىء ، وقد لقيت حكومات العراق منهم الأمرين لوفرتهم هنالك بما يحدثونه من الشغب والعدوان ، وقد نال شر الشيعة كل أحد . وهؤلاء الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان لم ينجوا منهم ، وهم اذا عجزوا عن

---

(١) ص ٤٨٦ من كتابه هذا

الشر جهرة وبراحا تسنموه وركبوه خديعة وغدراً . ونذكر هنا على سبيل المثال حادثة مشهورة ، هذه الحادثة هي أن أحد أئمة آل سعود البررة وهو الامام عبد العزيز بن سعود قد وقع صريعاً مغتالا بيد شيعى من أهل العراق ذهب الى الدرعية عاصمة آل سعود يوم ذاك مدعيًا الورع والتقوى والزهد ، فأحسن اليه الامام عبد العزيز وأكرم مثواه ، وكان فى الواقع قد حضر لاغتيال هذا الامام ونحن لا نشك فى أنه دسيسة جمعية شيعية هدامة ثورية قد دبرت هذا الاغتيال ، ويسرت أسبابه ، فلما أن وثق هذا الشيعي الخائن من إمكان أداء مهمته المجرمة أخرج خنجراً كان قد استبطنه معه وطعن الامام وهو يؤدى فرض صلاة العصر في مسجد الدرعية عاصمة ملكه فخرّ صريعاً وقضى نحبه بتلك اليد الشيعية الأثيمة ومن عهد قريب يذكره القراء حاول جماعة من الزيدية ـ والزيدية محسوبون من طوائف الشيعة ـ اغتيال جلالة الملك عبد العزيز هو وولى عهده حينما كانا يطوفان فى بيت الله يؤديان نسكهما فى الحادثة المعروفة المنكرة فوقاهما الله شر ما حاولوا وما راموا . الى أمور يطول وصفها من أحداث الشيعة ومصائبهم فى الاسلام والمسلمين . فلو كان هذا الشيعى يريد قول الحق لقال صادقا : أن الشيعة هم الذين يستحلون قتال ملوك الاسلام وأمرائهم والخروج عليهم لاعتقادهم أنهم نواصب نصبوا العداء لآل النبي عليه السلام . ولو لم يكن جريئاً على أن يغضب الحق أو لو كان يكره الجهر بالباطل الصريح الصحيح لأعرض عن هذا

ثم قال الرافضى : « سادسًا ـ كما أن الخوارج لا يبالون الموت لأنهم رائحون بزعمهم الى الجنة كذلك الوهابيون يظهرون بسالة وإقداماً لأنهم بزعمهم رائحون الى الجنة ويقولون فى حروبهم مع المسلمين :

هبت هبوب الجنـة   وين انت يا باغيها »

قلت لاريب أن الشجاعة والاقدام على الموت فى الحروب من صفات المدح

والرجولة الكاملة ومن صفات المؤمنين المتقين وصفات الأنبياء والمرسلين . وقد اتفقت كلمة العقلاء على امتداح الشجعان والثناء عليهم واحلالهم محل الاحترام والاجلال كما اتفقوا على هجاء الجبناء واحتقارهم والزراية بهم والقدح فيهم . وقد أثنى الله كثيراً فى كتابه على الشجاعة والشجعان وأمر بالاقدام وخوض غمار الموت بالرضا والثبات كما ذم الجبن والجبناء وأوعدهم العذاب ووصفهم بصفات يرغب المؤمن بنفسه عنها . والقرآن بجملته واصف المؤمنين بالشجاعة والاقدام على حلبات الموت بثبات ورباطة قلب وجاش ، وواصف الكافرين والمنافقين والفاسقين بخلاف ذلك ، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم وخيار المسلمين من الأئمة فى غاية الشجاعة والاستهانة بالموت والخطر . وكانوا يمتازون على جميع المخالفين لهم من الكفار والمنافقين بهذه الصفة أعنى الشجاعة والتهوين لشأن الموت . والشيعة تدعى أن علياً كان أشجع الشجعان على الاطلاق وكان أعظم الخلق إقداماً على مهابط الموت ومساقط الردي ، ويدعون أنه لولا شجاعته لما قام للاسلام عمود ولما اخضر له عود وينشدون فى ذلك :

ألا إنمـــا الاسلام لولا حسامه كعفطة عنز أو قلامة ظافر
يجل عن الأعراض والأين والمتى ويكبر عن تشبيهه بالعناصر[1]

وهذا من الغلو الموبق . وفيه مافيه من التحقير للنبي الكريم ولسائر المسلمين الذين نشروا الاسلام وأعزوه بمهجهم الغالية ومن التحقير للاسلام نفسه . حفظنا الله من السوء ومن الغلو الممقوت

فالشجاعة ممدوحة بكل لسان والجبن مذموم بكل لسان . فلا يمكن أن

---

(١) يقال إن هذين البيتين لابن أبي الحديد ولكننى أشك فى هذا لأن الرجل عنده شيء من الاعتدال بل هما لبعض غلاة الشيعة المؤلهة

تكون الشجاعة والهجوم على الموت مما يذم به مخالفو هذا الرجل بالضرورة والبداهة والاجماع

وأما زعمه أن ذلك كان فى حرب المسلمين فنقول قد قدمنا فى الأمر الذى قبل هذا أن النجديين كانوا فى جميع حروبهم مبدوئين بالظلم والأذى وأنهم كانوا فى ذلك كله مدافعين ذائدين عن أنفسهم وعن دعوتهم ودينهم وبلادهم من هاجموهم واقتحموا عليهم أرضهم وديارهم ومن أساءوا اليهم مختلف الاساءات والمظلوم المبدوء بالحرب والايذاء واجب عليه أن يدافع بشدة وقوة ثم واجب عليه أن يطمئن الى حسن عقباه وأخراه وواجب عليه أن يقدم ببسالة وشجاعة بكل نفسه وجسمه .

وهل يعلم هذا الرجل من القوم الذين قاتلهم النجديون أو يعلم ماذا كانوا يعملون وما كان حظهم من الاسلام والدين والأخلاق الانسانية الفضلى ، أو هل يعلم كيف كانوا يعيشون ومن أين يعيشون وكيف كانوا يفعلون ويعبثون بمهج الناس المسالمين الوادعين وبأموالهم وما كانوا ينشرونه من الغارات والثورات والفوضى والأذى فى كل مكان على كل إنسان وعلى كل خلق مرضى كريم . ثم ماذا كانوا يجنون على الدولة والأمة وأخلاق الانسان الكريمة وعلى العدالة من الويل والتخريب والافساد ؟

وليعلم أن من قاتلهم النجديون ليسوا خيراً من معاوية بن أبى سفيان وعمرو ابن العاص وأهل الشام الذين كان على - رضى الله عن الجميع - هو وأصحابه يقاتلونهم ويستبيحون قتالهم واستئصالهم وتخريب قواعدهم وبنيانهم كما تقول الشيعة وتدعى على علىّ بل وكان على ومن معه يقولون إن قتلانا فى الجنة وقتلى الشام من جند معاوية فى النار كما تنقله طائفة الشيعة عنهم ، وفى كتاب نهج البلاغة المنسوب لعلى الشىء الكثير من هذا . بل وفيه التصريح الواضح بوجوب

قتال أهل الشام وهذا لا تنازع فيه الرافضة بل هي تدعيه وتبالغ فيه . فاذا ما كان قتال معاوية ، ذلك الصحابي الجليل الذي قد لم الله شمث المسلمين بذكائه ودهائه وحلمه ، وقتال من معه من الصحابة والتابعين والمسلمين يجوز شرعاً الهنات التي تدعيها الشيعة فكيف ينكرون على النجديين قتال قوم بدأوهم بالأذى والظلم والعدوان وملئوا الارض بالفساد والمنكرات الفاضحة وإتيان الفواحش كبيراتها وصغيراتها ظاهراً وباطنا ، والدفاع عمن استحل ذلك وغمس فيه جسمه وقلبه حتى فرق رأسه ، ومن تركوا شرع الله وراء الظهور فأضاعوا الصلوات والصيام والحج والزكاة ، وتحاكموا الى الطاغوت والجبت وهجروا كتاب الله قولا وعملا واعتقادا وحاربوا من دان بكتاب الله وسنة رسوله وعادوه صنوف العداء وبالاجمال من أوغلوا في كل فاحشة واستحقبوا كل إثم ؟ ألا يعلم هذا الرجل أنه لولا هؤلاء النجديون ولولا غيرتهم الملتهبة للدين ولله ولرسوله وكتابه ثم لولا شجاعتهم النادرة في الدفاع والنضال لكانت جزيرة العرب اليوم ــ ومنها الحرمان مكة والمدينة والحجاز كله ــ غيرها اليوم ولأصابها والله أعلم بما يكون ماأصاب غيرها من بلاد العرب والاقطار الاسلامية المفجوعة بكرامتها وحريتها ؟ فهلا يتدبر هذا جيداً ؟

اذا محاسني اللاتي أدل بها كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر ؟

ثم قال الشيعي : « سابعا ــ كما أن الخوارج على جانب من الجمود والغباوة كذلك الوهابيون على جانب من الجمود . فبينما يحرمون الترحيم والتذكير لأنه بزعمهم بدعة وأمثال ذلك ويتوقفون في التلغراف لعدم وقوفهم على نص فيه ويحرمون التدخين ويعاقبون عليه ، تراهم يكفرون المسلمين ويستحلون أموالهم ودماءهم ويقاتلونهم بالبنادق والمدافع لطلب الشفاعة ممن جعل الله له الشفاعة وتوسلهم بمن له عند الله الوسيلة »

قلت : وجواب ذلك أن يقال إن أغبى الأغبياء وأجمد الجامدين عند الناس

أجمعين من يتأثمون من أن يضيفوا إلى جهال العامة وفساقهم إثما أو خطأ تورعا وتدينا فى حين أنهم يضيفون الى أصحاب النبى الكريم وأزواجه وإلى خيار البشر أفظع الأقوال وشر التهم . وإن أغبى الأغبياء وأجمد الجامدين من يكفرون أمثال أبى بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص ثم يتورعون ويلج بهم تورعهم حتى يأبوا أن يضيفوا إلى من ادعى الاسلام غلطا وإثما أو ضلالة فيكلفون أنفسهم أن يؤولوا كل مايقوله جهال المدعين الاسلام من ألفاظ الكفر والردة والاساءة الى الله . وإن أغبى الأغبياء وأجمد الجامدين من تحملهم عداوة أبى بكر وعمر واخوانهم من كبار الصحابة على اجتناب أسمائهم ومعاداتها بحيث لايسمون أو يقسمون بها . وهذا ماتصنعه الشيعة الغالية . فانك لاتجد فيهم من اسمه ابو بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو . وإن أغبى الأغبياء وأجمد الجامدين من يأتون بشاة مسكينة وينتفون شعرها ويعذبونها أفانين العذاب موحيا إليهم ضلالهم وجرمهم أنها السيدة عائشة زوج النبى الكريم وأحب أزواجه اليه . ومن يأتون بكبشين وينتفون أشعارها ويعذبونهما ألوان العذاب مشيرين بهما الى الخليفتين أبى بكر وعمر وهذا ماتأتيه الشيعة الغالية . وإن أغبى الأغبياء وأجمد الجامدين من يقيمون المناحات والمآتم الباكية الضاحكة السخيفة كل عام حاشدين فيها أنواع المضحكات المبكيات : يضربون خدودهم ويشقون جيوبهم بل ويضرب بعضهم بعضا بالمدى ويصنعون الصنائع المنكرة . وذلك ماتفعله طائفة الشيعة كل عام يوم عاشوراء حزنا على من مات منذ أكثر من الف عام . وإن أغبى الأغبياء وأجمد الجامدين هم الذين غيبوا إمامهم فى السرداب وغيبوا معه قرآنهم ومصحفهم . ومن يذهبون كل ليلة بخيولهم وحميرهم الى ذلك السرداب الذى غيبوا فيه أمامهم ينتظرونه وينادونه ليخرج اليهم . ولا يزال عندهم كذلك منذ أكثر من ألف عام . وإن أغبى الاغبياء وأجمد الجامدين هم

الذين يزعمون أن القرآن محرف مزيد فيه ومنقوص منه ، وأن الصحابة هم الذين فعلوا ذلك وأن ذلك وقع منذ ثلاثة عشر قرنا ولم يستطع أحد فى هذه العصور كلها أن يأتى بالقرآن الصحيح الكامل . فهم ينتظرون ذلك القرآن المشتمل على فضائل آل البيت النبوى . وأن أغبى الأغبياء وأجمد الجامدين من يزعمون أن جبريل قد غلط فى أداء رسالته فنزل بها على محمد وكان مرسلا الى على . وإن أهل الغباوة والجمود هم الذين قالوا لعلى أنت خالقنا ورازقنا . . فلما أمر بهم فطرحوا فى النار قالوا وهم يحترقون : الآن عرفنا أنك أنت الله اذ لا يعذب بالنار إلا رب النار . وان أهل الغباوة والجمود هم الذين يزعمون أن الأئمة أفضل من الأنبياء وأنهم معصومون وأنهم لا يقولون إلا الحق أبدا لا عمدا ولا خطأ ولا ينسون أو يسهون وأن أقوالهم حجج كحجج القرآن بل أقوى وأصح . وان أهل الغباء والجمود هم من نرد عليهم بكتابنا هذا . وسوف نرى القارىء من آرائهم وعقائدهم ومسائلهم الخاصة بهم ما يجعله يقول غير شاك إن وصف الغباء والجمود لا ينطبق تمام الانطباق على طائفة مثل انطباقه على طائفة هذا الرجل . قال الامام ابن قتيبة فى كتابه تأويل مختلف الحديث صفحة ٨٤ :

« وأعجب من هذا تفسير الرافضة للقرآن وما يدعونه من علم باطنه بما وقع اليهم من الجفر الذي ذكره هرون بن سعيد العجلى وكان رأس الزيدية فقال :

ألم تر أن الرافضين تفرقوا　　فكلهم فى جعفر قال منكرا
فطائفة قالوا إمام ومنهمو　　طوائف سمته النبى المطهرا
ومن عجب لم أقضه جلد جفرهم　　برئت الى الرحمن ممن تجفرا
برئت الى الرحمن من كل رافض　　بصير بباب الغى فى الدين أعورا
اذا كف أهل الحق عن بدعة مضى　　عليها وإن يمضوا على الحق قصرا
ولو قال ان الفيل ضب لصدقوا　　ولو قال زنجى تحول أحمرا

وأخلف من بول البعير فانه ... اذا هو للاقبال وجه أدبرا
فقبح أقوام رموه بفرية ... كما قال فى عيسى الفرى من تنصرا

« وهو جلد جفر ادعوا أنه كتب فيه لهم الامام كل ما يحتاجون الى علمه وكل ما يكون الى يوم القيامة . فمن ذلك قولهم فى قول الله « وورث سليمان داود » أنه الامام ورث النبى علمه ، وقولهم فى قول الله « ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » انها عائشة ، وفى قوله « فقلنا اضربوه ببعضها » انه طلحة والزبير ، وقولهم فى الخمر والميسر انهما أبو بكر وعمر وفى الجبت والطاغوت أنهما معاوية وعمرو بن العاص ، مع عجائب أرغب عن ذكرها ويرغب من بلغه كتابنا هذا عن استماعها وكان بعض أهل الأدب يقول : ما أشبه تفسير الرافضة للقرآن الا بتأويل رجل من أهل مكة للشعر فانه قال ذات يوم ما سمعت بأكذب من بنى تميم ، زعموا أن قول القائل :

بيت زرارة محتب بفنائه ... ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

انه فى رجال منهم . قيل له : فما تقول أنت فيهم ؟ قال البيت بيت الله وزرارة الحجر ، قيل فمجاشع ؟ قال زمزم جشمت بالماء . قيل فأبو الفوارس ؟ قال أبو قبيس قيل له فنهشل ؟ قال نهشل ؟ وفكر ساعة ثم قال : نهشل مفتاح الكعبة لأنه طويل أسود فذلك نشهل . والرافضة أكثر أهل البدع إفتراقا ونحلا ، فمنهم قوم يقال لهم البيانية منسوبون الى رجل يقال له بيان قال لهم إلىّ أشار الله اذ قال « هذا بيان للناس وهدي وموعظة للمتقين » وهم أول من قال بخلق القرآن ، ومنهم المنصورية أصحاب أبي منصور الكسف وكان قال لأصحابه فىّ نزل قوله : « وان يروا كسفاً من السماء ساقطا » ومنهم الخناقون والشداخون ومنهم الغرابية وهم الذين ذكروا أن عليا كان أشبه بالنبى عليه السلام من الغراب بالغراب فغلط جبريل حين بعث الى على لشبهه به ، ولا نعلم فى أهل البدع والأهواء أحداً ادعى الربوبية لبشر

غيرهم فان عبد الله بن سبأ ادعى الربوبية لعلي فأحرق على أصحابه بالنار ، وقال في ذلك :

لما رأيت الأمر أمراً منكرا أجبت نارى ودعوت قنبرا

ولا نعلم أحداً ادعى النبوة لنفسه غيرهم فان المختار بن أبي عبيد ادعى النبوة لنفسه ، وقال ان جبريل وميكائيل يأتيان الى جهته ، فصدقه قوم واتبعوه وهم الكيسانية » . هذا كله ذكره ابن قتيبة ، وقد ذكر ابن بطوطة فى رحلته المشهورة أنه مر ببعض بلاد الشيعة فوجدهم يتحامون لفظ العشرة فرارا من العشرة الصحابة المبشرين بالجنة فكان الباعة فى الأسواق اذا ما أرادوا أن يقولوا عشرة قالوا تسعة وواحد فحضر تركى فسمع واحدا منهم يقول ذلك فضربه بسلاح معه ، وقال قل عشرة بالدبوس، وذكر أنهم بنوا مسجدا وجعلوا له تسع قباب لم يجعلوها عشرا سيرا مع مذهبهم

وقد ذكر المقريزى فى خططه وذكر غيره أشياء مضحكة عن الخلفاء الفاطميين الشيعيين وخاصة الحاكم بأمره منهم ، وقد ذكر هو وغيره عن هذا أنه كان قد أصدر أمره بتحريم الملوخية والزبيب ومأكولات أخرى وأنه عاقب من باعوا ذلك أشد العقاب الى أشياء أخرى مخجلة

ونحن نحب والله أن هؤلاء لم يلجئونا الى نشر هذه الترهات . وقال المقريزي « وفى سنة ٣٩٣ قبض الفاطميون على ثلاثة عشر رجلا ضربوا وشهروا على الجمال وحبسوا ثلاثة أيام من أجل أنهم صلوا صلاة الضحى ، وفى سنة احدى وثمانين وثلثمائة ضربوا رجلا وطافوا به المدينة من أجل أنه وجد عنده كتاب الموطأ للامام مالك . وقرىء سجل فيه منع الناس من أكل الملوخية المحببة لمعاوية بن أبي سفيان ومنعهم من أكل البقلة المسماه بالجرجير المنسوبة لعائشة رضي الله عنها ومن المتوكلية المنسوبة الى المتوكل . ومنع من عجين الخبز بالرجل ومن أكل الدلنيس ومن ذبح

البقر إلا ذا عاهة ماعدا أيام النحر ومنع أن يباع شيء من السمك بغير قشر وألا يصطاده أحد من الصيادين ، وكتب فى شهر صفر من هذه السنة على سائر المساجد وعلى الجامع العتيق بمصر من ظاهره وباطنه وعلى أبواب الحوانيت والحجر وعلى المقابر سب السلف ولعنهم ونقش ذلك و لون بالاصباغ والذهب وعمل على أبواب الدور والمقاصير وأكره الناس عليه وتسارع الناس الى الدخول في دعوتهم . وفى سنة ٣٩٧ قبض على جماعة ممن يعمل الفقاع ومن السماكين والطباخين وكبست الحمامات فأخذ عدة ممن وجد بغير مئزر فضرب الجميع ثم قرىء سجل فى ربيع الآخر فى سنة ٣٩٩ أن لايحمل شيء من النبيذ والموز ولا شيء من الفقاع والدلنيس والسمك الذى لا قشر له والترمس العفن . وفى سنة ٤٠٠ شهر جماعة بعد ماضربوا بسبب بيع الفقاع والملوخية والدلنيس والترمس » وقد ذكر المقريزي غير ذلك (١)

وقد ألف جماعة من الشيعة قديماً رسالة سموها « المنار والشيعة » وكان أحد مؤلفيها هذا الرجل أعنى الشيخ محسن أمين العاملى ، وقد جاء فى هذه الرسالة أن كربلاء أفضل من مكة لوجود آل النبي فيها ، وفى الرسالة أيضا أن زيارة آل البيت أفضل من الحج

فمن أغبى من هؤلاء وأجمد ؟ وان أغبى الأغبياء وأجمد الجامدين من يقدحون فى أهل السنة من أهل نجد مع ارتكابهم هذه الموبقات التى لو أضيف أحدها الى من اجتمعت له أنواع الفضائل لغمر فضائله . فكيف اذا كانت هذه الأمور مجتمعة فى طائفة أفضل ماتدعيه لنفسها من الفضائل والأعمال الصالحة غلوها فى آل البيت وحبها إياهم الحب الذى لا عقل له حتى زعموا في فريق منهم الالوهية وفى آخر النبوة وزعموا فى الائمة العصمة كالأنبياء

أما ماعده للوهابيين من الجمود فان ذلك جمود منه لا منهم ، وبيان ذلك هو

---

(١) أنظر صفحة ١٥٧ من خططه الجزء الرابع

هذا : أما الترحيم والتذكير فقد تكلمنا عليهما فى الأمر التاسع من المقدمة الثانية وأما توقفهم فى التلغراف ان صح النقل عنهم فيقال : ان توقفهم فى هذا كان قبل أن يعرفوا حقيقته وقبل أن يدخل بلادهم وأن يعلموا عنه شيئاً ولا كيف هو . ولا عيب عليهم فى هذا وليس فيه شىء مما يدل على الجمود والغباء ، ولسنا نشك أن مخترع التلغراف نفسه لو حدث عنه قبل أن يكون لارتاب فيه بل لهجم على التكذيب والمبادرة الى الحكم باستحالته ، ولئن قارب جداً وتزمت جداً ليقولن انه سحر ، وكذا أكثر الناس ، بل كل الناس . وقد نشرت إحدى المجلات من قريب أن أحد فلاسفة أوروبا كان يقسم بأن التلغراف سحر وأنه من عمل الشياطين بعيد اختراعه ، وفى الحكاية المعلومة أن أحد الخلفاء أهدى ساعة الى أحد ملوك أوروبا فخاف منها هو ووزراؤه وحسبوها شيطانا وان أعرق الناس حضارة اليوم ومدنية وأعظمهم اختراعاً وافتناناً بالمخترعات لو لم يروا عجائب هذا العصر ولم يعلموا كيف صنعها فحدثوا عنها لبادروا الى الانكار والى عزوها الى الخرافة والخبل ولحكم المتزمتون منهم بأنه كله سحر وهذا لا يرتاب فيه . فان الانسان لم يخلق عالماً بكل ما كان وبكل مايكون ولم يخلق محيطاً بأسرار الوجود ومساتيره ومغاليق الطبيعة ، ولا عيب عليه اذا جهل هذا إلا اذا عيب بأنه لم يكن ربا عليما بكل حقائق الأشياء تعالى الله عن المشابهة والانداد والعاقل من الناس هو من يتوقف فى الحكم على مالا يعلم حقيقته حتى يعلمها ، وليس العاقل هو الذى يعلم كل شىء . فان ذلك هو الله وحده ، والذى قاله بعض النجديين من التوقف فى التلغراف اذا صحت الرواية عنهم هو أخف مما يروى عن سائر الناس فان الناس أول ماحدثوا بذلك قابلوه بالتكذيب والجحود ، ومثل هذا ليس عقيدة للمرء يدين الله بها فيؤاخذ عليها وبها وإنما هى أمور ترجع الى اطلاع المرء وتعليمه وسعة مداركه التجريبية ، ولا يعيب النجديين بهذا إلا جامد متعصب

وأما تحريم الدخان فلا شك أن العقلاء يوافقون عليه ويحمدونهم ويعدونه من فضائلهم ومحامدهم ، فان في الدخان ثلاثة أضرار لاريب فيها (أولها) اضعاف الصحة واضعاف الصدر خاصة والجناية على الصحة محرمة في جميع الاديان والقوانين (ثانيها) إضاعة المال و تبذيره في شيء لاينفع بل يضر كما ذكرنا ومن الخرق والسفه والله أن يباح الدخان للفقراء المساكين الذين لا ينالون الخبز إلا اغتصابا وانتهابا واقتتالا . (ثالثها) أن في هذا تقوية للاجانب الأعداء علينا نحن أي على الاسلام وبلاد المسلمين وعلى العرب وبلاد العرب . لأن المال الذى يضيع من المسلم في الدخان هو راجع الى الجيوب الأجنبية بل الى المصانع الاجنبية التى تصنع الطيارات والدبابات والمدافع وسائر المدمرات لتحطمنا بها ولتغتصب بلادنا وخيراتنا وحياتنا من جيوبنا ودمائنا

هذه أمور ثلاثة لا ريب فيها ، ولأجل هذا حرم الدخان كثيرون من الناس لايدينون بدين لا بالاسلام ولا بغيره . وكثيرون من الأطباء يحرمونه بتاتا لأجل بعض الأسباب التى سردناها ، وكذا الاقتصاديون ، لا لأجل الدين والايمان . ويا ليت المسلمين يحرمون هذا الدخان ويمنعون تعاطيه ألبتة . ويا ليت حكومة الحجاز تشتد في منعه وفي مراقبته الشديدة حتى لا يصل بلادها منه شيء كي تشترى بأثمانه أشياء ضرورية تنفع الدولة والملة والأفراد والجماعات والاسلام والمسلمين . إذن لفرح بذلك المؤمنون ولا مبالاة بما يقوله المتعصبون المعاندون

وأما زعمه أنهم يكفرون المسلمين ويقاتلونهم بالبنادق والمدافع ، فنقول ان هذا من المزاعم التى قد ذكرنا مرات أنها افتراء محض وسيجزي الله المفترين . وليراجع الوجه الخامس من هذه الوجوه ثم الوجه السادس ففيهما الجواب عن هذه التهمة وسنزيد الموضوع بيانا

وهلا يكتفى هذا الرجل منا بأن نقول له وللناس أجمعين انا نشهد الله والعالم

أننا لا نكفر أحداً من المسلمين ولا نستحل قتال أحد منهم ولا ماله بل ونبرأ الى الله ممن يستحل ذلك ونصرح بأن الصحابة والتابعين والمحدثين والأئمة الأربعة ومن سار سيرتهم راشدون كلهم مؤمنون بالله إيمانا صحيحاً ناجون من العذاب بل وأنهم من أهل الجنة والنعيم . فهلا يقنعه هذا ، أم هو مصر على هـذه التهمة لأنه لا يريد غيرها ، وعلى الله حساب الجميع وسيجزي كل امرىء ما هو أهله

ثم قال « ثامنا ـ كما أن الخوارج قال بمقالتهم جماعة ممن ينسب الى العلم لظهورهم بمظهر مقاومة أئمة الضلال ورفع الظلم كذلك الوهابيون قال بمقالتهم جماعة ممن ينسب الى العلم لظهورهم بمظهر رفع البدعة التى لا شك فى وجودها بالجملة وأنه لا عبادة ولا شفاعة الا لله ولا استعانة ولا استغاثة الا بالله وهذه كتلك كلمة حق يراد بها باطل كما عرفت »

قلت : والجواب أن نقول لا ريب أن رضا أهل العلم والدين عن مقالة من المقالات وذهابهم مذهب أهل تلك المقالة وانتسابهم اليهم وموافقتهم إياهم لا يدل على بطلان المقالة وبطلان مذهب قائليها ولا يدل على أنها ضلال وأن أصحابها من الخوارج المذمومين الذين أمر رسول الله ﷺ بقتالهم والذين قاتلهم أصحابه . بل لا ريب أن موافقة أهل العلم من المسلمين الموصوفين بالورع والمعرفة لمقالة من المقالات وعقيدة من العقائد تقوية لها واحترام . وأن ذلك إن لم يكن دليلا على أنها صواب وعقل وهدى لم يكن دليلا على أنها خطأ وضلال وجهل . ولا نزاع فى هذا

وما رأينا علم الله أعجب ولا أشذ من هذا الشيعى ومن آرائه فى كتابه هذا الذى تعرض به لهذه المطالب العالية الرفيعة ، ولا نعلم أحداً علم الله قبله زعم أن قول جماعة من أهل العلم بمقالة من المقالات وعقيدة من العقائد برهان على أن أهل تلك المقالة وأهل تلك العقيدة إخوان الخوارج فيما يذمون به . ولو كان هذا صحيحا لكان جميع الناس إخوانا للخوارج مذمومين ملومين ضالين . فان كل طائفة من

طوائف المسلمين إذا ما استثنينا طائفة الشيعة الغالية قد قال بمقالاتهم ومذاهبهم جماهير من أهل العلم والدين وما من مقالة لامام من الأئمة المشهورين إلا وقد قال بها رجال كثيرون من أهل العلم المشهورين ورضوها وتعبدوا الله بها . بل ما من مقالة قالها الامام علىّ إلا وقد قال بها غيره من الصحابة ومن بعدهم من أهل الصلاح والامامة وكالحوا عنها . بل ما من مقالة صحيحة إلا ولا بد أن تكون مقالة جماهير من العلماء البارزين فى ميدان المعرفة والدين والصلاح . فهل يكون الناس أهل الحق جميعا مشبهين الخوارج الضالين فيما اختصوا به عند هذا الشيعى ؟ ولو كان حقا ما قال لكان ذلك كذلك . واذا كان هذا كان المسلمون جميعا ضالين ومن إخوان الخوارج الضالين ، وكان هذا الرافضى رادا على جميع المسلمين حتى على الصحابة وعلى على وعلى آل البيت النبوى وعلى أئمتهم المعصومين . واذا كان يريد أن المسلمين جميعا يشبهون الخوارج وكان يريد أن يقرر ذلك فاننا حينئذ لا نأبى بل لا يغيظنا أن نشابههم كما يشابههم جميع المسلمين ، بل لسنا نرضى غير ذلك . لأننا مع المسلمين ومع الصحابة والتابعين ومع المحدثين ومع الائمة المشهورين ومع أصحابهم ومن تبعهم بالاحسان والهدى . وهذا المصنف لا يدرى أنه ليست جميع أعمال الخوارج باطلة أو لا يدرى أن من أعمالهم ما هو هدى وحق بلا ريب . بل كذلك جميع الطوائف حتى الضالة . ولا يعلم أنه لا يجب مخالفة الخوارج فى كل شىء قالوه أو عملوه وأنهم لا يخالفون إلا فيما ضلوا وزلوا به . وإن ما معهم من الحق والهدى لا يخالفون فيه ولا يترك ذلك لأجل مخالفتهم : كأن الرجل لا يعلم من هذا شيئا ، ولهذا يعد على النجديين وعلى سائر المسلمين موافقة الخوارج كما قال هنا فى كل مقالة قالوها وعقيدة اعتقدوها . حتى لم يبق عليه إلا أن يقول انهم يشبهون الخوارج فى تحريم الفواحش كالزنا والربا والخمر ، وفى الايمان بالله وتصديق النبى والرضا عن أبى بكر وعمر ، وما بقى الا أن يقول انهم يشبهون الخوارج فى

حب العدالة والانصاف وفى الورع وفى الاتسام بالاخلاق الفضلى التى اتسم بها بعض الخوارج كالشجاعة والاقدام والتضحية والصدق والصراحة والجهر بالحق إذا ما عرفوه . وقد عد عليهم من مشابهة الخوارج الشجاعة والاقدام . كلا أيها الرجل إن الخوارج بل كل طائفة فى الدنيا لا تخالف الا فى ضلالها وباطلها وجهلها لا فى كل ما قالته وعملته . وهذا لا يخالف فيه عاقل

فموافقة أهل العلم والدين لأهل السنة من أهل نجد لا تضيرهم ولا تدل على أنهم غالطون قائلون باطلا . ولا شك أن أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين البصراء بالدين يوافقوننا على هذه المطالب العالية ، أعنى عبادة الله وحده ، والانقطاع اليه وحده وهجران المهازل والخرافات الشيعية وغيرها من الاحداث فى الدين والآراء المدخولة المكروهة

حقا ان الذين يقولون المقالات التى لا يوافقهم عليها أحد من المسلمين لا الخوارج ولا غيرهم هم الرافضة الغالون وأمثال هذه المقالات الخاصة بهم كثيرة قدمنا أشياء منها فى أوائل هذا الكتاب وفى أثنائه

ثم ان اعترافه هنا بأن البدع موجودة في الاسلام بالجملة يخالف ماصنع فى كتابه هذا . فانه دافع عن جميع المبتدعات صغيرها وكبيرها التى نحرص نحن كل الحرص على تطهير الاسلام منها زاعما أن ذلك كله من سنن المسلمين العملية التى تناقلوها خلفا عن سلف بالاجماع والتواتر المشهور . فأين البدع إذن الموجودة بالجملة التى اعترف بها اذا ما كانت جميع أعمال العامة الجهلاء من صميم الاسلام والايمان ومما جاء به كتاب الله وأجمع عليه المسلمون ؟

وأما ماذكره من الشفاعة والاستعانة والاستغاثة بغير الله فسوف يجىء الكلام عليه

ثم قال الشيعى : « تاسعا ـ كما أن الخوارج قال فيهم رسول الله يمرقون من

الدين كما يمرق السهم من الرمية وفى رواية يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية كذلك الوهابيون أشار اليهم رسول الله عليه السلام بقوله « اللهم بارك فى شأمنا اللهم بارك فى يمننا قالوا وفى نجدنا قال اللهم بارك لنا فى شأمنا اللهم بارك لنا فى يمننا قالوا وفى نجدنا قال هنالك الزلازل والفتن أو قال بها يطلع قرن الشيطان » رواه الامام أحمد وأخرج البخارى عن عبدالله بن عمر أنه عليه السلام قال اللهم بارك لنا فى شأمنا اللهم بارك لنا فى يمننا قالوا يارسول الله وفى نجدنا فأظنه قال فى الثالثة هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان وأخرج مسلم عن عبد الله بن عمر أن رسول الله قال وهو مستقبل المشرق رأس الكفر من ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان ، وأخرج البخارى عن عبد الله ابن عمر أن النبي عليه السلام قام الى جنب المنبر فقال الفتنة هاهنا الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان أو قال قرن الشمس »

ثم ذكر الشيعي بعد هذا أن هذه الأخبار تعنى نجدا بلاد الوهابيين نصا لا تتحمل غير ذلك . وذكر أن بعض الوهابيين قال ان الأحاديث تعنى نجد العراق ذاكرا أن النجد نجدان فأكذب هذا القول مصرا على أن الأخبار تعنى بلاد نجد مبعث هذه الدعوة السلفية وأنها تشير بذلك أي بالزلازل والفتن الى معتقد الوهابيين فيكون هذا القول نصاً واضحاً من النبي عليه السلام فى ذم هذه العقيدة وهجائها وبطلانها

ونحن نقول ليس من ريب فى صحة هذه الأخبار ولا في ثبوت ألفاظها عن النبي الكريم ، ولكن الشأن فى دلالتها وفى صحة ما حملها عليه هذا الرجل ، وفي المزاعم التى انتزعها منها ثم فى النتيجة التى اغتصبها واخترعها من هذه الأحاديث

والكلام هنا فى مقامين : الأول ما هى البلاد التى عناها النبى الكريم بأقواله هذه . والثانى : هل يمكن أن تكون دليلا على ما زعم من ذم العقيدة السلفية

النجدية اذا ما ثبت أن النبي الكريم عنى بأقواله هذه البلاد النجدية المعروفة التي ترعرعت فيها هذه الدعوة وسالت منها في أطراف المعمورة بعد أن كادت تخفى عليها الحدثات وينساها المسلمون ، وبعد أن تضاءلت فانكمشت في بقايا صدور حفظها الله من غبار الفتن وبخار الضلال الشامل المنيف

أحاديث ذم المشرق

أما المقام الأول وهو ما البلاد المعنية بهذه الأخبار النبوية ، فنقول : ان الذي ورد فيها هو ذم المشرق مصرحاً به وباسمه أو مشارا اليه مثل قوله هاهنا الفتنة وهو متجه الى الشرق ومشير اليه . والثاني مما ورد ذكر لفظ نجد تصريحاً وتخصيصاً إذ قالوا وفي نجدنا يا رسول الله قال هناك الزلازل والفتن . الى آخر الأحاديث . هذا ما ورد اجمالا مما يستدل به على معرفة البلاد المقصودة بهذه الأخبار المذكورة

فيقال أما ذم الشرق إجمالا فلا يمكن ان يكون دليلا على ذم نجد صريحاً يقيناً ولا يمكن أن يكون دليلا على ذم هذه البلاد وذم عقائدها بالضرورة الواضحة . وذلك أن ذم المشرق اطلاقا بلا تعيين ولا تقييد إما أن يراد به كل ما هو مشرق للمدينة المنورة والنبي عليه السلام حينما أشار وقال قوله . وإما أن يراد به جهة واحدة من الجهات الواقعة شرقي المدينة ، وعلى الأول لا تكون هذه الأحاديث في نجد تعييناً لمعنى يخصها وحدها كالعقيدة السلفية مثلا وانما يكون الذم للمشرق عاماً لمعنى يقوم بالمشرق كله ليس هو العقيدة والدين بلا شك . وعلى الثاني أي على أن الأحاديث تعني جهة من جهات شرقي المدينة جهة غير معينة فلا يمكن أن يكون ذلك أيضاً مراداً به البلاد النجدية تخصيصاً الا بدليل خاص لأن البلاد النجدية مثلا على قول الخصوم قطر واحد من أقطار كثيرة واقعة شرقي المدينة المنورة وليست البلاد النجدية أولى بهذا الهجاء وبهذه الزلازل والفتن من البلاد التي تشاركها في الوقوع شرقي المدينة وفي الشرق مطلقا إذ لا ريب أن البلاد

النجدية لم يقع فيها من الأحداث التي يصح أن تسمى زلازل وفتناً أعظم مما وقع في الأقطار الأخرى الشرقية باعتراف هذا الرجل كما سوف ترى ، وذلك أن بلاداً كثيرة وأقطاراً متعددة هي في الشرق وفي شرق المدينة المنورة . فالعراق مثلا في الشرق وفي شرق المدينة وبلاد العجم منشأ كل البلاء في الشرق أيضاً وكل ما هو شرق العراق وبلاد فارس وبلاد نجد أيضاً هو شرق للمدينة صالح أن تكون الأحاديث المذكورة متناولة له ، وهذا لا خلاف فيه ولا ريب . وإذن من الظلم ومما لا يقبل ولا يرضى أن يدعى أن ذم الشرق في الأحاديث النبوية يعني البلاد النجدية لما قام فيها من دعوة مخلصة دون البلدان الكثيرة والأقطار التي هي شرق المدينة وشرق نجد أيضاً وشرق مطلقاً ، وليس هنالك دليل واحد يدل في هذه الأحاديث التي ذكرت فيها الزلازل والفتن يعين البلاد النجدية ويعين أنها المعنية بهذا الهجاء دون البلاد الأخرى التي هي شرق الحجاز

ولو أن مؤرخاً من المؤرخين المنصفين المطلعين على ما وقع في هذه الأقطار من الفتن والزلازل والضلال من أول ما عرف التاريخ تدوين الأحداث الى يومنا هذا أو من أول ظهور الاسلام الى يومنا هذا طرح عليه هذا السؤال : أي هـذه الأقطار أكثر انتاجا للفتن والزلازل والضلال ، وأيها أفرس وأجرى في هذا الميدان ميدان الزلازل والفتن والضلالات . وأيها أولى بهذه الأحاديث وما فيها من ذم وهجاء وأيها يصح أن يكون مفسرا لها معنياً بها . أقول : لو أن مؤرخاً عارفا واسع المعرفة منصفاً ألقيت عليه هذه الأسئلة لما استطاع أن يذكر البلاد النجدية في جوابه هذه الأسئلة ، ولو أنه ذكرها لما استطاع أن يقدمها على غيرها من هذه الأقطار الشرقية من جهة الحجاز والمدينة ولما استطاع أن يقول انها أولى بهذه الأخبار من بلاد فارس وبلاد العراق وبلاد التتر الأتراك الذين جاءوا واندفعوا من جهة الشرق فملئوا البلاد بالبغي والفساد وأوسعوا المسلمين إعناتاً

وتقتيلا ورزايا يتفطر منها القلوب المؤمنة وصفحات التاريخ الجديد ما حتى يومنا هذا . حتى لقد تطاولوا على مقام الخلافة فى دار السلام فصرعوا الخليفة وصرعوا غيره من أركان الخلافة وأركان العلم الإسلامي وزلزلوا عزة الاسلام زلزلة ظلت شرفاته وأركانه من هولها تتساقط الى يومنا هذا تباعا بوساطة واحدة أو بوساطات ذات عدد . وظلت تلك الزلزلة تهز أبراج الاسلام والمسلمين هزات لم تهدأ الى يومنا هذا ولم تفتأ تهد من معاقل الإسلام ودوره ما تهد والله شهيد على هذا وشهيد على أن الشيعة ورجال الشيعة البارزين كانوا إذ ذاك أعوانا لهؤلاء الطغاة المدمرين ودلائلا لهم على الاهتداء الى ثغور الاسلام ، حتى صنعوا ما صنعوا من الآثام والفضائح بالخليفة والخلافة والعلماء ورجال الدولة العظماء . اذن من الظلم المبين الذي لا يجرؤ عليه محب للعدل والانصاف والحق والذى لا يرضاه لنفسه المؤمن بالله أن يزعم أن النبى الكريم إذا ما ذم المشرق لضلال وزلزال يحدث فيه يقال انه يعنى بذلك الذم البلاد النجدية دون الشرق كله ودون بلاد فارس وبلاد العراق وبلاد التتر وما يقع شرق ذلك من البلاد والأقطار

ومما يدل على قولنا هذا ومما يفسر هذه الأحاديث ما رواه مسلم فى صحيحه عن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أنه قال لجماعة من أهل العراق : « يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة . سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان الفتنة تجيء من ها هنا وأومأ بيده نحو المشرق حيث يطلع قرن الشيطان ، وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض ، وانما قتل موسى الذى قتل من آل فرعون خطأ فقال الله له « وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا » .

هذا وأغلب روايات هذا الحديث تدور على عبد الله بن عمر ، وكذا الحديث الذى فيه ذكر نجد نصا ، فكأن هذه الأحاديث حديث واحد قيل في مكان واحد

وحادثة واحدة وقد فسره هذا الحديث بما سمعت ، وهذا النص أحدى روايات الحديث فهو يفسر باقي الروايات .

وقال الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري شرح صحيح البخاري[1] في شرح قوله عليه الصلاة والسلام رأس الكفر نحو المشرق : « وفي ذلك إشارة الى شدة كفر المجوس لأن مملكة الفرس ومن أطاعهم من العرب كانت من جهة المشرق بالنسبة الى المدينة وكانوا في غاية القوة والتكبر والتجبر حتى مزق ملكهم كتاب النبي عليه الصلاة والسلام كما سوف يأتي في موضعه . واستمرت الفتن من قبل المشرق كما سوف يأتي بيانه واضحاً في الفتن » ثم قال في كتاب الفتن (الجزء الثالث عشر ص ١٠) بعد قوله عليه الصلاة والسلام اني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع المطر : « وانما اختصت المدينة بذلك لأن قتل عثمان رضى الله عنه كان بها ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك . فالقتال بالجمل وصفين كان بسبب قتل عثمان والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم بصفين . وكل قتال وقع في ذلك العصر انما تولد عن شيء من ذلك أو عن شيء تولد منه . ثم ان قتل عثمان كان أشد أسبابه الطعن على امرائه ثم عليه بتوليته لهم . وأول مانشأ ذلك من العراق وهي من جهة المشرق فلا منافاة بين حديث الباب وبين الحديث الآتي ان الفتن من قبل المشرق »

وبعد هذا نقول : ما أعجب أمر الشيعة وما أغربه ! تارة يدعون أن هذه الأحاديث النبوية تعني بالمشرق الذي يخرج الزلازل والضلالات والفتن البلاد النجدية كما قال هذا الشيعي ، وتارة يزعمون أنها تعني بذلك العراق مطلع الخوارج الذين خرجوا على الامام علي وقاتلوه وأكفروه ومطلع الحجاج وغيره . وتارة يقولون أن الأحاديث تشير الى أم المؤمنين وزوج النبي الكريم السيدة عائشة

---

(١) الجزء السادس ص ٢٢٠ .

رضي الله عنها وان الاشارة نحو المشرق كانت الى حجرتها وبيتها انباء عما سوف تنجم به الاسلام والامام من الضلال والفتن والخروج والقتال إذ قاتلت عليا وجنده

قال المجتهد الشيعى النجفى الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر فى كتاب كشف الغطاء وهو من كتب الشيعة المرجوع اليها (ص ١٧) : « المثالب الثابتة للصحابة التى تأبى الاسلام فضلا عن الايمان والعدالة كثيرة لا يمكن حصرها » ثم قال (ص ١٩) : « روى البخارى عن عبد الله بن عمر قال : قام النبى عليه الصلاة والسلام خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة وقال الفتنة تخرج من هنا قالها ثلاثا حيث يخرج قرن الشيطان . وروى البخارى قال خرج النبى من حجرة عائشة وقال رأس الكفر من هنا من حيث يطلع قرن الشيطان ، وان كتب الامة مملوءة من ذم عائشة وذم أبيها بأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام [1] » فهذا ما يقوله المجتهد الشيعى الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر فى تفسير هذه الأخبار النبوية وكذا قال صاحب كتاب (رسالة الشيعة) وفى المكان المعنى بها الذى تنشأ منه هذه الزلازل والاحداث وأسباب الشيطان وذلك المكان هو بيت السيدة عائشة الذى كان مهبطاً لوحى الله وقرآنه ودينه بوساطة سيد الملائكة جبرائيل عليه السلام والذى كان يتلقى فيه محمد عليه الصلاة والسلام رسالة ربه وآيات كتابه وشرائع السماء . وذلك الذي ذكرناه آنفا هو مايقوله المجتهد الشيعى الآخر الشيخ محسن الأمين العاملى فى تفسير هذه الأحاديث وفى المكان المعنى بهـا ، وهذا المكان على تفسير هذا المجتهد هي البلاد النجدية التى أطلعت هذه الدعوة المخلصة السلفية النقية التى تطالب أهلها بالرجوع الى هدى السيدة عائشة وهدى أبيها وهدى سائر السلف من الصحابة ومن بعدهم الذين تزعم الشيعة أن المثالب الثابتة لهم لا تحصر لكثرتها ووفورها . فاى هذه التفاسير الحق

---

(١) أنظر كتاب الوشيعة ص ١٦

الصحيح ياقوم . وأي هذه الأقوال ماعناه النبي الكريم أيها الناس . وأي الامامين المجتهدين الشيخين المصيب في ماقال وما اختار . وأيهما المحروم من لقاء الحق والحقيقة في هذه الأقوال النبوية الصحيحة ؟ فانه ان كان المعنى بالأحاديث البلاد النجدية كما يقول الشيخ محسن الأمين العاملي في كتاب « كشف الارتياب في اتباع محمد بن عبد الوهاب » لم يصح ماقاله الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر في كتاب « كشف الغطاء » وان صح ما قاله الشيخ جعفر خضر في أنها تشير الى بيت السيدة عائشة لم يصح ما قاله الشيخ محسن الأمين العاملي . فاذا صح أحد القولين بطل الآخر واذا ما أصاب أحد الشيخين أخطأ الآخر إلا أن يزعموا أن الاحاديث تشمل هذا وهذا بمعنى أنها تعني البلاد النجدية وبيت السيدة عائشة بالذم والهجاء فاذا زعموا هذا الزعم قلنا لهم إن لنا الشرف الأعظم والفضل المبين أن نجمع نحن والسيدة عائشة بنت الصديق الأكبر وزوج النبي الكريم في خبر أو أمر من الأمور ، وانا نسأل الله أن يجعلنا من حزبها وأوليائها وجلسائها في دار الجزاء وفي هذه الحياة الدنيا ونبرأ الى الله من خصومها وممن استطابوا ثلبها والوقيعة فيها

هذا جواب الاحاديث التي فيها ذم المشرق اطلاقا وتعميما . وأما الجواب عن الاحاديث التي فيها ذكر نجد بالاسم ، فنحن ندع الجواب عن هذا للحافظ ابن حجر المحدث المصري الشافعي الشهير في كتابه فتح الباري وللامام الخطابي ولصاحب القاموس . قال الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري (الجزء الثالث عشر صفحة ٣٦) :

« كان أهل المشرق يومئذ أهل كفر . فأخبر النبي أن الفتنة تكون من تلك الناحية فكان كما أخبر . وأول الفتن كان من قبل المشرق فكان ذلك سببا للفرقة بين المسلمين وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به . وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة . قال الخطابي : نجد من جهة المشرق ومن كان بالمدينة كان نجده بادية

العراق ونواحيها وهي مشرق أهل المدينة . وأصل النجد ما ارتفع من الأرض وهي خلاف الغور فانه ما انخفض منها ، وتهامة كلها من الغور ومكة من تهامة . انتهى . وعرف بهذا وهاء ماقاله الداودي إن نجداً من ناحية العراق فانه توهم أن نجدا موضع مخصوص ، وليس كذلك بل كل شيء ارتفع بالنسبة إلى مايليه يسمى المرتفع نجداً والمنخفض غورا » انتهى كلام ابن حجر .
وقال في القاموس : « النجد ما أشرف من الأرض . الجمع أنجد وأنجاد ونجود ونجد . والطريق الواضح المرتفع وما خالف الغور أي تهامه وتضم جيمه مذكر (١) . أعلاه تهامة واليمن وأسفله العراق والشام وأوله من جهة الحجاز ذات عرق »

هذا جواب المقام الأول من المقامين وهو الكلام في تعيين البقعة المعنية بهذه الأحاديث . وأما المقام الثاني وهو بعد التسليم بأن هذه الأحاديث تشير الى البلاد النجدية المعروفة ، فهل تدل على بطلان العقيدة السلفية القائمة فيها اليوم ، التي يدعوها هذا الشيعي بالمذهب الوهابي ؟ هذا ما سوف نتكلم عليه هنا . فنقول : لنفترض أن هذه الأحاديث نص صريح في ذم البلاد النجدية ، ونص صريح في أنه منها تخرج الفتن والزلازل وقرون الشياطين بل والشياطين أنفسهم : لنفترض هذا كله . ولكننا نقول إن هذا لايدل على فساد هذه العقيدة المترعرعة في تلك البقعة من الأرض بالمنطق السليم الواضح . والدليل على ذلك أمور :

أولها ـ هذه الأخبار إما أن تدل على ذم جميع المعتقدات التي وجدت والتي

---

(١) قد جاء في شعر العرب تذكير نجد وهو الاكثر وتأنيثها وقد جاء هذا في الشعر العربي خلافا لمن أنكر التأنيث

سوف توجد في هذه البلاد في كل زمن وعلى كل حال . وإما أن تدل على ذم بعض هذه العقائد لا كلها . بمعنى أنها لاتعني بطلان جميع المعتقدات هنالك بل تذم نوعا خاصا منها . أما الافتراض الاول فليس يمكن أن يكون صحيحا . إذ لا يمكن أن يدعي انسان أن كل العقائد التي يدين الله بها أهل البلاد في جميع الاوقات مهما اختلفت وتضاربت باطلة فاسدة ومردودة غير مقبولة . هذا ما ليس بممكن وإن المخالف نفسه لا يستطيع أن يدعيه لأنه يزعم أو لا بد أن يزعم أن العقائد النجدية كانت صحيحة سليمة لا عوج فيها ولا ضلال قبل طروء هذه الدعوة التي دعا اليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأيقظها في الجزيرة العربية منذ مائتي عام تقريباً ، ويزعم هذا المخالف أن الذي أفسد عقائد النجديين أو أن الفاسد منها هو هذه الدعوة الجديدة وصاحبها ويزعم أن أهل نجد كانوا قبل ذلك منذ أكثر من مائتي عام راشدين مسلمين مؤمنين ويزعم هو وغيره من المبتدعين أن أهل الشيخ محمد ابن عبد الوهاب صاحب هذه الدعوة كأبيه وأخيه وغيرهم كانوا سليمي العقيدة غير فاسديها لأنهم كانوا يرفضون الدعوة ويزعمون أنهم كانوا ناقمين من الشيخ محمد ومن دعوته ومن ناشريها حتى ألفوا الكتب في الرد عليه وعلى دعوته كما صنع أخوه الشيخ سليمان واعتمد هذا الشيعي على ما كتبه هذا الأخ في مواضع من كتابه . فهذا الافتراض إذن لا يمكن أن يدعى ولو ادعى ما أمكن أن يكون صحيحاً ولا مقاربا للصحيح . فلم يبق إلا الافتراض الثاني وهو أن يكون الذم في هذه الأحاديث صائراً الى بعض العقائد النجدية لا إليها كلها . وهذا لا يمكن أن يزعم أحد لا المخالف ولا غيره بطلانه واذا كان ذلك كذلك أي اذا كانت هذه الأخبار دليلا على ذم بعض العقائد النجدية إطلاقاً بلا تعيين ولا تعريف فكيف علم المخالفون أن المذموم هو هذه الدعوة لا ماخالفها من المبتدعات ؟ ومن أين جاءهم أنها هي الباطلة المهجوة دون سواها ؟ ولماذا لا يكون غيرها أعني المخالف

لها أصل ما يدعو اليه هؤلاء هو الفاسد الباطل المهجور؟ لا ريب أن المخالف لا دليل له على دعواه أن هذه الدعوة هى المذمومة بهذه الأخبار ، ولا ريب أنه لا بد من الدليل وإلا كانت الدعوى باطلة مردودة ولا كرامة . ونحن نستطيع أن ندعى ونقول إن هذه الأحاديث دليل على بطلان ما خالف هذه الدعوة السلفية ودليل على فسادها خلاف ما ادعى المخالفون فنزعم أن الأخبار تشير الى ذم تلك المعارضة الآثمة التى وقفت فى وجه هذه الدعوة السلفية النقية فى أول أمرها يوم أن ذرت شمسها من وراء تلك الصحراء تلك المعارضة التى جبرها أولئك الخصوم ثم هؤلاء الخصوم ، والتى سوف يلحقهم وزرها فى الدنيا ويوم يبعثون ، وليست تشير الى ذم هذه الدعوة نفسها بل هى تشير الى امتداحها والثناء عليها من هذا الطريق وبهذا النحو الذى ذكرنا . فان الدعوة قد لقيت مقاومة شديدة ما زالوا مزعجة فى بدء أمرها الى يومنا هذا الى ما يشاء الله من أهل البلاد أنفسهم من أولئك الذين نشئوا على هذه الأمراض الاعتقادية السخيفة التى يدعو اليها هذا الشيعى ويدعى جهرة أنها من صميم الاسلام ومن مصاصة التوحيد

فما المانع من أن يراد بالزلازل وبالفتن وبقرن الشيطان الطالع فى هذه الاخبار مقاومة هذه الدعوة ومناوأتها والقيام فى سبيلها وسبيل انتشارها وظهورها . هذا يمكن أن يقال بلا ريب . واذا ما قيل فلن يستطيع المخالف أن يجد له ردا أو مردا ، لأنه ليست دعواه العكس أولى وأصح وأحق بالقبول والرضاء والبرهان . والدعويان من هذه الناحية — مع الاغضاء عن القرائن الاخرى الخارجة — سواء لا تقدم إحداهما على الأخرى إلا ببرهان جلى . فاذا ما ادعى المخالف أن الدليل على أن الأحاديث لا تعنى سوى ذم هذه الدعوة الوهابية بمعنى أنها تشير الى بطلانها وفسادها ، قلنا له هذا هو محل النزاع ومعترك الآراء . فان أصل دعواك أن هذه الدعوة السلفية باطلة مخالفة لدين الاسلام . فاذا ما أثبت هذا لم تحتج الى

هذه الأحاديث لاثبات بطلان هذه الدعوة. غيرأننا ندعي بحق وصدق ولا نشك أنّ هذه الدعوة ليست سوى الاسلام قبل أن تشوبه الشوائب ويهتدى اليه الدخيل الغريب الضال

وقد ذكرنا دلائل متنوعة على ذلك وسوف نذكر غير ما ذكر إن شاء الله.

وإذا ما ثبت أن هذه الدعوة هي الاسلام نفسه نقيا خالصا من الدخيل والغريب الممقوت فلا ريب فى أن هذه الأحاديث النبوية لا يمكن أن تعنيها وأن تكون مشيرة الى ذمها وهجائها. وعلى ذلك لا ريب أنها تشير الى ذم ما خالفها وما لم يكن منها ولا بأمرها. وعليه لا مانع من أن الأحاديث تشير الى ذم تلك المقاومة الطاغية التى لقيتها الدعوة، والى تلك المناوأة الظالمة التى ابتدأتها بالصدام والخصام: هذا كله يمكن أن يقال ويمكن أن يصح نظراً وبحثا. وليس ما زعم الرافضى المخالف أولى منه بالقبول والتسليم، ولا أظهر فى عين الحجة والدليل. وما كان كذلك لن يكون حجة ولا دليلا له إلا أن يكون دليلا وحجة عليه، فاما أن يكون عليه وله ان أمكن ذلك ولكنه غير ممكن، واما أن يكون عليه فحسب، واما أن يكون له لا عليه فلا يمكن دليلا ونظرا لما سمعت.

فهذه الأحاديث لا دليل له فيها ألبتة ولا يستطيع أن ينتزع منها شبهة يمكن أن تروج وأن تجوز على غير الجاهلين والمقلدين الذين لم يوهبوا ملكة التفريق بين الصحيح والمريض والحق والباطل والظلام والنور

(ثانيا) قد جاءت نصوص الدين ذامة لبعض البلاد إجمالا ذمّاً إن لم يكن مثل مافى هذه الأحاديث التى يدعون أنها فى البلاد النجدية فليس دونه وليس أقل منه. فجاء فى القرآن الكريم قول الله: «وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون. ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون»

وليس من شك أن هذه القرية ليست في البلاد النجدية ، وقد قيل إنها هي مكة المكرمة فهي التي كفرت بأنعم الله برسالة محمد عليه السلام وما جاء به من الهدى والنور ومجد الدنيا والاخرى ، ولا ريب في أن الآية أشد لهجة ذم من الأحاديث وقال تعالى « واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء ان أنتم إلا تكذبون » الى آخر الآيات وليس من شك في أن هذه القرية ليست في نجد . وقال تعالى « سأريكم دار الفاسقين » والخطاب لموسى وقومه ، ولا خلاف في أن دار الفاسقين في هذه الآية الكريمة ليست البلاد النجدية وليست منها بل لقد عم الله البلاد كلها بالتفنيد والتقريع بعد أن خص كل قرية وأهلها بذلك فقال « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ـ الى قوله ـ أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون »

والآيات في الكتاب العزيز في هذا المعنى كثيرة معلومة . وكذلك جاء أيضا في السنة وفي مقالات الصحابة ومقالات من تعدهم الشيعة معصومين لا ينطقون إلا صوابا وحقا ذم بعض الأقطار وهجاؤها تخصيصاً مثل هذه الأحاديث المدعى أنها في البلاد النجدية ، فروى البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد قال : أشرف رسول الله ﷺ على أطم من آطام المدينة فقال : هل ترون ما أرى ؟ قالوا لا ، قال « فاني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع المطر » وهذا في المدينة المنورة ، وهناك أحاديث أخرى . وقد تقدم ما رواه الامام مسلم في صحيحه عن سالم بن عبد الله بن عمر أنه قال : يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة . سمعت أبي عبد الله ابن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو يشير نحو المشرق : « الفتنة من هاهنا » وهذا في العراق . وفيه أحاديث أخرى كثيرة منها أحاديث الخوارج

وغيرها ، وفى كتاب نهج البلاغة ـ وهو من الكتب الشيعية المزعوم اتصال نسبها بالامام على رضى الله عنه ـ أن علياً كتب لعبد الله بن عباس يقول : « واعلم أن البصرة مهبط إبليس ومغرس الفتن » وفى نهج البلاغة أيضا عبارات قاسية شديدة فى ذم أهل العراق وفى ذم شيعة على والزراية بهم ، والشيعة تدعى أن علياً قال ذلك كله . وفى كتاب الوشيعة : « وفى الكافى (٢ : ٣٩٦) وفى كتاب التهذيب (٢ : ١٥) أن بعض الناس قال لصادق أحد أئمة الشيعة : أأنزل مكة ؟ قال : لا تفعل ، أهل مكة يكفرون بالله جهرة . قال : أأنزل فى حرم النبى ؟ قال هم شر منهم ، أهل المدينة أخبث من أهل مكة سبعين ضعفاً ، عليك بالعراق بالكوفة ، أهل الشام شر من الروم ، والمخالف شر من سائر الكفار ، لعنة الله عليهم وعلى أسلافهم » الى غير ذلك من هذا الصنف ، واذا ما كان ذلك كذلك وكانت سائر البلاد قد ذمت تخصيصاً وأضيفت اليها أنواع خاصة من الكفر والضلال والفتن ، وكانت المدينة المنورة دار الاسلام ودار النصرة ودار الهجرة قد اقتحمتها الفتن وسالت اليها وابلا ورذاذاً فى حالات مختلفة ، وأخبر عن ذلك النبى ﷺ وأرى ذلك يتساقط بين بيوت أصحابه من المهاجرين والأنصار كتساقط المطر الهاطل ، وكان هـذا كله قد وقع ، ثم اذا ما كانت مكة والشام التى دعا لها النبى الكريم ، وكانت جميع بلاد المخالفين للشيعة هي مأوى للضلال والكفر ومغرس الشر والجبت والحيدة عن الصواب الواضح المتبلج ، وكانت الكوفة مهبطاً من مهابط الشيطان ومغرسا من مغارسه التى غرها الشياطين الصغار والكبار . إذا كان ذلك كله واقعاً لاريب فيه باعترافات الشيعة وبنقل كتبهم المعتمدة الصحيحة لديهم ، فلماذا يتخذ ما ورد فى البلاد النجدية ـ اذا ما افترض وروده ـ من هذه النصوص أمراً صريحاً في ذم نجد وأمراً صريحاً فى ضلالها وضلال أهلها وبطلان عقائدهم واختصاصهم بمزيد الضلال والفتن والمخالفة ؟

و لماذا لم تتخذ هذه الآيات وهذه الأحاديث التى وردت فى البلاد الأخرى برهانا على ضلال أهل تلك البلاد وفساد عقائدهم ومذاهبهم وما ينتحلون ؟ ولأى أمر كانت الأحاديث الواردة فى نجد حجة على أن النجديين أهل ضلال وفتن وعقائد باطلة فاسدة ولم تكن تلك الآيات والاحاديث والروايات عن الأئمة المعصومين لدى الشيعة الواردة فى مكة والمدينة والعراق والكوفة ومصر والشام والبلاد الأخرى حجة على أن أهل هذه البلدان أهل ضلال وفتن وزيغ وخروج على شرع الله وطريقة رسوله والمسلمين والمهتدين ؟ ولماذا لم تكن هذه الآيات والاحاديث والروايات دلائل على اختصاص أهل هذه الأقطار بالضلالات والكفر وعصيان الله العظيم . كما كانت الاحاديث التى زعمت نصاً فى ذم البلاد النجدية برهانا عندكم على اختصاص النجديين وولعهم بالضلال والعقائد الباطلة. إن الجواب الذي لا يكون غيره جوابا القول بذم هذه الأقطار جميعا وهجائها جميعا والاعتراف بأنها مطرح الفتن وملاعب الشياطين ومطالع قرونهم جميعا لافرق بين حجازها وعراقها وشامها ومصرها ويمنها ونجدها وغورها وتهامها كل على قدر مافيه من هذا الضلال وهذا العصيان أو الاعتراف بأن اضافة ذلك الى البلاد النجدية تخصيصاً ضلال وظلم وهوى متمرد : اما إفراد البلاد النجدية بالمذمة والملامة دون هذه البلدان الاسلامية ـ وقد جاء فيها باعترافكم وعن أئمتكم من الذم والقادح أضعاف ما جاء من ذلك فى البلاد النجدية ـ فهو صنع من لايحترم الحق ولا القراء ومن لايرجو لله وقارا ولا يخاف له مقاما

فالنتيجة التى نخرج بها من هذا ويخرج بها القارىء هى الاعتراف بأنه لم يجىء فى البلاد النجدية على كل الافتراضات والوجوه ذم يختصها دون سائر البلدان الاسلامية ، وانه ان لم تفضلها البلاد بهذه المعانى معانى الضلال والفتن وقرون الشياطين فلن تفضلها هى

هذا اذا نظرنا الى الروايات والنقل مغضين عن الأمر الواقع المشهود . لأن الكلام مع هؤلاء كذا فرض وكذا كان . أما اذا ما نظرنا إلى الأمر الواقع المشهود فاننا لانرضى بهذا الحكم وهذه التسوية اليوم ، ولا يرضاها أحد من ذوى الصدور البريئة من الحقد والهوى . فان انسانا يعقل وينصف لايستطيع أن يدعى أن فى البلاد النجدية اليوم مثل مافى سائر البلدان الاسلامية الأخرى من الافتتان واتباع الشيطان ومن الزلازل المعنوية والمادية ومن العقائد الملحدة الفاسدة هذا مالا يمكن أن يدعيه منصف وان فرض فى نجد مافرض من هذا بل وان بولغ فيه

والذى نريد أن ندعيه ونزعمه هو الاعتراف بأن جميع الأقطار المأهولة الاسلامية وغير الاسلامية قد رتعت وسوف ترتع أيضا فى أنواع كثيرة من الضلال والعصيان والخروج على قانون الله وعلى العدالة وعلى الشرع وعلى كل فضيلة منها المقل ومنها المكثر فى أوقات مختلفة وفترات من الزمن متعاقبة منها الطويل ومنها القصير ومنها البارز الجلى ومنها المستور الخفى . ولكن ذلك لا يعنى الدوام والملازمة فى كل الأوقات وجميع الحالات ولا يعنى أن ذلك لاينفك عن القطار الذى وقع فيه . فان الاخلاق والاعمال والعقائد وكل شىء دول تتعاقب الطيب يتلو الخبيث والخبيث يتلو الطيب ، والباطل يتلو الصحيح والصحيح يتلو الباطل ، وهكذا كل شيء . فالناس وأنفسهم لايبقون على حالة واحدة ووتيرة منتظمة . فلا ينعمون بطاعة الله وهداه أبدا كما لا يرتطمون بعصيان الله وبالضلال أبدا ، ولكن مرة ومرة وحالة بعد حالة : ميل ثم اعتدال واعتدال ثم ميل هدى فهوى وهوى فهدى والله يفعل مايشاء ويهدي من يشاء كما يضل من يشاء ، وعلى هذا المعنى نعترف لهم أن نجدا وكذلك جميع البلدان المعمورة قد وقعت فيها الفتن المدمرة ووقع فيها أنواع وأفانين من الضلال وطاعة الشيطان ، وهذا لا ينازع ولا يمانع ، ولكن الذي نأباه ونعنيه هو زعم هؤلاء المهووسين في الاهواء الممقوتة

أن هذه الدعوة التى طهرت البلاد من أسباب الفتن والضلال والفوضى والعدوان والمجاهرة بالآثام وعبادة الاحجار والاشجار وسائر ما هنالك هي ما عنته هذه الاحاديث وما دعته بالفتن والزلازل . هذا ما نأباه وما يأباه المنصفون معنا

(ثالث الأمور) : نقول لا يمكن البتة أن تكون هذه الأخبار تشير الى ذم هذه الدعوة الاصلاحية وبيان ذلك أن هذا الشيعي وجميع المخالفين يدعون أن واضع هذه العقيدة الأول وباذر بذورها هو شيخ الاسلام ابن تيمية ثم حواريوه الذين أخذوا عنه هذه المعارف والعقائد كابن القيم وابن عبد الهادي ونظرائهما ويدعي هذا الشيعي تبعاً لغيره أن هذه الدعوة لم تكن معروفة قبل ابن تيمية وحوارييه فى الاسلام ويدعون أن هؤلاء هم الذين وضعوا هذه العقيدة وهم الذين جلوها وهذبوها ونشروها وحشدوا لها أنواع الدلائل والشبهات من القرآن والسنة والمعقولات ، وهم الذين ألفوا فيها الكتب والرسائل الكثيرة المختلفة ودعوا الناس بشدة وصرامة وإقدام اليها حتى أجابهم قوم وثار بهم الباقون وعذبوهم وسجنوهم واستتابوهم . ثم يدعون أن حدوث هذه الدعوة فى البلاد النجدية طاريء جديد غريب منذ مائتى عام بمسعى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ناشر هذه العقيدة في بلاد العرب ، ويدعون أن الشيخ محمداً والنجديين كلهم بل وكل من يدين لهذه العقيدة وكل من ينعم بها ويرتضيها إنما ارتشفوا ذلك كله ارتشافا من هذا الرجل ونقلوه نقلا تاما بلا زيادة ولا نقصان ولا استدلال من كتبه وكتب أنصاره الأبرار . وقد ألفت هذه الكتب منذ ستمائة عام على وجه التقريب

هذا ما يقوله هؤلاء كتابة ومشافهة . فنقول لهم نحن حينئذ لاخلاف فى أن شيخ الاسلام ابن تيمية وأعوانه المشهورين الذين وقفوا معه حياتهم على نشر هذه المباديء كانوا جميعا شاميين مولداً ومنشأ ومستقرا ووفاة ، وأن دعوتهم هذه أول ما قاموا بها كانت فى الشام وأنها هناك نشأت وظهرت وانتشرت ، وأنها عرفت

فى العلم ودلنها أهل الشام قبل أن تعرف فى نجد وقبل أن يدين بها النجديون ، وأن الناس تلقوها عن مولدها الشأم قبل أن تنقلها البلاد النجدية بأعوام ، ولكن بشكل لم يكن منظما وعاما ومجديا مثلما كان فى البلاد النجدية بفضل آل سعود الذين هبوا لنصرتها ونشرها وتوسيع نطاقها باللين والشدة .

فهذه الدعوة كانت شامية كما ترى قبل أن تكون نجدية ، بل انها ما أتت البلاد النجدية على قول هؤلاء المخالفين إلا من طريق الشام ومن كتب شيخ الاسلام وتلامذته الأبرار ، فاذا ما كانت هذه الدعوة شامية قبل أن تكون نجدية واذا ما كان رجالها ووضعتها القدامى كما يقول المخالف شاميين وكانت عنهم عرفت وأخذت كما جاءوا بها بلا تصرف ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان ، وكان رجالها العظيم الذى ألف الكتب القوية الحية فى نصرتها والدفاع عنها والدعوة اليها شاميا ، وكان الناس الى اليوم يصدرون عن هذه الكتب الشامية التيمية وبها ينتفعون ويحتجون اذا كان ذلك كله صحيحا وكانت هذه الدعوة فتنة وضلالا كما يزعمون أفلا يكون من الانصاف حينئذ والصواب أن يدعو رسول الله ﷺ على الشام ، وأن يمتنع من الدعوة لها لأنها هي التى أخرجت هذه الدعوة ، وهي التى فتنت الناس بها ومنهم النجديون كما يزعم الشيعى . أفلا تكون حينئذ البلاد الشامية أولى بالمذمة والملامة والهجاء والتوقف عن الدعوة لها من البلاد النجدية لأن الشام هى التى أخرجت هذه الدعوة ونصرتها قبل نجد ، بل هى التى وضعتها ودعت الناس اليها حتى أجابها النجديون وغيرهم من أفراد الرجال وغربائهم

واذا كانت الزلازل والفتن المشار اليها بالاحاديث المتقدمة هي هذه العقيدة وكانت البلاد التى عناها النبي الكريم بقوله هي البلاد النجدية فكيف يكون الحديث النبوي هكذا : اللهم بارك لنا فى شأمنا وفى يمننا . قيل وفى نجدنا ، قال هنالك الزلازل والفتن وهنالك قرن الشيطان ، بل كان يجب حينئذ أن يمتنع من الدعاء

الشام ويأباه قائلا هنالك الزلازل والفتن وهنالك قرن الشيطان قبل أن يقول هذا فى البلاد النجدية اذا ما كان المعنى هو ما يقوله المخالفون . وهذا ما لا ريب فيه ولا إحجام عنه

وكذا يقال لو كانت الفتن هنا والزلازل هى هذه العقيدة السليمة وكان المعنى بذلك هى البلاد النجدية لأبى الدعاء أيضا لليمن ، وذلك لأن الشيخ الصنعانى والشوكانى يمنيان ، وهما من وضعة هذه العقيدة ومن المؤلفين فيها الحاملين على ما خالفها أشد الحملات ، وما كتباه فيها مطبوع مقروء منشور . ومما كتباه كتاب « تطهير الاعتقاد من أدران الالحاد » وكتاب « الدر النضيد فى إخلاص كلمة التوحيد» وقد كانا معاصرين لشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب وكانا قائمين بنشر الدعوة والدعوة اليها فى بلاد اليمن حينما كان شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب قائما بنشرها والدعوة اليها فى بلاد نجد . وهذا الشيعى يعترف فى كتابه هذا أن الصنعانى كان من وضعة هذا المذهب ويتعرض للرد عليه أحيانا فى كتابه . فاذا كان هذا كله صحيحا فلماذا خصت البلاد النجدية بهذا الذم دون الشام وهى منشأ هذه الدعوة ودون اليمن وقد كانت من مناشىء هذه الدعوة . والناس الى عصرنا هذا يقرؤن ما كتبه الصنعانى والشوكانى فى هذه المباحث العليا ـ وهما يمنيان ـ وينتفعون بما كتباه ؟ انه لو كان حقا كلام الخصوم لامتنع النبى الكريم من الدعاء لهذه الأقطار الثلاثة الشام واليمن ونجد ، ولدعا عليها كلها وحدث عنها وعن فتنها وزلازلها وقرون شياطينها كلها ، ولابتدأ بالشام وخصها بمزيد ذلك وأوفره وأكثره ثم ثنى بنجد أو باليمن ثم ثلث بثالثهن ، ولما كانت نجد شر الثلاث ولما كانت سوى حديا‌ها . هذا وليذكر هذا الشيعى أن الشام قبل أن تكون مقر شيخ الاسلام ابن تيمية باذر بذور المذهب الوهابى كما يقول ومقر تلامذته كانت مقر معاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص ويزيد بن معاوية وسائر ملوك الدولة

الأموية ، ومعاوية هو الذى قاتل عليا وقتل من أصحابه وشيعته فى الحرب التى قامت بينهما الخلق الكثير ، ويزيد هو الذي قتل السبط الشهيد الحسين بن على بن بنت رسول الله ﷺ كما يقولون واستباح المدينة المنورة وفعل بأهلها الأفاعيل العظام ، ومع هذا كله ومع غيره يدعو رسول الله ﷺ للشام ثم تزعمون أنه عليه السلام يخص البلاد النجدية بالمذمة والملامة ويصفها تخصيصا بالفتن والزلازل وكثرة الشياطين ، ولا يمكن أن تعتقد الشيعة أن الوهابيين مهما غلوا فى الضلال وقتل المسلمين ومهما ابتدعوا من الفتن والزلازل يعدلون في ذلك معاوية بن أبى سفيان ويزيد بن معاوية وعمرو بن العاص أو عبد الملك بن مروان أو غيرهم من خلفاء الأمويين فكيف بهم مجتمعين ، وكيف بهم منضمين الى شيخ الاسلام ابن تيمية وتلامذته وما جاءوا به من الزلازل والفتن على رأى الشيعة ؟ لا ريب أن شيعيا واحداً لا يمكن أن يدعى أن الوهابيين أولى بالمذمة والملامة من هؤلاء كلهم : الأمويين والتيميين ، ولا يمكن أن يدعى أن الضلال والفتن والزلازل التى وقعت فى البلاد النجدية أعظم وأكثر من الزلازل والفتن التى خبطت فيها البلاد الشامية بسبب الأمويين والتيميين . فلا يمكن على ما ذكر أن تكون البلاد النجدية أخلق بالهجاء وبالتجريح من الشأم لدى الشيعة . ولا يمكن أن تكون فتنها وزلازلها أولى بالتحديث عنها والتحذير منها من زلازل الشام وفتنها . هذا ما لا ينازع فيه الشيعة فما يصنعون ؟

ليفكر فى هذا جيداً هؤلاء المخالفون مجانبين الهوى والتعصب الذميم ، فانى زعيم حينئذ بأن القوم سيغيرون آراءهم وعقائدهم فى هذه الدعوة السلفية والفكرة الاسلامية البريئة من المبتدعات المرذولة

وبعد هذا نقول : إن الفتن والزلازل فى هذه الاخبار لايراد بها العقائدوالآراء سواء أكان مقرها البلاد النجدية أم غيرها من البلدان . وإنما يراد بها الحروب

والاضطرابات والمصائب الآكلة الشاربة . ولا نزاع أن البلاد النجدية خبطت كثيرها فى حروب واضطرابات دامية لا يرضاها الشرع ولا يرضاها النجديون أنفسهم . ولكن هذه الدعوة السلفية الوهابية هى التى قضت على هذه الفتن والاضطرابات والقلاقل وهى التى وترت أسبابها ووسائلها باستئصال ومهارة وأذاقت تلك البلاد طعم الأمن والاستقرار والهدوء والراحة وألبستها عصوراً مختلفة لا تزال كذا إلى اليوم وإلى الابد إن شاء الله لباس الأمن والايمان والاسلام والسلام . فهذه الدعوة ليست فتنة ولا زلزالا وإنما هى خصم ذلك ومحطمته ومبدلته بما يتمتع به أهل تلك البلاد اليوم وقبل اليوم وما بعد اليوم من الطمأنينة الشاملة والاستقرار الخاطر فى كل مكان وفى كل شيء . فهذه الأحاديث على افتراض أنها تعنى البلاد النجدية مستقر هذه الدعوة السلفية لا تعنى بالفتن والزلازل هذه العقيدة بل ولا غيرها من العقائد والآراء الصحيحة والباطلة . ولكنها تعنى الحروب والاضطرابات والمصائب الغاشمة . ولا ينازع أحد فى حدوث هذا المعنى فى جميع الأقطار ومنها البلاد النجدية . ولكن شيئاً من ذلك لا يعنى فساد العقيدة التى تقع فى البلدة التى وقعت فيها الحروب والقلاقل ، وهذا ظاهر

وبما ذكرنا هنا يعلم أن من الباطل القوى الصارخ الزعم أن هذه الأحاديث تدل على فساد هذه العقيدة الخالصة لله حتى لو افترضنا أن الأخبار تشير الى البلاد النجدية إشارة صريحة واضحة . وبهذا يعلم وينادى بفشل هذه الحجة وإفلاسها السرمدى الأبدى وقد عنيت بعض العناية ببيان هذه المسألة وهذه الأحاديث لأن أقواماً كثيرين يرددون هذه الشبهة ويكثرون من ترديدها ويطربون لها أشد الطرب ، ومن شدة طرب المخالفين وإعجابهم بها أنه يقل أن تجد من يكتب فى هذا الموضوع فلا يتخذ هذه الشبهة حجة من حججه وسلطاناً من سلاطينه التى بها يصاول ويطاول ، ويتغنى ويتجنى ، والهوى يعظم الشبهة الصغيرة

الكاذبة حتى يراها أكبر من الحجة الكبيرة الصادقة ، والهوى هو الهوان قلب اسمه كما يقولون

ثم قال الرافضى « ومن الاخبار المرجح ورودها فى الوهابية قوله عليه السلام فى ذى الخويصرة التميمى إن من ضئضيء هذا قوما يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الأوثان لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد ، والضئضىء الاصل والمعدن فيكون المراد من ضئضئه أي من أصله وعشيرته لامن نسله وعقبه لأن عشيرة الرجل هي أصله ومعدنه ، وذو الخويصرة وابن عبد الوهاب من أصل واحد وعشيرة واحدة فكلاهما تميمى كما أن جملة من رؤساء الخوارج كانوا من بنى تميم . فبعد انطباق أكثر صفات الخوارج على الوهابية يترجح كون هذه الاخبار شاملة لهم » انتهى

قلت هذا زعم من لا يتقى الله ولا يخاف حسابه ولا حساب الضمير المؤنب ، فأين هذا الرجل التميمي من هؤلاء الذين يسميهم الوهابيين لو كان يخاف الله ويرجو لقاءه ؟ فان هذا الرجل أعنى ذا الخويصرة شهد النبى عليه السلام يقسم المغانم فأنكر قسمته واتهمه بالجور فقال له اعدل فان هذه قسمة لا يراد بها وجه الله . فغضب رسول الله وقال « ويحك فمن يعدل إن لم أعدل » فقال بعض الصحابة : دعنا يارسول الله نضرب عنقه . ثم قال « إن من ضئضىء هذا الرجل قوما يقرؤن القرآن ولا يجاوز حناجرهم يقاتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان » فأين من يقول للنبي الكريم فى وجهه اعدل فانك لم تعدل من قوم لايرون لأحد إسلاماً ولا نجاة حتى يستسلم ظاهراً وباطنًا بلسانه وعقيدته وعمله لما جاء به النبى الكريم من الهدى والدين ، ويرون أن من شك فى عدل الرسول أو فى أمر من الأمور التى جاء بها أو من عارض قوله أو فعله أو خطّأه أو أضاف اليه نقصاً ما أو عيباً ما

فقد حبط إسلامه إن كان مسلما وارتد ولزمه عقاب المرتدين ، ويرون أن أفضل الاولياء والمؤمنين وخيار المسلمين هم الذين يتشبهون به عليه السلام وهم الذين ينهجون منهاجه ويسلكون سبيله ويمضون على ماجاءهم به بالتواجذ والاسنان مااستطاعوا وقدروا ؟ بل وأين هذا الرجل القائل لرسول الله اعدل وأين أصحابه ومن اتبعه من قوم أغضبوا هذا الشيعي وقومه وأساءوا حفائظهم وأغضبوا كثيراً من الناس قديماً وحديثا وهاجوهم عليهم وعلى الايقاع بهم وعلى إيذائهم لاستمساكهم بسنته وتشددهم فيها ودعوتهم الناس الى ذلك وحملهم على ماجاء به من الهدى والنور ومكافحة كل ماخالف سنته وهديه وإيذائهم كل مبتدع بصرامة وجراءة وحزم وعزم ؟ أين ذلك الرجل الذى قال اعدل لأعدل الخلق وأعرفهم بوجوه العدل ومواضعه على الاطلاق من قوم لايستحلون لمسلم فى الارض أن يرغب بنفسه عن سنة من سنن رسول الله لا صغيرة ولا كبيرة لا شكلية ولا معنوية ولا أن يدع قوله وحكمه لقول إنسان ما وحكمه وان كان من كان من الفضل والورع والدين والعلم ، ولا يرون لأحد معه كلاماً ورأيا ويرون أن من فعل شيئاً من ذلك فقد خاب وخسر الى غير نهاية وأصبح من الهالكين الخالدين فى هلاكهم ؟ أين هذا الرجل من قوم يعدون فضل المرء وقيمته وشرفه وصلاحه وورعه وحب الله إياه وحبهم هم إياه بقدر ما لديه من الاعظام لرسول الله والاستسلام لما جاء به ولسنته وهديه قولا وعملا وعقيدة ورأيا ؟ أين هذا الرجل القادح فى رسول الله كفاحاً فى وجهه من قوم لا ينطقون إذا جد الجد الا بقال الله وبقال رسول الله وقال الصحابة « لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون » ولكن هذا الشيعي لو كان جريئاً على أن يصدع بالحق لقال إن الشيعة قد فرست الخوارج فى هذا المضمار مضمار القدح فى الرسول وفى الاعتراض على أحكامه وأقضيته وما جاء به ، واتهامه بالجنف والعدول عن

العدل والنصف . فقد ردت هذه الطائفة ما رضيه نبي الله وقضى به فى أمور كثيرة معلومة فقد رضي صحبة أبي بكر الصديق الخاصة له ومؤازرته إياه ومرافقته فى أرهب الاوقات وأخلد الساعات ، وقضى بامامتيه : الصغرى و الكبرى . إمامة الصلاة وإمامة الخلافة ، وقضى له بالايمان الذى لايلحق وبالفضل الذي لاينال ولا يطال ، ورضي عنه الرضا الذى لاسخط بعده وأحبه الحب الذى لم يحبه أحدا من الناس غيره ومات على ذلك وأجمع الصحابة والمسلمون عليه ، ولكن الشيعة لم ترض ذلك كله فعدلت عنه لانها لم تجد فيه العدل والصدق ، فقضت بضده وبمخالفته . فخالفت قضاء رسول الله وما أحبه ورضيه ، وخالفت قوله وفعله . وكذا لم ترض الشيعة قضاءه عليه السلام فى حبه عائشة والرضا عنها وتفضيلها على النساء . فقدحوا فيها وفى دينها ورأيها وأدبها فآذوها وآذوا المؤمنين بايذائها وكذلك لم يرضوا قضاءه فى أصحابه وحبهم والرضا عنهم وقضاءه بأنهم من أهل الجنة وأهل الايمان والدين والتقى وخوف الله وأن الله رضي عنهم فأحبهم وأحبوه ورضوا عنه ورضي عنهم . فقضوا هم بكفرهم ونفاقهم وخداعهم وإيثارهم الدنيا على الله وعلى رسوله وعلى آل بيته . فاتهموهم بالكبائر من الشرور وبالعظيمات من الأمور وكذلك لم يرضوا بقضائه عليه السلام فى على بن أبي طالب وآل بيته الأطايب فادعوا لهم وفيهم فوق ماقضى به عليه السلام لهم وفيهم من الحق والمكانة والرتبة العالية فادعوا فيهم العصمة بل والنبوة والألوهية كما قدمنا فى أول الكتاب وفضلوهم على من فضله عليه السلام عليهم . بل وفضلوهم على الأنبياء والمرسلين وزعموا أن كل مايقولونه حق لا ريب فيه وأنهم لا يغلطون أبداً لا عمداً ولا سهواً . بل وقدحوا فى رسول الله أعظم من قدح ذى الخويصرة التميمى وإخوانه فيه فزعموا أن الرسالة كانت لعلى بن أبي طالب ولكن جبريل غلطاً أو عمداً نزل بها على محمد عليه السلام . فالرسول فى الواقع هو على وأما محمد فليس رسولا إلا

بغلط جبريل أو تعمده الغلط ، وهذا قول لطائفة من الشيعة معروفة تسمى الغرابية وقد قدمنا هذا فى صدر الكتاب الى فظائع وعظائم معلومة مبثوث كثير منها فى هذا الكتاب . قدحت فيها الشيعة على القضاء النبوى وعدلت عنه فيها زاعمة أن ذلك ليس عدلا ولا حقاً بشكل هو أفظع وأعظم من دعوى ذي الخويصرة واخوانه الخوارج . وسيجد القارىء لكتابنا الشواهد العديدة الصادقة على قولنا هذا

وحينئذ يقال من أين انتزع زعمه أنه يرجح ورود حديث ذى الخويصرة فى النجديين . ؟ إما أن يكون من كون ذى الخويصرة تميميا لأن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب تميمى فكلاهما من قبيلة واحدة والحديث أخبر أن هؤلاء القوم الذين وصفوا بهذه الصفات يخرجون من ضئضىء ذى الخويصرة أى من أصله وقبيلته . أى أنهم يكونون من بنى تميم وإما أن يكون انتزعه من الصفات الواردة فى الحديث وهى أن هؤلاء القوم المنبأ عنهم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية وأنهم يقرؤن القرآن ولا يجاوز حناجرهم وأنهم يقاتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان . وإما أن يكون انتزع ذلك من الامرين معا . فان كان الاول أى إن كان زعم ترجيح هذا الحديث فى الوهابيين لأن ذا الخويصرة هو وصاحب هذه الدعوة تميميان قيل له لقد أبعدت المرمى وادعيت المستحيل : هب أن الرسول الكريم أخبر أنه يخرج من قبيلة بنى تميم قوم يكونون شر الناس يكفرون بالله وباليوم الآخر وبالأنبياء ويملئون الارض جوراً وضلالا وإلحاداً ويتوقلون كل فاحشة فحشاء ويستبطنون كل ريبة نكراء فكيف يعلم أنه يعنى بهؤلاء القوم المنبأ عنهم فلانا ومن تبعه أو فلانا ومن ناصره ؟ ! وكيف يعلم أنه لا يعنى غير هؤلاء وهؤلاء ؟ إن معرفة مثل ذلك مستحيلة لا يمكن إدراكها بهذا النحو . وإذا ما زعم زاعم أن المنبأ عنه هو فلان ونصراؤه استطاع آخر أن يزعم أن ذلك هو فلان آخر ومن سار سيرته . واذا قال قائل إن المعنى بهذا الخبر هو من جاء بكذا

وكذا من الآراء استطاع آخر أن يقابله فيقول إن المعنى به هو من جاء بكيت وكيت من الآراء والعقائد التي تخالف ما جاء به الأول . فاذا زعم زاعم بأن الرسول الكريم يعني بحديثه هذا الوهابيين من التميميين كما زعم هذا الرافضي قيل له ولماذا لا يكون يعني به التميميين المخالفين لهذه العقيدة النابذين لها ولما جاء به أصحابها من الاصلاح والدعوة الاسلامية السلفية ؟ ولماذا لا يكون يعني أقواما آخرين غير هؤلاء وغير هؤلاء من بني تميم الذين جاءوا بما أخبر به الحديث أو سيجيئون به ؟ وكيف يعلم أنه يعني الوهابية بهذا الخبر ؟

إن مخالفه يستطيع أن يزعم أن القوم المنبأ عنهم بهذا الخبر هم التميميون الذين يصيرون إلى مذهب الشيعة ويميلون اليه والى ما فيه من المقادح في الصحابة وفي السلف وفي المسلمين وأنهم هم الذين يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية . وأنهم هم الذين يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان ، وأنهم إذا قرءوا القرآن لا يجاوز حناجرهم . وذلك لما قالوه في الله ورسوله وفي الصحابة وفي علي بن أبي طالب وذريته من التألية والغلو وماقالوه في خلفاء الاسلام وعلمائهم من القدح والاكفار الجريء وماجاءوا به من المبتدعات في القبور والمشاهد إلى غير ذلك من بدع القوم . والشيعة من يوم أن خلقها الله لم تقاتل أحدا من أهل الاوثان والمشركين . بل أنها تكون أبدا في صف هؤلاء خصومة للاسلام . ولكنها قاتلت المسلمين وأهل التوحيد منهم كما سوف يرى

وهل كانت الخوارج الذين قاتلهم علي إلا احدى فرق الشيعة راحوا يحبون عليا الى حد الغلو المذموم والاسراف المستبشع ورجعوا يبغضونه ويمقتونه الى حد الاكفار والتضليل الباطل . فما كانوا سوي فرقة من فرق الشيعة . فالشيعة انقسمت فرقتين متعاديتين ممسكتين بطرفي الافراط والتفريط : فرقة كفرت عليا وذمته وهم الخوارج ، وفرقة غلت فيه حتى ادعت فيه الألوهية وما لا يليق إلا بالله

وزعمت فيه العصمة وفى ذريته وزعمت أن الخلافة وراثية فيهم ، فمن نازعهم فيها أو قال خلاف قولهم فهو كافر خارج . وزعمت فرق منهم فيهم الالوهية والنبوة والرسالة . وهذه الفرق من الشيعة هى بلا ريب شر من الخوارج . وهم أبعد عن الاسلام وعن على وذريته منهم . فان من غلا فى حق الله فا كفر عليا أو غيره لزعمه أنه خالف حكم الله وتعدى على حقوقه تعالى أقل شرا وضلالا ممن غلا فى مخلوق فوهبه حق الله وزعم أنه حال فيه أو انه هو الله أو أنه هو الرسول أو كالرسول فى العصمة وفى وجوب اتباعه فيما قال . وسوف يجىء بيان هذا

فانباء النبى الكريم أنه سوف يخرج من بنى تميم قوم يأتون بأفانين من الضلال الكفر والمروق لا يستطاع أن يفهم أنه نص فى قوم معينين لا فى الوهابيين ولا فى غيرهم الا أن ينبىء الحديث عن أولئك الذين سوف يخرجون بأوصاف وأشياء معينة فتأتى بتلك الصفات والأشياء جميعاً فرقة من الفرق فيقرب حينئذ جداً أو يكون يقينا لا ريب فيه أن الحديث انباء عن هذه الفرقة . فاذا ادعى المخالف أن الوهابيين قد جمعوا الصفات والأمور التى أنبأ عنها الخبر النبوي وأتوها كلها قيل له هذا هو أساس المسألة وقاعدة الدعوى وهذه هى المصادرة فى رأس البحث . فاذا استطاع هذا الرافضى اثبات أن الوهابية مرقوا من الاسلام الى آخر ما في الحديث قام له ما ادعى وأغناه هذا عن كون هذا الرجل الذى قدح فى حكم الرسول ﷺ تميمياً أو غير تميمي ، وهذا هو الاقتراض الثانى ، وسنتكلم عليه . أما الأخبار المطلقة عن قبيلة من القبائل بأنه يخرج قوم أو أقوام منها يكفرون بالله ويمرقون من الاسلام ويقرؤن القرآن ولا يؤمنون . فلا يمكن أن يكون هذا الاخبار المطلق قدحا في كل من كان من تلك القبيلة من هذه الناحية أي من ناحية انحداره من القبيلة المذكورة المنبأ عنها ، ولا يمكن أن يكون دليلا ولا شبه دليل على ضلال هذا الرجل المعين وفسقه وكفره لأنه انحدر من القبيلة التى قيل

إنه سيخرج منها قوم يكفرون ويفسقون ويحاربون الله ورسوله ويقتلون المسلمين... هذا ما يعد فى نظرنا من المحال

وقد أخبر النبى الكريم عن قبائل كثيرة من العرب وغير العرب بأنهم سوف يحدثون أشياء منكرة ويحدثون فى الأرض وفى الاسلام أموراً عظيمة . وقد صح عنه عليه السلام أنه قال « يكون هلاك أمتى على يد غلمة من قريش » وصح عنه أنه قال « اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصوا الله ورسوله » وصح عنه أنه دعا على مضر وقال « اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف » وفى الصحيح أنه عليه السلام كان يقنت فى صلاة الفجر ويقول فى صلاته « اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم كسنى يوسف ، اللهم العن لحيان ورعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله » وصح عنه أشياء كثيرة فى ذم غير هؤلاء من القبائل والأحياء فهل هذه الأخبار تدل على القدح فى شخص معين ينتسب الى احدى هذه القبائل والأحياء أو هل تدل على أن انسانا بعينه ملعون مذموم عاص لله ورسوله لأن النبى الكريم دعا عليهم جملة لأشياء جاؤا بها ؟ وهل يقال فى كل قرشى انه يهلك الامة الاسلامية لقوله عليه السلام هلاك امتى على يد غلمة من قريش ؟

هذا ما يقضى به كلام هذا الشيعى ولكنه باطل بلا ريب ، ويمكن أن يكون هذا من الأجوبة عن قوله عليه السلام قالوا وفى نجدنا قال هناك الزلازل والفتن

وكذلك جاءت أحاديث صحيحة نبوية يثنى بها على بعض القبائل والاحياء فصح عنه عليه السلام أنه قال : «غفار غفر الله لها . وأسلم سالمها الله» وفى الصحيح أنه قال « الانصار ومزينة وجهينة وغفار وأشجع ومن كان من بنى عبد الله موالىّ دون الناس والله ورسوله مولاهم » إلى نظائر لذلك كثيرة . فهل يستطيع عاقل أن يدعى أن مثل هذه الاخبار دليل وبرهان على فضل كل رجل انتسب لأحدى هذه القبائل والاحياء ودليل على أن إنسانا بعينه مولى لله ورسوله راض عنه الله

ورسوله بدليل هذه الاحاديث لا بدليل أعماله وصلاحه ؟ اللهم لا

ومثل ذلك ما جاء ذما وعيبا على سبيل الاجمال لقبيلة من القبائل وحى من الأحياء أو بلد من البلدان فانه لا يدل على ذم كل فرد وإنسان انحدر من تلك القبيلة أو نبت فى ذلك البلد . وهذا كهذا سواء فهما لا يدلان على ذم ولا مدح معينين بالضرورة والاجماع

فقبيلة بنى تميم كغيرها من قبائل العرب جاء فيها ذم مجمل مطلق إن كان لمثل هذا أن يسمى ذمّا وقدحا فى القبيلة إجمالا . بل هو ذم لطائفة منها مبهمة تأتى بالأعمال الشنعاء التى ذمت من أجلها . وهذا أقل من الذم العام للقبيلة على أن هذا الحديث فى بنى تميم يعارضه ماهو مثله أو ماهو أقوى منه فى مديحهم . ففى نهج البلاغة أن عليا رضى الله عنه قال لعامله في البصرة عبد الله بن عباس « قد بلغنى تنمرك لبنى تميم وغلظتك عليهم وإن بنى تميم لم يغب لهم نجم إلا طلع لهم آخر وانهم لم يسبقوا بوغم (أى حرب) فى جاهلية ولا اسلام وان لهم بنا رحما ماسة وقرابة خاصة نحن مأجورون على صلتها ومأزورون على قطيعتها » هذا قول علىّ مرجع الشيعة كما تزعم . وروى البخاري ومسلم أن أبا هريرة قال لا أزال أحب بنى تميم لثلاث سمعتهن من رسول الله سمعته يقول « هم أشد أمتى على الدجال » وجاءت صدقاتهم فقال هذه صدقات قومنا ، وكانت سبية منهم عند عائشة فقال اعتقيها فانها من ولد اسماعيل . فهذا يقابل ذاك . فان كان حديث ذى الخويصرة دالا على هجاء بنى تميم كان هذا الحديث وكان قول أبى هريرة وقول الامام على دالين على فضل بنى تميم وامتداحهم . وان دل خبر ذى الخويصرة على بطلان الدعوة السلفية الوهابية لأن بعض دعاتها كان تميميا كان هذا الحديث وهذان الاثران عن على وأبى هريرة دلائل ثلاثا على صحة هذه الدعوة وقوتها . واذا قيل إن القوم الذين أشار اليهم حديث ذى الخويصرة هم الوهابيون كما زعموا

أمكن أن يقال معارضة لهذا القول الباطل : إن القوم الذين أشار اليهم النبى عليه السلام بقوله هم أشد أمتى على الدجال وباقى الحديث هم الوهابيون وأن النجوم التى تتعاقب واحداً إثر واحد كلما غاب نجم طلع نجم آخر من بنى تميم فى حديث على رضى الله عنه هم النجوم الوهابية أو الوهابيون من هذه النجوم التى حدث عنها على مرجع الشيعة فيما تزعم ، وقيل أيضا ان الحديث النبوى والأثر العلوي انباءان عن هذه الدعوة وعن رجالها ونصرائها ، وكان هذا القول لايقل عن قول الرافضى فى حديث ذى الخويصرة قوة ولا يفوقه ضعفا ، وكانت هذه بتلك ونحن لانقول هذا القول احتجاجا وبحثا . ولكننا نقوله معارضة ومقابلة ونعنى أنه إن صح قول الرافضى فى حديث الذم فلن يقل عنه صحة قولنا فى حديث المدح حديث أبى هريرة وقول على ولا يمكن أن يكون احتجاج الشيعى صحيحا و هذا الاحتجاج باطلا . بل إن كان احتجاجنا باطلا كان احتجاجه أبطل وأوغل فى البطلان ، وان كان احتجاجه هو صحيحاً كان احتجاجنا أصح وأوغل فى الصحة . فما هو فاعل ؟ وأين هو ذاهب ؟

هذا ثم يقال لهذا الرجل ان هذه الدعوة ليست دعوة تميمية كما تحسب وليست خليقة بهذا الوصف وليست هذه النسبة بأصح من نسبتها إلى قبيلة أخرى من قبائل العرب الذين أجابوا الدعوة وقابلوها بالتسليم والرضوان وصافحوها مصافحة إذعان . فان هذا الشيعى يزعم أن باذر بذور هذه الدعوة الاول هو ابن تيمية ثم تلامذته وأنها عنهم أخذت وعرفت وأن النجديين نقلوها عن هؤلاء نقلا تاما . وابن تيمية وتلامذته سوريون وليسوا من بنى تميم . ثم ان النجديين الذين قبلوها ونصروها ليسوا قبيلة واحدة وليسوا كلهم ينحدرون من أصلاب تميمية بل بنو تميم احدى القبائل النجدية العربية التى انشرحت صدورها لهذه الدعوة ودانتها وأحبتها وآل سعود الكرام الذين نصروا الدعوة بالقوة والقلم ونشروها ودافعوا عنها

وداموا على عهدها وولائها فى السراء والضراء ليسوا من بنى تميم كما سوف يأتى . فالذين ابتدعوا الدعوة كما يدعى الشيعى وهم ابن تيمية وتلامذته ليسوا تميميين والذين نصروها وآووها ودافعوا عنها كل الاوقات وهم آل سعود ليسوا تميميين ، والذين قبلوها ودانوها ليسوا من قبيلة واحدة بل من قبائل مختلفة . وان من دعاتها ووضعتها كما يقول الشيعى الصنعانى وكذا الشوكانى وهما ليسا تميميين

واذا كان ذلك كذلك فلماذا تكون هذه الدعوة تميمية ولماذا تذم اذا ما ذم بنو تميم وغاية ما فى ذلك أن أحد دعاة الدعوة القائمين بنشرها وإحيائها تميمى وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب ؟ ولكن هذا لا يقضى بأن تكون الدعوة تميمية يقينا ونسبتها الى بنى ذهل بن شيبان القبيلة التى نمت آل سعود أولى من نسبتها الى بنى تميم ونسبتها الى آل تيمية الذين نجلوا شيخ الاسلام ابن تيمية أولى من نسبتها الى بنى تميم الذين نجلوا شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب باعث علم السلف فى جزيرة العرب

فهذه الدعوة ليست تميمية صرفا ، فلو ذم التميميون قاطبة وخصوا بأوفر الملامات وأوفى النقائص لم يلحق هذه الدعوة من ذلك شىء على جميع الوجوه والافتراضات . فليعلم هذا الشيعى

وكم نجل بنو تميم من عالم لا يبارى فى علم ولا فى دين ، ومن شجاع لا يصاول ولا يطاول ، ومن مصلح فذ ومن عابد زاهد من عباد الله الاخيار المقربين

وقول الشيعى ان جملة من الخوارج كانوا من بنى تميم يقال عليه ان الخوارج كانوا من قبائل عديدة وليسوا من قبيلة واحدة ولا كان هذا المذهب الشاذ مذهب قبيلة من القبائل أو حى من الأحياء وقد كان الخوارج من بنى تميم وكانوا من طى ومن بنى يشكر ومن مراد ومن غير هؤلاء وكان أشقى الخوارج

وقد يكون أشقى الناس قاطبة عند الشيعة من قبيلة مراد وهو عبد الرحمن بن ملجم المرادى الخارجى قاتل علي رضى الله عنه ، فاشتراك بنى تميم فى هـذا المذهب مذهب الخوارج كاشتراك غيرهم فيه من قبائل العرب وغيرهم . وليس بنو تميم أولى بهذا المذهب من سائر الناس ، وهذه حقائق يقينية . هذا جواب الاقتراض الأول ، وهو تقدير أنه انتزع الحجة من الحديث المذكور من كون ذى الخويصرة تميميا . وأما الاقتراض الثانى وهو أنه انتزعها من اجتماع هذه الصفات صفات الذين يخرجون من ضئضىء ذى الخويصرة فى الوهابية فنقول ان هذا هو أصل المسألة ومبدؤها وهذا هو معترك الخصام بين أهل السنة والشيعة . فاذا قال الشيعى ان هذه الصفات ـ وهى أنهم يقرؤن القرآن ولا يجاوز حناجرهم وأنهم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية ، وأنهم يقاتلون أهل الاسـلام ويدعون أهل الأوثان ـ اذا ما قال ان هذه الصفات قد اجتمعت في أهل السنة من النجديين قيل له كلا والله . ويتبين جواب هذا الافتراض من قراءة كتابنا هـذا . واذا ما علم جواب الافتراضين علم جواب الافتراض الثالث

ثم قال الرافضى :

تنزيل الآيات النازلة فى الكفار على من عمل عملهم

« عاشرا — كما أن الخوارج عمدوا الى الآيات الواردة فى الكفار والمشركين فجعلوها فى المسلمين والمؤمنين وكذلك الوهابيون جعلوا الآيات النازلة فى المشركين منطبقة على المسلمين . أما صدور ذلك من الخوارج فيدل عليه مارواه البخارى عن عبد الله بن عمر فى وصف الخوارج أنهم انطلقوا الى آيات نزلت فى الكفار فجعلوها فى المؤمنين وفى رواية في غير البخاري أنه عليه السلام قال أخوف ما أخاف على أمتى رجل متأول للقرآن يضعه فى غير موضعه .

وعن ابن عباس لاتكونوا كالخوارج تأولوا آيات القرآن فى أهل القبلة وإنما نزلت فى أهل الكتاب والمشركين فجهلوا علمها فسفكوا الدماء وانتهبوا الأموال . وأما صدور ذلك من الوهابيين فيدل عليه ما سيأتى من جعلهم الآيات الكثيرة النازلة فى المشركين منطبقة على المسلمين مثل : أغير الله أتخذ وليا . إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا . فلا تجعلوا لله أندادا . له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء . الى غير ذلك من الآيات الكثيرة النازلة فى المشركين والكفار فيجعلونها منطبقة على المسلمين انطباقا من غير مائز ولا فارق » انتهى

قلت وما ذكره هنا هو من الخرافات المبتذلة والآراء الساذجة الفاترة وما لما ذكر وجه فى العلم ولا نسب فى المنطق ولا انتماء الى الحق ، وبيان ذلك أن القرآن الكريم قدجاء قانونا عاما شاملا صالحا لكل زمان وفى كل مكان . لايخص عصراً دون عصر ولا مكانا دون مكان . وقد جاء بجمل الأشياء المحمودة والمذمومة الصالحة والطالحة وجاء بالخير وبالشر وبالايمان والكفر ذاما قسما مادحا قسما آمراً بقسم ناهيا عن قسم داعيا الى قسم زاجراً عن قسم مخبراً أن جزاء قسم من ذلك الجنات والرضا وأن جزاء القسم الآخر النار والغضب الالهى . ولم يعرف ذلك الخير والشر أو الصالح والطالح بمن عمله من الناس ولم يمدح الخير من ذلك لأن العامل له فلان أو فلان ولم يذم الشر لأن العامل له فلان أو فلان . بل إنما عرف العامل بعمله فعرف الخير بمن جاء بالخير والشرير بمن جاء بالشر وعمله وأثنى على من أثنى عليه بما عمل من صالح وذم من ذم بما عمله من عمل طالح . فالأخيار هم الذين عملوا الصالحات والخيرات ليس لهم مكان معين ولا زمان معين ولا سمة غير ذلك ، والاشرار هم من عملوا الأعمال الطالحة والشرور الفاضحة ليست لهم سمة غير ذلك وليس لهم مكان معلوم ولا زمان معلوم ، والمؤمنون هم

الذين جاءوا بأشراط الايمان وشرائطه والكافرون هم الذين جاءوا بأشراط الكفر وشرائطه ، فمن جاء بأعمال الايمان فهو المؤمن ومن جاء بأعمال الكفر فهو الكافر ، ومن جاء بهذا حينا وبهذا حينا فهو فى كل حين حكمه حكم ما جاء به ففى الحين الذي يأتى فيه بأعمال الايمان يكون مؤمنا ، وفى الحين الذي يأتى فيه بأعمال الكفر يكون كافراً ، والذي يأتى بهذا وهذا فى وقت واحد يكون مؤمنا من جهة كافرا من جهة أخرى أى انه يكون مؤمنا وكافرا « وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون » ومعرفة الخير والشر والايمان والكفر وصالح الأعمال وطالحها تكون بالاجمال بمعرفة ما فى القرآن وما فى السنة النبوية فما أنبأ عنه القرآن أو السنة بأنه خير وإيمان فهو خير وايمان والذى عمله مؤمن خير . وما أنبأ عنه القرآن أو السنة بأنه شر وكفر فهو كذلك ومن عمله فهو من الكافرين الاشرار . فالناس يعرفون بالاعمال خيرها وشرها ويحكم عليهم بما يعملونه من ذلك ويعطون الاسماء من أعمالهم وأفعالهم . فما أنبأت عنه نصوص الدين لانه كفر فمن عمله فهو كافر وان كان من كان وان كان من سلالة النبيين وما أنبأت عنه نصوصه بأنه إيمان فهو ايمان وعامله مؤمن وان كان من سلالة المنافقين والمتنبئين والمتألهين ، بل وان كان من هؤلاء فى سابق أمره . وما أنبأت عنه النصوص بأنه طاعة فهو طاعة وان كان عاملها من كان ، وما أنبأت عنه بأنه معصية فهو معصية وعامله عاص وان كان من كان من الصالحين والأولياء الفاضلين والعلماء المشهورين . وما أنبأ عنه الاسلام بأنه شرك فهو شرك وعامله مشرك وان كان قبل ذلك من خلاصة المؤمنين الموحدين . وما أنبأ عنه بأنه توحيد فعامله موحد وان كان قبل ذلك من رؤوس المشركين والملحدين

وهكذا يقال فى جميع أعمال العباد مما يثاب عليها ويعاقب . فالصدق مثلا ممدوح مثاب عليه ، فمن جاء به فهو صادق ومثاب على صدقه . والكذب مذموم

ومعاقب عليه فمن جاء به فهو كاذب ومعاقب على كذبه . والزنا محرم شنيع مجازى عليه الجزاء الأليم فمن عمله فهو زان آت بأمر شنيع وفاحشة شنعاء وهو لاق على ذلك جزاءه العظيم . والعفاف عمل صالح مثاب عليه فمن عفّ فهو عفيف صائن نفسه عن أمر شنيع وهو لاق على ذلك الجزاء الأوفى . وترك الصلاة كفر بالله أو فسق على الرأى الآخر فمن ترك الصلاة فهو كافر أو فاسق على الرأيين وجزاء التارك جزاء العاصين أو الكافرين وان كان من كان . وإقام الصلاة صلاح وإيمان بالله فمن أقام الصلاة فهو من التائبين المصلين . وسب الأنبياء كفر فمن سب نبياً فقد كفر وإن كان من كان . وعبادة الأصنام والأوثان شرك بالله فمن عبد وثنا أو صنما فهو من عبدة الأصنام والأوثان المشركين بالله فهو من أصحاب الجحيم

وهكذا دواليك بلا خلاف ولا نزاع بين العقلاء والعلماء العارفين بل وأنصاف الجاهلين . فدعاء غير الله من الأموات والأصنام والملائكة والجان وكذا دعاء الأحياء وسؤالهم ما لا يقدر عليه إلا الله إما أن يكون خيراً جائزاً أو شراً محرما فان كان الثانى لم يكن جائزاً عمله لا للمشركين والكافرين ولا للمؤمنين المسلمين ولا فرق . وان كان الأول كان جائزا عمله للمشركين وللمؤمنين ولا فرق . ولم يكن جائزا لهؤلاء ممنوعا على هؤلاء بالاجماع والبداهة . وهو لو كان جائزا لم يكن جائزا لأن المشركين لم يعملوه واذا كان ممنوعا لم يكن ممنوعا لأن المشركين عملوه ، كلا لا لهذا ولا لهذا ، وانما منع لما فيه من الشر والقبح ولأن الله أراد منه مطلقا

ويجاز الأمر لما فيه من الحسن ولأنه لا قبح فيه ولأن الله يريد أن يجيزه ولا تأثير لغير ذلك مطلقا . وكل شىء ينهى الله المشركين عنه فى القرآن أو فى السنة فالمسلمون منهيون عنه أيضا ، وكل شىء يحكم عليهم بالكفر والشرك لأجله فالمسلمون مشركون كافرون اذا فعلوه . وكل شىء يبيحه الله للمشركين أو يمتدحهم على فعله فهو مباح للمسلمين وهم ممدوحون عليه اذا ما فعلوه . هذا اذا لم

يكن هنالك نسخ وإلا فالحكم للناسخ

ولا يمكن أن ينهى الله المشركين والكافرين عن أمر من الأمور لأنه شرك أو كفر ويكفرهم ويحكم عليهم بالشرك لفعلهم إياه، ثم يكون ذلك الأمر حلالا للمسلمين وطاعة وإيمانا وتوحيدا، بل اذا ما قال الله فى كتابه لقد كفر المشركون وكفرت اليهود والنصارى، ونحو ذلك لأنهم دعوا الأموات وعبدوا الأصنام والأوثان وضرعوا الى الأحجار والأشجار ورجعوا الى ذلك وطافوا به وذبحوا ونذروا له، فكل من يفعل هذه الأمور من المسلمين وغير المسلمين فهو كافر ومشرك والمسلمون جميعاً يحكمون على فاعلى ذلك بالكفر والردة والخروج من الملة وهذا معنى قولهم المشهور « العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب » وذلك أنه ينظر الى المعنى العام الذي تريد الآية النهى عنه والذم له بالاغضاء عن سبب نزولها من هذه الناحية فينهى عنه وينظر الى المعنى العام المباح فى الآية بالاغضاء عن سبب نزولها وعن الحادثة التى نزلت بمناسبتها فيمتدح ذلك المعنى العام ويباح، ولا تقيد الآية المحللة والمحرمة المادحة والذامة مطلقاً بالحادثة التى نزلت بمناسبتها ولا بفعل العبد المكلف اذا نزلت الآية لأجل فعل فعله وأمر قام به من الطاعات أو المعاصى فنزلت مادحة أو ذامة مبيحة أو حاظرة. ولو أن الآيات قيدت بأسباب نزولها لما كان القرآن عاما لكل الحوادث ولكل أعمال المسلمين ولما أمكن العمل به فى كل زمان ولما استطيع أخذ الأحكام اليوم وقبل اليوم منه ولكان ضيق الدائرة محدود الفائدة. وذلك أن الكثير من النصوص نزل لمناسبات خاصة وحوادث خاصة إما من المسلمين وإما من غير المسلمين. وقد ألفت الكتب فى هذا الموضوع موضوع أسباب النزول وسميت بهذا الاسم « أسباب النزول » وذكر من ذلك الشىء الكثير. وقد تكون آيات الحدود والعقوبات فى القرآن أسبابها خاصة. وقد يكون أكثر الأوامر والنواهى أسبابها كذلك خاصة. واذا

ما كانت الآيات مقصورة على أسبابها استطيع أن يقال بقصر هذه الآيات آيات التشريع كلها على الأسباب الخاصة التي نزلت أوان حدوثها . وهذا القول الذى قاله هذا الشيعى ـ ان للمشركين آيات وللمسلمين آيات وأن ما نهى عنه المشركون وأكفروا به لا ينهى عنه المسلمون ولا يكفرون به ـ هو قول بقصر الآيات على أسبابها ، وقول بتحديد معانيها بالأمر الذى نزلت من أجله . وهـذا هو الغلط الفظيع البعيد

والسر فى هذا كله أن الأمر ينهى عنه ويحرم لأمر يرجع اليه هو لا إلى نفس عامله . وأن الأمر يباح ويؤمر به لأمر يرجع اليه هو لا الى نفس عامله . وهذا مالا خلاف فيه بين العاقلين . فالشرك منهى عنه لأجل مافيه هو من القبح والظلم والشناعة لا لأن عامله فلان أو فلان . والتوحيد مأمور به مطلوب من العباد لأجل مافيه من الحسن والعدل والعقل . لا لأن عامله فلان أو فلان ، واذا كان ذلك كذلك فلا ريب أن مانهى عنه المشركون فى القرآن الكريم وأكفروا بفعله فالناس كلهم مسلمين وغير مسلمين منهيون عنه وكافرون إذا هم فعلوه ، وأن ما أمر به المسلمون من الصحابة ومن بعد الصحابة مأمور به كل الناس مسلمين وغير مسلمين صالحين وفاسقين ، وهذا ظاهر لا يسمو اليه شك ، وما زال المسلمون والعلماء والأئمة الأعلام يستدلون بالآيات العامة النازلة فى الكفار والمشركين وفى اليهود والنصارى وفى سائر الفرق الخارجة على دين الله وعلى فطرته الاولى على ما يفتون به المسلمين وما يريدون أن يفعلوه هم ، وما زالوا يأخذون من تلك العمومات الحجج والدلالات على معتقداتهم وإيمانهم ، ولا خلاف عندهم أن القرآن إذا مانهى اليهود أو النصارى أو المجوس عن أمر من الامور أو أخبر أن ذلك كفر فيهم أنهم هم أيضا منهيون عن ذلك الامر وأنه كفر فيهم اذا ماهم صنعوه ولا ريب أنهم لن يقولوا إن ذلك الامر كفر فى اليهود والنصارى ومن نزل فيهم

النص فقط وأما نحن فلا جناح علينا أن نفعل ذلك ولسنا مطالبين بفعله أو تركه

وقد عقد الامام الشاطبي فى أول كتابه الاعتصام فصلا مبسوطا رد به على البدع والمبتدعين محتجاً بعموم الآيات النازلة فى أهل الكتاب من اليهود والنصارى وفى المشركين والكافرين ، ومستدلا بالاطلاق والعموم ، وقد ذكر فى ذلك الفصل روايات وأقاويل كثيرة وردت عن السلف من الصحابة ومن بعد الصحابة من التابعين ومن بعد التابعين قد احتجوا فيهـا بالآيات المطلقة النازلة أصلا فى طوائف الشرك وأهل الكتاب على إثم البدعة وخطأ المبتدعين من المسلمين ، وعلى ما أوعدهم الله به من العقاب الأشد الاليم . قال فى الفصل المذكور : « والنقل يدل على بطلان البدعة والابتداع من وجوه أحد الوجوه ماجاء فى القرآن مما يدل على ذم من ابتدع فى دين الله بالجملة » ثم ذكر قوله تعالى فى أول سورة آل عمران « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » وذكر فى تفسير الآية الحديث الصحيح عن عائشة رضى الله عنها أن النبي الكريم قال « اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » وذكر رواية أخرى عن عائشة قالت : تلا رسول الله الآية وقال « فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم » قال وجاء عن أبى غالب واسمه حرور قال كنت بالشام فبعث المهلب سبعين رأساً من الخوارج فنصبوا على درج فى دمشق . فكنت على ظهر بيت لى فمر أبو أمامة فنزلت فاتبعته فلما وقف عليهم دمعت عيناه وقال سبحان الله ! ما يصنع السلطان ببنى آدم قالها ثلاث مرات كلاب جهنم كلاب جهنم . شر قتلى تحت ظل السماء ثلاث مرات . خير قتلى من قتلوه . طوبى لمن قتلهم أو قتلوه . ثم التفت الى وقال يا أبا غالب إنك بأرض هم بها كثير فأعاذك الله منهم . قلت رأيتك بكيت حين رأيتهم . قال بكيت رحمة

حين رأيتهم كانوا من أهل الاسلام . هل تقرأ سورة آل عمران؟ قلت نعم فقرأ هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات الآية ، و إن هؤلاء كان فى قلوبهم زيغ ثم قرأ قوله تعالى « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم . يوم تبيض وجوه وتسود وجوه . فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون » قلت هؤلاء هم يا أبا أمامة؟ قال نعم . قلت من قبلك تقول أو شيء سمعته من النبى عليه السلام؟ قال إنى اذن لجرىء . بل سمعته من رسول الله لا مرة ولا مرتين حتى عد سبعا . قلت ألا ترى الى مافعلوا قال عليهم ما حملوا وعليكم ماحملتم . قال وروى ذلك اسماعيل القاضى وغيره

قال ونقل حميد بن مهران قال سألت الحسن : كيف يصنع أهل هذه الاهواء الخبيثة بهذه الآية فى آل عمران « ولا تكونوا كالذين تفرقوا » الآية؟ قال نبذوها ورب الكعبة وراء ظهورهم . قال ابن وهب سمعت مالكا يقول ما آية فى كتاب الله أشد على أهل الاختلاف من أهل الاهواء من هذه الآية « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين » الآية . قال مالك فأى كلام أبين من هذا؟ فرأيته يتأولها لأهل الاهواء . ورواه ابن قاسم قال لى مالك : إنما هذه الآية لأهل القبلة

قال الشاطبى : وما ذكره مالك فى الآية نقل عن غير واحد كالذي تقدم للحسن . وعن قتادة فى قوله « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا » يعنى أهل البدع . وعن ابن عباس يوم تبيض وجوه وتسود وجوه . قال تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة

قال الشاطبى : ومن ذلك قوله « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست

منهم فى شىء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون » . قال وهذه الآية جاء تفسيرها فى الحديث من طريق عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ ياعائشة ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا من هم ؟ قلت الله ورسوله أعلم . قال : هم أصحاب الأهواء وأصحاب البدع وأصحاب الضلالة من هذه الامة . ياعائشة ان لكل ذنب توبة ما خلا أصحاب البدع والأهواء ليست لهم توبة وأنا منهم برىء وهم منى براء . قال ابن عطية هذه الآية تعم أهل الأهواء والبدع والشذوذ فى الفروع وغير ذلك من أهل التعمق فى الجدال والخوض فى الكلام . هذه كلها عرضة للزلل وسوء المعتقد . وحكى ابن بطال فى شرح البخاري عن أبى حنيفة أنه قال لقيت عطاء بن أبى رباح بمكة فسألته عن شىء فقال من أين أنت قلت من أهل الكوفة . قال أنت من أهل القرية الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا . قلت نعم . قال من أى الاصناف أنت ؟ قلت ممن لايسب السلف ويؤمن بالقدر ولا يكفر أحدا بذنب . قال عطاء عرفت فالزم . وعن الحسن قد خرج يوما عثمان بن عفان يخطبنا فقطعوا عليه كلامه فتراموا بالبطحاء حتى جعلت لا أبصر أديم السماء . قال وسمعنا صوتا من بعض حجر أزواج النبى عليه السلام فقيل هذا صوت أم المؤمنين . قال فسمعتها وهى تقول ألا إن نبيكم قد برىء ممن فرق دينه واحتزب وتلت : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء » وعن أبى هريرة أنها نزلت فى هذه الأمة . وعن أبى أمامة انهم هم الخوارج . قال القاضي : ظاهر القرآن يدل على أن كل من ابتدع فى الدين بدعة من الخوارج وغيرهم فهو داخل فى هذه الآية لأنهم إذا ابتدعوا تجادلوا وتخاصموا وتفرقوا وكانوا شيعا

ثم قال الشاطبى : ومنها قوله تعالى : « ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون » . وقد قرىء

« فارقوا دينهم » وفسر عن أبي هريرة أنهم الخوارج . ورواه أبو امامة مرفوعا : وقيل هم أصحاب الاهواء والبدع . قال : روته عائشة مرفوعا الى النبي عليه السلام . وذلك لأن هذا شأن من ابتدع حسبا قاله القاضي اسماعيل . وكما تقدم في الآيات الأخرى

ثم قال الشاطبي : وفي البخاري عن عمر بن مصعب قال سألت أبي عن قول الله « هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا » هم الحرورية ؟ قال لا . هم اليهود والنصارى أما اليهود فكذبوا محمدا وأما النصارى فكذبوا بالجنة وقالوا لاطعام فيها ولا شراب ، والحرورية هم الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه . وكان شعبة يسميهم الفاسقين

قال : وفي تفسير سعيد بن منصور عن مصعب بن سعد قال : قلت لأبي « الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » أهم الحرورية ؟ قال لا . أولئك أصحاب الصوامع . ولكن الحرورية الذين قال الله فيهم « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم » وقد جاء عن علي بن أبي طالب أنه فسر الأخسرين أعمالا بالحرورية أيضا ، فروى عبد الله بن حميد عن أبي الطفيل قال قام ابن الكواء إلى علي فقال يا أمير المؤمنين من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؟ قال منهم أهل حروراء . وهو أيضا منقول في تفسير سفيان الثوري . وفي جامع ابن وهب أنه سأل عن الآية فقال له ارق إلى أخبرك وكان على المنبر فرقى اليه فتناوله بعصا كانت في يده فجعل يضربه بها . ثم قال له علي : أنت وأصحابك . وخرج عبد بن حميد أيضا عن محمد بن جبير ابن مطعم قال أخبرني رجل من بني أود أن عليا خطب الناس بالعراق وهو يسمع فصاح به ابن الكواء من أقصى المسجد فقال يا أمير المؤمنين من الأخسرين اعمالا ؟ قال أنت . فقتل ابن الكواء يوم الخوارج . ونقل أهل التفسير أن ابن

الكواء سأله فقال أنتم أهل حروراء وأهل الرياء الذين يحبطون الصنيعة بالمنة . فالرواية الأولى تدل على أن أهل حروراء بعض من شملتهم الآية . ولما قال الله فى وصفهم « الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا » فوصفهم بالضلال مع ظن الاهتداء دل على أنهم هم المبتدعون فى أعمالهم عموما كانوا من أهل الكتاب أو لا ، من حيث قال النبي كل بدعة ضلالة . فقد يجتمع التفسيران فى الآية : تفسير سعد بأنهم اليهود والنصارى ، وتفسير على بأنهم أهل البدعة . لأنهم قد اتفقوا على الابتداع ، ولذلك فسر كفر النصارى بأنهم تأولوا فى الجنة غير ما هى عليه ، وهو التأويل بالرأى فاجتمعت الآيات الثلاث على ذم البدعة وأشعر كلام سعد بن أبى وقاص بأن كل آية اقتضت وصفا من أوصاف المبتدعة فهم مقصودون بما فيها من الذم والخزى وسوء الجزاء ، إما بعموم اللفظ وإما بمعنى الوصف

ثم قال : وجاء عن سفيان وأبى قلابة وغيرهما أنهم قالوا كل صاحب بدعة أو فرية ذليل واستدلوا بقول الله « ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين » وخرج ابن وهب عن ابن عون عن محمد بن سيرين أنه قال : إنى لأرى أسرع الناس ردة أصحاب الأهواء . قال ابن عون وكان ابن سيرين يرى أن هذه الآية فى أصحاب الاهواء «واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره » الآية . وذكر الآجري عن أبى الجوزاء أنه ذكر أصحاب الأهواء فقال : والذى نفس أبى الجوزاء فى يده لأن تمتلىء دارى قردة وخنازير أحب الى من أن يجاورنى رجل منهم ، ولقد دخلوا فى هذه الآية « ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله ، واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور » قال : والآيات المصرحة

والمشيرة الى ذمهم والنهى عن ملابسة أحوالهم كثيرة

هذا بعض ما ذكره الامام الشاطبى فى الفصل المتقدم الذكر من كتابه الاعتصام الدائم الاسم ، وقد تركنا من الفصل أشياء أخرى رغبة فى الايجاز .

ومما نقلناه هنا تعلم أن السلف من الصحابة والتابعين وسائر علماء الحديث والفقه والدين لم يزالوا يحتجون بعموم الآيات على ما يشمله لفظها أو معناها من أفعال المسلمين وأقوالهم ، وان كانت قد نزلت أصالة فى أهل الكتاب : اليهود والنصارى ، وفى المشركين والكافرين والملحدين . والتفاسير القديمة والحديثة المشحونة بتفاسير السلف والخلف ملأى بذلك . ومن طالع ابن جرير وابن كثير والرازى وغير هؤلاء وجد من ذلك الشيء الكثير

وقد حكى الامام الشاطبى فى مكان آخر من كتابه قال : حكى الباجى عن الامام مالك أنه قال لا تجالس القدرى ولا تكلمه الا أن تجلس اليه فتغلظ عليه لقوله تعالى « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله » فلا توادوهم . قال وحكى ابن وهب عن مالك أيضاً أنه كان اذا جاءه بعض أهل الأهواء يقول أما أنا فعلى بينة من ربى وأما أنت فشاك فاذهب الى شاك مثلك ، فخاصمه ثم قرأ قوله تعالى : « قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين »

قال الشاطبى أيضاً : وحكى عياض عن سفيان بن عيينة قال سألت مالكا عمن أحرم من المدينة وراء الميقات ؟ فقال هذا مخالف لله ورسوله أخشى عليه الفتنة فى الدنيا والعذاب الأليم فى الآخرة ، أما سمعت قوله تعالى « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » وقد أمر النبى ﷺ أن يهل من الميقات

وقد استدل الشاطبى فى كتابه المذكور بكثير من الآيات النازلة فى المشركين

والكافرين على ذم الأهواء وأصحاب الأهواء والبدع وأصحابها من المسلمين ، وذكر من ذلك نماذج كثيرة ، وروى عن علماء السلف من الصحابة ومن جاءوا بعدهم أشياء متعددة من هذا النوع وهذا الاستدلال

تكفير الرازي المتعلقين بالقبور

وقد ذكر فخر الدين الرازي – وهو الخصم الألد للسلفيين كما يزعم المخالفون – فى تفسيره ما هو أدخل فى موضوعنا وأظهر فى النقض على هذا الخصم ومن جرى معه فى هذا الشوط ، فذكر فى تفسير قوله تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » قال : « ونظيره فى هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم اذا عظموا قبورهم فانهم يكونون لهم شفعاء عند الله تعالى »

وهذا نص من هذا الشيخ لا يقبل الخلاف والخصام فى أنه يرى تعظيم القبور والاشتغال بها والعكوف عليها كفراً وخروجاً من حظيرة الاسلام وإن كان الفاعل لذلك من المسلمين ومن المدعين التوحيد . بل هو قد أكفر بقوله هذا هؤلاء المتوسلين الداعين للاموات صراحة

وقد تأول السلف قول الله تعالى حكاية عن ذلك الشقى الذي قال فى القرآن « إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا إلا قول البشر . سأصليه سقر » فى من زعم من المبتدعين أن القرآن مخلوق فأكفروا من قال هذه المقالة من مبتدعة أهل الاسلام أهل الاهواء ، وكذلك احتج العلماء من السلف وغيرهم بقوله تعالى « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » على أن تارك الصلاة من المسلمين يقتل والآية نازلة اصالة فى المشركين . واحتج من يقول باكفار تارك الصلاة من المسلمين بالآية الأخرى « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين » والآية نازلة فى الكافرين ، واحتجوا بقوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت

مصيرا » على الاحتجاج بالاجماع وأن من خالفه فهو ضال أو كافر ، وهذه الآية صريحة فى أنها نزلت أصلا فى غير المسلمين ، ولكن احتجوا بالاطلاق والعموم واستدلوا بقوله تعالى فى أهل الكتاب « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » مضافا اليها الحديث النبوي الآتى فى تفسيرها على تحريم التقليد وفظاعته وان المقلدين على خطر عظيم ، واستدلوا بقوله تعالى : « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه » على تحريم تحريف الكلام وعظم جريرة المحرفين القول عن سبيله المعلوم ، واستدلوا بقوله تعالى « يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم » على تحريم الغلو فى الدين وعظم جريرة من يفعلون ذلك من المسلمين وغيرهم ، واحتجوا بقوله تعالى « واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا » على عظم جريمة من دعى الى كتاب الله وسنة رسول الله فأبى أن يجيب وأعرض عن الداعى ، واحتجوا بقوله تعالى « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » على أن من يصنع ذلك من المسلمين يكون جزاؤه عند الله ما فى هذه الآية من الايعاد الاشد ومن الطرد عن رحمة الله واحتجوا بقوله تعالى « ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » على ذنب من لم يصنع ذلك من المؤمنين على عهد الرسول الكريم بل والمخالفون أنفسهم احتجوا بالآية على الذهاب الى قبر الرسول بعد وفاته وطلب الاستغفار والشفاعة منه ودعائه والضراعة اليه . مع أن الآية نازلة اصالة فى جماعة من المنافقين الى غير ذلك من احتجاج المسلمين فى جميع العصور بالآيات النازلة في جماعات أهل الكتاب والمشركين ، وعلماء الاسلام لا يختلفون فى أن كل أمر ينهى الله المشركين والكافرين عنه ويعيبهم به ويوعدهم عليه بالنار والعذاب لا يختلفون فى أن ذلك الامر محرم على المسلمين لا يحل لهم أن يقربوه بوجه من

الوجوه إلا أن يكون من الامور التى تختلف فيها الشرائع الالهية اذا جاء دليل على النسخ

فقول الشيعى إن الوهابيين ينزلون الآيات النازلة فى المشركين والكافرين في المسلمين قول يوجه الى المسلمين جميعاً كما رأيت

هذا مايقال أولا . ثم يقال بعد هذا : إما أن يريد هذا الرجل أن الوهابيين يتأولون هذه الآيات فى من هو مسلم حقيقة وفى من جمع شرائط الاسلام والايمان فيكفرونه ويحكمون عليه بالردة والكفر وهو مسلم مؤمن ، وإما أن يريد أنهم يتأولون هذه الآيات فى قوم ادعوا الاسلام والايمان وهم ليسوا كذلك بل وهم مشركون كافرون وغاية ماعندهم ادعاؤهم الاسلام والايمان ادعاء وليس عندهم وراء ذلك الادعاء شيء من الاسلام والايمان

هذا هو مايمكن أن يريده بقوله هذا . فان كان يريد الأول . قيل له هذا محال باطل . فانهم لايكفرون المؤمنين ولا يستحلون إكفارهم والقدح فى عقائدهم بل يرون اكفار المؤمن من أكبر الكبائر وأجل الذنوب ، وأما إن كان يريد الافتراض الثانى أي إن كان يريد أنهم يتأولون الآيات النازلة فى المشركين فى قوم ادعوا الاسلام والايمان وهم ليسوا مؤمنين ولا مسلمين بل هم مشركون لعملهم ما كان يعمله المشركون . قيل له هذا حق منهم لاريب فيه ، وكل الناس يصنعون صنيعهم ويرون رأيهم . فان الكافر كافر سواء ادعى الاسلام أم ادعى الكفر ، والفاسق فاسق وإن زعم أنه صالح تقى ، والكاذب كاذب وان ادعى الصدق والقاتل قاتل وإن قال أنى برىء ، والظالم ظالم وان قال بملء شدقيه انه لم يظلم أحداً وانه المثل الأعلى للعادل ، وهذا لا ريب فيه فان الحقائق ثابتة كما هى وان سميت بأسماء غير أسمائها بل وان لم تسم مطلقا والحق حق وإن سمي باطلا ، والباطل باطل وإن سمى حقا . فمن ادعى لنفسه الاسلام وهو ليس كذلك فلا

ريب أنه ليس كذلك . ولا أحد من المسلمين العارفين يدعى أن أحداً بادعائه الاسلام والايمان ادعاء فقط يكون مسلماً مؤمنا وهو يعمل أعمال المشركين ويأتى ما يأتيه الكافرون من الشرك والتنديد . هذا باطل فلا بأس حينئذ فى أن تتأوّل الآيات النازلة فى المشركين في من عملوا أعمالهم وفعلوا أفعالهم ، سواء أتقدموا أم تأخروا ، وسواء أشعروا بحقيقتهم أم لم يشعروا

فان قال الشيعى ، ولا بد أن يقول ، إن الوهابيين يتأولون هذه الآيات فى المسلمين الذين يسألون الأموات ويدعونهم من كل مكان ويطلبونهم ضروب الحاجات دينية ودنيوية ، عاكفين على قبورهم منقطعين اليها ، وهؤلاء مسلمون وان فعلوا ذلك ، بل وان فعلوا أكثر منه وأشد . فان هذا لا يوجب الكفر ولا الشرك . إن قال الشيعى هذا ، وهذا هو ما يقول ، قيل له قد رجعنا بهذا الى أصل المسألة ورأسها وصادرتَ القضية المطروحة بيننا وبينك ، فان أصل قضيتنا نحن أن دعاة الأموات المنقطعين اليهم السائليهم جميع الشئون مثل ما نشاهده اليوم عند كل ولى بل عند غير الأولياء : قضيتنا أن هؤلاء ليسوا مسلمين ولا مؤمنين وأنهم فى هذه المطالب وهذا الغلو ضاربون الاسلام فى الصميم ، ومصيبون التوحيد فى المقتل . . وأنهم بذلك لاحقون عبدة الأصنام . وهذا ما سوف نتولى إقامة الدليل عليه من الكتاب والسنة . وهذا ما نثبته إن شاء الله فى هذا الكتاب ، أما مخالفونا كهذا الشيعى فانهم لا يخالفوننا فى أن هؤلاء إذا كانوا كافرين عاملين أعمال الكفار يصح تأول الآيات النازلة اصالة فى المشركين والكافرين فيهم وإن كانوا يدعون الاسلام ، ولكن هؤلاء المخالفين يخالفوننا فى أن هؤلاء الداعين للأموات كافرون أو مشركون ، بل هم يزعمون أنهم مؤمنون ويزعمون أن دعاء الأموات وسؤالهم الحاجات لا يستوجب الكفر والشرك ، بل يدعون أن ذلك من الايمان والدين الذي جاءت به الأنبياء ونزلت به الكتب السماوية

فهذا هو أصل القضية والدعوى . فالخلاف بيننا وبين هؤلاء هو فى دعاء الأموات والانقطاع اليهم أكفر هو أم إيمان ، ونحن نقول إنه كفر وهم يقولون انه إيمان ، ولا خلاف بيننا فى أن المشركين والكافرين من المدعين الاسلام والايمان تشملهم الآيات النازلة فى الكافرين والمشركين . فالذى على هذا الشيعى إذن أن يقيم الدليل على أن هذه الأعمال التى تجترح فوق الأضرحة ليست شركا ولا كفراً وعلينا نحن إقامة الدلائل على أنها شرك بالله ، وإلا فان اعتراضه بالشكل الذى ذكر منطلق الى جميع المسلمين . فان كل مسلم يعتقد أن كل كافر تشمله الآيات النازلة فى المشركين والكافرين وان ادعى الايمان والتوحيد والاخلاص . بل وان كان يحفظ القرآن والسنة ويعظمهما ويعظم شعائر الله ودينه وكتبه ورسله . هذا مالاريب فيه ولا يتنازع الناس فى أن من كفروا وأشركوا من المسلمين أى المدعين الاسلام واقعون تحت إيعاد الآيات النازلة فى المشركين والكافرين الأوائل ، ولكن الخلاف يقع بينهم هل هذا الانسان المعين كافر وهل ذلك العمل المعين كفر . فاذا اعتقد أحد منهم أن إنساناً كافر فلابد أن يوقعه تحت الآيات النازلة فى الكافرين . فالكلام هنا راجع الى أساس المسألة وهي هل الاستغاثة بالأموات وسؤالهم مالا يقدر عليه إلا الله ايمان أم كفر . فان كانت كفراً بطل كلام هذا الشيعى وان لم تكن كفراً كان اعتراضه منطلقاً الى الزعم أن هذه الأعمال كفر لا الى تنزيل الآيات النازلة فى المشركين والكافرين فيمن ليسوا مشركين ولا كافرين ، وهذا لاريب فيه ، وذلك أن من يتأول آية نزلت فى المشركين فيمن ليس مشركا إنما تأولها كذلك لاعتقاده أن ذلك الذى تأولها فيه مشرك كافر ، ولولا هذا الاعتقاد لما تأولها كذلك . فالاعتراض ان كان ثم اعتراض راجع الى الاعتقاد بأن ذلك الانسان المعين عمل أعمال المشركين لا الى تأول الآيات العامة فيه اذا اعتقد أنه مشرك كافر . هذا مايقال فى المسألة

من الجهة الفنية الجدلية ، وهذا ما يقال ثانيا

ثم يقال بعده : إن من الخطأ الظاهر الزعم أن الآيات التى استدلوا بها على أن الأموات لايدعون ولا يسألون نازلة كلها فى الكافرين والمشركين أصالة فان هذا الزعم ليس صحيحا ، فكثير من هذه الآيات نزل خطابا للمسلمين والمؤمنين ، وبعضها نزل خطابا للرسول الكريم خاصة . فقول الله « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » من يقول من العلماء إنه نازل فى المشركين خاصة ؟ وليس من شك أن الآية إن لم تكن خطابا للمسلمين منفردين فهى خطاب عام للفريقين المؤمنين والكافرين . وقوله تعالى « قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا . قل إن هدى الله هو الهدى » هو فى دعاء المسلمين غير الله من الأصنام والملائكة والأولياء وغيرهم . وقوله تعالى « ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له إلى يوم القيامة » عام كل من دعا غير الله . وقوله « ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لايفلح الكافرون » عام كذلك . وقوله « أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء أإله مع الله » خطاب موجه للعباد كافة . وقوله « ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذن من الظالمين » ان لم يكن خاصا بالرسول فليس خاصا بالمشركين والكافرين . وقوله تعالى خطابا لرسوله « قل أغير الله أتخذ وليا » نص فى أن الرسول ومن تبعه من المؤمنين لا يتخذون من دون الله أولياء . وقوله تعالى « وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير » خطاب لنبيه كما هو ظاهر . وقوله « قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له » خطاب للنبى أيضا ، وقوله « فاعبد الله مخلصا له الدين . ألا لله الدين

الخالص » خطاب أيضا للنبي . ونظائر ذلك كثيرة معلومة لا نستطيع حصرها كلها في هذا الكتاب

فزعم هذا الشيعي أن هذه الآيات التي يستدلون بها على امتناع دعوة الأموات نازلة في المشركين خاصة غلط مبين ، وهذا ما يقال ثالثا

ثم يقال بعد ما تقدم : ان هذا الشيعي لو كان جريئا على أن يقول الحق لقال إن الشيعة هي التي تتأول الآيات النازلة في أئمة الكفر والشرك في خلاصة المؤمنين والمسلمين خيار أصحاب النبي وجنود الله من الانصار والمهاجرين ، وهذا أمر لا يختلف الناس فيه وأمر لا تنكره الشيعة ، بل هي تفاخر به وتكاثر ، وكتبهم المعتمدة المطبوعة ملأى بهذا أي بتأول الآيات النازلة في المشركين في صحابة رسول الله ومن دونهم

قال ابن قتيبة في كتاب تأويل مختلف الحديث صفحة ٨٦ « وقد قالوا في قول الله عز وجل إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة أنها عائشة ، وفي قوله فقلنا اضربوه ببعضها انه طلحة والزبير ، وقولهم في الخمر والميسر انهما أبو بكر وعمر وفي الجبت والطاغوت انهما معاوية وعمرو بن العاص مع عجائب أرغب عن ذكرها ويرغب من بلغه كتابنا عن استماعها »

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : « ان الذين أدخلوا في دين الله ما ليس منه وحرفوا أحكام الشريعة ليسوا في طائفة أكثر منهم في الرافضة فانهم أدخلوا في دين الله من الكذب على الرسول مالم يكذبه غيرهم وردوا من الصدق ما لم يرده غيرهم ، وحرفوا القرآن تحريفا لم يحرفه غيرهم مثل قولهم ان قوله تعالى (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) نزلت في علي . وقوله تعالى (مرج البحرين) علي وفاطمة (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) الحسن والحسين (وكل شيء أحصيناه في امام مبين) علي بن أبي طالب

« ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين » آل أبي طالب واسم أبي طالب عمران . « فقاتلوا أئمة الكفر » طلحة والزبير . والشجرة الملعونة في القرءان هم بنو أمية . « ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » عائشة . ولئن أشركت ليحبطن عملك أي ان أشركت بين أبي بكر وعلى في الولاية . وكل هذا وأمثاله وجدته في كتبهم . ثم من هذا دخلت الاسماعيلية والنصيرية في تأويل الواجبات والمحرمات[1] »

وقال صاحب كتاب الوشيعة ص ٦٣ : « أما التحريف الذى وقع والذى يقع فان كتب الشيعة كلها قد حرفت وتحرف آيات كثيرة وسوراً عديدة في تأويلها وتنزيلها . وقد جمعتُ آيات تزيد على مائتين من أمهات كتب الشيعة حرفتها كتب الشيعة أشنع تحريف . ومن أشنعها أن قول الله (ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) انها قد نزلت في الصحابة بعد وفاة النبي وأن الصحابة والأئمة قد أنكرت ما لعلى ولأولاده حسداً وبغياً . أصول الكافى (٢ : ١٥٨) وهذه الصحائف في أصول الكافى موضوعة على ألسنة الأئمة إن ثبتت فهى عيب على الأئمة لا ريب في وضعها وضمّها كتب الشيعة وحرفت الكتاب الكريم تحريفا شنيعاً ومنها أن قول الله (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله) يقول الكافى هم أولياء أبي بكر وعمر اتخذوهم أئمة دون الامام الذى جعله الله وهو على . قيل للصادق ألم يكن على قويا في دين الله ؟ قال بلى قيل فكيف ظهر عليه القوم وكيف لم يدفعهم وما منعه من ذلك . قال الصادق آية في كتاب الله منعته . قيل أى آية قال « لو تزيّلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما » كان لله ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومنافقين ولم يكن علي

(١) منهاج السنه الجزء الثانى ص ٩٠

يقتل الآباء حتى يخرج الودائع . فلما خرجت على علىّ ظهر من ظهر فقتلهم . عن الكافي في الوافي (٢ : ١٥٢) . وروى العياش عن الباقر قال : لما قال النبي « اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام » أنزل الله « وما كنت متخذ المضلين عضدا »

« وأصول الكافي ذكرت كل الآيات محرفة تحريفا يخرجها عن أن تكون كلام عاقل . وكل آية نزلت في الكفار رجعتها الشيعة إلى الصديق والفاروق ومن اتبعهما إلى كل الأمة : « إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا » تقول أصول الكافي (٣ : ٣٢٥) إن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان . آمنوا بالنبي أولا ثم كفروا حيث عرضت عليهم ولاية علي. ثم آمنوا بالبيعة لعلى ثم كفروا بعد موت النبي ثم ازدادوا كفرا بأخذ البيعة من كل الأمة » وقال أيضا صاحب الوشيعة ص ٤١ : « وروى الوافي عن التهذيب والكافي (٢ : ٤٥) عن الباقر لما أخذ النبي يوم الغدير بيد على صرخ إبليس في جنوده صرخة لم يبق منهم أحد في بر ولا بحر الا أتاه . فقالوا ماذا دهاك ما سمعنا لك صرخة أوحش من هذه . فقال نعم فعل هذا النبي فعلا ان تم لم يعص الله أحد أبداً . فقالوا يا سيد أنت كنت لآدم أغويته . ولما قال المنافقون إنه ينطق عن الهوى وقال أحدهما لصاحبه (أبو بكر لعمر) أما ترى عينيه تدوران في رأسه كأنه مجنون ، يعنون النبي صرخ ابليس صرخة تطرب فجمع أولياءه ثم قال أما علمتم انى كنت لآدم من قبل قالوا نعم قال آدم نقض العهد ولم يكفر بالرب وهؤلاء أنكروا العهد وكفروا بالرسول . ولما قبض النبي وأقام الناس أبا بكر لبس إبليس تاج الملك ونصب منبراً وقعد في ألويته وجمع خيله ورجله ثم قال لهم اطربوا فلن يطاع الله أبداً حتى يقوم إمام ثم تلا الباقر (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه الا فريقًا من المؤمنين) قال الباقر : كان تأويل هذه الآية لما

*

قبض النبي والظن من ابليس حين قالوا انه ينطق عن الهوى صدقوا ظن ابليس . وفى الوافى (٢ ـ ٢٥) عن سلمان عن على ان أول من بايع أبا بكر هو ابليس و ان النبى قد قال ان أول من يبايع أبا بكر فى منبرى هذا هو ابليس . وفي الوافى (٢ : ٤٧) قال الصادق : ان قول الله (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون) نزل فى أبى بكر وعمر حين قالا يوم الغدير انظروا الى عينيه تدوران كأنهما عينا مجنون . ويقول الصادق (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم) نزلت فى أبى بكر وعمر وأبى عبيدة وعبد الرحمن بن عوف وسالم والمغيرة حين كتبوا الكتاب وتعاهدوا وتقاسموا لئن مضى محمد لا تكون الخلافة فى بنى هاشم ولا النبوة أبداً . ونزل (أم أبرموا أمراً فانا مبرمون أم يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم) هاتان الآيتان نزلتا فى هؤلاء . وعن الباقر والصادق إن أبا بكر ساعة موته دعا بالويل والثبور فجعل يقول هذا محمد وهذا على يبشرانني بالنار وبيده الصحيفة التى تعاهدنا عليها فى الكعبة وهو يقول : لقد وفيت بها يا منافق تظاهرت على ولى الله فابشر بالدرك الأسفل من النار فى أسفل السافلين . وفى الكافى (٢ ـ ٥١) عن الصادق عن الباقر أن الرسول أقبل يقول على أبى بكر وهو فى الغار يرتعد اسكن فان الله معنا وقد أخذته الرعدة وهو لا يسكن . فلما رأى النبي ﷺ حاله قال له أتريد أن أريك أصحابى من الأنصار فى المجالس يتحدثون وأريك جعفرا وأصحابه فى البحر يغوصون ؟ قال نعم : فمسح النبى بيده على وجهه فنظر أبو بكر الى الأنصار يتحدثون ونظر الى جعفر وأصحابه فى البحر يغوصون ، فأضمر فى تلك الساعة انه ساحر ، فسمى صديقاً »

ومن الظريف أن تكون الشيعة مخترعة هذه الغرائب والعظائم ثم يجرؤ هذا الشيعى على اتهام أهل السنة بتأويل الآيات النازلة فى الكافرين فى المؤمنين .

والأحاديث التي ذكرها هنا أما الأول وهو قول عبد الله بن عمر في الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين . فيقال فيه إنه يعني بذلك مثلما ذهبت اليه الشيعة إذ جعلوا الآيات النازلة في رؤوس الكفار وصناديد الشرك في خيار الصحابة من الأنصار والمهاجرين أمثال أبي بكر وعمر وطلحة والزبير وعائشة وحفصة وغير هؤلاء من سادات المسلمين ، وذلك أن الخوارج قد أكفروا الخلفاء في عصرهم وأكفروا من تولاهم ورضي حكمهم من المسلمين . فأكفروا عثمان وعليًا ومعاوية وعمرو بن العاص ومن تولى هؤلاء أو أطاعهم أو دان لحكومتهم ، والشيعة فعلت ماهو أشنع من فعل الخوارج . فانهم كفروا الخلفاء الأربعة إلا عليًا وبعضهم تناول عليًا أيضًا بالتجريح والتكفير وأكفروا الصحابة ماخلا طائفة قليلة تولت عليًا في زعمهم وعرفت له الحق الذي عرفته له الشيعة : وأما من عدا هؤلاء من الصحابة والخلفاء فكفار لدى الشيعة وتأولت فيهم الآيات النازلة في الكفار كما سبق . فأكفرت سائر المسلمين الذين يتولون الخلفاء الثلاثة أو يقدمونهم على علي والذين يتولون معاوية وغيره من الأمويين والذين لا يكفرون هؤلاء ، وتأولوا أيضًا الأحاديث في إكفار المسلمين كما تأولوا الآيات ، وتأولوا قوله عليه السلام : « ليذادن أقوام عن حوضي يوم القيامة فأقول أصحابي أصحابي ، فيقال إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك . إنهم مازالو على أعقابهم مرتدين فاقول سحقا سحقا » فزعموا أن هذا الحديث يدل على أن الصحابة ومنهم الخلفاء ومنهم أمهات المؤمنين كعائشة وحفصة قد ارتدوا بعد وفاة النبي عليه السلام . وبعض الشيعة يزعمون أنهم كانوا منافقين ومخادعين للنبي ، وأنهم ما آمنوا ولا أسلموا . وكذلك تأولوا حديث الفتنة من قبل المشرق الفتنة ها هنا بأن الاشارة كانت إلى عائشة رضي الله عنها كما تقدم عن أحد شيوخهم في أحد كتبهم وهو كشف الغطاء

وفعل الشيعة فى هذا الباب مثل فعل الخوارج إلا أن الفرق بين الطائفتين أن الشيعة أفرس وأعدى فى هذا الميدان ،يدان العدوان على المسلمين وعلى عقائدهم فان الشيعة يكفرون أقواماً لا يكفرهم الخوارج بل يتولونهم ويحبونهم كأبى بكر وعمر اللذين تخصهما الشيعة بأشد الهجاء والمذمة والتضليل . فقول عبد الله بن عمر يعنى هذا النوع من الاكفار والاعتداء على المسلمين ومن التأويل الفاضح لكتاب الله ، ولا يمكن أن يعنى بقوله هذا أن الخوارج يكفرون عباد القبور المنقطعين اليها . فان الخوارج لم يصنعوا ذلك لأن عبادة القبور بدعة محدثة فى الاسلام بعد ما تناقص العلم وتزايد الجهل وكثر الداخلون في الاسلام من الزنادقة الذين ما ادعوا الدخول فيه إلا لأجل الدس فيه وإفساده ونحن لا نرتاب أن عباد القبور بالنحو الموجود اليوم وبالنحو الذى يدعو اليه هذا الشيعى لو كانوا موجودين فى عهد الصحابة وعهد أئمة الاسلام لما توقفوا في إكفارهم وفى الحكم عليهم بالردة وهذا ما يأتى بيانه وعلى كل حال هذا راجع الى أصل القضية . فان كان عباد القبور كفاراً ومشركين فلا ريب فى أنهم داخلون فى الآيات النازلة فى المشركين ولا يشك فى هذا أحد لا عبد الله بن عمر ولا غيره ولا هذا المخالف ، وان كانوا غير كفار أمكن أن ينطلق هذا الاعتراض الى هؤلاء الذين كفروا عبدة القبور

وأما الرواية الأخرى التى قال انها فى غير البخاري عن عبد الله بن عمر ان الرسول قال أخوف ما أخاف على أمتى رجل متأول للقرآن يضعه فى غير موضعه فيقال فى الجواب قال أحد علماء الهند وهو الشيخ محمد بشير من كبار المحدثين فى عصره فى كتابه صيانة الانسان إن هذا الحديث ليس من رواية عبد الله بن عمر وإنما هو من رواية عمر رضى الله عنهما رواه عنه الطبرانى فى الأوسط كما فى مجمع الزوائد ، وفى سنده اسماعيل بن قيس الأنصارى وهو متروك الحديث ذكر

ذلك فى مجمع الزوائد . فالحديث عن عمر لا عن عبدالله بن عمر ثم هو حديث ضعيف . هذا من جهة السند وأما من جهة معناه فلا ريب فى صحته . فان المتأولين القرآن الكريم والسنة النبوية الواضعين لها فى غير مواضعها هم أكبر المصائب التى زعزعت العقائد الاسلامية الصحيحة النقية من الاخلاط والفضلات الضارة ، والفرق المتأولة للقرآن والسنة هى من أعظم المعاول الهدامة لصرح الاسلام المشمخر وبنائه الرفيع المنيع ، وما أكثر ما أتى الاسلام من هذه الناحية ناحية التأويل والتفسير الباطل لنصوصه . فان المتأولين لم يدعوا فى الاسلام عقيدة يقينية ولا نصاً ثابتاً لا شك فيه إلا تناولوها بالتشكيك وبالاعتراضات الفاشلة وبالتأويلات السخيفة . أليست الشيعة قد أولت فرائض الاسلام الخمس بأن المراد بها رجال . أليس قد تأول أحد شيوخهم واسمه بيان قول الله « هذا بيان للناس » فى نفسه ، وتأول شيخ آخر منهم وهو المغيرة بن سعيد العجلى قوله « كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك » فى الخليفة عمر ، وتأول قوله « إنا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا » فزعم أن الأمانة التى عرضت على السموات وعلى الارض والجبال هى منع على رضى الله عنه من الخلافة فتورعت هذه المخلوقات عن هذا الإثم فقام أبو بكر بالحيلولة بين على وبين الخلافة بارشاد عمر ومعونته على شريطة أن تكون له الخلافة من بعده ، والانسان الجهول الظلوم فى الآية هو أبو بكر ، وتأولت فرقة منهم وهى المعروفة بالمنصورية أصحاب أبى منصور العجلى أحد شيوخ الشيعة قوله تعالى « وإن يروا كسفاً من السماء ساقطا » فى صاحبهم هذا ، وزعموا أنه الكسف الساقط من السماء ، وهكذا زعم هو لنفسه ، وتأول أحد شيوخهم وهو بيان وأصحابه البيانية قول الله « كل شىء هالك إلا وجهه » فى أن الاله يهلك كله حاشا وجهه ، وزعمت طائفة منهم أن كل مؤمن يوحى اليه

وتأولوا قول الله « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله » على معنى الا بوحى اليه من الله ، وكذا تأولوا قوله « وأوحى ربك الى النحل » فى ذلك ، وتاول أحد شيوخهم وهو أحمد الكيال وأتباعه الكيالية الصراط المستقيم فى نفسه والجنة فى الوصول الى علمه من البصائر والنار فى الوصول الى مايضاده ، وزعم أحد شيوخهم أن قول الله تعالى « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام » يعنى به على بن أبى طالب ، وزعموا أن قوله « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا » يدل على أن من وصل الى الامام وعرفه ارتفع عنه الحرج فى جميع ما يطعم ووصل الى الكمال ، وهذا كله ذكره الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل والشهرستانى قد شرط على نفسه فى مقدمة كتابه ألا يعزو الى قوم إلا ماوجده فى كتبهم لا فى كتب مخالفيهم ، وقد ذكر هذا أيضاً غير الشهرستانى ، وتقدم بعض هذه التأويل الفاضحة مثل قولهم إن قول الله يأمركم أن تذبحوا بقرة يعنى بها السيدة عائشة وقولهم فى فقاتلوا أئمة الكفر أنهم طلحة والزبير وأن الشجرة الملعونة فى القرآن هم بنو أمية ، وأن المراد بقوله ولئن أشركت ليحبطن عملك الشرك بين على وأبى بكر فى الولاية ، وقالوا إن المراد بالبحرين فى قوله مرج البحرين على وفاطمة وأن اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين ، وقالوا فى قوله تعالى « وكل شىء أحصيناه فى امام مبين » أنه على وقالوا فى قوله « ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين » ان هؤلاء هم آل أبى طالب واسم أبى طالب عمران ، وتأولوا الجبت والطاغوت الواردين فى الكتاب العزيز بابى بكر وعمر ونظائر ذلك من الأقوال التى اعتدوا بها على كتاب الله وعلى الاسلام وعلى المسلمين وعلى الصحابة وعلى الرسول وعلى اللغة وعلى الذوق وعلى الأدب والمنطق وعلى كل فضيلة

وكذلك تأولوا آيات التوحيد توحيد الأسماء والصفات وتوحيد العبادة

والألوهية بتأولات فى نهاية الفساد والنأى عما أراده الله وعما تدل عليه اللغة التى نزل بها القرآن فحرفوا الآيات الآمرة بتوحيد الله وعبادته وإفراده بالدعاء والرجاء والألوهية تحريفا سوف يرى القارىء منه ضروبا منوّعة فى هذا الكتاب وكذلك حرفوا آيات الصفات أشنع التحريف كما يجد القارىء ضروبا من ذلك فى هذا الكتاب أيضا ، حتى زعموا أنه يجوز سؤال العباد كل مايسأل الله من المطالب العالية التى لايقدر عليها سوى الله . فجوزوا أن يطلب العبد من الميت أن يهدي قلبه وأن يغفر ذنبه وأن يزيد فى أجله وأن يرجع له غائبه وأن يدخله الجنات ونظائر ذلك . وحرفوا الآيات الزاجرة أقسى الزجر عن دعاء المخلوق ورجائه وندائه وعن التعلق به والانقطاع اليه بل لقد حرفوا القرآن كله . فان أهم مسألة عنى بها القرآن هى مسألة توحيد الله وإفراده بالعبادة من النداء والدعاء والرجاء دون الأموات ومن لايقدرون على شيء من خلقه العاجزين الضعفاء . ثم لم يقفوا عند هذا الحد من التحريف الشائن المشوه حتى ذهبوا يؤولون كلام هؤلاء الداعين للاموات المنقطعين إلى الأجداث فزعموا أن قول القائل من عبدة القبور يافلان اشفنى واغفر ذنبى معناه كن لى وسيطا وشفيعا ، وزعموا أنهم لايعنون ظاهر قولهم وما يثب إلى الأذهان منه . فجمعوا بذلك بين أنواع كثيرة من الأخطاء والأوهام والتحريف الشنيع لكلام الله وكلام خلقه

فهذا الحديث إذا صح كان يعنى هؤلاء ونظراءهم من المحرفين المؤولين لكلام الله وسنة رسوله الواضعين لهما فى غير مواضعهما . فالحديث رد على الشيعة وإخوانهم إن كان صحيحا

وأما أهل السنة من أهل نجد الذين يدعى الرد عليهم فانهم مستمسكون بسنة السلف وطريق الرعيل الأول من المؤمنين المعظمين لكلام الله وسنة رسوله الواقفين حيث وقفا . وهم من أبعد الناس عن التأويل المعوج ، بل هم من أمقت

الناس لهذا التأويل ولمن يتعاطونه ويجنحون اليه . فهم لايجيزون تأويلا واحدا لم ينقل عن السلف وعن خير القرون المفضلة من الصحابة والتابعين وعلماء الحديث والفقه والدين وأئمة الفتوى المشهورين بالعلم وبالصلاح والامامة . بل هم لايقولون قولا واحداً أو يرون رأيا واحداً لم يؤثر عن السلف لافى الأصول ولا فى الفروع وهم لايقولون فى التوسل ودعاء الاموات وغير ذلك إلا بما نقل عن السلف وعن أئمة الاسلام . لايسبقون الى رأى فى ذلك ولا يبتدعون بدعة واحدة . وهم فى تفسير كتاب الله لا يعدلون عن تفاسير السلف من الصحابة والتابعين ، ولا يرغبون عن ذلك البتة ، بل ويرون أن الذين يرغبون عن تفسير السلف من الصحابة وأئمة الدين غالطون مبتدعون ولا ريب ، ومن طالع كتبهم عرف لهم ذلك

وقوم هكذا يفعلون لا يمكن أن يكونوا من الذين يتأولون القرآن ويضعونه فى غير مواضعه ؛ الا أن يكون السلف كذلك لأنهم لهم تبع . وحاشا الله السلف عن هذا

فلا يمكن تأول هذا الحديث فيهم . ومن تأوله كذلك فقد صار هو تأويلا له . وهذا الشيعى الذى أول أحاديث الخوارج وهذا الحديث فى أهل السنة من أهل نجد هو في الحق واقع تحت تأويل هذا الحديث وغيره من الأحاديث فى هذا المقام . فانه قد تأول النصوص الواردة فى الخوارج الضالين الذين أكفروا الصحابة والمسلمين فى أهل السنة من النجديين المتمسكين بالوحيين وبما جاء عن السلف الصالح نفيا واثباتا لا يزيدون ولا ينقصون فكان الرافضى بهذا التأويل من المؤولين الواضعين للنصوص فى غير مواضعها . لأنه تأول أحاديث الخوارج الضلال فى أهل السنة . فما أخلقه بما فى هذا الحديث من ملامة وهجاء !!

وما أقبح قول الباطل ، ولكن أقبح منه أن تحمل ما فيك من باطل على

الهوى إلا من الحق

وأما الرواية الثالثة التي عزاها الى عبد الله بن عباس فالقول فيها ان كانت صحيحة كالقول في الروايتين قبلها ، بيد أني لا أحسبها صحيحة عن ابن عباس فان ظاهرها بعيد عن الحق . وذلك أنه يقول ان آيات القرآن نزلت في المشركين وأهل الكتاب إطلاقا . وليس من الحق ولا مما يشابه الحق الزعم أن آيات القرآن كلها نزلت في المشركين وأهل الكتاب ، بل هذا الزعم خلاف الحق وخلاف الاجماع والمعلوم بالبداهة . ومن الاسراف الذي لا يتقبل الادعاء أن القرآن قد نزل في المشركين وأهل الكتاب خاصة . واذا ما كان قد نزل في المشركين وأهل الكتاب خاصة وكان كل ما نزل في المشركين وأهل الكتاب لا يجوز الاحتجاج به على أعمال المسلمين وأقوالهم ، فبماذا يحتج على أعمال المسلمين وعقائدهم ، ومعرفة الصحيح والباطل منها ، فبماذا يعرف المسلمون عقائدهم ودينهم وما يصح من ذلك وما لا يصح اذا ما كان القرآن قد نزل في المشركين الكافرين خاصة ؟؟ انه لا مرجع حينئذ لعقائد أهل الاسلام ولما يجمل من الآراء وما لا يجمل . وهذا عين الانسلاخ والتنصل من الدين جملة

ثم قال الرافضي : « حادى عشر — كما أن الخوارج سيماهم التحليق والتسبيد كما جاء في الأخبار الكثيرة ، ومن المرجح أو المعلوم انطباق تلك الأخبار على الوهابية أو عليهم وعلى الخوارج ، وفي خلاصة الكلام أن التابعين لمحمد بن عبد الوهاب كانوا يأمرون من اتبعهم بحلق رأسه ولا يتركون من اتبعهم يفارقهم حتى يحلقوا رأسه ، وكان عبد الرحمن الأهدل يقول لا يحتاج الى التأليف في الرد على ابن عبد الوهاب ويكفي في الرد عليه قوله عليه السلام في الخوارج « سيماهم التحليق » فانه لم يفعله أحد من المبتدعة وكان ابن عبد الوهاب يأمر بحلق رؤوس من اتبعه من النساء . فدخلت في دينه امرأة وجددت إسلامها بزعمه فأمر بحلق رأسها

فقالت شعر الرأس للمرأة بمنزلة اللحية للرجل فلو أمرت بحلق على الرجال لساغ أن تأمر بحلق رؤوس النساء فلم يحر جوابا » . انتهى كلامه

ونحن نقول : لاريب أن الخوارج كانوا يحلقون رؤوسهم ، ولا ريب أن النبي الكريم ﷺ قد أخبر بأن من علاماتهم وصفاتهم التحليق . فانه قال فيهم سيماهم التحليق والتسبيد . والتسبيد قيل هو الحلق وقيل هو التشعيث . هذا لاريب فيه عندنا ، ولكن قول الشيعي : « ومن المرجح أو المعلوم انطباق هذه الأخبار على الوهابية » قول فاسد مردود ، وبيان ذلك أن حجته في هذا القول هي أن النجديين فيهم من يحلقون رؤوسهم . بل أكثرهم يصنعون ذلك ، ولكن فات الشيعي النظر الى معنى السيمى فان سيمى القوم وهي علاماتهم مابه يتميزون عن غيرهم وما به يعرفون ويختصون ، وإلا اذا كان الأمر مشتركا بين الناس مشاعاً بين أصنافهم فليس سيمى لطائفة ولا علامة . فان السيمى فيها معنى التسمية والعلامة فيها معنى التعليم . فالأكل والشرب ليسا سيمى لطائفة من الناس ، وذلك لأن الأكل والشرب أمران يشترك فيهما الناس بل ويشاركهم فيهما الحيوان . وكذلك اللباس ليس سيمى ولا علامة لأحد من الانسان لأنه مشاع بين أفراده . وكذلك الكلام والمشي وجميع الأشياء المشتركة المشاعة وهذا مالاريب فيه . فالسيمى هي العلامة المميزة لصاحبها عن غيره وهي قد تكون إضافية وقد تكون حقيقية نظراً لاختلاف الزمان والمكان والبيئة . فالصلاة والصيام وحج البيت الحرام وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله كل هذه الأشياء سيمى للمسلمين تميزهم عن غيرهم من الأمم التي ليست مسلمة . وذلك لأن هذه الأمور خاصة بالمسلمين لا يفعلها سواهم ، ولكن الايمان بالله أي الاعتراف بوجوده والضراعة اليه ودعاءه ليس سيمى للمسلمين ، وذلك أن هذه الأمور يشارك المسلمين فيها غيرهم من الالهيين المقرين بالأنبياء وبالديانات لا ينفرد بها المسلمون . وكذلك مثلا الاقرار بالبعث والجزاء والحساب والدار الآخرة

لا يقال إن ذلك سيمى للمسلمين . لأن جميع المؤمنين بالأنبياء وبالوحي الالهى يؤمنون بذلك ويعترفون به لا ينكرونه ، ولكن هذا قد يكون سيمى للمؤمنين بوجود الاله . لأن من لا يؤمن بالله لا يمكن أن يؤمن بذلك . فهو سيمى لمن آمن بالله لأنه يميزهم عن الجاحدين الملحدين ، وهكذا يقال فى أشباه ذلك مما لم نذكره

واذا ماعلم هذا قيل إن « التحليق » لا يمكن أن يكون سيمى لأحد اليوم لأن التحليق أمر تفعله أمم كثيرة فى أقطار كثيرة من الاقطار الاسلامية . فلا يمكن أن يكون سيمى للنجديين يقينا ، وذلك أنهم ليسوا هم وحدهم الذين يحلقون رؤوسهم . فأكثر العرب فى جزيرتهم يحلقون رؤوسهم كالنجديين سواء . فالحجازيون يحلقون ، وأهل اليمن يحلقون ، وأهل عمان يحلقون ، وفى العراق من يحلقون ، وفى الشام (سوريا وفلسطين) من يحلقون ، وفي مصر من يحلقون ، وفى النجديين من يحلقون ، ومنهم من يوفرون شعورهم كما فى غيرهم من يصنعون ذلك ، ولا فرق بين النجديين وبين غيرهم من العرب فى هذه المسألة مسألة التحليق . فهم لا يتميزون عن أهل اليمن أو عن أهل الحجاز أو عن أهل عمان أو عن أهل البحرين والكويت والعراق والشام بذلك . فلا يمكن أن يكون مظهر ذلك علامة لأحد من هؤلاء لا للنجديين ولا لغيرهم من أهل هذه البلاد . فكل هؤلاء فيهم من يحلقون ، وفيهم من يقصرون ، وفيهم من يوفرون ويطيلون وهؤلاء يوجدون فى نجد كما يوجدون فى هذه الأقطار أيضا ، ولهذا لا يمكن أن يكون حلق الرأس علامة لأهل قطر من هذه الاقطار ولا لأهل مذهب من هذه المذاهب . فمن رأى محلوق الرأس لم يمكن أن يستدل بهذا على بلده وقطره أو عقيدته ومذهبه ، وكذلك من رأى من يوفر شعره ومن يقصره لم يمكن أن يستدل بذلك على قطره وبلده أو عقيدته ومذهبه . فاذا مارأيت من حلق شعر رأسه واستأصله فلن تحكم لأجل هذا بأن هذا الحالق المستأصل نجدي ، واذا رأيت

من وفر شعره وبالغ فى توفيره فلن تستطيع أن تحكم عليه بانه غير نجدى بمجرد توفيره شعره . بل أمكن أن يكون ذلك نجديا وأمكن أن يكون غير نجدى وكذلك الحالق يمكن أن يكون نجديا ويمكن أن يكون غيره ، وهذا لاريب فيه ، وهذا لأن حلق الرأس ليس من خصائص النجديين ولأن توفيره ليس من خصائص غيرهم . فالحلق ليس سيمى لهم يقينا والتوفير والاعفاء ليس سيمى لغيرهم بلا شك . بل هما أمران مشتركان موجودان فى النجديين وفى غيرهم

وإذا كان ذلك كذلك فلا يمكن البتة أن يعد حلق الرأس سيمى لأهل نجد ، لأنه كما ذكرنا شائع فيهم وفى غيرهم . وذلك كما أنه لايمكن أن يكون لبس (العقال) أو العباءة سيمى لهم ، لأن غيرهم من العرب يلبسون ذلك . وكذلك مثلا اعفاء شعر الوجه لايمكن أن يكون سيمى للنجدين ولا لغيرهم من المسلمين وغير المسلمين . لأن ذلك كله يفعله خلق كثيرون فى بلاد العرب وفى غيرها من العرب وغير العرب من المسلمين وغير المسلمين كحلق الرأس ولا فرق . والخبر القائل فى الطائفة الضالة « سيماهم التحليق » لايمكن أن يعنى بهذه السيمى أمرا عاما مشتركا يوجد فى الطائفة المذمومة وفى غيرها . وإنما يعنى سيمى خاصة مميزة فارقة لاتوجد الا فى الطائفة وحدها فى عصرها الكائنة فيه . وإلا إذا كان يعنى أمرا يوجد في الطائفة وفى غيرها وفى مخالفيها الذين يقاتلونها ويظفرون بها ويثابون على قتالها فكيف يكون سيمى لها وعلامة عليها . والسيمى كما ذكرنا هى الخاصة الفارقة . ومثل هذا لايمكن أن يكون خاصا بالطائفة المشار اليها ، كما أن مجرد الصلاة والصيام والقيام بفرائض الاسلام لايمكن أن يعد علامة على الخوارج . لأن هذه الأمور يؤديها جميع المسلمين ليست من فرائض الخوارج . ومن عد هذه العبادات سيمى للخوارج أو لطائفة خاصة من طوائف أهل الاسلام فقد غلط

غلطا ظاهرا للخاصة والعامة

فالسيمى المذكورة في الحديث لابد أن تكون خاصة بأهلها وبالطائفة المقصودة بالخبر وبالمذمة . وهذا واضح معلوم . وعلى هذا ليس التحليق سيمى للنجديين بالضرورة البينة ، واذا ماقال قائل كهذا الشيعى إن المعنيين بهذا الخبر هم النجديون لأنهم يحلقون شعورهم قيل له ولماذ لايكون به غير النجديين من الحالقين شعورهم أو قيل له على سبيل البت إن المعنيين به قوم كذا ممن يحلقون . وإذا قال إن هذا الحديث يدل على مذمة النجديين لأنهم يشاركون الخوارج فى التحليق قيل له إذن هو دليل على مذمة جميع العرب وجميع المسلمين الذين يحلقون وحينئذ لايكون الذم متوجها الى هذه العقيدة التى تنكرها وتأباها . لأن الذم قد انطلق حينئذ الى من لايدينون لهذه العقيدة السلفية ممن يحلقون شعورهم من المسلمين سوى النجديين . وإذا كان هذا الذم منطلقا إلى أصحاب هذه العقيدة السلفية وإلى خصومها ومن لاينعمون بها عينا لم يكن ذكر هذه المذمة فى النقض على أصحاب هذه العقيدة حقا ولا صوابا ولم يكن جعلها من الدلائل على فساد هذه العقيدة إنصافا ولا عدلا ، ولم يكن فى هذا دلالة لا قوية ولا ضئيلة على ذم هذا المذهب وضعفه وبطلانه . واذا كان المخالف يريد أن هنالك ذنبا يشترك فيه النجديون وغيرهم من الناس لا يتعلق بالدعوة السلفية بل بشيء آخر ، اذا كان المخالف يريد هـذا وكان ما ذكر هنا لايثبت غيره قيل له : نحن لانتعرض فى كتابنا هذا الا لابطال المقالة التى توجه الى هذه الدعوة وأصحابها خاصة . وأما من قدح فى المسلمين كافة فهذا له مقام آخر . وإذا قال هذا المخالف إن هذا يدل على أن الوهابيين من الخوارج لانهم يوافقونهم فى حلق الشعر قيل له إذن المخالفون للوهابيين الذين يحلقون شعورهم من الخوارج أيضا . وإذا كان الوهابيون والمخالفون لهم خوارج فالمسلمون كلهم خوارج . وهذا

محال باطل لا يقال

هذا ، وها هنا شيء آخر في المسألة . وهو أن النجديين كانوا قبل هـذه الدعوة وبعدها يحلقون ويعفون ، وكان الذين قبلوها في أول أمرها والذين ردوها وحاربوها يحلقون ويعفون أيضاً ، لا ينفرد أصدقاء الدعوة بذلك دون خصومها ، ولا يختص خصومها بشيء منه أيضا . ولا يمتاز أحد الحزبين عن الآخر لا بهذا ولا بهذا . . فليس أصدقاء الدعوة يحلقون خاصة ولا خصومها يعفون خاصة ، ولم يكن النجديون قبل ظهور هـذه الدعوة يعفون شعورهم ثم صاروا بعد ظهورها يحلقون ، ولم يحدث في هذا تغيير في الحالتين ولا في الطائفتين ، ولم يكن هـذا مقارنا الدعوة ولا ضده مقارنا ضدها . وهذا لا ريب فيه . واذا كان هذا الأمر موجودا فاشياً في النجديين قبل الدعوة وبعدها ، وكان هـذا الأمر بعد ظهور الدعوة كما كان قبل ظهورها ، وكان خصوم الدعوة في ذلك مثل أصدقائها وكان أصدقاؤها مثل خصومها ، أعني أنهم يحلقون ويعفون ويقصرون ، يفعلون هـذا وهذا وهذا في الحالتين والزمنين . اذا كان هذا كله صحيحاً ـ وهو صحيح ـ فكيف يكون دليلا على ذم الدعوة وبطلانها ، ولا يكون دليلا على ذم ما خالفها وبطلانه ، وكيف يكون فيمن قبل الدعوة ذما ولا يكون فيمن ردها كذلك ؟ أم كيف يكون قدحا في النجـديين بعد ظهور هـذه الدعوة ولا يكون قدحا فيهم قبلها ؟ ولا ريب أنه ان لم يكن ذنبا في خصوم الدعوة وقدحا في البلاد قبل ظهورها فلن يكون كذلك في أصدقاء الدعوة وفي بلادها بعد ظهورها . وان كان ذنبـا لأصدقائها فلابد أن يكون كذلك لخصومها ، وان كان قدحا في البلاد بعد انتشار الدعوة فيها فلا بد أن يكون كذلك قبلها . وهذه أوليات واضحة جلية . ولـكن المخالفين لا يرضون هذا ولا يقبلونه . وهو يدل دلالة جلية ظاهرة على غلط هؤلاء المخالفين وعلى غلط هذا الشيعي المتعصب

فما ذكره هنا لن يعده نقصا وعيبا فى هذه العقيدة إلا أصحاب الأهواء الجائرة هذا الذى ذكرناه خاص بالرجال . أما النساء فما كن يحلقن شعورهن فى تلك البلاد ألبتة ، بل ما زلن الى اليوم يوفرن الشعور ويرغبن فى توفيرها وكثافتها وطولها وهن يفخرن بذلك . وما ذكره هذا الشيعى عن الشيخ دحلان من أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه كانوا يأمرون النساء بحلق شعورهن هو كذب صريح وبهتان لا شبهة لصاحبه فيه ، فما يوجد فى نجد امرأة واحدة تحلق شعرها لا اليوم ولا قبل اليوم الا أن يكون ذلك لمرض ألم يدعو اليه وجوبا ؛ ولا يوجد فى النجديين رجل واحد يأمر نساءه بأن يحلقن شعورهن لا اليوم ولا قبل اليوم ، وهم لا يشكون في إثم من يأمر بذلك ويحث عليه ، فهذا الذى ذكره هنا والذى ذكره من حكاية المرأة المعترضة على الشيخ محمد كذب قبيح ، وهذا الكذب الجرىء يكفي والله العاقل دليلا على بطلان أمر هؤلاء المعترضين وفساد مايدعون اليه وما يحاولون الانتصار له . فان الكذب لا يلجأ اليه إلا أهل الباطل والكذب ، وأما أهل الحق فهم لا يحتاجون الى ذلك فى نصرة حقهم وعقيدتهم ودينهم . بل هم يجدون فى الحق الذى معهم متسعاً ومقنعاً يغنيهم عن الرجوع الى اختلاق الأكاذيب ، ولا يفترى الكذب الا من فى قلوبهم مرض ودغل مر قبيح ، ولهذا كانت النبوة مقارنة للصدق وكان الصدق مقارنا للنبوة لا يفترقان ، وكانت التنبؤات مقارنة للكذب وكان الكذب مقارنا لها لا يفترقان أبدا ، وكان النبى أصدق الصادقين ، وكان المتنبىء أكذب الكاذبين ، وبرهان النبوة الواضح هو الصدق ، وبرهان النبوة الكاذب هو الكذب : فالحق قرين الصدق والصدق قرين الحق لا يفترقان . والكذب قرين الباطل والباطل قرين الكذب لا يفترقان . وهذا الذى ذكره هذا الشيعى كذب صريح ، وكذلك قوله : أنهم كانوا يأمرون أتباعهم بأن يحلقوا شعورهم قبل أن يفارقوهم كذب أيضا

وعند الله جزاء الكاذبين المفترين

والقول الذى نقله عن عبد الرحمن الأهدل وهو قوله انه لم يفعله ـ أي حلق الرأس ـ أحد من المبتدعة قول يبطله ما نقله الشيعي نفسه من أن الخوارج كانوا يفعلونه ، وما أخلق أهل الباطل بالتناقض والهوى ، وما أبعدهم عن الحق والهدى ، والى الله يرجع الجميع الأوائل والأواخر ، واليه الاياب والحساب ثم الثواب والعقاب . يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيدا

ثم قال الرافضى : « ثانى عشر ـ كما أن الخوارج يقتلون أهل الاسلام ؛ ويدعون أهل الأوثان كما أخبر النبي كذلك الوهابيون يقتلون أهل الاسلام ، ويدعون أهل الأوثان . ولم ينقل عنهم أنهم حاربوا أحدا سوى المسلمين أو قتلوا أحدا من أهل الأوثان . وفى قتلهم أهل الطائف أولا وآخرا بلا ذنب وقتلهم أهل كربلاء سنة ١٢١٦ وغزوهم بلاد الاسلام المجاورة لهم كالعراق والحجاز واليمن وشرق الأردن وغيرهم ، وقتل من ظفروا به من المسلمين . وقتلهم نحو الف رجل من اليمنيين جاءوا لحج بيت الله الحرام سنة ١٣٤٠ وعدم غزوهم لأهل الأوثان . وقد امتلأت الأرض الحادا وكفرا ، وتوجيه بأسهم وحربهم كله الى المسلمين خاصة بعد ما ضعفت قواهم واستعمرت بلادهم وصار الاسلام غريباً فى وطنه أقوى شاهد على ذلك »

انتهى كلام الرافضى

قلت : وهذا قائم على خطته القديم وهو زعمه أن الوهابيين يستحلون قتال المسلمين ، ويستحلون أموالهم ودماءهم . وقد ذكرنا مرات ومرات أن هذا كذب مشهور ، فالوهابيون لا يستحلون قتال أحد من المسلمين ، بل هم لا يختلفون أن قتل المسلم من أكبر الذنوب التى تقرن بالشرك والكفر بالله . وذلك لأنهم سلفيون

عقيدة وعملا وقولا لا يختلفون على السلف ولا يطلبون سوى النهج منهاجهم . ولو فرض أنهم أو أن طائفة منهم كفروا طائفة من المسلمين أو قاتلوهم ، أو شكوا فى أيمانهم لم يكن ذلك لأن من مذهبهم اكفار المسلمين وقتالهم كلا ، وإنما يكون هذا لو وقع من الأغلاط التى يقع فيها بعض الجماعات وبعض الآحاد . وأغلاط الأفراد والجماعات ليست معدودة يقيناً مذهباً للطائفة التى ينتمون اليها . ومثل هذا مثلا أن يغلط بعض علماء الشافعية أو الحنابلة أو الحنفية ، أو غير هؤلاء ، فيكفرون بعض المسلمين لاعتقادهم أنهم كفروا وأنهم قد جاءوا بما يستوجب الكفر . فاذا ما وقع مثل هذا وهو يقع كثيرا في كل زمان ومكان لم يقل ان أهل المذهب الذي ينتمى اليه هذا العالم الذى غلط فاكفر غير الكافر يكفرون المسلمين ويستحلون قتالهم وأموالهم . وكذلك اذا ما قاتل ملك أو أمير أو قائد يعزى الى مذهب من المذاهب الأربعة أو غيرها طائفة من المسلمين أو ملكا من ملوك المسلمين أو غزا بلادا من بلاد المسلمين لأسباب صحيحة أو باطلة لم يدل مثل هذا على أن أهل مذهب ذلك الملك أو الأمير أو القائد يستحلون قتال المسلمين ويبيحون دماءهم وأموالهم ، كلا ، كلا . ان مثل هذا لن يكون ، ومن قال به وذهب اليه فهو من الضالين الآثمين . ولو صح مثل هذا لقيل ان جميع المسلمين وجميع أهل المذاهب الاسلامية يكفرون المسلمين ويستحلون قتالهم وأموالهم وذلك لأنه ما من مذهب من المذاهب المشهورة الظاهرة فى الاسلام الا وقد قاتل بعض رجاله وبعض المحسوبين عليه قوما مسلمين ، وغزوا بلادا إسلامية لأسباب قد تكون صحيحة ، وقد تكون فاسدة ، وقد تكون مبيحة ذلك القتال ، وقد لا تكون مبيحة ، وما من مذهب من هذه المذاهب الا وقد أكفر بعض رجاله وبعض المحسوبين عليه قوما من المسلمين وقوما ليسوا بكافرين لشبهة قامت لديهم حسبوها موجبة الكفر والقدح وقد يظهر لهم بعد ذلك أنهم غالطون ومخطئون . ثم قد يرجعون عن ذلك

وقد يصرون عليه لأنه لم يظهر لهم غلطهم . وقد يخالف فى هـذا بعض رجال المذاهب الاخرى ، وقد ينازعونهم ويجادلونهم ، هذا ما يقع كثيرا فى كل زمان وفى كل دولة وفى كل مذهب وفى كل أمة ومن جعل مثل هذه الاعمال الفردية التى يأتيها الاحيان بعض الافراد والجماعات مذهبا عاما وعقيدة عامة لتلك الطائفة التى كان أولئك من أفرادها ومن علمائها أو جهالها ، فقد أخطأ خطأ لا أظنه يعذر عليه ولا يسلم من تبعته ومعاقبته

ومثل هذا لو وقع من بعض الوهابيين ونحن نفترض هذا افتراضا اكفار أحد من المسلمين أو مقاتلته أو القدح فى دينه وعقيدته ومذهبه : اذا وقع مثل هذا لم يكن دليلا ولا شبه دليل على أن الوهابيين يبيحون قتال المسلمين ويكفرونهم ويقدحون فى عقائدهم ومذاهبهم يقينا . ومن ذهب هذا المذهب وأبى الا إياه فقد لزمه أن يقول ان جميع المسلمين وجميع أهل المذاهب الاسلامية يبيحون قتال أهل الاسلام ويستحلون قتالهم وا كفارهم والقدح فى عقائدهم وأديانهم ومذاهبهم على النحو الذى ذكرناه . وهذا عين الضلال وهذا عين القدح فى المسلمين عامة

والمذهب بل والدين كله يؤخذ من قواعده وأساسه وأصوله العامة الثابتة التى يرجع اليها حين الاختلاف والنزاع ، والتى رضيها رجال المذهب أو الدين كلهم بلا خلاف بينهم إلا أن يكون شاذاً مردودا . أما أن يؤخذ المذهب أو الدين ويحكم عليه بما يعمله بعض أفراده أو بعض جماعاته أحيانا إما غلطاً وإما صوابا فليس ذلك من الحق فى شىء ، وليس هذا فعل أهل الانصاف والعدل . بل هذا هو فعل أهل الاهواء . وأصول المذهب الوهابى هى أصول مذهب السلف الصالح والرعيل الأول من الأصحاب والتابعين والفقهاء والمحدثين وأصول مذاهب الأئمة الأربعة ، ومن هذه الأصول المرجوع اليها أنهم لا يكفرون مسلماً بذنب مهما كان الذنب جليلا ، وأنهم لا يستحلون دماء المسلمين . بل وأنهم يرون قتـال

المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم من أعظم العظائم وأفحشها عند الله وفى دين الله وأنهم يلتزمون الآيات والأحاديث فى تحريم دماء أهل الاسلام وتحريم أموالهم والقدح فيهم والايذاء لهم وأنهم يبرؤن الى الله ممن لا يلتزمون ذلك وممن لا يقفون عنده نفياً وإثباتاً . بل ومن أصولهم المرجوع اليها أنهم يتولون المسلمين كافة ويحبونهم كافة ، ويغضبون لهم ويغارون لهم كافة ، ويودون لهم الخير كافة ، ويحبون المسلم البعيد الوطن أكثر من حبهم القريب النسب والوطن ممن ليس مسلماً ولا عابئاً بالاسلام . هذه الأمور من أصول هذا المذهب لا يتنازعون فيها ولا يختلفون ، وهذا ما يذكرونه فى جميع كتبهم المشهورة المقروءة المعلومة للخاص والعام ، وهذا هو ما يجب أن يؤخذ به المذهب وما يجب أن يحسب عليه أوله وكل ماسواه يجب أن يرد اليه . فهو الأصل والمرجع الأعلى ، وهذا الأصل يتقبله جميع أهل السنة والجماعة لا ينكره منهم أحد

هذا ما يقال إجمالا عما يدعيه هذا الشيعى من أن الوهابيين يكفرون المسلمين ويستحلون دماءهم وأموالهم ، وأن أهل القبلة جميعا كفار مارقون من الاسلام والملة عندهم

وأما قوله إنه لم ينقل عن الوهابيين أنهم حاربوا أحداً سوى المسلمين أو قتلوا أحداً من أهل الأوثان فيقال فى جوابه : إن كان يريد بغير المسلمين وبأهل الأوثان الذين لم يحاربهم الوهابيون ولم يقتلوهم هم من لا يؤمنون بأصل الاسلام ولا بالرسالة المحمدية من اليهود والنصارى والمجوس وإخوان هؤلاء . فصحيح أن السلفيين الذين قاموا فى نجد منذ مائتى عام وتقبلوا إرشاد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته الصحيحة للرجوع بالناس الى الاسلام قبل أن يصاب بالاخلاط والاحداث فنهضوا نهضتهم المعروفة الفتية الملتهبة التى قلبت الأحوال والأحكام فى البلاد النجدية وفي الجزيرة العربية ، فاجتمعوا على إمام واحد بعد أن كان لكل بيت

امام ، وعلى عقيدة واحدة بعد أن كان لكل واحد منهم عقيدة ، وقاموا بفروض الاسلام كاملة تامة باخلاص ووفاء ومحافظة وتقوى : ان كان هذا الشيعي يريد أن هؤلاء السلفيين لم يقاتلوا اليهود والنصارى والمجوس ومن لا يدينون بأصل الاسلام وبالنبوة المحمدية ، فنحن نسلم له أن هذا صحيح وأنه حق لاشك فيه . ولكن هل يرى أنهم مؤاخذون بهذا وأنهم مقصرون ، وأنهم لم يقوموا بالواجب ؟ إن كان يريد هذا فقد أبعد والله المرمى . فهل يريد منهم أن يقاتلوا انجلترا وفرنسا وإيطاليا وروسيا وأن يجتازوا البحار والقفار والليل والنهار ليقاتلوا الوثنيين فى اليابان وفى الصين وفى طرفى الارض الشرق والغرب ؟ أفيريد منهم هذا وهو يعترف فى كتابه بأن الأتراك والأشراف والمصريين قد اجتمعوا على حربهم ومناوأتهم والتضييق عليهم فى دارهم وفى كل مكان ، وتمالئوا على غزوهم فى بلادهم مرات ، وأنهم مازالوا يحاربونهم ويبعثون الأجناد والجيوش الكثيفة الجرارة لاستئصالهم والقضاء عليهم ، وأنهم ما زالوا يوقعون بهم الخسائر الفادحة فى الرجال والأموال ويدقون قوتهم وينتقصونها من جميع أطرافها. مازالوا كذلك وما زالوا حراصاً عليهم حتى قهروهم واحتلوا ديارهم وخربوا عاصمتهم وأخذوا أميرهم وأسرته أسرى ثم قتلوهم صبراً فى بلاد الخلافة ، أفيريد منهم أن يركبوا الى هذه الأمم فيصلوا اليها فى ديارها ليغزوها وينازلوها وهو يذكر فى كتابه أن شريف مكة غزا النجديين فى بلادهم فى مدة خمسة عشر عاما أكثر من خمسين غزوة حينما كانوا ضعافا حديثى العهد بالوجود والظهور ، وفي عصر لم يكونوا قد لموا شعثهم ولا جمعوا كلمتهم فيه وفى وقت لم يصيروا القوة المرهوبة التى بها يستطيعون مصادمة الباغين ومقارعتهم ، إن كان يريد منهم هذا فالرجل فى حاجة الى أن يخلق له عقل آخر ليفكر به وليناظر ويجادل وليكتب به على الوهابيين كتابا ينتقد به عقائدهم وأعمالهم ويهجو به رجالهم وشيوخهم و كتبهم ويؤلف به الشبهات

والأوهام على عبادة الاجداث

ليفرض هذا الشيعي أن النجديين أرادوا غزو هذه الأمم وحربها بعد أن يفرض استعدادهم التام لذلك . أفيرى أن أولئك المسلمين الذين غزوهم في بلادهم يتركون لهم السبيل الى وجوههم ويدعونهم يصلون الى هذه الغاية ؟ ألا يرى أن هؤلاء الذين قاتلوهم في أحشاء بلادهم سوف يقاتلونهم حينئذ ، وسوف يكونون لهم الخصوم اللد ؟ اذا كان يعترف بأن الاتراك والاشراف وغيرهم لم يدعوهم يحجون ويقرون ويعملون بالشريعة الاسلامية الصحيحة ، ولم يدعوهم يهدؤن يوما بل مازالوا يتربصون بهم الدوائر وينتظرون بهم الاندحار ، واذا كان يعترف بأن هذه القوى العديدة المنوعة ما زالت تناوئهم وما زالت تغرى بهم وتقاتلهم وكان يعترف بأن قوتهم المادية لم تكن كفئا يوماً لمنازلة هذه القوى المادية الغاشمة فما له يريد منهم المحال . فيريد منهم أن يسافروا الى أقصى الشرق وأقصى الغرب ليغزوا الوثنية والنصرانية لئلا يكونوا عنده من الخوارج المارقين ؟ ولعمرو الله ماهذا بمنطق يزهى به وتتكلف نفقات طبعه ونشره

وليس من الذنب والخطيئة في المسلم أن يكون عاجزاً عجز مادة ومشغولا بنفسه وحاله عن مناهضة أعدى أعدائه وألد أخصامه ، وليس من الذنب له والخطيئة أن يعتدى عليه من هم أقرب اليه ممن يراد منه أن يعتدي عليهم من الخصوم ، وليس من الذنب للنجديين أن تجتمع على اضعافهم ووقف حركتهم وتقدمهم قوى متكاثرة تفوق قواهم وما يمتلكونه من ذلك : ليس في هذا عيب البتة

وإذا شئنا تقريب هذه المسألة لهذا المخالف العنيد قلنا له هذا على بن أبي طالب أفضل البشر عندكم ـ وهو المعصوم الذى لا يفعل ولا يقول سوى الحق ـ قد قضى مدة خلافته كلها في حرب المسلمين وقتالهم والاستعداد لمناجزتهم . وما

امتشق في خلافته كلها حساما على أحد من الكفار والمشركين ، ولا على أحد من اليهود والنصارى والمجوس . فحارب معاوية بن أبي سفيان ومن معه من المسلمين والصحابة ، وحارب عائشة وطلحة والزبير ومن معهم من المسلمين ، وحارب الخوارج وأنت تعترف أن عليا ما كان يكفر الخوارج وما كان يراهم قد خرجوا من نطاق الاسلام : فعاطى على هؤلاء كلهم الحسام ، ولم يعاطه جيشا من جيوش الكفر في مدة خلافته كلها . أتقول إنه كان ممن يقاتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الأوثان ؟ إن قلت إنه كان مدفوعا إلى ذلك دفعا وأنه كان يقاتل هؤلاء بحق لأنهم هم الباغون عليه الخارجون ، وأن قتالهم كان واجبا فرضا لخروجهم على الامام الحق المنصوص عليه ، ومحاولتهم اغتصاب حقه الواجب المفروض ، وقلت إنه كان مشغولا بذلك عن قتال الكفار والمشركين فلم تواته فرصة حربهم في مدة خلافته كلها . إذا قلت هذا قلنا لك : وهذا هو جوابنا عن النجديين ولا ريب . فانهم كانوا هم المبدوئين في هذه الحروب كلها . وإذا كان الامام على رضى الله عنه لم يحارب المشركين في خلافته كلها وكان مشغولا عن ذلك بحرب المسلمين ، وكنت واجدا له رضى الله عنه معذرة وحجة تخلصه من الذنب واللام ، وهذا مالا شك فيه عندكم ، فما لك تقطع بانه لاعذر للنجديين في حروبهم ، بل تقطع أنهم بذلك ضالون مستوجبون المؤاخذة والعقوبة ، وأنهم به خوارج أو كالخوارج . ولعل الحصول على العذر للوهابيين في هذه المسألة اقرب من الحصول على العذر للامام علي . وذلك أن عليا كان لديه من العدد الحربية وعدد الجيوش أعظم مما عند النجديين بأضعاف مضاعفة ، وكان سبيل غزو الكفار والمشركين أيسر وأقرب على علي وأجناده منه على النجديين ، ولم يكن في طريق علي ـ إذا ما أراد غزو الكفر والشرك ـ ما في طريق النجديين من المخاطر والعقبات والموانع إذا ما أرادوا ذلك . ولكن الامام عليًا كان لدى الشيعة معذوراً

كل العذر ، فلماذا لايعذر هؤلاء القوم النجديين اذا ما تركوا ماتركه الامام على ، بل ان عجزوا عما عجز عنه على رضى الله عنه وهو الخليفة المعصوم عندكم المؤيد من الله العالم بما كان وبما يكون ، وهو البطل الفرد الذي لايسامى ولا يجارى

هذا ولنقل لهذا الشيعى من من الشيعة والمتشيعين قاتل الكفار والمشركين وغزاهم فى ديارهم . ومن من الشيعة والمتشيعين من أصحاب السلطة وان ضئيلة حقيرة لم يحاربوا المسلمين ويشبوا عليهم السيوف ويسفكوا دماءهم وينهبوا أموالهم بكل الطرق الممكنة ؟ ليدلنا على من شاء من الشيعة لم يفعلوا ذلك ولم يتركوا ذاك ؟ من منهم لم يحاربوا المسلمين ويقاتلوهم ؟ ومن منهم لم يدعوا الكفار والمشركين بل وينهبوا الكفار بلاد المسلمين عن رضى وطواعية

هذا التاريخ ليحتل نواحيه وليغص فى أحشائه ، وليخرج لنا منه قصة واحد تخالف ما نقول وتكذبه . إن أشهر سلطان كان للشيعة هو سلطان الفاطميين الذين قامت لهم دولة كبيرة مرهوبة حينا من الزمان فى مصر والشام . فهل يعرف هذا الشيعى كيف نشأت هذه الدولة ، وكيف قامت ، وكيف ظهرت ، وكيف انتصرت ، وكيف كانت ؟ إنها لم تظهر ولم تنتصر ولم تكن ولم تقم الا على أشلاء المسلمين وعلى بحار من دمائهم وعلى الكيد للخلافة الاسلامية ، والغارات عليها ومناوأتها تارات بالنفاق والدس وتارات بالحرب والضرب وامتشاق الحسام على الرقاب المسلمة المؤمنة ، هذا هو ماقامت به هذه الدولة الشيعية إزاء المسلمين وازاء الخلافة الاسلامية . ولكن ماذا فعلت بالكفار والمشركين فى ابان سلطانها وعنفوانها ؟ وما كان موقفها من الصليبيين المغيرين على الاسلام وعلى الممالك الاسلامية ؟ وماذا افتتحت من بلاد الشرك والكفر ؟ ليفكر هو ولينظر بماذا يجيب وماذا يكون جوابه ، ثم ليجب ان استطاع ونحن نذكره بأقرب من هذا . وذلك أن

نقول له هاتان دولتا الشيعة القائمتان اليوم احداها فى إيران والاخرى فى اليمن هل يستطيع أن يقول لنا انهما غزتا الكفار والمشركين ، وانهما حاربتا دولة من دول الكفر والشرك ، وقد اعتدى على هاتين الدولتين الكفار ولا يزالون يعتدون واغتصبوا أجزاء معلومة من مملكتيهما ظلماً وعدوانا ، ولا يزالون يحاولون المزيد من هذا النصيب . فماذا فعلتاه هاتان الدولتان الشيعيتان إزاء هؤلاء الظالمين ؟ وهل فتحت هاتان الدولتان شبراً من أرض الكفر والشرك ؟ هذا ما يطالب هو بجوابه . ثم هل يعلم أن هاتين الدولتين قد حاربتا المسلمين كثيراً وسفكتا دماء مسلمة غزيرة فى عصور مختلفة . ليدعنا نرخ الأستار على هذا كله ونضرب عنه صفحاً ، فاننا لا نتعشق هذه الذكرى ولا هذا الغرام . وما ذكرناه إلا ضرورة وجزاء بجزاء

ومن الحقائق التى لا ريب فيها أن الشيعة ما زال هواها وحبها منصبا مندفعاً جهة خصوم الاسلام وهدامه فى كل العصور . ويتجلى هذا حين نكبات الاسلام ومحن المسلمين . وقد ذكر علامة العراق المرحوم محمود شكرى الألوسى أن أهل ايران الشيعيين قد زينوا بلادهم وحوانيتهم فرحا وسرورا يوم أن انتصر الروس على المسلمين وعلى الدولة العثمانية ، وعدوا ذلك اليوم عيدا . وروى الحافظ الذهبى أن أبا القاسم بن عبيد الله الفاطمى أمر بلعن الأنبياء وأطلق مناديا ينادى بلعن الغار ومن لاذ بالغار يعنى النبى وصاحبه أبا بكر ، وأنه هو الذى أغرى أبا طاهر القرمطى بغزو مكة وبتحريق الكعبة وانتهاب الحجر الأسود وقتل الحجيج

وقد كانت الشيعة عونا للتتار الذين غزوا الاسلام والممالك الاسلامية حتى دخلوا دار الخلافة وقتلوا الخليفة بمعونة النصير الطوسى الاسماعيلى ومكيدة ابن العلقمى الشيعى وزير المستعصم . وهكذا كانت الشيعة فى كل الأوقات اعوانا للكفار والمشركين على الاسلام والمسلمين ، لا يدخرون وسعا عن الايقاع بالاسلام

وأهله ، ولا يحجمون عن نصرة الكفار والضلال بغية إذلال المسلمين وتحطيم أهل السنة ، ولا عجب فى هذا فانهم يستحلون قتال الخلفاء الراشدين أمثال أبى بكر وعمر فضلا عمن دونهم من أهل السنة ، ويزعمون أن المسلمين قد اتفقوا على قتل الخليفة عثمان وأن خيار الصحابة كانوا يرون وجوب قتله والخروج عليه ، ويزعمون أن عليا كان من الخارجين عليه المشيرين بقتله الراضين به ، ويزعمون أن قتله كان واجبا ، وأن الخروج عليه كان واجبا ، وأن انتزاع الخلافة والأمر منه كان واجبا ويزعمون لأجل هذا أن قتلته الأئمة مجزيون عند الله خيرا ، وأنهم ما فعلوا إلا الحق والواجب

وكذلك يرون أن الخروج على أبى بكر وعمر كان واجبا وأن قتلهما كان واجبا ، وأن من خرج عليهما وقتلهما كان عند الله مشكورا مجزيا ولهذا فان طوائف منهم يمتدحون أبا لؤلؤة الغلام المجوسى القاتل لعمر ويدعون لهذا الغلام ويرجون له المغفرة والثواب جزاء فعلته هذه . ولهذا تذكر كتب الشيعة أن المنتظر اذا ما ظهر هدم مساجد المسلمين وهدم مسجد المدينة ، وهدم حجرة النبى ونبش قبر صاحبيه وأخرجهما وهما حيان طريان ثم صلبهما على خشبة وحرقهما ، لأن جميع ما ارتكبه البشر من المظالم والجنايات والآثام ومن ظلم آل على من يوم أن خلق آدم الى يوم القيامة انما صدر عنهما ، فالأوزار منحطة عليهما راجعة اليهما

وكذلك يرون وجوب الخروج على جميع الخلفاء العباسيين والأمويين وقتالهم والحاق جميع الخطوب والأضرار بهم ، وهكذا غيرهم من الأمراء والخلفاء

وهذه أمور لا خلاف فيها عند الشيعة العاتية وهذا كله هو ما تقضى به أصول الشيعة وقواعد مذهبهم . وما كان يمنع طائفة الشيعة من أن تسدى الى المسلمين الاضرار والمحن الا العجز . ولا كان يقعد بها عن الثورة على الخلفاء والامراء والملوك الا العجز أيضا والحذر . ومن دين الشيعة التقية التى قد يلجأ اليها كل

انسان منهم

وإذا كانوا يرون الخروج على الخلفاء كأبي بكر وعمر ويرون وجوب قتالهم وقتلهم فكيف لا يرون وجوب الخروج على جميع من جاءوا بعدهم من الملوك من أهل السنة ، وكيف لا يرون وجوب قتالهم بكل الوسائل المؤدية الى قتلهم حربا معلنة أو اغتيالا وغدرا ؟

هذا مانقوله أولا . ثم نقول إن زعمه ان الوهابيين لم يقاتلوا أحداً من أهل الاوثان قائم على خطئه القديم ، وقائم على أن عبادة القبور والصالحين الاموات بالشكل الشائع اليوم بين الشيعة ومن ضاهاهم لدى قبور الصالحين وآل البيت ليس من الشرك ولا من الوثنية الصريحة الصحيحة ولا من عبادة غير الله ولا مما يمنعه الاسلام وغيره من دين الله ولا مما دلت الدلائل الصحيحة على أنه من الشرك ومن الغلو المنهي عنه نهيا صريحا واضحا فى آيات القرآن وفى الاحاديث الصحيحة المتواترة . ولو أنه علم أن هذا كله شرك بالله العظيم وعلم أن دعاء الاموات والاستغاثة بهم وسؤالهم جميع المطالب كما يفعله جمهور العامة والخاصة والعامة من الشيعة وكما يدعو اليه فى كتابه هذا وفى غير هذا الكتاب وثنية صريحة لو علم ذلك كله لما قال ما قاله هنا ولما شك فى أن النجديين قد قاتلوا الوثنية وطهروا جزيرة العرب والبلاد النجدية من هذا الشرك وهذا الغلو القبيح الجافى الفظيع الذي لا يتنازع العقلاء اليوم في أنه من عبادة غير الله

وقد كانت بلاد العرب وكانت البلاد النجدية قبل ظهور هذه الدعوة ملأى بعبادة الأحجار والاشجار وعبادة القبور والمشايخ والصالحين ، وكان الناس يستنجدون بالقبور ويطوفون بها ويحجون اليها وينذرون ويذبحون لها ويحلفون بها ويرجونها ويخافونها ويرغبون فيها كما يرهبونها ، وكان طلاب الحاجات يقصدونها من كل مكان على اختلاف حاجاتهم وتكاثر طلباتهم ، فكان الفقير يأتيها مرجيا

الغنى ، والمريض يأتيها مرجياً الشفاء ، والمنكوب مرجياً العافية ، والعانس مرجية الزواج ، والعاقر العقيم مرجية البنين والبنات ، والرقوب التى لا يعيش أولادها مرجية أن يعيشوا ، والخائف المطلوب مرجياً الأمن والسلامة ، وكان من أصيب بشر ظنه من الشيخ فلان لأنه قد قصر فى حقه وأعرض عن بره فلم يهد اليه ولم ينذر له ولم يقدم له شمعاً ولا وقودا . فبادر الى الشيخ طالباً الصفح والغفران مقدما اليه والى حجابه وسدنته مايستطيعه وما لا يستطيعه من الهدايا والنذور ومن الضراعة والمسكنة مقدماً اليه قلبه وجسمه ، وكان من أصيب بخير ظن ذلك الخير قد جاءه من الشيخ فلان لأنه عنه راض وبه معجب ومعنىّ لأنه اليه لجأ ورجع وبه تعلق ولاذ وله أهدى ونذر وله رعى ودعا فجد فى برّ ذلك الشيخ وبر حجابه وسدنته وجعل له من وقته ومن قلبه ومن لسانه ومن ماله ومن ذريته نصيباً موفوراً وسهماً وفيراً . فعاش بين الناس وبين أهله بجسمه ، وأما قلبه فلذلك الشيخ صاحب ما يتقلب هو وأهله فيه من خير ونعمة . فان ذكر الله ذكر الشيخ ، وان ذكر ما هو فيه من نعمة ذكر الشيخ ، وان ذكر السلامة ذكر الشيخ ، وان رأى مصابا ذكر الشيخ ، وان رأى معافى ذكر الشيخ ، وان نام ذكر الشيخ وان استيقظ ذكر الشيخ ، وان حلف حلف بالشيخ ، فعند كل شىء يذكر الشيخ ، وفى كل وقت يهتف باسمه وكل مافيه من خير ومعنى هو للشيخ والى الشيخ منسوب . وما كان هذا نصيباً للمشايخ وحدهم ، ولا كان الناس للمشايخ فقط ، ولعل من هم للاحجار والاشجار والابواب أكثر وأمعن ممن هم للاشياخ والاولياء ، ولعل نصيب الشجيرات المزورة المعظمة ، والاحجار المزورة المعظمة من ذلك لا يقل عن نصيب الاشياخ والاولياء

هذا بعض ما كان هناك قبل هذه الدعوة ، وهذا ما كان فى كل مكان من بلاد العرب وغيرها من البلدان الاسلامية ، وهذا ماحاربه النجديون وما طهروا

البلاد منه حتى وجعوها حنيفية اسلامية ، وهذا ان لم يكن شركاً وعبادة للاصنام فما هو الشرك وما هى عبادة الاصنام ؟ وان لم يكن محارب هذا محاربا الشرك والوثنية ومحاربا للاصنام والأوثان فكيف تكون محاربة الاصنام والأوثان ، ومن هم المحاربون للوثنية والشرك ؟

إننا نقول واثقين مما نقول : ان هذه وثنية مضاعفة ، وأن من حاربها فقد حارب الوثنية ، و براهيننا ماسوف نذكره فى كتابنا وهذا مانهضنا لاثباته ولانهاض الدلائل عليه ، والشيعى يزعم أن هذه الآمور كلها من الايمان بالله ومن توحيده وعبادته ، وقوله هنا ان الوهابيين لم يحاربوا الأصنام والأوثان قائم على زعمه أن الأمور المذكورة ليست شركا ولا عبادة لغير الله بل وليست حراماً ولا إثماً ، فهذا الخطأ قائم على ذاك الخطأ . ولا يصدق زعمه أن الوهابيين لم يحاربوا الوثنية حتى يصدق زعمه أن ما يصنعه الناس اليوم وقبل اليوم على جوانب الأضرحة ولدى الاحجار والاشجار ليس وثنية ممقوتة . فزعمه هنا هو مايسمى عند علماء الجدل مصادرة الدعوى . فاذا عجز عن إقامة الدليل على أن هذه المخازي فى احشاء الأضرحة ولدى الاحجار والاشجار ليست شركا بالله فقد بطل زعمه أن النجديين لم يحاربوا الوثنية ، واذا ما أقمنا البراهين نحن على أن ذلك شرك ووثنية فقد بطل زعمه هذا . فهو لايصدق حتى يصدق قوله إن عبادة القبور والمشايخ ليست شركا ولا وثنية وليس أحد قوليه بأصدق من الآخر

وأما ماذكر من قتلهم أهل الطائف وأهل كربلاء وغزوهم العراق وشرق الاردن . فيقال هذا القتال إما أن يكون مشروعاً وإما أن يكون غير مشروع . فان كان مشروعاً لم يجز لومهم عليه لأنه أمر مشروع ، وان لم يكن مشروعاً قيل غاية هذا أن يكون خطأ ولده الاحتكاك والمجاورة ، والاحتكاك والمجاورة يولدان أمثال ذلك دائما ، وهذا معهود فى جميع العصور بين جميع الطوائف والأمم

وهذا أمر لا يختص به مذهب دون مذهب ، ولا عقيدة دون عقيدة . فكما يقع من أهل الحق يقع من أهل الباطل وكما يقع من أهل السنة يقع من الشيعة والمتشيعين وكما يبدأ به الظالمون قد يبدأ به المظلومون أحيانا ، وأية طائفة من الطوائف وأمة من الأمم لم يقع بينها وبين جيرانها الخلاف الباعث على امتشاق السيوف من اغمادها وعلى سفك الدماء والمصادمات الدامية ؟ هذا يقع كثيرا ، ولكن أحدا من العلماء والمؤرخين لن يعد مثل هذا عقيدة ولن يجعله دليلا على أن من وقع منه ذلك يستحل قتال المسلمين ودماءهم أو يستحل قتال الناس كافة . كلا ان أحدا من العلماء لا يذهب هذا المذهب ولا يسلك هذا المسلك . أوليس هذا الشيعي قد ذكر في مقدمة كتابه أن غالبا شريف مكة قد غزا النجديين فى بلادهم وقاتلهم مرات ، وأنه قتل ونهب منهم ما استطاع ، وأن الاتراك قد حاربوا النجديين وغزوهم عدة مرات ، وقتلوا منهم ومن أمرائهم صبراً وغدرا خلقا كثيرا ، وأن محمد علي باشا وأولاده قد غزوا النجديين فى أحشاء بلادهم وألبوا عليهم العرب والأعراب والاتراك والسودان ، وبعثوا الى حربهم العدد والعدد العظيم وأنهم مازالوا كذلك حتى تمكنوا منهم فقتلوا منهم وفعلوا بهم الافاعيل ، وشنقوا أمراءهم وزعماءهم وعلماءهم ؟ فمال هذا القتال لا يكون منكرا ولا دالا على استحلال قتال المسلمين وقتلهم ، ثم يكون قتال النجديين أهل الحجاز أو غيرهم بعد ان ظلموهم ومنعوهم من الحج منكراً ودالا على أن النجديين يستحلون قتال المسلمين وقتلهم ومال قتال الاترك للنجديين وهجومهم عليهم فى مأمنهم يعد عرفا ودينا وطاعة ثم يكون قتال النجديين لبعض ولاة الاتراك وعمالهم بعد أن بدؤوهم بالظلم منكراً وعصيانا وذهابا مذهب الخوارج أو ماذكر هو فى كتابه أن محمد علي باشا وابنه ابراهيم قد حاربوا الدولة العثمانية وهزموها وقهروها ؟ فمال هذا القتال لا يكون دالا على شيء ثم يكون قتال النجديين للاتراك بعد اعتدائهم عليهم منكراً ودالا على

الضلال والخروج على المسلمين وعلى استحلال قتالهم ودمائهم ؟ ماهذا لعمر الله بعدل ولا عقل

هذا نوع من الرد على هذا الشيعي نقول بعده : إن هذه الحروب التى ينكرها على النجديين هى حروب بعضها مشروع ولا شك ، وذلك كافتتاح الحجاز أولا وآخرا . وذلك لأسباب خاصة بالنجديين وأسباب أخرى عامة المسلمين . فإن الأشراف الذين هم ولاة الحجاز والذين غزاهم النجديون قد أفسدوا البلاد وملئوها بغيا وإثما ومنكرات متنوعة ، حتى فسدت النفوس والعقائد وتضعضعت الأخلاق ، وصارت البلاد المقدسة جحيما وأتون رجس وبلاء من جميع الوجوه لا يطاق . الحجاج يسلبون فى الطرق ويقتلون . ويحتال الدجالون والمبتدعون الكذابون على ما بقى معهم من المال على حساب الدين والعقيدة الباطلة . فالحجيج فى الطريق يقتلون وينهبون ، وفى المدن والحرم الآمن يخدعون ويضللون ، ثم لا يجدون نصيرا ولا مغيثا ولا عونا يشكى اليه . وكانت البلاد معرضة لأعظم الأخطار الخارجية ، كما قد أصابتها أعظم الأضرار الداخلية . هذا بعض ما كان هناك من الاسباب العامة للمسلمين

وأما الاسباب الخاصة بالنجديين ، فذلك أنهم قد أوذوا وتحدوا وأغير على بلادهم وغزوا فى ديارهم وسبوا وسبت عقيدتهم ودينهم وأذل وطورد من ظهر بودهم وولائهم ثم منعوا من الحج ومن القيام بهذه الفريضة . وألبت عليهم الضغائن وحيكت حولهم المكايد : كل هذا بعض ما كان . فكان بعض هذا مبيحا غزو البلاد وانقاذها من الاخطار المحدقة بها من دينية إلى سياسية إلى أدبية إلى اجتماعية . وكان هذا ما لا بد منه . وكان هو عين الحكمة والصواب كما شهد الناس وذكروا وكما وقع وكان

وأما غزو كربلاء فكان غزواً لتلك المنكرات الشيعية الفاضحة التى تتأباها جميع

الأذواق السليمة بل والأذواق المريضة التى لم تمت بعد . على أن كربلاء كانت ولاية من ولايات الدولة التركية . والدولة التركية كانت معلنة الحرب على النجديين كما يعترف الشيعى نفسه . فكان غزو النجديين لأرض الدولة التركية غزواً لعدو ظالم محارب . وهذا لا يمنعه أحد . وكذلك ما يذكره من هجومهم على العراق .

وأما ما ذكر من قتال أهل اليمن ، فجوابه أن نذكره بالحرب اليمنية السعودية الأخيرة ،ثم ماتلاها من محاولة اغتيال جلالة الملك عبد العزيز ، ثم موقف حكومة جلالته من ذلك ، و ما أظهرته من الحلم والصفح و الحرص على حقن الدماء المسلمة . بل هذا يبدد كل ما حاكه هذا الشيعى من التهم المهلهلة .

وأما ما ذكره من قتل حجاج اليمن ، فهذا قد وقع خطأ . فان النجديين ظنوا أولئك اليمنيين عونا ومددا لجند الشريف ملك الحجاز اذ ذاك حينما كان يغازى النجديين ويعاديهم ويعتدى عليهم . وكانت هذه الحادثة بعد موقعة حربية قامت بين النجديين و بين الجيوش الحجازية الهاشمية ، وقد اعتذر جلالة الملك عبد العزيز لجلالة الامام يحيى عن هـذه الحادثة بأنها وقعت خطأ . وانه يقدم للامام يحيى الاعتذار والدية . فتم الرضا بين الملك عبد العزيز والامام يحيى وزال ما بينهما من أثر فى النفوس يرجع الى هذه الحادثة

وهل يظن الشيعى أن النجديين يستحلون قتل الحجاج المخالفين لهم فى بعض الاعتقاديات ؟ أفلا يعلم أن الحجاز اليوم تقصده جميع الطوائف الاسلامية ، ويقصده فريق قليل من الشيعة ؟ أفيظن أن هؤلاء الحجاج يقتلون هنالك وأن النجديين يستحلون قتالهم ، وأن من ذهبوا إلى الحجاز لا يرجعون ؟ أو لا يعلم أن الحجاج لم يكونوا فى عصر من العصور آمن منهم فى هذا العصر على عهد السلطان السعودي الوهابى ، وان الناس لم يأمنوا على دمائهم وأموالهم فى عصر من العصور أمنهم على ذلك فى هذا العهد . والعالم كله شهيد بهذا

وكذلك يقال فيما ذكره من غزو شرق الاردن فان هذا الغزو قد كان من بعض القبائل النجدية جزاء غزو بعض القبائل فى شرق الاردن وفى العراق بعض الحدود النجدية . ولم يكن هذا الغزو إلا مكافأة وجزاء بجزاء ، ولم يكن صادراً عن أمر الحكومة . والحكومة لم تسير ذلك الجيش الغازى . وإنما سبيله ما ذكرناه . ومثل هذا لا تؤاخذ به الحكومة ، ولا يؤاخذ به أولو الأمر منها . ولو أن هذا الغزو كان يرضى الحكومة لكان له فى ذلك الوقت مبيح ومبرر ظاهر . وذلك أن الاساءات كانت تتلاحق نحو النجديين ونحو حكومتهم وبلادهم من جهة تلك الأقطار . وكانوا هنالك يسيئون اليها ويتعسفون فى المطالب ويحوكون لها الدسائس ويبعثون القلاقل . وكانوا يريدون القضاء عليها . وكان زعيمهم الاكبر لا يفتأ يسعى لايقاع أعظم الضرر بالنجديين . وهذه أشياء معلومة . وقد كانت الحكومة السعودية تتلقى من أولئك أمورا كان يكفى بعضها أن يكون مبيحا الغزو وامتشاق الحسام . ولكنها كانت كما شهد الناس أزهد الحكومات فى الحرب وفى سفك الدماء . والحرب اليمنية النجدية الاخيرة أنصع دليل على هذه القضية

ومن تهافت الشيعى ومن الدليل على سوء نيته قوله ان النجديين لم يحاربوا أحداً غير المسلمين ، مع قوله انهم هاجموا شرق الاردن والعراق . وقد ذكر فى موضع آخر من كتابه صفحة ٥٦ أنهم لما أن هاجموا شرق الاردن قاتلتهم الطيارات والدبابات البريطانية فقتلت منهم وأسرت ، وأن الاسرى اطلقوا بأمر الانجليز . فالبلاد التى تدافع عنها الدبابات والطيارات البريطانية أليست بلاداً بريطانية ؟ أو ليس من غزا تلك البلاد المحمية بالطيارات والدبابات البريطانية فقد غزا بريطانيا ، ومن غزا بريطانيا كيف يقال له انه يغزو المسلمين . وكيف يعد غزو بريطانيا دليلا على أن ذلك الغازى يغزو المسلمين ويقاتلهم ؟

وذكر (ص ٥٨) أن النجديين لما أن غزوا العراق اشتكى العراقيون الى

الانجليز قائلين إما أن تدفعوا عنا وتحمونا من النجديين ، واما أن تدعونا ندفع عن أنفسنا . وذكر أن معتمد الحكومة البريطانية فاوض جلالة الملك عبد العزيز فى أمر هذا الغزو ، وأن الملك أجابه بأنه لا علم له بذلك وأنه سيسأل قائد تلك الغزوة عما فعل . وذكر فى الصفحة نفسها أن الطيارات الانجليزية قد ردت الغزاة النجديين عن العراق وقذفتهم بقنابلها

فكيف يتماسك هذا الكلام الشيعى ! وأحسب أن النجديين لو غزوا الهند لقال هذا الرافضى إنهم غزوا المسلمين واستحلوا قتالهم . ذلك أنه لا يريد إلا أن يقول ان النجديين خوارج مستحلون دماء المسلمين وأموالهم والخروج عليهم شاء الواقع أم أبى . فكل شىء يقف فى سبيل هذا الغرض ينكره و يأباه ويلج به إباؤه وهذا كما قيل فى المثل (معزى ولو طارت)

ومن أكذب ما كتب قوله : « وقتلهم من ظفروا به من المسلمين » فاننا لا ندرى والله كيف يجرؤ على أن يزعم أن النجديين يقتلون كل من ظفروا به من المسلمين والناس كلهم يرون المسلمين يؤمون الحجاز كل عام من جميع الأطراف ليؤدوا فريضة الحج ، ثم يؤوبون الى بلادهم سالمين موفورين لم تقتل منهم نفس واحدة ولم يرزأ منهم أحد ولم ينل منه النجديون منال سوء لا فى مال ولا فى نفس ولا فى شىء من الأشياء . بل ويشهد كل من رجع من هنالك أن الأمان والسلام لا يجدهما المرء الا هناك حيث يرفرف العلم السعودى الوهابى ذو السيفين وذو الشهادتين . ولو كان هذا الرافضى صادقا فى زعمه لما أبقى على الرافضة فى الاحساء والقطيف من قلب المملكة السعودية . والرافضة بلا خلاف من شر الفرق المبتدعة ومن شر أهل الضلالة عقيدة ورأيا وقولا ، ومن أبعد المنحرفين عن النجديين منزعا ومذهبا ، لأن الرافضة أغلى الفرق المنتسبة للاسلام فى الباطل ، وأفظعها عقيدة فى الخلق . فانها بينما تكفر خيار الأمة تضع آخرين منهم فى مصاف الآلهة

وتهبهم حق الله المعلوم . ولكن الرافضة فى المملكة السعودية لا ينالون بسوء ويكتفى منهم باظهار الاسلام وبألا يشيعوا عقائدهم الخاصة الباطلة كاكفار الصحابة . وهذا وحده يكفينا وحده نقضا لما قاله فى جميع كتابه من التهم

ثم قال الرافضى « ثالث عشر - كما أن الخوارج كلما قطع منهم قرن نجم قرن كما أخبر عنهم أمير المؤمنين على عليه السلام . كذلك الوهابيون كلما قطع منهم قرن نجم قرن . فقد حاربهم محمد على باشا واستأصل شأفتهم ووصل ولده ابراهيم باشا الى قاعدة بلادهم الدرعية وأخربها . ثم نجم قرنهم بعد ذلك وقطع ثم نجم وقطع مراراً » انتهى

قلت وما لما ذكره هنا حاصل ، فانه ان كان يريد بالمشابهة بين الوهابيين والخوارج هنا بقاء كلتا الطائفتين وتعاقبهما ، فما لهـذا من حاصل ، فان الاسلام الصحيح يشبه هذا أيضا ، فانه باق الى قيـام الساعة ، كما قال ﷺ فى الحديث الصحيح المشهور : « لا تزال طائفـة من أمتى على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك » فالاسـلام الصحيح بل والاسلام الذى يعرفه هـذا الرافضى باق غير زائل حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، فهل يضره أن يكون المذهب الخارجى الباطل باقيـاً كذلك ، يطفو تارة ويرسب أخرى ، ويعلو ويسفل ؟ بل وكذلك شأن كل مذهب وفكرة فى الدنيا فان من دأبها التعاقب ، الظهور حينًا والخفـاء آخر ، والقوة مرة والضعف مرة ، وما من مذهب إلا وهو كذلك حتى المذهب الشيعى الرافضي الباطل ، فانه مازال يقوى ويضعف ويبدو ويخفى ، وكلما اختفى منه قرن ظهر له قرن آخر ، ولن يزال كذلك حتى يغمسه الله فى محيط العدم اللانهائي ، فالحق والباطل والهدى والضلال والايمان والكفر : كل أولئك تشترك فى هذا المعنى الذى ذكره ، لايختص بهذا الضلال دون الهـدى ، ولا الهدى دون الضلال ، ولا الحق دون البـاطل ، ولا

الاسلام دون غيره من الأديان ، ولا الأديان دون الاسلام ، ولا المذهب الخارجى دون غيره من المذاهب الأخرى ، فلا ينفرد بهـذا دين الاسلام الصحيح دون المذهب الشيعى الرافضي الباطل وما يقاربه أو يباعده

فهذا المعنى بالاجمال مشترك مشاع بين جميع الآراء والمذاهب الثابتـة ذات الأنواع ، لا ينفرد بها شيء دون شيء . فاذا فرض أن المذهب الخارجى كما ذكره الشيعى ، وفرض أنه باق خالد يعلو ويهبط وفرض أن المذهب الوهابى ـ فى تعبيره والمذهب السلفى فى تعبيرنا ـ كذلك أيضا يعز حينا ويظهر ، ويضعف آخر وينزوى لم يكن فى هذا شيء من الدلالة التى يعنيها الشيعى ويحاول إثباتها ، كما أن الاسلام نفسه إجمالا كذلك ، يعز حينا ويظهر ، ويضعف آخر وينكمش ، وهكذا جميع الفكر كما ذكرنا ، فليس ها هنا شيء يختص به المذهب الخارجى أو الشيعى أو غيرهما ، وهذا واضح لا ريب فيه ، وكذلك محاربة المذهب السلفى ومحاربة أهله بعض الأزمان والتغلب عليهم وعليه ، والتحـدي له ولهم ، لا يدل شيء من ذلك على بطلان المذهب ومخالفته الحق ، بل هذا المعنى ان لم يدل على صحته وصدقه فلن يدل على ضعفه وبطلانه ، بل هذا لا يدل على أحد الأمرين لا دلالة قوية ولا ضعيفة ، فان الحق قد يحارب ويغلب أهله ، كما أن الباطل قد يحارب أيضا ويقهر نصراؤه ، وقد تكون النتيجة العكس ، يحارب الحق فيكون الغـالب الظاهر ، كما أن الباطل قد يحارب فيكون الغالب القاهر ، على حسب ما تقضى به سنة الله الكونية ومشيئته النافذة ، وهـذا كله مشهود مشهور فى كل زمان ومكان ، وهذا الاسلام نفسه تارة يعز ويعز به أهله ، وتارة يضعف فيضعف أهـله ، ولم يكن تغلب الكفر والكفار عليه دليلا على أنه هو فى نفسه باطل ، ولم يكن خضوعه للكفر والكفار دليلا على أنهم فى أنفسهم مهتدون ، وكذلك هزيمـة أهل هذا المذهب بعض الأوقات لما منوا به من الضعف الخلقى أو النفسي أو الاهمال لما يفرضه

الاسلام والعقل من الاستمداد لنبوات الزمن وجم الأهبة للطوارىء والطوارق المفاجئة أبداً ، لا يدل على أن المذهب فى نفسه باطل غير صحيح ، حتى يدل قهر الأديان والأخلاق والعفاف فى بعض البلدان والأزمان على بطلان هذه الأمور فى أنفسها . وهذا مما لا يتنازع فيه الناس ، فما لما ذكره هنا من حاصل يطمع طامع فى التمسك به ، وأبعد الله الهوى ! فانه يرمي بصاحبه كل مرمى ، ويقتحم به كل صعب وذلول !

وهنا انتهت وجوه الشبه التى زعمها الرافضى بين النجديين والخوارج ، وهنا انتهينا من النقض على وجوهه وتسويدها ، وبعد هذا نذكر هنا ثلاثة أمور لازم ذكرها : أولها إقامة البراهين على أن الوهابيين ليسوا هم الخوارج ولامنهم ، ثانيها الحجج على أن الشيعة شر من الخوارج ، ثالثها شبه الرافضة بشر الأمم أعنى باليهود

ليسوا من الخوارج

حاول هذا الرافضى كما حاول غيره من نصراء البدعة والهوى تلفيق الدعاوى على أن أهل السنة من أهل نجد الداعين الى الرجوع بالاسلام سيرته الأولى نقيا من الشوائب والأخلاط والدخيل هم الخوارج الذين جاءت الأنباء النبوية الصحيحة فى مذمتهم وهجائهم وفى الأنباء عن عظم مصائبهم على الاسلام والمسلمين وقد حشد هذا الرافضي بكل قوته الشبهات التى تغنى بها من قبله ، وحاول بها إثبات هذه القضية ، وقد كتبنا عليها ما رآه القاريء قبل هذا . ونحن هنا نذكر الدلائل الواضحة على خطأ هؤلاء القوم فى هذه الدعوى وهذه المحاولة ، ونذكر الحجج الكافية على أن أهل السنة الذين يسميهم هؤلاء بالوهابيين برءاء من الخوارج ومن آراء الخوارج ، وبرءاء من أن يكون بينهم وبينهم شبه يختصون به دون أهل الحق من المسلمين والرعيل الأول الصالح

فنقول ان أصل المذهب الخارجى قائم على القدح فى النبى الكريم وفى عدله وقضائه ، ولذلك قال أولهم ذوالخويصرة لما أن شاهد بعض قسمة الرسول وأقضيته قوله المشهور : اعدل يا محمد ! فان هذه القسمة قسمة لا يراد بها وجه الله ! فغضب النبى الكريم وقال قوله المشهور فى الخوارج « ان من ضئضىء هـذا قوما يقرؤن القرآن لا يتجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرميـة » والوهابيون بحمد الله من أبعد الناس عن هـذا البلاء بلا ريب ، والشيعى نفسه يعترف أن مذهب الوهابيين قائم على مضادة هذا المعنى والقول ، وهم لا يشكون أن من قدح فى عدل الرسول وقضائه وقسمته أوشك فى ذلك فهو بريء من الاسلام لاحظ له فيه ، ودعوتهم قائمة على دعوة الناس الى الاقتداء بالنبى الكريم فى صغير الأمور وكبيرها وفى أقوالها وأفعالها ، وقائمة على أن المسلم لن يفلح ولن يكون مسلماً إلا اذا اقتدى بالرسول ﷺ وتشبه به وعلم أنه ينال رضا الله وسعادته الابدية بذلك ، فالوهابيون بلا شك من أبعد الناس عن الخوارج فى هذه الصفة ومن أبعد الناس عن مشابهتهم فى ذلك ثم ان من أصل مذهب الخوارج أيضا اكفار على بن أبي طالب وعثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان ومن وافق هؤلاء الصحابة من الصحابة والتابعين ومن سار سيرتهم من بعد ، ولهذا يكفرون الخلفاء الأمويين والعباسيين ومن رضي حكومتهم وخلافتهم

وفكرة الخوارج قائمة على هذا ، ولكن الوهابيين يبرءون الى الله من هذا القول وقائليه ، ويشهدون بحق وصدق أن هؤلاء الذين أكفرهم الخوارج وحكموا بردتهم من أفضل البشر وأصدقهم دينًا وإيمانا وسيرة وسريرة ، ويشهدون لهؤلاء الصحابة والخلفاء ولمن انتهج منهجهم بسلامة العقيدة ووفور الايمان . ثم يشهدون أيضًا أن غاية المسلم القوى الاسلام أن يتشبه بهم وأن يقبس منهم عقيدته وفعله وأن يفعل ما كانوا يفعلون ويعتقد ما كانوا يعتقدون ، وأن يعلم أن من حاد عن

سبيلهم ورغب عن سننهم وطريقهم فهو من الهالكى الضالين وأن من قدح فيهم أو شك فى أمرهم فما هو من أهل السعادة والهداية

ثم ان الخوارج أيضا يرون فاعل الكبيرة — وبعضهم يقول وفاعل الصغيرة — كافراً مرتداً مأواه النار خالداً فيها لا يخرج منها بل يبقى فى عذابها الأليم مابقى عبدة الاصنام والأوثان والكواكب والبشر ، ولكن الوهابيين برءاء من هذا القول ومن قائليه فهم لا يرون ان ذنباً من الذنوب وان جل قاض بكفر مرتكبه ولا مخرج له من جماعة المؤمنين ولا موجب له الخلود فى النار . بل يرون أن المسلم وان فعل الذنوب الكبيرة من المسلمين الناجين من الخلود فى النار ، وما فعله من الاثم له جزاء دون جزاء الكفر والشرك ، ولله أن يجازيه على ذلك ليطهره ثم يخرجه الى الجنة بعد الجزاء والتطهير ، ولله أن يعفو عنه وأن يغفر ذنبه وأن يدخله الجنة ابتداء بلا سابقة عذاب ولا عقاب كما قال تعالى « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » . فلن يلتقى إذا الوهابيون والخوارج أبدا مع افتراق مبادئهم وأصول مذاهبهم

والخوارج يأبون تحكيم الرجال ويعدون ذلك كفرا ، ولهذا أكفروا علياً والذين معه وخرجوا عليه لما أن قبل التحكيم بينه وبين خصمه معاوية ، وقد طلبوا منه الاعتراف على نفسه بالكفر ثم الاعتراف بالرجوع الى الاسلام أنفا . فابى على ذلك فأبوا الاعتراف له بالايمان وأصروا على إكفاره والخروج عليه ، وقد قالوا فى ذلك الحين قولتهم المشهورة « لا حكم إلا لله » فقال على كلمته المشهورة رداً على كلمتهم (كلمة حق يراد بها باطل) والوهابيون بريئون من هذا الرأى ومن أصحابه بل هم يرون رأى الامام على حينما قال لهم : ان المصحف لا يتكلم فلا بد من رجال يتكلمون عنه ، وقال ابن حزم فى كتاب الملل والنحل تحت عنوان « شنع الخوارج » من الجزء الرابع صفحة ١٤٤ ان فرقة من الأباضية وبينهم رجل يدعى زيد بن أبى

أنيسة كان يقول إن فى هذه الآمة شاهدين عليها هو أحدهما ، والآخر لا يدرى من هو ، وإن من كان من اليهود والنصارى يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله الى العرب لا الينا كما تقول العيسوية من اليهود . قال فانهم مؤمنون أولياء الله وان ماتوا على هذا العقد وعلى التزام شرائع اليهود والنصارى ، وان دين الاسلام سينسخ بنبى من العجم يأتي بدين الصابئين وبقرآن آخر ينزل عليه جملة واحدة إلا ان جميع الأباضية يكفرون من قال بشىء من هذه المقالات ويستحلون دمه وماله ، وقالت طائفة من الأباضية إن من زنا أو سرق أو قذف فانه يقام عليه الحد ثم يستتاب من فعله فان تاب ترك وإلا قتل على الردة ، وشاهدنا الاباضية بالأندلس يحرمون طعام أهل الكتاب ويحرمون أكل قضيب التيس والثور والكبش ويوجبون القضاء على من نام نهاراً فى رمضان فاحتلم ، ويتيممون وهم على الآبار التى يشربون منها إلا قليلا منهم ، وقال أبو اسماعيل البطيحى وأصحابه لا صلاة واجبة إلا ركعة واحدة بالغداة وأخرى بالعشى ، ويرون الحج فى جميع شهور السنة ويحرمون السمك حتى يذبح ، ولا يرون أخذ الجزية من المجوس ويكفرون من خطب فى الفطر والأضحى ، ويقولون ان أهل النار فى النار فى لذة ونعيم ، وأهل الجنة كذلك ، وقالت سائر الأزارقة بابطال رجم من زنا وهو محصن ، وقطع يد السارق من المنكب وأوجبوا على الحائض الصلاة والصيام فى حيضها وقال بعضهم لا ، ولكن تقضى الصلاة اذا طهرت كما تقضى الصيام ، وأباحوا دم الأطفال ممن ليس فى عسكرهم وقتل النساء أيضا ممن ليس فى عسكرهم وبرئت الازارقة ممن قعد عن الخروج لضعف أو غيره ، وكفروا من خالف هذا القول بعد موت أول من قال به منهم ، ولم يكفروا من خالفه فى حياته وقالوا باستعراض كل من لقوه من غير عسكرهم ويقتلونه إذا قال أنا مسلم ويحرمون قتل من انتمى الى اليهود أو النصارى أو المجوس ، وبهذا شهد رسول الله عليهم بالمروق

من الدين كما يمرق السهم من الرمية . إذ قال عليه السلام « انهم يقتلون أهل الاسلام ويتركون أهل الأوثان » وهذا من أعلام نبوته ، وهو من جزئيات الغيب فخرج نصاً كما قال ، وقالت النجدات ليس على الناس أن يتخذوا اماما انما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم ، وقالوا من ضعف عن الهجرة لعسكرهم فهو منافق واستحلوا دم القعدة وأموالهم ، وقالوا من كذب كذبة صغيرة أو عمل عملا صغيراً فأصر على ذلك فهو كافر مشرك ، وكذلك أيضا فى الكبائر وان من عمل من الكبائر غير مصر عليها فهو مسلم ، وقالوا جائز أن يعذب الله المؤمنين بذنوبهم لكن في غير النار واما النار فلا ، وقالوا أصحاب الكبائر منهم ليسوا كفارا وأصحاب الكبائر من غيرهم كفار ، وقد بادت النجدات . وقالت طائفة من الصفرية بوجوب قتل كل من أمكن قتله من مؤمن أو كافر ، وكانوا يؤولون الحق بالباطل ، وقد بادت هذه الطائفة ، وقالت الميمونية وهم فرقة من العجاردة بجواز نكاح بنات البنات وبنات البنين ، وذكر ذلك عنهم الحسين بن على الكراسى وهو أحد الأئمة فى الدين والحديث ولم يبق اليوم من فرق الخوارج الا الاباضية والصفرية ، وقالت طائفة من البيهسية وهم أصحاب أبى بيهس وهم من الصفرية ان كل صاحب كبيرة فيها حد لا يكفر حتى يرفع الى الامام . فاذا أقام عليه الحد فحينئذ يكفر ، وقالت النونية وهم طائفة من البيهسية ان الامام اذا قضى قضية جور وهو بخراسان أو بغيرها فى ذلك الحين نفسه يكفر هو وجميع رعيته حيث كانوا من شرق الارض وغربها ولو كانوا بالأندلس واليمن ، وقالوا أيضا لو وقعت قطرة خمر فى جب ماء بفلاة من الارض فان كل من خطر على ذلك الجب فشرب منه وهو لايدرى ما وقع فيه كافر بالله قالوا الا أن الله يوفق المؤمن لاجتنابه ، وقالت الفضيلية من قال لا اله الا الله محمد رسول الله بلسانه ولم يعتقد ذلك بقلبه بل اعتقد الكفر أو الدهرية أو اليهودية أو النصرانية فهو مسلم

عند الله مؤمن ، ولا يضره اذا قال بلسانه ما اعتقـد بقلبه ، وقالت طائفة من الصفرية أن النبي اذا بعث فنى حين بعثه يلزم جميع أهل المشرق والمغرب الايمان به وان لم يعرفوا جميع ما جاء به من الشرائع . فمن مات منهم قبل أن يبلغه شيء من ذلك مات كافراً . وقالت العجاردة : ان من بلغ الحلم من أولادهم وبناتهم فهم براء منه ومن دينه حتى يقر بالاسلام فيتولوه حينئذ . وقالت طائفة من العجاردة : لا نتولى الأطفال قبل البلوغ ولا نبرأ منهم لكن نقف فيهم حتى يلفظوا بالاسلام بعد البلوغ . وكان من قول المكرمية ان من أتى كبيرة فقد جهل الله فهو كافر ، ليس من أجل الكبيرة لكن لأنه جهل الله . وقالت طائفة من الخوارج : ما كان من المعاصى فيه حد كالزنا والسرقة فليس فاعله كافراً ولا مؤمناً وأما ما كان من المعاصي لا حد فيه فهو كفر وفاعله كافر . وقالت الحفصية : من عرف الله وكفر بالنبى فهو كافر وليس بمشرك وان جهل الله أو جحده فهو حينئذ مشرك . وقال بعض أصحاب الحارث الأباضى : المنافقون على عهد رسول الله انما كانوا موحدين لله أصحاب كبائر . ومن حماقاتهم قول بكر ابن أخت عبد الواحد بن زيد فانه كان يقول : كل ذنب صغير أو كبير ولو كان أخذ حبة من خردل بغير حق أو كذبة خفيفة على سبيل المزاح فهو شرك بالله وفاعلها كافر مشرك مخلد فى النار إلا ان يكون من أهل بدر فهو مشرك من أهل الجنة ، وهذا حكم طلحة والزبير رضى الله عنهما عندهم . ومن حماقاتهم قول عبد الله بن عيسى تلميذ بكر ابن أخت عبد الواحد المذكور ، فانه كان يقول : ان المجانين والبهائم والأطفال ما لم يبلغوا الحلم فانهم لا يألمون البتة لشيء مما ينزل بهم من العلل وحجته فى ذلك أن الله لا يظلم أحداً » . هذا كله ما ذكره ابن حزم

وقال الشهرستانى تحت عنوان « مذاهب الخوارج » :

« وبدع الآزارقة ثمان : احداها اكفار على وتصويب ابن ملجم قاتله . الثانية

ا كفار القعدة عن القتال وان كانوا موافقين . الثالثة جواز قتل أطفال المخالفين ونسائهم . الرابعة إسقاط الرجم عن الزاني إذ ليس في القرآن ذكره وإسقاط حد القذف عمن قذف المحصنين من الرجال مع وجوب الحد على قاذف المحصنات من النساء . الخامسة الحكم بأن أطفال المشركين في النار مع آبائهم . السادسة أن التقية غير جائزة في قول ولا عمل . السابعة تجويز أن يبعث الله نبياً يعلم أنه يكفر بعد نبوته أو كان كافراً قبل البعثة . الثامنة اجتمعت الأزارقة على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر ملة وخرج به عن الاسلام جملة وكان مخلداً في النار مع سائر الكفار واستدلوا بكفر إبليس» . هذا بعض ماذكره ابن حزم والشهرستاني . وهذا ما ينقله عنهم عامة من كتبوا في الملل والنحل ومقالات الاسلاميين . وهذه البدع التي خالفوا بها أهل السنة والجماعة وعرفوا بها وأضيفت اليهم وحدهم وابتدعوها وحدهم يتبرأ منها الوهابيون ومن القول بها ، ويتبرؤن من أهلها ولا يوافقونهم على واحدة منها ولا يوافقونهم الا على الحق الذي معهم ، الذي يوافقهم عليه أهل السنة والجماعة ، والذي قام البرهان على أنه حق لا باطل ، وهذا كما يوافقهم غيرهم من المسلمين ، لأن الحق قد يكون مشتركا ، وقد يقول الحق من قال الباطل ، وبالهدى من قال بالضلال ، ومثل هذا لا يضير ولا يمنع القول به ، وانما الذي يمنع هو مااختص به أهل الضلال وحدهم وما انفردوا به عن أهل الحق

وإذا كان الوهابيون يخالفون الخوارج في جميع ضلالاتهم وبدعهم الخاصة بهم التي ذموا لأجلها وكانوا لا يشاركونهم إلا فيما شاركهم فيه أهل الحق فمخطىء كل الخطأ من زعم أنهم يشبهونهم أو أنهم منهم ، وما أبعد المسافة بين الخوارج وبين من يسميهم هؤلاء الوهابيين ! فان الأمور التي يأخذها هؤلاء المخالفون على أهل السنة لم يذكرها التاريخ ولم يذكر أن أحداً من الخوارج قال بها أو دعا اليها أو رضيها وامتدحها ، ولم يذكر أن الناس أنكروها عليهم في عصرهم ولاذموهم لأجل

شيء منها ، فان الأمور التى ينكرها المخالفون على أهل السنة هى مسائل التوسل والتعلق بالقبور والعكوف عليها ودعوة الموتى وما يقارن ذلك من تقديم النذور والقرابين وما يضاف الى هذا من الحلف بهم والتعظيم القوى لهم والانقطاع اليهم والى قبورهم رغبة ورهبة ، ثم مناوأة البدع والمبتدعين ومحاولة تخليص الاسلام منها بقوة ، ثم الوقوف بالمسلمين مواقف السلف الأول من الصحابة والتابعين ومن جاءوا بعدهم من المحدثين والفقهاء والعلماء الربانيين ، ممن اتفقت كلمة المسلمين على امتداحهم والثناء عليهم وعلى أنهم من أهل الدين والصلاح والاعتصام بالكتاب والسنة ، ثم مسألة صفات الله التى نصت عليها الكتب المقدسة كلها والأحاديث النبوية ، وذلك كمسألة علو الله على عرشه . هذه هى أشهر المسائل التى يعيبها هؤلاء المخالفون على أهل السنة ، وهذه الأمور لم يقل بها الخوارج ولم يتكلموا فيها مطلقا إلا كما يقول وكما يتكلم فيها غيرهم من السابقين ، ولم يرد عن أحد منهم فى هذه المسائل شيء ، لأن الناس في ذلك العصر لم يكونوا يبحثون فى هذه المباحث ، لأنه لم يوجد من يصنع ذلك ومن يغلون فى القبور هذا الغلو الشنيع وما يتصل بذلك من الأوهام والأحداث الباطلة .

فالبدع التى ابتدعتها الخوارج ودعت اليها وقاتلت لأجلها لا يقول بها أحد من الوهابيين بل هم كلهم يبرؤن الى الله منها ، والأمور التى يأخذها هؤلاء عليهم لم يقل بها الخوارج ولم يدعوا اليها كما ذكرنا ، فكيف اذن يقال ان هؤلاء هم أولئك أو منهم أو أنهم يشبهونهم وينهجون منهاجهم ؟ وكيف لا يخجل مدعى هذا وكيف لا يرجو لقاء الله ؟ أليس هذا من أبطل الباطل وأرذل الهوى ؟

الشيعة شر من الخوارج

على ما لدى الخوارج من الباطل والشر والمنكر نعترف بأن الشيعة أكثر منهم شراً وباطلا ومنكراً ، ونعترف بأن الشيعة أبعد عن الاسلام وعن الدين والعقل وعن فعل الخير من الخوارج ، ونعترف بأن الخوارج خير منهم من كل الوجوه أو من أكثرها . وبيان هذا فيما يأتي :

(أولا)

لا يختلف أهل البصر والدراية بالتاريخ أن أصل المذهب الشيعي موضوع على الالحاد والكيد للاسلام وأهله والغدر بالعرب والدس لهم ولحكوماتهم ومحاولة تقويض خلافتهم وسلطانهم حسدا وبغيًا وبغضًا للدين الذي نشروه ونصروه فانتصروا هم به . وذلك أن واضع أساس هذا المذهب هو عبد الله بن سبأ الذي أظهر الاسلام خداعا ونفاقا لافساده وافساد أهله وللايقاع بهم وبه . ولقد نال بعض غرضه وألحق بالاسلام والمسلمين هو وأصحابه ما ألحق من الأضرار المادية والمعنوية ومن الفتن الجارفة المدمرة . فانه أظهر في أول أمره التقى وحب النبي وآل بيته ، ثم ادعى أن آل البيت مظلومون ، وأن المسلمين لهم ظالمون وأنهم هم أهل الخلافة وحدهم ، لا يجوز خروجها منهم ولا انتقالها عن علي وذريته وراح يدعو الى هذا القول هو وأصحابه بمكر ودهاء محكمين بارعين ، وصار يترنم بهذه النغمة وهذا الطنبور بمثابرة عجيبة حتى تغيرت النفوس ووقع فيها ما وقع من التنكر للخلفاء وللصحابة والمسلمين الذين ولوهم الخلافة ورضوا بتلك الصفقة وأخذ هذا المعنى ينمو في بعض الصدور ويتضاعف شيئا فشيئا حتى فاضت به فحدث ما حدث في فجر الاسلام من الفتن المغتالة والخلاف الطاحن المدمر وجميع ما حدث

فى ذلك العصر يرجع الى هـذه الفتنة وأخواتها . إما بوساطة واحدة وإما بوساطات ثم ذهب هذا اليهودى الشيعى يرتل مدائح على ويعدد فضائله وأخذ يبالغ فى هذا ويسرف ، منتقلا من خطوة الى خطوة ومن دركة الى دركة أوهد حتى صاح بتلك الدعوة الماثلة ، وأحدث أكبر الأحداث فى الاسلام فادعى فى على الالوهية ، وأن جزءا إلهيا حل فيه ، وأظهر هذا الجزء الالهى صفاته ومعانيه وأفعاله وخواصه فى ذات علي وعلى أعضائه وجوارحه ، ولهذا كانت أفعاله خارقة معجزة وكان قوله فوق أقوال البشر ، وكانت أفعاله أفعالا لايستطيعها المخلوقون. فهو لهذا يستحق العبادة ويستحق التأليه واسم الربوبية وسمتها ، وهو إذاً يستحق أن يخاطب خطاب الاله ويدعى دعاء الرب وينادى نداءه ، فترا كضت هذه الدعاوي والمزاعم الشيعية فى الظاهر ، الالحادية فى الباطن ، الى بعض النفوس والصدور ، فنزلت فيها منزلة التقديس والتبجيل وتمكنت منها وانتشرت على أعضائها فراح هؤلاء الى على وقالوا له أنت الله أنت الخالق الرازق وخلعوا عليه أخص صفات الله الفرد الصمد ، فكان رأى على فى هؤلاء أن يعاقبوا أشد العقوبات . لأن دعواهم هذه من شر الدعاوى ، فأضرم النيران وقذفهم فيها غير مأسوف عليهم ، وقضوا بالتحريق ، فقالوا وهم يحترقون الآن صح أنك أنت الله إذ لا يعذب بالنار إلا رب النار . وهـذه المقالة منهم العجيبة فى تلك الساعة الرهيبة تدل على أحد أمرين : على الدهاء والخبث اللذين ما فوقهما دهاء وخبث وإما على رسوخ هذه العقيدة الباطلة فى تلك الصدور رسوخا ألقى على وجه الدلائل والحجج السافر قناعا من أبخرة الباطل والعمى حتى راحت لا تبصرها ولا تبصر شيئا . وأما هذا اليهودي مفترى هذه النحلة فقد هرب وذهب يجتاب البلاد الاسلامية جاداً فى نشر دعوته هاربا معه بهروبه مذهبه المنافق الماكر واضعا فى كل أرض يحتلها جذور هذا المذهب ، وهكذا اتسع وانتشر . وما زال الى يومنا

هذا يطفو ويرسب ويفعل ما يفعل من الفساد والفوضى ، ويصنع ما يصنع من الضلالات المبتكرة الخبيثة . قال الامام ابن حزم فى آخر صفحة من الجزء الرابع من كتاب الملل والنحل « وما توصلت الباطنية الى كيد الاسلام وإخراج الضعفاء منه الى الكفر إلا على ألسنة الشيعة » وقال في آخر كلامه على فرق الشيعة : « واعلموا أن كل من كفر هذه الكفرات الفاحشة ممن ينتمى الى الاسلام فانما عنصرهم الشيعة والصوفية ، فان من الصوفية من يقول ان من عرف الله سقطت عنه الشرائع وزاد بعضهم واتصل بالله » بل نحن نقول إنما عنصر ذلك هم الشيعة وحدهم والصوفية أنفسهم انما عنصرهم الشيعة . فالى الشيعة يرجع هذا البلاء كله . ومنهم يبدأ ، وقال ابن قتيبة في كتاب تأويل مختلف الحديث : « ولا نعلم فى أهل البدع أحداً ادعى الربوبية غير الرافضة . فان عبد الله بن سبأ ادعى الربوبية لعلي ، ولا نعلم أحداً ادعى النبوة لنفسه غيرهم . فان المختار بن أبي عبيد ادعى النبوة لنفسه وقال ان جبريل وميكائيل يأتيان الى جهته فصدقه أصحابه واتبعوه وهم الكيسانية » وقال الامام المقبلي فى كتابه العلم الشامخ « قال بعض العلماء ائتنى بزيدى صغير أخرج لك منه رافضيا كبيرا ، وائتنى برافضى صغير أخرج لك منه زنديقا كبيرا يريد أن مذهب الزيدية يجر الى الرفض ، والرفض يجر الى الزندقة » هذا كلام المقبلى ، ولهذا كانت الدول المنتسبة الى الرافضة من أكفر الخلق وأكثرهم افتتانا بالالحاد والضلال ومخاصمة الاسلام والمسلمين ، والمثل الأعلى لهم الفاطميون والاسماعيلية والقرامطة ، وكم لقى الاسلام والمسلمون من ويلات هؤلاء المتشيعين فالمؤرخون البصراء بالتاريخ وبنشوء النحل والأهواء فى الاسلام لا يشكون أن أصل مذهب التشيع مؤسس بالنفاق والكيد للاسلام ، وأن وضعته ما كانوا مؤمنين بل كانوا ملحدين كذابين ادعوا الاسلام لحربه من قريب ، وهؤلاء هم رؤساؤهم أما جهور الشيعة فقد يكونون مخدوعين حسنى النية والقصد لا يضمرون الكفر

والغدر بالاسلام ، ولكن جاءهم هذا البلاء من جانب الجهالة والضلالة وخديعة زعمائهم الحكمة المبرمة ، هذا ما كان من مذهب الشيعة وابتدائه

وأما أصل مذهب الخوارج فلا ريب أنه ليس قائما على الالحاد والكفر وارادة السوء بالاسلام ، ولكنه قائم على الجهالة والضلاله وضعف البصر بالدين وضآلة العقل . فداؤهم هو الجهل ، وهذا الشيعى يعترف بهذه الحقيقة ، ويعترف أن الخوارج كانوا يطلبون الحق ، ولكنهم قد أخطأوه ، وقد نقل عن على فى كتابه أنه قال « لا تقاتلوا الخوارج بعدى فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه » ولهذا كان الخوارج فى غاية الاجتهاد والحرص على العبادة والخير وأشتات الطاعات ، وكانوا يتهالكون على نصرة الحق الذي يقتنعون به ، ويقذفون بأنفسهم فى أكناف الموت والهلكة فى سبيل نصرة عقيدتهم ونصرة الأمر الذى يرونه حقا وهدى ، وقد كانوا يجاهرون بعقيدتهم فى كل مكان وزمان لا يرهبون سلطانا ولا يرهبون قتلا أو سجنا أو مصادرة ، وكانوا يمقتون التقية التى يقول بها الشيعة ، وكانوا ميالين نزاعين للصدق وقول الحق يمقتون الكذب والنفاق والادهان فى الدين وفى أمر الله وهذا كله لأجل إرادتهم الله ولأجل مالديهم من حسن النية وسلامة القصد ، وما كان بلاؤهم سوى الضلالة والجهالة ولأجل ذلك رجع أكثرهم لما خرجوا على على وأكفروه فذهب اليهم هو وعبد الله بن عباس فكلماهم وأرياهم مواقع غلطهم ، وذلك لأنه لا غرض لهم أو لأكثرهم غير الحق ونصرته ؛ ولهذا رجعوا لما أن سفر لهم جبين الهدى فأبصروه وعرفوه بخلاف وضعة مذهب الشيعة . فانهم ادعوا الألوهية فى على فأنكر ذلك عليهم وهاله فاستتابهم . فأصروا على ماقالوا وأبوا تصديق من زعموه الها وكيف يكون إلها ثم يكذب ؟ أم كيف يكون إلها فيعصوه كفاحا لأجل طاعته على مازعموا ؟ وكيف يعذبهم على ماقالوا إذا ما كان حقا ؟ وكيف يطالبهم بالرجوع عن مقالة

الحق ؟ وكيف يهرب منه زعيمهم عبد الله بن سبأ ؟ وأين المفر من الاله ؟ لاريب أن بعض هذا يدل على أنهم منافقون ، وأنهم لا يريدون الحق ، وأنهم فى زعمهم ألوهية علىّ كاذبون مخادعون لا معتقدون ولا مؤمنون ، وهذا من الامور الظاهرة لدينا ولدى أهل البصر بالدين ونشوء الأهواء والعقائد فى الاسلام . واذا كان ذلك كذلك فلا ريب أن من ادعوا الاسلام والايمان نفاقا وخداعا واضرارا به وبأهله شر ممن دخلوا الاسلام وأرادوه حقا باخلاص وصدق ، ولكنهم ضلوا وأخطئوا فقالوا أقوالا باطلة منكرة وابتدعوا بدعا سخيفة كما أتيح للخوارج ، فلا ريب إذن أن الشيعة شر من الخوارج وأنأى عن الحق والدين ، وهذا كما نقل هذا الرافضى عن الامام على أنه قال : « ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه »

ومما يدل على أن الرافضة أبعد من الخوارج أن عليًا حرق الشيعة الغالية وقضى عليهم بالموت تحريقا لما أن بلغته مقالتهم وظفر بهم ولم يدع منهم إلا من لم يستطعه . أما الخوارج فانه لم يقاتلهم ولم يبدأهم بالحرب حتى بدؤه هم وقتلوا من قتلوا من أصحابه ، والمحفوظ عنه أنه قال للخوارج لما أن خرجوا عليه : « لكم علينا ألا نمنعكم من المساجد وألا نمنعكم من الفىء وألا نقاتلكم حتى تقاتلونا » وحفظ عنه أنه سئل عنهم : أكفار هم ؟ فقال : لا . فقيل له : أمنافقون ؟ قال لا . فهو لم يحكم بكفرهم ولم يقاتلهم إلا بعد أن قاتلوه وقتلوا من قتلوا وقطعوا الطريق وأخافوا السبيل وأقلقوا الأمن والسلام . أما الشيعة الغالية فانه عاقبهم أصرم العقوبات بمجرد أن سمع مقالتهم فأصروا عليها . وهذه براهين تدل على مقدار الفرق بين الطائفتين وتدل دلالة جلية على أن الشيعة شر من الخوارج

(ثانى الأمور)

ان باطل الخوارج وأول منكر جاءوا به هو قدحهم فى الامام على وفى خلافته ثم الخروج عليه واستحلال قتله وقتاله ، وهذا أول منكر جاءوا به وأعلنوه ، وهذا ولا ريب ذنب عظيم . ولكن ما عند الشيعة من هذا أفظع وأعظم . وذلك أن الشيعة يكفرون من هم أفضل من على ومن معه من الصحابة ، ويستحلون قتالهم وقتلهم . فهم يكفرون أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة وطلحة والزبير وجميع الصحابة ما خلا شرذمة قليلة . وأما الجمهور فكفار منافقون لديهم يجب قتالهم والخروج عليهم بلا ريث ولا هوادة . وقد نقلوا فى كتبهم وعن أئمتهم من القدح والطعن فى الصحابة ما هو فى غاية النكر والبذاءة والفحش ، مقالات نحسب الخوارج لا يستطيعون روايتها والتحدث بها فضلا عن ابتداعها ثم اعتقادها . وقد نقلنا فى هذا الكتاب أشياء من ذلك غاية فى الخروج على الأدب والحياء . مثل قولهم أن الجبت والطاغوت هما أبو بكر وعمر ، وأن البقرة المأمور بذبحها هى عائشة ، وأن أئمة الكفر هم طلحة والزبير ، وأن الذى قال للانسان اكفر هو عمر ، الى غير ذلك من المقالات التى لا يقولها ملحد عاقل فضلا عن مؤمن بالله ورسوله وباليوم الآخر ، ولا نحسب الخوارج يستطيعون التفوه بهذه المقالات لما فيها من فساد الذوق وفحش التعبير

ولا ريب أن من يكفر الصحابة جميعاً إلا القليل ، ومن يكفر أفضل الأمة كأبى بكر وعمر وأمهات المؤمنين شر ممن يكفر عثمان فى شطر من حياته وعلياً فى شطر من حياته أيضا فلا شك إذن أن الشيعة شر من الخوارج من هذه الناحية : ناحية العدوان على عقائد المسلمين وايمانهم ، وهذه الناحية هى أبرز ناحية فى الخوارج ، وهى من أعظم ما ابتدعوا وابتكروا . وقد بذتهم فيها طائفة الشيعة

وسبقتهم سبقا مبينًا كما رأيت ، فهي بلا شك شر منهم

(ثالث الأمور)

لا نشك فى أن لدى الخوارج من الأخلاق الفضلى والسجايا المحمودة كالصدق والاستقامة والشجاعة والدين والتقوي والجد فى العبادات والنأى عن مواطن الذم والضعف والسوء مالم يوجد لدى طائفة الشيعة ، فان الخوارج كانوا من أصدق الناس والشيعة من أكذبهم ، والخوارج من أشجع الناس والشيعة من أجبنهم ، والخوارج من أعبد الناس كما جاءت بذلك النصوص وكما قرر ذلك التاريخ ومنه تاريخ المخالفين والشيعة من أقل الناس دينا ، والخوارج من أقول الناس للحق وأجرئهم عليه والشيعة من أكتمهم للحق وأبعدهم وأجبنهم عنه . وإجمالا ما من خلق فاضل طيب صالح إلا والخوارج يفضلون الشيعة فيه ويسبقونهم اليه ، وان لدى الخوارج أخلاقا وفضائل مرضية لم يكن للشيعة منها لا قليل ولا كثير . فقد دلت حروب الخوارج ومنازلتهم مخالفيهم ودلت مواقفهم الصارمة مع الخصوم على أنهم من أشجع الناس وأصدقهم وأفرسهم وأخلصهم نية وقصداً وعلى أنهم من أزهد الناس فى الدنيا ومن أبعدهم عن الحرام وركوب الآثام ودلت حروب الشيعة ومواقفتهم الخصوم على أنهم بعكس الخوارج فى ذلك كله وأنهم من أكذب الناس وأسوئهم قصداً وأضعفهم قلوبا وأجزعهم عند الحروب ، وأكثرهم تهافتا على الدنيا ولذاتها . وقد دل على ذلك كله خذلانهم عليًا وبنيه ذلك الخذلان المتواصل المتلاحق المسبوق بأنواع الخداع والتغرير . وقوام أمر الشيعة شيئان : النفاق والدس . وقوام أمر الخوارج شيئان : الشجاعة والاندفاع فى نصرة مايعتقدونه حقًا . فالخوارج يعملون بما يعلمون بصبر وجلد ومثابرة عجيبة ، ويجاهدون مخالفيهم بشجاعة وإقدام وصدق وصرامة ، والشيعة لا ينصرون

ما يزعمونه الحق من المعتقدات الا بالخداع والمكر والدسائس ، ولهذا كانت التقية قوام أمرهم ؛ وكانت هي الأمر الذي به يعنون وله يهتمون . فحروبهم هي اغتيال وكيد ونفاق وتحريش ، ولهذا نجد علماء الحديث والرواية يفرقون بين الخوارج والشيعة فهم يروون عن غلاة الخوارج ويصححون أخبارهم ويحتجون بها لأن الخوارج وان كانوا ضلالا تائهين عن الحق لا يكذبون ، وكيف يكذبون وهم يعدون الكذب كفرا موجبا الدخول في النيران . ولكنهم لا يروون عن غلاة الشيعة ولا يحتجون برواياتهم والمحدثون لا غرض لهم في حب هؤلاء ولا بغض هؤلاء ، ولكن غرضهم هو الحق وحده . وكثيرون من أهل الحديث يرغبون عما رواه الرافضة مطلقا . لأنهم أجرياء على الكذب والزور كما فعل هذا الشيعي في كتابه هذا . فانه حشاه وطمه بالأكاذيب المقوتة تعمدا وقصدا ، وقد روى الامام البخاري في صحيحه عن عمران بن حطان شاعر الخوارج وخطيبهم المفوه وداعيتهم الأشهر ، وهو الذي امتدح عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي رضي الله عنه وأبياته في هذا مشهورة أولها :

يا ضربة من تقي ما أراد بها　　إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

فهذا الخارجي معدود لدى المحدثين ولدى أهل السنة جميعاً من غلاة الخوارج الضلال ومن دعاتهم ومع هذا كله روى عنه البخاري في صحيحه والبخاري معروف أمره وتشدده في الرواية ، وكتابه معدود أصح كتب الحديث عند أهل السنة من المسلمين وأدقها شروطا وشرائط ، ونحن نعلم يقينا أن البخاري لا غرض له في هذا سوى الحق والحق وحده ، وقد قال أبو داود : ليس في أهل الأهواء أصح رواية من الخوارج ؛ وقيل ان حديثهم أصح الأحاديث ، وقال الحافظ ابن حجر في مقدمة فتح الباري « . . . والبدعة الموصوف بها اما أن تكون مما يكفر به أو يفسق ، فالمكفر بها لا بد أن يكون ذلك التكفير متفقاً عليه من قواعد جميع الأئمة

كما فى غلاة الرافضة من دعوى بعضهم حلول الالهية فى على أو غيره ، أو الايمان برجوعه الى الدنيا قبل يوم القيامة ، أو غير ذلك ، وليس فى الصحيح من حديث هؤلاء شيء ألبتة ، والمفسق بها كبدع الخوارج والروافض الذين لا يغلون هذا الغلو وغير هؤلاء من الطوائف المخالفة لأصول السنة خلافا ظاهرا لكنه مستند الى تأويل ظاهره سائغ ، فقد اختلف أهل السنة فى قبول حديث من هذا سبيله اذا كان معروفا بالتحرز من الكذب ، مشهورا بالسلامة من خوارم المروءة ، موصوفا بالديانة والعبادة : فقيل يقبل مطلقا ، وقيل يرد مطلقاً ، وقيل بالتفصيل »

فالرافضة الغلاة مردودو الرواية مطلقاً كما ذكر الحافظ ابن حجر وأما الخوارج وبعض الشيعة غير الغلاة ففى هؤلاء الخلاف على ما ذكر . وفى الواقع أن الرافضة كلهم غلاة الا من شاء الله ، ولكنهم يستترون بالتقية ويكتمون أحيانا غلوهم الشديد عملا بهذه التقية . وأنت اذا راجعت ما ذكره ابن حزم والشهرستانى فى كتاب الملل والنحل عن طوائف الشيعة علمت أن القوم كلهم غلاة وفوق الغلاة أيضا . وليراجع ما نقلناه فى صدر الكتاب عن الشيعة

فليس فى فرق الخوارج من يرد حديثه مطلقا على ما ذكر الحافظ ابن حجر أما الشيعة فيرد حديث الغلاة منهم مطلقا ، وذلك لسوء اعتقادهم وجراءتهم على الكذب وشهادة الزور . قال أشهب سئل مالك عن الرافضة ، فقال : لا تكلمهم ولا ترو عنهم فانهم يكذبون . وقال حرملة سمعت الشافعى يقول لم أر أحدا أشهد بالزور من الرافضة . وقال يزيد بن هرون نروى عن كل صاحب بدعة اذا لم يكن داعية الا الرافضة فانهم يكذبون . وقال شريك احمل العلم عن كل من لقيت الا الرافضة فانهم يضعون الحديث ويتخذونه دينا .. وقال الأعمش أدركت الناس لا يسمونهم الا الكذابين. وقال الأعمش أيضا : لا عليكم أن تذكروا هذا ، فانى لا آمنهم أن يقولوا : انا أصبنا الأعمش مع امرأة

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : هذه آثار ثابتة صحيحة رواها أبو عبد الله بن بطة فى كتاب « الابانة » الكبرى هو وغيره ذكره فى منهاج السنة الجزء الاول ص ١٤

ومن تأمل فى كتب الرجال وكتب الجرح والتعديل القديمة والحديثة وجد المحدثين ونقدة الرجال وعلماء السنة والأثر يحاذرون الشيعة والرواية عنهم كل الحذر ويزهدون فى أخبارهم ويوهنون الاحاديث المروية عنهم كل التوهين ، لان الرافضة معروفون لديهم بالكذابة وصنع الأخبار تدينا ، أو خداعا وضرارا بالاسلام والمسلمين . ولا نجد نقدة الرواة والروايات يقدحون في طائفة مثل قدحهم في الرجال المشهورين بالرفض وفى ما يروون . ومن أشد القدح فى الرجل أن يقولوا : رافضى ومن أشد التوهين للحديث أن يقولوا ان فى سنده راويا رافضيا أو شيعيا غاليا

وبالاجمال لا خلاف بين علماء السنة والحديث والأدب والتاريخ أن الخوارج خير حالا من الرافضة ، ولا خلاف أنهم يفضلونهم ويفوقونهم فى أكثر أبواب الخير والفضل وأفانين المحاسن والفضائل وان الرافضة يفضلون الخوارج ويفوقونهم فى النفاق والخداع والكذب وخبث الطوية والسريرة وفى الضعف والجبن والعجز عن القيام بالحق الذى معهم والانتصار لما قالوا انه حق

واستمع الى موقف أحد الخوارج بين يدى زياد ابن أبيه ... قال الشهرستانى فى كتاب الملل والنحل : « ونجا عروة بن اذينة من حرب النهروان وبقى الى أيام معاوية ثم أتى الى زياد ابن ابيه ومعه مولى له ، فسأله زياد عن أبى بكر وعمر فقال فيهما خيرا ، ثم سأله عن عثمان ، فقال كنت أتولاه على أحواله ست سنين ثم اتبرأ منه بعد ذلك للاحداث التى أحدثها وشهد عليه بالكفر ، فسأله عن على رضى الله عنه فقال أتولاه الى أن حكم ثم اتبرأ منه بعد ذلك ، وشهد عليه بالكفر ، فسأله عن معاوية فسبه سبا قبيحا ، ثم سأله عن نفسه ، فقال : أولك لزنية ، وآخرك لدعوة ، وأنت ما بين ذلك عاص ربك . فأمر به زياد فضربت عنقـه ، ثم دعا

مولاه وقال صف لي أمره واصدق ، فقال أطنب أم اختصر ؟؟ فقال بل اختصر ، فقال ما أتيته بطعام في نهار قط ، ولا فرشت له بليل فراشا قط . هذه معاملته واجتهاده ، وذلك خبثه واعتقاده »

وهذا مثل من أمثال صدق القوم وشجاعتهم وقولهم لما يرونه حقا لا يخشون سلطانا ولا قتلا ولا تعذيبا . وفي هذا الدليل على شدة اجتهادهم في الدين والعبادة وعلى أنهم ما اصيبت مقاتلهم الا من جهة الجهل والضلال ، ونصيب الرافضة من هذا أوفر من نصيبهم بلا شك

فالخوارج خير منهم حالا بلا نزاع بين أهل العلم والبصر

(رابع الأمور)

ان لدى الشيعة عقائد منكرة انفردوا بها وحدهم لا يقول بهـا الخوارج ولا يشار كونهم فيها ، وهـذا النوع كثير معروف . من ذلك قولهم بعصمة الأئمة ، وأنهم لا يغلطون ولا يقولون غير الحق لا سهواً ولا عمداً ، وأنهم مثل الأنبياء في ذلك بل أفضل وأصدق . ومثل قولهم برجوع الأئمة بعدالموت وبعد الغيبة الطويلة وكزعمهم أن علياً في السحاب وأن البرق تبسمه والرعد صوته ، ومثـل قولهم في آخر أئمتهم الثاني عشر أنه غاب واختفى في سرداب في سر من رأى وأنه سوف يعود الى الظهور فينتقم من النواصب أي أهل السنة ، ومن ذلك قولهم بالتناسخ تناسخ الأرواح . ومن ذلك أيضا زعمهم أن القرآن محرف وأنه حذف منه ثلاثة أرباعه ، ومن ذلك زعمهم أن هنالك نسخة هي الصحيحـة للقرآن كتبها علي وأنه سوف يظهرها ، وأنه كان لدى فاطمة أيضاً مصحف ، ومن ذلك اتهامهم جبريل بالغلط ، وزعمهم أنه كان مرسلا الى علي فغلط فنزل بها على محمد ﷺ . وهؤلاء هم الغرابية منهم . ومنهم من يزعمون أن جبريل تعمد ذلك ولهذا يعادونه ويمقتونه

ومن ذلك تحريفهم القرآن التحريف الذى لا يخطر على بال من يريد الحق ورضا الله ، وقد ذكرنا من هذا التحريف نماذج فى أول الكتاب وفى ثناياه ، ومن ذلك قولهم بالبداء على الله أى وصفه بالعلم بعد الجهل . ومن ذلك نزوعهم الى التشبيه كما كان ينزع الهشامان منهم ، وأن الله على صورة الانسان ، وأن طوله كذا وعرضه كذا ، وقد تقدم نقل هذا عنهم ، ومن ذلك قول بعضهم بفناء الجنة والنار ، قال ابن حزم : « وفى الكيسانية من يقول ان الدنيا لا تفنى أبداً » ومن ذلك قولهم بالنبوة بعد محمد ﷺ وقولهم بأنبياء كثيرين بعد النبوة المحمدية ، قال ابن حزم فى الملل والنحل : « وقالت طائفة منهم ان على بن أبى طالب والحسن والحسين وعلى بن الحسين ومحمد بن على وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلى بن موسى ومحمد بن على والحسن بن محمد والمنتظر . ان هؤلاء أنبياء كلهم » . وقد ذكرنا فى مقدمة الكتاب نقلا عن كتبهم ما يثبت أنهم يرون الأئمة أنبياء وفوق الأنبياء ، ومن ذلك قول طوائف منهم باسقاط الشرائع وإحلال الحرام وكل شيء ذكره ابن حزم والشهرستانى فى الملل والنحل وغيرهما ، وكذلك أسقطوا الواجبات من الصلاة والصيام والحج والفرائض الأخرى . ومن ذلك قولهم بالهية آدم والأنبياء بعده نبياً نبياً الى محمد ﷺ ، ثم بالهية على عليه السلام . قال ابن حزم : « وفرقة قالت بالهية آدم والنبيين بعده الى محمد ﷺ ثم بالهية على ثم بالهية الحسن ثم الحسين ثم محمد بن على ثم جعفر بن محمد . وأعلنت ذلك الخطابية نهاراً بالكوفة فى ولاية عيسى بن موسى ، فخرجوا لصدر النهار فى جموع عظيمة ينادون بأعلى أصواتهم : لبيك جعفر ، لبيك جعفر . قال ابن عياش وغيره كأني أنظر اليهم يومئذ فخرج اليهم عيسى بن موسى فقاتلوه فقتلهم واصطلمهم . ثم زادت فرقة على ما ذكرنا فقالت بالهية محمد بن اسماعيل بن جعفر وهم القرامطة . ومنهم من قال بالهية أبى سعيد الحسن بن بهران الجنابى وأولاده من بعده . ومنهم من قال بالهية أبى القاسم النجار

القائم باليمن في بلاد همدان المسمى بالمنصور » هذا ما ذكره ابن حزم وساق بعده كثيرين ألمتهم طوائف من الشيعة . قال « وكل هذه الفرق ترى الاشتراك في النساء » ومن ذلك قول طوائف منهم بحلول الله في ذوات أئمتهم ومشايخهم . ومن ذلك أنه قد نبغت منهم فرق هي أكفر من جميع أهل الملل وأشد حمقا من جميع الحق المشركين وهؤلاء كالنصيرية والاسماعيلية والقرامطة . فهذه الفرق معدودة من فرق الشيعة بلا خلاف بين المؤلفين في الملل والنحل كالشهرستاني وابن حزم وغيرهما ، بل الشيعة أنفسهم يعدونهم منهم ، وهذه الفرق أشد ضرراً على الاسلام والمسلمين من اليهود والنصارى ، وأبعد عن الاسلام وعن جميع الأديان وأكفر بالله وبرسله وكتبه وباليوم الآخر وأصول الأخلاق التي اتفقت عليها كل الديانات الى غير ذلك من عيون الضلالات التي انفردت بها طائفة الشيعة دون الخوارج بل ودون أعظم الطوائف إلحاداً وزيغاً ، وهذه الضلالات الشيعية لا يوجد لدى الخوارج ما يعادلها ويساويها حماقة وقبحا ونأيا عن المعقول والمنقول . واننا نحيل القارىء الى ما ذكر في أول هذا الكتاب عن طوائف الشيعة وما اختصت به من الجهل والهوى

وحينئذ يبدو للقارىء الفرق واضحاً جليا بين الشيعة والخوارج ويعلم حينئذ أن الخوارج وهم من الضلال التائهين خير من الشيعة وأدنى الى الخير والدين والمعقول والأخلاق الفضلى

والبرهان القاطع على أن هؤلاء شر من هؤلاء أن هذين المذهبين قد بزغ قرناهما في زمن الخليفة علي وزمن الصحابة وأئمة التابعين ، فعاقب على الطائفتين وأوقع بالفريقين ، ولكن لينظر الفرق بين ما فعله بهما من العقاب والعذاب . أما الخوارج فانه لم يقاتلهم ولم يستحل دماءهم حتى بدؤا هم بالقتال وحتى قتلوا من المسلمين من قتلوا وحتى أخافوا الطريق وأقلقوا الأمن . بعد هذه الأمور وبعد أن استتابهم

ودعاهم الى الحق والى الاقصار عن سفك الدماء وعن هذا العدوان كي يدعهم وما يعتقدون . بعد هذه الأمور كلها قاتلهم فى حكم الدفاع واستأصل شأفتهم اضطرارا وقد حفظ عنه أنه لم يكفرهم ولم يحكم عليهم بالردة وبالخروج من الاسلام . ولهذا لم يستحل أموالهم ولا سبى نسائهم وذرياتهم ، وقد سئل عنهم : أهم منافقون ومشركون ؟ ؟ فكان جوابه : انهم ليسوا مشركين ولا كافرين فقيل له : ما هم إذن ؟ قال : هم اخواننا بغوا علينا فقاتلناهم . وقد نقل الرافضى عن على أنه قال : لا تقاتلوا الخوارج من بعدى ، فانه ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فاصابه ، وقد تقدم هذا ، والشيعة يزعمون أن عليا عنى بالذين طلبوا الباطل فأصابوه معاوية ومن معه من الصحابة والتابعين كما فسره صاحب نهج البلاغة ، فمعاوية ومن معه من المسلمين هم شر عند القوم وعند على على زعمهم من الخوارج ، هذا موقف على من الخوارج ، أما موقفه من أوائل الشيعة الذين نبغوا فى عصره ، فكان موقفا أصرم وأشد ، وذلك أنه ما ظفر بهم ووقعوا فى قبضته حتى أعظم أمرهم وما جاءوا به فاستتابهم فأصروا فأضرم النيران وحرقهم فيها ، وما سلم من ذلك إلا من أعياه طلبه ومن فر بكفره وجلده الى سقر الله وعذابه . هكذا كان موقف على من الطائفتين ، وهذا الموقف يبين لنا الفرق واضحا بين الطائفتين ، ويوضح جليا أن الشيعة شر من الخوارج وأحق بمزيد العقاب والعذاب والتأديب الوجيع

ومن أبين البراهين على أن الشيعة الغالية شر من الخوارج أن السبئية والاسماعيلية ومن غلا غلوهم من فرق الشيعة كفار باتفاق المسلمين وباتفاق العلماء الذين أدركوهم وعلموا ما كانوا عليه

وأما الخوارج فقد اتفق الصحابة على أنهم غير كفار ، وقد تقدم قول على فيهم ، وأنه لم يكفرهم لا هو ولا أحد من الصحابة ، بل كانوا يعدونهم مسلمين

ظالمين خارجين . ولهذا قاتلوهم واتفقوا على حربهم ، ولكنهم لم يستحلوا أموالهم ولا نساءهم وذرياتهم ، لأنهم قاتلوهم دفعا لشرهم وعدوانهم لانهم يكفرون مخالفيهم ويستحلون قتالهم وقتلهم . ولو كانوا يعتبرونهم كفارا لاستحلوا أموالهم وذرياتهم لان الكفار هكذا يعاملون . ولما أن ضرب عبد الرحمن بن ملجم عليا رضى الله عنه وقبضوا عليه وأرادوا قتله قال على دعوه فان مت فاقتلوه قصاصا وان عشت رأيت فيه رأيى . وهذا يدل على أنه لا يعده كافرا والا لأمر بقتله لردته . وقد كان رجال من الخوارج ومن زعمائهم يستفتون الصحابة كعبد الله بن عباس فيفتونهم كما يفتون المسلمين ، وقد قدمنا أن المحدثين كانوا يروون عن الخوارج وعن زعمائهم ورجال دعوتهم . وقدمنا أن البخارى قد روى فى صحيحه عن عمران بن حطان شاعر الخوارج الذي امتدح قاتل على عبد الرحمن بن ملجم . وأحاديث البخاري من أصح الاحاديث عند المسلمين . ولو كانوا كفاراً لما استجازوا الرواية عنهم ولما روى عنهم البخارى فى أصح كتب الاسلام بعد القرآن . فالصحابة والتابعون ومن بعدهم من أئمة الدين لم يعدوا الخوارج كفارا . أما غلاة الشيعة كالسبئية والاسماعيلية والقرامطة فلا خلاف فى كفرهم . وهذا برهان مستقل على أن هؤلاء القوم شر من الخوارج وأبعد عن الله وعن دينه وعن أهل السنة والجماعة

وقد جاءت أحاديث نبوية فى ذم الشيعة والتحذير منهم تنصيصاً وتخصيصاً . وقد قدمنا هذه الأحاديث فى صدر كتابنا . وتلك الأحاديث سواء أصحت أسانيدها أم لم تصح فمعناها صحيح . فان القوم رفضوا الاسلام ولفظوه ، وعبدوا المخلوق وألهوه ، وادعوا أعظم دعوى فى الاسلام ، وخرقوا فيه أعظم خرق فى إبان عنفوانه وفورته فى عصر الخلفاء الراشدين ، وقد قالوا لأحد أركان التوحيد الذين لا تزال أسيافهم تقطر من دماء الشرك والمشركين ، والكفر والكافرين : أنت الله ! أنت خالقنا ورازقنا . فقال لهم ويحكم ، انما أنا عبد من عباد الله ، بشر

مأسور بأعراض البشرية ، آكل وأشرب وأحتاج حاجات الانسان ، وحاجات المخلوق الضعيف المربوب المسير المصير ، فما أنا وما تدعون ، وأين أنا من مقام الألوهية ؟ ويحكم ! ارجعوا عن هذا الاثم وهذا الحدث الأعظم . ان سيفي وسيوف اخواني الصحابة لم تجف بعد من دماء الشرك والوثنية . أأليوم تدعون هذه الدعوى ولما يمض إلا قليل ، وهذه معالم الشرك لا تزال ماثلة خاوية محطمة تبصرونها وتبصرون فيها آثار طعنات التوحيد وضرباته تنذركم بأننا ماقمنا ولا كنا إلا لمناهضة الشرك وتدمير الوثنية ؟ أفيّ تدعون هذه الدعوى ثم تأتون لتنثروها بين يدي ؟ ويلكم مني ثم ويلكم من الله ربكم ، ثم ويلكم من ناره وعقابه . ثم الويل لكم أبداً حيث تحلون وحيث ترحلون ؟ فماذا قالوا لالههم الذى زعموا ، وربهم الذي ألهوا عندما سمعوا قوله هذا ؟ انهم قالوا له لقد كذبت ، وما صدقت . فأنت إلهنا حقاً ولكنك تكذب وما تصدق ! ويل القوم أو يكذب الاله ؟ أو ينهى عن عبادته ويغضب على من عبده ؟ أي اله هذا ، وأى نفوس هذه ؟ ويل القوم يعبدون الها لم يأمرهم بعبادته ثم لما أن رأوا ذلك الاله وسمعوا قوله ونهيه أكذبوه ولم يطيعوه ! أفيعبدون من يقولون له كذبت شفاها . أفيعبدون من يعاقب على عبادته ومن ينهى عنها ؟ لقد ضعف الطالب والمطلوب والرب والمربوب

هؤلاء هم الرافضة ، وهؤلاء هم الذين رفضوا الاسلام حقا ، ولفظوه بلا شك وهؤلاء هم شر من الخوارج ومن غير الخوارج وممن هم شر من الخوارج

شبه الشيعة باليهود

تشبه الشيعة اليهود من وجهات ووجوه كثيرة . ولا عجب فى الأمر ، فان أصل المذهب الشيعى كما قد ذكرنا مرات قد وضعه اليهود وأسسوه ودعوا اليه سرا وجهرا حتى قام وصار مذهبا مستقلا مباينا المذاهب والنحل مخالفا لها بميزاته

وخصائصه الكثيرة المختلفة ، فان عبد الله بن سبأ وهو من أصل يهودي ، أظهر الاسلام لما رأى فعلاته ووثباته القوية التى سحقت اليهود وغير اليهود من أهل الأديان الباطلة والملل الفاسدة ، ولم يكن أسلم قلبه ولا آمن باطنه ولكنه ادعى الاسلام مكيدة وغدراً ونكاية لها نظائر وأشباه اليوم بين المسلمين وبين خاصة المؤمنين ، وغريب من هؤلاء أن ينكروا الدعوة الى الدين الصحيح قسراً وهم يبيحون الدعوة الى الأديان الباطلة والالحاد المر خداعا ونفاقا ! فلما أن أظهر هذا اليهودى الاسلام الممزوج بالتشيع ووجد من لبوا دعوته راح فى جد ونشاط ودؤوب يهودي يملى العقائد اليهودية على المسلمين الضالين ، والعقائد الباطلة الملحدة حتى قام من ذلك المذهب الشيعى خليطا من الوثنية واليهودية والنصرانية ومن شر الأديان ، ومن الاسلام خير الأديان أيضا . وقد كان منافقو الأمم ودهاتها الخبثاء يجدون لمكايدهم ومصايدهم مراتع خصبة بين طوائف الشيعة ينثرون فيها آراءهم وبذورهم ، فلا تلبث أن تثمر الثمرات المرة ، ولا تلبث أن يتكاثر ثمرها المرير وتتفرع عنها الفروع والأصول والأشياء الأخرى ، وكان هؤلاء الكائدون المنافقون لا يجدون مأوى يرضونه ولا قبولا يرتاحون الى نتيجته عند غير طوائف الشيعة ؛ حتى انهم لا يجدون ذلك عند الخوارج أنفسهم الذين هم من أضل الفرق ومن أكثرها شراً وبلاء وجهلا ، ولأجل هذا ادعى الاسلام المتشيع أقوام كثيرون كان غرضهم محاربة الاسلام الصحيح ومحاربة أهله من كثب . فادعى هذا الاسلام المتشيع آحاد وجماعات من سائر الأمم والشعوب والملل خصوا بالدهاء العظيم والمكر السيء والطوية الماكرة الخبيثة . فأحدثوا فى الشيعة المحسوبة على الاسلام الأحداث الكبرى والآراء النكراء ، ومثلوا بالاسلام أشنع التمثيل . وأنت اذا درست المذهب الشيعى واجد فيه من كل الملل أفسدها وأبطلها وأقربها الى الجهالة والنكارة . ولكن المذهب يمتاز بالمفردات اليهودية المتكاثرة . والسبب الظاهر فى

هذا أن المذهب كان واضعه الأول يهوديا كما ذكرنا . وقد أدخل فيه ما استطاع من اليهودية وغيرها من أثيم الآراء والعقائد

قال الشهرستاني في كتابه الملل والنحل : « وإنما نشأت شبهاتهم (أى الشيعة) من مذاهب الحلولية ، ومن مذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى ، إذ اليهود شبهت الخالق بالمخلوق ، والنصارى شبهت الخلق بالخالق فسرت هذه الشبهات في أذهان الشيعة الغلاة ، حتى حكمت بأحكام إلهية في حق بعض الأئمة ، وكان التشبيه بالأصل والوضع في الشيعة » فالشيعة تشابه اليهود من وجوه كثيرة

من ذلك أن الشيعة تقول بالبداء على الله واليهود تقول بذلك أيضا ، والمراد بالبداء أن الله يقول شيئا ثم يبدو له أي يظهر له أن المصلحة والحكمة في خلاف ذلك فيبدل ذلك القول ويريد غيره ، وهـذا وصف لله بالجهالة . تعالى الله عن قول الجاهلين

ومن ذلك أن اليهود يقولون بالتشبيه تشبيه الله بخلقه ، فيصفونه بالحزن والبكاء واللغوب وأعراض النقص ، وكذلك الشيعة يشبهون ، ويصفون الله بصفات الخلق والنقص ، وقد قدمنا ذلك ، قال الشهرستاني « وكان التشبيه بالأصل والوضع في الشيعة » وقال مثل هذا في غير موضع من كتابه الملل والنحل ، وكذا قال غيره كالأشعري وابن حزم ، وقال ابن حزم : « وكان داود الجوازى من كبار متكلمي الشيعة يزعم أن ربه لحم ودم على صورة الانسان »

ومن ذلك أن اليهود يعادون جبريل عليه السلام ويمقتونه ويقولون هو عدونا وكذلك الشيعة تقدح فيه وتمقته ، لأنه في زعمهم قد أرسل إلى علي فغلط فنزل على محمد عليه السلام . وبعضهم يزعم أن جبريل تعمد ذلك . وقد تقدم الكلام على هذا مرات

ومن ذلك أن الطائفتين قد ضربت عليهم الذلة والمسكنة فاليهود قد أخبر الله

عنهم بذلك وسجله عليهم فى الكتاب العزيز وقد أنبأنا به منذ أربعة عشر قرنا ونصف وأبانه بيانا صريحا واضحا ، ومن ذلك اليوم إلى اليوم واليهود لا يزالون يتقلبون فى الذلة والمسكنة والهوان ، لم تقم لهم قائمة ، ولم تثبت لهم دولة وقد حاولوا هذا مرات وإلى اليوم يحاولونه واستخدموا أموالهم الكثيرة الوافرة فى هذه الأمنية ولكنهم فشلوا وسيلازمهم الفشل في هذا أبداً ما داموا يهوداً ، وما داموا يخضعون للاخلاق والمعانى اليهودية ، وما دامت نفوسهم نفوسا يهودية . وكذلك الشيعة قد حاولوا مرات فى عصور مختلفة الاستبداد بالأمر والنهوض بأعباء الملك والسلطان وانتزاعه من أيدى أهله ، وقد نالوا جزءاً طفيفا من ذلك فى فترات من الزمن ، ودانت لقوتهم بعض الأقطار أحيانا قصيرة زائلة ، ولكنهم ما زالوا أذلة صاغرين حتى فى أيام دولتهم وسلطانهم ، وحتى فى الاقطار التى دانت لهم فى الظاهر واعترفت لهم بالملك . فانهم ما زالوا يخافون غيرهم من أهل السنة وغير أهل السنة وما زالوا يصانعونهم وينافقونهم ويستعينون بهم فى تثبيت دعائم ملكهم واقرار الأمر فى أيديهم وما استغنوا عن أهل السنة أو عن غيرهم فى عصر من العصور فى ضبط الملك وإقرار الأمر ، وما استغنوا عن مداهنتهم ومداجاتهم فى عهد من العهود عهود عزهم وعهود ذلهم ، بل كانوا أبدا فى حاجة إلى غيرهم ومصانعتهم ومعاونتهم فى جميع أمورهم سياسية وغير سياسية ، وما استقلوا بالأمر وضبطه من جميع الوجوه يوما من الأيام . ولهذا كانوا دائما في حاجة الى التقية أى النفاق ، وهم يمتدحون التقية ويروون لها فضائل ويستدلون لها بالقرآن ويروون عن أهل البيت النبوى فيها أشياء منكرة مكذوبة بلا ريب ، وما احتاجوا الى هذه التقية وافتقروا الى المصانعة دائما إلا لهوانهم وذلهم المؤبد ، وتجدهم فى كل مكان يكتمون مذهبهم ولا يكادون يبوحون به فى مكان غير مكانهم وعش غير عشهم وهذا المصنف نفسه يحوم حول هذه التقية كثيراً فى كتابه ويلجأ اليها فى أغلب مباحثه . ويقال انه يظهر الاعتدال

والقصد اذا ما جلس الى أهل السنة وخاطبهم وخاطبوه . وأنه لايبوح بمذهبه وتعصبه ضد الصحابة وأهل السنة بين أهل السنة ، وهذه تقية ومصانعة ان كان يفعل ذلك . وإلا فالرجل من الشيعة الغلاة ، وهو فى كتابه هذا يحتج كثيراً بكلام أهل السنة وكلام المحدثين والأئمة الأربعة وكلام أصحابهم من الفقهاء الذين يكفرون الرافضة الغلاة ويرمونهم بأشد المقادح ، ويُرى القارىء تلبيساً وغشا أنه يرضى قول هؤلاء العلماء ويقيم لأقوالهم وزنا وأنه يرى مايقولونه حججا ، ولكنه فى نفس الأمر ليس كذلك ، بل هو لا يرضى بأبي بكر وعمر وخيار الصحابة والمهاجرين حاكمين ولا يعتد بآرائهم وما أجمعوا عليه فكيف يعتد بأقوال الأئمة الأربعة وغيرهم من المحدثين الذين نهاية الكمال والفضل لديهم أن يتشبهوا بالصحابة وأن يكونوا من حزبهم المقتدين بهم

ولولا ما ضرب على هؤلاء من الذلة والمسكنة والصغار كما ضرب ذلك على اليهود لما كانوا فى حاجة الى هذه التقية أو هذا النفاق . والعزيز الحمى الأبى لا يرضى بالتقية ولا يلجأ اليها. وليس هنالك مايضطره اليها ولاما يقضي عليه بها وانما الذى يلجأ اليها هو الأذل أو الجبان . وهذا واضح . ولأجل هذا لايقول أهل السنة بهذه التقية الرافضية ولايبيحونها . بل هم يرونها من النفاق المزدرى المهين

فاليهود والرافضة فى هذا سواء وإخوان شركاء

ومن ذلك أن اليهود يحرفون الكلم عن مواضعه كما قال الله «من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه » وكذلك الرافضة يحرفون الكلم عن مواضعه بل هم عندي وعند من رأى تفاسيرهم للقرآن أفرس من اليهود في هذا الميدان وأسبق ، وقد وضعنا نماذج من ذلك فى ثنايا هذا الكتاب وفى مقدمته . وذلك كقولهم فى البقرة وفي الجبت والطاغوت وفى أئمة الكفر وفى الشجرة الملعونة فى القرآن ، وفى اللؤلؤ والمرجان وفى الكسف الساقط من السماء وفي البيان . الى غير ذلك من

تأويلهم القرآن ، ولقد جمع بهم هذا حتى أولوا الواجبات والمحرمات بأن المعنى بها رجال يراد موالاتهم ومعاداتهم . وقد دخل الباطنيون والملحدون من بابهم وسبيلهم ومذهبهم كما تقدم عن ابن حزم وغيره

ومثل هذه التأويلات هي عند المسلمين شر من الكفر بالنصوص . فلو أن الرافضة كفروا بتلك الآيات وكذبوها وقالوا انها من كلام البشر وكفروا بالقرآن لكان أخف من هذه التأويلات الباطلة ولا ستراحوا هم وأراحوا غيرهم من عنائهم وعناء تأويلاتهم ، ولبقى هـذا الباب باب التحريف الأحمق الأهوج مقفولا دون الاسلام ونصوصه ، فلم يلجه الملاحدة والباطنية وأهل النفاق والمكايد

وأرباب هذه التأويلات يعرفون ولا شك أنهم يحتالون للخلاص من هـذه النصوص احتيالا ، ويعلمون أنهم يفسرونها تفسيراً هو خلاف مايريده الله وخلاف ما يفهم جميع العقلاء منها ، ولهـذا فانهم فى الباطن يكفرون بالنصوص وينكرونها ويقابلونها بالجحود والانكار والازدراء ، وذلك أن المذهب أصالة موضوع على الالحاد والزندقة والكيد للاسلام ، وان كان هذا قد يخفى على عامة الرافضة وبعض خاصتهم ، فاليهود والرافضة فى هذا إخوان شركاء

ومن ذلك أن اليهود والرافضة لا يعدلون فى حبهم ولا بغضهم ، ولا يقتصدون فى توليهم ولا فى تبريهم ، بل كلتا الطائفتين مسرفة فى هذا وهـذا ، ظالمة فى هذا وذاك . فبينا ترى اليهود يغلون فى بعض الأنبياء وفى بعض الأحبار ويتخـذونهم آلهة وأربابا ، ويعبدونهم أنواع العبادات ويذلون لهم أعظم الذل ، إذا بهم يقدحون فى فريق آخر من الأنبياء ويهـدون اليهم شر التهم والعظائم ويرمونهم بالخبث وبما هو فوق الخبث كذبا وزوراً . كذلك الرافضة ، فبينا تراهم يغلون فى الامام على وبعض ذريتـه ويؤلهونهم ويزعمون أن الله حل فى ذواتهم لشرفهم وقداستهم ، إذا بهم يقـدحون فى الفريق الآخر من الصحابة والمسلمين أمر القدح

ويرمونهم بالكفر والنفاق وسوء الطوية وسائر الأدواء النفسيـة الاعتقادية كذبا وزوراً ، خلق يهودى وفعلة اسرائيلية موروثة مستعارة

ومن ذلك أن اليهود يستحلون دماء المسلمين العرب وأموالهم بكل الوسـائل بالخداع والربا الفاحش والاغتيال والغش وبمـا استطاعوا من الوسائل اليهودية ، ويقولون ليس علينا فى الأميين سبيـل كما فى القرآن ، كذلك الرافضة يستحلون دماء أهل السنة جميعا وأموالهم بكل الوسائل بالاغتيال والغـدر والاحتيال والغش وبما استطاعوا من صنوف الوسائل الباطلة ، والرافضة لا يستطيعون شيئا من ذلك إلا فعلوه وارتكبوه واعتقـدوه دينًا وقربة الى الله لأن أهل السنة جميعا نواصب كافرون لابأس فى النيـل منهم كل منال ، وقد نقلنا فيما مضى عن أحـد أئمتهم المعصومين عندهم قوله « خذ مال النـاصبى حيثما وجدته وادفع الينا الخمس » وقد ذكرنا نماذج من هذا فى مقدمة الكتاب

ومن ذلك أن اليهود يتعشقون القبور ويهيمون بها هياما ويصيرونها مساجد غلوا وافتتانا . وقد قال ﷺ « لعن الله اليهود والنصارى اتخـذوا قبور أنبيائهم مساجد » الى غير ذلك من الأحاديث التى سوف تأتى ، وكذلك الرافضة يغلون فى القبور والمشاهد غلواً قبيحاً ، غلو اليهود أو أشد ، ويتعشقونها كاليهود أو أشد حتى أصاروها مشاهد ومعابد ومساجد بل أصاروها كالكعبة ومشاعر الحج يحجون اليها كما يحج المسلمون الى بيت الله الحرام من كل مكان ، ويطوفون بها كما يطوف الموحدون ببيت الله ، ويسعون حولها كما يسعى المؤمنون بين الصفا والمروة ، ويشدون اليها الرحال من كل مكان كما يشد عبد الله الرحال الى حج بيت الله وأداء فريضة الحج المقدس . ان هؤلاء يصنعون ذلك كله حول القبور بل ويصنعون ماهو أكثر ويعظمون المشاهد أكثر من تعظيمهم بيت الله ، ويفضلونها عليه كما قد قدمنا فى مقدمة الكتاب أنهم يفضلون كربلاء لأن فيها بعض المشاهد على مكة المكرمة وهم يزينون

الأضرحة بفاخر الزينات ، ويعلقون عليها مختلف المعلقات . يفعلون ذلك كله ويزيدون عليه ، ويغلون غلواً شنيعا . وهذا أمر لا ينكره أحد حتى أنهم أنفسهم لاينكرونه بل إنهم به يفاخرون ويكاثرون . وهذا الكتاب الذى هو كشف الارتياب مؤلف لهذا العرض وللدفاع عنه ومحاولة إقامة الدلائل على أن ذلك كله من دين الله الحنيف

ومن ذلك أن اليهود يغلون فى تقديس الأحبار والرهبان الى حد العبادة والتأليه كما قال تعالى « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » وقد جاء فى الحديث تفسيراً للآية أنهم من غلوهم فى تقديسهم وإبعادهم عن مواضع الاتهام والارتياب كانوا إذا أحلوا لهم الحرام أحلوه ، واذا حرموا عليهم الحلال حرموه ، لأنهم لقداستهم وقربهم من الله ، كما يزعمون ، لا يقولون سوى ما يريده الله ، ولا يشرعون إلا ما يريد أن يشرعه ، ولا ينطقون سوى الحق والهدى . وكذلك الرافضة يغلون فى أئمتهم غلو تأليه وعبادة ، ويقدسونهم حتى يضعوهم فى درجات هي فوق مستوى البشر والخلق ، فهم يقولون بعصمتهم من الأخطاء والذنوب والنسيان ، ويقولون انهم لا ينطقون سوى الحق لا ساهين ولا عامدين ، ولا يفعلون سوى الحق أيضا لا اختياراً ولا اضطراراً ، ولا يريدون سوى ما يريده الله ، فهم مع الحق والحق معهم أينما كانوا لا يفارقهم ولا يفارقونه . لأنهم يعبرون عما يريده الله ويترجمون شئونه وحكمه لصلتهم به واطلاعهم على أسراره

ومن ذلك أن اليهود وغيرهم كالنصارى ليس لدينهم ولما يأثرونه ويذكرونه عن أنبيائهم أسانيد لا صحيحة ولا ضعيفة ، ولا لمن يروون عنهم كتب تراجم صحيحة معتبرة لها أسانيد متصلة ، بها يعرف حال ذلك الراوي المحدث وتعرف قيمته الدينية والعلمية والخلقية ، بل كل ما عندهم أشياء مجهولة منقطعة الأسانيد مظلمة المعاني ، لا يعرف من رواها ولا كيف رواها ولا أنى وصلت الى المتأخرين

والأجيال الغابرة . ولهذا غيرت اليهودية وغيرها من الأديان وداخلها ما داخلها من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان ومن الضياع والفساد ، ونفق على أهلها ما نفق من الأكاذيب والأعاجيب والمناكير المخجلة . ولهذا فان أهل هذه الأديان لا يستطيعون أن يثبتوا صحة ما يعزون الى الله والى أنبيائهم من الروايات والشرائع على الطريقة العلمية الصحيحة ، ولا يستطيعون أن يستيقنوا هم صحة ذلك وصحة عزوه الى من يعزونه اليه . وإنما يأخذون ذلك ويقبلونه مغضين عن اعتراضات القوانين العلمية ، ومناقضات القضايا المنطقية ، وكذلك الرافضة ليس لعقائدهم ومفرداتهم التى بها باينوا أهل السنة والجماعة واختصوا بها وصاروا بها رافضة مستقلين عن غيرهم اسانيد صحيحة ولا روايات متصلة مقبولة ، ولا لمن يروون عنهم ما يروون من هذه المفاريد والخصائص تراجم معروفة صحيحة ينقدون بها هؤلاء الرواة ، ويعلمون بها مكانتهم العلمية والدينية والخلقية ، ويعرفون بها أهم أهل الرواية والنقل والتحديث عنهم ، أم هم قوم منافقون دأبوا على الكيد للاسلام وأهل الاسلام ، وسعوا لافساد الشريعة من طريق الرافضة والازدلاف اليهم . وقد ذكرنا أن الرافضة هم المأوى الرحب ، ينضوى اليه كل مناوىء الاسلام خداعا وغشاً ، وأن الرفض هو الصلة المحكمة المبرمة لمن أراد الاتصال بالدين الحنيف لكيده وافساده . فليس لدى الرافضة رواية يصح الاعتماد عليها والركون اليها الا أن تكون من روايات أهل السنة والجماعة والا أن تكون مروية فى كتب أهل السنة والجماعة ، والا أن يكون رواتها من أهل السنة والجماعة ، ولا يمكن معرفة رجل من رجال الشيعة ولا معرفة ما كان عليه من صحة وضعف ومن دين ومروق الا من طريق كتب أهل السنة وتراجمهم ، ولا يمكن معرفة ما ترويه الشيعة وتضيفه الى الرسول والأخيار من آل البيت والى الدين إلا من طريق أهل السنة وبأقوالهم وكتبهم ، كما أنه لا يمكن معرفة ما كان عليه الأنبياء

موسى وعيسى وغيرهما ، ولا معرفة ما جاءوا به من الشرائع والكتب الا من طريق المسلمين وكتب الاسلام فان المسلمين شهداء على الناس ، ودينهم شهيد على الأديان بما أنزل الله من الهدى والنور والبينات على قلب خاتم الأنبياء ، فهم الذين يعرفون صحيح الأديان من باطلها ، وهم الذين يشهدون للحق بأنه حق وعلى الباطل بأنه باطل ، وهم الذين يبرئون الأنبياء مما أضيف اليهم من الجهالات والضلالات والرعونات الفاضحة التى ألصقها بهم الجاهلون والأنصار الأغبياء . ولولا الاسلام وكتابه ونبيه لما عرف ما عند أهل الكتاب من حق وباطل ، ولما عرف ما جاءت به أنبياؤهم لاختلاط ذلك على أهل الأديان أنفسهم ، ولضياع الأسانيد والروايات التى بها يميز الكذب من الصدق ، ويعرف الصادق من الكاذب . وهذا ما أشار اليه الله بقوله « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » وهـذا هو شأن الرافضة مع أهل السنة ، لا يمكن أن يعرفوا حق ما عندهم روايات وآراء من باطله الا من طريق أهل السنة . ولهذا يلجأ الرافضة الى العمل بالرقاع المزورة ، ويزعمون أن صاحب الوقت أو إمام الوقت هو الذي يكتب الرقاع ويضع فيها ما يراد من الشرائع ويبث فيها جواب الأسئلة الموجهة اليه تبيانا لشيعته . ولأجل هذا أيضا ، أي لأجل فقدهم الأسانيد يزعمون أنهم يروون عن رسول الله عن الله ، وأن الناس يروون عن الناس . كما قال أحد أئمتهم : « ذروا الناس فان الناس أخذوا عن الناس ، وانكم أنتم أخذتم عن رسول الله » ذكره في الوافى

هذا والرافضـة يزعمون أن القرآن محرف ، ويزعمون أن التقية جائزة بل واجبة ، ويزعمون أن أهل الحق وآل البيت ما زالوا يكتمون الحق ويخفون الهدى طيلة تلك العصور التى كانوا فيها مظلومين تقية عندهم ، ويزعمون لذلك أن عليا وغيره من الأئمة الراشدين كانوا كاتمين النصوص الواردة فى فضلهم وحقهم وفى

الوصاية بالخلافة وولاية الأمر لهم واحدا فواحداً ، وأنهم كانوا كاتمين المصحف الصحيح الذى كتبه على وكذا مصحف فاطمة طيلة هذه العصور تقية أيضا ، وان عليا كان يرى الصحابة المنافقين خصومه وخصوم آل بيته يحرفون القرآن ويبدلونه ويحذفون منه مايحذفون من فضائله وفضائل آل بيته وذريته وهو موافق لهم فى الظاهر تقية أيضا ، ويزعمون أن المصحف الكامل الصحيح سوف يظهره الامام المنتظر اذا ماظهر ، ويزعمون أن الامام المنتظر هارب بنفسه مختف عن الانظار ، أنظار أعدائه وأصدقائه كاتم أمره وما معه من الحق والهدى تقية أيضا ، ويروون عن آل البيت روايات فى غاية الغرابة فى هذه التقية وفى فضل العمل بها

فاذا كان هذا كله صحيحاً ، أى اذا كان القرآن محرفا مبدلا ، وكانت التقية أى كتمان الحق والهدى خيفة الأعداء جائزة وواجبة فى كل هذه العصور والعهود ، وكانت هذه التقية تقضى باخفاء الحق وترك الناس فى لبسهم وضلالهم يعمهون فى هذه العصور المتطاولة كلها ، وان الامام منهم قد يقول القول وهو لايريده ولا يرى مايقول حقا ، ولكنه يقوله تقية ، فكان ينفى الواقع ويثبت ماليس واقعا تقية أيضا

اذا كان هذا كله صحيحا فكيف تمكن عندهم معرفة حق ما من القرآن أو من السنة وكل ماهنالك يتطرق اليه احتمال التحريف واحتمال عبث التقية وما تقضى به من كتمان وموافقة على الباطل ؟ إن هذا مالا يمكن معرفته . وهذا مالا حيلة للشيعة فى دفعه ولا في الانفكاك منه

فالشيعة اذن لايمكن أن يعرفوا الحق من الباطل الا أن يرجعوا الى أهل السنة والى كتبهم وأسانيدهم وهداهم ، كما أن اليهود وغيرهم من أهل الكتاب والاديان لايمكن أن يعرفوا ماجاءت به أديانهم وأنبياؤهم الا أن يرجعوا الى

الاسلام وكتابه ونبيه خاتم الأنبياء

ومن ذلك أيضا أن اليهود يقولون بالتقية وكتمان الحق والموافقة على الباطل ، قال الله تعالى محدثا عنهم « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ، ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم » أي آمنوا واكفروا على حسب ما ترون من الاضرار بالمؤمنين والخديعة لهم ، أي آمنوا واكفروا تقية ومكيدة ، وكذلك الرافضة يقولون هذه المقالة ويدعون هذه الدعوى ويسرفون في ذلك ، أي يقولون غير الحق ويكتمونه كما قدمنا ، ولهم في هذه التقية روايات غريبة ، من ذلك ما يقوله الباقر والصادق : « من أظهر الحق وترك التقية في دولة الباطل كان ممن لم يرض بقضاء الله وممن خالف أمر الله وضيع مصلحته التي اختارها لعباده ، فهو مارق من الدين » . ذكره في أصول الكافي ، وكما كان هؤلاء الذين حدث الله عنهم من أهل الكتاب يظهرون الايمان بما آمن به المؤمنون خداعا وحيلة لردهم عن دين الله كذلك كان رجال من الشيعة يدعون الاسلام ويظهرون التشيع نفاقا وغشا للذين آمنوا كما صنع ذلك واضع المذهب الشيعي الأول ، والله أعلم بما كانوا يمكرون

هذا ومشابه الشيعة لليهود كثيرة متعددة ، ومن أجمع ذلك ماروراه الامام ابن شاهين في كتاب اللطف . وقد ذكرنا هذا في أول الكتاب صفحة ٤٣ فليراجع

وكذلك الشيعة يشبهون النصارى من وجوه عديدة نضرب عنها صفحا . ثم ان اليهود والنصارى يفضلون الشيعة في أشياء غير ما ذكر في تلك الرواية التي أحلنا القارىء عليها في أول الكتاب فلنضرب عن ذلك صفحا أيضا

وبهذا تمت مقدمات الكتاب وتم النقض عليها والابطال لباطلها بالشكل الذي رأى القارىء ، ويلي المقدمات من الكتاب الباب الأول منه

باب كتاب الرافضى الاول

وعنوان هذا الباب فى كتاب الشيعى « باب فى ذكر جميع معتقدات الوهابية ومحور مذهبهم الذى يدور عليه . »

ونحن نلخص ما فى هذا الباب ونذكر كل ما اشتمل عليه من الدعاوى ونذكر الجواب عما فى ذلك من غلط وخلط . .

الاجتهاد

ذكر أولا ما خلاصته أن الوهابيين يدعون جواز الاجتهاد فى بعض الأمور والمسائل لا فى الأمور كلها ولا فى المسائل كلها . وذكر أنهم يقولون لا يجوز لنا أن ندع السنة النبوية إذا ما بانت لنا وعلمت لأجل تقليد بعض الأئمة ، ولكن التقليد لا يجوز إلا عند الضرورة وعند خفاء السنة النبوية المخالفة للمأثور عن الامام المراد تقليده . ثم ذكر عن بعض علمائهم أنه قال : « ولا نعترض على أحد في مذهبه إلا إذا اطلعنا على نص جلى مخالف لأحد الأئمة وكانت المسألة مما يحصل بها شعائر ظاهرة كامام الصلاة فنأمر الحنفى والمالكى مثلا بالطمأنينة فى الاعتدال والجلوس بين السجدتين لوضوح ذلك بخلاف جهر الشافعى بالبسملة فلا نأمره بالاسرار . ولا مانع من الاجتهاد فى بعض المسائل دون بعض ، وقد اختار جمع من أئمة المذاهب الأربعة خلاف مذهب مقلدهم »

هذه خلاصة ما ذكر الشيعى عن الوهابيين فى الاجتهاد وفى نظرهم الى هذه المسألة المدونة فى كتب الأصول . ونحن لاندرى هل الشيعى يريد بهذا ذمهم أم مدحهم ، وموافقتهم أم مخالفتهم . فان هذا الرأى الذى نقله عنهم فى الاجتهاد

هو من أعدل الآراء وأبعدها عن الافراط والتفريط وعن الغلو فى التقليد والغلو فى الاجتهاد . فان هنالك طرفين مذمومين فى هذه المسألة طرفا مفرطا وطرفا مفرّطا . طرف يقول : يلزم التقليد مطلقا وعلى كل حال ، ولا يصح الاجتهاد ولا مخالفة الماضين ولو صحت بذلك النصوص وقامت الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وشيوخ الاسلام ، بل لا تصح محاولة ذلك ، ولا محاولة فهم الكتاب والسنة ، ومحاولة أخذ الأحكام منهما والاستقلال فى فهم نصوصهما ، وان كانت واضحة جلية وظاهرة قوية . ثم يغلو هذا الطرف المتطرف فيزعم أن باب الاجتهاد ، أى باب الاغتراف من منهل الكتاب والسنة قد أغلق منذ أزمان قصية وأن هذا الباب لا يجوز اجتيازه ولا فتحه ألبتة . ثم يغلو هذا الطرف فى التطرف فيذهب يزعم أن من حاول الاستقلال فى فهم شيء من كتاب الله أو سنة رسوله وحاول الاجتهاد ومخالفة الامام المقلد فى مسألة من المسائل التى ظهر له دليلها قويا ظاهراً فقد ارتد أو كاد . . . فحرم هذا الطرف من الطرفين المذمومين استعمال العقول فيما خلقت له ، وحال بينها وبين وظيفة الفهم لأشرف كلام وأجل موضوع ، وهو كلام الله وكلام رسوله ﷺ ، وحرمها لذة الدليل والبرهان ولذة الظفر بالدليل والبرهان ، البرهان على الله وعلى عبادته ومعرفته وشرعه . وحرم الانسان أخص وصف له وأجله وهو وصف العلم والمعرفة القائمين على الدليل والحجة فجنى هذا الفريق على الدين وعلى كتاب الله وعلى العقول وعلى الانسان أكبر جناية وأشدها ضرراً . فصدئت العقول والأذهان والقرائح من طول الرقود ، وركدت ثم تناقصت ، وتكامل نقصها وركودها حتى ماتت أو كادت . فضعف الدين وضعف أثره في تلك النفوس ، وقلت ثمرته التى كانت تظهر على الأعضاء والجوارح والأعمال ، وتناقص العلم بين المسلمين ، ووقف الانتاج والثقافة حتى نسيت المؤلفات القوية النافعة ، الناحية منحى الفهم والاستقلال

فى الفهم ومطالبة الدليل ، ورُغب عن هذا الصنف من الكتب حتى هجر ونسى. وأصبح مطموراً تحت أكداس النسيان والجهالات واستبدل الناس بهذا النوع الذي هو أدنى وأحط ، فانحط التأليف ونزل جداً ، وتبع نزول ذلك نزول اللغة وانحطاطها وفسادها وتدهورها ، هذا التدهور الذى لاتزال آثاره بادية فى التأليف وفى اللغة نفسها وفى سائر العلوم ، ولا يزال ذلك يحتاج الى العلاج والتطبيب ، ولحق هذا سلسلة أمراض لغوية ودينية وعقلية انفرطت حباتها حينما سقطت الحبة الأولى من هذا العقد المتماسك الحبات . وفى سبيل الشيطان ما لقى الاسلام والمسلمون من جراء هذا الطرف المتطرف

وأما الطرف الثانى فزعم أن الاجتهاد أمر مباح لكل أحد ولكل قائل وناطق بلا قيد ولا شرط ، وليس بلازم أن يكون فى حدود الكتاب والسنة ، ولا تحت نطاق الشريعة المعلومة بالاجماع والتواتر ، ونطاق الاسلام المضروب على كل المسلمين من قاص ودان ، ولا تحت نطاق اللغة العربية التى نزل بها الكتاب والسنة . بل الاجتهاد أمر مشاع مباح لكل وارد وقائل فى جميع المسائل وجميع ضروب الأصول المعلومة للخاصة والعامة . فمن ارتشف رشفات عجلى خاطفة من علوم الفلسفة العابثة ذهب يجتهد فى أصول الاسلام ويتحكم فيها ، ويؤولها تحريفا وإفساداً ، وينزلها على ما اختطف من هذه الفلسفة الغاوية . فخالف الأصول والقواعد والعقائد التى هى أصل الدعوة الاسلامية ، وخرج على الاجماع وعلى الكتاب والسنة وعلى سنن المسلمين فى جميع العصور الاسلامية الذهبية ، ومن انغمس فى الصوفية البوذية البرهمية الاتحادية وابتل بمائها وبحماها المائية المازلة راح يهذو فى ذات الله وفى صفاته ودينه وشرعه ، وفى الأنبياء والملائكة وفى الكتب المقدسة وراح يبعث الكلمات الملحدة الفاسقة الكافرة ، وراح يدعى دعاوى الكافرين الملحدين ، ويقول أقاويل الغاوين المنكرين . فخالف الاجماع وخالف أصول الاسلام

وخالف الكتاب والسنة وما اتفق عليه المسلمون فى جميع العصور ، وذهب يقدح فى المسلمين وفى الأنبياء والمرسلين ونفض هو الدين ورداءه من على كتفيه فأصبح إمام المارقين المتجردين ، بل وراح يدعى فى نفسه الألوهية والربوبية والنبوة ان تواضع ، فصار رأساً فى كل ضلالة وفى كل حماقة وفى كل بلية ، ومن شام برق المعرفة والعلم ولم يرد ، وقعدت به نفسه وحاله عن البلوغ والورود راح يحاول الاجتهاد فى كتاب الله وفى سنة رسول الله وفى اللغة وفى وسائل ذلك كله ، وهو لم يملك وسيلة واحدة من تلك الوسائل الأولية ، فعبث بالكتاب وبالسنة وباللغة وبكل شىء . فخالف الاجماع والأصول والعقائد الأولية ، فصار هو بدعة سيئة فى الدين وفى الأمة وفى اللغة . وفى سبيل الشيطان ما لقى الاسلام والمسلمون من بلاء هذا الفريق

فهذان الطرفان المتقابلان طرفان مذمومان مخالفان للشرع والعقل ولاجماع المسلمين قبل أن يلامس عقائدهم وعقولهم هذا الضعف والفساد ، وذلك الانحطاط الشنيع

وأما ذلك الفريق الوسط المعتدل الواقع بين هاتين المنطقتين الحارة جداً ، والقارة جداً ، فهو الفريق الذى لايفرط إفراط هؤلاء ، ولا يفرّط تفريط أولئك بل يقول ان القصد كله هو معرفة حكم الله وحكم رسوله ﷺ وسنة المسلمين العملية العلمية فى عصور الاسلام الفتية . فهذا هو ما يراد معرفته والعلم به لأن الدين لله ومن الله واليه وحده يرجع ، فالمسلم واجب عليه أولا أن يعرف كتاب الله وما جاء فيه من الهدى والنور وأن يعرف سنة رسوله ﷺ وما جاء فيها من الهدى والنور وأن يعرف ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المصطفين . فما عرفه من ذلك بوسائله اللازمة الصحيحة وجب عليه الاستمساك به والعزوف عما خالفه من الآراء والأقوال والأعمال ، لأنه لا غاية للمسلم وراء

الله ووراء رسوله المبلغ عن الله ، ولأن ذلك هو قول علماء الاسلام الهداة كافة ، ولأن ذلك هو ما أنزل لأجله كتاب الله وسنة رسوله وجعله باقيا محفوظا الى قيام الساعة للرجوع الى الله للجزاء من ثواب وعقاب ، ولكن اذا كان المرء المسلم عاجزاً عن معرفة دليل مسألة من شرع الله من الكتاب والسنة ، وعاجزاً عن الاستقلال واستخراج البراهين من النصوص ودار الأمر بين أن يعمل برأيه هو واجتهاده ، وبين رأى امام كبير من أئمة الاسلام واجتهاده اختار رأي ذلك الامام على رأيه هو واجتهاده ، وأحسن الظن بذلك الامام المعروف بالعلم والدين قبل أن يحسن الظن بنفسه وباجتهاده هو ، لأن المسألة حينئذ مسألة رأي واجتهاد لا مسألة برهان وحجة ، والمسلم الصحيح هو من لا يأخذ الغرور بيديه ، فلا يفضل دينه وعلمه وعقله على عقل امام من أئمة الاسلام الهداة وعلى دينه وعلمه . أما اذا وضح له البرهان من الكتاب والسنة فليس بجائز له ترك هذا البرهان الشرعى تعللا بالتقليد وباتباع فلان أوفلان . فان الذي يفعل ذلك يكون مخالفاً للاسلام وللكتاب والسنة وللامام الذى زعم تقليده ، وزعم أنه ترك الكتاب والسنة اعتلالا بالتقليد له . وذلك أن أئمة الاسلام جميعا ولا سيما الصدر الأول ومنهم الأئمة الأربعة كانوا يمقتون مثل هذا التقليد أشد المقت ، وينهون عنه أشد النهى ولا يرتضونه المسلم أبداً . بل لقد جاء عنهم جميعاً النهى عن التقليد واتباع الرجل ما لم يعرف دليله وحجته . وكل واحد منهم قال اذا صح الحديث فهو مذهبي ، وقال قائلهم اذا خالف الحديث قولى فاضربوا بقولى الحائط ، وقال الآخر : لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعى ولا غيرهما وانظر من حيث أخذوا وخذ . وهذا المعنى متواتر عن الأئمة

فمن ترك النصوص الواضحة تقليداً لامام فقد خالف الدين وخالف ذلك الامام وقاته التقليد الذى ترك النصوص له ، لأنه لو كان مقلداً لذلك الامام تقليداً عاقلا لما خالفه فى أمره بالأخذ بالدليل والنهى عن التقليد مع وضوح الحجة وظهورها .

فهؤلاء لا مقلدون ولا مجتهدون ولا متبعون فماذا يصنعون ؟ ؟

وهؤلاء الجامدون على هـذا التقليد يتعللون بعلل واهية فى تركهم النصوص الواضحة المخالفة لمن زعموا تقليده ، مثل قولهم : لعل هذا النص منسوخ ، ولعله ضعيف ، ولعله متروك الظاهر ، ولعله مخصوص . ومثل قولهم : أن الكتاب والسنة عربيان ونحن لا نعرف اللغة العربية ، فان فى اللغة المجاز والحقيقة والتورية والكناية وأنواع المجازات ، ونحن لا نعرف هذا كله ويخفى علينا الشيء الكثير منه . يتعللون بهذه العلل فى هجران النصوص ، وما علموا أن هذه الايرادات ترد على كلام الامام الذين زعموا الاستمساك بتقليده واتباعه وعلى كل المؤلفين الذين ينقلون لهم مذهب ذلك الامام . فان كلام الأئمة لا يخلو أيضا من المجازات والكناية والاستعاره وضروب البلاغة ، فهذه الأمور الموجودة فى كلام الله وكلام رسوله موجودة بشكل قد يكون أخفى وأغمض فى كلام الأئمة ومن يقلدونهم ، وكذلك يوجد المنسوخ والمخصوص فى كلام الأئمة . ويراد بالمنسوخ هنا الرأي المرجوع عنه . وقد عرف كثيراً أن الامام من الأئمة يقول القول ، ويفتى الفتوى ، ويرى الرأي استناداً الى دلائل مخصوصة ثم تبدو له دلائل أخرى ومعارضات غير تلك فيرجع عن ذلك الرأي والقول وتلك الفتوى الى رأي آخر وفتوى أخرى اعتمادا على الدلائل الاخرى ، فيكون الرأى الأول منسوخا أى مرجوعا عنه . ولهذا قد ينقل عن الامام الواحد فى المسألة الواحدة مذاهب متعددة ، ويوجد لبعض الأئمة الكبار ما يسمى بالمذهب القديم والمذهب الجديد ، أي المذهب المرجوع عنه والمرجوع إليه

فان كان مثل هذه الايرادات تقضى بالاعراض عن الأخذ من الكتاب والسنة ومحاولة فهمهما قضت هى نفسها بوجوب الاعراض أيضا عن كلام الأئمة وكتبهم والاعراض عن محاولة الفهم لما كتبوا وقالوا ، لأن هذه الايرادات ترد على كلام

الأئمة وكتبهم ولاسيا الفصحاء القدماء منهم مثل الامام الشافعى ومالك وأبى حنيفة وأحمد . وهذا لا يقبله المخالفون أنفسهم . فما كان مثله فهو مثله فى الحكم ، فهذه الشبهات التى تردد وتقال لمن دعا الى الكتاب والسنة الواضحة شبهات داحضة لأنها لو صحت لامتنع العمل بالكتاب والسنة وبأقوال الأئمة أيضا ، وهذا لا يصير اليه أحد ، لانه وسيلة الى باطل بالاجماع والضرورة ، وإذن لا مفر من وجوب العمل بما دلت عليه السنة الصحيحة وبما دل عليه كتاب الله وإن خالف ذلك ما جاء عن الامام المقلد ، لان الامام مهما كان ليس معصوماً . والعصمة لكتاب الله ولسنة رسوله فقط . أما إذا لم يكن هنالك دليل صريح صحيح من الكتاب والسنة ودار الامر بين رأى المرء ورأى الامام حسن المصير الى رأى الامام واجتهاده لدينا . هذه هى الخطة الوسطى المثلى القصية عن الافراط والتفريط ، وهذا قول أهل السنة من أهل نجد وغيرهم ، وهذا قول المحققين من علمائهم قديماً وحديثا ، وهذه هى خطة فحول علماء المذاهب الاربعة وكبارهم فانهم يأخذون برأى الامام ويفتون به ويحكمونه مع احترام الكتاب والسنة ومحاولة فهمهما واستخراج الدلائل منهما ، فاذا ما عنت لهم سنة أو آية مخالفة لما صح عن الامام ، والامام إنسان يخطىء ويصيب ، كما يعلمون لم يعدلوا عن الكتاب والسنة ، ولم يبغوا عنهما مذهباً ولا بهما بدلا ، بل حكموهما وأفتوا بهما وقالوا : إن هذا هو مذهب إمامنا بمقتضى القاعدة التى وضعها بقوله : اذا صح الحديث فاشهدوا أنه مذهبى ، فوافقوا بهذا الكتاب والسنة وإجماع أهل البصر بالدين ، ووافقوا امامهم القائل اذا صح الحديث فهو مذهبى . فجمعوا بذلك بين أشتات الحق ومفاريده ، وما من مذهب من المذاهب الاربعة وغيرها الا وعلماؤه الفضلاء المحققون يسلكون هذا المسلك ، وينهجون هذا المنهاج المستقيم . ولهذا يوجد فى المسألة الواحدة فى المذهب الواحد الآراء المختلفة ، منها رأى الامام نفسه ، ومنها رأى أصحاب الامام أو بعض أصحابه ،

فيقال هذه المسئلة قال فيها الامام كذا وقال فيها صاحبه فلان ، أو صاحباه فلان وفلان كذا وكذا ، فجاء فلان من المتأخرين فرجح رأى الامام على آراء الاصحاب أو فرجح آراء الاصحاب على رأى الامام نفسه ويقولون في هذه المسألة رأي لأحد أصحاب الامام الشافعى أو أصحاب الامام مالك أو أصحاب الامام أحمد أو الامام أبي حنيفة . ويقسمون المجتهدين قسمين : قسم هو المجتهد المطلق كالأئمة الأربعة ، وقسم هو مجتهد المذهب . وهؤلاء هم من دون القسم الأول . ويقسمون الاجتهاد نفسه قسمين : اجتهادا مطلقا عاما واجتهادا خاصا فى بعض المسائل دون بعض . وهذا مايسمى بتجزئة الاجتهاد ، وهو الاجتهاد فى بعض الامور دون بعض . وهذا يجيزه جماهير من علماء المذاهب والأصول . وهذا مدون فى كتب أصول الفقه . وتجزئة الاجتهاد معقولة ومنقولة لاريب فى جوازها وصحتها . وهذا مايقوله علماء نجد وغيرهم من أهل السنة والجماعة . وهذا ما كان عليه السلف الصالح فى كل زمان ومكان . فهل الرافضي يريد بما قاله هنا مدحهم أو القدح فيهم ؟

أما الشيعة فانهم يجتهدون ذلك الاجتهاد المتهور الماذى ، الذى لايتقيد بكتاب ولا سنة ولا لغة ولا معقول ولا اجماع ولا ضرورة ، ويفخرون بهذا النوع من الاجتهاد ، ويزهون به على أهل السنة ، ويدعون . علماءهم بالمجتهدين ، والعالم منهم بكبير مجتهدى الشيعة ، وبالمجتهد الأكبر ، وأمثال هذه الألقاب المتصمية الأندلسية . وقد أرينا القارىء أفانين من هذه الاجتهادات الرافضية ، ونماذج من اجتهادات صاحب هذا الكتاب أحد كبار مجتهدي الرافضة فى هذا العصر . ولعمر الله ان التقليد الأعمى الأصم الابكم لخير من هذه الاجتهادات وأفضل عند الله وعند عباده . وإن اجتهادا واحداً من هذه الاجتهادات لشر من تقليد البهائم السائمة

وأما طريقة أهل السنة من النجديين الذين يحاول الرد عليهم صاحب هذه الاجتهادات ، فانها طريقة لايمكن أن يعيبها الا جاهل بها أو بالدين والنظر أوبهما معا أو صاحب هوى قاسر قاهر . وهذا الرافضى يحاول بجهده وبكل طاقته أن يجمع لهم زلات واغلوطات يستطيع بها مس سمعتهم وإيذاء عقائدهم ، فما استطاع أن يفعل سوى أن يعد عليهم انكارهم هذا الضلال المنكر الفاشى الذي سوف نقوضه بهذا الكتاب . وسوف نبين ان شاء الله أن جميع ماقالوا فى هذا الباب صواب بلا غلط ، وحق بلا باطل ، ويقين بلا شك . والله بكل شىء محيط وهو من وراء كل قصد

الاستواء على العرش واثبات صفات الله

ثم هجم هذا الرافضي ثانيا على هذه المسألة الخطيرة وقال ماخلاصته :

« إن الوهابيين وامامهم ابن تيمية قد اباحوا حمى التوحيد ونسبوا الى الله مالا يليق . فأثبتوا له جهة الفوق والاستواء على العرش والنزول الى سماء الدنيا والمجىء والقرب . وغير ذلك من الصفات كالوجه واليدين والأصابع والعينين والمحبة والرضا والغضب ، وأنه يتكلم بحرف وصوت ، فجعلوه محلا للحوادث ، وأثبتوا هذه الصفات كلها وغيرها لله بمعانيها الحقيقية من دون تأويل . وهذا تجسيم صريح

« أما ابن تيمية فقال بالجهة والتجسيم والاستواء على العرش حقيقة . وأنه تعالى يتكلم بحرف وصوت ، وهو أول من زقا بهذا القول وتبعه تلاميذه ، وقد حكم علماء عصره بكفره وألزموا السلطان قتله أو حبسه فحبس ومات محبوسا

« ونحن ننقل ما حكوه عنه فى ذلك . وما قالوه فيه لتعلم قيمة ابن تيمية عند العلماء » وهنا نقل بعض المقادح فيه عن ابن حجر الهيتمي المكى وما ذكره

الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه « الدرر الكامنة » من مقادح الخصوم فيه ، وما ذكره بعض الغلاة من المتأخرين . . والمقادح التي نقلها تنحصر في أمرين أحدهما كذب وبهتان مبين ، والآخر صحيح ، ولكن الحق هو ما قاله كما سوف ترى . أما الأمر الذي هو كذب فهو ما ذكر من أن ابن تيمية كان يسعى للامامة الكبرى ويضمر هذا في قلبه ، وإنه كان لهذا يتتبع أخبار ابن التومرت ويتمدحه ، وماذكر من أنه كان يقدح في الخلفاء من الصحابة ، وأنه كان يقول ان عثمان كان يحب المال ، وأن عليا كان مخذولا حيثما توجه ، وأنه كان يقاتل للرئاسة والملك لا للدين ، وأنه أسلم صبيا ، والصبي لا يصح اسلامه ، وأنه كان يبغض عليا ، وأنه قدح في أهل البيت . وكذا ما ذكر من أنه كان يقول إن الله جسم وأنه في جهة . هذا أحد نوعى المقادح . وهذا كله كذب صحيح صريح . وأما الأمر الآخر من المقادح فهو ما ذكر من أنه كان يقول ان الله مستو على العرش ، وأنه فوق المخلوقات ، وأنه يقر لله سائر الصفات الواردة في النصوص الصحيحة . وأن الله يتكلم بحرف وصوت . فهذا كله صحيح عن ابن تيمية . هذا خلاصة ماذكره من المقادح في هذا الامام . وبعد هذا قال : « وقد اقتفى محمد ابن عبد الوهاب وأتباعه آثار ابن تيمية فأثبتوا لله الجهة والجسم واليدين والأصابع واستدلوا بالآيات والأحاديث في ذلك . ومن هذه الدلائل أن حبراً من أحبار اليهود جاء إلى رسول الله فقال إنا نجد أن الله يجعل السموات على اصبع والأرض على اصبع وسائر الخلق على اصبع ، فيقول أنا الملك ، فضحك النبي عليه السلام حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر اليهودي ، ونزلت الآية « وما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه » . وهذا خطأ فان ضحك النبي ليس تصديقاً لقول اليهودي بل تكذيب وتعجب منه » واثبات هذه الصفات الاستواء على العرش وإثبات المحبة والرحمة والرضا

والغضب واليدين والأصابع هو عين التجسيم الذي أجمع المسلمون على كفر معتقده لاستلزامه التركيب والتحيز والوجود فى جهة ، ويلزم من اثبات المحبة والرضا والغضب والرحمة بمعانيها الحقيقية ، وهى ميل القلب ورقته وهيجان النفس وعدم هيجانها ، كونه محلا للحوادث الموجب حدوثه

« والقول بالاستواء يلزمه أحد أمرين : التجسيم أو القول بالمحال ، وكلاهما محال . لأن حصول حقيقة الاستواء مع عدم الكيف محال بحكم العقل ومع الكيف تجسيم فلا بد من التأويل والمجاز

« ومن هذا تعلم أن ما يروى عن الامام مالك من قوله : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة » كذب لا يكاد يصح . وذلك أنه ان أراد أنه معلوم بمعناه الحقيقى فهو ممنوع بل عدمه معلوم لاستحالة الجسمية على الله ، واستحالة الاستواء الحقيقى بدون الجسمية ، وإن أراد أنه معلوم بالمعنى المجازى فلا يصلح شاهداً لقوله نثبت حقيقة الاستواء ، ولا يكون السؤال عنه حينئذ بدعة ، ولا يلزم الكيف حتى يقال انه مجهول ، وإن أراد أننا نؤمن به على حسب ما أراده الله وان لم نعلمه تفصيلا ، فان كان يحتمل أنه أراد حقيقة الاستواء ففاسد لما عرفت وان كان الترديد بين المعانى المجازية فقط فأين حقيقة الاستواء التى أثبتناها ؟

« واذا كان ما قال الامام مالك حجة عند هؤلاء فلمَ لم يقولوا ان الراجح استقبال القبر الشريف والتوسل بصاحبه عند الدعاء حسبما أمر به مالك المنصور ؟

« والجحود للحقيقة والاقرار بها حكم عليها والحكم على الشىء فرع معرفته ، فيلزم أولا أن نعرف ما أريد بهذا اللفظ هل هو معناه الحقيقى أو المجازى لنعرف ما وصف به نفسه فنقر به . وإذا كان المعنى الحقيقى يستحيل إرادته فلا يكون مما وصف به نفسه ، فلا يكون جحوده كفراً . وما أشبه هذا بقول النصارى فى الابن والأب وروح القدس . والأمر الذى يكون فوق العقل لا يمكن للعقل الأذعان به »

هذا خلاصة ما ذكره الرافضي هنا ، ويعلم الله وحده ما فى هذا الكلام من الهوى والخلط والاصطدام بالحقائق الخالدة . وسوف نذكر من هذا ضروبا كثيرة والكلام عليه من وجوه :

التشبيه

(أولا)

يقال ان الذين أباحوا حمى التوحيد وهتكوه ونسفوه وأضافوا الى الله مالايليق بقدسه وجلاله وكماله من التشبيه والتمثيل هم طائفة الشيعة لا غيرهم ، وهم شيوخ هذا الرجل ، لا من يحاول الرد عليهم كابن تيمية وتلاميذه الأبرار ، ولا خلاف بين علماء الملل والنحل أن التشبيه والتمثيل ، تمثيل الله بخلقه ، لم يوجدا فى طائفة من الطوائف المنحرفة مثلما وجدا فى طائفة الرافضة ، ولا خلاف بين علماء الملل والنحل أن التشبيه أول ما دخل على الطوائف الدائنة للاسلام انما دخل عليها من شطر الرافضة وجانب شيوخها القدامى ، ولا خلاف أيضاً أن التشبيه كان أصلا ووضعاً فى طوائف الشيعة وشيوخها ووضعة مذهبها وبناة نحلتها كما سوف ترى هذا منقولا عن الكاتبين فى الملل والنحل . وتأويل هذا ووجهه أن واضع مذهب الشيعة هو رجل يهودى وهو عبد الله بن سبأ الصنعانى ، كما ذكر مرارا . واليهود هم أهل التشبيه والتنقص لله جل وعلا فهم يضيفون اليه تعالى من التشبيه والتمثيل أقله وأرذله فيزعمون أن الله يبكى وأنه يحزن ويتعب ، وأنه يستريح وأنه فقير وهم أغنياء كما فى القرآن ، وأن يده مغلولة ، غلت أيديهم . فادخل هذا اليهودى المتشيع هذه العقيدة اليهودية وهذا التنقص اليهودي فى مذهب الشيعة وعقائدها كما قال الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل وكما قال غيره . ثم ابتدعت طوائف الشيعة بدعا منكرة مخزية أخرى ، وقاسوا على ما نقل اليهم من اليهود وزادوا وأضافوا وابتكروا .

واخترعوا ، حتى فرست الشيعة اليهود فى هـذا النقص الذى هو التشبيه والقدح فى الله

فاليهود وضعوا لهم البذور وفيهم كان النبات والنمو والريع الذي هو خسران ـ ونحن لا نقول هذا اجتهاداً من عند أنفسنا ، ولا استخراجا من دلائل غامضة معماة ولا نقلا عن الوهابيين الذين تطيب لهذا الرجل مخاصمتهم ، ويطيب له أن يدعى عليهم هذه الدعاوى . ولكننا ننقل عمن اتفقت كلمة الناس على أنهم لا هوى لهم فى القدح فى الشيعة والذم لمذهبهم وعن علماء ثقات أثبات اتفقت كلمة الناس على صدقهم ودينهم ، وعلى إرادتهم الحق والصدق ، وعن علماء شرطوا على أنفسهم مثل الشهرستانى ألا يعدوا على طائفة مذهبا لها الا ما وجدوه فى كتبها المعروفة

قال الشهرستانى فى باب مذاهب الشيعة : « ومنهم الغالية ، وهم الذين غلوا فى حق أئمتهم وأخرجوهم من حدود الخلقية ، وحكوا فيهم بأحكام الألوهية . فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالاله وربما شبهوا الاله بالخلق ، وهم على طرفى الغلو والتقصير . وانما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ، ومذاهب التناسخية ، ومذاهب اليهود والنصارى . إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق ، والنصارى شبهت الخلق بالخالق ـ فسرت هذه الشبهات فى أذهان الشيعة الغلاة ، حتى حكمت بأحكام إلهية في حق بعض الأئمة ، وكان التشبيه بالأصل والوضع فى الشيعة ، وانما عاد الى بعض أهل السنة بعد ذلك ومنهم الكاملية . ومذهبهم أن الله قائم بكل مكان ، ناطق بكل لسان ، ظاهر بشخص من أشخاص البشر ، وذلك معنى الحلول . وقد يكون الحلول بجزء وقد يكون بكل . أما الحلول بجزء فهو كاشراق الشمس فى كوة ، أو كاشراقها على البلاد ، وأما الحلول بكل فهو كظهور ملك فى شخص ، أو كشيطان بحيوان

« ومنهم المغيرية أصحاب المغيرة بن سعيد العجلى . غلا فى حق على رضى الله عنه غلواً لا يعتقده عاقل ، وزاد على ذلك قوله بالتشبيه ، وقال ان الله صورة وجسم

ذو أعضاء على حروف الهجاء ، وصورته صورة رجل من نور على رأسه تاج من نور ، وله قلب تنبع منه الحكمة . وزعم أن الله لما أراد خلق العالم تكلم بالاسم الأعظم فطار فوقع على رأسه تاجا . قال وذلك قول الله « سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى » ثم اطلع على أعمال العباد وقد كتبها على كفه فغضب من المعاصي فعرق فاجتمع من عرقه بحران ، أحدهما مالح ، والآخر عذب ، والمالح مظلم والعذب نير . فاطلع في البحر النير فأبصر ظله فانتزع عين ظله فخلق منها الشمس والقمر وأفنى باقي ظله ، وقال لا ينبغي أن يكون معي إله غيري

« ومنهم المنصورية أصحاب أبي منصور العجلي ، زعم أنه عرج به الى السماء ورأى معبوده فمسح بيده رأسه وقال : يابني انزل وبلغ عني

« ومنهم الخطابية أصحاب أبي الخطاب . زعم أن جعفراً هو الاله في زمانه ، وليس هو المحسوس الذي يرونه ، ولكن لما نزل هذا العالم لبس هذه الصورة فرآه الناس فيها . وقد قتل لهذه الدعوى

« ومنهم الهشامية أصحاب هشام بن الحكم صاحب المقالة في التشبيه ، وهشام الجواليقي الذي نسج على منواله في التشبيه . حكى ابن الراوندي عن هشام أنه قال ان بين معبوده وبين الأجسام تشابها ما بوجه من الوجوه ولولا ذلك لما دلت عليه وحكى الكعبي عنه أنه قال هو جسم ذو أبعاض، له قدر من الأقدار ولكن لا يشبه شيئاً من المخلوقات ، ونقل عنه أنه قال هو سبعة أشبار بشبر نفسه ، وأنه في مكان مخصوص وجهة مخصوصة ، وأنه يتحرك وحركته فعله ، وليست من مكان الى مكان ، وأنه متناه بالذات غير متناه بالقدرة . وحكى عنه أبو عيسى الوراق أنه قال : ان الله تعالى مماس لعرشه لا يفضل منه شيء من العرش ، ولا يفضل عن العرش شيء منه . وقال هشام بن سالم الجواليقي ان الله على صورة انسان أعلاه مجوف ، وأسفله مصمت ، وهو نور ساطع يتلألأ ، وله حواس خمس ويد ورجل

وأنف وأذن وعين وفم ، وله وفرة سوداء ، وهو نور أسود ، ولكنه ليس لحما ولا دما . ونقل عنه أنه أجاز المعصية على الأنبياء مع قوله بعصمة الأئمة ، ويفرق بينهما وغلا هشام بن الحكم فى حق على رضى الله عنه حتى قال انه إله واجب الطاعة

« ومنهم النعمانية أصحاب محمد بن النعمان ، وافق هشام بن الحكم فى أن الله لا يعلم شيئا حتى يكون ، وقال : ان الله على صورة انسان . ويأبى أن يكون جسما ، ولكن قال قد ورد فى الخبر أن الله خلق آدم على صورته وعلى صورة الرحمن فلابد من تصديق الخبر

« ومنهم اليونسية أصحاب يونس بن عبد الرحمن القمى . زعم أن الملائكة تحمل العرش وأن العرش يحمل الله ، وهو من مشبهة الشيعة ، وقد صنف لهم كتبا فى هذا

« ومنهم طائفة النصيرية والاسحاقية ، وبينهم خلاف فى إطلاق اسم الالهية على الأئمة ، قالوا ظهور الروحانى بالجسد الجثمانى أمر لاينكره عاقل . اما فى جانب الخير فكظهور جبريل ببعض الأشخاص والتصور بصورة أعرابى والتمثل بصورة البشر . وأما فى جانب الشر فكظهور الشيطان بصورة الانسان حتى يعمل الشر بصورته ، وظهور الجن بصورة بشر ، حتى يتكلم بلسانه ، وكذلك نقول ان الله ظهر بصورة أشخاص ، ولما لم يكن بعد رسول الله من هو أفضل من على بن أبى طالب وبعده أولاده المخصوصون وهم خير البرية ظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم وأخذ بأيديهم وعن هذا أطلقنا اسم الالهية عليهم . وانما أثبتنا هذا الاختصاص لعلى دون غيره لأنه كان مخصوصاً بتأييد من عند الله مما يتعلق بباطن الأسرار . قال النبى ﷺ : أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر . وعن هذا كان قتال المشركين الى النبى وقتال المنافقين الى على . وعن هذا شبهه بعيسى بن مريم ، وقال لولا أن يقول الناس ما قالوا فى عيسى بن مريم لقلت فيك مقالا ،

وربما أثبتوا له شركة فى الرسالة ، وقلع باب خيبر لا بقوة حيوانية من أدل الدلائل على أن فيه جزءاً إلهيا وقوة ربانية ، أو يكون هو الذى ظهر الاله بصورته وخلق بيديه وأمر بلسانه . وعن هذا قالوا كان هو موجوداً قبل خلق السموات والأرض وقال كنا ظلة عن يمين العرش فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا . والنصيرية أميل الى تقرير الجزء الالهى والاسحاقية أميل الى تقرير الشركة فى النبوة »

ذكر هذا كله الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل وقد ذكر غير هذا تركنا نقله ، وقد ذكر كثيراً من هذا ابن حزم فى كتابه الملل والنحل ، وكذلك ذكره المقريزي فى الجزء الرابع من الخطط ، وذكره جميع من كتبوا فى مقالات المسلمين ولا يختلفون فى نقل هذا عن الشيعة لأنه متواتر عنهم مثل تواتر قولهم فى الامامة وفى الصحابة وفى عصمة الأئمة قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتاب منهاج السنة قد اتفق على نقل هذا عن الشيعة حتى الشيعة نفسها تنقل هذا كابن النوبختى وغيره منهم . قال الأشعرى فى كتابه مقالات الاسلاميين : « اختلف الرافضة أصحاب الامامة فى التجسيم ، وهم ست فرق . الفرقة الأولى الهشامية أصحاب هشام بن الحكم الرافضي يزعمون أن معبودهم جسم وله نهاية وحد طويل عريض عميق طوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه لا يوفى بعضه عن بعض ، وزعموا أنه نور ساطع له قدر من الأقدار فى مكان دون مكان كالسبيكة الصافية ، يتلألأ كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها . ذو لون وطعم ورائحة ومجسة ، والفرقة الثانية من الرافضة يزعمون أن معبودهم ليس بصورة ولا كالأجسام ، وانما يذهبون فى قولهم إنه جسم الى أنه موجود ولا يثبتون البارى ذا أجزاء مؤتلفة وابعاض متلاصقة ويزعمون أن الله مستو على العرش بلا كيف ولا مماسة ، والفرقة الثالثة من الرافضة يزعمون أن ربهم على صورة الانسان ويمنعون أن يكون جسما ، والفرقة الرابعة من الرافضة الهشامية أصحاب هشام بن سالم الجواليقى يزعمون أن ربهم على

صورة الانسان ، وينكرون أن يكون لحماً ودماً ، ويقولون انه نور ساطع يتلألأ بياضاً ، وانه ذو حواس خمس كحواس الانسان . له يد ورجل وأنف وأذن وفم وعين ، وأنه يسمع بغير مابه يبصر ، وكذا حواسه كلها متقاربة عندهم . وحكى أبو عيسى الوراق عن هشام هذا أنه كان يزعم أن لربه وفرة سوداء ، وأن ذلك نور أسود ، والفرقة الخامسة يزعمون أن لله ضياء خالصاً ونوراً بحتاً وهو كالمصباح من حيث ماجئته يلقاك بنور ، وليس بذي صورة ولا أعضاء ولا اختلاف فى الأجزاء ، وأنكروا أن يكون على صورة الانسان أو على صورة شيء من الحيوان . والفرقة السادسة يزعمون أن ربهم ليس بجسم ولا بصورة ولا يشبه الأشياء ولا يتحرك ولا يسكن ولا يماس

« واختلفت الرافضة فى حملة العرش . أيحملونه أم يحملون الله ! وهم فرقتان فرقة يقال لها اليونسية أصحاب يونس بن عبد الرحمن القمى يزعمون أن الحملة يحملون البارى ، واحتج يونس أن الحملة تطيق حمله وشبههم بالكركى وأن رجليه تحملانه وهما دقيقتان ، وقالت فرقة أخرى إن الحملة تحمل العرش ، والباري يستحيل أن يكون محمولا » انتهى كلام الأشعرى

وهذه النقول متواترة عن الرافضة وطوائفها ، ولأجل انحراف القوم الى التشبيه وانصبابه فى نفوسهم وعقائدهم انصبابا قالوا ماقالوا من العقائد والأقاويل الباطلة فى الله وفى الأئمة . فزعم مبتكر مذهبهم وأصحابه أن الله حالّ فى على وفى ذريته ، فزعموه آلها وزعموهم آلهة ، وقالوا له أنت الله أنت خالقنا ورازقنا ! وعن هذا التشبيه ألهوا الأئمة وعبدوهم فى كل عصر ومصر . فهم أكثر الناس بلا خلاف تشبيهاً وتنقصاً لرب العالمين . فمذهب الرافضة قائم أصالة على رفع المخلوق وخفض الخالق ، وعلى تنقص الله فى سبيل إعظام عباده ، وعلى هذا الأساس ألف هذا الشيعى كتابه هذا وسلك هذا المسلك ، ومن العجب أن الشيعة قد جمعوا

بين رذيلتى التعطيل والتمثيل ، ورذيلتى التشبيه والجحود . فطوائف منهم كما رأيت يقولون هذه الأقوال المنكرة في الله ، ويضيفون الى قدسه وكماله هذه النقائص ويشبهونه هذا التشبيه المخزى ، ويمثلون خلقه به ويمثلونه بخلقه هذا التمثيل الردى وطوائف أخرى منهم يذهبون الى نقيض هذا المذهب ، ويقولون نقيض هذه الأقاويل فيغلون فى التجريد والتعطيل ، فيجردونه من الأوصاف ومن صفات الكمال خوف التشبيه كما يزعمون . فينكرون جميع الصفات ويجحدون ما علم بالضرورة عقلا وشرعًا من أوصاف الله ، ويجردونه تجريداً لا يقبله العقل ولا الدين . حتى أنهم يرفعون عنه النقيضين فى وقت واحد . فيقولون إن الله لا عالم ولا جاهل ، ولا قادر ولا عاجز ، ولا موجود ولا معـدوم . ويقولون لا يصح أن يقال انه حى ولا أنه ميت ، ولا أنه كبير ولا أنه صغير ، ولا أنه موجود ولا أنه معدوم ، ولا أنه قادر ولا أنه عاجز ، ولا أنه خالق ولا أنه غير خالق ، ولا أنه مريد ولا أنه غير مريد . أى انهم لا يصفونه بالنفى ولا بالاثبات . وهـذا باطل بداهة عند جميع الخلائق العقلاء ، لأنهم لو وصفوه بصفة من هـذه الصفات كما يزعمون لكان مثل خلقه الذين يوصفون بها ، ولو جردوه من هذه الصفات لقام به ضدها ، وهـذا محال فلا يصح حينئذ النفى ولا الاثبات ، ولا وصفه بصفة ولا بضدها ، وهذا معلوم عنهم ، وقد ذكره الشهرستانى وغيره كالمقريزى فى خططه عن طائفة الاسماعيلية منهم ومن هذه الطائفة كانت دولة الفاطميين

وليعلم أن هذا الشيعى صاحب هذا الكتاب من المدافعين عن الفاطميين كما سوف يجىء ، قال الشهرستانى فى هذه الطائفة : « ووضعوا كتبهم على منهاج الفلاسفة ، فقالوا فى البارى لا نقول موجود ولا لاموجود ولا عالم ولا جاهل ، ولا قادر ولا عاجز ، وكذلك جميع الصفات ، فان الاثبات الحقيقى يقتضى شركة بينه وبين سائر الموجودات في الجهة التى أطلقنا عليها وذلك تشبيه ، فلم يمكن الحكم

بالاثبات المطلق ولا النفى المطلق ، بل هو اله المتقابلين ، وخالق الخصمين والحاكم بين المتضادين ، وينقلون هذا عن محمد بن على الباقر وأنه قال لما وهب العلم للعالمين قيل هو عالم ، ولما وهب القدرة للقادرين قيل هو قادر ، فهو قادر وعالم ، بمعنى أنه وهب العلم والقدرة لا بمعنى أنه قام به العلم والقدرة ، أو وصف بالعلم والقدرة . فقيل فيهم انهم نفاة الصفات حقيقة ، معطلة الذات عن جميع الصفات . وكذلك نقول فى القدم إنه ليس بقديم ولا محدث ، بل القديم أمره وكلمته والمحدث خلقه وفطرته »

هذا مانقله الشهرستانى ، وقد ذكره عنهم وعن الفاطميين المقريزى فى خططه وذكره غيرهما من المؤلفين فى هذا الباب ، وقد ذهبت طوائف منهم الى أشنع من هذا وأقبح فزعموا أن الله خلق صفاته كالعلم والارادة بعد أن كانت معدومة . قال الأشعرى « اختلفت الرافضة فى القول بأن الله عالم وقادر وسميع و بصير وهم تسع فرق : فالفرقة الأولى منهم الزرارية أصحاب زرارة بن أعين الرافضي يزعمون أن الله لم يزل غير سميع ولا عليم ولا بصير حتى خلق ذلك لنفسه . والفرقة الثانية السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ ، يقفون فى هـذه المعانى ، ويزعمون أن القول فيها ما يقول جعفر كائنا قوله ما كان ، ولا يعرفون هذه الأشياء قولا . والفرقة الرابعة يزعمون أن الله لم يزل لا حيا ثم صار حيا . والفرقة الخامسة وهم أصحاب شيطان الطاق يزعمون أن الله عالم بنفسه وليس بجاهل ، ولكنه انما يعلم الأشياء اذاقدرها وأرادها ، فأما قبل أن يقدرها ويريدها فحال أن يعلمها ، لا لأنه ليس بعالم ولكن الشيء لايكون شيئا حتى يقدره والتقدير عندهم الارادة . والفرقة السادسة أصحاب هشام بن الحكم يزعمون أنه محال أن يكون الله لم يزل عالما بالأشياء بنفسه وأنه انما يعلم الأشياء بعد أن لم يكن عالما بها ، وأن العلم صفة ليس هو هو ولا هى غيره ولا بعضه ، فلا يجوز أن يقال العلم محدث أو قديم ، لأن العلم صفة والصفة لا توصف . ولو كان لم يزل عالما لكانت المعلومات لم تزل لأنه لايصح عالم إلا

بعلوم موجود ، ولو كان عالما بما يفعله عباده لم تصح المحنة والاختيار . وقال هشام في سائر صفات الله كقدرته وحياته وسمعه وبصره وإرادته انها صفات الله لا هي الله ولا غير الله ، وقد اختلف عنه في القدرة والحياة فمنهم من يحكي عنه أنه كان يقول : ان الله لم يزل قادراً حياً ، ومنهم من ينكر أن يكون قال ذلك . والفرقة السابعة من الرافضة يزعمون أن الله عالم بنفسه كما قال شيطان الطاق ، ولكنهم يزعمون أن الله لا يعلم الشيء حتى يؤثر فيه أثره والتأثير عندهم الارادة . فاذا أراد الشيء علمه واذا لم يرده لم يعلمه ، ومعنى أراد عندهم أنه يتحرك حركة هي ارادة فاذا تحرك علم الشيء وإلا لم يجز وصفه بأنه عالم . والفرقة الثامنة يزعمون أن معنى أن الله يعلم أنه يفعل ، فان قيل لهم ان الله لم يزل عالما بنفسه ، اختلفوا فمنهم من يقول لم يزل لا يعلم نفسه حتى فعل العلم لأنه قد كان ولم يفعل ، ومنهم من يقول لم يزل يعلم نفسه . فان قيل لهم فلم يزل يفعل قالوا نعم ، ولا نقول يفعل الفعل . ومن الرافضة من يزعم أن الله يعلم ما يكون قبل أن يكون إلا أعمال العباد ، فانه لا يعلمها إلا حال كونها . والفرقة التاسعة يزعمون أن الله لم يزل حياً عالما قادراً ، ويميلون الى نفي التشبيه ولا يقرون بحدوث العالم

« واختلفت الرافضة في ارادة الله ، فمنهم من يقول هي حركة ، فاذا أراد الشيء تحرك فكان ما أراد . ومنهم من يقول إن ارادة الله ليست حركة »

هذا ماينقله عن الرافضة سائر العلماء مثل الشهرستاني والأشعري وابن حزم والمقريزي ، وغير هؤلاء . وهذه أمور منقولة عنهم بالتواتر لايمكن جحدها ولا إبايتها . وفي منهاج السنة أن شيوخ الرافضة المؤلفين يذكرون هذه الأمور عن الشيعة بلا خلاف . ومن أقبح خطل الشيعة في التشبيه قولهم على الله بالبداء ، أي بعلمه الشيء بعد جهله إياه ولهذا يغير ارادته . وقد أسلفنا هذا . ومن أقبح هذا القبيح قولهم : إنه تعالى يحل في المخلوقات وفي أجسام بعض خلقه مثل الأئمة ،

وهذا من شر التشبيه وأخبثه . وقولهم إنه تعالى يبدو فى صور بعض عباده وأن هؤلاء العباد الذين يحل الله فى ذواتهم يستحقون العبادة والتقديس ، كما كان يذهب هذا المذهب الفاطميون ، وكانوا يدعون الى عبادة أنفسهم ويصرحون للناس بأنهم آلهة

والعجب أن جميع طوائف الشيعة ما بين مفرط ومفرط فى هذه المطالب العالية فطوائف غالية مشبهة تشبيهاً شنيعاً ، وطوائف أخرى غالية فى التعطيل والجحود كما رأيت ، فهما طرفان متباعدان فقد بينهما الوسط المعتدل القائم بالقسط والعدل فالشيعة ما بين مشبه لله بخلقه ، واصف له بالصفات التى لا تكون إلا المخلوقين ، وما بين معطل لله مجرد له من جميع الصفات والأوصاف . وليس فى الرافضة فيما رأيت من هم على مذهب السلف ، بل كلهم ينقمون من السلف ومن أهل الحق والاعتدال فالمشبهون المجسمون منهم يرمون السلف بالتعطيل والجحود ، لأنهم أنكروا التشبيه والتجسيم ، والمجردون المعطلون منهم يرمون السلف بالتجسيم والتشبيه والايمان بالباطل ، اذ آمنوا بما جاء فى النصوص المتواترة الصحيحة . فالسلف ممقوتون عند هؤلاء وهؤلاء ، عند المعطلين وعند المشبهين المجسمين ، والفريقان أنفسهما متنابذان متلاعنان لأنهما متباعدان جداً . فالمشبهون منهم يذمون المعطلين ويقعون فيهم ، والمعطلون يذمون المشبهين ويقعون فيهم ، فكلا الفريقين عائب معيب ، وكلاهما ذام مذموم ، والله ورسوله وعباده الصالحون منهم براء ، والحق عن هؤلاء وهؤلاء فى مكان قصى . ومن العجيب المؤلم أن تكون هذه عقائد الشيعة وآراؤهم فى الله ما بين تشبيه قبيح صريح ، وما بين تعطيل صريح قبيح ، ثم يقوم واحد منهم ، من هؤلاء المشبهين المعطلين يرمي أهل السنة والحديث كابن تيمية وتلاميذه الأبرار ، بأنهم مشبهون لله ، وأنهم قائلون عليه الأباطيل اذ وصفوه بما وصف هو به نفسه فى كتابه ووصفه رسوله فى سنته نفيا واثباتا ، لا زيادة ولا نقصان ولا تحريف ولا

تمثيل ، زاعما أن ذلك يلزمه التشبيه والباطل ثم زاعما أن هذه الصفات لا تكون الا للاجسام ولا يوصف بها غيرها

وأما دعواه أن شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم وتلاميذه وأهل السنة من أهل نجد يقولون ان الله جسم وأنه في جهة ، وأنه يشبه أحداً من خلقه في صفة من صفاته ونعت من نعوته ، فهذه دعوى يتقلدها ويبوء بإثمها هو ومن افتجرها له وقلده فيها ، ممن تعبدوا الله بالأكاذيب والاختلاق على رجال السنة والحديث تغريراً وتنفيراً وخداعا مزريا . ولو لم تكن كتب ابن تيمية وتلاميذه الأبرار وأهل السنة من أهل نجد مطبوعة منشورة في أنحاء العالم ، معروفة للخاصة والعامة لقلنا كذب على غائب مجهول ، قد يروج وقد ينفق ، وقد يحسب من الحقائق الصادقة ، وقد يكون كذلك ، وقد يخادع الكاذب نفسه ويغش علمه ويظلم دينه . أما الكذب على معلوم حاضر فلا يجرؤ عليه إلا أناس قليلون استهانوا بالحق وبالخلق، واستهانوا بالعلم وبأنفسهم وضمائرهم ، ثم استهانوا بالناشرين والطابعين والقارئين . هذه كتب ابن تيمية وكتب تلاميذه وكتب النجديين موجودة في كل مكان ، قد طبع الشيء الكثير منها . وهذه مقالاتهم وآراؤهم في هذه المطالب المتنازع فيها بينهم وبين هؤلاء الخلوف المخالفين . وهذه أقاويلهم في الله وفي صفاته ، مثل الاستواء على العرش ومثل كلامه ونزوله إلى سماء الدنيا وسائر صفاته تعالى ، هل يستطيع أحد من الناس أن يجد فيها أنهم زادوا على النصوص الصحيحة من الآيات والأحاديث الثابتة ، أو أنهم قالوا على الله قولا لم يكن في كتاب الله ولا في سنة نبيه أو أنهم وصفوه بصفة غير متواترة النصوص ، أو أنهم قالوا ان الله جسم أو عرض ، أو أنه يشبه خلقه في ذاته أو في صفاته أو في شيء من الاشياء ، أو يجد أنهم يشكون في ذلك أو يجوزونه أو يلاينون من قاله من أهل البدع والأهواء والافتئات على الله ؟ هل يستطيع هذا المخالف المدعي أو غيره من الناس أن يجد

واحداً من هذه الامور فى كتب شيخ الاسلام ابن تيمية أو كتب النجديين ؟ إن أبلغ التعجيز وأبلغ اظهار الثقة بالقول هو التحدى . وإننا لهذا نتحدى هذا المخالف وغيره من المخالفين لنا ، ونقول لهم جميعا : أرونا أمراً واحداً من هذه الامور التى زعمتموها على القوم إن كنتم صادقين أرونا أن شيخ الاسلام أو ابن القيم أوالشيخ محمد بن عبد الوهاب أو أحداً من هؤلاء قال ان الله جسم ، أو قال إنه يشبه خلقه فى ذاته أو فى صفاته أو فى شأن من شئونه أو قال انه يوصف بما لم يصفه به الكتاب أو السنة ، أو ما أجمع عليه سلف الأمة ، أو أن أحداً من هؤلاء جوز وصفه تعالى بذلك . أرونا ذلك فان لم تفعلوا ، ولن تفعلوا ، فاتقوا الله واحترموا القارئين واحترموا العلم . ومن جمع أكاذيب وأموراً مناهضة للواقع وألفها وطبعها فى كتاب فلا يمكن إلا أن يكون قد علم أن كتبه لن تقرأ ، لاستخفافه بنفسه ، أو ممن استخف هو بالقراء وتغفلهم ، واننا لا نتحدى المخالفين فى هذا ونطلب اليهم نقل ما زعموه لأن الأمر يحتاج الى هذا التحدى ، بل انما تحديناهم زيادة إعجاز وإقناع وإلا فقد كتب هؤلاء العلماء الذين اتهموا بأنهم يقولون ان الله جسم وأنه فى جهة وأنه يشبه خلقه فى غير ما كتاب من كتبهم المطبوعة الانكار الصريح على من قال من أهل الابتداع كالرافضة وغيرهم ان الله جسم أو أنه فى جهة أو أنه يشبه خلقه وعلى من وصف الله وصفاً لم يرد فى الكتاب ولا فى السنة . وقد ذكر ابن تيمية وتلاميذه فى كتبهم المطبوعة ما لانحصيه من التصريحات بأنهم لايقولون ان الله جسم أو أنه فى جهة من الجهات ، وقد ذكروا ما لا نستطيع إحصاءه أن من قال ذلك فقد ابتدع وقال فى الله الباطل وما لايليق ، وأنه تجاوز الحدود وهجم على المنكر . وقد ذكر فى منهاج السنة فى الرد على الشيعة فى غير موضع منه ، وذكر فى غيره من كتبه المطبوعة ، أنه لا يصح أن يقال ان الله فى جهة ولا أن يقال انه ليس فى جهة ، ولا أن يقال انه جسم أو أنه غير جسم ، أى ان ذلك لاينفى ولا يثبت ،

قال لأن ذلك النفي وذلك الاثبات لم يردا في كتاب ولا سنة ، ولم ينقلا عن سلف الأمة ، قال ولأن النافي قد ينفي حقاً ثابتا ، والمثبت قد يثبت باطلا ، فإن القائل ذلك ، أى القائل ان الله ليس فى جهة قد يكون يريد بهذا أنه ليس على العرش ولا فوق السماء ، فيكون بقوله هذا مخالفاً الكتاب والسنة وإجماع السلف ، وقد يريد القائل انه فى جهة أنه حالّ فى مكان أو أنه محمول على شيء من خلقه مثل العرش أو غيره ، فيكون بهذا قائلا على الله الاثم والضلال ، وقد يكون القائل انه جسم يريد أنه مثل الأجسام المؤلفة من اللحم والدم والأعصاب والعظام ، وهذا باطل وضلال ، وقد يريد من قال أنه ليس بجسم أنه ليس قائما بنفسه ، وأنه ليس مستويا على العرش ولا بائناً عن خلقه ، فيكون بهذا مخالفاً الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة ، وإذن لا النفي يجوز ولا الاثبات خوف الابتداع والوقوع فى الضلال وإذن لا يصح المصير الى ما لم يرد لا نفيا ولا إثباتاً ، وانما حسب المسلم أن يلتزم قول الله وقول رسوله ﷺ ، وأن يرغب عما رغبا عنه ولا سيما فى باب العلم بالله وبصفاته ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه

فابن تيمية وتلاميذه والنجديون يصرحون جهرة بأنه لا يجوز القول بالجهة ولا بالجسم لا نفيا ولا اثباتا ، ويأبون القول على الله وفى صفاته بما لم يرد فى النصوص وما لم يؤثر عن السلف ، ويرون أن من قال شيئا من ذلك فقد ابتدع وقال فى الله وعليه الباطل والاثم . وهذا مذكور فى كتبهم كلها . فمن الاثم إذن والجناية الكبرى اتهامهم بذلك ، ومن الاقدام على الذنب الاقدام على هذا الاتهام وإذا لم تؤخذ مذاهب الناس من كتبهم وكلامهم فمم تؤخذ ؟ وإذا لم يؤخذ الرجل بما كتب وقال فبماذا يؤخذ ؟ ان كل انسان يستطيع أن يكذب ويستطيع أن يتهم الأبرياء ويستطيع أن يضيف الى عظماء الرجال ما يمليه عليه هواه أو نقصه ولكن الشأن فى تصديق ذلك وإقامة البراهين على صدقه ومن ذا الذى يعنى أو

يتعامى عما كتبه الرجل مذهبا له ليتقبل طوعا أو كرها ما ينسبه اليه أهل الضغن والخصومة الظالمة ? الاختلاق كما قلنا لا يعجز أحدا وقد اختلق الضغن والهوى على الصديق والفاروق وعثمان وعلى غيرهم ممن هم دونهم أو فوقهم . وهل يعجز من اقترف على هؤلاء وساق إليهم التهم سوقا من كل وجه أن يسوق ذلك أو بعضه أو أكثر منه إلى ابن تيمية وتلاميذه وإلى النجديين كافة ؟ إن ذلك لن يعجزه ولكن الذى يعجزه حقا هو تصديقه وإقامة البرهان عليه

فان قيل إن أحد الناس طبع فى هذه الايام رسالة زعم فيها أن شيخ الاسلام ابن تيمية قال فى كتابه منهاج السنة إن الله فى جهة ، وقال أشياء أخرى فى المنهاج وفى كتابه العقل والنقل ، وأن صاحب هذه الرسالة زعم أنه دلّ على المواضع التى قال فيها ابن تيمية ذلك من كتابيه المذكورين بالصفحة ، إن قيل هذا قلنا إن صاحب هذه الرسالة لم يرد الحق والصدق ، ولم يرد أن يكون امينا فى نقله وقوله . وبالرجوع الى المواضع التى دل عليها من ذينك الكتابين يعرف أن صاحب هذه الرسالة لم يكن صادقا ولا حريصا على أن يكون صادقا ، ويعرف أنه كان يتصيّد الكذب ويحتال على الاختلاق . ولعل كثيرين من الناس لم يكونوا يحسبون أن عالما يحترم نفسه ويحترم العلم والتأليف ، يمكن أن يقول خلاف الحق متعمدا ، ثم يذهب يدل على مواضع جريمته فى صفحات الكتاب الذى اجترم على صاحبه ما اجترم ثم يذهب يرشد الناس إلى أنه غير صادق فى علمه وتأليفه ! ولعل هذا اللون من الابتكار نوع من أنواع الخداع وترويج الجريمة والبهيتة وابعاد الظنة والتهمة ، وذلك أن الناس كلهم أو جلهم لم يبلغ بهم سوء الظن بالناس ، وبالعلماء المؤلفين منهم خاصة أن يظنوا ان الرجل منهم يذهب ينقل عن كتاب مطبوع مقروء موجود فى المكاتب الخاصة والعامة ويدل على ما نقل بالصفحة ثم لا يكون فى ما نقل وكتب صادقا ! إن هذا النوع من الابتكار فى الخداع لم يكن الناس يألفونه ولم يعرفونه .

ومن ثمّ كان من صنع هذا واقترفه جاهداً في وضع نفسه عن الاتهام وسوء الظن بعيدا ، جاهدا في الاضلال والخداع ، اللذين لا ينفسان على أحد !

وانا نرجو من وقعت في يده هذه الرسالة أن يرجع الى المواضع التى ذكر أنه وجد فيها ضلال ابن تيمية وزيغه ليعلم من الضال الزائغ حقا ، وأما من لم يطلع على هذه الرسالة فيكفيه أن يتناول ما شاء من كتب هذا الامام وكتب تلاميذه ويقرأ ما شاء من هذه الكتب ، فانه لن يجد فيها قولا واحدا في الله أو في صفاته إلا أن يكون موجودا في الكتاب أو في السنة الصحيحة ، وأما ما ليس كذلك فلن يقولوه

فان قلت إنا نعترف بأن ابن تيمية وتلاميذه ، وكذا النجديون ، لا يقولون بالجهة ولا بالتجسيم والتشبيه صراحة ونصا ، ولكن ايمانهم بهذه الصفات ، مثل الاستواء والصفات الأخرى على ظاهرها ، يقضي بالتشبيه والتجسيم والقول بالجهة فهو كذلك لزوما واقتضاء ولا معنى للايمان بهذه الصفات الا الايمان بهذه الأمور اللازمة لها ، ان قلت ذلك قلنا : هذا ما سوف نتناوله بالبيان في الفصل الآتي :

الاستواء على العرش

نعم ان هؤلاء الأئمة يؤمنون بأن الرحمن على العرش استوى ، وأنه فوق جميع المخلوقات ، كما جاء ذلك في جملة الكتاب الكريم والسنة وسائر الكتب السماوية ، ويؤمنون أيضا بسائر الصفات التى صحت نصوصها مثل أن الله يرحم عباده رحمة عامة ورحمة خاصة ، وأنه يرضى من عباده الايمان وأعمال البر ، ويكره الكفر والعصيان والشر ، ويمقت الاثم والفسوق وأنواع الفساد ومن عملوا ذلك ، ويحب عباده الطاهرين المتقين أهل الدين والعدل والصدق والمروءة وأنواع الفضائل ويبغض أهل الظلم والكذب والخبث وأفانين الرذائل ، ومثل أن له يداً ليست كأيدينا ، ووجها ليس كوجوهنا ، وكلاماً بحرف وصوت كما جاء في الأحاديث

الصحيحة ولكن ليس ككلامنا ولا كحروفنا وأصواتنا ، وأن له ذاتاً ووجوداً وحقيقة وارادة وعلماً ومشيئة وحياة واختياراً وغير ذلك من صفات الكمال الواردة فى الكتب المقدسة والتى أرشدت اليها العقول السليمة . ولكن شيئاً من ذلك لا يشبه شيئاً من صفات المخلوقين فى وجه من الوجوه ولا معنى من المعانى ، فكما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق فكذلك صفاته لا تشبه صفاتهم ، والكلام فى الصفات كالكلام فى الذات ، فاذا كانت ذاته تعالى لا تشبه ذوات المخلوقين ، وللمخلوقين ذوات ، فكذلك صفاته لا تشبه صفاتهم يقيناً

والأمر الجامع لهذا أن نؤمن بجميع ماورد لله فى كلامه وكلام أنبيائه من الصفات والشئون ايماناً خالصاً بريئاً من التعطيل والتمثيل ومن التجريد والتشبيه ، فلا يجوز لنا نفى ما ورد له من الصفات كما لايجوز لنا تشبيه ذلك بصفات الحادثات فمن شبه فقد ضل ومن نفى فقد ضل ، والنافى كالمشبه كلاهما غالط ضال ، وكلاهما قائل على الله غير الحق . والنفى والتشبيه متقارنان متلازمان لا ينفصلان ، فكل مشبه ناف وكل ناف مشبه ، ولولا التشبيه لما كان النفى ، ولولا النفى لما كان التشبيه فان النافى بنفى هذه الصفات عن الله لظنه أنها فى الله لا بد أن تكون مثل صفات الخلق ، ولا بد أن تكون مشابهة ما يسمى باسمها من أوصاف العباد ، ولا يمكن أن تكون مخالفة صفاتهم أبداً ، ولأجل هذا الظن لجأ الى النفى والتعطيل ، فقد شبه أولا ونفى ثانيا ، فهو مشبه ناف ، فهو إذن جامع الضلالتين ، ولو أنه لم يعتقد هذا التشبيه لما كان هنالك ما يضطره الى النفى ، ولو أنه علم أن صفات الله كذاته لا تشابه ولا تماثل ، لما لجأ الى الابطال والنفى والى تأويل النصوص . فالنافى كما قلنا مشبه ناف ، ولأجل هذا نجد المنزهين الذين يعلمون أن هذا التشبيه المزعوم مرفوع ممنوع ، والذين يعلمون أن الله وصفاته لاتشبه شيئا لايرون ثمة أمراً يدعوهم الى التأويل والى التعطيل . فقد علموا أن صفات الله ليست كصفات عباده

فآمنوا بها مع هذا التنزيه فخلصوا من هاتين الضلالتين ، أعنى التشبيه والتعطيل ، وخلصوا بذلك من مخالفة النصوص والخروج على الاجماع الأول ، ولهذا فانك غير واجد حجة واحدة عند نفاة الصفات غير دعواهم ان الايمان بها يقضي بهذا التشبيه ، ولهذا يسمون المؤمنين مشبهين مجسمين . ويدعون عليهم خطأ أنهم يقولون بذلك صراحة ، وذلك لحسبانهم أنه غير ممكن الايمان بهذه الصفات الا مع التشبيه والتشبيه باطل بلا ريب . ولأجل ما ذكرنا نجد الطوائف المشبهة تصير آخرة الى التعطيل وتنبت بينها طوائف أخرى معطلة ملحة فى التعطيل ؛ وقد ذكرنا آنفا أن هذا المرض ـ أعنى التشبيه ـ أصلا ووضعاً كان في طوائف الشيعة وأنهم هم الذين ابتكروه فى الاسلام . وهم الذين غلوا وبالغوا فيه أشد المبالغة والغلو ، وذكرنا أن طوائف منهم كالاسماعيلية كانوا يقولون بالتعطيل الصريح التام ، حتى انهم يأبون وصفه تعالى بصفات الوجود والحياة والقدم والبقاء والعلم والخلق والارادة وأخص صفات الربوبية ، لزعمهم أن وصفه بهذه الصفات عين التشبيه والتشبيه لاريب باطل ، ولأن وصفه بصفة من هذه الصفات الوجودية يقضي بأن يكون مشاركا خلقه الموصوفين بها ، والله لا يشاركه مشارك فى صفة من الصفات وأمر من الأمور وإلا لو شاركه مشارك فى شيء من ذلك لكان هو مثل ذلك المشارك . فباطل إذن وصفه تعالى بشيء من تلك الأوصاف ، حتى امتنع أن يقال انه موجود أو حى أو خالق أو رازق خيفة ذلك المحذور فلزم تجريده تجريداً عاما ، ووجب جحد جميع صفاته جحداً تاما ، فكانوا بهذا حقًا معطلين ملحدين ، بل كانوا أئمة هؤلاء الخاسرين الضالين ، وكانوا أيضاً قائلين بما يستحيل وجوده وما لا يعرف مثله ، فان الناس ، ما خلا هؤلاء ، يعلمون بداهة بأن أحداً موجوداً قائما بنفسه لايمكن أن يكون مجرداً من جميع الصفات ، ولا يمكن أن يعترف انسان بوجود شيء وهو ينفى عنه جميع الصفات ، ان هذا من أبين الأمور المستحيلة ،

وأن القول به من أعظم المخارق والمهازل التي يصاب بها العلم والدين الفرط من الزمان . وأما ان كانوا يريدون أن هذه الصفات ثابتة لله قائمة به ولا ريب ، ولكن مع هذا يمتنع وصفه بها ويمتنع الاخبار عنه بأنه متصف بها فهذا أيضا واضح البطلان ، لأنه اذا كان المانع عندهم من وصفه بالصفات هو خيفة مشاركة المخلوقين له لم يكن السكوت عن وصفه بها وقيامها به نافعا ولا دافعا شيئا مما حذروه وخافوه لأن الخوف هو من مشاركته تعالى الخلق في الصفات لا من الاخبار عنه بتلك الصفات . فان التشابه يكون بين الموجودين بما يتصفان به من الأمور الوجودية لا بالاخبار عنهما بأنهما متشاركان أو متماثلان في حقيقة من الحقائق . فان الاخبار عن الموجودين بأنهما متشابهان وهما ليسا كذلك لا يقضي بأن يكونا متشابهين ، والاعراض عن وصف المتشابهين بالتشابه لا يقضى بان يكونا غير متشابهين . وهذا ضروري لا يرام نزاعه ، فالشيء الثابت في الواقع ثابت في نفسه سواء أأخبر عنه بالثبوت أم لم يخبر عنه ، بل هو ثابت وان قيل انه غير ثابت . فالموجودان المتماثلان متماثلان سواء أأخبر عنهما بذلك التماثل أم لم يخبر ، والموجودان المتباينان اللذان لا يتماثلان هما غير متماثلين سواء أقيل انهما متماثلان أم قيل انهما ليسا كذلك . وحينئذ فالله إما أن يكون موصوفا ، وإما أن لا يكون موصوفا ، فان كان موصوفا فالشبهة التي أنكروا لأجلها وصفه واردة ، وهي أنه يكون بذلك شبيه خلقه الموصوفين ، وحينئذ فالاخبار عنه بالصفات لا يضر شيئا ولا يقوى الشبهة المذكورة والاعراض عن الاخبار بذلك لا ينفع شيئا ولا يدفع هذه الشبهة أو يضعفها . وأما ان قيل انه مجرد من جميع الصفات في الواقع قيل هذا مستحيل استحالة لا يدفعها عاقل ، فان كل موجود موصوف ، وما لا يوصف هو معدوم بلا شك . فالذى يقول ان الله ليست له صفات انما يقول بتعبير آخر ان الله ليس موجوداً وليس لهذا العالم رب . ولهذا كان مصير هؤلاء الى الالحاد المطلق والجحود الصريح .

فانه لافرق فى التحقيق بين من يقول ان الله موجود ولكنه ليس له وصف من الأوصاف الوجودية ولا يمكن وصفه بشيء من ذلك ، وبين من يقول ان الله غير موجود . فان القولين فى المعنى والنتيجة واحد وحاصلهما واحد فهما سواء غير أن القول الأول يفوق الثانى تناقضاً ومكانة فى الاستحالة ، فان إنكار وجود الموجود أقرب فى المعقول من القول بأن هنالك موجوداً قائماً بنفسه لكن ليس له صفة ما من الصفات ولا يمكن الاخبار عنه بأمر من الأمور ، وهذا أثبت المستحيلات نسبا وأظهرها فى أوليات العقول الصحيحة بل والمريضة . ومن ثم فاننا نزعم ، ولا نشك فى صحة زعمنا ، أن أصحاب هذه المقالات المستحيلة هم فى الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا بأن لهذا العالم خالقاً ولا يؤمنون بالشرائع ، بل هم ملحدون خالصون ولا ريب عندنا فى هذا ، فان مقالات المؤمنين لا تشتبه بمقالات الملحدين ، وان نفحات الايمان لا تلتبس بلفحات الكفران ، وان لموارد الأقوال دلائل على مصادرها ولمصادرها فلتات تنم على مواردها

ثم نعود الى أول المسألة فنقول : لا ريب فى أن القرآن بجملته ، بل الكتب السماوية بجملتها ، دلائل ناطقة وظواهر قاطعة على أن الله فى السماء مستو على العرش استواء يليق به ، وأن السنة النبوية بجملتها دالة على ذلك دلالة لا ريب فيها ، وأن كلام السلف الأول ، الصحابة فمن دونهم من أهل السنة وعلماء الأثر والحديث مؤيد ذلك كله تأييداً لا شك فيه . لا ريب فى ذلك كله ، ثم لا ريب أن الفطرة والضرورة بعد ذلك شاهدا عدل وصدق على هذه القضية ، قضية علو الله على خلقه . هذا ظاهر عندنا غنى عن ذكر دلائله ، ويكفى من أراد أن يعلم هذه الحقيقة أن يقرأ ما تيسر له من القرآن أو من السنة ، وأن يلم إلمامة سريعة قصيرة بآثار السلف وعلمهم والمروي عنهم . وقد ألفت فى ذلك الكتب كما فعل الحافظ الذهبى فى كتابه « العلو » وابن القيم فى كتابه « اجتماع الجيوش الاسلامية » وقد

تفنن الكتاب العزيز في هذه المسألة أي تفنن . وأثبتها بعبارات مختلفة واضحة ، وبأساليب منوعة ظاهرة ، وبطرق من القول والكلام كثيرة . كل ذلك ينبيء عن معنى واحد ، عن علو الله على خلقه إنباء لا شك في صدقه ، فتارة يخبر عن ذلك بلفظ الاستواء على العرش ، وقد أتى هذا اللفظ في جملة سور من القرآن ، وتارة يخبر بلفظ الاستواء الى السماء ، وتارة يخبر بقوله « يخافون ربهم من فوقهم » وتارة يخبر بأنه العليّ وأنه الأعلى ، وتارة يخبر بأن الملائكة تعرج اليه وبأنه ذو المعارج ، وتارة يخبر بأنه رفع اليه عبده عيسى ، ويقول « بل رفعه الله اليه » وتارة يخبر بأن الكلم الطيب يصعد اليه ، وتارة يخبر بأنه في السماء ، وتارة يخبر بأن الكتاب ينزل من عنده وأن الملائكة ينزلون من لدنه ، وتارة يخبر بأن كل خير وفضل ونعمة بالناس آت من جانب السماء ، وتارة يخبر بأنه عرج بعبده محمد عليه السلام اليه وبأنه كان يقلب وجهه في السماء انتظار أمر ربه بقوله : « قد نرى تقلب وجهك في السماء » وتارة يخبر بأن موسى عليه السلام قال لفرعون إن ربي في السماء فقال فرعون « يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فاطلع الى إله موسى وإني لأظنه كاذبا » أي في قوله ان ربي في السماء وتارة يخبر بأنه يدبر الأمر من السماء الى الأرض ، وتارة يخبر بأن الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله أحياء عنده والشهداء في السماء ، وتارة يخبر بأنه رفيع الدرجات وتارة يخبر بأن الملائكة عنده ، والملائكة في السماء قال : « ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته » وتارة يخبر عن تلك المرأة الصالحة بأنها قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ، وتارات يخبر عن ذلك بغير هذه الألفاظ بما لو أوّل كله لعاد الشرع كله مؤولا وما لو عد كله متشابهاً لعاد الشرع كله متشابهاً كما قال الفيلسوف ابن رشد في كتابه مناهج الأدلة المطبوع مع كتابه الآخر المعروف بفلسفة ابن رشد . فانه قال في هذا الكتاب : أن ظواهر الشرع ونصوصه تدل

كلها على أن الله فى السماء ، قال : وهذه النصوص لا يصح عدها من المتشابهات لأنها لو عدت من ذلك لعاد الشرع كله متشابهاً ، ولا يصح أيضاً تأويل هذه النصوص ، لأنها لو أولت لعاد الشرع كله مؤولا ، وذلك لأن أحكام الشريعة تؤخذ من نصوصها الظاهرة لا من شيء آخر ، فاذا أمكن أن تكون نصوص علو الله على خلقه ، وهى نصوص لا تحصى ، مؤولة أو متشابهة أمكن أن تكون نصوص جميع الأحكام الشرعية مؤولة أو متشابهة لأنها ليست أبعد عن التأويل وعن عدها من المتشابهات من نصوص هـذه المسألة التى معنا ، أعنى مسألة علو الله ، فان نصوص العلو ليست أقل ولا أغمض من نصوص دلائل البعث الجثمانى وحشر الأجساد ودلائل وجوب الصيام والصلاة والزكاة والفرائض الأخرى ، ونصوص دلائل رؤية الله ودلائل الشفاعة وتخليد الكافرين أبداً فى الجحيم ، والمؤمنين أبداً فى جنات النعيم واخراج المؤمنين من النار بعد تطهيرهم من ذنوب اجترحوها وغير ذلك ، وإذا أمكن أن يؤول كل هذا أو يعد كله من المتشابه فالشرع إذن كله مؤول متشابه ، وحينئذ تبطل الشريعة وتبطل نصوصها وتصير لغواً لا فائدة فيه بل لا يستفاد منها حينئذ غير الشبهات وغير عناء التأويل وتطلب وجوهه ومخارجه ، وفى هذا غاية الفساد والبلاء على الأمة والدولة ، وما يدعيه هـذا المصنف هو مقدمات لهذا البلاء . وقد وقع ما حذره القاضى ابن رشد . فقد بالغ الناس فى التأويل وفى الادعاء على النصوص بأنها متشابهة حتى تناول التأويل كل شيء وكل نص حتى زعم بعض المؤولين أن المراد بالصلاة والصيام والحج والزكاة رجال عظماء يراد ولاؤهم واحترامهم وحتى أولت دلائل التوحيد وعبادة الله وحده كما فعل الرافضى . وهذا بلاء تكفى طلائعه

هذا الذى ذكرناه أفانين من جملة تعبير القرآن الحكيم عن هذه المسألة ، وأما السنة فالأمر فيها أكثر وأظهر وما فيها من هذا لا يحصى ولا يحصر ، وقد أراد

بعض الحفاظ أن يجمعوا بعض ذلك فوضعوا كتباً خاصة كما فعل الحافظان الذهبي وابن القيم فى الكتابين المذكورين ، وعلى من يشك فى هذا ومن يريد أن يلم به أن يراجع هذين الكتابين . أو كتاب التوحيد لابن خزيمة . أو كتاب الأسماء والصفات للبيهقى . أو كتاب التوحيد للبخاري وما كتبه عليه ابن حجر العسقلانى أو كتاب السنة لابن الامام أحمد أو ما شاء من كتب السنة والحديث التى ألفها حفاظ الاسلام وحملة الشريعة . وأمامه ما يشاء من كتب الصحاح والمسانيد والجوامع مثل صحيح البخارى ومسلم والسنن وغير ذلك من كتب الحديث لانخصّ كتابا دون كتاب ولا إماماً دون إمام . وقد جمع الحافظ الذهبى من ذلك فى كتابه المسمى بالعلو من الأحاديث ماجاء فى صفحة ١٥١ من الكتاب المذكور وجمع ابن القيم من ذلك ما يقارب هذا أو مايزيد ، وقد عد الذهبى بعض ألفاظ الأخبار التى رواها فى كتابه متواترة وجعل من ذلك حديث معاوية بن الحكم الذى فيه إنه جاء رسول الله بجارية سوداء يريد أن يعتقها فقال لها رسول الله من أنا ؟ قالت أنت رسول الله . قال لها أين الله ؟ قالت فى السماء . فقال رسول الله أعتقها فانها مؤمنة ، وقد خرج هذا الحديث مسلم فى صحيحه وخرجه من لانحصيهم من المحدثين ، وقد صدر الذهبى به الأخبار التى رواها فى كتابه ، وجعله النسائى تفسيراً لقوله تعالى « ثم استوى الى السماء » وقد روي هذا الحديث من طرق كثيرة مختلفة بعبارات مختلفة عن معاوية بن الحكم وعن غيره من الصحابة ، وهذا الحديث لاريب فى صحته عن رسول الله عليه السلام ولا ريب فى وضوحه ودلالته على المسألة دلالة قاطعة لا يمكن النزاع فيها ولا الاختلاف ، ولا يمكن تأويله ولا الانفصال عنه بتأويل أو تخريج بعيد أو الدعوى بأنه من المتشابهات ، وقد حاول بعض المتأخرين الانفصال منه ومن معناه فذكر له تأويلات باطلة فاسدة . فمن ذلك أنه زعم أن النبى الكريم أقر هذه الجارية على قولها إن الله فى السماء وهو يعلم

أن قولها هذا كفر وتشبيه لأنها كانت جاهلة فاكتفى منها بهذا القول الذى هو باطل . وهذا تأويل يؤول الى القدح في النبي وفى الشريعة وفى القرآن وفى كل دين لأن محصل هذا الجواب أن الرسول الكريم يقر على الكفر بل ويمتدحه ويثنى عليه وعلى صاحبه بل ويحكم بأنه إيمان ! وهذا غاية الضلال . ثم ألا يعلم هذا المؤول أن الجاهل يعلّم ويعرف ولا يقر على جهله وكفره وضلاله ؟ واذا كان الرسول يقر الجاهلين على الجهل وعلى خلاف الحق فمن ذا بعد الرسول يعلم الجاهلين ويهدى الضالين ؟ ثم اذا كان اقرار النبي الكريم الجارية على ضلالها وكفرها إنما كان لأجل جهلها وغبائها كما يدعون ، فلماذا لم يذكر هذا ولماذا لم يذكر فى لفظ واحد فى رواية واحدة أن الله ليس فى السماء وليس مستويا على العرش تحذيراً من هذا الضلال الذى أقره وجعله إيمانًا واسلاما وشهد لقائلته بأنها مؤمنة ؟ ولماذا لم يقل النبي الكريم اذا كان الأمر كما يذكرون للجارية أو لرب الجارية جئنى بها بعد كى أعرّفها أن قولها هذا كفر ومروق من الاسلام ؟ بل ولماذا يشهد لها بالايمان حينما قالت الكفر وكان يمكن أن يقتصر على قوله اعتقها دون أن يقول فانها مؤمنة لئلا ينساق هذا الباطل الذى هو الايمان بأن الله فى السماء الى بعض الأذهان ؟ بل لماذا لم يقل لها : لا تقولى هذا بل قولى إن الله ليس فى السماء ولا فوق العرش ولا فى جهة من الجهات ؟ وهل فى مثل هذا صعوبة أو خفاء ، وقد كان ممكنًا أن ينتفع بهذا غير الجارية من الحاضرين إذا فرض أن عقل هذه الجارية كان ضيقاً لايتسع افقه لمثل هذه العقيدة ولا يمكن أن تؤمن إلا بالحسيات ؟ واذا ما تركنا كل ماقلنا وفرضنا أن ما قاله المخالفون حق فلماذا لا يصنعون صنع النبي الكريم فيدعوا الجهال يعتقدون أن الله فى السماء . لأنهم جهال لا يؤمنون إلا بمثل ما آمنت به تلك الجارية ولماذا يكتبون كتباً يقولون فيها إن من دان هذه العقيدة فهو كافر ثم ينشرون هذه الكتب بين العامة الجهلاء ؟

وفى هذا الحديث دلالة أخرى من ناحية أخرى على أن الله فى السماء ، وذلك أنه يدل على أن الناس كانوا فى عصر النبوة وعصر نزول القرآن والشرائع يؤمنون بعلو الله ، وقد جاء هذا فى أخبار وروايات وأشعار معلومة ومع هذا لم يجىء فى القرآن ولا فى السنة لفظ واحد يقول إن الله ليس فى السموات أو يطلب من الناس أن يخالفوا فطرتهم المجبولة على الايمان بعلو الله . بل قد جاء القرآن والسنة شاهدين لعقيدتهم هذه مقرين لما جبلوا عليه من أن الله فوق كل شيء ، ولا ريب أنه كان لازماً تغيير هذه العقيدة لو كانت باطلة ؛ ولو كانت عقيدة تشبيه وتجسيم كما يقول المؤولون . فلا شك إذن فى بطلان أمثال هذه التأويلات وشناعتها ، وقد ذكر بعضهم للحديث تأويلا آخر أبعد من الأول . ذلك أنه زعم أن قولها ان الله فى السماء ليس معناه أنه تعالى فى السماء كما يراد ، وإنما معنى قولها هذا إيمانها بالله وتوحيدها وهجرانها الأصنام وعبادتها . لأن قولها إن الله فى السماء اعتراف منها بهجران الأوثان وما يعبد من دون الله فى الأرض ، ومثل هذا القول لا يستحق عندنا أن يسمى تفسيراً أو تأويلا بل هو قول دون ذلك ، وما هو إلا تلاعب أطفال ، ومجانة مجان ، وهو كقول أحد شيوخ الشيعة واسمه « بيان » فى قوله تعالى « هذا بيان للناس » إنه هو المعنىّ ، وقول آخر منهم واسمه الكسف فى قوله تعالى « وان يروا كسفاً من السماء ساقطا » انه هو المراد بالآية وكقولهم فى البقرة المأمور بذبحها انها هى عائشة وأشباه ذلك ، ومثل هذا يقل عن أن يسمى تأويلا وعن أن ينقل لأنه رأى فى الحديث ، ولكن ينقل ان نقل عبرة وعظة وما من قول ونص فى الدنيا الا ويمكن تسليط أمثال هذه المزاعم الباطلة عليه ويمكن افساده والخروج منه ومن دلالته بأمثال هذا الهراء والعناء ، وهذا يؤدي الى الانفصال من كل شىء ، وهذا ماصار اليه المفتونون بأشباه هذا العناء المسمى عندهم بالتأويل حتى عاد الشرع كله مؤولا ولكن أهل الحق يرغبون بدينهم

وبعلمهم عن هذا

ذلك ، وأما ما نقل عن السلف من الصحابة والتابعين والأئمة المعروفين المشهود لهم بالسبق والتبريز فى هـذه المسألة فشيء لا يحصره حاصر ولا يجمعه من حاول الجمع والاحاطة . فان القوم كانوا لا يختلفون فى أن الله فوق سماواته وجميع خلقه ، وقد نقل اتفاقهم على ذلك جميع المؤلفين فى المسألة من أهل السنـة قديما وحديثا ، فنقل اتفاقهم القاضى المالكى الفيلسوف ابن رشد فى كتابه مناهج الأدلة وقال ان أهل الشرع ما زالوا يثبتون ذلك ويصرحون به حتى جاءت المعتزلة والمتأخرون من الأشعرية فنفوه لمزاعم زعموها غير صحيحة ، قال وظواهر الشريعة ظاهرة فى إثبات هذا بحيث لايمكن تأويلها ولا عدها من المتشابهات . ونقل ذلك القرطبى فى تفسير قوله ثم استوى على العرش قال وقد كان السلف لا يقولون بنفى علو الله على خلقه ولا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكافة باثبـات ذلك لله كما نطقت كتبه وأخبرت رسله ، قال ولم ينكر أحد من السلف أن استواءه على عرشه حقيقة وانما جهلوا كيفية الاستواء فانه لا يعلم حقيقة كيفيته ، ونقل اتفاقهم ابن قتيبة فى كتاب تأويل مختلف الحديث ، وقال ان الأمم كلها عربها وعجمها تقول ان الله فى السماء بقاضى فطرها ، قال ولا ينكر علو الله على خلقه إلا من لقن الأنكار تلقينا وعلمه تعليما . ونقل ذلك أيضاً ابن عبد البر فى شرح موطأ الامام مالك وفى غيره كما ذكره عنه الحافظ الذهبى فى كتابه العلو ، قال أجمعت الصحابة والتابعون على أن الله على العرش وعلمه فى كل مكان ، وما خالفهم فى هذا أحد يحتج بقوله وقال ان أهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة فى الكتاب العزيز والسنة وحملها على الحقيقة لا على المجاز ، قال وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقر بها فهو مشبه ، قال وهم عنـد من أقر بها نافون للمعبود ، ونقل هـذا وأشباهه ابن حجر العسقلانى الشافعى فى فتح

البارى شرح صحيح البخارى فى الجزء الثالث عشر فى تفسير قوله تعالى « وكان عرشه على الماء » ونقل الاتفـاق الذهبى فى كتابه العلو ونقل عن غير واحد من علماء السنة والجماعة أنه نقل الاتفاق على ذلك ، ونقله أيضا ابن القيم ، ونقل الامام الأشعرى اتفاق أهل السنة على أن الله فى السماء ، ذكر ذلك فى كتابه « الابانة » وهو كتاب مطبوع معروف وذكره فى غير هذا الكتاب . ونقله ابن الامام أحمد ابن حنبل فى كتاب « السنة » والكتاب مطبوع ، ونقله ابن خزيمة فى كتاب التوحيد وهو كتاب مطبوع مشهور ، ونقل الاتفاق أيضا غيرهم ممن لا يحصون من علماء السنة وحملة الآثار وقد حاول الحافظ الذهبى وابن القيم أن يجمعا جملا من أقوال الصحابة ومن بعدهم فى كتابيهما العلو واجتماع الجيوش الاسلامية فجمعا شيئا كثيراً يجعـل المطلع على ذلك لا يشك فى أن المسألة من قواطع الاسـلام وضرورياته ، ومن الاجماع المتناقل فى جميع العصور والأوقات ، وقد جاء ما جمعه الذهبى من ذلك فى مائة وتسعين صفحة وجاء ماجمعه ابن القيم مايقرب من هذا أو مايزيد عليه ، وللراغب فى علم هذا أن يراجع الكتابين أو يراجع ما كتبه ابن حجر على تفسير قوله « وكان عرشه على الماء » من صحيح البخارى ، أو يراجع كتاب التوحيد لابن خزيمة ، أو كتاب السنة لابن الامام أحمـد أو كتاب الأسماء والصفات للبيهقى ، أو غير ذلك من آثار السلف . وما من كتاب من كتب السنة إلا وفيه الروايات العديدة عن الأئمة يقررون بها صفة العلو لله وينكرون على من أنكرها . وقد نقل هـذا الذهبى فى كتابه المذكور عمن يقارب مائتين من علماء الاسلام الفحول المشهورين ، كلهم يقول باستواء الله وكلهم ينكر على من أنكر هذه الصفة لله وكثيرون منهم ينقلون على ذلك اجماع أهل السنة والجماعة فى جميع العصور والبلدان ، وهـذا غير ما ذكره من ذلك عن الصحابة والتابعين . ومن جملة من نقل عنهم هذا الأئمة الأربعة أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل

ونقله عن زعماء اللغة كابن الأعرابي والأصمعي وابن قتيبة وثعلب ونفطويه ، ونقله عن أئمة المفسرين أمثال ابن جرير الطبري والبغوي والقرطبي ، وحكاه عن أئمة علماء الكلام والنظر نظير أبي المعالي امام الحرمين والأشعري والباقلاني وأبي بكر ابن فورك ، وحكاه أيضا عن أئمة الصوفية والزاهدين كعبد القادر الجيلاني وشيخ الاسلام أبي بكر اسماعيل الهروي الانصاري صاحب كتاب « منازل السائرين » وغير هؤلاء ، وحكاه عن أئمة الحديث وحملة الآثار أمثال البخاري ومسلم صاحبي الصحيحين . قال البخاري في آخر صحيحه من كتاب التوحيد : « باب وكان عرشه على الماء ، قال أبو العالية : استوى الى السماء ارتفع ، وقال مجاهد : استوى علا على العرش » ثم أورد بعض الأحاديث الواردة في علو الله على عرشه وخلقه مثل قول زوج النبي الكريم زينب : ان الله زوجني في السماء . ثم قال البخاري : « باب قول الله تعرج الملائكة والروح اليه وقوله اليه يصعد الكلم الطيب ، وقال أبو جمرة عن ابن عباس بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ فقال لأخيه اعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء ، قال مجاهد : العمل الصالح يرفع الكلم الطيب . يقال ذو المعارج الملائكة تعرج الى الله » ثم ساق بعض الأخبار النبوية الناصة على علو الله على عرشه وخلقه ثم عقد أبوابا كثيرة في ما تنكره الجهمية المعطلة من صفات الله كصفة اليد والعين والذات والوجه والرؤية ونحو ذلك ، ذاكراً الآيات والأحاديث الناصة على إثبات هذه الصفات لله ، مريداً بذلك الرد على المعطلين نفاة هذه الأوصاف ، زاعمين أنهم بنفيها ينفون عن الله التشبيه والتجسيم كما يزعم هذا الشيعي المؤلف . وممن حكى عنهم الذهبي الايمان بهذه الصفة أي صفة العلو لله كبار التابعين كمجاهد ومسروق وكعب الأحبار وسعيد بن جبير وآخرين كثيرين غير هؤلاء . وكذلك حكاه عن طوائف من كبار الصحابة وساداتهم . وإجمالا جمع من هذه النقول كتابا كبيراً مستقلا أسماه « العلو للعلي الغفار » وكذلك صنع

الحافظ ابن القيم الحنبلي المشهور

فالثلاثة : الكتاب والسنة و كلام السلف الصالح الأول ، متفقة على أن الله في السموات مستو على عرشه استواء يليق بجلاله و كماله ، ومتفقة على أن انكار هذه الصفة ضلالة ظاهرة وبدعة منكرة ، وخلاف لدين الاسلام ولضرورياته ولنصوصه المتعددة المتكاثره ، ولكن دليلا واحداً من أحد الأمور الثلاثة : الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح يدل على جحد هذه الصفة لن يظفر به طالبه ، أو يجده ملتمسه

فما في كتاب الله ولا في سنة نبيه لفظ واحد يدل على نفي هذه الصفة وجحدها ويدل على أنه لا يصح وصف الله تعالى بها . وكذلك لن يظفر بكلمة واحدة من كلام السلف والأئمة المشهورين الواقفين حيث وقف الكتاب والسنة والمنتهين حيث انتهيا تدل على أن الله ليس فى السماء وليس مستويا على عرشه ، أو تقول إن إثبات هذه الصفة لله تشبيه أو تجسيم ، ولا جاء عن أحد من هؤلاء أنه أول النصوص الواردة فى هذا ، ولا أنه فسر شيئا بخلاف الظاهر البادى منها لفصحاء الناس . ومن المطالبة بما لا يمكن إدراكه أن نطالب المخالفين لنا بكلمة من الكتاب أو من السنة أو من كلام السلف كالصحابة والأئمة الأربعة مثلا تدل على انكار هذه الصفة أو تدل على أن فى اثباتها لله نقصا أو تشبيهاً أو تجسيما ، أو ما يزعمه هؤلاء الخلوف المخالفون . ولعل العاقل يعرف أنه من المستحيل البين أن يكون القول بعلو الله على عرشه وخلقه ضلالا أو تنقصاً لله ، ثم لا يوجد لفظ واحد فى الكتاب ولا فى السنة يشير اشارة قريبة أو بعيدة الى بيان هذه الحقيقة وكشف هذه القضية الاعتقادية ! أو يليق أن يبين الكتاب والسنة أحكام الوضوء والطهارة والحيض ونحو ذلك ويدلا على أنواع المحرمات دلالات واضحة بينة ، ثم لا يذكر فيهما لفظ واحد يشير الى أن الله ليس فى السماء وأن القول بذلك بدعة موبقة ،

وعقيدة فاسدة ، بل وأن يملأ الكتاب والسنة نصوصاً ودلائل على عكس ما يدعون وعلى أن الله فى السماء فوق عرشه وفوق جميع خلقه ، ثم لا يرد عن السلف من الصحابة ومن بعدهم أنهم أولوا شيئا من ذلك أو أنكروه أو زعموا ما يزعمه هؤلاء النفاة الجحدة ؟

أفيمكن أن يبلغ استخفاف السلف بأصول الاسلام وعقائده وفى صفات الله أن يعلموا أن ظاهر الكتاب والسنة كفر وتشبيه ثم لا يحذروا المسلمين القارئين الكتاب والسنة المؤمنين بهما من هذه الظواهر الباطلة المصروفة عن ظاهرها . ثم لا يكشفوا لهم عن وجه الحق والصواب ولا يعرفوهم التأويل الواجبة لتلك النصوص وهم يعلمون أن في الناس الجاهل والعالم ، والذكي والغبى ، والعربى والأعجمى ، وهم يعلمون ما بين العقول البشرية من اختلاف وتفاوت ، وسمو وهبوط ، وصحة ومرض ، وضعف وقوة ، وانحراف واعتدال ، وثورة وهدوء ، الى غير ذلك من أسباب الاختلاف وأسباب الوقوع فى الضلال ، وجنوح الألباب عن هداها وعن الوصول الى الحقيقة مفردة بلا هاد ولا مرشد ؟ ثم لا يقفوا عند هذا الحد من السكوت عن بيان هذه الظواهر التى زعمت باطلة فاسدة . بل تتوارد أقوالهم والروايات عنهم على إقرار هذه النصوص والايمان بها والأمر بامرارها على ظاهرها والقول بأن من أولها أو فسرها بخلاف ما بدا منها فقد أخطأ وصار الى الضلالة البادية ، بل ويجهرون بأن الله فى السماء وعلى العرش ، ثم يجهرون بأن المنكرين لذلك قائلون على الله وعلى دينه وكتابه الباطل والاثم الصريح الصحيح كما تقدم النقل عنهم

ان مثل هذا معدود نهاية القدح فى السلف وفى حملة الاسلام وصحابة النبى الكريم ونعوذ بالله من هذا

هذه حقائق لا خلاف فيها ، والمخالفون أنفسهم يعترفون بأن ظواهر النصوص

ونصوص الكتاب والسنة دالة على إقرار هذه الصفة لله ، ودالة على أن الله فى السماء ولكنهم بعد هذا الاقرار والاعتراف يزعمون أن هذه النصوص الظاهرة مؤولة مصروفة عن ظاهرها مفسرة بغيرما يفهم منها عند التلاوة . والأمر الذى حملهم على التأويل بخلاف الظاهر المتبادر هو فى زعمهم المعقول وقضاياه القاهرة التى لا تكذب فيما زعموا ، فانهم قدزعموا أن هذه الظواهر لا يصح أخذها كما هى ولا التسليم بها تسليما مطلقاً على طول الخط كما يقولون ، بل يجب عرضها على العقول وقضاياها فان قبلتها قبلت وإن ردتها ردت وأولت وفسرت . والمسائل الاعتقادية عند هؤلاء تتلقى من المنطق المؤسس على المعقول لا من النصوص وظواهرها

قال هؤلاء النافون : وقد عرضنا هـذه المسألة ، مسألة علو الله على عرشه وأخواتها على العقل فما قبلها ولا دان لها بل قضى بانكارها ولزوم تأويل نصوصها فصار حتما علينا ذلك فذهبنا حيث ذهب العقل وأنكرنا ما أنكره العقل ، ولم نخالفه قيد شعرة ، قالوا : ولولا العقل لكـنا من أول المؤمنين بعلو الله . لأننا لا نستطيع أن ندعى أن الكتاب والسنة لا يدلان على اقرار هذه الصفة . كلا بل الكـتاب والسنة دالان بجملتهما على ذلك وعلى كل الصفات التى أنكرناها كالرحمة والغضب والرضا والصفات الأخرى ، ولهذا نسمى أنفسنا مؤولين ، ونعترف بأن مانفسر به النصوص هو مجازات دل عليها العقل وأوجب المصير اليها ولا يمكن أن نزعم لأنفسنا أننا مستمسكون بالظاهر وانما نزعم أننا راشدون بهـذا التأويل وبالعدول عن الظاهر ، لأن العقل ، وهو مصدر الاعتقادات ، أرشدنا الى هذا وقضى علينا به فـا علينا فى هذا من حرج وما لنـا منه بد . ونحن لأجل هذا نؤثم من تمسك بالظواهر وندعوه الى التأويل لأننا نعده غالطا وقائلا على الله ما لايسلمه العقـل وما هو من سمات الحدوث وصفات العباد

هذه هى حقيقة أمر هؤلاء المؤولين النافين لعلو الله على إحسان الظن بهم

وتبرئتهم من فساد القصد ، فوجب علينا حينئذ أن نضع اللثام عن هـذه القضية العلمية الكبرى ، وأن نكشف أمر دعوى هؤلاء وما معهم من قضايا زعمت عقلية ، وزعمت قاضية بالتأويل وبانكار علو الله . واذا ما استطعنا تبديد الشبهات أو الحجج التى زعموها حائلة بينهم وبين اقرار هذه النصوص والايمان بهذه الصفة هان علينا رجع هؤلاء الى الحق والى الحقيقة ، وهان عليهم هم الرجوع الى ذلك والنكوص عن التأويل البعيد وصاروا الى مالا بد من المصير اليه وهو الايمـان بالله وبكتاب الله وبسنة رسوله ظاهراً وباطنا وهذا ما نرجوه ونحاوله . ولكن يشترط قبل هذا في مثل هذه المباحث العليا لأجل الوصول للحقيقة فيها أن يتنازل المرء عن هواه وعن كبريائه ، وعن التقليد الذي لاعقل له وعن العصبية الجاهلية الباطلة كى يشيم لمعان الحق عند ابتسامه وعند وضوح ناره ونوره . فان الحق نوراً باهراً ولكن لايبصره إلا المتواضعون ، أما المتكبرون فانهم وان غشيهم وأحاط بجهاتهم لا يبصرونه . والحق أشرف على الله وعلى الحق من أن يبذل لأصحاب الأهواء وأسرى التقليد وأهل الصدور الموغرة بالحقد والهوى والحسد . واننا بعون الله نذكر هنا عمدة ما يحتجون به من العقليات على هذه القضية ونكشف غلطها وضعفها كيلا يبقى لهم عذر ولا حجة . ولا بد من سؤال الله العون والمدد ، ولا بد من الضراعة اليه كى يلهمنا السداد والرشاد ، ويمنحنا التوفيق والعناية فان عبداً يتخلى ربه عنه وعن عونه لا يفلح أبداً ، وإن عبداً يرعاه الله ويسدد خطاه لا يمكن أن يضل سبيله

فنقول نرجع الى شبهات هؤلاء التى احتجوا بها على نفيهم فنجدها تنحصر فى أمور نأتى على ذكرها وعلى ذكر ذى الشان والبال منها . وإننا نذكر الشبهات على المسألة الكبرى مسألة علو الله ونذكر جوابها . وهذا يغنى عن ذكر الشبهات على باقى الصفات . فاننا اذا حسمنا مادة الاعتراضات على العلو فانكشفت باطلة لم تبق الاعتراضات الأخرى على الصفات الأخرى ، فان هذه أم الصفات وبابها المسألة ورأسها كما هو ظاهر

شبهات النافين علو الله

(الشبهة الأولى)

قالوا لو كان الله فوق العرش لكان جسما ، والتجسيم باطل ، فكونه فوق العرش باطل إذن

هذه إحدى شبهاتهم يذكرها بعضهم مطلقة هكذا وبعضهم يزيد فى التدليل وصياغة الشبهة . ونحن نقول ان هذه الشبهة قائمة على دعويين : الأولى أن كل ما هو فى جهة فهو جسم ، والثانية وباطل أن يكون الله جسما . أما الدعوى الأولى فباطلة بأمرين ضروريين : أحد الأمرين أن الأعراض والمعانى فى جهات بالمشاهدة والضرورة ، وهي ليست بأجسام لأنها قسيمة الأجسام ، وثانى الأمرين أن المخالفين يسلمون لله صفات كثيرة كالعلم والحياة والقدرة والخلق والارادة والوجود ونظائر ذلك ، ومع هذا لا يقولون : ان الله جسم ، بل يصرحون بأنه غير جسم ويكفرون من قال ذلك ، فاذا كانت هذه الصفات لله لا تقضى بأن يكون جسما ، كما يدعون ، لم تكن صفة العلو والاستواء على العرش قاضية بذلك . وهذا إلزام لا مخلص ولا مفر منه . ولو طلع المخالفون الى السموات ونزلوا الى أعماق الأرضين ، وجمعوا الجن والانس والذاهب والغابر على أن يجدوا فرقا بين الأمرين ومخلصاً من هذه الحجة وهذا الإلزام لما وجدوا ذلك ولما استطاعوا اليه سبيلا . وبهذين الأمرين تبطل المقدمة الأولى من هذه الحجة . ونزيد على هذين الأمرين أمراً ثالثا ، هو أن نقول : إدعاء المخالف أن كل ما هو فى جهة جسم ليس أظهر ولا أبين من أن يقال كل ما ليس فوق ولا تحت - الى آخر النفى - معدوم لا وجود له . فهذا المعنى الذي تؤدي إليه هذه الحجة هو أظهر بطلانا فى الموازين العقلية من المعنى الذى أقاموا له هذه الحجة . ولن يكون حقا ما يؤدي إلى باطل ،

ولن يكون حقًا ما يلزمه الباطل لزوما عقليا لا محيد ولا فرار عنه . ونزيد أمرًا رابعا بأن نقول : هذه الحجة ليست واردة على الله من حيث هو مستو على العرش ومن حيث هو فى السماء بل هى واردة عليه من حيث هو موجود ولا شك ، كأن يقال الله موجود والموجود إما أن يكون جسما قائما بنفسه ، أو عرضا قائما بغيره ، ولا ثالث لهذين الأمرين إذ الموجودات كلها كذلك ، والله موجود ، فاما أن يكون جسما وإما أن يكون عرضا ، وباطل أن يكون الله عرضا ، فلم يبق إلا أن يكون جسما فهو جسم إذن ، فثبت أنه جسم سواء أقيل انه فى السماء أم لا فى السماء ولا فى غيرها . فلا ضرر إذن من القول بأنه فى السماء لأنه لا يلزم هذا معنى فاسد من حيث هذه الصفة نفسها . وحينئذ يقال : إن أمكن أن يكون ثم موجود ليس جسما أمكن أن يكون ثم موجود فى السماء أو فى غير السماء وليس جسما بالضرورة ، وإن لم يمكن ذلك ، بأن لزم أن يكون كل موجود جسما أو عرضا لم يبق فى نفى مسألة الاستواء والعلو على العرش فائدة ، لأن المفروض أن هذه الصفة نفيت خوف التجسيم . وقد ثبت أن التجسيم منصب على الله من حيث وجوده لا من حيث علوه وما يلزم الموجود لازم له . أما الاستواء على العرش وعلى الخلق أو الكون فى جهة من الجهات فهو من لوازم الوجود نفسه فهو لازم لا ملزوم من الناحية المذكورة . وهذا واضح جداً وما على المرء إلا أن يتدبره جيداً ليتضح له جيداً . وبهذه الأمور الأربعة فسدت المقدمة الأولى من الشبهة الأولى

وأما المقدمة الثانية ، وهى قولهم والله باطل أن يكون جسما ، فنقول اننا نحن لا نقول ان الله جسم ولا نستجيز هذا القول ، كما لا نقول أن الله فى جهة ولا نستجيز هذه المقالة ، وانما نقول : الرحمن على العرش استوى كقول السلف قاطبة ، لأننا قيدنا أقوالنا وعقائدنا بالكتاب والسنة لا زيادة ولا نقصان ، والنقصان عندنا كالزيادة ، والزيادة مثل النقصان لأنهما كليهما قول على الله وفى الله بلا برهان من

الله ، بيد أنا نقول إن المخالف لم يذكر برهانا على صحة هذه المقدمة كى تكون مقبولة يحق له أن ينفي بها ما تواردت عليه نصوص كتب الله ، ويحق له بها أن يؤول الكتاب والسنة ، ولا ريب أن قولا يقضى بنبذ النصوص وتحريفها غير حقيق بالقبول إذا لم يكن له حجة قاطعة . ولا ريب عندنا أن من علم أن إثبات استواء الله على عرشه يقضى بأن يكون جسما قضاء لا شك فيه يلزمه أن يؤمن بما يقضي به ذلك وبما تقضي به هذه الصفة ، لأن هذه الصفة التى هى علو الله قد اتفقت عليها النصوص بلا خلاف . أما ما زعم بأنه ترك النصوص وأولها لأجله فانه لم يذكر عليه برهانا واحداً . ولا يجوز نبذ النصوص المتواترة رعيا لشبهة لم يذكر لها برهان واحد

والمخالفون إذا ماقيل لهم : مابرهانكم على أن الله ليس جسما ، ولماذا تنكرون أن يكون جسما اذا كنتم تزعمون أن الايمان بهذه النصوص يقضى بأن يكون جسما وما يلزم الحق حق وما يقضى به الهدى هدى : اذا ماقيل لهم هذا المقال ، وسئلوا هذا السؤال قالوا انه لا يصح الايمان بالنصوص الدالة على أنه جسم لأن الأجسام حادثة . فلو كان الله جسما لكان حادثا ، ولكن الله غير حادث بل هو قديم يرجع اليه جميع الحادثات ، ولأجل هذا أولنا النصوص ان استطعنا تأويلها ودفعناها إن لم نستطيع التأويل ؟ ثم لو سئلوا مرة أخرى وقيل لهم : مابرهانكم على أن الله لو كان جسما كان حادثاً لقالوا لأن الاجسام كلها حادثة فلو كان جسما لكان حادثا مثلها ، ولكن لم يدر هؤلاء أن قولهم : لو كان الله جسما لكان حادثا لأن الاجسام كلها حادثة مثل قول من يقول : لو كان الله موجوداً لكان جسما أو عرضا . لأن الموجودات كلها اما أجسام واما أعراض ، ومثل أن يقال لو كان موصوفا بصفة لكان مركبًا متعدداً ولكان جائزاً سلبه صفته وتجريده منها لأن كل موصوف فى الشاهد يجوز أن يفقد أوصافه ، وأن يقال : لو كان حيًا لجاز موته ، لأن كل حى

فى الشاهد يجوز أن يموت وأن يفقد حياته ، ولو كان بصيراً لجاز أن يعود أعمى لأن كل بصير فى الشاهد يجوز أن يصير أعمى ، وأشباه هذا الكلام الذى يعارض هذه الشبهة التى يحاول هؤلاء المؤولون أن يبطلوا بها قواطع الاسلام ، ولا ريب أن هذا الكلام مثل قول النافين : لو كان جسما لكان حادثا ، وهذه الأقوال كلها باطلة فاسدة لا برهان لها غير القياس الفاسد الباطل

ولا شك عندنا أن من قال ان الله جسم لا كالأجسام كما يقال ذات لا كالذوات وشيء لا كالأشياء أرشد وأهدى ممن راح يجرد الله من صفات الكمال وأوصافه الثابتة له فى جميع كتبه على ألسنة جميع رسله خوف التشبيه والتمثيل ولا شك أيضاً أنه اذا كان يمكن أن يكون الله لا فوق ولا على العرش ولا فى جهة من الجهات ، وهو الرب العظيم الموصوف بأوصاف الكمال ، أمكن أن يكون جسما وهو الاله العظيم القديم المنزه عن سمات الحدوث وصفات الحوادث ، ولا شك أيضا أن تعطيله سبحانه وتعالى من أوصافه الثابتة له عقلا ونقلا كصفة العلو وغيرها أدخل فى النقصان من القول بأنه جسم لا كالاجسام ان كان فى هذا نقص كما يقال شيء لا كالأشياء ، وذات لا كالذوات

فهذه الحجة باطلة ، ومقدمتاها باطلتان مدخولتان وهذه هى الحجة الأولى

(الشبهة الثانية)

قالوا : لو كان الله فوق العرش أو فى السماء لكان متحيزاً والله منزه عن الأحياز . فالله ليس فوق العرش ولا فى السماء اذن

هذه هى الشبهة الثانية ، وجوابها أن نقول : هم يريدون بالحيز هنا المكان فيريدون بقولهم : انه ليس متحيزاً انه ليس فى مكان ، وحينئذ يقال : هذا الحيز أو المكان الذى قيل ان الله منزه عنه اما أن يراد به شيء وجودى مخلوق

فيكون المعنى ان الله ليس حالاً فى مكان مخلوق حادث ، وليس مظروفاً في شيء من ذلك ، وأما أن يراد به شيء عدمى اعتبارى ، فيكون المعنى أنه تعالى ليس فى الجهة التى يراد بها الفضاء المحض أى انه ليس فوق الخلائق ولا فوق العالم . فان كان المعنى الأول هو المراد قيل : أجل اننا ننزه الله جل شأنه عن أن يحل فى شيء من مخلوقاته أو أن يحل فيه شيء منها . بل هو تعالى بائن عن خلقه وخلقه بائن عنه ، وهو سبحانه فوق جميع الخلائق منفصل عنها منفصلة عنه . فهذا المعنى منفى عن البارى باطل فى حقه . وأما ان كان التقدير الثانى هو المراد ، وكان يراد بالحيز هنا الفضاء فيراد أنه تعالى ليس فوق الخلق ولا بائنا عن العالم ، قيل هذا باطل وهذا ما نأباه إذ هو خلاف الكتاب والسنة وإجماع السلف والرعيل الاول . فان مافوق العالم وما فوق الخلائق فضاء محض وعدم صرف ليس شيئاً وجوديا مخلوقا وليس حادثا لأنه عدم ، والعدم قديم ، لأنه ليس مخلوقا . إذ المخلوق هو الشيء الوجودي فالذى يخلق هو الموجود لا المعدوم . فان الفضاء عبارة عن لا شيء والعالم المخلوق المربوب الحادث واقع فى الفضاء حالّ فيه ، والفضاء ليس حالا فى شيء لأنه عدمى اعتبارى ، ولو كان كائناً فى شيء مخلوق حادث لكانت المخلوقات المعينة المشخصة فى الخارج لا نهاية لها ، وهذا باطل ضرورة ، وعلى هذا إذا قيل ان العالم كائن فى مكان ، وان المخلوقات واقعة فى مكان أو حيز قيل ماذا يعنى بالمكان أو بالحيز الذى زعم أن المخلوقات كائنة فيه ؟ أيعنى أن الخلائق كلها حالة فى شيء مخلوق حادث بعد أن لم يكن ؟ أم يعنى أن العالم المخلوق قائم كله فى العدم الذي يعبر عنه بالفضاء والخلاء أو با للاشيء ؟ أما الاول فلا يمكن أن يعنى لأننا اذا قلنا العالم أو الخلائق عنينا بذلك جميع ماخلقه الله وجميع ماحدث بعد ان كان فى عالم العدميات ، واذا كان ذلك كذلك فلا يمكن أن تكون الخلائق كلها كائنة فى خلائق أخرى ، بحيث مامن مخلوق يفرض إلا وقد حل فى مخلوق

آخر وهلم جرا . فان هذا يلزمه المحال الممتنع . لأننا اذا قدرنا أن المخلوقات سلسلة متواصلة الوحدات ، كل واحدة منها واقفة فى أخرى ، وقف بنا التقدير ولا محالة عند آخر السلسلة ثم قيل : وآخر السلسلة بماذا يحل ؟ فلا بد ألا يكون آخر السلسلة حالا فى مخلوق من السلسلة نفسها . لأننا فرضناه آخرها ولو كان ما فرضناه آخرها كائناً فى مخلوق آخر لما كان هو آخرها ، وما من شىء يقدر الآخر للسلسلة والنهاية للخلائق إلا ويسأل عنه هذا السؤال ويورد عليه هذا الاشكال حتى ينتهى السؤال عند آخر نهاية الخلائق ، ولا يمكن أن يكون بعد نهايتها شىء منها والا لما كان ما سميناه نهايتها نهايتها ، وهذا باطل ، ولا بد أن يكون للخلائق نهاية ، ونعنى بالخلائق الاشياء الحادثة المعينة ، وهذا ضرورى . فالمخلوقات المعينة الخارجية محدودة بحدود جعلها الله لها . ومالا يكون له حدود لا يمكن أن يكون مخلوقا مربوبا بلا شك ، وعلى هذا لنفترض العالم كله ـ ونعنى به المخلوقات ـ مخلوقا بشكل كروى يشبه البيضة أو البطيخة أو القبة أو ما ماثل ذلك . فاذا ما افترضنا العالم كله كذلك فلابد من أن نفترض لهذا العالم الكروى المحدود سطحا ، ونعنى بالسطح النهايات من جميع جهاته الخارجية كسطح البيضة مثلا . فاذا ما افترضنا هذا كله فلا بد من أن نفترض أن سطح العالم قائم فى الفضاء المحض العدمى ، ولا بد أن نقول إنه قائم فى شىء غير مخلوق ، بل قائم فى الفضاء ، وحينئذ اذا قال قائل : ان العالم قائم فى مكان أو حيز قيل له ماتعنى بهذا ؟ أتعنى أن العالم قائم فى عالم آخر ؟ إن كنت تعنى هذا فهذا باطل ضرورة وان كنت تعنى أنه قائم فى الفضاء الذى هو ليس مخلوقا وليس فى الحقيقة شيئا وإنما تعنى أنه قائم فى لا شىء قيل هذا حق صحيح ، ولكن تسمية هذا حيزاً أو مكانا يجب ألا يفهم منه معنى غير صحيح يترتب عليه معنى آخر غير صحيح فان الاسماء كثيراً ما تغير الحقائق فى أنفس المسمين لها لا فى ذاتها هى .

فليرع هذا جيدا

وعلى هذا فاذا قال قائل : ان الله فى حيز أو فى مكان قيل له ماذا تريد بالحيز والمكان ؟ أتريد أنه فوق العالم أجمع وفوق المخلوقات كلها ليس فى شيء منها وليس منها شيء فيه ، وتعني أنه منفصل عنها ومنفصلة عنه وأنه على العرش استوى ؟ فان كنت تعني هذا قلنا : هذا حق صحيح لا ريب فيه ، ولكن الكلام فى تسمية هذا حيزاً أو مكانا ، فاننا نأبى اطلاق هذا اللفظ على هذا المعنى لأن فيه اشتراكا ، ولأن فيه إيهاما ، ولأن بعض الناس قد يعني به باطلا ليس فيه ، ولأنه لم يرد شرعا والخلاف يرجع حينئذ الى الألفاظ . أم تريد بقولك إنه فى حيز أو فى مكان إنه حالّ فى شيء مخلوق مظروف فيه ؟ فان كنت تريد هذا فهو باطل فان الله سبحانه منزه عن أن يحل فى شيء من خلقه أو أن يحل فيه شيء منهم بل هو بائن عن المخلوقات وهذا معنى قول السلف ان الله بائن عن خلقه وخلقه بائن عنه . وبهذا التفصيل ينكشف الاشكال ، وتنكشف هذه الشبهة

(الشبهة الثالثة)

قالوا : لو كان الله فوق العرش وفى السموات لكان على احدى حالات ثلاث بلا ريب : إما أكبر من العرش وإما أصغر وإما مساويا له ، قالوا : والحالات الثلاث باطلة . فالقول بأنه على العرش باطل إذن ، قالوا أما القول بأنه أصغر من العرش أو مساو له فلا ينازع عاقل فى بطلانه ، وأما القول بأنه أكبر منه فباطل أيضا ، لأنه لو كان كذلك لكان تعالى مركبا من أمرين اثنين : من القدر المساوي للعرش ومن القدر الزائد عليه الذى صار به أكبر منه ، والباري مبرأ من التركيب والأجزاء لأن المركّب لابد أن يكون له مركِّب ، والمركَّب مخلوق حادث ، لأنه على وزن مفعول ، ولا بد له من فاعل ، وهذا محال باطل ،

وبهذا صح أن البارى ليس مستويا على العرش وليس فى السماء

والجواب أن نقول : هذه الشبهة ـ ان كانت صحيحة أو كانت باطلة ـ ليست واردة على الله ـ ان صح أن ترد ـ من جهة استوائه على العرش وعلوه على خلقه ، وانما هى واردة عليه تعالى ان أمكن الورود من حيث وجوده تعالى . فان الله موجود والعرش موجود فهما موجودان فهما داخلان تحت هذا الاعتراض وارد عليهما هذا التقسيم بأن يقال مثلا : ان الله موجود والعرش موجود ، فاما أن يكونا متساويين أو يكون العرش أكبر أو يكون الله أكبر، لان كل موجودين إما متساويان أو أحدهما أكبر من الآخر ولابد ، وباطل أن يكون الله أصغر من العرش أو أن يكون مساويا له إذ لا يقول عاقل إن ربه أصغر من العرش أو أنه مثله ، وأما القول بأنه أكبر فلا يمكن أيضا ، لأنه اذا كان أكبر كان مركبا من أمرين اثنين : من القدر المساوى للعرش ومن القدر الزائد عليه ، وباطل أن يكون الله مركبا لأن المركب مفعول والمفعول لا بد له من فاعل ، وتقدس البارى عن التركيب والحدوث وسماته أو يقال مثلا : الله موجود والعالم موجود ، فهما إما متساويان وإما أن يكون العالم أكبر أو يكون الله أكبر والأقسام الثلاثة باطلة لما ذكر . أو يقال الخالق موجود والمخلوق موجود فاما أن يكونا متساويين ، وإما أن يكون الخالق أكبر أو يكون المخلوق أكبر ، ولا فرار من الأقسام الثلاثة ، والأقسام الثلاثة باطلة لما ذكر أيضاً ، أو يقال نحو ذلك من الأقسام والتقسيمات التى لا تخرج عما ذكر الخصوم . والنتيجة التى تلازم هذه المقدمات الصحيحة عند المخالفين معلومة باطلة بالضرورة والاجماع لأن النتيجة تكون حينئذ هكذا : فاما أن يكون الله غير موجود أو يكون العالم غير موجود ، والأمران باطلان بالاتفاق ، فلا بد إذن أن تكون المقدمات التى ألفت هذه النتيجة مقدمات باطلة فاسدة وإذا ما كانت المقدمات هكذا لم تكن صالحة لأن تكون دافعة النصوص الكثيرة من الآيات والأحاديث

فى استواء الله على عرشه وخلقه ، بل لم تبق صالحة لشيء من الأشياء . وهذا هو المطلوب .

وليس من شك عندنا فى أن هذه الشبهة واردة على الموجودين من حيث الوجود لا من حيث ان أحدهما فى جهة من الآخر ولا من حيث ان أحدهما مستو على الآخر فاننا إذا عرضنا على العقول موجودين مقضيين عن جميع الأحوال الأخرى من علو وهبوط ، وقرب وبعد ، واستواء وغيره ، فلا محالة أن تفترض العقول أن هذين الموجودين إما متساويان ، وإما أن يكون أحدهما أكبر والآخر أصغر ، ومن المحال الظاهر ألا توجب العقول هذه القسمة وأحد هذه الأقسام قبل أن يعرض عليها أو يعرض فيها مكان أحد الموجودين من الآخر وحيزه من حيزه ، وقبل أن تعرف ان أحدهما مستو على الآخر والآخر مستوى عليه ، أو أنهما متباينان منفصل كل واحد منهما عن قرينه ، هذا ما لابد منه . فاذا عرض على العقول بعد هذا أن أحد هذين الموجودين مستو على الآخر أو فوقه أو تحته أو عن يمينه أو عن شماله أو نحو ذلك لم يزدها هذا شيئاً ولم يغير حكمها وتقديرها أحد الأقسام الثلاثة وقضاءها بأنه لا انفصال عن تلك القسمة المفروضة . فكان أحد الموجودين من الموجود الآخر لا تأثير له مطلقا من هذه الناحية فى وجوب افتراضها هذه الأقسام الثلاثة وايجابها لأحد الأقسام . فان كان ممكنا أن يكون هناك موجودان لا تجب فيهما هذه القسمة ولا يجب لهما أحد الأقسام أمكن أن يكون هناك موجودان مستو أحدهما على الآخر ، وكل واحد منهما فى جهة من أخيه مع القول بأن هذه القسمة ليست واردة عليهما وليس أحد الأقسام واجباً لهما ، وإن لم يمكن أن يكون هناك موجودان إلا ولا بد أن ترد عليهما هذه القسمة والشبهة فلا فائدة فى نفى الاستواء مخافة ورود هذه القسمة وأحد هذه الأقسام ، لأن ذلك وارد على الموجود من حيث هو موجود لا من حيث أن ذلك الموجود في مكان وجهة . وهذه أمور أولية

لا يمكن أن ينازع فيها من تصورها تصوراً جيداً . فهذه الشبهة إذن داحضة لا يعبأ بها

ومما يبين بيانا قاطعاً أن هذه القسمة واردة على الوجود لا على الاستواء أننا نعلم بالبرهان العقلي القاطع أن المكان الذى هو الفضاء المحض الذى هو ظرف الخلائق الحادثة ليس في مكان ولا يحتاج الى مكان ، لأننا لو قلنا ان للمكان يحتاج الى مكان لكان هذا قولا باطلا مستحيلا . فالمكان الذي هو الفضاء الذى هو الظرف للخلائق لا يحتاج الى مكان ولا يمكن أن يكون فى مكان . واذا علم أن المكان الذي هو الفضاء والخلاء ليس فى مكان قيل ان العقول كافة اذا عرض عليها هذا المكان الذى هو الفضاء والذى ليس فى مكان ، ثم عرض عليها موجود آخر ، فتصورت هذا الموجود وتصورت المكان الذى هو الفضاء ، فلا بد أن تفرض أن هذين الأمرين أعنى الفضاء والموجود المفترض إما أن يكونا متساويين فى القدر وإما أن يكون الفضاء أكبر ، وإما أن يكون الموجود الآخر المفترض أكبر ، ولا يمكن أبداً الا تفترض هذه القسمة ولا يمكن الا أن تقضى بأحد هذه الأقسام ، ولا يمكن أن تقدر امكان الخروج من هذه القسمة العقلية ، هذا غير ممكن مع العلم بأن المكان الذى هو الفضاء ليس فى مكان ولا يمكن أن يكون فى مكان ، ولا يحتاج اليه البتة . إذن هذه القسمة وهذه الأقسام الثلاثة المذكورة ترد على الأمرين بلا ريب وان كان أحدهما ليس فى مكان ، بل وان كان ليس مستويا على شيء ولا محتاجا الى هذا الاستواء مطلقا ، كما وردت هذه القسمة على المكان المفترض وعلى الموجود المخلوق

واذا كان ذلك كذلك علم أن هذه الشبهة وهذه القسمة تعرض للأمرين لا لأن كلا منهما فى مكان ، ولا لأن أحدهما فوق الآخر ومستو عليه ، بل الشبهة أو القسمة ترد على الأمرين من حيث ذاتهما ووجودهما ، أما الاستواء أو العلو فأمر

لا تأثير له من هذه الناحية يقينا

وشيء آخر يدل على هذا دلالة واضحة ، ذلك أننا اذا افترضنا وجود أمرين قبل وجودهما وقبل كونهما ، فلا بد أن نقدر أن هذين الأمرين حينما يوجدان إما متساويان وإما أن يكون أحدهما أكبر أو أصغر ، ولا بد أن تقدر هذه القسمة وأن تعلمها وتحكم بها جميع العقول على هذين الأمرين الذين قدر وجودهما تقديراً وفرض فرضا قبل أن يوجدا ويخلقا ، فاذا وجدا وخلقا بعد التقدير والافتراض لهذه القسمة لم يتغير هذا التقدير ، ولم يختلف هذا الافتراض يقينا ، وانما يطلب بعد وجودهما معرفة أحد هذه الأقسام المفترضة ، أما ايجاب وجود هذه الأقسام الثلاثة وهذه القسمة الثلاثية فأمر معلوم قبل وجودهما وقبل خلقهما فى مكان ما ، بل وقبل التفكير فى المكان وفى وجوب المكان لما إذ هذا أمر آخر . هذه أشياء واضحة جلية لاخلاف فيها عند من تصورها تصوراً جيداً

وهؤلاء لما وجدوا أن الموجود المستوى على الشيء لابد أن يكون أكبر من ذلك الشيء المستوى عليه أو أصغر أو مساويا حسبوا أن وجوب هذه القسمة آت من جهة صفة العلو والاستواء ، وما علموا أن ذلك آت ان كان آتيا من جهة الوجود ، فاختلط عليهم الأمر فقالوا ما قالوا ، وهذا غلط بلا ريب

وعلى كل حال فان هؤلاء لن يظفروا بفرق بين قولهم هذا وحجتهم هذه ، وبين أن يقول غيرهم : الله موجود والعرش موجود ، فاما أن يكونا متساويين أو أو أن يكون الله أكبر أو يكون العرش أكبر ، والأقسام الثلاثة باطلة . فهذه الحجة واردة ولا محالة ، فلا فائدة إذن فى نفى الاستواء فراراً منها إذ هى واردة سواء أقيل بالاستواء أم بانكاره

هذا ما يقال من جهة ، ثم يقال من جهة أخرى : ولماذا لا يقال انه تعالى أكبر من العرش بل أكبر من جميع المخلوقات ؟ بل لماذا لا يجب هذا القول ولماذا

لا يجب أن يكون كذلك كما يقول المسلمون فى صلواتهم وفى كل حالاتهم : الله أكبر ، أى أكبر من كل كبير ومن كل شىء فى الأرض وفى السماء ، كما يقولون الله أعظم وأعلم وأمثال ذلك مما لا يختلف المؤمنون بالله فى جوازه ووروده فى الشرائع جميعا ، وفي اتفاق الناس المقرين بالله تعالى عليه ؟ وهم اذا قالوا أمثال هذا الكلام كان مرادهم أنه أكبر وأعظم وأعلم من جميع المخلوقات والموجودات ، لا يتنازعون فى هذا كما لا يتنازعون فى جوازه وجواز قوله ، بل كما لا يتنازعون فى وجوب قوله واعتقاده . ومتى اختلف المؤمنون فى أن الله أكبر وأعظم وأعلم من جميع الكبراء والعظماء والعلماء ؟ ومتى كان مثل هذا القول واعتقاده باطلا أو مختلفا فيه أو مشكوكا فى جوازه ؟ فالله أكبر من العرش ومما تحت العرش ومن كل شىء فى الأرض أو فى السماء ، وهل ينازع فى هذا مؤمن أو يأباه عارف بالله ؟

ياويح هؤلاء المخالفين ! ويا ما أكثر حيرتهم وأطول حسرتهم ! أنكروا علو الله على خلقه واستواءه على عرشه وفارقوا نصوص الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح وعاندوا الفطرة والبداهة ، فجحدوا هذه الصفة ثم شعبوا عن هذه البدعة ما شعبوا ، وفرعوا عنها ما فرعوا ، وما زالوا يفرعون ويشعبون ، حتى قالوا بانكار أن يكون الله أكبر من عرشه ومن خلقه ، فأنكروا أن يكون الله كبيراً ثم أنكروا أن يكون أكبر من غيره ! وليس إنكارهم أن يكون الله أكبر من خلقه بأقل قبحا وضلالا من انكارهم علوه واستواءه على عرشه ، وهذه عاقبة من ينبذ كتاب الله وسنة رسوله وما أجمع عليه السلف زاعما أنه هدى الى ما لم يهد اليه السلف الصالح وزاعما أنه قد اخترق طباق الظواهر حتى نفذ فى قلب الحقيقة وغرق فى أحشاء الحق القصى المكتم المضنون به على أهل النصوص والظواهر والآيات الظنية وأحاديث الآحاد ! أما المسلمون جميعا الذين لم تنسد فطرهم وقلوبهم ، والذين وقفوا حيث وقف الكتاب والسنة وانتهوا حيث انتهيا فيعلمون أن الله أكبر من العرش

ومن كل شيء ، ويعلمون أن من أنكر هذا فقد ضل الضلال البعيد وجحد صفة من صفات الحق لا يتنازع العقل والنقل في وجوبها لله . وأما ما يقال في الشبهة بأنه لو كان أكبر من العرش لكان مركبا من القدرين المساوى والزائد فهو قول مركب من أمشاج الباطل منسوج من خيوط الأوهام الواهية ، وبيان هذا أن هذه الشبهة أو الحجة مثل أن يقال : لو كان لله صفات وذات لكان مركبا من أمرين من الذات والصفات ، والمركب لابد له من مركب لأنه مفعول فلا بد له من فاعل يخلق فيه التركيب والامتزاج ، فالله إذن إما أن يكون مركبا وإما أن لا يكون له صفات أو لا يكون له ذات لئلا يكون مركبا . وهذه أشياء فاسدة باطلة ، وهذا مثل أن يقال : لو كان الله موجوداً لكان محتاجا الى موجد إذ ما من موجود في الشاهد إلا وهو محتاج الى من يوجده ومن يحفظ له الوجود ، وعلمنا هذا كعلمنا أن كل كبير وكل ما هو أكبر من غيره فلا بد له من فاعل قاهر أوجد له الكبر وخلق فيه صفة الكبير وألف أجزاءه وما هو به كبير حتى صار كبيراً وحتى أصبح أكبر من غيره فان كان هذا القول صحيحاً كان ذلك مثله صحيحا ، وان كان باطلا كان ذلك مثله باطلا . لأنه لافرق بينهما في القانون العقلي يقينا مع مراعاة أن الاشياء العقلية لا تؤخذ بالالفاظ والعبارات

ومثل هذه الحجة أو الشبهة أيضا أن يقال : لاريب أن صفات الله متغايرة كل صفة بخلاف الصفة الأخرى لفظاً ومعنى ، وكذلك اسماؤه . فلا ريب أن صفة علمه غير صفة خلقه ، وان صفة خلقه غير صفة إرادته ، وصفة إرادته غير صفة أمره ونهيه ، وصفة أمره ونهيه غير صفة وجوده . فصفاته تعالى وكذلك أسماؤه متغايرة متعددة . فان اسمه الرحمن غير اسمه المنتقم الجبار ، واسمه الخلاق غير اسمه العالم والمريد وأشباه هذا ، وإذا كان ذلك كذلك قيل إذن صفات الله وأسماؤه مركبة من أشياء مختلفة متعددة ، والمركب مخلوق مصنوع . فاما أن

تكون صفات الله وأسماؤه مخلوقة حادثة ، واما ألا يكون له أسماء ولاصفات . لان القول بأن له ذلك قول بأنه مركب مخلوق محتاج الى من يركبه ، ولا شك أن هذه الاقاويل ونظائرها أقاويل فاسدة باطلة مع أنها لا فرق بينها وبين حججهم هذه يقينا . والدلائل التى تؤلف نتائج باطلة لابد أن تكون هى باطلة أيضا وان لم يعرف مكان فسادها وبطلانها ، وهذا غير لازم فى معرفة بطلان الامر وفساده

وكشف الغطاء عن هذا أن كلمة « التركيب ، والمركب » فيها اشتراك واشتباه يلبسان الحق بالباطل كثيراً ويقنعان وجه الحق حتى تضل عنه الابصار والبصائر وهذا شأن جميع الألفاظ المحدثة المبتدعة التى لم ترد فى الكتاب ولا فى السنة الصحيحة . فان المركب قد يراد به الشيء الذى كان مفرقا فجمع وألف بعد أن لم يكن كذلك ، وهذا كما يقال الساعة أو الطيارة مركبة ، والانسان مركب من مواده الاولية كما قال الله تعالى « فى أى صورة ماشاء ركبك » أى جمعك بعد أن كنت أجزاء مفرقة فى الماء والهواء والغذاء ، ومثل هذا مركب حقيقة لغة وشرعا وعقلا ، وأهل اللغة يسمون هذا النوع تركيباً ومركبا لا يختلفون فى هذه التسمية وهذا الاسم

وقد يراد بالمركب ما يمكن أن يفترض العقل جواز تركيبه وجواز أن يكون قد جمع وركب بعد أن كان مفرقا مبعثراً . والعقل قد يفترض المحالات وما لايمكن وجوده فى الخارج . فقد يفترض أن القديم الواجب الوجود قد لا يكون واجب الوجود ولا قديما وقد يفترضه حادثا وغير موجود فى زمن من الأزمان وحالة من الحالات ، كما قد يفترض الحادث الوجود المخلوق المربوب قديما واجب الوجود لا يمكن فناؤه ولا عدمه ، وقد يفترض أيضاً كل موصوف وإن كان قديم الوصف والصفة ، فاقداً صفاته مجرداً من أوصافه ، كما قد يفترض كل حي ميتاً فانياً ، بل قد يفترض الشيء لا قديماً ولا حادثا ولا واجب الوجود ولا جائزه ، ولا خالقاً

ولا مخلوقا . وقد يفترض غير ذلك من المحالات التي لا يمكن أن تقع في عالم الوجود والحقيقة المشهودة ، كما قد يسمى أقوام علم الله وإرادته وسائر صفاته وأسمائه تركيبا فيفزعون الى انكار الأسماء والصفات لأجل ذلك ولأجل أنهم حسبوا هذا تركيبا لا بد له من مركب يوجد فيه التركيب والامتزاج ، كما سمى هؤلاء النفاة لعلو الله عظمته وكبره تركيبا ففزعوا منه وأنكروا أن يكون الله كبيراً وأكبر من عرشه وخلقه فعاندوا النصوص والضرورة والفطرة والدلائل العقلية التي لا تعد ، وجعلو هذه البدعة المنكرة حجة على البدعة الآخرى وهي انكار علو الله واستوائه على خلقه وعرشه ، ولكن لا ريب أن هذه الأقوال وأمثالها أوهام متماسكة آخذ بعضها برقاب بعض أخذت تقليداً واتباعا مجرداً من الاختيار ، وقلد فيها الآخر الاول بلا نظر ولا بصر فمز أمرها وشأنها حتى حسبت حقاً لا يدفع ولكنها في الحق من أضعف الباطل وأهونه ! وذلك ان التركيب هو الجمع والتأليف بين الوحدات المتفرقة المبعثرة كتركيب الانسان والآلات المصنوعة مثل الطيارات والساعات وأشباه هذا . فهذه أشياء مركبة حقيقة لغة وشرعا وعقلا لأن مركبًا قد ركبها وأوجد لها صفة التركيب والمركب ، وقد كانت قبل هذا ليست كذلك ، فهي مصنوعة مخلوقة حادثة ، وأما ما ليس هنالك برهان على أنه مركب وأنه أوجد له التركيب غير افتراض العقل ذلك وافتراضه جوازه ، وافتراض أنه كان له التركيب بعد التفريق فهذا ليس مركبًا يقينًا لا لغة ولا شرعا ولا عقلا حتى يقوم الدليل على أنه قد لحقه وصف التركيب والمركب بعد عدمه . فان التركيب وصف ، أو نسبة بين أمرين أو أمور ، حادث باحداث قادر عليه متقدم عليه زمانا ومكانا. هذا هو التركيب بلا خلاف بين أهل اللغة والعقل ، وحينئذ فما علم بالبرهان أنه كذلك فهو مركب قد لحقه تركيب مركب فاعل ، وما لم يعلم أنه كذلك سوى افتراض العقل أو الوهم فلا يقال انه مركب ولا يوصف بالتركيب يقينا . وهذا

جلى واضح . وهكذا سائر المعانى وما يسمى بالاعراض أو الصفات ، فالخلق مثلا يراد به الايجاد المسبوق بالعدم . وكل موجود من قديم وحادث قد يفترضه العقل أو الوهم مخلوقا وقد يفترض أن صفة الخلق الذى هو الايجاد قد لحقته بعد عدمها ، كما قد يفترضه قديما واجب الوجود لم يطرأ عليه عدم ولاخلق ، وكما قد يفترض أن كل موصوف ، وان كان قديم الوصف حادث الوصف مخلوقه ، كما قد يفترض الحى وان كان قديماً يجوز أن يموت ويفنى ، الى أشباه ذلك مما مصدره الوهم والافتراض والتصور العام والقياس الناقص ، ولكن شيئاً من ذلك لايقبل ولا يصح أن يقبل حتى يقام عليه البرهان القوى الصحيح والحجة الظاهرة القوية ، فلايقال ان موجوداً ما مخلوق حادث حتى يدل البرهان الصحيح عليه ، ولا يقال ان حياً من الأحياء يمكن أن يموت وأن يفقد حياته حتى يقام على ذلك البرهان الصحيح أيضا ، ولا يقال ان موجوداً ما مركب حتى يقام على هذا القول البرهان أيضا . وقد يتوهم العقل كما ذكرنا أن القديم الواجب الوجود ، الذى وجوده من ذاته حادث مخلوق لا لدليل سوى أنه موجود ، والموجود قد يكون كذلك ، أي قد يكون حادثا مخلوقا كما جاء فى الحديث الصحيح أن النبى الكريم ﷺ قال : « يجيء أحدكم الشيطان فيقول هذا الله خالق العالم فمن خلق الله ! فاذا وجد أحدكم ذلك فلينته » وهذا العارض يرد على عقول كثيرين من المؤمنين ، وقد يجثم فى صدورهم حتى يعسر زياله فيذهبون يتساءلون عن ذلك ويذهب الشيطان يلقى السؤال المذكور فى الحديث ويصوغه على ألسنة المصابين بهذا الوسواس كما ورد على عقول هؤلاء المخالفين أنه لو كان الله كبيراً وأكبر من العرش لكان مركبا مؤلفا ! فأنكروا لذلك أن يكون كبيراً ، ثم أنكروا تبعاً لهذا الاستواء والعلو . والعقول تعلم بداهة بطلان هذا الوهم والسؤال ، وتعلم بداهة أنه لا بد من الايمان بقديم واجب الوجود لا يفتقر الى غيره بوجه واحد من وجوه الافتقار والاحتياج . وإلا لو كانت الموجودات

كلها حادثة مخلوقة لكانت الحوادث تحدث بلا محدث وبلا سبب حادث . وهذا باطل فاسد بنظرات العقول الأولى . فان من أظهر علوم البشر وأدومها علمهم أن الحوادث لا تحدث بأنفسها بلا محدث سابق عليها

وعلى هذا فاذا قال المنكرون لعلو الله انه لو كان تعالى أكبر من العرش لكان مركبا قيل لهم ماذا تريدون بالتركيب ؟ أتريدون أنه مركب لمركب فاعل أوجد فيه التركيب بعد أن كان فاقداً ذلك ؟ ان كنتم تريدون هذا المعنى قيل لكم : كيف علمتم أنه اذا كان كبيراً وأكبر من عرشه وخلقه فلا بد أن يكون مركبا ذلك التركيب ، وما البرهان عليه ؟ لاشك أن مثل هذه المقالة لا بد لها من الحجة الظاهرة ، كما أن قول القائل : الموجود لا بد أن يكون حادثا مخلوقا ولا بد أن يكون له موجد لا يقبل ولا يسمع إلا ببرهان . وهذا المقال مثل ذلك المقال عند التبصر . فان قولهم : الكبير والأكبر لا بد أن يكون مركبا لمركب وهبه صفة التركيب مساو للقول بأن الموجود لا بد أن يكون حادثا مخلوقا لخالق محدث ، ومساو للقول بأن الموصوف من حيث هو موصوف حادث الصفة مخلوقها فهو جائز أن يفقد ذلك وأن يعود غير موصوف ، ومساو للقول بأن الحى من حيث هو حى موهوب الحياة معطاها ليس واجبها ولا قديمها ، فهو جائز عليه أن يفقدها الى أشباه هذا . وهذه أقوال كلها فاسدة باطلة

وأما ان كانوا يريدون أنه لو كان كبيراً وأكبر من عرشه وخلقه لكان مركبا ، بمعنى أن العقل أو الوهم قد يفترضه كذلك ، قيل لهم هذا لا يضير شيئا ، وذلك أن العقل يفترض المحالات التى لا يمكن أن تقع فى الخارج ، كما أنه قد يفترض موجوداً لا قديما ولا حادثا ، ولا واجب الوجود ولا جائزه ، وهذا محال صدقه ووقوعه ، وكما قد يفترض القديم حادثا والحادث قديما . وقد يفترض جسما قائما بنفسه ليس فى مكان ولا جهة من الجهات بحيث لا تمكن الاشارة اليه

وقد قال قائلون : ان هناك رباً قديما قائماً بنفسه مصدراً لجميع الحوادث مجرداً من جميع الصفات الوجودية والعدمية . وهذا من أظهر المحالات في العلوم البشرية ، فان موجوداً ما لايمكن أن يتجرد من جميع الصفات العدمية والوجودية ، وليس الموجود إلا الموصوف بصفة الوجود والثبوت والامتياز عن غيره وعن المعدومات وإلا فان الموجود المجرد من الصفات مساو للمعدوم بل هو المعدوم عينه . ومن قال ان الله موجود وهو مجرد من جميع الصفات فقد قال بانكاره ولكن بعبارة منافقة خبية ، وبعبارة جاهلة مراوغة ، ولا فرق عندنا بين أن تقول : ان عندى شيئا لا يميناً ولا شمالا ولا فوق ولا تحت ، ولا فى جهة من الجهات ، وليس له وجود ولا عدم ولا امتياز ، ولا يوصف بصفة من قلة و كثرة ، وبين أن تقول ليس عندى شىء . فالقولان سواء فى أن كلا منهما يعبر عن العدم والفقدان ، بيد أن القول الثانى أصرح وأخف وأوضح فى المراد ، وكذلك لا فرق بين أن تقول ان للعالم رباً مجرداً من جميع الأوصاف بحيث لا يوصف بعلم ولا حياة ولا وجود ولا قدرة ولا علو ، وبحيث لا يوصف بصفة من الصفات وبحيث لا يشار اليه لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا متصل به ولا منفصل عنه ، وبين أن تقول ليس للعالم رب ولا خالق . ولهذا كانت أقوال هؤلاء المعطلين معدودة عند السلف من الالحاد الصريح والجحود لرب العالمين ، وكانوا لأجل هذا يشتدون فى الحكم على الجهمية أئمة التعطيل ، ويسمونهم الملحدين والكفار أحيانا ، ويفتون بقتلهم ردة ، لأن مقالاتهم هذه هى من شر أنواع الانكار والالحاد . ولا ريب عندنا أن الذين ابتدعوا هذه العقائد الجهمية المعطلة فى الاسلام كانوا خونة ادعوا الايمان والاسلام خداعا وكيداً ليفسدوا ذلك . وهنالك أقوال رواها عنهم السلف مثبتة فى كتاب السنة لابن الامام أحمد بن حنبل ، وفى كتاب خلق أفعال العباد للبخارى تدل دلالة قوية على ما نقول . وقد حدثوا عن الجهم بن صفوان أحد مراجع التعطيل والتجريد

أنه أنكر وجود الله أربعين صباحا ، وذكروا عنه أنه مرّ بآية الرحمن على العرش استوى فتمعر وجهه غيظا وغضبا ورمى بالمصحف من يده ، وقال : لو استطعت أن أحك هذه الآية من المصحف لفعلت . ولا ريب أن مثل هذا القول لا يصدر عن قلب لامسه الايمان وعقد على الاسلام . وقد علم أن جماعات كثيرة دخلوا في الاسلام أو ادعوا الدخول فيه على الأصح مكيدة للاسلام وخداعا لأهله كما فعل ابن سبأ واضع المذهب الشيعى الغالى ، وكذلك فعل غيره ، علم منهم من علم ، وجهل من جهل

(الشبهة الرابعة)

قالوا : لو كان الله فوق عرشه وخلقه لكان محدوداً بحدود ذاتية مكانية ، والله ليس محدوداً بحد ما

والجواب أن نقول : ان هذه الحجة كما قد قدمنا ترد على الموجود من حيث هو موجود ، ومن حيث هو قائم بنفسه ، لا من حيث انه مستو على العرش أو على شيء من الأشياء . فان كانت هذه الحجة صحيحة واردة فهي واردة على كل حال لا يدفعها نفي الاستواء والعلو على العرش ، وان لم تكن صحيحة ولا واردة لم يوردها ولم يقض بورودها القول بالاستواء والعلو . فالقول بالاستواء ـ سواء أكان حقا أم باطلا ـ لا يضر ولا ينفع في هذه المسألة يقينا . وذلك أن يقال لو كان الله موجوداً لكان محدوداً ، لكن الله لا يحد بحدود ذاتية مكانية ، أو يقال الله موجود وكل موجود محدود فلا بد أن يكون محدوداً . فان أمكن أن يكون ثمت موجود قائم بنفسه ، موصوف بكل صفات الكمال ، وليس محدودا أمكن أن يكون هنالك موجود مستو على الخلق ، وليس محدوداً بحد ما لا زماني ولا مكاني ولا ذاتي وإن لم يمكن وجود شيء ما وقيامه بنفسه إلا أن يكون محدوداً بحدود ونهايات لم يفد نفي

الاستواء والعلو فى دفع هذه الحدود والنهايات لأنها واردة على الوجود لازمة له . فالقول إذن بنفى الاستواء والعلو لا يضر ولا ينفع فى هذه المسألة ألبتة . وهذا واضح

وإذا كان ذلك كذلك لم يجز القول بانكار ما اتفقت عليه الكتب المقدسة والفطر كلها والضرورة والاجماع دفعاً لشبهة هي غير مدفوعة ولا باطلة . وهـذا لا نزاع فيه عند من تبصر وفهم

والقول بالحد لذات الله لم يرد فى الكتاب ولا فى السنة تنصيصاً وتصريحا فيما أعلم . ولكن جاء هذا القول من السلف الصالح ونطقوا به وجعلوه معنى لاستواء الله على عرشه وعلوه على خلقه ، وانفصاله منهم وانفصالهم عنه تعالى ، فان مذهب السلف الذى لا يختلف فيه بينهم أن الله سبحانه مستو على عرشه عليّ على خلقه بائن من غيره بائن غيره عنه . وهذا هو الفصل بينهم وبين أهل البدعة والضلالة ، لأن فريقاً من المبتدعين صار الى القول بحلول الله فى خلقه وحلوله فى كل مكان وذات !! وهذا شر من قول النصارى والحلولية . وفريق آخر متأخر صار الى القول بأن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولا بائن عنه ولا حالّ فيه ولا فوق ولا تحت ولا يمينا ولا شمالا ولا وراء ولا قدام ولا تمكن الاشارة اليه بوجه من الوجوه . وهذا القول مساو لقول الملحدين المنكرين لوجود الخالق إلا أنه بعبارة مراوغة منافقة . وهذا مثل أن يقال : ان الله لا موجود ولا معدوم ، ولا خالق ولا غير خالق ، ولا قديم ولا حادث ، كما يقول هـذا الاسماعيلية وغيرهم من فرق الشيعة . وهذا كله جحود والحاد بلا خلاف بين العقلاء

فلم يبق بعد هذين القولين الباطلين الكاذبين سوى قول السلف وصدر الأمة الأول من الصحابة والتابعين وغيرهم ، وهو القول بأن الله فوق خلقه مستو على عرشه منفصل عن المخلوقات منفصلة عنه . وهذا عند السلف هو معنى القول بالحد ولا بد من الحد بهذا المعنى . ويراد بالحد التميز بين الخالق والمخلوق والتفريق بينهما

بالذات والصفات وكل شيء.. ومعناه عندهم أن الله ليس حالا فى خلقه وأن خلقه ليسوا حالين فيه ، لأن القول بالحلول قول أهل الكفر والغباء . ولا يراد بالحد غير هذا المعنى ، ومن ظن أنهم يعنون بالحد سوى ما ذكرنا فقد غلط عليهم . ونصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف مجتمعة على هذا المعنى لا تختلف فيه ، وان كان هذا اللفظ خاصة لم يرد فى كتاب الله ولا فى سنة نبيه ، وانما قاله كثير من أئمة السلف والسنة لما شاعت البدع ، بدع الجهمية المعطلة وبدع المعتزلة والشيعة تمييزاً لعقيدتهم وعقيدة السلف عن عقائد هؤلاء المعطلين، فقالوا : ان الله فوق خلقه مستو على عرشه بحد كما قال الامام أحمد ، نقله عنه ابنه عبد الله فى كتاب السنة . وقال هذا غير الامام أحمد كابن المبارك وعثمان بن سعيد الدارمي من أئمة السنة والأثر. وهؤلاء الأئمة الذين قالوا هذا يعلمون أن الأفضل هو الوقوف مع ألفاظ الكتاب والسنة سلباً وإيجاباً ، ويعلمون أن هذا اللفظ لم يرد فى نصوص الشريعة فيما نعلم وإن كان معناه وهو ما ذكرناه فى تفسيره متواتراً فى النصوص ، متواتراً عن الصحابة والتابعين . ولكن لما ظهر المبتدعون النفاة وقالوا تلك المقالات التى لا تعقل قال السلف ان الله مستو على عرشه وفوق خلقه بحد تمييزاً لمقالاتهم ومقالات السلف عن أقوال الجهمية والمعطلة ومعنى قولهم بحد هو ما ذكرناه من أنه فوق خلقه لا كما يقول أهل التعطيل والحلول

وهؤلاء المتكلمون يضعون ألفاظا مبتدعة لمعان صحيحة ثابتة لا يختلف فيها فينفرون الناس عن الحق بما يعبرون عنه به من العبارات المخترعة الموحشة والألفاظ المبهمة المشتركة بين المعانى الصحيحة والباطلة . وللتعبير عن المعنى المقام الأول فى قبوله ورده . وذلك مثل تعبيرهم عن الصفات والأفعال بالاعراض وحلول الحوادث فى ذات الله ، ومثل تعبيرهم عن علو الله بالتحيز وبالحد والتجسيم ، ومثل تعبيرهم عن صفات الذات بالجوارح ونظائر ذلك من الألفاظ المبهمة المشتركة التى يراد

بها حينا حق ويراد بها حينا آخر باطل . ولو أن هؤلاء القوم تأدبوا بآداب الله وآداب كتابه وآداب رسوله فوقفوا عند عبارات الكتاب والسنة وعبارات السلف الصالح وعبروا عن صفات الله وأسمائه بالالفاظ الشرعية المنقولة ، ولم يخترعوا ألفاظا مبتدعة ولا عبارات مصنوعة حادثة لوقفوا بمنجى من هذا الضلال فى أنفسهم ، والتضليل لغيرهم ممن يؤخذون بالألفاظ والكلمات المنحوتة التى أريد بها الاستفزاز والتهويل والتخويف . ولأجل هذا كان السلف الأول لايعدلون عن الفاظ الشرع ، ولا يقولون لفظا لم يرد ، وان كان معناه صحيحا حقا ، وإن كان مرادفا للفظ الوارد فى الشرع الا أن يلجئوا الى شىء من ذلك الجاء ، ويفرض عليهم فرضا ، وكانت بدع المخالفين تقضى بالتصريح والتعبير بألفاظ أخرى أمس بفهم المخالفين المعاصرين ، كما جاء عنهم فى الحد والعلو على العرش بالذات والبينونة عن الخلق . ولكن العاقل الحازم لايدع الحق الصحيح استيحاشا من تعبير مبهم مشترك ، أو تعبير فاسد باطل ، بل العاقل ينظر إلى الحق حيثما كان وأين كان ، فينتزعه من مكانه وينزع اليه لايثنيه خوف تعبير أو تعيير

(الشبهة الخامسة)

قالوا : الاستواء على العرش إما أن يكون حادثا ، وإما أن يكون قديما ، ولا بد من أحد هذين الأمرين ، والأمران مستحيلان ، أما الثانى فلا يمكن البتة فان العرش حادث كائن بعد عدم ، وما كان حادثا لايمكن أن يكون الاستواء عليه قديما ، فهذا لايمكن بالبداهة . فالاستواء إذن لايمكن أن يكون قديما فلم يبق إلا أن يكون حادثا ، ولكن الاستواء الحادث على البارى مستحيل أيضا ، وذلك أنه يلزمه أمران احدهما قيام الحوادث فى ذات الله ، وهذا باطل ، وثانيهما

أن هذا انتقال وحركة والانتقال والحركة مستحيلان فى حقه تعالى . فالقول بالاستواء إذن باطل .

والجواب أن نقول : أجل ان الاستواء على العرش الحادث حادث ولا ريب كما قال تعالى « خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش » فى آيات عدة ، فالاستواء على العرش بعد خلق السموات والأرض الحادثة . أما ماذكروه من أن فى هذا قيام الحوادث فى ذات الله وهو باطل ، فجوابه أن يقال : قد اتفقت نصوص الأديان كلها ، واتفقت الروايات عن السلف الأول وعن المسلمين جميعا بل عن المؤمنين بالله كافة ، على أن الله لايزال يفعل ويقول ويحيي ويميت إذا شاء ، كل يوم هو فى شأن ، وقد دلت المخلوقات الحوادث على ذلك ودلت الكائنات المشهودة على أنه كل يوم هو فى شأن ، ودلت الضرورة على هذا . وما من مؤمن بالله إلا وهو يعلم أن الله يفعل مايشاء متى شاء لامانع ولا معترض عليه ، ولأجل هذا يدعوه ويضرع اليه فى حالاته كلها فى السراء والضراء وفي الرخاء والشدة ، لأنه يعلم علم اليقين أن الله دائم الفعل دائم التصريف ، دائم الخلق دائم الاحياء والاماتة والرزق ، يحدث من أمره مايريد ، ويريد فى خلقه مايحدث ، يكلم من شاء إذا شاء ويرزق من شاء متى شاء ويميت من يميت اذا شاء ويحيي من شاء متى يشاء ، ويشفى من شاء حين يشاء ، ويمرض من شاء حين يشاء ويقرب ممن يشاء ويبعد عمن يشاء ، يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب . اليوم يقضى بحياة أقوام وغداً يقضى بموتهم ، واليوم يقضى بافقار عبده فلان وغداً يقضى باغنائه . واليوم يقضى بعز هذه الدولة وغداً يقضى بذلها واليوم يقضى بذلها وغدا يقضى بعزها ، واليوم يقضي بابعاد عبده فلان وغدا يقضى بتقريبه ، واليوم يقضى بصلاحه وغدا يقضى بفساده ، يفعل ما يشاء ويختار وهو شديد المحال . لا خلاف بين الأديان ، ولا خلاف بين أهل الأديان ، ان هـذا

كله بعض شأن الله فى خلقه وملكه ، ولا خلاف بينهم وبينها أن خلقه اليوم غير خلقه غدا ، وأن ايجاده أمس غير ايجاده اليوم ، ولا خلاف بينهم وبينها أن من أوجده اليوم ليس قديما ، وأن شفاءه اليوم من كان بالأمس مريضا ليس أزليا ، وأن اغناءه اليوم من كان بالأمس فقيرا ليس قديما ، وأن استواءه على العرش الحادث له بداية زمنية ، و أن نداءه عباده موسى وعيسى وابراهيم ونوحا ومحمدا ﷺ كائن بعد خلقه إياهم ، وأن خلقه إياهم حادث له ابتداء ، ولا خلاف بين أهل الأديان السماوية في هذا وفى أمثاله ، ولا خلاف بينهم فى أن أفراد هذا كله حادثة كائنة بعد ان لم تكن ، ولا خلاف بينهم فى أن هذا هو معنى كونه مختارا يفعل ما يشاء حين يشاء وأن هذا لازم القدرة والربوبية ، وأن من لا يفعل متى شاء ليس قادرا ولا جميل الوصف ، ولا ريب أن من أنكر هذا الوصف لله فقد سلبه أخص أوصاف الربوبية وسلبه القدرة والكمال ، وأن القادر هو الذى تتجدد أفعاله ويتعاقب خلقه وصنعه ويحدث من أمره ما يشاء ثم يفعل وأنه لا يزال كذلك وهذا هو معنى وصفه القادر والرب المدبر ، ومن جملة صفاته المتجددة الاستواء على العرش والعلو على الخلق ، فان كان ممتنعا عليه الاستواء لأن فى ذلك قيام الحوادث فى ذاته كان ممتنعا عليه خلق العرش وخلق غيره من الحوادث ، لأن فى ذلك أيضا قيام الحوادث بذاته . فان الخلق وصف ذات كالاستواء والعلو إلا أن الفرق بينهما أن الخلق وصف متعد والاستواء وصف لازم ، ولكن كلاهما كائن بعد ان لم يكن ، فكما أن الاستواء على العرش لا يمكن أن يكون قديما ، لأن العرش حادث والاستواء على الحادث حادث ، فكذلك خلق العرش وغيره من المخلوقات لا يمكن أن يكون قديما بل لا بد أن يكون حادثا ، لأن إيجاد الحادث لا بد أن يكون حادثا ، بل الايجاد من حيث هو ايجاد معين لا بد أن يكون حادثا كائنا بعد أن لم يكن . وان أمكن أن يكون خلق الحادث قديما أمكن أن يكون الاستواء

على الحادث قديما ولا فرق وإن لم يمكن هذا لم يمكن هذا . فالكلام فى الاستواء على العرش كالكلام فى سائر الصفات من الخلق والايجاد والاحياء والاماتة ونظائر ذلك . فإن كانت افراد هذه الصفات حادثة متجددة كما دلت النصوص والمعقولات واجماع المؤمنين بالله ، فلا مانع إذن من القول بالاستواء على العرش وعلى المخلوقات جميعاً ، ولا مانع من القول بأن الاستواء على هذا حادث ، وان لم تكن أفراد هذه الصفات متجددة كائنة بعد أن لم تكن ، بأن كانت قديمة أزلية قيل ان الاستواء كذلك قديم أزلى ليس حادثا . فاذا قيل : كيف يمكن أن يكون الاستواء على الحادث قديما ؟ قيل كيف يمكن أن يكون إيجاد الحادث قديما ؟ فان كان هذا معقولا كان ذلك معقولا ، وإن لم يكن لم يكن . فاذا قالوا اننا قلنا إن أفراد صفات الله ، مثل الايجاد والخلق والاحياء والاماتة قديمة لأنها لو كانت حادثة لكان فى هذا قيام الحوادث والأعراض فى ذات الله وهذا محال ، قيل كذلك ليقل : ان الاستواء على العرش الحادث قديم ، لأنه لو كان حادثا لكان فى هذا قيام الحوادث والاعراض فى ذات الله وهو محال . وكل ما يوردون على الاستواء على العرش من هذه الجهة المذكورة يورد على سائر الصفات المذكورة ، وما كان جوابا لهم عن هذه الصفات كان جوابا لنا عن الاستواء على العرش ، وما كان وارداً على الاستواء فوق العرش كان وارداً على الصفات المذكورة . وبالاجمال الاستواء على العرش صفة من هذه الصفات ، والقول فيه كالقول فيها وإذا كان ذلك كذلك فلا وجه لتخصيص الاستواء بهذه الشبهة دون غيره . بيد أنه لا ريب عندنا فى أن صفات الله وأفعاله متجددة ، وأنه يحدث كل يوم من أمره ما يشاء حسب تجدد الكائنات . فان الكائنات متجددة دائمة حادثة مشهود حدوثها وتخليقها وتغيرها وتطورها ، وهذه الحوادث المشهودة المرئية ، وهذا التغير المشهود المرئى ، لابد من القول بأنها وبأنه متغيرة متغير باحداث محدث وتغيير

مغير قاهر فاعل ، ولا بد أن ترجع هذه الأحداث ويرجع هذا التغير الى علة موجبة ضرورة ، والقول بخلاف هذا قول بحدوث الحوادث بلا محدث خالق غالب ، وهذا باطل عقلا ونقلا وإجماعا . فلا ريب أن محدث هذا كله هو الله رب العالمين

اذا علم هذا كله قيل هذه الحوادث المتجددة المتغيرة كل وقت إما أن يكون خلق الله اياها وارادته خلقها قديما أو حادثا ، لا بد من أحد القولين ، أما القول بأن خلقه اياها وارادته لها قديمان فباطل ، لأنه اذا كان الله قديما وكان خلقه المخلوقات قديما وارادته خلقها قديمة وجب أن تكون هى أيضا قديمة ضرورة ، لأن المعلول المخلوق لايمكن أنه يتأخر عن علته الموجبة التامة الخالقة ، وإلا لو تأخر المعلول المخلوق عما فرض أنه علته الموجبة التامة لما كان معلولا لذلك ولا مخلوقا له ، ولكننا فرضناه معلولا مخلوقا ، فلم يبق الا القول بأن خلقه المخلوقات حادث كائن بعد أن لم يكن

أو يقال بعبارة أخرى حدوث هذه الحوادث المشهودة المتجددة إما أن يكون باحداث محدث أو بلا احداث ، الافتراض الثانى باطل ، فلم يبق إلا أن يكون حدوثها باحداث محدث . وهذا الاحداث الذى حدثت به الحوادث إما أن يكون قديما وإما أن يكون حادثا ، لكنه لا يمكن أن يكون قديما ، لأنه لو كان كذلك لكانت الحوادث أيضا كذلك ضرورة كون الاحداث إحداثا لها ، فاحداث الحوادث لا بد أن يكون حدوثها مقارنا له ، كما أنه لايمكن أن يحدث ضرب بدون مضروب وبدون قبول المضروب الضرب ، ولأن الاحداث لا معنى له إلا أن يكون حادثا ، فان معنى الاحداث هو الايجاد لشىء من الأشياء أتت عليه أطوار من الزمن لم يكن موجوداً فيها ، ولا معنى للاحداث سوى هذا . فلم يبق إلا القول بأن احداث الحوادث وحدوثها حادثان

أو يقال بعبارة أخرى : الحوادث التي سوف تحدث بعد اليوم إما أن يكون الله أحدثها وإما أن يكون لم يحدثها بعد وسوف يحدثها اذا شاء ، أما القول بأنه أحدثها فباطل بالضرورة والمشاهدة ، لأنه لو كان أحدثها لحدثت ولوجدت ، ولا يمكن أن يقول عاقل : ان الله قد أقام الساعة وحشر الناس وحاسبهم وأدخلهم الجنة أو النار اليوم . فلم يبق إلا القول : بأن الله لم يحدث الحوادث التي لم تحدث بعد وأنه سوف يحدثها اذا شاء

أو يقال بعبارة أخرى : إما أن يكون الله ـ بجميع صفاته حقيقيها وإضافيها ـ قديما أزليا بحيث لا يقوم به تعالى فعل ولا كلام ولا خلق ولا ايجاد ولا نفع ولا ضر ولا إحياء ولا إماتة بعد أن لم يكن ، وإما أن لايكون كذلك ، بل يكون الله بصفاته الحقيقية النوعيـة قديما لم يزل ولم تزل أفراد صفاته تتجدد وتقوم به ، فيتكلم ويفعل ويخلق ويهلك اذا شاء ويصنع مايشاء متى يشاء أزلا وأبداً انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . أما الافتراض الأول فلا يمكن القول به عقلا ، لأنه لو كان كذلك للزم أحد أمرين باطلين ، أحدهما أن تكون الحوادث المخلوقة قديمـة ، وثانيهما أنه يلزمه ألا تحدث الحوادث وألا يوجـد مخلوق ما . والأمران باطلان بالمشاهدة . وذلك أنه اذا كان الله بجميع صفاته ـ من خلق وإيجاد ونفع وضر وإحياء وإماتة ـ قديمـا لم يزل فكيف حدثت الحوادث اذن وبماذا حدثت وما من زمن يفرض إلا و كان يمكن أن تحدث فيه ؟ ولماذا حدثت في زمن دون زمن وقد كانت جميع الأزمان سواء بالنظر الى حدوثهـا فيه ؟ وما الذي رجح أن تحـدث في الزمن الذي حدثت فيه على الأزمان الأخرى التي لم تحدث فيها وقد فرضنا كل شيء قديما وفرضنا أنه لم يحـدث مرجح ما لحدوث الحوادث في الزمان الذي حدثت فيـه على غيره من دولات الزمن ؟ وما الذي جعل ما حدث اليوم لم يحدث أمس أو قبله أو بعـده وهذه الأوقات كلها سواء

بالنظر الى ذات الخلاق وصفاته القديمة ؟ ان القول بهذا قول بحدوث الخلائق بلا خالق ولا فاعل . فلم يبق الا الافتراض الثانى ، وهو أن الله بصفاته قديم لم يزل لكن افراد صفاته وأفعاله لم تزل تتجدد ولم يزل يريد فيخلق ويشاء فيفعل ، كما قال انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، وهذه أمور ظاهرة تدل دلالة قاطعة على أن الله يفعل ما يشاء ويخلق ما يريد متى أراد ومتى شاء ، وتدل على أن من أنكر ذلك زاعماً أنه أنكر قيام الحوادث بذات الله فقد عاند الضرورة والمعقول ونصوص الأديان كلها ، فان الشرائع قائمة على أن الله دائم الفعل ودائم الخلق والايجاد وتصريف هذا الكون من حال الى حال ومن طور الى طور .

ولا ريب أن من أنكر أفعال الله متى شاء وحين يريد فراراً من القول بقيام الحوادث بذاته تعالى فقد تنقصه وسلبه أخص أوصاف الكمال والربوبية . فان الكامل هو الذى لا يزال يفعل ويخلق ويقول ويصرف خلقه وعباده ، وينقلهم من حال الى حال ومن شأن الى شأن ويفعل ما يشاء متى يشاء . وأما من ليس كذلك فلا شك أنه ناقص عاجز مغلوب على أمره . ولو عرض على العقول موجودان ، أحدهما دائم الفعل والايجاد والتصريف والآخر جامد ساكن ، لايمكن أن يقوم به فعل ولا ايجاد ولا تصريف ولا كلام ولا ارادة ولا يقوم به شيء مما يسمى حوادث ، لحكمت العقول جميعا بأن ذلك الموجود الدائم الفعل والايجاد هو الكامل الأعظم ، وأن الثانى الذي لا يمكن أن يقوم به فعل ناقص مهين فاقد أشرف الأمثال وأسماها

وقد عاب الله فى غير ما آية من الكتاب الأصنام والأوثان بعجزها عن الفعل وعن الكلام وعن الضر والنفع . وذلك لأن من لا يفعل ولا يمكن أن يفعل اذا شاء ناقص معلوم نقصه فى جميع العقول وقرارات الفطر . ولهذا قال السلف : من زعم أن الله لا يتكلم اذا شاء فقد زعم أنه يعبد صنما : ذلك أن الصنم عاجز عن

الكلام وعن الفعل . فالذين يقولون ان الله لا يتكلم ولا يفعل حين يريد خوف قيام الحوادث والأعراض به يضربون له تعالى أسوأ الأمثال وأدناها وهى الأصنام والأوثان العاجزة عن أن تفعل وأن تقول وأن تحدث شيئا ما ، فمثلها هو المثل الأدنى للعاجز الضعيف ، ولله المثل الأعلى والصفات الحسنى « إنما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون »

وهؤلاء النفاة المعطلون يضعون لصفات الله وأفعاله وأسمائه أسوأ الأسماء فيسمونها بالأعراض والحوادث ، ثم يقولون : ان الله منزه عن الاعراض والحوادث ، فلا يقوم به عرض ولا حادث ، فيلبسون ويمثلون أولا ، ويجحدون ويعطلون آخراً ، فيجمعون بين الرذيلتين : التشبيه والتعطيل . والناس الذين لا يحيطون بمراميهم ولا يسمون على أغراضهم يخدعون ويؤخذون بهذه العبارات والأسماء ، فانهم اذا قيل لهم : ان الله منزه عن الأعراض والحوادث حسبوا هذا صحيحاً فلم ينازعوا فيه ، لأنهم يحسبون أن الأعراض والحوادث التى ينزهون الله عنها هى ما يعرفونه فى كلام الناس واصطلاحهم فان ذلك فى كلام الناس هى التغيرات والاستحالات ، والحوادث عندهم هى الأشياء المخلوقة والطوارىء المفاجئة المؤذية . ولا ريب أن الله منزه عن هذا كله ولكن ليس هذا هو ما يريدون تنزيه الله عنه ، وإنما يريدون به تعطيله من أفعاله وصفاته وما يقوم به من أوصاف الربوبية كالخلق والايجاد والضر والنفع والخطاب والكلام ، وغير ذلك من الصفات اللازمة للفعال لما يريد ، القاهر فوق عباده ، ولكنهم ترجموا الأفعال والصفات بالاعراض والحوادث تنفيراً وايحاشا من الايمان بصفاته وأفعاله فكان هذا كما قال ابن الرومى :

تقول هذا مجاج النحل تمدحه   وإن تشأ قلت ذا قىء الزنابير

مدحاً وذماً وما جاوزت وصفهما   والحق قد يعتريه سوء تعبير

ولو أن هؤلاء النفاة سموا الأشياء أسماءها فسموا صفات الله وأفعاله بالصفات والأفعال كما سماها الله وأنبياؤه والسلف قاطبة وجمهور المسلمين وقالوا ان الله منزه عن الأفعال والصفات ومنزه عن أن يفعل وأن يقول وان ينادى وأن يخلق ويوجد مايشاء اذا ما شاء لما آمن لهم الناس ولما خدعوا بقولهم وتعطيلهم . وهذا كما وصفوا الاستواء على العرش بالاسماء المنفرة الباطلة فسموه بالاحتياج الى الجهة والتمكن والتحيز والتجسيم والتشبيه والتحديد وأشباه هذه الكلمات الموضوعة إرادة الاستفزاز والتشنيع . ومن جهلوا مايرمى اليه النفاة وسمعوا منهم هذه الألفاظ انخدعوا وانقادوا لهم ولما يريدونه من التعطيل ووقعوا فيما وقعوا فيه من حيث لايشعرون ولا يعلمون ، ولهذا وجب التفصيل والتفسير ومحاذرة الألفاظ المبتدعة . فان للالفاظ سلطانا أحيانا غالبا على المعانى . والبصير لا يصرفه سوء التعبير عن الحق وقبوله . هذا ما يقال أولا عن شطر هذه الشبهة الأول

ويقال فى الجواب أيضا : لنفرض أن ذات الله لايقوم بها فعل ما ، لاخلق ولا استواء ولا غير ذلك ، ولكن هل يلزم من استوائه على عرشه بعد خلقه وبعد خلق السموات والأرض أن يكون قام بذات الله فعل هو الاستواء على العرش والعلو على الخلق ؟ اننا نقول فى جواب هذا السؤال كلا انه لا يلزم هذا هذا . وذلك أننا نفرض ان الله كان كما كان أزلا وكما يكون أبداً ثم خلق العرش وخلق سائر خلقه من سماوات وأرضين تحت ذاته المقدسة فصارت المخلوقات من عرش وغيره تحته تعالى وكان هو فوق ذلك مستويا عليه كله من غير أن يقوم بذاته شيء ومن غير أن يقوم به الاستواء وهذا ظاهر جلى . ومثله أن نفترض أن العرش كان قديما فى مكانه الذى هو فيه فخلقت السموات والأرض تحته فأصبح هو فوق ذلك وأصبح مستويا عليه من غير أن يقوم به فعل ولا تغير ولا وصف ما

ذاتي ، ومن غير أن يقوم به عرض من الأعراض . فالشطر الأول من هذه الشبهة باطل على جميع الافتراضات سواء أقيل ان الله تقوم به الأفعال المتجددة المتكررة ، أم قيل انه لا يقوم به وصف ما متجدد

وأما الجواب عن الشطر الثاني من الشبهة وهو أنه يلزم استواءه على العرش اذا كان حادثا الانتقال والحركة ، والانتقال والحركة في حق الباري باطلان ، فيقال : الجواب عن هذا أمران ظاهران ، أحدهما أنه لامانع من القول بالانتقال على الله ، وقد دلت الدلائل التي لا تحصى من الآيات والأخبار الصحيحة المتواترة على أنه تعالى يجيء يوم القيامة لحساب الخلائق ولفصل القضاء ولمجازاة المؤمن بأعماله والكافر بأعماله كما قال تعالى : « وجاء ربك والملك صفا صفا » . وقال : « هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك » والآيات في هذا كثيرة معلومة . وقد تواتر قوله عليه الصلاة والسلام « ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا » وما يذكر المعطلون النافون من الشبهات على أخبار إتيانه باطل ضعيف وذلك أنه ما من اعتراض يوجه الى صفة اتيانه الا ويوجه الى صفاته كلها حتى المعلوم منها بالعقل ، بل ويوجه الى ذاته ووجوده ، فان الكلام في الذات مثل الكلام في الصفات ، والكلام في الصفات كالكلام في الذات ، فاذا قال النفاة : لا يأتي إلا الأجسام قيل لهم ولا تقوم الصفات إلا بالأجسام وأنتم تعترفون له ببعض الصفات ولا يوجد أيضا الا ماهو جسم أو عرض ، وأنتم لاتقولون انه جسم ولا عرض ، فان أمكن أن يكون موصوف بالصفات وليس جسما أمكن أن يأتي وهو ليس جسما ، وان كان لايمكن ذلك الا اذا كان جسما فالله جسم سواء أقيل بجواز الانتقال أم قيل بامتناعه فالقول إذن بامتناع الانتقال عليه لا وجه له ، وما يورد النفاة من شبهة على أخبار اتيانه إلا ويورد مثل ذلك على ما يعترفون به من الصفات له . ولو أن النفاة جمعوا الجن والانس والحاضر

والغابر وجهدوا على أن يفرقوا بين صفة الاتيان وغيرها من الصفات لما وجدوا الى ذلك سبيلا

هذا هو الجواب الأول . والجواب الثانى أن يقال إنه ليس بلازم استواءه على عرشه بعد خلقه أن يقوم بذاته انتقال أو حركة ، وذلك أننا نفترض أن الله كان كما كان أزلا وكما يكون أبداً ثم خلق العرش تحتـه فصار مستويا عليه من غير أن تقوم به نقلة ولا حركة . ومثل ذلك أن نفترض السموات قديمة كما هي فى مكانها فخلقت الأرض تحتها فصارت السماء فوقها من غير أن يقوم بهـا انتقال ولا حركة . فهذه الشبهة باطلة على جميع الافتراضات وهى باطلة أيضا بوجوه أخرى كثيرة ، ولكننا نوجز ايجازا

(الشبهة الســادسة)

قالوا : استواء الله على العرش اما أن يكون واجبا واما أن يكون جائزا ، ويعنى هنا الجواز والوجوب العقليان . أما القول بأنه واجب فباطل ضرورة ، وذلك أننا نعلم بالبداهة الظاهرة انه ليس واجبا عقلا استواء الله على عرشه ، بل نعلم بداهة أنه ليس واجبا خلق العرش ووجوده فضلا عن وجوب الاستواء عليه ، كيف والعرش مخلوق حادث وهو لذلك جائز عليه الفناء بقدرة الله وارادته القاهرة . وما كان كذلك لايمكن ان يكون الاستواء عليه واجبا ضرورة . وأما ان قيل : ان استواءه على العرش جائز ، قيل اذا كان ازلا وقبل خلق العرش ليس مستويا على شيء وكان ممكنا عقلا وشرعا ألا يكون فوق العرش ولا فوق غيره ، بل وألا يكون فى جهة من الجهات بحيث يصدق ان يقال انه لافوق ولا تحت ولا يمينا ولا شمالا ولا متصل ولا منفصل وجب ان يكون اليوم وأن يكون أبدا كما كان أزلا لافوق العرش ولا فوق غيره . قالوا : وحجة القائلين باستوائه

على العرش القوية القاهرة هى زعمهم ان موجودا قديما كان أو كان حادثا لايمكن أن ينفك من ان يكون فى احدى الجهات ، فاذا أمكن ألا يكون الله فوق ولا تحت ولا فى جهة من الجهات قبل خلق العرش وخلق غيره من الخلائق كما سلمتم بطلت هذه الحجة ، وكان غير واجب ان يكون الموجود فى جهة من الجهات ، وكان ممكنا عقلا ألا يكون الله بعد خلقه العرش والمخلوقات الأخرى فى أحدى الجهات ، وممكنا ان يقال انه تعالى لافوق ولا تحت ولا ، ولا ، قالوا : وفى المسئلة قولان لاثالث لهما ، أحدهما انه واجب ان يكون الله فى جهة من العالم وهذه الجهة هي الجهة العليا ، إذ مستحيل عقلا ان يكون هنالك موجود قائم بنفسه ثم لا تمكن الاشارة اليه بانه هنا أو هناك ، والقول الثانى انه باطل عقلا وشرعا ان يكون الله فى جهة من الجهات وان تكون الاشارة الحسية اليه ممكنة . هذان هما القولان المعروفان فى هذه المسئلة ، أما اختراع قول ثالث وهو ان يكون النفى والاثبات كل منهما جائزا ممكنا لا واجبا ولا لازما فهو شىء مخالف الاجماع مخالف المعروف فهو باطل لذلك . وبهذا بطل القول باستواء الله لاجوازاً ولا وجوبا

والجواب عن هذه الحجة أن نقول : اننا لانزعم ان الاستواء على العرش واجب لاعقلا ولا شرعا

ولكن نقول : ان استواءه على العرش بعينه جائز عقلا ثابت شرعا ، وكذا استواؤه على ما يشاء من خلقه ولا يلزم كون الاستواء على العرش ليس واجبا أنه لا يقع البتة

وهذه الحجة تشبه أن يقال : خلق هـذا العالم إما أن يكون واجبا وإما أن يكون جائزاً ، أما الأول فلا يمكن يقينا ، إذ العقول تجوز كلها ألا يخلق الله شيئا من العالم وألا يخلق السماء أو الأرض أو العرش أو فلانا أو فلانا . وأما الثانى ، وهو أن يكون خلق العالم جائزاً لا واجبا ، فلا يمكن أيضا ، لأن الله تعالى يجب

أن يكون اليوم وأن يكون أبداً كما كان أزلا ، وقد كان أزلا بلا خلق ، وكان لم يخلق هذا العالم ، وكان ولا شيء معه فيجب أن يكون فى كل وقت على ما كان عليه فى الأزل قبل أن يكون هنالك موجود سواه . فثبت أن الله لم يخلق هذا العالم لا وجوبا ولا جوازاً ، أو فيجب ألا يخلق الله شيئا لا على سبيل الوجوب ولا على سبيل الجواز

وهذا الاحتجاج يشبه هذه الشبهة على نفى الاستواء ، ولكن هذا الاحتجاج باطل وكاذب بالضرورة والمشاهدة ، ومثله هذه الشبهة . فالاحتجاجان باطلان مثلان

هذا قبل خلق العرش وقبل خلق المخلوقات ووجود شيء غير الله ، أما بعد ذلك فلا يمكن القول بأنه تعالى ليس فى جهة من العالم ، ولا القول بأنه لا فوق ولا تحت ولا يتصل ولا ينفصل كما يقولون بل هذا مستحيل بداهة ، إذ كل موجودين لا بد أن يكون أحدهما فى جهة من الآخر بحيث تمكن الاشارة الحسية الى كل منهما بأنه هنا أو هناك ، ولا يمكن غير هذا . وإنما كان هذا ممكنا فى حق الله قبل خلق العرش وخلق غيره لأن هــذه المسألة ، أي مسألة العلو مسألة اضافية لا تصدق إلا بين اثنين أو أكثر ، فيقال ان هذا فوق هذا أو تحته أو أمامه أو خلفه ومتصل به أو منفصل عنه وقريب منه أو بعيد عنه . أما اذا كان الموجود واحداً فقط فيمتنع هذا التضايف ، لأنه لا يكون كما قلنا إلا بين ذى العــدد . وكون الله قبل خلق العرش وخلق الكائنات لا فوق ولا تحت ولا أمام الى آخر النفى لا يدل على أنه بعد خلقه ذلك يكون كذلك ، بل ولا يدل على جوازه وإمكانه . والدليل القاطع على هذا أننا اذا فرضنا أن الله خلق مخلوقا واحداً وانفرد ذلك المخلوق بالوجود ، فهذا المخلوق لا يقال له فى حالة انفراده إنه فوق أو تحت أو يمينا أو شمالا أو متصل أو منفصل ، أو قريب أو بعيد على رأى هؤلاء يقينا ، وذلك أن هذه الأمور والنسب لا تصدق إلا بين متضايفات من اثنين فأكثر ، وقد فرضنا أن الموجود

واحد فلا تضايف وقتئذ يقينا إلا أن يزعم أن هذا المخلوق الواحد لا بد أن يكون في جهة من الله ومتصلا به أو منفصلا عنه ، فاذا ما زعم هذا ورضيه المخالفون فقد سلموا مسألة النزاع ، ولكن هذا خلاف المفترض ، بيد أن هـذا المخلوق المنفرد بالوجود الذي امتنع عليه أن يقـال انه فوق أو تحت أو أو . حينما كان منفرداً لا يمكن أن يكون كذلك بعد مشاركة غيره له في الوجود ، ولا يمكن أن يقال انه لا فوق ذلك المخلوق الآخر المشارك ولا تحته ولا متصل به أو منفصل عنه ولا في جهة من جهاته ، لأنه كان كذلك قبـل أن يوجد غيره وحينما كان هو الموجود وحده ، هذا كله لا يمكن ، بل لا بد أن يكون في جهـة من الآخر ، ولا بد أن يكون قريباً أو بعيداً منه ، وهـذا أمر ضروري . واذا كان ذلك كذلك قيل إذن كون الله قبل أن يخلق شيئا ، وقبل أن يكون معه موجود لا يقال له انه فوق ولا نحو ذلك لا يدل على أنه بعد خلقه العرش وخلقه المخلوقات كذلك بل لا يدل على أنه يمكن هذا عقلا كما رأيت في المثل الذي ضربناه ، وهذا بين

فالكلام في هذه المسألة له حالتان : حالة قبل خلق الخلق وقبل وجود شيء سوى الله ، وحالة بعد وجود العرش وبعد وجود غيره من المخلوقات ، ففي الحالة الأولى التي لا يوجد فيها غير الله يمتنع أن يقال إن الله فوق أو نحو ذلك . وذلك أن معنى فوق أنه فوق شيء من الأشياء ، وممتنع بداهة أن يقال انه فوق شيء في حين أنه لا شيء هذا ممتنع ضرورة وامتناع ذلك منسوب لما ذكرناه من أن الفوقية ونحوها من الأمور النسبية التي لا تصدق الا بين الشيء ذي العدد ، لا لأجل أنه ممتنع ذلك على الله كما ظن المخالفون ، ولهذا فانه لا فرق بين القديم والحادث ، وبين الخالق والمخلوق من هذه الناحية . وأما في الحالة الثانية ، أي في حالة وجود المخلوقات المتضايفات ، فليس بممكن أن يقال إنه تعالى لا فوق العالم ولا في جهة ، أو يقال انه لا قريب ولا بعيد ، لأن هذا مستحيل على الموجود من

حيث هو موجود . والذين يقولون بالاستواء على العرش يعلمون أنه قبل أن يخلق شيئاً لا يمكن أن يقال انه فوق أو نحو ذلك لأجل ما ذكر ، والذين ينكرون الاستواء يعلمون أن موجوداً واحداً إذا لم يشاركه غيره فى الوجود لا يمكن أن يقال إنه فى جهة من الجهات وقت انفراده بالوجود، وإن كانوا يعلمون أنه فى حالة مشاركة غيره له فى ذلك لا بد من أن يكون فى جهة من ذلك الموجود الآخر . هذا كله معلوم ، ووجهه هو ما ذكرناه

هذا وليعلم أن قولنا انه تعالى قبل خلق العرش والعالم ليس فى جهة معناه أنه لا يمكن أن يقال انه فوق أو تحت أو نحو ذلك ، لأن هذه الألفاظ موضوعة لتعبر عن النسبة بين الأمرين أو الأمور . فاذا قيل هذا فوق هذا كان معناه أنه فوق شىء موجود ، فاذا لم يكن إلا موجود واحد لم يصح أن يقال انه فوق ، وهذا ككلمة « مع » فان هذه الكلمة لا تقال إلا حيث تعبر عما فوق الواحد ، فاذا لم يكن إلا واحد فقط لم تقع هذه الكلمة فى الكلام . ولا يفهمن أحد من قولنا أنه قبل خلق العالم ليس فى جهة أننا نعنى أنه لا يمكن أن يكون فوق شىء ولا أن يستوى على شىء كما فهم المخالفون ، فان كان أحد من الناس يعنى بالقول بأنه كان فى الأزل ليس فى جهة أنه لا يمكن أن يستوى على العرش لم يسلم لهذا أن يقول انه كان أزلا ليس فى جهة ، وانما يسلم له التعبير الذى لا ينفى حقاً ولا يتخذ طريقاً لابطال أمر من الأمور الصحيحة . والألفاظ انما جعلت لتعبر عن الحقائق والأمور الموجودة فى النفوس ، فهى ليست سوى آلة

فمن قال انه لم يكن فى الأزل فى جهة ، وكان يعنى بهذا أنه لا يمكن أن يكون فوق الخلق ولا فوق العرش ، كان غالطا فى التعبير غالطا فى نفسه ، وحينئذ لا نسلم له هذا التعبير . ومن قال هذا وكان مراده ما ذكرناه كان قوله صحيحاً لغة ومعنى ولكن هذا لا يشهد لقول المخالفين المنكرين لهذه الصفة ، صفة العلو والاستواء ،

فهذه الحجة ، كيفما صرفت وقلبت ، باطلة داحضة

(الشبهة السابعة)

قالوا : ان القائلين بالاستواء وبالعلو على العرش يزعمون أن الله لا بد أن يكون أزلا وأبداً فى جهة ، وأنه لا يمكن عقلا أن يكون هنالك موجود ، سواء أكان قديما أم حادثا ، الا ولا بد من أن يكون فى جهة من الجهات بحيث تمكن الاشارة الحسية اليه فيقال انه هنا أو هناك أو هنالك ، وأنه لا يستغنى عن الجهة إلا المعدوم الذى لم يوجد . قالوا : ولو كان هذا صحيحاً لوجب أن تكون الجهة قديمة مع الله ، ولكن المسلمين يعلمون أن ما سوى الله حادث كائن بعد العدم ، ثم لو كانت الجهة قديمة لكانت غير مخلوقة ولا مربوبة ، إذ القديم لا يعقل أن يكون مخلوقا ، إذ المخلوق هو الكائن بعد العدم ، وكل المسلمين يعلمون أن ما عدا الله مخلوق مربوب لله وحده . ثم قالوا : والله كيف يحتاج فى وجوده الى شىء غيره كالجهة أو غيرها فان المحتاج فى وجوده الى غيره لا يكون واجب الوجود ، فان واجب الوجود الذى وجوده من ذاته لا يحتاج الى غيره مطلقا . قالوا : وبهذا يعلم أن الله تعالى لا يحتاج الى الجهات ولا الى غير الجهات كالاستواء وغير الاستواء

والجواب أن يقال : ان هذه الشبهة أو الحجة قائمة كلها على غلطة واحدة واضحة ، هذه الغلطة الواحدة الواضحة هى أنهم ظنوا انه اذا قيل أن الله فوق العرش أو فوق السموات أو فوق المخلوقات ، أو قيل انه فى جهة ـ وهذا القول ممنوع شرعا لأنه لم يجىء ذكره فى النصوص ـ عنى بذلك كون الله عز شأنه وسلطانه حالا وكائنا فى شىء مخلوق وفى ظرف محيط به موجود فيه ، وعنى بالجهة أمر وجودي يحتاج اليه البارى تعاظم أمره لا يستغنى عنه ، ولا يمكن وجوده إلا ملزوما لذلك الأمر الوجودى مقارنا له فى الوجود الزمانى و المكانى ، وأنه لو فقد

ذلك الأمر الوجودى اللازم لوجوده لفقد ذلك اللزوم الذى هو الوجود . لأن الأمرين متلازمان مقترنان لاينفك أحدهما عن الآخر وجوداً زمانيا ومكانيا . هذا مثار الغلط ومأتاه ، وهذا هو منشأ الشبهة وموضعها . فيقال لهؤلاء الغالطين : ان القائلين بذلك والقائلين بأنه تعالى فى جهة من الجهات فوق ، أو فوق الخلائق كلها أو هنا أو هناك أو هنالك ، لا يعنون بالجهة هنا أمراً وجوديا لا حادثا ولا قديما ، ولا جائز الوجود ولا واجبه . ولكنهم يعنون بذلك أنه تعالى بائن عن خلقه وأن له وجوداً حسيا ووجوداً من جميع جهات الوجود ومعانيه ، بحيث تمكن الاشارة الحسية اليه وبحيث يرى بالأبصار فوق الرائى مواجهة ، وبحيث يقال انه فوق العالمين وفوق العرش ، وأنه يقرب من خلقه ويبعد كما يشاء أنواع القرب اللائقة به كلها : لا يعنون بذلك القول أكثر من هذا . ولفظ الجهة فيه اشتباه واشتراك يوقعان كثيراً فى اللبس والضلال . وذلك أن قوما يطلقون الجهة ويريدون بها المكان المخلوق الموجود الكائن بعد العدم ، وقوم آخرون يطلقون الجهة ويريدون بها الفضاء المحض ، الذى هو العدم المحض ، ويعنون بالفضاء المحض الفراغ الذى تشغله الموجودات بوجودها ، والجهة على التفسير الأخير لا مانع من القول بأنها قديمة ، بل لا بد من ذلك وذلك أنها كما ذكرنا عدم خالص ، والعدم قديم عريق فى القدم إذ هو خلاف الوجود . واذا كان الوجود الذى هو وجود المخلوق حادثا كان عدمه ولا محالة قديما ، فان عدم الحادث بلا ريب قديم ، إذ لو لم يكن عدمه قديما لكان وجوده قديما ، واذا كان وجوده قديما كان هو قديما ، والقديم ليس مخلوقا ضرورة ، وقد فرضناه قديما . فاذا علم هذا وعلم أن الجهة بهذا المعنى الذى هو الفراغ البحت قديمة ، وهى العدم المحض ، علم أن هذه الشبهة واهية باطلة وعلم أنه لامانع من القول بأن الفراغ كان بلابداية زمنية وقتية ، وعلم أن قول النفاة ان الله يكون حينئذ محتاجا الى الجهة قول مبنى على هذا الغلط وهذا الاشتباه اللفظى

وذلك أن هذا القول مثل أن يقال : ان الله محتاج الى عدم الشريك له والى عدم قدم الخلق والى عدم وجوبهم لذواتهم وأشباه ذلك . وهذا كلام لامعنى له ولا طائل تحته ، وهو مثل أن يقال : ان الله محتاج الى وجوده والى امتيازه على جميع الخلائق ومباينته لهم في الصفات والذات وما يدخل تحت هذا . وهذه الأقوال والفلسفات خليق بالعاقل ألا يهبها شيئا من وقته ونفسه وعلمه . بل هذه الفلسفات وأمثالها من أمراض الفكر البشرى التليدة والطريفة . وهذا يشبه ما قال نفاة الصفات : لو كان لله صفات قديمة لكان القدماء غير واحد ، وهم الله وصفاته ، ولكان بذلك محتاجاً الى غيره ، ويعنون هنا بالغير الصفات اللازمة لله . وقد يشبه قولهم هذا في قدم الفراغ والفضاء أن يقال لو كان قديما بلا بداية زمانية لكان الزمان قديما ولكان الله في قدمه ووجوده محتاجا الى الزمان لا يستغنى عنه في وجوده ، فان الانسان عندما يتصور الزمان وحقيقته يعسر عليه جدا أن يتصور وجود أمر من الامور الا ولا بد أن يكون هنالك زمان تتعاقب دولاته وأطواره على وجود ذلك الموجود المفروض وجوده في وقت من الاوقات

اذن فالجهة أو الفراغ أو الفضاء الذى يعنى به العدم البحت لابد من القول بأنه قديم لا بداية لقدمه ، لأنه لو لم يكن قديما لكان عدمه حادثا ، واذا كان العدم حادثا كان الوجود قديما . ولكن قدم الوجود أي وجود المخلوق باطل . واذا علم المخالفون هذا علموا بطلان هذه الشبهة بلا شك

ونحن نقول ، كما قدمنا ، اذا كانوا يفهمون من الجهة معنى باطلا فليعلموا أن هذا المعنى الباطل لاتصح ارادته . واذا كانوا لايستطيعون التعبير عن المعنى الصحيح الا بذلك اللفظ الذى يقع فيه الاشتباه والاشتراك وجب هجران ذلك اللفظ ووجب التعبير بتعابير الشرع المفهومة فرارا من الاشتراك والاشتباه وما يسوق الى الباطل أو يدفع عن الحق . فاذا كانوا لايفهمون من الجهة الا المعنى

الباطل الفاسد لزم هجران هذه الكلمة وإنكارها ولزم الوقوف عند كلام الشرع وما لا اشتباه فيه ، وحينئذ لا علينا نحن أن نترك هذه اللفظة معبرة عما يعنون بها من المعنى الفاسد الباطل ، ووجب أن نقول : ان الله فوق العباد وفوق العرش والقاهر فوق عباده ، لا نزيد على هذا ولا ننقص منه ، فلا نطلق الجهة ولا الحيز ولا الفراغ ولا الفضاء ولا ما لم يرد فى النصوص الصحيحة فى هذا المعنى هروبا من الاندفاع فى الأخطاء الآتية من جانب الالفاظ المبتدعة التى تحتمل حقا وتحتمل باطلا ، وتحمل هدى وتحمل ضلالا . أما كلام الشرع فيجب الأخذ به على كل حال ، ولا يصح العدول عنه بحال ، لأنه هو الحق ومن فهم منه باطلا أبين له باطله وكشف له خطؤه مع الاستمساك بما قال الشارع على كل حال

(الشبهة الثامنة)

قالوا : لو كان الله مستويا على العرش لكان محمولا له . وتعالى الله عن أن يحمله شيء وعن أن يكون فى حاجة إلى حامل يحمله .

والجواب أن يقال ان استواءه على العرش لم يكن لاحتياج إليه ولا لضرورة دعت لذلك الاستواء ، بل الله الغنى عن كل شيء ، وكل شيء فقير اليه لا يستغنى عنه لحظة واحدة ولا يقوم بنفسه دونه تعالى فى لحظة من اللحظات . استوى على العرش وهو الحامل للعرش ولغيره من الخلائق . وتعالى الله أن يحمله حامل أو يفتقر الى قوة حامل . ولكن استواؤه على العرش وعلوه على الخلق فعل من أفعاله وصفة من صفاته وشأن من شؤونه لحكمة من حكمه العالية لا عن فقر واحتياج ، ولا عن ضرورة موجبة ملزمة . فلم يكن فى هذه الصفة التى هى العلو على الخلق والاستواء على العرش مفتقراً الى ذلك ، كما أنه فى خلقه العالم لم يكن مفتقراً الى الخلق ، وكما أنه لم يكن فى فعل من أفعاله مفتقراً ولا محتاجا ، وكما لم يكن فى أوامره ونواهيه وشرائعه

وأفعاله محتاجا ، ولو كان يلزم استواءه على العرش أن يكون محتاجا للزم أن يكون ذلك الاحتياج لازما جميع أفعاله الاختيارية ، وجميع أوامره ونواهيه وشرائعه . واذا لم يكن فى شيء من ذلك محتاجا فلن يكون فى صفة الاستواء والعلو كذلك بالضرورة . فان الكلام فى صفة الاستواء كالكلام فى سائر الصفات والأفعال فما كان واجبا وجائزاً على نوع الصفات والأفعال كان واجباً وجائزاً على أفرادها وما كان ممتنعاً على أفرادها كان ممتنعاً على نوعها . وليس هنالك فرق بين صفة الاستواء والعلو وصفة الخلق والايجاد من هذه الناحية نفسها . وكل ما يمكن أن يعد شبهة على الاستواء والعلو من هذه الناحية يمكن أن يعد شبهة على الخلق والايجاد من الناحية المذكورة

ولكن لا ريب فى بطلان كل ما يعد شبهات على صفة الخلق والايجاد والأفعال المتعدية . فكذلك لا ريب فى بطلان ما يعده المخالفون شبهات على الاستواء والعلو

والاستواء على العرش لا يلزمه شيء مما ذكروه لا عقلا ولا لغة ولا عرفا . فهذه المخلوقات ، ولله المثل الأعلى ، قائم بعضها فوق بعض ، مستو بعضها على بعض ، ولم يقض هذا بأن تكون كلها متحاملة بلا انفكاك ، ولم يلزم أن يكون الأعلى محمولا بالأسفل ، أو يكون الأسفل حاملا للأعلى . فهذه السموات وهذه الأجرام العلوية قائمة فوقنا وفوق الأرض ، ولم تكن الارض حاملة لها ، ولم نكن نحن حامليها ، بل وهذا السحاب ناهض فوقنا وفوق الأرض ولسنا حامليه وليست الأرض حاملة له . وكذلك يقال فى الهواء وغير الهواء مما فى هذا الملك العريض . فان أجزاءه مخلوق بعضها فوق بعض وليس الأعلى محمولا بالأسفل ، بل الأسفل والأعلى قائمان بقدرة الله وبأمره وسلطانه ، وهما فى الافتقار اليه تعالى سواء ، وهما فى العجز عن الاستغناء والقيام بالنفس صنوان

وإذا كانت المخلوقات كذلك فالله خالق المخلوقات أعلى وأولى بألا يكون فى استوائه على العرش وعلوه على الخلق محتاجا ولا محمولا لشىء من هذا العالم المخلوق القائم باذنه وأمره تعالى فهذه الشبهة لا تعدو أن تكون عارض وهم تحرقه هبة من هبات الحق

(الشبهة التاسعة)

قالوا : لو كان الله فوق العرش وفوق الخلائق كما تزعمون دون الارض ودون الجهات الاخرى وهذا هو ما تزعمون وتقولون ، لكان محدوداً ، ويعنى أنه يكون ذا حدود ونهايات ذاتية تنتهى عندها الذات . قالوا : ومن الباطل الصارخ الزعم أن ذات البارى محدودة بهذا المعنى

والجواب أن يقال : ان هذا الاعتراض يرد ، ان كان صحيحا ، عليه تعالى من حيث هو موجود ، لا من حيث هو مستو على العرش علىّ على الخلق بأن يقال الله موجود ، والموجود اما أن يكون متناهي الذات واما أن يكون غير متناهيا ، ولو لم يكن متناهيا لكان ممزوجا مخلوطا بالوجود ، حالا فى المخلوقات حالة هى فيه وهذا باطل ، ثم محال ألا يكون متناهى الذات ، لأن هنالك موجودات أخرى مالئة فراغا ما ، وهذا الفراغ المملوء بهذه المخلوقات لا يمكن أن يكون فيه غيرها اذ لو كان كذلك لما كانت هذه المخلوقات شاغلة فراغا ما ، وهذا باطل بالاتفاق . وعلى كل حال لا يمكن أن يزعم أن هنالك موجوداً مالئا بذاته الفراغ كله ، اذ لو كان كذلك لما وجد غيره . فلو فرضنا أن ذات الله غير متناهية بالمعنى الجاف الحسى الذى يعنيه هؤلاء المجردون المعطلون لما أمكن أن يوجد غيره من الموجودات الحسية المادية ، إذ لا مكان لها حينئذ فى هذا الوجود

واذن لا يمكن القول بأن ذات الله غير متناهية بالمعنى الحسي الجاف ، فلم

يبق إذن غير القول بأن ذاته متناهية سواء أقيل بالاستواء على العرش أم لم يقل به فهذا القول لا يزيد هذه القضية ثبوتا وصحة ، وإنكاره لا يدفعها ولا يدفع لزومها . فالايمان بالاستواء لا يضر المؤمن بذلك ، والجحد له لا ينفع الجاحد له ، فلا يصح - والأمر كما ذكر - إنكار صفة من صفات الله الواردة في جميع كتب الله وعلى جميع ألسنة الأنبياء فراراً من أمر لا يمكن الفرار منه وحذار قضية لا يمكن حذارها

فهذه الشبهة واردة على جميع المؤمنين بالله لا تختص القائلين بالاستواء والعلو انفراداً . فالجواب إذن عنها مشترك بين جميع الالهيين من المؤمنين بالاستواء والمنكرين له . فان كان يمكن عند هؤلاء ألا ترد هذه الشبهة على الموجود من حيث هو موجود ، ولا على الله إذ هو موجود وأمكن ألا يكون الله متناهي الذات ، أو أمكن أن يكون متناهياً مع القول بأنه ليس محدوداً . إن أمكن هذا عند المخالفين أمكن بلا شك القول بالاستواء على العرش والعلو على الخلق مع إنكار أن يكون متناهي الذات ومحدودها ، ومع القول بانكار هذه الشبهة جملة ، وإن لم يمكن هذا لم يمكن هذا ، ولا حيلة للمخالف فى هذا البتة . ولا ريب أنه اذا عرض على العقلاء موجود وثب الى عقولهم افتراض أن يكون هذا الموجود محدود الذات متناهيها ، وإن لم يفكروا فى علوه واستوائه على غيره ، بل وإن لم يفكروا فى صفة من صفاته اللازمة له . واذا عرض على عقولهم بعد هذا علو ذلك الموجود واستواؤه على مكان كذا وفي جهة كذا لم يزد هذا افتراضهم أن ذلك الموجود لا بد أن يكون محدود الذات متناهيها . فهذه الصفة التي هي صفة الاستواء لا تزيد فى لزوم هذا الافتراض ونسيان هذه الصفة لا ينقص الافتراض لزوما ووجوبا

وكل شبهة تقدح فى وجود البارى لا ريب في أنها شبهة داحضة لا يعبأ بها ، فهذه الشبهة حكمها كذلك لأنها تنقضّ على وجود غاية كل موجود . هـذا ما يقال من وجه ، ثم يقال من وجه آخر : ان كلمة محدود الذات - وما شابهها - كلمة ذات

وجوه على حسب اختلاف فهم الناس إياها ، ولما من ذلك ماهو حق ، وما هو باطل ، وكذلك أكثر صفات الله ، والذين يصيرون الى الانكار والجحود انما أتوا من هذه الناحية ، ناحية الابهام القائمة على اختلاف الناس فى فهم ما يقال وما يسمعون ، فان أقواما كثيرين صاروا الى إنكار أمور صحيحة ثابتة لأنهم فهموها وعقلوها على غير الوجه الصحيح الذى فهمه وعقله المؤمنون ، وهـذا علة من علل الاختلاف على الحق والنزاع فيه ، ولعله علة العلل فى كثير من هذا !

لحق واجب على من يخافون الانزلاق فى مدارج البـاطل ودركات الغى أن يرعوا هذا جيداً وأن يتجنبوه بحذر وانتباه . وعلى هذا وجب علينا أن نقابل كلمة محدود بالتريث العاقل ، فلا نبادر الى ردها ودفعها جملة بلا امتحان لمعناها ولما تحمل من حق أو باطل كحال أغلب الصفات التى ينكرها هؤلاء النفاة الجحدة ، وقد جربنا عليهم انكار الحق المعلوم الثابت وحشة من ألفاظ وضعوها له بدون نفوذ فى أحشـائه وبواطنه . وهذا خطأ قديم ، وحديث أيضا ، تتابع عليه الناس وقلد فيه آخرهم مذهب أولهم . وقد يقول بعض الناس الحريصون على الدقة التى لا خير فيها فى هـذا المعنى : ان المخلوقات محـدودة ولا ريب ، لأنها لو لم تكن محدودة لما كانت مخلوقة ، واذا ما كانت محدودة فلا ريب أن الفعل الذى وجدت به محدود أيضا . والفعل الذى وجدت به المخلوقات هو فعل الله أى خلقه وإيجاده . وغير ممكن البتة أن تكون المخلوقات محدودة ثم يكون الأحداث الذي به حدثت ووجدت غير محدود . . فتكون نتيجة هذا أن يقول صاحب هذا القول الدقيق الجانح الى الفلسفة : ان الخلق الذى هو الايجاد ـ وهو صفة من صفات الله ـ محدود . فتكون صفة من صفات الله محدودة ، ولكن هذا يأباه أمثال هؤلاء بهذا النحو . ومثل هذا يقال فى صفات أخرى من صفات الحق جلت قدرته وتسامت حكمته . وهذا من الدقة التى لا خير فيها كما قلنا ومن الفلسفة

المفلسة . وأقرب من هذا فى افهام هؤلاء خطأهم أن ينبهوا على أنهم يعدون لله صفات محصورة لايزيدون عليها ولا ينقصون منها ، ثم يزعمون أنه جائز ألا يكون لله سوى تلك الصفات المحصورة التى يعدون ويعهدون . وهذا عند هؤلاء من أصول التوحيد والتنزيه . فاذا كانوا يحدون صفات الله أو يجوزون ذلك ، أو لا يرون مانعاً أن تكون صفات الله محدودة فما لهم لايقبلون هذا المعنى فى الذات ؟ وهذا لو كان باطلا فى الذات لكان باطلا فى الصفات ، واذا كان جائزاً فى الصفات كان جائزاً فى الذات . وهذا عندى ظاهر جلى . وتحديد الصفات على هذا المعنى المقصود عندهم معلوم من بطلان أن يكون الله موصوفا بكل الصفات . فان نفى بعض الصفات الموجودة عن الله ـ سواء أكانت نقصا أم كانت كمالا ـ قول بتحديد الصفات فانه اذا قيل : هو موصوف بكذا غير موصوف بكذا ، وقيل إن هذه الصفات واجبة له وتلك باطلة فى حقه ، كان هذا صريحا فى هذا التحديد . فهو على الأول قول بتحديد صفاته تعالى بالكامل من الصفات . ولكن هذا على كل حال تحديد الصفات بالقسم المحمود منها دون الناقص المذموم . وليس من شك فى أن انكار صفة الاستواء وغيرها من الصفات تحديد صريح فى وصف البارى ، فان من أقر له بجميع الصفات ثم أنكر صفة الاستواء فقد حد صفاته تعالى وقال بتناهيها ، وكذلك انكار صفة ما من صفاته هو قول بالتحديد والتعديد . فان المفهوم المعقول من قولهم : حدد هذا الأمر أنه جعل له حد وغاية يقف عندها لايجوزها . والذين ينكرون بعض أوصاف الله أو ينكرون أن يكون موصوفا بنوع كذا من الصفات هم يحددون بهذا ـ ولا ريب ـ أوصاف الحق ويحصرونها فى غير ماينكرون وما يأبون من الصفات التى ظنوها نقصا فى ذات الله . واذا كان هذا التحديد الفلسفى الدقيق عند النفاة جائزا فى صفات الله القائمة بذاته القديمة بقدم ذاته ، بل اذا كانوا قائلين بهذا التحديد راضين به فلماذا ينكرونه فى

الذات لينكروا بانكاره أمرا ثابتا فى جميع الكتب المقدسة وعلى جميع السنة الأنبياء وألسنة جميع المليين ؟ وماذا يعنون ويريدون بقولهم : انه يكون محدوداً اذا ما كان فوق العرش وفوق الخلق دون الأرض ودون الجهات الآخرة ؟ أيعنون أنه يكون حينئذ محدوداً بفعل حاد محدد أو جد له ذلك الحد المفترض ؟ ان كان هذا أو نحوه من المعانى الباطلة هو مايعنونه قيل لهم : كلا ان الله ليس بمحدود على هذا الاعتبار والتفسير ، ولا يجوز أن يكون محدوداً ، وهذا لا يلزم القول بالاستواء والعلو . ومن قال ان هذا يلزم هذا كان قائلا قولا باطلا بلا شك ، بل وكان مصادراً فى أصل المسألة ، وكان قوله هذا كأن يقول قائل : اذا كان الله موصوفا بصفة ما فلا بد أن يكون غيره أوجدها له . وذلك أن الحد لايعدو أن يكون صفة من الصفات ، لأنه فى الشاهد هيئة من الهيئات ، وهذا هو حقيقة الصفات . أم يعنون بذلك أنه يكون حينئذ فى السماء وفوق العرش دون الأرض ودون الجهات الأخرى ؟ فان كان هذا هو ما يعنون قيل لهم : هذا هو حقيقة الدعوى وهذا هو ما نقوله وما يقوله المثبتون وما جاءت به كتب الله ورسالات الأنبياء كما سبق ، فما المانع منه ، ولماذا كان القول به باطلا عندكم ؟ هذا مالا تجدون له دليلا يركن اليه العقل ويأنس به العلم المنافى للجهل

هذا وليعلم أن إطلاق الحد على الله قد ورد عن بعض الأئمة الكبار أمثال الامام أحمد رأس علماء السنة ، وقد ذكر هذا عنه ابنه عبد الله فى كتاب السنة ، وجاء هذا أيضا عن عبد الله بن المبارك ، وأطلقه عثمان بن سعيد الدارمي وأشاد به فى كتابه النقض على المريسى من شيوخ الجهمية المعطلة ، وقد جعل الدارمى إنكار ذلك من أقوال الجهمية ، وجاء هذا عن غير هؤلاء من شيوخ الاسلام المجتمع على إمامتهم وزعامتهم العلمية والدينية وهم يريدون بالحد ما ذكرناه من أن الله تعالى بائن عن خلقه بائنون عنه ليس حالا فيهم وليسوا حالين فيه ، ويعنون أنه فوق

المخلوقات ليس تحت شيء منها وليس فوقه منها شيء وفاق النصوص

فهذه الشبهة لا تخرج عن أن تكون حلقة من سلسلة هذه الشبهات الواهية النظام التي أرينا القارىء حلقات منها ، ومن البلاء أن تردّ النصوص التي لا تدخل تحت الاحصاء ، وأن تردّ المعقولات القاهرة المنادية بعلو الله على خلقه وسموه فوق سماواته احتراما لأمثال هذه الأوهام العارضة ، التي تمكن معارضتها باضعاف أضعافها من أمثالها . وما كان ممكنا أن تقبل العقول أمثال هذه الأوهام لولا أنه ليس كالعقول البشرية قبولا للحق وقبولا للباطل ، وصعوداً في معارج الكمال ونزولا في دركات النقصان . وما ان كالعقول البشرية تقلباً بين هوى الضلال وتعشق الهداية ، وحيرة بين داعي الحق ومنادي الباطل . لهذا كان الحق عزيزاً وصاحبه أعز ، وكان الباطل ذليلا وصاحبه أذل . وعلى الله وحده قصد السبيل

(الشبهة العاشرة)

قالوا : قد ثبت علميا أن الأرض كروية الشكل [1] وأن الناس يسكنون سطوحها من جميع جهاتها ، بل والعالم كله كروى الشكل ، فما كان فوق من هم في اقصى الشرق كان تحت من هم في أقصى الغرب ، وما كان تحت أهل المشرق كان فوق أهل المغرب وما كان فوق رءووس من يسكنون أقصى الشمال كان تحت أقدام من يسكنون أقصى الجنوب . وبالاجمال فما كان تحت أقوام كان فوق أقوام آخرين . وكل ما كان قابلا أن يكون في الجهات فلا بد أن يكون فيها كلها لأجل ما ذكرنا ، فالشمس مثلا اذا كانت فوقنا معشر الشرقيين كانت في الوقت نفسه تحت الغربيين ، واذا كانت فوقهم كانت تحتنا ، وهكذا الأمر

(١) قد قال علماء الاسلام بكروية الارض ومن القائلين بهذا ابن تيمية وابن القيم وابن حزم والرازي وابن الجوزى وابن المنادى وغيرهم

فى جميع الأفلاك العلوية ، ومعنى هذا أنه ليس هنالك جهة ثابتة حقيقية لشيء من الأشياء الموجودة فى الجهات ، وهـذا كالكرة مثلا فانه ليس لسطحها بالنسبة اليها جهة حقيقية بل كل مايفرض لها فوقا يمكن أن يفرض لها تحتا ، وهكذا ، والعالم مثل هذا لأنه كروى . وحينئذ لو فرض أن الله فوق العرش أو فوق العالم أو فوق السموات لكان معنى هذا أنه فوقها وتحتها ، أو فوق بعضها وتحت بعضها ؛ ولكان قولنا : إنه فوق العالم مساويا لقولنا : إنه تحت العالم ، ولجاز أن يقال : انه تحت السماوات وتحت العرش وتحت الخلق ، كما يقال انه فوق ذلك ، أو لكان ممتنعاً هذا وهذا ، أو واجبا هذا وهذا لما ذكرنا ؛ كما نقول ان الشمس تحتنا حينما تكون فوق من هم تحتنا فى الجهة المقابلة من سطح الأرض ، وكما يقول من هم تحتنا : ان الشمس تحتهم حينما تكون فوقنا نحن ، وهلم جرا . ولكن القول بأن الله تحت خلقه أو تحت بعض خلقه قول باطل بالاتفاق بين نفاة الاستواء ومثبتيه . والقول الذى يلزمه هذا الباطل باطل ، فالقول بأن الله فوق العرش أو فوق الخلق باطل لأجل ذلك . قالوا وذلك أننا نعلم أن المثبتين لعلو الله على خلقه لا يجوزون بوجه من الوجوه القول بأنه تعالى تحت المخلوقات أو تحت شيء منها لا العرش ولا غيره ، كما لا يجوزون أن يتجه اليه عباده فى جهة غير جهة العلو والسماء . قالوا ولأجل هذا ـ ولأجل هذه المقدمات الضرورية المسلمة بالاجماع ـ ذهبنا الى إنكار علو الله ، واضطرتنا هذه المقدمات الصحيحة الى هـذه النتيجة الصحيحة اضطراراً لا يستطاع عقلا ونظراً الانفكاك منه بحال من الأحوال . فالقائلون إذن بالاستواء والعلو غالطون خارجون على قضاء هذه الحقائق الصريحة الصحيحة

قلت هذا خلاصة هذه الشبهة ، والجواب أن يقال : إن بعض أجزاء هـذه المقدمات غير صحيح وبعضها صحيح ، ولكنها على كل حال لاتؤدى الى هذه النتيجة التى هى إنكار علو الله واستوائه على عرشه . وبيان ذلك أن يقال : ان علم العقلاء

اليقيني بأن كل موجود لا بد من أن يكون في إحدى الجهات لا انفكاك ولا مهرب أبين وأثبت من علمهم هذه المقدمات ثم علمهم إنتاجها هذه النتيجة القاضية بنفي علو الله على خلقه ، ثم علمهم لزوم هذه النتيجة لهذه المقدمات ، فالعقلاء يعلمون أن الموجود ـ قديما كان أو حادثا ـ لا يمكن أن ينفك عن أن يكون في إحدى الجهات من الموجودات الأخرى اذا افترض وجود موجودات أخرى أعظم وأثبت من علمهم أن الموجود الكائن في إحدى الجهات ـ كالعلو مثلا ـ لابد أن يكون فوق وتحت وفي كل الجهات أو لابد أن يكون فوق شيء تحت شيء آخر ، بل العقلاء يعلمون أن الموجود من حيث هو موجود لامناص من أن يفرضوه في إحدى الجهات من الجهة التي هم فيها ، ولا يمكن أن يعلموا موجوداً أو يفرضوه دون أن يعلموا فوراً أنه لابد أن يكون في إحدى الجهات . أما علمهم أن ذلك الموجود ـ اذا كان في احدى الجهات ، فلابد أن يكون فيها كلها ، او أن يكون في جهة بالنسبة الى قوم وأخرى بالنسبة الى آخرين ، إن أمكن أن يعلموا ذلك ـ فعلم نظري مكتسب قائم على مقدمات يطول فيها النزاع والاختلاف ، وجماهير الناس اليوم وفي كل يوم يعلمون أن الموجود هو وإحدى الجهات لاينفكان ، ولكنهم يجهلون هذه المقدمات التي أريد بها نفي العلو جهلا تاماً واضحاً ، بل لو عرضت عليهم هذه لأشياء وذكرت لهم ، ثم طلب منهم الايمان بها لردوها وأنكروها ، ولما استطاعوا أن يدركوها فيصدقوها ، بل ولعجبوا من المسلمين بها القائلين ، لأنها لديهم أشياء باطلة وفلسفة واهية

واذا علم هذا قيل : اننا لو أنكرنا علو الله واستواءه على عرشه ـ قائلين انه لا فوق ولا تحت كما يقولون فراراً من هذه الشبهة ـ لكنا غالطين غلطاً فاحشا . وذلك أننا نكون حينئذ قد أبطلنا الأمر الضروري اليقيني ، الذي هو أن الموجود قديما كان أو كان حادثا لابد أن يكون في جهة ، فراراً من الاصطدام بالخطأ

النظري الظني الذي هو ان ما كان فى جهة من الجهات فلابد أن يكون فيها كلها ، أو أن يكون فى جهة بالنسبة الى قوم وفى أخرى بالنسبة الى آخرين ، ثم فراراً مما في هذا المعنى من الخطأ والضلال . ولكن الذى عليه العقلاء فى جميع العصور والأمم بلا خلاف أن الأمر الضروري لا يبطله الأمر النظرى الظنى ، وأن الحقائق الثابتة بالضرورة لا تدفع هروبا من الوقوع فى خطأ نظرى ظنى . فمثلا العلم بأن المفعول المحدث الكائن بعد عدم لا محالة من أن يكون له فاعل محدث خالق وهبه صفة الوجود والظهور علم ضرورى تلتقى على تصديقه والاذعان له جميع العقول والأذهان بلا تواطؤ ولا ممالأة ولا ادارة نظر أو اعمال فكرة لا قريبة ولا بعيدة ، فلو أراد مريد أن ينازع هذا العلم الضرورى ، وأن ينتزعه من العقول بما استطاع وبما يمكن أن يستطيع من المعارضات والشبه التى قد تهوى اليها بعض الرؤوس ، والتى قد تحتل زوايا بعض الأذهان الرخوة الضعيفة إزاء كل داع ودعوة ، والتى لابد أن تكون نظرية باطلة واهمة ، لكان هذا المريد غالطاً غلطا جليا ، ولكان جميع ما يدلى به من الشبهات والمعارضات باطلا بلا تعرف لمكان بطلانه وموضع خلله سوى أنه يراد به إبطال أمر ضروري ، والأمور الضرورية لا تبطلها النظريات وإلا لبطلت الضروريات والنظريات ، إذ ما من أمر نظرى إلا ولا بد أن ينتهى الى ضرورى يسلمه الجميع ، فالضرورى قاعدة النظرى ، والنظرى فرع له ، والفرع كما يقولون لا يقدح فى أصله وقاعدته وإلا لبطل الأصل وفرعه

وكذلك نعلم بالضرورة أن الأمر الواحد المعين المشخص لا يمكن أن يكون فى زمن واحد فى مكانين مختلفين محتلا لذينك المكانين بذاته الواحدة المعينة المشخصة ، فكل ما يورد على هذا العلم الضروري من الشبهات لا نتردد فى ردها ورجعها على قائليها ، لأنه يراد بها القدح فى شىء اجتمعت العقول كلها على علمه والاعتراف به والتسليم له بلا تواطؤ ولا ممالأة ولا اعمال فكرة . وهكذا يقال فى

أمثال هذا من الحقائق الانسانية المجتمع عليها

وكذا يقال : ان العقلاء بل وغير العقلاء يعلمون يقيناً بلا تواطؤ ولا ممالأة أو تواص أن الموجود من حيث هو موجود ـ ويستوي فى ذلك القديم الواجب الوجود ، والحادث الجائز الوجود ـ لا بد أن يكون فى جهة من المتصور وجوده المسلم بوجوده ، ولا يمكن بداهة أن يقول قائل : ان هـذا أو ذاك موجود الا ويثب ذهنه فوراً الى جهة من جهاته يتلمس وجود ذلك الموجود ويتطلب الاتصال به أو الانفصال عنه . ولن يقول قائل سليم العقل ـ ولا أعنى سليم العقل من الضعف والمرض ، بل سليم العقل من الدعايات المدخولة البلهاء ـ : الله موجود إلا ويحاول ذهنه الوثوب الى جهة من الجهات أو الى كل الجهات متلمساً ذلك الموجود ولن يقول قائل : يا فلان أو يا من اسمه كذا وصفته كذا ، الا ويتحرك ذهنه إلى جهة من الجهات التماساً لذلك المدعو المهتوف باسمه وصفته . هـذا ما لا شك فيه بين العقل والمنطق ذى المقدمات المنتزعة من الواقع المشهود ، والاجماع الانسانى الموروث الذى يتغير فى هذا الوجود ما يتغير وهو حيث هو ثابت مكانه لا يتحلحل ولا يزول

وإذن فكل ما يورد على هذا العلم لا يمكن الا أن يكون باطلا ، لأنه قدح فى الضرورى ، والضرورى ـ كما قلنا ـ لا يتحمل القدح ولا يقبل القدح فيه بوجه من الوجوه ، لأن للبشر علوما ومدارك ثابتة لا يمكن أن تنتزع ، ولا يمكن أن يتغير فيها الحكم والعلم مهما تغير الزمان وأهل الزمان ، وذلك العلم والحقيقة التى هي أن الموجود لا يتصور الا أن يكون فى احدى هذه الجهات المعلومة للبشر أحد هذه العلوم والمدارك البشرية الثابتة التى هى احدى قواعد وآساس المدارك الانسانية التى تلتقى عليها جميع الأذهان فى جميع العصور والبيئات المختلفة . فلو أنك سألت إنسانا ما فى أقصى المشرق ، ثم سألت آخر فى أقصى المغرب عن هذه المسألة لما

ظفرت باختلاف بينهما ، وان كان بينهما من الاختلاف فى أمهات المسائل الاجتماعية والدينية والأدبية مقدار ما بين وطنيهما المشرق وللغرب من الأبعاد والمسافات . وقد قام قائمون منذ قرون عديدة يعالجون هذه الضرورة علاجا شديداً ويحاولون أن يقنعوا أنفسهم أولا ، وأن يقنعوا غيرهم من الأتباع والمخالفين ثانياً بأن ربهم ليس منهم قريبا ولا بعيداً ، وأنه ليس بمتصل بهم ولا منفصل عنهم ، وأنه لا تمكن الاشارة والاتجاه اليه بحال من الأحوال مستعينين بما نبغوا فيه وفى حذقه من صناعة الجدل ، وصناعة السفسطة ، وصناعة التهريج المضل ، واضعين ذلك فى كتب ضخمة معروفة بذلوا فيها غاية جهدهم وغاية جهد الانسان وما أوتيه من نبوغ وذكاء ومهارة ، ولكنهم رجعوا كما بدؤا وانتهوا حيث ابتدؤا ، ثم نظروا فاذا هم لم يخرجوا من هذا المعمعان الا بقيل وقالوا واعترض وأجيب . أما الحقيقة فهى باقية كما كانت ، وكما سوف تكون كذلك ابداً والى النهاية ، وأما أنفسهم فكانت أيضا كما كانت وكما سوف تكون أبداً والى النهاية ، لا تعترف إلا بالحقيقة ، ولا تخضع فى هذه المسألة إلا لما لا يمكن الانفلات من الخضوع له . أما ما قالوا وما كتبوا فانه لم يعدُ نطاق الأوراق ، ولم يكن إلا غباراً لحرب شعواء يعشوها على الحق أولا وعلى الأهل والاخوان ثانيا انخداعا بأقوام ما كانوا قط شرفاء ، واتباعا لأهواء ما كانت قط صالحة بارة . ومثل هذا لا يمكن أن يكون فى مقدوره إطفاء نار الحق ونوره

ومن العجيب أن هؤلاء الهائمين بهذا التعطيل لم يستطيعوا إخفاء الحق بجوارحهم إذ استطاعوا اخفاءه ونكرانه بألسنتهم فان واحداً من هؤلاء المنكرين لم يستطع أن يملى هذا الانكار على شىء من جوارحه سوى لسانه . أما بقية أعضائه فهو عاجز وكل شىء عاجز عن املاء هذا الكذب عليها . ألسنا نجد أشد هؤلاء لجاجة وإنكاراً وتعطيلا تغلبه يداه وعيناه وجملة جسمه على هذا كله وعلى ما قال

وما كتب فى حياته كلها . فنجد عينيه تشخصان الى السماء ، ويديه ترتفعان حيث تلتمس العقول بارئها غاية كل حى ؟ ألسنا نجد جسمه كله عند ثورة الارض به يريد السمو والسماء . لا يريد غير ذلك ليهرب الى الله من الارض وأهلها ، ومن كذب الارض وكذب أهلها ، ومن هذه الكذبة الاعتقادية التى وضعها غير الحق على لسانه ؟ ألسنا نجد الناس جميعا المنكرين والمؤمنين قد اتفقوا على هذا بأفعالهم حينما يرغبون أو يرهبون ناسين كل ماقالوا وكل ما كتبوا ؟ ومن غريب مافى الانسان أن تجد من ينكر استواء الله وعلوه يسمو ببصره الى السماء حينما يقول لك إن الله ليس فى السماء ! كأن بصره وطبعه أبيا الا تكذيب لسانه فى جميع حالاته أفلا ترى فى هذا كيف يستخلص الحق من الباطل ! وكيف تبقى للحق أعلام يهتدي بها المهتدون وان جهد الباطل كله على طمس أعلام الحق كلها ! بل ألست ترى أن الحق أوضح مايكون وألمع مايرى حينما تحيط به ظلمات الباطل وحنادسه الكثيفة ! أفلست تجد فى هذا كله مقنعاً بأن كل مايعارض علو الله واستواءه على عرشه باطل باطل ، وضلال ضلال ؟ أما اذا ماحاول المعطلون المخالفون الا نفلات من هذا الالزام وهذا العلم الضروري الناضج بمحاولة من محاولا تهم المعلومة . كأن يقولوا مثلا : ان الموجود ـ وان كان من حيث هو موجود لابد أن يكون فى احدى الجهات كما تذكرون ـ بيد أنا نستثنى من هذا القانون العام الشامل الله رب العالمين . لأنه ليس كالموجودات فلا يشمله قانون عام يشملها كلها بضرورة مخالفته إياها فى الصفات وفى ما يجوز وما يجب وما يمتنع فهو ـ وان كان لا يعقل موجودان البتة إلا ولا بد أن يكون أحدهما فى جهة من الموجود الآخر ـ فالله ليس كذلك لأنه ليس كمثله شيء : ان حاول المخالفون المعطلون الا نفلات مما ذكرناه من الالزام بهذا قلنا جوابا عن هذه المحاولة : إن صح لكم هذا المذهب فى هذا المهرب صح لنا جماعة أهل الاثبات المسكين بالنصوص الشرعية أن

نجاوب عن هذه الشبهة التى ألقيت على علو الله واستوائه بهذا الجواب الذى اخترتموه بأن نقول مثلا : هذه الشبهة التى ألقيتموها على الاستواء والعلو بنظرية كروية الارض والعالم ـ وان كانت ترد على كل موجود يكون فى احدى الجهات ـ لا ترد على الله وعلى علوه واستوائه ، ولا يصح أن ترد ، وان وردت على المخلوقات كلها ضرورة مخالفته إياها فى الصفات وفي ما يجب وما يجوز وما يمتنع فالله ليس كمثله شىء لافى علوه واستوائه ولا فى غير ذلك من الصفات ، وحينئذ فكل مايورد على جوابنا يورد على جوابكم ، وكل ما تجيبون عنه بهذه الطريقة نجاوب عنه نحن بالطريقة أيضا نفسها سواء بمثلا . فتتكافأ الشبهتان على أقل الاحوال وساعتئذ لا يبقى إلا الرجوع الى دلائل أخرى فنرجع الى نصوص الاديان فنجدها متفقة أعظم اتفاق على استواء الله وعلوه بلا خلاف . فلا يبقى إلا الايمان بالاستواء والعلو على جميع الافتراضات والاحوال ، وهذا هو المطلوب . هذا مايقال فى جواب هذه الشبهة أولا

ثم يقال ثانيا : ان الذى نقوله نحن وندعيه هو أن الله مستو على عرشه علىّ على خلقه كما جاءت بذلك النصوص المتواترة فى الكتاب والسنة . لا نزيد على هذا ولا ننقص منه ، ولا نتقدمه ولا نتأخر عنه . فان كان يلزم هذا القول وهذا الاعتقاد شىء مما ذكره المعارضون فى هذه الشبهة فهو حق يلزم المصير اليه والقول به . لأن ما يلزم الحق لا يمكن أن يكون باطلا ، ولأن مايقضى به الحق لا يصح القضاء بخلافه ، والحق لايمكن أن يلزمه الباطل ، وإلا لو لزمه لما كان من الحق فى شىء يقينا والصحيح لابد أن يكون صحيحا بنتائجه ولوازمه وكل مالا ينفك عنه فان كان حقا ماذكروه فى هذه الشبهة من أنه يلزم استواءه على العرش ـ مع كون الارض كروية الشكل ، وكذلك العالم أجمع ـ أن يكون تعالى محيطا بالخلائق محيطا بكل شىء لم يقم هنالك مانع عقلى أو نقلى يمنع من المصير الى هذا ، ويمنع

من القول بأنه محيط بالعباد وبالخلائق أجمعين إحاطة تليق بذاته وصفاته وجلاله لا كما يحيط المخلوق بالمخلوق تعالى الله عن ذلك وعن شبه المخلوقات ، وقد جاءت النصوص دالة على احاطته كما ذكرنا قال الله « وكان الله بكل شىء محيطا » الى آيات أخرى معلومة فى هذا المعنى ، ولكن يلزم أن يرعى فى هذا رفع التشبيه والمبالغة فى التنزيه ، كما يلزم هذا المعنى فى جميع صفات الله وجميع شئونه الظاهرة والباطنة واذا رعى هذا وحفظه المثبتون انقطع لجاج المنكرين الجاحدين وخصامهم وشغبهم وشبهاتهم

وكذلك ان كان يلزم علوه على خلقه واستواءه على عرشه وفاق النصوص المتواترة أن يكون فوق بعض الخلق وتحت البعض الآخر بالنحو المذكور فى فاتحة الشبهة وجب القول بهذا ولزم المصير اليه إذعانا وتسليما لا اعتراض ولا ممانعة ولم يكن فى هذا المعنى نقص ما . فان هذا بالصفة المذكورة فى الاعتراض ليس فيه ما يؤذى وينكر ، والناس اذا فهموا فى صفة « التحت » نقصاً أو ضعفاً أرادوا به « التحت » المعهود لهم وللعامة فى الاصطلاح العام الساذج . لا التحت الذى عنوه بهذه الشبهة ، فان هذا تحت من نوع آخر لا نقص فيه ولا ضعف . ومن ذا مثلا يستطيع أن يفهم فى الشمس نقصاً أو ضعفا اذا قيل : انها تحت الأرض وأهل الأرض على النحو المذكور فى الشبهة المذكورة فى طالعة هذا الكلام . وليس من ريب أن القول بالتعطيل الذى ينتحله هؤلاء النفاة من أنه لا فوق ولا تحت ولا قريب ولا بعيد أقرب الى الاستحالة والبطلان والنقص والضعف من القول بالاستواء والعلو وان لزم هذا ما ذكروه . هذا ما يقال ثانياً

ثم يقال ثالثا : ان هذه الشبهة فاسدة باطلة من أساسها ، ذلك أن كلمة « فوق » وكلمة « تحت » كلمتان اصطلاحيتان عرفيتان تواضع الناس على اطلاقهما ليعبرا عما يفهمه عامة العارفين باللغة منهما عند الاطلاق المجرد ، وليس للعقل الفلسفى والمنطق

الفنى تصرف فى ذلك البتة ، فلو أريد بكلمة « التحت » ما يراد بكلمة « الفوق » وأريد بكلمة « الفوق » ما يراد بكلمة « التحت » لما نازع ذلك العقل ولما وجد فيه مكانا ومساغا للاعتراض والموافقة ، وذلك أن مثل هذا ليس من خصائص العقل ولا من وظائفه ، وكذا أمثاله مما مرده الى العرف المجرد الخاص أو العام ، فما معنى كلة « فوق » وما معنى كلة « تحت » ؟ وعلى ماذا يدلان عند عامة أهل اللغة واللسان ؟ ان الجواب عن هذا السؤال هو الفصل فى هذه المسألة

لاريب أن الأرض تحتنا ــ سواء ارتكزنا عليها بأرجلنا أم اتجهنا اليها برءوسنا أو جنوبنا أو ظهورنا أو غير ذلك من سطوح أجسامنا ، ولا ريب أن السماء فوقنا سواء اتجهنا اليها برءوسنا أم بأرجلنا أم بأية ناحية من نواحى أبداننا ، إذن فالفوق ليس هو ما يلى رأسك ، والتحت ليس هو ما يلى رجليك ، وليس أحد هذين المعنيين هو ما يلى سطحا معينا من سطوح جسمك ، وهذا كما رأيت فى مثالى السماء والأرض ، فما الفوق وما التحت إذن ؟

لا شك أننا نحس أجسامنا تهوى الى الأرض وتريد الانغماس فيها ، ونضطر الى ذلك اضطراراً لا حيلة لنا فيه ولا فى دفعه ورفعه ، ثم نحس أنه لولا صلابة الأرض ورفعها ايانا لتجلجلنا فى أحشائها ولذهبنا فى بطنها المخيف المظلم ، وبعبارة أخرى نحس أنه لولا ما وهب الله الارض من القوة والايد على دفعنا ورفعنا لابتلعتنا ولا نغمسنا فى قلبها الى قرار معلوم لا يعدى

هذا هو ما نحسه نحو الارض التى نقول انها تحتنا ، والتى هى تحتنا حقيقة ولا شك

ثم ان أجسامنا تأبى الاتجاه على كل الحالات الى السماء وتمانى ما تعانى فى محاولة الدنو منها والوصول اليها مهما خفت أجسامنا ومهما ثقلت ومهما وضعت واتجهت . هذا ما نحسه نحو السماء التى نقول انها فوقنا والتى هى فوقنا ولا شك .

ونحن اذا ما امتطينا أجنحة العلم فحلقنا فى الهواء على متن طائرة كانت الارض تحتنا والسماء فوقنا مهما اتجهنا ومهما ذهبنا . وكذلك كل ما هو فوق الارض من هواء وسحاب وخلائق أخرى ، فالسماء فوقه والارض تحته كيف كان وكيف عرض واتجه ، فما هو الفوق والتحت إذن ، وكيف يعرف هذان من هذه الامثال المذكورة ؟؟

اننا اذا امتحنا ماذكرناه جيدا وسبرناه حقا ظهر لنا ان التحت هو الجهة التى نجد أجسامنا مدفوعة نحو الانحدار اليها والهوى فيها والارتكاز عليها ، أو بعبارة أخرى ان التحت هو الجهة التى تجذب اجسامنا جذبا وتجرها اليها جرا طبعيا دائما كما نجد نحو الأرض التى هى تحتنا بلا شك ، وظهر لنا أيضا أن الفوق هو الجهة التى نجد أجسامنا بطبعها تأبى الاندفاع اليها والذهاب نحوها دائما وعلى كل حال كما نجد نحو السماء التى هي فوقنا بلاشك . إذن فالتحت هو الجهة الجاذبة والفوق هو الجهة المضادة لذلك ، وإذن فالسماء فوقنا وفوق أهل الأرض كافة سواء أ كانت محيطة بالأرض من جميع الجهات أم كانت غير ذلك ، وذلك أن أهل الأرض أينما كانوا فالسماء كائنة منهم فى الجهة المضادة للجهة الجاذبة التى هى التحت ، فالسماء فوق جميع من هم فوق سطح الأرض لأنهم حيثما كانوا ـ فى الشرق والغرب والشمال والجنوب والجهات كلها ـ يجدون أنفسهم فى الجهة التى حيث تكون السماء منها فوق على النحو الذى ذكرناه من جهة الجذب وضده . ولو أن هابطا هبط فى جوف الأرض حتى المركز الذى ينتهى عنده الجذب لكانت السماء فوقه من الجهة الأخرى ، أي من الجهة التى هبط نحوها مجذوبا بمركز الأرض . ولو أن انسانين هبطا الى المركز من جهتين متقابلتين ـ كالشرق مثلا والغرب ، حتى التقت أرجلهما وتلامست ـ لما كان أحدهما فوق الآخر ولا تحته لأجل ما ذكرناه من معنى الفوق والتحت ، واذا كان الهابط من جانب سطح الأرض الشرقى نحو مركزها

حتى وصله فعلا لايقال له ان سطح الأرض الغربي الذى نزل نحوه تحته عندمايصل المركز فيكون مما يلى رجليه فكيف يقال ان أهل المشرق تحت أهل المغرب مثلا إذا ما إفترضت الأرض كروية وكانت كذلك وأن أهل الجنوب تحت أهل الشمال ؟ ان هذا مالا يكون وما لا يصح ، وكيف يصح هـذا وهو لو صح لكان أهل المشرق تحت أهل المغرب ، ولكان أهل المغرب تحت أهل المشرق ، وأهل الجنوب تحت أهل الشمال ، وأهل الشمال تحت أهل الجنوب ؟ وهذا باطل ، لأن الشيء اذا كان تحت شيء كان ذلك الشيء فوقه لا تحته ، وأما أن يكون هذا تحت هذا وفوقه فأمر باطل كاذب ، وليعتبر هذا المعنى بالأشياء الكروية الهيئة كالبيضة والبطيخة مثلا ، فانهما كرويتا الشكل ولا يقال لما ان هذا السطح تحت هذا السطح وأن هذا فوق ذلك ، بل يقال ان سطحهما هو الأعلى من جميع الجهات

وعلى هذا فاذا توهم متوهم أن الشمس تكون تحتنا نحو نصف الليل كان غالطا غلطاً واضحاً ظاهراً ، وذلك أن الشمس فى تلك الساعة التى يتوهم الواهم فيها أنها تحتنا هي فوق أهل الأرض الذين يحسبون تحتنا فى سطح الأرض الشرقى المقابل واذا كانت فوق من هم تحتنا على النحو المذكور فكيف يقال انها تحتنا ؟ بل هى فوقنا كما هي فوقهم فى جميع الأوقات والحالات ، وقد ذكرنا أن من هبط الى مركز الأرض حتى وصله لا يكون ما بعد المركز تحته ، فكيف يكون تحته ما بعد المركز وما فوق المركز ؟ واذا ما افترضنا السموات ، أو شيئا آخر غير السموات كرويا مثل القبة ، ثم افترضنا وجود شيء فى مستوى الدائرة دائرة القبة كانت القبة فوق ذلك الشيء من جميع الجهات ، ولم يكن شيء من سطوح القبة المجوفة تحت ذلك الشيء الموجود فى دائرتها ، وكان كل من وقف فوق سطح ذلك الشيء يرى القبة فوقه ويشير اليها اشارته الى السموات والعلويات ، فالسماء فوق الأرض ومن عليها مطلقا وعلى جميع الحالات والاعتبارات ، وكذلك الاجرام التى

ينظر اليها من عل هى فوق الأرض وأهلها على كل حال . واذا علم هذا جيداً قيل فالله الذى هو فوق كل شيء ، والذى له العلو المطلق التام على كل شيء فى الأرض أو فى السماء . ليس هو تحت شيء وليس فوق شيء دون شيء ، بل هو القاهر فوق عباده علويهم وسفليهم وهو العلي الأعلى . وكل عبد يتجه اليه تعالى أينما كان ويضرع الى مقامه العلي من جهة السماء وجانب العلو لا من جانب السفل والأرض فهذه الشبهة باطلة على كل الأحوال . هذا ما يقال ثالثا

ثم يقال رابعا : ان هذه الحجة واردة على الموجود من حيث هو موجود لا على العلي من حيث هو عليّ فهى ــ ان كانت صحيحة ــ واردة على البارى لأنه موجود لا لأنه فوق الخلق والعرش ، وذلك أن يقال : الله موجود ، والموجود اما أن يكون فى جميع الجهات واما أن يكون فى جهة دون الجهات الأخرى ، ولكن لا يمكن أن يكون فى كل الجهات لأجل ماذكرناه ، ولا يمكن أن يكون فى جهة دون الجهات الأخرى لأجل ماذكرناه أيضا وذكروه هم فى الشبهة . ولا ريب أن ورود هذا الاعتراض على الموجود لأنه موجود أوضح وألزم من وروده على المستوى والاعلى من حيث هو مستو وأعلى . ولا يمكن أن ترد الشبهة على الاستواء والعلو ثم لا ترد على الوجود والامتياز . فمن استطاع أن يعلم موجوداً ليس فى جهة من الجهات وليس عرضة لذلك استطاع ولا شك أن يعلم موجوداً مستويا عاليا وليس عرضة لهذا الاعتراض ، ومن لم يستطع أن يعلم مستويا عاليًا الا ولا بد أن تخلص اليه هذه الحجة لم يستطع أن يعلم موجوداً ما يمكن أن يخلص من هذا الاعتراض . فالاعتراض ــ ان كان صحيحا ــ وارد على كل حال سواء أقيل ان الله فوق الخلائق مستو على العرش أم قيل غير ذلك . فانكار الاستواء والعلو لايدفع الشبهة ، والايمان بالاستواء والعلو لا يزيد الشبهة قوة وصحة كما ذكرنا وحينئذ لامعنى لانكار الاستواء هروبا مما لامهرب منه . فوجب الايمان بما دلت

عليه النصوص من علو الله واستوائه على عرشه وخلقه ، وسائر الصفات الثابتة النصوص ، وبهذه الأمور الاربعة خلصت صفة الاستواء والعلو من هذه الحجة المقامة على مسئلة كروية الارض والعالم

هذه شبهات عشر طالما صال بهـا المعطلون على استواء الله وعلوه قد أرينا القاري، لهذا الكتاب حقيقة أمرها ومقدار حظها من الضعف والخلل والركالة وقد وضعنا أمام كلتا عينيه البراهين على أنها شبهات داحضة كاذبة ، وعلى أنها لا بد أن تحترق عند اصطدامها بأول لفحة من لفحات المنطق الصحيح المؤلف من الواقع ومن المعقول الصريح والمنقول الصحيح

وهذه الشبهات العشر هي أفضل مامع المعارضين علو الله وأقوى مافى أيديهم من سلطان وحجة يصولون بها على النصوص المتواترة فى جميع كتب الله قديمها وحديثها ، وعلى الفطر البشرية التى لا تختلف ولا تضل مجتمعة متفقة

وإذ قد كشفنا الغطاء عن هذه الشبهات ، وعريناها من بهارج الخداع والضلال وأسمال الباطل البالية ، وألبسناها لباسها الحقيقى الذى هو بخار الاغلاط وغبار الجدل الآثم ، وزينة الشيطان المضل . فلا نرى بنا ولا بالقاريء الكريم حاجة الى غيرها مما مرده الى هذه الشبهات العشر . على أن كل ما يجده المؤمن الفطين فى سبيله الى عرفان الحقيقة ولقاء الحق من عقبات ومعارضات يستطيع أن ينتضى عليها حساماً قاطعا وينتزع سلاحاً حاداً من صميم ما ذكرناه هنا . أما هذا المؤلف الشيعى فانه لم يذكر شبهة واحدة من هذه الشبهات ولا من غيرها على ماقال وعلى قدحه فى النصوص وقدحه فى المؤمنين بها . بل رمي بهـا دعوى خزيى متعثرة بصخرات الحق القوي الصلب . فما ذكرنا هنا من هذه المباحث والمعارضات والأجوبة عنها ليس جوابا ولا دفعا لما كتبه هذا الرجل فى كتابه هذا . لأنه لم يأت بشيء من ذلك . وانما هذه حقائق عليا نقدمها لمن يقرءون كتابنا ممن

قدر لهم أن عثروا . أو سوف يقدر لهم ما لا أن يعثروا ببعض هذه المزالق العلمية الاعتقادية التي خطت بأقلام لم يرد الله أن يذيقها طعم الحقيقة ، ولا أن يسيغ لها شراب الاطمئنان والايمان الشبم

أما ما يزعمه بعض الناس من أن هنالك نصوصا دينية يصح أن تؤخذ براهين على انكار استواء الله على عرشه وعلوه على خلقه ، فليس لدينا من جواب لهذا الزعم سوى أن نطلب الى القارىء أن يرجع الى الكتاب والسنة ويتقصاهما آية آية وحديثا حديثا ، فان وجد آية واحدة أو حديثا واحداً تقول أو يقول ان الله ليس فى السماء وليس على العرش ، أو نحو ذلك من أنواع الدلالات ، فكل ما كتبناه باطل عابث ، بل ان لم يجد الكتاب والسنة بالجملة دالين أنواع الدلائل على ما نقول فاننا راجعون عن جميع ما قلناه في هذا الباب من الحجج والبينات . ولكن هيهات هيهات لما يزعمون ولما يحاولون ويقولون ! !

مذاهب السلف فى علو الله واجماعهم عليه

وأما قول هذا الرجل : ان أول من زقا بعلو الله هو ابن تيمية . ثم تبعه الوهابيون . فالجواب أن يقال :

فان كنت لا تدرى فتلك مصيبة   وان كنت تدرى فالمصيبة أعظم

لا ريب أن هذا القول وأمثاله من أعظم المآسى العقلية الدينية ، بل أن هذه الدعوى ونظائرها من المصائب التى شاء الله وهو الفاعل لما يشاء أن تكون جرحا بالغا داميا فى صميم الانسانية ومكان الشرف والغرور منها لا يلتئم على رغم ما يديه الانسان من ضروب الذكاء والدهاء والمعارف المبتكرة المغرورة ، وانى وأيم الحق لا أعلم بماذا أعلل هذا الانتحار العلمى الدينى الذي ينساق اليه هذا الرجل بخطا واسعة حثيثة ! ولو أن رجلا لم يعلق بأسباب العلم أو لم يحترف صناعة العلم

ادعى هذه الدعوى لكان عندنا وعند العلم من الملومين المأخوذين بما قالوا ، فماذا نقول ويقول العلم فى رجل يدعى هذه الدعوى بعدأن اشتغل بالعلم مدة أعمار رجال؟ من المستبعد أن يكون مرجع هذا هو النقصان العلمى ، ومن المستبعد أيضا عند من لم يلم بأمراض الانسانية أن يكون مرجعه الانحدار فى هوة الهوى السحيقة التى لا قرار لها عن رضا واختيار

لا يدري أن الناس سبقوا شيخ الاسلام ابن تيمية الى القول بهذه المسألة وتقريرها وهتك حجاب من أنكرها من الجهمية المعطلة واخوانهم التائهين الحيرى هذا مصيبة على العلم وعلى المشغولين بأسباب العلم ، هذا ان كان لا يدري . وأما ان كان يدرى هذه الحقيقة الاعتقادية العلمية ، ويدري مكانها من الحق والواقع والعلم والعلماء فاختار أن يلقى عليها حجاب الانكار والجحود انسياقا مع الهوى ، وامتهانا للعلم واستهانة بالقراء ، وانتقاما من العلماء الأبرياء ، ثم استهتاراً بأمر الله ، ونسيانا لحسابه وللموقف بين يديه للثواب والعقاب فالمصيبة أعظم وأجل ، وهما أمران أحلاهما مر

يقول المجتهد الشيعى ان أول من زقا ـ أي نادى ـ بعلو الله واستوائه على عرشه هو شيخ الاسلام ابن تيمية النابغ فى القرن الثامن الهجرى ، ثم قلده من قلده من تلاميذه وأتباعه !

ونحن نقول له : لا والله لم تصب أيها الشيخ المحترم ولم ترشد ، وا أسفاه ! بل نقول بالبرهان والاثبات : لقد سبق ابن تيمية وأتباعه ومن جاؤا بعده الله رب العالمين فى كتابه العزيز فى آيات بينات خالدات يعز علينا احصاؤها الآن ، ويعرف عامة المسلمين ـ بله الخاصة ـ الشىء الكثير الكافى منها . ومن هـــذه الآيات الخالدات قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » وقد جاء هذا اللفظ في سور ذات عدد من كتاب الله . ومن هذه الآيات البينات الخالدات قوله تعالى : « بل

رفعه الله اليه » وقد جاء معنى هذه الآية فى غيرها من السور المحكمة ، ومن هذه الآيات البينات الخالدات قوله تعالى « تعرج الملائكة والروح اليه » ومن ذلك قوله « أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض » الى غير ذلك من الآيات البينات الخالدة المنادية بعلو الله واستوائه على عرشه ، وقد ذكرنا أطرافا كثيرة من هذا النوع آنفا

ولقد سبق أيضا ابن تيمية وأتباعه والوهابيين الى ذلك محمد بن عبد الله عليه صلوات ربه وتحياته الماطلة ، وهذا فى ما لا يجمعه جامع من أقواله الصحيحة الصريحة المعلومة . وقد جمع من ذلك الحفاظ ، حفاظ السنة كتبا خاصة كبيرة ، كما فعل الحافظان الذهبى وابن القيم فى كتابيهما « العلو » و « اجتماع الجيوش الاسلامية » وفى هذين الكتابين الشىء الكثير المقنع كل من جانب الهوى ، وهذا أشهر وأظهر من أن تضرب له الأمثال ويدل على وجوده بالآحاد

ومن ذلك الحديث المشهور ، أعنى حديث الجارية التى قال لها رسول الله : « أين الله ؟ » فقالت : فى السماء ، فقال رسول الله لمولاها : « اعتقها فانها مؤمنة » وقد عد الحافظ الذهبى فى كتاب العلو هذا الحديث من الأحاديث المتواترة ، وقد أسند له طرقا وأسانيد كثيرة . ومعنى هذا الحديث فى الأحاديث النبوية الصحيحة أعظم من أن تضرب له الأمثال أو يدل على صحته ومكانه . والمخالفون أنفسهم لا يخالفون فى هذا ، ولكن الخلاف بيننا وبينهم فى التأويل والتفسير ، فهم يدعون ذلك ويدعون إمكانه ، وأما نحن فنرفضه ونأبى إمكانه لغة وشرعا وعقلا وقد ألمعنا الى هذا فى ما غبر من الكتاب

ثم لقد سبق شيخ الاسلام ابن تيمية وتلاميذه والوهابيين الى ذلك جميع الصحابة ومن بعدهم من التابعين ومن بعدهم من أعلام السنة الذين وقفت عندهم الامامة والزعامة الاسلامية والعلمية ، أمثال الأئمة الأربعة ، وأمثال شيوخ الحديث

وجهابذته ونقاده ، نظراء البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود والنسائي والآخرين ، وغيرهم وغيرهم كما سوف ننقل ذلك من مصادره الصحيحة المعلومة ، والشيعة يعترفون بهذه الحقيقة ويعرفونها لعلماء السنة ويقدحون فيهم لاجلها . ويضيفونها الى معايبهم المزعومة المعدودة في كتب القوم ، وقد ذكر هذا ابن المطهر الحلي الشيعي في كتابه الذي ألفه في الامامة وفي القدح في الصحابة وفي الخلفاء الراشدين خاصة ، ثم القدح في جميع المسلمين الذين لا يرغبون في الانتماء الى الشيعة والى آرائها الخاصة الخاطئة ، وهذا الكتاب هو الكتاب الذي نقضه عليه شيخ الاسلام ابن تيمية بكتابه الكبير « منهاج السنة » وذكر ابن المطهر هذا في كتابه هذا أن من الدلائل على بطلان مذاهب أهل السنة وفساد أمرهم الاعتقادي قول طوائف منهم ومن أئمتهم بعلو الله واستوائه على عرشه وما في ذلك من التشبيه ، وهذا اذا صح من ابن المطهر الشيعي بطل قول هذا الشيعي الآخر : انه لم يقل أحد بعلو الله قبل ابن تيمية وتلاميذه ، واذا صح قول الشيخ محسن العاملي بطل قول ابن المطهر الحلي

والقوم لا يتبعون طريقة واحدة ولا يسلكون منهاجا واضحا معلوما ، بل هم يتحرفون مع الهوى هنا وهناك ، ويسيلون في أودية الاغراض الضالة ، فحينما يريدون القدح في ابن تيمية وتلاميذه الابرار يقولون انه لم يقل بعلو الله أحد قبلهم وحينما يريدون الوقيعة في المسلمين كافة يقولون أنهم كانوا مشبهين مجسمين قائلين بعلو الله وبجلوسه على العرش ، قائلين غير ذلك من الآراء المعقوتة الباطلة ، وهذا - مع الاسف المر - ليس من دأب أهل الايمان ولا من أخلاق العلماء والمتقين . حفظنا الله من السوء والمقت والغضب

هذا وقد قدمنا في بداية هذا الكتاب بعنوان « حماقات الشيعة » أن شيوخ الشيعة كانوا مشبهين ومجسمين ، قائلين في الله شر الأقوال من وصفه بالحلول

والجهل والبداء وسمات الخلق الأخرى الناقصة ، وكانوا قائلين باستواء الله وعلوه ولكن بشكل رديء لا يليق بذات الله وكمالاته وعظمته ، وليراجع هذا في صفحة ٤٢ من هذا الكتاب ، وقد ذكرنا هذا المعنى في غير موضع من الكتاب عن شيوخ الشيعة القدماء الذين وضعوا أحجار هذا المذهب وطافوا بأركانه عصوراً غير قصيرة متسلمين قيادة هذه الطائفة ، وذكرنا عن أئمة النقل الذين كتبوا في النحل مثل الشهرستاني أن أول من زقوا بالتشبيه في الاسلام هم شيوخ الرافضة نقلا عن الأمة اليهودية العريقة في التشبيه ونعت الله بما لا يليق به من سمات الخلق العاجزين الضعفاء . فما عير به هذا الرافضي شيخ الاسلام ابن تيمية وزعم أنه هو المبتكر له قد سبقه اليه شيوخ الشيعة والرافضة . غير أن الفرق بينه وبينهم في هذا واضح جلي . فابن تيمية كجميع السلف الصالحين يقولون بالاستواء والعلو كما في النصوص مع التقديس والتنزيه ورفع التشبيه وقوفا مع النصوص الصحيحة بلا تقدم ولا تأخر أما شيوخ الرافضة فانهم يقولون ذلك وغيره مما لا يليق بذات الباري من النقائص بشكل ناقص ممقوت مع التشبيه الصريح الممقوت . بل ويهوون في هذه الهوة البعيدة القرار فيزعمون أن الملائكة تحمل العرش والعرش يحمل الله ! تعالى الله عن ذلك ، وقد تقدم هذا عن شيوخهم القدامى ، ويزعمون أيضاً أن الله ينزل من عليا سمواته فيحل في أجسام تأكل وتشرب وتجوع وتظمأ وتلاقي ما يلاقي الآكل الشارب من الأعراض والعوارض المادية الترابية المفروضة عليها في كتاب الأزل المحكم .

يقول هذا الشيعي المجتهد : ان أول من زقا بعلو الله هو ابن تيمية وأتباعه والوهابيون ! ونحن نقول : ان السلف قاطبة كانوا مجمعين على الاقرار لله بهذه الصفة ، ومجمعين على مذمة من أنكرها من الجهمية والمبتدعين الضالين ، ونقول : أيضاً انه لم يسند عن واحد منهم لا من الصحابة ولا ممن بعدهم من أئمة التابعين

والمحدثين ، كالأئمة الاربعة ومن سار سيرتهم ونهج نهجهم السوىّ انه انكر هذه الصفة أو أول شيئا من نصوصها ودلائلها الشرعية المتواترة . وعلينا نحن ان نثبت هنا البراهين المتكاثرة على دعوانا هذه وصدقها

قال القاضي الفيلسوف ابن رشد المتوفى سنة ٥٩٥ هجرية فى المجموع له المطبوع المعروف « بفلسفة ابن رشد » : « القول فى الجهة ، وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله حتى نفتها المعتزلة ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشعرية ، وظواهر الشرع كلها تقتضي باثبات الجهة » وبعد هذا أورد بعض النصوص ثم قال : « الى غير ذلك من الآيات التى ان سلط التأويل عليها عاد الشرع كله مؤوّلا ، وإن قيل فيها إنها من المتشابهات عاد الشرع كله متشابها لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء . وان منه تتنزل الملائكة بالوحى الى الانبياء ، وان من السماء نزلت الكتب ، وإليها كان الاسراء بالنبى عليه الصلاة والسلام ، وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة فى السماء كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك . والشبهة التى قادت نفاة الجهة الى نفيها أنهم اعتقدوا أن اثبات الجهة يوجب إثبات المكان ، واثبات المكان يوجب اثبات الجسمية . ونحن نقول أن هذا كله غير لازم » فأفسد هذه الشبهة وذكر كلاما قال بعده : « فقد ظهر لك من هذا أن اثبات الجهة واجب بالشرع وبالعقل ، وانه هو الذى جاء به الشرع وانبنى عليه ، وان ابطال هذه القاعدة ابطال للشرائع »

هذا بعض ما ذكره فيلسوف المغرب وعالمه قاضى القضاة فى عصره ، الامام المالكى محمد بن رشد ، وهو متوفى قبل أن يولد ابن تيمية وتلاميذه ، وقبل أن يعرف الوهابيون بأزمان

وقال مؤرخ مصر الكبير المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥ هـ فى كتاب الخطط الجزء الرابع ص ١٨١ : « اعلم أن الله لما بعث نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام من

العرب رسولا الى الناس جميعاً وصف لهم ربهم بما وصف به نفسه الكريمة فى كتابه العزيز الذي نزل به على قلبه عليه الصلاة والسلام الروح الأمين وبما أوحى اليه ربه تعالى ، فلم يسأله عليه السلام أحد من العرب بأسرهم قرويهم وبدويهم عن معنى شيء من ذلك كما كانوا يسألونه عن أمر الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك مما لله فيه أمر ونهى ، وكما سألوه عليه السلام عن أحوال القيامة والجنة والنار ، اذ لو سأله إنسان منهم عن شيء من الصفات الإلهية لنقل كما نقلت الأحاديث الواردة عنه عليه السلام فى أحكام الحلال والحرام ، وفى الترغيب والترهيب وأحوال القيامة والملاحم والفتن ، ونحو ذلك مما تضمنته كتب الحديث معاجمها ومسانيدها وجوامعها . ومن أمعن النظر فى دواوين الحديث النبوي ووقف على الآثار السلفية علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم ، أنه سأل رسول الله ﷺ عن معنى شيء مما وصف الرب سبحانه به نفسه الكريمة فى القرآن الكريم وعلى لسان نبيه محمد عليه الصلوات والتحيات بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا عن الكلام فى الصفات ، نعم ولا فرّق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل ، وانما أثبتوا له تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والارادة والسمع والبصر والكلام والجلال والاكرام والجود والانعام والعز والعظمة ، وساقوا الكلام سوقا واحداً ، وهكذا أثبتوا رضى الله عنهم ما أطلقه الله على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك . مع نفى مماثلة المخلوقين فأثبتوا رضى الله عنهم بلا تشبيه ، ونزهوا من غير تعطيل ، ولم يتعرض مع ذلك أحد منهم الى تأويل شيء من هذا ، ورأوا بأجمعهم اجراء الصفات كما وردت ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به على وحدانية الله وعلى اثبات نبوة محمد عليه الصلاة والسلام سوى كتاب الله ، ولا عرف أحد منهم شيئا من الطرق الكلامية ، ولا مسائل الفلسفة ، فمضى عصر الصحابة على ذلك ،

ثم قال المقريزي ص ١٨٨ من هذا الجزء أيضا « وقد كان الناس قبل انزال الشرائع ببعثة الرسل علمهم بالله إنما هو بطريق التنزيه له عن سمات الحدوث وعن التركيب والافتقار ، ويصفونه سبحانه بالاقتدار المطلق ، وهذا التنزيه هو المشهور عقلا . فلما أنزل الله شريعته على رسوله محمد ﷺ وأكمل دينه كان سبيل العارف بالله أن يجمع فى معرفته بالله بين معرفتين : احداهما المعرفة التى تقتضيها الأدلة العقلية ، والأخرى المعرفة التى جاءت بها الاخبارات الالهية وأن يرد علم ذلك الى الله تعالى ويؤمن به وبكل ماجاءت به الشريعة على الوجه الذى أراده الله من غير تأويل بفكره ، ولا تحكم فيه برأيه ، وذلك أن الشرائع انما أنزلها الله لعدم استقلال العقول البشرية بادراك حقائق الأشياء على ماهى عليه فى علم الله وأنى لها ذلك وقد تقيدت بما عندها من إطلاق ماهنالك ؟ فان وهبها علماً بمراده من الأوضاع الشرعية ومنحها الاطلاع على حكمه فى ذلك كان من فضله تعالى فلا يضيف العارف هذه المنة الى فكره . فان تنزيهه لربه بفكره يجب أن يكون مطابقاً لما أنزله سبحانه على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام من الكتاب والسنة وإلا فهو تعالى منزه عن تنزيه عقول البشر بأفكارها . فانها مقيدة بأوطارها فتنزيهها كذلك مقيد بحسبها وبموجب أحكامها وآثارها إلا اذا ضلت عن الهوى فانها حينئذ يكشف الله لها الغطاء عن بصائرها ويهديها الى الحق فتنزه الله عن التنزيهات العرفية بالأفكار العادية ، وقد أجمع المسلمون قاطبة على جواز رواية الأحاديث الواردة فى الصفات ، ونقلها وتبليغها من غير خلاف بينهم فى ذلك . ثم أجمع أهل الحق منهم على أن هذه الاحاديث مصروفة عن احتمال مشابهة الخلق لقوله تعالى « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير [1] » : فاذا ثبت اجماع المسلمين

---

(١) وهذا صحيح ، فان الذين يقرون لله هذه الصفات وغيرها يعلمون أنها لا تشابه صفات المخلوقين البتة ، بل الله بصفاته وذاته ليس كمثله شىء وهو السميع البصير.

على جواز رواية هذه الأحاديث ونقلها مع اجماعهم على أنها مصروفة عن التشبيه لم يبق فى تعظيم الله بذكرها إلا نفى التعطيل لكون أعداء الله سموا ربهم أسماء نفوا فيها صفاته . فقال رسول الله هذه الاحاديث المشتملة على ذكر صفات الله ونقلها عنه أصحابه البررة ، ثم نقلها عنهم أئمة المسلمين حتى انتهت الينا ، وكل منهم يرويها بصفتها من غير تأويل لشيء منها . مع علمنا أنهم كانوا يعتقدون أن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . ففهمنا من ذلك أن الله أراد بما نطق به رسوله عليه الصلاة والسلام من هذه الاحاديث ، وتناولها عنه الصحابة وبلغوها لأمته أن يغص بها حلوق الكافرين ، وأن يكون ذكرها نكتا فى قلب كل ضال معطل مبتدع يقفو أثر المبتدعة من أهل الطبائع وعباد العلل . فلذلك وصف الله نفسه الكريمة بها فى كتابه ، ووصفه أيضا رسوله بما صح عنه وثبت . فدل على أن المؤمن اذا اعتقد أن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وأنه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد كان ذكره لهذه الأحاديث تمكين الاثبات وشجا فى حلوق المعطلة ، وقد قال الشافعى رحمه الله « الاثبات أمكن » نقله الخطابى ولم يبلغنا عن أحد من الصحابة وتابعيهم أنهم أولوا هذه الأحاديث والذى يمنع من تأويلها اجلال الله من أن نضرب له الامثال ، وأنه اذا نزل القرآن بصفة من صفات الله كقوله « يد الله فوق أيديهم » فان نفس تلاوة هذا يفهم منه السامع المعنى المراد به ، وكذا قوله « بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء » فان نفس تلاوة الآية بيان المعنى المقصود ، وأيضا فان تأويل هذه الاحاديث يحتاج أن يضرب لله فيها المثل . نحو قولهم فى قوله « الرحمن على العرش استوى » الاستواء هو الاستيلاء كقولك استوى الأمير على البلد ، وأنشدوا :

قد استوى بشر على العراق

فلزمهم تشبيه البارى ببشر . وأهل الاثبات نزهوا جلال الله عن أن يشبهوه

بالأجسام حقيقة ولا مجازا ، وعلموا مع ذلك أن هذا النطق يشتمل على كلمات متداولة بين الخالق وخلقه ، وتحرجوا ان يقولوا مشتركة لأن الله لاشريك له ، ولذلك لم يتأول السلف شيئا من أحاديث الصفات مع علمنا قطعا انها عندهم مصروفة عما يسبق الى ظنون الجهال من مشابهتها لصفات المخلوقين [1]

« واعلم ان السبب فى خروج أكثر الطوائف عن ديانة الاسلام ان الفرس كانت من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة فى أنفسها بحيث أنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد ، وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم ، فلما امتحنوا بزوال الملك منهم على أيدى العرب ، وكانت العرب عند الفرس أقل الأمم خطرا ، تعاظمهم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة ، وراموا كيد الاسلام بالمحاربة فى أوقات شتى ، وفى كل ذلك يظهر الله الحق . فرأوا ان كيده على الحيلة أنجع ، فأظهر قوم منهم الاسلام واستمالوا أهل التشيع باظهار محبة أهل بيت رسول الله عليه الصلاة والسلام ، واستبشاع ظلم على بن أبى طالب ، ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن طريق الهدى . فقوم أدخلوهم إلى القول بأن رجلا ينتظر يدعى المهدي عنده حقيقة الدين ، إذ لا يجوز أن يؤخذ الدين عن كفار ، إذ نسبوا أصحاب رسول الله الى الكفر . وقوم خرجوا الى القول بادعاء النبوة . وقوم سلكوا بهم الى القول بالحلول وسقوط الشرائع . وآخرون تلاعبوا بهم ، فأوجبوا عليهم خمسين صلاة فى كل يوم وليلة . وآخرون قالوا : بل هى سبع عشرة صلاة فى كل صلاة خمس عشرة ركعة . وهو قول عبد الله بن عمرو بن الحارث الكندى قبل أن يصير خارجيا صفريا . وقد أظهر عبد الله بن سبأ اليهودى الاسلام ليكيد أهله ، فكان هو أصل اثارة النـاس على عثمان رضى الله عنه . وأحرق على منهم

---

(١) وهؤلاء الجهال كالنفاة لأنهم ما نفوا إلا لاعتقادهم ان هذه الصفات لا تكون لله الا كما تكون لخلقه

طوائف أعلنوا إلهيته . ومن هذه الأصول حدثت الاسماعيلية والقرامطة ، والحق الذى لا ريب فيه أن دين الله ظاهر لا باطن فيه ، وجوهر لا سر تحته ، وهو كله لازم كل أحد لامسامحة فيه ، ولم يكتم رسول الله عليه السلام من الشريعة ولا كلمة ولا أطلع أخص الناس به ـ من زوجة أو ولد عم ـ على شيء من الشريعة كتمه عن الأحمر والاسود ورعاة الغنم ، ولا كان عنده عليه الصلاة والسلام سر ولا رمز ولا باطن غير مادعا الناس كلهم اليه . ولو كتم شيئا لما بلغ كما أمر . ومن قال هذا فهو كافر باجماع الامة

« وأصل كل بدعة فى الدين البعد عن كلام السلف والانحراف عن الصدر الاول » انتهى كلام المقريزى وقال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى شرح صحيح البخارى الجزء الثالث عشر ٣١٥ : « وقد نقل أبو اسماعيل الهروى فى كتاب الفاروق بسنده إلى داود بن على بن خلف ، قال كنا عند أبى عبد الله بن الاعرابى فقال له رجل : « الرحمن على العرش استوى » فقال هو على العرش كما أخبر ، قال يا أبا عبد الله إنما معناه استولى . فقال اسكت . لا يقال : استولى على الشيء إلا أن يكون له مضاد . ومن طريق محمد بن أحمد بن النضر الازدي سمعت ابن الاعرابى يقول أرادنى أحمد بن أبى دواد أن أجد له فى لغة العرب « الرحمن على العرش استوى » بمعنى استولى فقلت : والله ما أصبت هذا . وقال غيره لو كان بمعنى استولى لم يختص بالعرش لأنه غالب على جميع المخلوقات . ونقل محيى السنة البغوى فى تفسيره عن ابن عباس وأكثر المفسرين أن معناه ارتفع ، وقال أبو عبيد وغيره بنحوه ، وأخرج أبو القاسم اللالكائى فى كتاب السنة من طريق الحسن البصرى عن أمه عن أم سلمة أنها قالت : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول . والاقرار به إيمان والجحود به كفر . ومن طريق ربيعة بن أبى عبدالرحمن أنه سئل : كيف استوى على العرش ؟ فقال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير

معقول وعلى الله الرسالة ، وعلى رسوله البلاغ ، وعلينا التسليم . وأخرج البيهقي بإسناد جيد عن الأوزاعي قال كنا ـ والتابعون متوافرون ـ نقول ان الله على عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته . وأخرج الثعلبي من وجه آخر عن الأوزاعي أنه سئل عن قول الله « ثم استوى على العرش » فقال هو كما وصف نفسه . وأخرج البيهقي باسناد جيد عن عبد الله بن وهب قال : كنا عند الامام مالك فدخل رجل فقال : يا أبا عبد الله « الرحمن على العرش استوى » كيف استوى ؟ ! فأطرق مالك فأخذته الرحضاء . ثم رفع رأسه فقال الرحمن على العرش استوى كما وصف به نفسه ولا يقال « كيف » وكيف عنه مرفوع ، وما أراك إلا صاحب بدعة أخرجوه . ومن طريق يحيى بن يحيى عن مالك نحو المنقول من أم سلمة لكن قال فيه : والاقرار به واجب ، والسؤال عنه بدعة . وأخرج البيهقي من طريق أبي داود الطيالسي قال كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لا يحددون ولا يشبهون ، ويروون هذه الاحاديث ولا يقولون كيف . قال أبو داود : وهو قولنا قال البيهقي وعلى هذا مضى أكابرنا وأسند اللالكائي عن محمد بن الحسن الشيباني قال : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق الى المغرب على الايمان بالقرآن وبالأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله في صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير . فمن فسر شيئا منها وقال بقول جهم فقد خرج عما كان عليه النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه وفارق الجماعة لأنه وصف الرب بصفة لا شيء [1] . ومن طريق الوليد بن مسلم سألت الأوزاعي ومالكا والثوري والليث بن سعد عن الأحاديث التي فيها الصفة . فقالوا أمرّوها كما جاءت بلا كيف . وأخرج ابن أبي حاتم في مناقب الامام الشافعي عن يونس بن

(١) ومثل الجهمية الشيعة المعطلة الغالية الذين ينكرون صفات الله ويحرفون نصوصها ويصفونه بصفة لا شيء

عبد الأعلى سمعت الشافعي يقول : لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر ، وأما قبل قيام الحجة فانه يعذر بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالروية والفكر . فنثبت هذه الصفات وننفى عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال « ليس كمثله شيء » وأسند البيهقى باسناد صحيح عن أحمد بن أبى الحوارى عن سفيان بن عيينة قال كل ما وصف به نفسه فى كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه ، ومن طريق أبى بكر الضبعي قال مذهب أهل السنة فى قوله « الرحمن على العرش استوى » قال بلا كيف ، والآثار فيه عن السلف كثيرة وهذه طريقة الشافعى وأحمد بن حنبل . قال الترمذى فى الجامع عقب حديث أبى هريرة فى النزول : وهو على العرش كما وصف به نفسه فى كتابه كذا قال غير واحد من أهل العلم فى هذا الحديث وما يشبهه من الصفات ، وقال فى باب فضل الصدقة : قد ثبتت هذه الروايات فنؤمن بها ولا نتوهم ولا يقال كيف : كذا جاء عن مالك وابن عيينة وابن المبارك أنهم أمروها بلا كيف ، وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة ، وأما الجهمية فأنكروها وقالوا هذا تشبيه ، وقال اسحاق بن راهويه : إنما يكون التشبيه لو قيل يد كيد ، وسمع كسمع . وقال فى تفسير سورة المائدة : قال الأئمة نؤمن بهذه الأحاديث من غير تفسير ، منهم سفيان الثورى ومالك وابن عيينة وابن المبارك . وقال ابن عبد البر : أهل السنة مجمعون على الاقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة ولم يكيفوا شيئا منها ، وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج [1] فقالوا : من أقر بها فهو مشبه ، فسماهم من أقر بها معطلة . وقال امام الحرمين فى الرسالة النظامية : اختلفت مسالك العلماء فى هذه الظواهر ، فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك فى آيات الكتاب وما يصح من السنن ، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف

---

(١) وكذا الشيعة أيضا

عن التأويل واجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الله تعالى . والذى نرتضيه دينا وندين الله به عقيدة اتباع سلف الامة للدليل القاطع على أن اجماع الامة حجة ، فلو كان تأويل هذه الظواهر حتما لأوشك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة ، واذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الاضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع . انتهى . وقد تقدم النقل عن أهل العصر الثالث وهم فقهاء الأمصار كالثورى والأوزاعى ومالك والليث ومن عاصرهم ، وكذا من أخذ عنهم من الائمة ، فكيف لا يوثق بما اتفق عليه أهل القرون الثلاثة وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة »

هذا بعض ما قاله الحافظ ابن حجر العسقلانى وما نقله فى شرح كتاب التوحيد من صحيح البخارى أصح كتب المسلمين بعد كتاب الله

وقال امام الائمة محمد بن اسحاق بن خزيمة المتوفى سنة ٣١١ هـ فى كتاب التوحيد ص ٦٨ : « باب ذكر استواء خالقنا على عرشه ، فكان فوقه وفوق كل شيء عاليًا كما أخبر فى قوله « الرحمن على العرش استوى » وقال « هو الذي خلق السماوات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش » فنحن نؤمن بخبر الله أن خالقنا مستو على عرشه لا نبدل كلام الله ، ولا نقول قولا غير الذى قيل لنا كما قالت المعطلة الجهمية انه استولى على عرشه لا استوى ، فبدلوا قولا غير الذى قيل لهم كفعل اليهود لما أمروا أن يقولوا حطة فقالوا حنطة ، مخالفين لأمر الله ، وكذلك الجهمية »

ثم ساق بعد هذا الاحاديث الدالة على العلو والاستواء . فذكر حديث العباس بن عبد المطلب الذى عدد فيه رسول الله أشياء من خلائق الله وكونه والذى فى آخره : « والله فوق ذلك » وذكر حديث الاعرابى الذى استسقى برسول الله وقال : انا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك ، فغضب رسول الله

وقال : ويحك انه لا يستشفع بالله على أحد من جميع خلقه ، شأن الله أعظم من ذلك ، أتدري ما الله ؟ ان الله على عرشه ، وعرشه على سمواته ، وسمواته على أرضه . وذكر حديث أبي هريرة الذي فيه ان رسول الله قال : « وإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فانه وسط الجنة وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة » ثم ذكر حديث إبي هريرة الآخر الذي فيه أن الرسول قال : « لما قضى الله الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي » وساق هنا أحاديث أخرى معلومة . ثم قال : « باب ذكر البيان ان الله عز وجل فى السماء كما أخبر فى محكم كتابه وعلى لسان رسوله عليه السلام وكما هو مفهوم فى فطر المسلمين ، علمائهم وجهالهم ، أحرارهم ومماليكهم ، ذكرانهم وإناثهم ، بالغيهم وأطفالهم ، كل من دعا الله جل وعلا فانما يرفع رأسه إلى السماء ، ويمد يديه إلى الله إلى أعلاه لا إلى أسفله ، وقد ذكرنا استواء ربنا على العرش فى الباب قبل ، فاسمعوا الآن ما أتلو عليكم من كتاب ربنا الذي هو مسطور بين الدفتين ، مقروء فى المحاريب والكتاتيب مما مصرح فى التنزيل أن الرب عز وعلا في السماء لا كما قالت الجهمية المعطلة إنه فى أسفل الارضين . فهو فى السماء . قال : « أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض » وقال : « أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا » . أفليس قد أعلمنا خالق السموات والارض وما بينهما فى هاتين الآيتين أنه فى السماء. وقال«إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه». أفليس العلم محيطا أن الرب فوق من يتكلم بالكلمة الطيبة فتصعد إلى الله كلمته،لا كما زعمت الجهمية المعطلة . ألم تسمعوا يا طلاب العلم قول الله لعيسى بن مريم : «ياعيسى إني متوفيك ورافعك إلى ».أفليس انما يرفع الشيء من أسفل إلى أعلى ، لامن أعلى الى أسفل . وقال : « بل رفعه الله إليه» ومحال أن يهبط الانسان من ظهر الارض الى بطنها أو إلى موضع أخفض منه وأسفل ، فيقال : رفعه الله اليه ، لان الرفعة فى لغة

العرب الذين بلغتهم خوطبنا لاتكون الا من أسفل الى أعلى وفوق ألم تسمعوا قول الله « وهو القاهر فوق عباده » ، أو ليس العلم يحيط أن الله فوق جميع عباده من الجن والانس والملائكة الذين هم سكان السموات جميعا ، أو لم تسمعوا قوله تعالى « ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون . يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون » فأعلمنا فى هذه الآية أن ربنا فوق ملائكته وفوق ما فى السموات وما فى الأرض من دابة ، وأعلمنا أن ملائكته يخافون ربهم الذى هو فوقهم ، والمعطلة تزعم أن معبودهم تحت الملائكة . ألم تسمعوا قوله « يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه » أليس معلومًا فى اللغة السائرة بين العرب التى خوطبنا بها وبلسانهم نزل الكتاب أن تدبير أمر السماء الى الأرض انما يدبره المدبر ، وهو فى السماء لا فى الأرض ، كذلك مفهوم عندهم أن المعارج المصاعد قال تعالى « تعرج الملائكة والروح اليه » وانما يعرج الشيء من أسفل الى أعلى وفوق ، لامن أعلى الى دون وأسفل . فتفهموا لغة العرب ولا تغالطوا . وقال : « سبح اسم ربك الأعلى » فالأعلى مفهوم فى اللغة أنه أعلى كل شيء وفوق كل شيء ، والله قد وصف نفسه فى غير موضع من كتابه وأعلمنا أنه العلي العظيم أفليس العلي — يا ذوى الحجا — ما يكون عاليًا ، لا كما تزعم المعطلة الجهمية أنه أعلى وأسفل ووسط ومع كل شيء وفى كل موضع من أرض وسماء وفى أجواف جميع الحيوانات . ولو تدبروا الآيات من كتاب الله لعقلوا أنهم جهال لا يفهمون ما يقولون وبان لهم جهل أنفسهم وخطأ مقالتهم

« ثم اسمعوا يا ذوى الحجا دليلا آخر من كتاب الله أن الله عز وجلا فى السماء مع الدليل على أن فرعون مع كفره وطغيانه قد أعلمه موسى بذلك ، وكأنه قد علم أن خالق البشر فى السماء ، ألا تسمع قوله تعالى يحكى عن فرعون « ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب ، أسباب السموات ، فأطلع الى إله موسى »

ففرعون يأمر ببناء صرح لحسب أنه يطلع الى اله موسى، وفى قوله « وإني لأظنه كاذبا » دلالة على أن موسى قد كان أعلمه أن ربه أعلى وفوق، وأحسب أن فرعون انما قال لقومه « وانى لأظنه كاذبا » استدراجا منه لهم أخبرنا الله فى قوله « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلواً » فأخبر تعالى أن هـذه الفرقة جحدت ـ يريد بألسنتهم ـ لما استيقنتها قلوبهم، فشبه أن يكون فرعون انما قال لقومه « وانى لأظنه كاذبا » وقلبه أن كليم الله من الصادقين لا من الكاذبين . والله أعلم أكان فرعون مستيقنا بقلبه ـ على ما أولت ـ أم مكذبا بقلبه ظانا أنه غير صادق . وخليل الله ابراهيم عليه السلام عالم فى ابتداء النظر الى الكوكب والقمر والشمس أن خالقه عال فوق خلقه حين نظر الى الكوكب والقمر والشمس . ألا تسمع الى قوله « هذا ربى » ولم يطلب معرفة خالقه من أسفل انما طلبه من أعلى مستيقنا عند نفسه أن ربه فى السماء لا فى الأرض »

ثم قال بعد هذا الذى سقناه من كتابه المذكور :

« باب : ذكر سنن النبى عليه الصلاة والسلام المثبتة أن الله عز وجل فوق كل شيء، وأنه فى السماء كما أعلمنا في وحيه على لسان رسوله، إذ لا تكون سنته أبداً المنقولة عنه بنقل العدل عن العدل موصولا اليه الا موافقة لكتاب الله لا مخالفة له »

ثم أورد جملة من الأحاديث الدالة على العلو والاستواء، فاورد قوله عليه الصلاة والسلام « أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء » وأورد قوله عليه الصلاة والسلام : « الملائكة يتعاقبون فيكم، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج اليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم . كيف تركتم عبادى ؟ قالوا : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم

يصلون » ثم أورد قوله عليه السلام : « أنا أمين من فى السماء » ثم ذكر حديث المعراج بالنبي الى الله ثم قال « وفى الاخبار دلالة واضحة أن النبي عليه الصلاة والسلام عرج به من الدنيا الى السماء السابعة ، وأن الله تعالى فرض عليه الصلوات على ما جاء فى الأخبار . فتلك الأخبار كلها دالة على أن الخالق فوق سبع سموات لا على ما زعمت المعطلة . وفى خبر الأعمش عن المنهال عن زاذان عن البراء فى قصة قبض روح المؤمن وروح الكافر ، قال فى قبض روح المؤمن : « فيقول أيتها النفس المطمئنة اخرجى الى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السقاء لا يتركونها فى يده طرفة عين ، فيصعدون بها الى السماء فلا يمرون بها على جند من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الطيبة ؟ فيقولون : فلان بأحسن أسمائه ، فاذا انتهى بها الى السماء فتحت لها أبواب السماء ، ثم يشيعها من كل سماء مقربوها الى السماء التى تليها حتى ينتهى بها الى السماء السابعة ، ثم يقال اكتبوا كتابه فى عليين » ثم أورد الحديث الذى فيه أن قريشا جاءت الحصين وكانت تعظمه ، فقالت له كلم هذا الرجل لنا فانه يذكر آلهتنا ويسبها ، فجاؤا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبى عليه السلام ودخل الحصين فلما رآه النبي عليه السلام قال أوسعوا للشيخ ـ وعمران وأصحابه متوافدون ـ فقال الحصين : ما الذى يبلغنا عنك أنك تشتم آلهتنا وتذكرها ، وقد كان أبوك جفنة وخبزاً ؟ فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : يا حصين كم إله تعبد ؟ قال : سبعة فى الارض وواحداً فى السماء قال فاذا أصابك الضر من تدعو ؟ قال الذى فى السماء . قال : فاذا هلك المال من تدعو ؟ قال الذى فى السماء . قال فيستجيب لك وحده وتشركهم معه ؟

ثم قال : « باب ذكر الدليل على أن الاقرار بأن الله فى السماء من الايمان » وذكر فى هذا الباب حديث الجارية المشهور الذى فيه أن الرسول الكريم قال لجارية جىء بها اليه . أين الله ؟ فقالت فى السماء فقال لمولاها أعتقها فانها مؤمنه

وقد أورد هذا الحديث من طرق وبعبارات ذات عدد ثم قال « باب ذكر أخبار ثابتة السند رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي عليه الصلاة والسلام فى نزول الرب كل ليلة الى سماء الدنيا ، نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما فى هذه الاخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية ، لان نبينا عليه السلام لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا ، وأعلمنا عليه السلام أنه ينزل ، لم يترك بيان ما بالمسلمين اليه الحاجة من أمر دينهم ، فنحن قائلون مصدقون بما فى هذه الاخبار من ذكر النزول ، غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية اذ النبي لم يصف لنا كيفية النزول . وفى هذه الاخبار ان الله عز وجل فوق سماء الدنيا الذى أخبرنا نبينا انه ينزل اليه ، اذ محال فى لغة العرب أن يقول ينزل من أسفل الى أعلى ، ومفهوم فى الخطاب أن النزول من أعلى الى أسفل »

ثم ساق الاحاديث المشهورة فى نزول الرب كل ليلة الى سماء الدنيا فى النصف الآخر أو فى الثلث الآخر . وهذه الأحاديث ثابتة عن رسول الله يقينا .

هذا بعض ما ذكره أمام الائمة ابن خزيمة فى كتاب التوحيد

وقال الذهبي في مقدمة كتاب « العلو » بعد أن أورد بعض الآيات فى علو الله واستوائه على عرشه « فان أحببت ياعبد الله الانصاف فقف مع نصوص القرآن والسنة . ثم انظر ما قاله الصحابة والتابعون وأئمة التفسير فى هذه الآيات ، وما حكوه من مذاهب السلف . فاما أن تنطق بعلم واما أن تسكت بحلم ، ودع المراء والجدال ، فان المراء فى القرآن كفر . كما نطق بذلك الحديث الصحيح ، وسترى أقوال الائمة فى ذلك على طبقاتهم بعد سرد الاحاديث النبوية . جمع الله قلوبنا على التقوى

« وايماننا بما ثبت من نعوته كايماننا بذاته المقدسة عن الأشباه من غير أن نتعقل الماهية فكذلك القول فى صفاته نؤمن بها ونعقل وجودها ونعلمها فى الجملة

من غير أن نتعقلها أو نشبهها أو نكيفها أو نمثلها بصفات خلقه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، فالاستواء ـ كما قال الامام مالك وجماعة غيره ـ معلوم والكيف مجهول .
ومن الأحاديث الواردة فى العلو حديث معاوية بن الحكم ، ثم أخذ فى ذكر الأحاديث والآثار وأقوال الصحابة والتابعين والأئمة أئمة المفسرين ، وأئمة المحدثين ، وأئمة الفقهاء ، وأئمة علماء الكلام والصوفية ، وأئمة أهل اللغة ، وغير هؤلاء ، فجاء الكتاب فى ٣٤٧ ص كلها دلائل على علو الله واستوائه على عرشه

وقال الامام الأشعرى المتوفى سنة ٣٢٤ هـ فى كتاب « الابانة » في أصول الديانة » ص ٣٣ :

« باب ذكر الاستواء على العرش . ان قال قائل : ما تقولون فى الاستواء ؟ قيل له : نقول ان الله مستو على عرشه كما قال : « الرحمن على العرش استوى » . . ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم نحو السماء اذا دعوا ، لأن الله مستو على العرش الذى فوق السموات ، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش كما لا يحطونها اذا دعوا نحو الأرض

« وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية : ان قول الله « الرحمن على العرش استوى » انه استولى وملك وقهر وأنه عز وجل فى كل مكان ، وجحدوا أن يكون على عرشه كما قال أهل الحق ، وذهبوا فى الاستواء الى القدرة ولو كان هذا كما ذكروا لكان لا فرق بين العرش والأرض ، فالله قادر عليها وعلى كل ما فى العالم . فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء ، وهو عز وجل مستول على الأشياء كلها ، لكان مستويا على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الأفراد ، لأنه قادر على الأشياء مستول عليها ، واذا كان قادراً على الأشياء كلها ، ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول ان الله مستو على الحشوش والأخلية ، لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذى هو

علم فى الأشياء كلها ، ووجب أن يكون معناه استواء يختص العرش دون الأشياء كلها

« ويقال لهم : اذا لم يكن مستويا على العرش بمعنى يختص العرش دون غيره كما يقول ذلك أهل العلم ونقلة الأخبار وحملة الآثار ، وكان الله فى كل مكان ، فهو تحت الأرض التى السماء فوقها ، واذا كان تحت الأرض والأرض فوقه والسماء فوق الأرض ، فنى هذا ما يلزمكم أن تقولوا ان الله تحت التحت والأشياء فوقه ، وأنه فوق الفوق والأشياء تحته ، وفى هـذا ما يجب أنه تحت ما هو فوقه وفوق ماهو تحته . وهذا المحال المتناقض . تعالى الله عن افترائكم عليه علواً كبيراً

« ومما يؤكد أن الله مستو على عرشه دون الأشياء كلها ما نقله أهل الرواية عن رسول الله ﷺ (وهنا ذكر حديث النزول المعروف ثم قال) :

« دليل آخر ، قال الله : (يخافون ربهم من فوقهم) ... فكل ذلك يدلك على أن الله فى السماء مستو على عرشه ، والسماء باجماع الناس ليست الأرض ، فدل على أن الله منفرد بوحدانيته مستو على عرشه

« دليل آخر ، قال الله : (وجاء ربك والملك صفا صفا) وقال لعيسى : (انى متوفيك ورافعك إلى) . وأجمعت الأمة على أن الله رفع عيسى الى السماء . ومن دعاء أهل الاسلام جميعا إذا هم رغبوا الى الله فى الأمر النازل بهم يقولون : يا ساكن العرش ، ومن حلفهم جميعا : لا والذي احتجب بسبع سموات

« دليل آخر ، وقال الله (ثم ردوا الى الله مولاهم الحق) وقال (ولو ترى إذ وقفوا على ربهم) وقال : (ولو ترى إذ المجرمون نا كسو رؤوسهم عند ربهم) وقال : (وعرضوا على ربك) ، كل ذلك يدل على أنه ليس فى خلقه ولا خلقه فيه وأنه مستو على عرشه ، وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، فلم يثبتوا له فى وصفهم حقيقة ، ولا أوجبوا بذكرهم إياه وحدانية ، إذ كل كلامهم يؤول الى

التعطيل ، وجميع أوصافهم تدل على النفي ، أتريدون بذلك التنزيه ونفي التشبيه ؟ فنعوذ بالله من تنزيه يوجب النفي أو التعطيل

« دليل آخر ، روت العلماء عن النبي ﷺ أنه قال : ان العبد لاتزول قدماه من بين يدى الله حتى يسأله ، وروت العلماء أن رجلا أتى النبي ﷺ بأمة سوداء فقال يا رسول الله انى أريد أن أعتقها فى كفارة فهل يجوز عتقها ؟ فقال لها النبي ﷺ : أين الله ؟ قالت فى السماء ، قال فمن أنا ؟ قالت أنت رسول الله ، فقال النبي اعتقها فانها مؤمنة ، وهذا يدل على أن الله على عرشه فوق السماء »

هذا بعض ماذكره الامام الأشعري فى كتابه « الابانة فى أصول الديانة » وقد ذكر مثل هذا فى جميع كتبه المؤلفة فى هذه المطالب العليا ، وهذه نماذج من النقول عن السلف وأئمة الاسلام والفقهاء المشهورين فى جميع الأمصار الاسلامية فى جميع العصور . والنقل فى هذا المعنى عن السلف والعلماء لا يجمعه كتاب جامع ولا يحيط به محيط ، والغرض هنا الاشارة الخفيفة والالمامة العجلى ، لا الاحاطة الجامعة الشاملة وقد جمع الحفاظ من ذلك كتباً كباراً كما فعل الحافظان الذهبي وابن القيم في كتاب « العلو » وكتاب « اجتماع الجيوش الاسلامية » ، وقد نقلا فى هذين الكتابين الاقرار بعلو الله والانكار على من أنكره عن جميع علماء الأمصار المشهورين بالعلم والامامة والتقى والدين والسنّة ، وممن نقلا عنهم ذلك الأئمة الأربعة وكبار أئمة الحديث والفقه كالبخارى ومسلم ونظرائهما ، وفى كتاب « السنة » تأليف الامام ابن الامام عبد الله بن أحمد بن حنبل المولود فى مطلع القرن الثالث الهجرى نقول كثيرة متواترة عن أساطين السنة والحديث والفقه الاسلامي ، تقرر كلها صفة العلو والاستواء لله رب العالمين بحماسة وصراحة ، وتنادى بملامة المنكرين الجاحدين لهذه الصفة من الجهمية المبتدعين ، والكتاب موضوع اصالة لهذا الغرض، وللاغراض الأخرى المتصلة به من صفات الله والرد على المنكرين المحرفين

ونحن نقف عند هذا الحد ، ونحيل الراغب فى المزيد من هذه المعارف والعلوم الالهية على كتب السنة كلها ، لا نخص كتابا دون كتاب

أفلا يرى القارىء بعد هذا أنه يسوغ لنا أن نعد قول هذا الشيعى : « ان ابن تيمية هو أول من زقا بعلو الله » انتحاراً علمياً فظيعا ، ولكنه انتحار لا تعقبه راحة المنتحرين ان كان للمنتحرين أن يراحوا ؟ ! ثم ألا يحس القارىء الاشفاق على هذا المصنف الشيعى الجرىء على ما الخير فى الاحجام عنه والتهيب له ؟ !

يا ما أضعف رأى من يريد نصرة رأيه ومذهبه واضعاف مخالفيه بقول غير الحق وانتحال غير الصدق ! ! وصدق الله العظيم إذ يقول : « وأما الزبد فيذهب جفاء »

قصة الحبر اليهودى وغلط الرافضى

ومن الخلط الشنيع ما زعمه هذا الرافضى فى قصة الحبر اليهودى الذى جاء النبى عليه السلام وقال : انا نجد أن الله يجعل السماوات على اصبع ، والأرضين على اصبع ، وسائر الخلق على أصبع ، ثم يقول : أنا الملك . فضحك النبى عليه السلام عند مقالة الحبر وتلا الآية الكريمة « ما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه » . فقد زعم هذا الرافضى أن ضحك النبى عليه السلام لم يكن تصديقاً لذلك الحبر ، ولكنه كان انكاراً وتكذيبا وذلك ليقوم له انكار هذه الصفات والكفر بها

وهذا الزعم غلط شنيع باطل يرده الحديث نفسه ، وترده الآية الكريمة ، وترده الأحاديث الاخرى المتواترة فى إثبات هذه الصفات لله . أما الآية فانها تقول : « ما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه » فهى إذن تصريح صريح بمعنى هذا الحديث ، واعتراف به ،

واقرار له ، وذلك أنها أثبتت أن الأرض بما فيها تقع فى قبضة الله يوم الدين ، وأن السموات يوم ذاك تطوى بيمينه أيضا . وهـذا هو معنى قوله : ان الله يجعل السموات على اصبع والأرض على اصبع وجميع الخلق على اصبع فيقول أنا الملك ، واذ كان معنى الحديث ثابتا فى القرآن لم يصح لمسلم انكاره استيحاشا من معناه ، والا لكان الانكار له انكاراً لمعنى الآية . فان قال الشيعى أو غيره ان الفرق بين الآية والحديث أن الحديث فيه اثبات الأصابع لله بخلاف الآية فليس فيها ذكر لذلك ، قيل له ان فى الآية أن الأرض تكون يوم القيامة فى قبضة الله ، وأن السموات تكون ذلك اليوم أيضا مطوية بيمينه ، ففى الآية القبض والطى وفيها اثبات اليمين لله . فاذا لم يكن معنى القبض للأرض والطى للسموات ومعنى اليمين لله منكراً باطلا لم يمكن أن يكون معنى الأصابع وجعل الخلائق على الأصابع باطلا منكراً ، فان كان هذا وصف كمال كان ذلك وصف كمال أيضا ، وأن كان وصف نقص كان الآخر أيضا وصف نقص ، ولا بد ، فهذا كهذا والحديث فى معنى الآية والآية فى معنى الحديث ، واذا كان هذا كله صحيحا ـ وهو صحيح ـ لم يصح يقينا أن يكون ضحك النبي الكريم تكذيبا لما قاله الحبر ، لأن تلاوته الآية برهان لا يدفع على أنه يريد بذلك تقرير قول اليهودى وتصديقه إذ قد نزل عليه مثله فى كتاب الله وصار بهذا مصدقا لرسالات الأنبياء قبله ، ولرسالة نبي الله موسى التى منها مقالة ذلك الحبر اليهودى فى شأن من شئون الله وصفة من صفاته . وجلي جداً أن تلاوة النبي الكريم للآية الكريمة ـ بعد أن قال الحبر ما قال ـ تقرير أى تقرير ، وإثبات أى إثبات !

على أن هذا الحديث مصدق لجملة القرآن المثبت لله فى غير ما آية صفة اليدين والصفات الأخرى . ولا يمكن إقرار نصوص اليـدين وإنكار نصوص الأصابع الصحيحة الثابتة ، فان المعنى فى الأمرين واحد كما ذكرنا

هذا من جهة القرآن الكريم ، فهو دال على إقرار هذا الحديث لا على إنكاره
وأما من جهة الحديث نفسه فانه راد على الرافضي صراحة ، راد ما قاله من أن
الضحك كان تعجبا وتكذيبا صراحة أيضا ، وذلك أنه قدجاء فيه نصا ان الضحك
كان تصديقاً لمقالة اليهودي كما رواه البخاري كذلك فى كتاب التوحيد وكتاب
التفسير من صحيحه ، وكذا رواه غير البخاري . فزعم الرافضى أن الضحك لم يكن
تصديقا - بعد تصريح الحديث نفسه بأنه كان تصديقا - زعم مزهود فيه
مرغوب عنه

هذا من جهة الحديث نفسه ، وأما من جهات الأحاديث الأخرى فهى أيضا
رادة قول الشيعي أبلغ رد ، ذلك أن معنى هذا الحديث قد جاء من طرق أخرى
من كلام النبوة ابتداء ، فروى البخارى فى كتاب التفسير وكتاب التوحيد عن
عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « ان الله يقبض الأرض يوم القيامة ،
وتكون السموات بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك » وروى أبو هريرة عن رسول الله
أنه قال : « يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه ، ثم يقول أنا الملك ، أين
ملوك الأرض ؟ » روى هذين الحديثين البخاري وغيره ، وهذان الحديثان - وهما
من كلام النبوة ابتداء - فى معنى قول الحبر اليهودي ، فهما يدلان يقينا على أن
ضحك النبى الكريم كان تصديقا واستحسانا ، لا إنكاراً وإ كذابا كما يزعم الشيعي
على أن الأحاديث النبوية الصحيحة فى إثبات هذه الصفات لله أحاديث
متواترة معلومة لا يمكن المؤمن جحدها ، من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « ان
القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء » رواه مسلم فى الصحيح
وروى أيضا أنه عليه السلام قال « المقسطون على منابر من نور على يمين الرحمن »
وفى المعنى أحاديث أخرى ذات عدد

فهذا الحديث صحيح ، وضحك النبى ﷺ تصديق واقرار ، ولا شك . ولا

ندرى كيف يمكن أن يكون قول هذا اليهودى باطلا ومنكراً فى حق الله ـ كما يزعم الشيعى ـ ثم لا ينكره النبى ﷺ بل يقابله بالضحك والمدوء ! ولا شك عندنا أن هذا القول لو كان كما يزعم الشيعى باطلا وتنقصاً لله لأنكره النبى ولأظهر الانكار والامتعاض الشديدين كما كان دأبه المعلوم حينما يسمع فى الله أو فى دينه أو فى أنبيائه وكتبه ما ليس حقاً ولا صدقا . وأقل الناس حماسة لدينه ولربه لا يستطيع أن يقابل القول الباطل الضلال فى الله وفى صفاته بالضحك والابتسام ، بل لابد من الانكار والغضب والتصريح بذلك . وأما من زعم أن النبي الكريم يسمع القبيح فيضحك ولا ينكر فقد زعم زعما لانقره ولا نرضاه لنبى الله ﷺ أبداً . وأما تلاوة الآية فليس إنكاراً بل هى إقرار وتصديق كما ذكرنا ، وقوله : « ماقدروا الله حق قدره » معناه أنهم لم يعظموا الله كما يجب لجلاله وعظمته وسلطانه الواسع الذي منه ما فى الخبر مما سوف يصنعه تعالى بالخلائق يوم الدين . والمعنى أنهم لم يعبدوه العبادة اللازمة المطلوبة من العبد للرب ، ومن المخلوق الضعيف للخالق القوى القاهر . فما زعمه هذا الشيعى فى هذا الحديث غير صحيح ولا كرامة . أما ما يذكرون على هذه الصفات من الاعتراضات المعلومة من لزوم الجارحة ، والتجسيم والتشبيه . فجواب هذا كله يؤخذ مما ذكرناه آنفا فى صفة الاستواء والعلوّ

زعم الرافضى أن قيام الصفات بالله

يعاند صفة القدم

وأما قوله : « ويلزم من اثبات المحبة والرضا والغضب والرحمة بمعانيها الحقيقية ـ وهى ميل القلب ورقته ، وهيجان النفس وعدم هيجانها ـ كونه محلا للحوادث الموجب حدوثه » فقول لم يؤسس على شىء من أجزاء المنطق الصحيح المحترم .

وذلك أن هذا القول قائم على أمرين اثنين ، أحدهما أن هذه الصفات حوادث وثانيهما ـ ان الحوادث لا تقوم بذات الله ، لأن ما قامت به الحوادث حادث ، فقوله هذا قائم على هذين الأمرين ، ولكن يقال له : اذا صح لديك أن يوصف الله بمعانى « التكوين » كالخلق والايجاد والاحياء والاماتة والنفع والضر والاحداث وسائر معانى التكوين ولم يلزم هذه الصفات هذا المعنى الباطل الذى أنكرت فراراً منه صفات الرحمة والمحبة والغضب والرضا ، فكيف يلزم هذا المعنى هذه الصفات ؟ وما الفرق بين أنواع هذه الصفات ، التى أنكرت والتى سلمت ؟ وهل هذا إلا تحكم محض فى الله ودينه ، وفى المعقولات لا نصيب له من المنطق والبرهان والدليل ؟ ألا ترى أنه لو كان هذا الاحتجاج المذكور صحيحا لامتنع به وصف الله بصفة من الصفات ولامتنع أن يقوم به فعل من الأفعال وأن يحدث شأنا من الشئون ، لأن قيام هذه الأمور بذات الله معناه قيام الحوادث به : ولو قامت به الحوادث لكان حادثا ، لأن الحادث لا يقوم بذات القديم . ولا شك أن من ذهب يحتج هذا النوع من الاحتجاج صار به احتجاجه ـ ولا محالة ـ الى انكار جميع صفات الله وأفعاله ، اللازمة والمتعدية حتى يروح ينظم دينه وعقله وعلمه غزلا ونسيبا فى امتداح أطلال التعطيل . والتعطيل لم يزل خصم الاله والنبى والايمان ، ولم يزل جرثومة الكفر ومادة الالحاد

فهذا القول قائم على أمرين باطلين فاسدين ، أحدهما تسمية صفات الله حوادث وثانيهما إنكار الصفات على حساب إنكار الحوادث ، وكلا الأمرين إثم وجناية . فان تسمية صفات الله حوادث من الأسماء الباطلة المنكرة ، ومن القول على الله وفى الله من غير ما حجة ولا برهان . ومن أظلم ممن فعل ذلك ! وإنكار صفات الله على حساب إنكار الحوادث إثم وجناية أيضا ، فهما جنايتان قائمة إحداهما على الأخرى ومن القبيح أن يسمى الحق بأسماء الباطل كى ينكر على حساب انكار الباطل ، ومن

الأقبح أن يسمى الباطل بأسماء الحق كى يقبل ويحترم على حساب قبول الحق واحترامه ، وهاتان جريمتان متلازمتان قديمتان لم يزالا عون الباطل وحرب الحق !

أو ليس ما قاله هنا فى معنى أن يقال : ان إثبات صفات الرضا والغضب والمحبة والرحمة بمعانيها الحقيقية اللائقة بالله يلزمه قيام الصفات بالله ؟ ان هذا هو معنى ماقال الشيعى ، ولكن الفرق بينهما هو الفرق ما بين العبارتين ، فالشيعى اختار ألفاظا منكرة مبتدعة وعبارة زرية مرذوله ، فكان ملبسا مضللا ، ونحن اخترنا عبارة شرعية دينية معهودة ، فكانت مقبولة مرضية . وما من صفة من صفات الله إلا ويمكن تشويهها والتنفير من الايمان بها بالتعبير عنها التعابير المبتدعة الزرية المخيفة ، ولكن هذا لا يفعله من يريدون الحق والهداية . فقول هذا الرافضى إذن : ان إثبات هذه الصفات لله يلزمه أن يكون محلا للحوادث معناه فى التحقيق : ان اثبات الصفات لله يلزمه قيام الصفات بالله ، فاذا قيل : نعم ، ولماذا لا يجوز أن تقوم بالله صفات ، وهل يمكن غير هذا ؟ لم يكن لهم من جواب سوى تلك الحجج الواهية التى أنكروا بها الاستواء والعلو ، وقد أرينا القارىء الكريم حقيقة ذلك

أما تفسيره المحبة بميل القلب ، والرحمة برقته ، والغضب بهيجان النفس ، والرضا بعدم هيجانها ، فتفسير باطل كاذب ، وذلك ان هذا التفسير ان أمكن أن يصح فى صفات المخلوقين لم يمكن أن يصح فى صفات الله ، وذلك ان صفات الله لا تفسر بصفات خلقه وعباده ولا تقاس عليها كما أن ذاته لا تفسر بذوات خلقه ولا تقاس عليها ، وكما أن شؤونه لا تقاس على شؤون المخلوقين العاجزين الضعفاء . ومن فعل ذلك فقد ضل ضلالا بعيداً . وذلك أن الله بصفاته وذاته أعظم وأجل من أن تحيط به العقول المخلوقة المحدودة وأن تتحكم فيه ، ثم أجل وأعلى من أن تفهمه كما تفهم المخلوق المهين . والشىء لا يفسر بالشىء ولا يقاس عليه إلا اذا كان مثله أو قريبا منه ، أما اذا كان مباينا له كل المباينة فلن يكون ذلك التفسير وذلك

القياس إلا باطلين كاذبين . ولكن جل الله أن يكون له مثـل أو شبه . ونحن نجد معانى هذه الصفات ومعانى غيرها من الصفات مختلفة فى المخلوقات اختلاف حقائق وخصائص كما اختلفت المخلوقات أنفسها ، فأنى تتفق إذن صفات الله وصفات العباد وكيف تكون صفات من ليس كمثله شيء شبه صفات عباده ؟

واذا كان معلوماً لدى جميع المؤمنين بالله أن ذات الله لا تشبه ذوات العباد ، فليكن معلوماً أيضا أن صفاته لا تشبه صفاتهم ، وإذا كانت ذات الله ليست مادة ولا مركبة من أمثال اللحم والعظام والأعصاب وذوات الخلق لا تكون إلا كذلك فكذلك رحمته ومحبته ورضاه وغضبه ليست معانيها ما ذكره الشيعى وان كانت فى المخلوقات لا تكون إلا ما ذكر . واذا كان علم الله وخلقه وإرادته وكلامه وجميع صفاته المعترف بها ليست كصفات البشر وغيرهم من الخلق فأنى تكون هذه الصفات : الرحمة ، والمحبة ، والرضا ، والغضب ، مثل صفات عباده ـ ميلا ورقة وهدوءاً وهيجانا ، كما فسر ذلك الشيعى ؟ !

ان مما يرمي المنطق بالحيرة والعجز أن يجد لهذه الاسئلة جوابا الا أن يلجأ الى الاعتراف بما قلناه من أنه لا فرق بين ما يقرونه من ذات الله وصفاته ، وما ينكرونه من ذلك

ياهذا ! ان المسألة سهلة ميسورة قريبة ، فأنت تعترف بمخالفة ذات الله لذوات خلقه ـ وله ذات ولهم ذوات ـ فكيف تعجز بعد هذا أن تعترف بمخالفة صفاته لغيرها من صفات العباد ؟! وإن من المعقول المعروف ان الذوات اذا اختلفت اختلفت الصفات ، وان الذاتين المتباينتين لا يمكن أن تتفق صفاتهما ومعانيهما ، اذ لا شك أن الصفات تابعة للموصوفات ، فأمر يخالف أمراً فى الذات لا بد أن يخالفه فى الصفات ، ولا تتفق الصفات حتى تتفق الموصوفات . فيسير اذن على من آمن بأن ذات الله لا تشبه ذوات الخلق أن يؤمن بأن صفاته لا تشبه صفاتهم ،

فهذه من هذه ، والبابان سواء . وإذا كان في المسألة عسر أو غموض كان في الإيمان باختلاف الذوات لا في اختلاف الصفات المختلفة الذوات . ولكنك أنت يا هـذا مؤمن بأن الذوات مختلفة ، وان الايمان بذلك الاختلاف سهل ميسور ، فما عليك بعد من غضاضة في أن تؤمن بما ذكرنا من اختلاف الصفات التي ذواتها مختلفة

يا هذا ، ان القول باتفاق الصفات مع اختلاف الذوات قول باطل مخالف لمبادىء العلوم المنطقية ، وللمعقولات الاولية المشتركة بين العقلاء ، ومن زعم أن صفات ذاتين مختلفتين مماثلة متشابهة فقد نازع المنطق الصحيح والمعقول الصريح ، وقال قولا تأباه كل العلوم البشرية الصحيحة الثابتة . وما عليك ياهذا الا أن تفهم هذا فهما جيداً بعيداً عن ارث الهوى والعصبية والتقليد

ومن المناسب بعد هذا أن نذكر كلمة جاءت في كتاب « نهج البلاغة » الشيعي ترد على هذا الشيعي ما زعم هنا في تفسير هذه الصفات فنقول جاء في احدى الخطب المنسوبة الى الامام علي في وصف الله وتفسير صفاته قوله : « يريد ولا يضمر ، ويحب ويرضى من غير رقة ، ويبغض ويغضب من غير مشقة » هذا صريح من عليّ في ابطال ما زعمه الشيعي في تفسير هذه الصفات ، فهل هم سامعون ؟

لا يلزم الاستواء معرفة الكنه

واما قوله : « والقول بالاستواء يلزمه أحد أمرين التجسيم أو القول بالمحـال وكلاهما محال ، لأن حصول حقيقة الاستواء مع عدم الكيف محال بحكم العقل ، ومع الكيف تجسيم ، فلا بد من التأويل » فقول باطل أيضا غاية البطلان . أما أن الاستواء لا يلزمه التجسيم فقد سبق بيانه في فصل « شبه النافين لعلو الله » وأما أن ذلك أيضا لا يلزمه المحال فقد سبق بيانه أيضا في الفصل المذكور . وأما قوله : « ان حصول الاستواء مع عدم الكيف محال بحكم العقل » فيقال له : ما تقول في ذات الله

وفى وجوده وحقيقته ؟ ألست تقر بأن لله ذاتا وحقيقة ووجودا ؟ ان الجواب لا بد أن يكون « نعم » ثم نستأنف السؤال ونقول ما تقول فى الذات والوجود والحقيقة ؟ أتقول ان هذه الامور حاصلة بكيف أم بغير كيف ؟ فان قلت انها حاصلة بكيف قلنا هذا تجسيم وهو باطل كما ذكرت ، وان قلت بغير كيف قلنا هذا محال كما ذكرت في الاستواء وانكاره ، وما كان جوابا عن هذا كان جوابا عن الاستواء والعلو ولا فرق . وهذا إلزام لما ذكره على الاستواء والعلو لو أعير عقول العقلاء كافة ، ووهب بيان ملوك البيان جميعا ، ثم جهد على أن يجد مخرجا منه لما استطاع ، ولما كان منتهاه الا حيث كان مبتداه

هذا ما يقال من جهة الالزام ، وأما من جهة البحث الخالص فنقول : لا ندرى كيف لا يمكن الايمان بالشيء الا مع علم كيفه وكنهه ، ولا ندرى كيف يصح هذا القول أو كيف يطمع فى صحته !! ألسنا نؤمن بأرواحنا ايمانا لا شك فيه ، ولكننا نجهل كيف هى وكيف حصولها فى أبداننا . ولو زعمنا أننا نعلم كيف أرواحنا وكيف حلولها فى أجسامنا ، وكيف خروجها منها ، لزعمنا ما لا يصح زعمه . بل أليس كل انسان منا يعلم أن له ادراكا وشعورا ، واحساسا ، وعلما ، وسمعا ، وبصرا وغير ذلك من أعراض الحى النامي ؟ ولكن انسانا منا لا يدري كيف يحصل له ذلك ، ومن عرف أسباب هذه المعانى القريبة جهل — ولا شك — أسبابها البعيدة وجهل أسباب الاسباب ، وجهل كيف تحصل هذه الاسباب ، وكيف تكون هذه القوة المودعة فى هذه الاعضاء ، أعنى القوة التى تحصل بها هذه المعانى والمشاعر ... ولكننا مع جهلنا هذا كله لا نشك فى وجود شيء منه

بل نستطيع أن نقول ان كل موجود — مهما كان وجوده — لا نعلم كيف هو ، ولا كيف يكون ، ولا كيف يتطور ، ولا كيف يصرعه الزوال والاضمحلال ، مع قربه منا وقربنا منه ، ومشاهدتنا إياه الليل والنهار . هذه الكهرباء أقرب شيء

الينا وأعلق شيء بنا ، نشاهد آثارها وأعمالها وخصائصها ، ونستخدمها ونستمد منها ما نستمد ، ومع هذا كله لا يعرف كيف هي ولا كيف كنهها وحقيقتها

اذن من الخطل العظيم الزعم أن الايمان بالشيء مقارن لمعرفة كنهه وكيف هو

واذن من الخطل العظيم قول الشيعي في هذا الفصل الذي نقلناه : « والجحود للصفة والاقرار بها حكم عليها ، والحكم على الشيء فرع معرفته ، والأمر الذي يكون فوق العقل لا يمكن للعقل الاذعان به » ، وإذن فالحكم على الله بالوجود فرع معرفته والله لا يمكن أن يعرف المعرفة التي يعنيها الشيعي ، وإذاً لا يمكن الحكم بوجوده ، ولا الاذعان به ، لأنه فوق العقول ، وفوق إدراكها وأفهامها ، فمن آمن بالله فقد زعم أنه في متناول عقله وأنه ليس فوق إدراكه ، ومن زعم أن الله ليس فوق عقله ، وأن في قوة إدراكه أن يفهم ذاته وحقيقتها فقد كذب وضل الضلال الأبعد ، فكيف يخلص هذا الرجل المؤلف من عاقبة أقواله ؟

يعز عليَّ والله أن أعرف بأي قلم يكتب هذا الرافضي وبأي عقل يفكر ، ويعز عليَّ أن أعرف كيف يرضى لنفسه أن تتساقط في هذه الدركات ، وأن ينتحر هذا الانتحار العلمي الشنيع طائعاً مختاراً ، ويعز على والله أن ينغمس في هذا النقصان العلمي العقلي قلم من يشهد ألا اله الا الله وأن محمداً رسول الله . يعز عليَّ كل هذا ، ثم يعز على أن يقوم صاحب هذه المزاعم ينعى على أنجب عقلية اسلامية في جميع القرون الاسلامية الوسطى ، ويسمها بالجهالة والغبارة ، كما سوف يجيء ، يعز على والله كل هذا ، ثم يعز على أن يتدحرج في هذا النقص رجال يؤمنون بالله وبرسوله رسول الحكمة والعقل والصواب ، هذا يعز على ، ثم يعز على أن يكذّب قول الامام مالك المشهور : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة » بأمثال هذه الأوهام المخزية . وهذه الرواية عن الامام مالك التي زعم أنها كذب رواية صحيحة المعنى والاسناد ، وقد جاءت عن مالك وعن غيره بأسانيد صحاح . قال

الحافظ الذهبي في كتاب العلو ان الرواية ثابتة عن مالك صحيحة ، وقال الحافظ ابن حجر فى شرح صحيح البخارى : ان سند الرواية قوى ، وقال أيضاً قد أخرجها الامام أبو القاسم اللالكائى فى كتاب السنة بالاسناد الى أم سلمة زوج النبى ، قال : ورواها أيضا اللالكائى بالاسناد عن الامام ربيعة شيخ مالك ، وذكرها عن ربيعة الحافظ الذهبى فى كتاب العلو بالاسناد ، ورواها غير هؤلاء . وقد تواتر معنى هذه الرواية عن السلف والأئمة ، فقد كان السلف قاطبة يؤمنون بذلك ويرفعون عنه الكيف ، ويشتدون على من أنكره أو سأل عن الكيف . وأى مسلم يأبى الايمان بذلك أو يظن أنه يستطيع أن يعرف كيف هو ، أو كيف ذات الله أو كيف صفاته ، أو يأبى الايمان بهذه الأمور حتى يعلم الكنه والكيف ؟ أو ليس كل مؤمن يقول : ان الايمان بالله واجب ومعلوم ، وأن الكيف مجهول ، وأن السؤال عنه ـ أى عن الكيف ـ بدعة ؟ وأي عارف بالله يسأل سؤال مالك فلا يجاوب جوابه ؟ الله موجود ، فكيف وجوده ؟ ألا يكون الجواب الذى لا بد منه أن الوجود معلوم ، وأن الله موجود معروف بدلائل مخلوقاته ، وآثاره الظاهرة والباطنة ، وأن الكيف مجهول ، والسؤال عنه ـ عن الكيف ـ بدعة ؟ ان هذا جواب لا يختلف العلماء أهل البصر فيه اذا سئلوا السؤال المذكور ، وهذا السؤال وهذا الجواب كالسؤال والجواب المذكورين فى الحكاية المروية عن الامام مالك التى لم يتسع لما صدر هذا الرافضى ولا علمه فأكذبها

« الرحمن على العرش استوى »

كيف استوى ؟

ان الاستواء معلوم بالفطرة وبالعقل وبالاجماع وبالنصوص المتواترة عن السلف ، وان الكيف مجهول ، إذ كيف يعلم المخلوق ـ المحدود ذهنا وعقلا وجسما

وبداية ونهاية وكل شيء ـ الله أو صفاته أو صفة من صفاته ؟ ! وكيف يعلم هذا المخلوق الحقير الزرى كنه الله وكنه استوائه ، وهو عاجز عن أن يعلم كنه نفسه وكنه روحه وكنه ما يحيط بجهاته ؟ ! ان هذا ما لا يكون . وان السؤال عن الكيف بدعة ، لأنه لم يؤثر فى الاسلام ، ولأن علمه فوق الطاقة ، ولأنه يوقع فى الاثم والضلالة ، ولأنه قول على الله وفى الله بلا علم ولا دراية . هذا جواب لا يختلف المؤمنون بالله فيه اذا سئلوا ذلك السؤال الذى سئله الامام مالك . فماذا ينكر الشيعى ، وبماذا يكذب بهذا الصدق عن أئمة الصدق ؟ ان هذه الرواية صحيحة الاسناد ، صحيحة المعنى بلا شك ولا ريب

أما ما ذكره عن الامام مالك من استقبال القبر الشريف والتوسل بصاحبه عليه الصلاة والسلام فندع الكلام فيه للباب الخاص به الآتى

ابن تيمية

ولم أر أمثال الرجال تفاوتوا لدى الفضل حتى عد ألف بواحد

ان التفاوت المقدور بين افراد النوع الانسانى تفاوت لم يقدر بين أفراد نوع آخر من أنواع هذه الخليقة الغريبة العظيمة ، فالتفاوت الكائن بين أفراد فصائل هذه المخلوقات هو تفاوت محدود ضئيل بقدر محدود ضئيل أيضا ، قريب النسبة والشبه ، قريب « الكم » و « الكيف » تفاوت لا يجل حتى يسود فصيلة فرد منها ويزن العدد الكثير فضلا واستحقاقا وجدارة . أما التفاوت بين أفراد نوع الانسان فهو تفاوت عظيم لا يقف عند حد ، ولا تحيط به غاية من الغايات ، ولا يخضع لقانون من قوانين الطبيعة المحدودة الضئيلة العاجزة . فأكثر أفراد الانسان كهؤلاء الذين نراهم يلجون هذه الدنيا من بابها الخشبى ثم تقذف بهم وراء سورها الفولاذي ، لم يخلفوا وراءهم فيها من آثار سوى « عملية » الولادة

وضائها ، ثم عملية الاكل والشرب وبلائها ، ثم « عملية » الموت والتكفين والدفن وأرزائها ، ثم ما بين ذلك وما بعده من ذكرى خانقة رياحها أرواح فضائل الانسان الكامل

ثم من الانسان أفراد ـ وما أقلهم ـ ليسوا كهؤلاء الذين نراهم صباح مساء الا بقدر ما كستهم يد الله من الثوب الظاهر المساوي لأثواب هؤلاء الجماهير الظاهرة لكى يستطيعوا الاتصال بهم ، ولكى يأنسوا بمرآهم اذا أوحش ما بينهم وبينهم سمو السماء على الارض ومفارقة الرذيلة للفضيلة واستيحاش معنى الشيطان من معنى النبي

وقد جلّ هذا التفاوت بين أفراد هذا النوع ، حتى ان الفرد منه ليسمو به معناه حتى يصبح أهلا لأن يتصل بالله ، وأن يقربه منه نجيا ، ويحمله رسالاته وشرائعه وأسراره ، حتى يفترض على جميع أفراده أن يخضعوا معانيهم وعقائدهم ونفوسهم لمعنى هذا الفرد وعقيدته ونفسه وماجاء به من الآداب والشرائع ... وتنزل بأفراد آخرين معانيهم ونفوسهم حتى لا يقدروا على الانفلات من معنى من معاني الحيوان الأعجم البهيم ، بل حتى يروحوا يعلمون الحيوان فنوناً من أفانين الحيوانية « الانسانية » المبتكرة فيصبحون أساتذة لهذا المخلوق الأعجم البهيم . وهذا شأن جماهير هذا الانسان المغرور . وليس مابين هذا النجم المالىء للدنيا نوراً وحبوراً وحياة وجمالا ، هذا النجم الذى نسميه « بالشمس » وبين أضأل نجم لا تكاد العين الحادة تراه يبص مطلا من خلال الظلم الحالكة بصيص الأمل المريض فى الجبهة المحدودة المريضة من تفاوت بأعظم مما بين أفراد نوع الانسان العجيب من التفاوت المنقطع النسبة ، وليست حاجة ما في هذه الأرض من حيوان ونبات الى هذه الشمس والى نورها وحرارتها وسائر معانيها وخصائصها بأشد من حاجة معاني هؤلاء الأفراد والجماهير ، وحاجة أرواحهم ، بل وبقائهم فى هذه الدنيا إلى

هؤلاء الأفراد الممتازين منهم ، وإلى نبوغهم بينهم الحين بعد الحين حتى لا تنقطع آثارهم وتعاليمهم ومعانيهم وما جاؤا به من المعانى والآداب السماوية التى لولا وجود هذا القدر الضئيل منها بين تقائص هذه الجماهير ومخازيهم المطبوعة لأصبحت الأرض غيرها اليوم ، ولكان الانسان شيئاً آخر غيره اليوم ، فان كل ما تشهده الأحيان الفارطة المجلى من المعنى الصالح الجميل ، والفعل الطاهر المقدس الغريب لامعاً على مسرح هذا الكون الآثم الفاسق الدنس إنما مردُّه الى هؤلاء الأفراد الممتازين ، من بقايا ما خلفوه من الآثار والمعانى الممتازة ، ولولا هذا لأصبحت الأرض بأهلها جحيما لا يطاق ، وأتون رجس لا يطهر أبداً ، ولهذا فان الجانب الذي ينقص حظه من هؤلاء الممتازين ومن آثارهم وهداياتهم ومعانيهم الموروثة ينقص حظ أهله من ذلك بقدره من الطهارة والسمو الروحى النفسى ، ويزداد بقدر ما نقص من الشقاء والآثام والنزول الروحى والرجاسة النفسية ، وكل ما لهذا المعنى من آثار ومعان قبيحة مجرمة تعانيها اليوم أمم وصفت بالمدنية وبالزعامة العالمية الثقافية المخذولة ، ومن أبصر علم

وهنالك فريق آخر دون هذا الفريق الذى نسميه ممتاز الممتاز ليسوا بالأنبياء ولا بالمرسلين ، ولا بالمتصلين برب العالمين ، ولكن الله القدير المريد قد أعدهم لحمل ما يخلفه الأنبياء والمرسلون من المعارف والآثار والعلوم ، فاختصهم بقسم من السمو الروحى والعظمة النفسية ، تجيء الأمم تلو الأمم ، ثم تذهب تباعا ، ولم يقدر لها كلها معرفة ما خصهم الله به من هذا القسم ، ولا معرفة ما كانت عليه نفوسهم التى عاشوا بها بين الجماهير من السمو والعظم والفضل الذى لا يعلم قدره إلا واهبه وواهب كل فضل وخير ونعمة بالغة سابغة

ومن الغريب فى هذا القسم الممتاز أنه كلما أمعن ذهاباً فى عالم الخفاء وضح أمره وفضله ، وان من تخلفوا عنه زماناً ومكانا يعرفون من حسن آثاره وأياديه

البيضاء على الجميع ما لم يعرفه المعاصرون له ، الذين كانوا يرونه صباح مساء ، وهذا لأن عيون المعاصرة عمياء ، ولأن هوى المعاصرة شيطان قوى ، لا شغل له إلا منازلة الحسنات والقضاء على أصحابها بسلاح الشيطان نفسه ، لا بسلاح المخاصمة المحترمة المنصفة ، فما أحسن أثرهم هم فى الناس ، وأقبح أثر الناس فيهم !

وقد كان من ألمع هؤلاء المتازين الذين أعدتهم ارادة الله لحمل رسالة الاصلاح الثقيلة ، شيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، الحرانى ثم الدمشقى ، النابغة المشهور المولود سنة ٦٦١ ﻫ ، المتوفى سنة ٧٢٨

افتر ثغر السماء عن نجم هذا النابغة ، وأضاء كوكبه الوقاد فى أفق العالم العربى الاسلامى بعد أن نكب الاسلام والمسلمون والعرب على وجه الخصوص بأعظم النكبات المادية والمعنوية الروحية ، الخاصة والعامة ، وبعد أن اصطلحت عليهم وعلية جميع الأرزاء الجسام التى طاحت بأفضل المعانى الروحية الخلقية الاعتقادية ، التى نشر العرب والمسلمون بها رسالة لله ، واستطاعوا بها وحدها أن يقصوا أجنحة أعظم ظلم كان يسود الأرض إذ ذاك ، وقلموا أيضا بها وحدها أظفار أطغى الأمم الطاغية ، العريقة فى نسب الطغيان ، ونسب القوة المادية الآثمة . فقد أصيب الاسلام وأممه قبل تلألؤ هذا النجم الثاقب في الأفق العربى الاسلامى المحمدى بأشتات المصيبات التى صرعت أعز ما كان يفتخر به المسلم ، وأعظم ما كان يفل به الحديد ، ويشقت نظام الجموع الظالمة الباغية ، ويفلق به هامات الباطل ، ويذل به كل عزيز بغير الحق وبغير الله الحق ، فقد أصيب الإسلام بدسائس الشيعة الباطنية الملحدة ، وبثوراتهم المظهرة والمضمرة ، وبما نسجوه من حيل ومكايد سلطوها على جوهر الاسلام وصميم التوحيد ، وعلى مكان الايمان والعقيدة والفضل من النفوس المسلمة فقتلت من قتلت ، وجرحت من جرحت . ثم أصيب بالقرامطة ، أحد فروع الشيعة الغالية الباغية ، وبالتتار وبالصليبيين ، وبغير هؤلاء من الأرزاء الآخذ بعضها

برقاب بعض ، سلسلة طويلة الحلقات ، متماسكة النظام ، يجر أولها آخرها ، مندفعة كلها بحماسة وحرارة نادرتين الى معنى القرآن ومعانى أهله الايقاع به وبهم إيقاعا يظل التاريخ يتحدث عنه ما دام للتاريخ حديث ، وما دام له محدثون . فتم لها حقا أعظم ما أرادت وما اشتهت . فنالت من الاسلام ومن المسلمين أعظم منال ، ومثلت به وبهم أقبح تمثيل ، ولا يزال يئن كما لا يزالون يئنون من تلك الجراحات والضربات القوية ، ولا يزال مقيداً كما لا يزالون مقيدين بتلك الأصفاد التى كبل بها وكبلوا ، والله المستعان على تحطيم ذلك كله

أفسدت هذه الفتن معنى الاسلام ومعنى المسلم ، حتى صار الاسلام غير الاسلام وصار المسلمون غير المسلمين : استبدلوا الشرك بالتوحيد ، وعبادة الأموات بعبادة الله ، وهذيان اليونان ، وهذيان فلان وفلان بالقرآن ، ورعونات ابن سينا ، وأخلاط مزدك وخازر وقرمط بسنة محمد ﷺ ، واستبدلوا ماتناثر عليهم من عقائد اليهود الباطلة ، وفضلات المجوس والفرس ودسائسهم العقلية والدينية بسنة المسلمين وطريق السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، فوضعوا على كل شىء فى الاسلام جميل مشرق الصورة والمعنى نطاقا كثيفا من القبح والسخف الممقوت والحماقات المرذولة ، فانطفأت تلك الشعل الالهية المقدسة الأخاذة بالأبصار والبصائر ، وانطمس ذلك الدين الأغر البهيج تحت تلك الاطلال والانقاض المخلفة من بقايا تلك الأديان البالية المحرفة ، فاستعجمت الأنفس والعقول ، واستعجمت الألسنة والعادات ، واستعجمت الحكومات والسياسات والادارات وكل شىء كان اسلاميا عربيا مبينا ، فاختفى وجه الحق وبعد مناله على طالبيه ، فاستشعر المسلمون الذلة والضعف ، ورضوا بالدون والهون والقسمة الخاسرة الضيزى ، وخفقت الرؤوس والنفوس ، وكان ما كان بنتائجه وغاياته الالهية الطبعية اللازمة . وكان احدى هذه النتائج والغايات أن ذاب المسلمون أمام سيل التتار والصليبيين ، فنالوا

منهم ومن الاسلام ما نالوا ، وضربوه وضربوهم ضربات هـذه بقايا جراحاتها وآثارها مشهودة منظورة فى العالم الاسلامي المنكوب ، والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، ولا يظلم ربك أحدا

هذه بعض حالة الاسلام والمسلمين الاجمالية حينما تلألأ هذا الكوكب الوهاج بين هذه الحنادس الحالكة التى أعدت لتبديدها هذه النفس التى نظر الله اليهـا نظرة واحدة أعدتها لحمل هذه الرسالة العليا ، ولاحياء رسالة خاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . ان الحمل لثقيل باهظ منقض كاهل العزم الجبار العنيد ، ولكن حرارة الايمان تستطيع أن تصهر وتذيب كل شيء يقف فى سبيل الخير والهدى والرشاد . فماذا إذن يفعل ؟

نظر فيمن حوله وما حوله . فوجد كل شيء فاسداً يحتاج الى الاصلاح والعلاج والثورة الحازمة ، ووجد أن هذا الاصلاح المطلوب لا يمكن أن يكون إلا بمعاداة أكثر هؤلاء الجماهير الضالة عن سبيل الله ، ووجد أن هذه المعاداة لا بد لها من الأخطار ، ولا بد لها من الاستهانة بالأخطار . فالنفس والجسم رخيصان فى سبيل أداء رسالة الله وإصلاح خلقه ، والنفس والجسم ملك لله . فهو واهبهما وآخذهما متى شاء رغم كل شيء فلا ربح فى الضن بهما ، والنفس والجسم ان لم يضح بهما فى سبيل الله ويباعا لله ولدينه ضحى بهما وبيعا فى سبيل الشهوات . أو ضحت بهما الأمراض والنكبات ، وان لم يذبهما الجهاد فى سبيل الحق والاصلاح للخلق أذابهما الأكل والشرب ، وإن لم يصرعا فى ميدان الحق صرعا فى ميدان الباطل فما أضل اذن وأغبى من يبخل بنفسه وجسمه على الله وعلى الحق وهداية الخلق ثم يسخو بهما ــ مغتبطاً بصفقته ــ على هذه الشهوات الحيوانية التى يشارك الانسان فيها جميع الحيوانات والدواب ! إن هذا لشر الضلال وأخسر الصفقات .

أترى هؤلاء ــ الذين يعيشون ليعيشوا ، ويأكلون ليأكلوا ، ويشربون ليشربوا

ويحيون ليحيوا - راشدين مهتدين ؟ أو ترى هؤلاء الذين يرضون بالهزيمة الروحية والانتحار النفسي والعيش فى كنف الذل والباطل والهوان خيفة أن يعرضوا شهواتهم ولذاتهم وآكالهم وأشربتهم وحاجات أجسامهم الأخرى للنقصان والضياع راشدين مهتدين ؟ أو ترى هؤلاء الذين يطلبون الحياة والعز بمداراة الموت والذل راشدين فى سجل الوسائل والغايات ؟ أو ترى هذه النفس الانسانية خليقة بأن تكون خادمة لهذه الدنيا ، بل لحاجات هذا الجسم الضئيل المادي ؟ وما حاجاته سوى الاكل والشراب المستحيلين بعد الى مايؤنف من ذكره واسمه ! أترى أحداً من هؤلاء الناس عاقلا أو سالكا سبيل العاقلين ؟ بل أترى الانسان الذى زعم لنفسه أنه صفوة المخلوقات خلق هذا الخلق البديع وخص بهذا العقل العجيب . ثم لا تكون الغاية منه سوى غاية أكثر هؤلاء الجماهير من هذا الانسان المغبون ، حياة البهائم : أكل وشرب ، وما يتبع الاكل والشرب ، ثم موت كموت البهائم ؟

تراكضت هذه الأسئلة عجلى على خاطر هذا النابغة الشفاف المشرق فكان جوابه عليها كلها بلا توقف ولا تريث : كلا والله ، ان الأمر لغير ذلك وان حياة الانسان لأعلى وأغلى من أن تباع لشهوات هذه الدنيا التى هي ممر مختصر الى منزل الانسان الاول والآخر . فلا بد من اجتياز هذا الممر بغاية مايستطاع من النشاط والحزم والعزم والسرعة والحركة : هذا ما لا بد منه وليكن بعد ذلك ما يكون . فالعاقبة معروفة مضمونة على كل حال . إذن فليهاجم الباطل من كل نواحيه ، ولتدك قلاعه وحصونه فوق من لاذوا بها ومن ناموا تحت ظلها البارد العيش . هؤلاء العلماء قد قعدوا عن نصرة الحق وعن مقالته رغبة فى الدنيا . فركبهم رجال الدنيا الظالمون مطايا الى شهواتهم ومآربهم الدنيا ولبئس ما كانوا يفعلون ! بل وأكثرهم جهلوا الحق وضلوه فأضلوا كثيرا

وهؤلاء جماهير العامة نهب مقسم بين ضلالات العلماء وظلامات الرؤساء ،
فليهاجم هؤلاء كلهم على منهاج الشرع المضاع ومنهاج العقل المنسى

نهد هذا النابغة لكل فرقة من هذه الفرق يدعوها الى الحق بعد أن يعرضه عليها عرضاً جلياً واضحاً مؤيداً بالكتاب والسنة والمعقولات الخالدة المشتركة . فوضع كتبا خالدة فى جميع الفرق المنحرفة عن الحق ، وفى نقد ما عندها من ضلال وباطل وعدول عن منهاج الحكمة والصواب . وكان قد اجتمع له من أسباب المقدرة على نقد الباطل وكشف خباياه ما قد يقل أن يجتمع لسواه . وهذا من أسرار حكم الله اللطيفة الخفية ، لأن العصر الذى كان فيه ، والميدان الذى وقف على شطيه وضفافيه كانا يحتاجان الى ذلك ، وقد اعترف له بجميع هذا أجحد جاحدى فضله ومنكرى شمسه . فهاجم الفلاسفة الملحدين ، وهاجم المتكلمين المخلطين ، وهاجم المشبهين والمعطلين ، وهاجم سائر المبتدعين ، وهاجم القبوريين ، أو القبريين على قول المتنطعين ، وهاجم غير هؤلاء من أصناف المبتدعة الضالين . وقد هاجم الرافضة والفرق المتفرعة عنهم كالقرامطة بحدة وشدة ، وذلك لكثرة مصائب هؤلاء وعظم ما نكب الاسلام والمسلمون بهم . فالرجل نفاذ البصيرة ، حادّ الذهن ، لا يقول فى طائفة قولا ، ولا يضعها وضعا ، الا ويكاد لا يخطىء مرماه ، وقد كان صريحا جداً ، شجاعا جداً ، وكان شجاعا فى صراحته ، صريحا فى شجاعته ، فكان لا يتهيب أن ينقد الرجل الكبير الشهير ، ذا الاتباع والأنصار الا كثرين ، بل ولا يورّى أو يصانع اذا نقد أحد هؤلاء ، فنجده ينقد مثل الغزالى وابن رشد والرازى من المتكلمين المتفلسفين بصراحة وجراءة ، ويسميهم فى نقده ويعدد عليهم الأغلاط التى صاروا اليها ، ونجده ينقد مثل ابن عربى وابن الفارض ، والحلاج وغيرهم من المتصوفين الاتحاديين بصراحة وجراءة ويسميهم بأسمائهم ولا يهاب أن يقول للجانب الأسود فيهم انه جانب أسود ، أو أن يقول للابيض

انه أبيض وان زعموه جميعا أسود ، فيعدد عليهم أغلاطهم وما قاله العلماء فيهم من المقادح والتهم الكبيرة ، ولكن على شرط أن تكون صحيحة ، ونجده ينقد الأشاعرة وغيرهم من الطوائف المشهورة بصراحة وجراءة ، ويعدد ما لديهم من الأغلاط والأخلاط ، وينقد كبار الفقهاء والمفسرين والمؤرخين اذا انحرفوا عن الصواب بالصراحة المعهودة

كان شجاعا صريحا كما ذكرنا ، فكان لا يهاب أن ينقد هؤلاء الرجال وسواهم اذا خرجوا عن جادة السلف الصالح والرعيل الأول نقداً لا مصانعة فيه ولا ظلم ولا عدوان ، بل يعترف للمخطىء بمحامده وفضائله ، وما كان غضبه على الرجل ورده عليه ما عنده من الأخطاء ليمنعه من أن يعترف له بالفضل الثابت ، فكان غضوبا للحق صريحا فى غضبه ، ولكنه كان عادلا فى ذلك منصفا ، وكان كل ما يريده من هؤلاء الذين ينقدهم ويعرض للرد عليهم ومهاجمتهم هو أن يأخذوا أخذ السلف الأول من الصحابة والتابعين المهتدين ، والائمة الراشدين كالائمة الاربعة وشيوخ الاحاديث والاخبار ، ولهذا كان معظما للسلف كل التعظيم ، مشيداً بفضائلهم ومناقبهم كل الاشادة ، غضوبا لهم أشد الغضب ، شديدا على من عابوهم وسبوهم أعظم الشدة ، ومن هنا كان شديدا على الرافضة والشيعة الغالية السبابة العيابة ، ولهذا السبب نفسه كان مغضوبا عليه مكروها أشد الكراهية لدى هذه الطائفة . وقد وضع فى الدفاع عن الصحابة والسلف ، وفى نقد خصومهم والمعتدين عليهم من الشيعة كتابا خالدا عظيم القدر جليل المباحث ، وهذا الكتاب هو المعروف « بمنهاج السنة » فهو بحق يعد مدره السلف الفصيح ، ولسانهم الناطق ، وصوتهم الدائم الندى ، وحجتهم الظاهرة ، وآيتهم القاهرة الباهرة ، وكتابهم المنشور الخالد ، وهو المذيع لعلومهم ، الناشر لها

كانت هذه المباحث الجليلة العليا قبل أن يكتب عنها هذا النابغة ، وقبل أن

يمسها بقلمه الالهي البليغ مفرّقة الدلائل ، مشتتة البراهين ، فاترة جامدة ، وكانت مطموسة مغمورة تحت طبقات هائلة كثيفة من أبخرة الضلال وقساطل الباطل الخيف ، وكان طالبها القليل النادر يعز عليه أن يظفر بها وأن يراها كما ذكرنا ، وكان اذا وجدها وجدها بشكل ضعيف لا يدعو الى الاطمئنان التام والرضا الشافي ، وكان لقلة النصير والموافق هيوبا مستخفيا ، كثير التردد والاحجام والوقوف ، وكان يعاني غير ذلك ، فلما أن قام هذا النابغة الهائل فمسها بقلمه البليغ وحفها ببيانه الباهر وحججه الظاهرة القاهرة ، ووقف بها وقفة طويلة وقصيرة ، وأخيرا لما أن كتب فيها وقال بصوته الرنان المقيم المقعد : أيها الضالون ، أيها المترددون ، ألا ، ألا ، ها هو الحق ، ها هي الحقيقة ، ها هو مراد الله ودينه وشرعه . أجابه كل شيء ـ ما سوى الهوى والحسد ـ : أن قد صدقت وهديت وبررت ، والى اليوم لا يزال هذا هو جواب كل شيء ما سوى الهوى والحسد ، قاتل الله الهوى والحسد ، وقاتل من طاف بكعبتهما وأمّ قبلتهما

من الذي جعل عبادة القبور والانقطاع الى الاموات علماً مدروساً مجموع الاطراف والبراهين قبل هذا النابغة العظيم ؟ ومن الذى جعل الكلام فى صفات الله وأسمائه علماً مدروساً محبوك الأطراف مجموع الحجج قبل هذا النابغة العظيم ؟ ومن الذى هتك الأستار وكشف الأسرار عن أولئك الاتحاديين الملحدين قبل هذا النابغة العظيم ؟ ومن الذي رد جيوش الرافضة أعداء السلف وخصوم الصحابة وشنأة ملوك الاسلام وخلفائه ، مدحورين مكسورين ، ينعب على جموعهم غراب الذلة ، وبومة الهوان قبل هذا النابغة العظيم . نضر الله وجهه ونضر وجه والدين نجلاه ، وأعز أرضا حملته وأظلته ؟ ومن الذى كشف نيات الباطنية الملحدين وسدد الى مراميهم الخبيثة سهم الله القاتل المصمى قبل هذا النابغة العظيم ؟ ومن الذي دحر عباد الصلبان ، وعباد الأحبار والرهبان ، ووضع على جباههم تراب

الهون والهوان قبل هذا النابغة العظيم ؟ ومن الذي مثل بمنطق اليونان الذى عده المفتونون فوق القرآن . فأضلوا به أهل الايمان . وحكوه فى كلام الله وكلام الأنبياء والمرسلين ، وأصاروه الحكم المحكم فى عقائدهم ودينهم وإيمانهم : ـ من الذى أصار هذا المنطق أضحوكة المؤمنين قبل هذا النابغة العظيم ؟ ومن الذي حكم بين دولتى المعقول والمنقول ، وماز بين هذا وهذا وأبان وظيفة هذا ووظيفة هذا ، ومن الذي أبلغ النـاس هذا البلاغ أن المعقولات الصريحة لا يمكن أن تخالف المنقولات الصحيحه ، بعد أن حار فى هذه القضية كبار النظار وضل فيها فحول المتكلمين ، مثل فخر الدين الرازى ونظرائه : ـ من الذي فعل هذا كله قبل هذا النابغة العظيم ؟ ومن الذى استطاع أن يهجم على ضلالات كبار الاتحادية الملحدين ، أمثال ابن عربى الطائى والحلاج وابن الفارض وابن سبعين ، ومن الذى جلى دخائلهم وخفيات أغراضهم وما يرمون اليه من إلحاد جارف ، وكفر كثيف عنيف قبل هذا النابغة العظيم ؟ ومن الذي أظهر زيغ أهل الفلسفـة الضالة الهازلة ، وأظهر جناياتهم على الأديان والعقائد والعقول ، أمثال ابن سينا والفارابى ، وأشباههما من قادة الكفر المحلى بأثواب الايمان والاسلام قبل هذا النابغة العظيم ؟

ارفضت الانسانية بعد عناء عن هذا الرجل الذي لا كالرجال ، فنظر حوله فوجد أمهات المسائل الاعتقادية الكبرى ، وأشدها غموضاً وخفاء تنتظر رجلها الموقوت المنتظر ، ثم وجد هذه المسائل الكبرى الغامضة قد عقد نطاق بعد نطاق من الشبهات والريب الموبقة حول نارها المحرقة للايمان ، المذيبة لبرده وبرده ، وقد ترامي فيها الخاصة قبل العامة من أهل ذلك العصر الضال أهله : هؤلاء هم الفلاسفة الملحدون ، قد أوردوا على ايمان المؤمنين ، ويقين الموقنين مالا قبل لهم بدفعه أو رفعه من الشبهات والمعارضات الماثلة التى أوقعوا فى حبائلها من شاء الله

من قادة الفكر والفلسفة في ذلك العهد ، فأوردوا مشاغباتهم وشبهاتهم على قدم العالم وخلوده ، وعلى اختيار الله ، وعلى العقل الأول ، وعلى الواحد لا يصدر عنه إلا واحد ، وعلى النبوات وأعظم الالهيات ، وعلى غير ذلك مما هو معلوم مدوّن ، ومما لا تزال شظاياه تلفح قلوب وعقول قوم أعرضوا عن مهابط اليقين ، ورغبوا عن تراث المرسلين ، وهؤلاء هم الاتحادية السخفاء المترنمون بأناشيد وحدة الوجود واتحاد الخالق والمخلوق ، بمعنى أنه ليس هنالك رب ومربوب ، ولا مؤمن وكافر ولا عالم وجاهل ، بل ليس هنالك انسان وحيوان ، ولا ملك وشيطان ، الى آخر هذا الهذيان الذى أصيب بمكروبه القاتل قوم وصفوا بالايمان والولاية ، والعلم والتحقيق المرجوع اليه . وقد طاح فى هذا الميدان رجال ما كان أحذقهم وأذ كاهم وأصفاهم أذهانا وألبابا ، ولكن أسرار مشيئة الله من وراء ذلك كله ، ومن فوق الذكاء والعلم وجميع المواهب الكاملة والناقصة : هؤلاء الاتحادية المرضى قد أصابوا من شاء الله من أهل الايمان والدين ، وأفسدوا العقول والفطر بمرض الاتحاد الموبوء ، وأطالوا فى تجميل هـذا المرض ونشره ، وجهدوا لايقاع من وصلوا الى قلبه وعقله فيه من خاصة الناس وعامتهم ، وهؤلاء المفتونون بفلسفة اليونان ومنطقهم الناقص المتهافت قد احتاشوا المؤمنين الى ناره فأحرقوا بها تلك الدائرة المكفوفة على احترام القرآن ونصوصه ، وكلام النبوة وأحاديثها ، إذ راحوا يزعمون لهم أن القرآن وأن الأخبار النبوية وأن جميع النصوص المنزلة على الأنبياء والمرسلين ليست أداة إيقان ، ولا مصدر ايمان ، فلا يليق الرجوع اليها فى نسق الاعتقاديات المطلوب فيها اليقين الذى لا يناله الشك ، وأنه لا مناص من الرجوع فى أمر كهذا الى منطق اليونان ، والى ما قاله فلان وفلان ، فراجت هذه الدعاية الضالة ، ووجدت فى المؤمنين من زادوها تنغيما وتلحينا ، فزلت أقدام ، وضلت أفهام . وهؤلاء المعطلون لذات الله ، المجردون لذاته من الصفات ، من أركان المبتدعين ،

وأصناف الفرق الحيرى كالمعتزلة والشيعة ، والمؤمنين من طريق الفلسفة الناقصة ، وغير هؤلاء قد أطالوا الشغب والاحتجاج على تجريد ذات الله من الصفات الثبوتية ثم وصفه بالأوصاف العدمية السلبية ، ومن القول بخلق القرآن ، الى غير ذلك من أقوال الضالين عن صحيح المعقول والمنقول ، وقد دانت لهؤلاء الشبهات ودان لهم سلطان الاشكالات ، حتى كادت أصواتهم تكبت كل صوت

وهؤلاء الباطنية المنافقون المخادعون قد أجادوا إخفاء أمرهم ، وترويج كفرهم ، بما أضفوه على ذلك من لبوس الايمان ، والتحقيق الدقيق ، والفلسفة العتيدة العميقة ، حتى ضللوا على الناس أمورهم وأغراضهم الحقيقية ، فأضلوا كثيراً . وهؤلاء الرافضة قد رفعوا أصواتهم وعقائرهم بسب السلف ، والوقيعة فى صحابة النبوة ، وقد مردوا على إكفار المؤمنين ، وثلب المسلمين ، حتى زوروا فى ذلك الكتب والأسفار ، ودعوا اليها الناس بلا حياء ولا حذار ، فأغووا بعض من بأيديهم السلطة الحاكمة ، فنيلت ظهور المؤمنين ، وجرحت مشاعرهم وعقائدهم ونفوسهم ، وكان ماكان ، وأحدثوا ما أحدثوا من الشبهات والمعارضات والمشاغبات فى ايمان الصحابة — ولا سيما الكبار منهم — وفى دينهم . وها هم عباد الصلبان قد استطالوا على المسلمين وعلى نبيهم ودينهم ، ونسجوا ما نسجوا من الأكاذيب والأوهام والمغالطات القوية المضلة ، وهاهم غير هؤلاء وهؤلاء من خصوم الشعلة الالهية المقدسة المتقدة فى جزيرة العرب لاخراج الانسانية — أينما كانت — من ظلمات المادة ، وظلمات ما اختلقت المادة من العقائد والمذاهب المردية الفاسدة ، فقد صاروا إلبا واحداً ، وصفاً صفا لاطفاء هذه الشعلة المتقدة هنالك بين الصحراء والسماء ، أنقى البقاع جوا وهواء ، وأطهرها أرضا وسماء ، وأصفها نفوساً وقلوبا وعقولا : قد هبوا كذلك فأذلوا المؤمنين وكموا صوت الحق المبين ، وبعثوا ما بعثوا من الهيعات والجلبات حول نداء السماء ، حتى ظهر الباطل على الحق ، وساد

المفسدون فى الأرض . كان هذا كله وكأنه لم يكن إلا إرهاصاً لهذه المعجزة الاسلامية الباهرة ، وتوطئة لنزولها وبروزها البروز الذي قدر لها

رأى هذا النابغة العظيم هذه العوادى الهائلة محدقة بجهات الاسلام وجهات أهله ، منطلقة كلها الى خنقه وخنقهم ، ورأى من أهله الاستخذاء والخنوع والاستسلام ، هذه الأمراض التى ينكرها الاسلام الحار الملتهب . فما لبث أن اندفع الى الميدان وحاديه ما لايمكن وصفه من الايمان والعزمات ، التى لو جسمت لما كانت حديداً ولا فولاذاً ولا غير ذلك من شديد المادة وصلبها ، والتى لو جسمت لما كانت سوى الايمان وعزماته . فما هنالك أصلب من الايمان اذا وجد مكانا قابلا وقلوبا تخصب به . فما لبث أن ظهر فى الميدان وصار ملء الأفواه والأسماع والقلوب والنفوس

صمد الى هذه العوادي المحدقة بجهات الاسلام وبجهات أهله ، وسلط عليها أشياء لا يدرى ما هى ولا كيف كانت إلا أن الناس يسمونها النقل والعقل ، ويسمونها أحيانا أخرى الحجج والبراهين . فقد انتزع من هذا النقل وهذا العقل ، ومن هذه الحجج والبراهين أشعة ليست من الشمس ولا من القمر ، ولا من النار أو النور ، ولا غير ذلك من الأشياء المشرقة الوضاءة ، ولكنها أشعة تنتسب الى العقل والى النقل ، والى الايمان وعزماته وثباته . فما هى إلا جولات صادقة مؤمنة حتى انجلت تلك الظلمات ، وانجاب ذلك العثير الأدكن ، فاذا الميدان ملآن بجثث الأبطال ، أبطال الضلالات ، وبجثث الصناديد ، صناديد الشبهات ، واذا بالبقايا المنهزمة تنادى بالويل والحرب ، وتعج صاخبة مولولة قائلة بصوت واحد : هذا ما لايطاق ، هذا عدو الجميع ، فليحاربه الجميع ، وليكن إلباً واحداً عليه ، وليقاتله بكل سلاح ، وليكن هذا السلاح ما يكون من الكذب والنفاق والخداع وشهادة الزور وقول الزور والباطل والوشايات ، لا يتورع من شيء ولا يتأثم من أمر

وضع هذا النابغة كتبا خالدة فى هذه الفرق الضالة كلها جاءت آيات خالدة فى التأليف من اسعاد البيان ، ومواتاة البرهان ، بل جاءت ثورة راشدة مظفرة على ذلك الضلال الجارف الحيف ، وكان هو أعز قائد ساق الحملات المظفرة الى عساكر الجهالات والترهات الغازية للقلوب والعقول والمعتقدات ، وأصبح هو - بعد ذلك - زعيم المصلحين ، ومن أشرف الهبات الالهية السماوية التى يرسلها الله الأحيان الفارطة العجلى على أوضار هذه الأرض وأوضار أهلها لترحضها ، ولتغسلها ولتدفع ما يمكن دفعه منها عن هذه الخليقة الغرقى فى سيئات أعمالها واختيارها الناقص الخداج . وقلّ ان كتب كاتب فى الاصلاح ، وفى غزو الجهالات والمبتدعات الا كان صادراً عن تراث هذا الامام وعما خلف من الكتب الخالدة ، والمعين العلمى الذى لا ينضب ولا يغيض

كان الرجل - كما رأيت - مهاجما عنيفا قويا ، وكانت حياته وكتبه مهاجمة عنيفة متواصلة الحلقات . وأى شىء كان فى ذلك العصر لا يجب الهجوم عليه لاصلاحه ولتنقيته مما أصابه من الاخلاط والأوضار الضارة الفاسدة ! ولأجل هذا كثر خصومه ومناوئوه ومعادوه ، وكثرت الوقيعة فى دينه وعلمه وأخلاقه وما كان يرمى اليه من المطالب العليا الشريفة ، وقد زاد العداوات والخصومات به ضراوة واستشلاء ما كان عليه من المجاهرة بالحق ومصادقة الحق ، ومن كان صديقا للحق فلا يطمع فى صداقة أكثر هؤلاء الناس . ومن كان حريصا على صداقة الناس فلن يكون من أصدقاء الحق والصدق ، وقد قال بعض السلف قديما : ان كلمة الحق لم تدع لنا من هذا الخلق صديقا ، أو ما هذا معناه

فكان هذا الامام لا يبالى فى مقالة الحق والمعروف شيئا ولا يرهب أمراً ، فكان يصدع بالحق للقريب والبعيد ، ويأمر بالمعروف الصديق والعدو ، والكبير والصغير وكل أحد ، وكان لا يتحرى مسالمة شعور خصم الحق ، فكان لا يتحرى

من الألفاظ أخفها أو أقبلها للتأويل والمنازعة ، لأنه كان بعيداً عن المصانعة والمداهنة فى إرضاء الله ، فكان فى ذلك شبيه السلف الاول الصالح ، وبقية ذلك الطراز الواضح من سلفنا الماجد . وقد كانت هذه الصفة من أبرز ما فى حياته البارزة ، وكان لأجل هذا صابراً على صنوف الأذى والظلم من السجن والتعذيب والتشريد والتكفير الذي كان يقاتله به خصومه العاجزون الهائمون بالدنيا ولذاتها وصابرا على رقة الحال التى رافقته طول حياته حتى خرج من الدنيا كما دخلها مخفا من تبعاتها وتكاليفها ، ولولا هذه الصفة المكينة فيه ، ثم لولا زهادته فى ما هنالك لاستطاع أن يرقى الى أعلى المناصب العليا ولاستطاع أن يعيش من المترفين المنعمين وأن تسقيه الدنيا المترفة بكفيها أفضل ما فيها من لذة وشهوة ، كما سقت غيره من العلماء الذين لا يدانونه فى شيء من فنون العلوم والمعارف ، ولكن لكل وجهة هو موليها

والقصة التى كانت بينه وبين أبى حيان النحوى امام عصره ومصره فى العلوم العربية تدلنا على مقدار ولع هذا الشيخ بمقالة الحق لا مداجاة ولا مصانعة ذلك أنه بعد أن ذاع اسمه وأمر أمره ، قدم الى مصر فعقد عدة مجالس ألقى فيها عدة محاضرات فى التفسير والشؤون الاجتماعية والدينية العامة ، فحضر أبو حيان أحد مجالسه فأخذ بما سمع واستولى على مكان الاعظام والاكبار منه ، فلما انتهى من محاضرته قام أبو حيان وأنشده على البديهة قصيدة يمتدحه بها ويزجى إليه اعجابه وسروره واغتباطه به ، جاء فى هذه القصيدة :

قام ابن تيمية بنصر شرعتنا مقام سيد تيم اذ عصت مضر

وبهذا المجلس أصبح أبو حيان من أنصار هذا الشيخ المخلصين ، ومن أعوانه وأعوان حبه وإجلاله وتقديره . ثم بعد هذا قدر أن قام بينهما كلام فى بعض المسائل النحوية وجاء اسم سيبويه ، فاستدل ابن تيمية على مقاله ورأيه بأشياء

اجتهادية فعارضه أبو حيان بأقوال سيبويه . فغضب ابن تيمية وأغلظ القول ، وقال أن سيبويه ليس رسولا للنحو والعربية حتى يقبل قوله بلا حجة ولا برهان وحتى يلزم الناس الأخذ بكل ماقال ، وقال ان سيبويه قد أخطأ فى كذا وكذا موضعا من كتابه أنت لا تعرفها . وبهذا تنكر أبو حيان للشيخ وصرم حبل وده وقطع علاقاته به ، وعاد ذاما له ، واقعاً فى دينه وعقيدته . وما كان دينه وعقيدته قبل هذه الحادثة غير دينه وعقيدته بعدها ، ولكن المتغير هو الهوى . فبعدا للهوى ! وما كان أشد حاجة الشيخ الى صداقة ابى حيان ومدجاته فيها لو كان يركن الى شىء من هذا أو يقيم له وزنا فى حياته وأمره ! ولكنه لم يأب لطم هذه الصداقة حينما وجدها تستحق اللطم ، فاستراح منها حين علم أنها سوف تكلفه مالا يستطيع ومالا يريد من المصانعة والمداجاة الممقوتة لديه ، وهكذا كان خصما للمداجاة في الحق والمصانعة فى الله . ولو أن الله خلق فيه شيئاً يقبل شيئا من هذه الأخلاق لاستراح من كثير مما لقيه وأصابه من العذاب والاذى فى سبيل الحق ، ولكان فى استطاعته ووسعه أن يمن على العلماء الرسميين وغيرهم من رجال الدنيا بشيء من المداجاة والمصانعة ، والتلطيف من خلافهم وابطال أمرهم ، فينال بذلك رضاهم . بل ينال أشد احترامهم وتقديرهم لأنهم كانوا فى حاجة عظيمة الى مسالمته ورضاه عنهم لخوفهم من دينه على دنياهم ومن زهده على جشعهم ، ومن قوته بإيمانه على ضعفهم بمناصبهم ورتبهم الدنيوية ، وقد كان فى مجالس المناظرة التى عقدت بينه وبينهم يبدى من ذلك ضروب العجائب . حتى انه كان لا يدع كلمة تمر بالمجلس إلا ويوليها ما تستحق من المقت والغضب والثورة إذا كانت من ذلك النوع الباطل الذى يمقته ويزدريه ويكرهه ، ولا يبالى أن تكون كلمة من بيده الفصل فى أمره والقضاء عليه بالحياة والموت والسجن أو ما كان من ذلك ان كان لمخلوق من هذا الأمر شىء فكان الناس الخصوم والاصدقاء يعجبون من

أمره عجبا ممزوجا بالاعجاب ثم بالاحترام والهيبة المكظومة ، وكان بعض العلماء الفضلاء فى تلك المجالس يتعمدون تفسير كلام الشيخ تفاسير ذات وجهين أو وجوه ، ويحملونه معانى لا تثير حفائظ الخصوم الشانئين كثيرا . ولا تنأى عما يريده الشيخ كثيراً أيضا ، وكانوا يريدون بذلك الدفع عنه وإبعاده عن سخط الخصوم وأذاهم وظلمهم بما فى أيديهم من السلطة ، سلطة المناصب الرسمية . ولكن الشيخ كان لا يرضى هذا التوفيق ولا هذا الدفاع ، ولا ذاك التفسير ، ولا تلك المداجاة فى الحق خيفة خصومه ، وكان يرى انه اذا كان صاحب الباطل والدنيا شجاعا قويا فى الدفاع عن باطله ودنياه ، وجب أن يكون صاحب الحق والدين أشجع وأقوى فى الدفاع عن دينه وحقه . فكان لذلك يثور وكان يفسر كل ما قاله وأراده تفسيراً واضحا جريئاً تاماً غير مبال بأن يغضب من يغضب وأن يخجل من يخجل ، وأن يتخلى عن صداقته من يتخلى ممن لا يثورون ثورته على غير الحق ، وممن ليسوا صرحاء صراحته فى قول الحق والصبر عليه ، فكان فى أمره كله أعجوبة الأعاجيب ، وذلك أنه كان يعلم حق العلم انه إن لم يكن صريحا هذه الصراحة ، قويا هذه القوة ، صلباً تلك الصلابة فلن يفصل بين الحق والباطل ولن يتميز الفريقان ، فريق الدنيا وفريق الاخرى ، وحزب الله وحده وحزب الشهوات والآكال والمشارب

وقد كانوا ثلاثة رجال وقفوا ثلاثة مواقف متشابهة : أبو بكر الصديق يوم أن أراد الأعراب والأمم الموتورة أن يضربوا الاسلام وخلافته ووحدته الضربة القاتلة ، وأحمد بن حنبل أيام فتنة المعتزلة والقول بخلق القرآن والبدع الأخرى الجارفة التى لعبت بالاسلام وقلوب أهله وعقولهم أدواراً كان لها الأثر الأسوأ فى معنى الاسلام وفى معنى المسلم ، والثالث هذا الامام فى قيامه على الضلال والابتداع والجحود والموت الدينى العقلى الشامل . فكان الثلاثة ـ نضر الله وجوههم ـ

متشابهين فى صدق العزمات والمقامات ، وفى الصلابة فى الحق والاستهانة بكل مافى سبيل ذلك من الأخطار والأضرار . وبالثلاثة اندفع عن الاسلام والمسلمين ما اندفع من الأرزاء والمصائب النكراء ، ولله فى خلقه صفايا يصنعهم على عينه ويربيهم التربية التى تعدهم لوظائفهم التى أعدها لهم وأعدهم لها ، وهو أعلم حيث يضع أمره وسره

وبهذه الصفات والخلائق التى طبع عليها هذا الامام لم يكن عجيباً أن يكثر أعداؤه المعاصرون له من العلماء الرسميين ، ورجال الدنيا الطاغية ، ولم يكن عجيبا أن يناله ما ناله من الأذى والاهانة والتجريح والوقيعة فى دينه وعقيدته ؛ ومن صنع الأكاذيب عليه ، فانه لم يأت أحد بمثل ما جاء به إلا كان نصيبه مثل نصيبه ، وإلا لقى مثل ما لقى من الظلم والاعنات الجائر الغاشم وقد قيل :

وكأنما علم العليم وفضله جرم جناه على الوضيع الجاهل

فهذا عالم رسمى يخدم السلطة الجائرة التى هى على كل حال لا يمكن أن ترضى الحق أبداً ليصيب عندها ما يصيب من أعراض الدنيا الملعونة ، فهذا العالم يخاف على منصبه ودنياه التى ابتلى بها حتى أصبح غير قادر ولا صابر على قلاها وفراقها بعد أن علق بأسبابها وأخذت هى بعقادته وناصيته ، فهو يخاف هذا الامام أن يفسد عليه أمره ودنياه ، وأن يبعد عنه العامة وهو لم يكن إلا بهم . فهذا العالم الرسمي الحكومي لايمكن أن يرضى عن هذا الشيخ وعن دعوته ، فلابد له إذن من حربه وخصومته لتسلم له دنياه وجاهه الكاذب الزائف

وهذا شيخ ضريح كبير مزور معظم ينعطف عليه ذهباً وفضة ، ويزجى الى ساحته الصدقات والنذور الحرام بجهالات الأمة والجماهير المسكينة ، فهو يخاف مثل هذا الامام أن يفسد عليه أمره بعلمه ودينه وفتاويه ، فيخرجه مما دخل فيه من الدنيا فما أحوجه الي مناوأته ومخاصمته !

وهذا وال ظالم ، يضرب ظهور الناس ويغتصب أموالهم ، فهو يخاف هذه النزعة الزاهدة فى الدنيا على أمره وجبايته وسلطانه القائم على الظلم . ولن يعجب مثل هذا الوالى من العلماء إلا الراغب فى الدنيا ، ليستمتع هذا بدينه المنافق ويستمتع ذالك بفضلات دنياه ، وإذن لا بد لهذا الوالى من مناوأة هذا الامام ، ولا بد له من إخفاء صوته والحيلولة بينه وبين الجماهير لئلا يفسدهم عليه ، ثم لا بد له من إجابة رغبات الراغبين فى ظلمه ومطاردته ، من علماء الدنيا ، وعبيد السوط والعصا ليخلو لهم الجو

وهذا شيخ نحلة فاسدة مريضة تدر عليه الرزق الوافر والجاه العريض ، وتقعده على عرش الزعامة الالهية وتلف بحبوته الولاية والنبوة ، بما يدعيه ويدعو اليه من مظلم الآراء ومفسد العقائد والدعاوي . فلابد لهذا الشيخ ـ ابقاء على ملكه وملكوته ـ من منازعة هذه الدعوة الاصلاحية التى يدعو اليها هذا الامام المصلح

وهؤلاء قوم ترعرعوا فى كنف الابتداع والخرافات ، فتعشقوها صغاراً حتى صاروا لا يطيقون فراقها ولا النزع عنها ، فهم إذن يمقتون من يريد منهم أن يدعوا ذلك وأن يسلوه ، ومن غزاه وثار به من أهل الاصلاح والتطهير

وهؤلاء قوم رافضة يعبدون الله بلعن السلف وسب صحابة رسول الله ، ويقولون فى الله وفي الأنبياء والأولياء والمسلمين الأقوال المنكرة الشنعاء ، فهم يكرهون أمثال هذا المصلح العظيم لأنه هو الذى يهتك أستارهم ، ويكشف أسرارهم ويذلهم بسلطان الحق وملك البرهان ، ويضرب على رقابهم وأيديهم السلاسل والأغلال يطؤهم المؤمنون وتدوسهم عساكر الله ، فلابد لهؤلاء الرافضة من معاداة هذا الامام والحط من قدره والوقيعة فى دينه وشرفه غضباً لباطلهم المقهور وطاغوتهم المحطم بيده الله الغالب

وهؤلاء قوم ملحدون قد استطالوا على ضعفاء المؤمنين فأذلوهم بشبهاتهم

ومشاغباتهم وحيلهم المنكرة يرون أنهم فى حاجة الى عداء هذا الشيخ واتهامه بأمهات الكبائر تنفيراً عنه وحطاً من قدره ، لأنه هو الذى استطاع أن ينتقم منهم للحق وأن يثأر منهم لله ولحزبه ودينه ، ولأنه هو الذى استطاع أن يلقى فوق رءوسهم ما رفعوه ليلقوه على دين الله وعلى عباده المؤمنين . فهذه الطوائف كلها وغيرها وغيرها من طوائف الالحاد والضلال والأهواء لا تستطيع إلا معاداة هذا الشيخ وإلا انكاره وانكار فضله ودينه وإصلاحه ؛ لأن الاعتراف له بذلك ينافى الأغراض والأهواء التى يخدمون والتى وهبوا لها حياتهم وأنفسهم ودينهم وكل ما يملكون من المعاني الانسانية

فليس بعجيب إذن ولا بمنكر أن يلاقى من هؤلاء القوم فى عصره وفى أغلب العصور الكراهية المرة والعداء العنيف ، وأن يلقى الأذى وكل ما تستطيع النفس الانسانية الظالمة الناقصة من الاجرام ومعانيه ، وليس بعجيب أن يسمى هؤلاء غير راقبين الله ، ولا راقبين معنى من المعانى الحاجزة عن التساقط فى هوة الأهواء التى لا يسرها مثل أن تلغ فى دماء الفضائل ، وأن ترتع فى الشهوات المتخمة على أشلاء أهل الفضل والشرف الماجد المطهر الى انشاب أظافر العدوان في سالفته ، وليس بمنكر أن يناله أذاهم كما نال الأنبياء وجميع المصلحين فى كل زمان ومكان ؛ وليس هذا بناقص من قدره ، ولا بدال على أنه من الخارجين على الحق ، بل هذا كله معدود زيادة فى قدره ، وحسنات يخصه الله بها لما أن صابر وصبر وجاهد فى سبيله وسبيل دينه ودافع عن حرمه ومحارمه . فلا تقرر عينا هذا الشيعى أن ظفر بقدح وعيب فى هذا الامام ، وأى ذي عرض نقى أبيض لم يوجد من يقول له انه لذو عرض أسود ! وأى ذى قدر رفيع لم يوجد من يحاول خفضه والهبوط به تحت أقدام الرذائل ! بل وأية فضيلة فى هذه الأرض لم تحارب وتطارد ! وأى معنى ماجد شريف سلم من المطاردة والأذى !

هذا الله فى عليا سمواته قد أنكروه وسبوه وآذوه وأضافوا اليه من النقائص والمعايب ما نزهوا أنفسهم عنه . وهؤلاء الرسل قد كذبوا وأوذوا وقتلوا وألحق بهم أنواع الايذاء والبلاء . وهؤلاء الصحابة لم يسلموا من عدوان الشيعة ومقادحهم وباطلهم ، فأكفروهم وسبوهم وقالوا فيهم الصيالم . وهذا على رضى الله عنه إله طوائف منهم ، ونبي طوائف ، ووصي الجميع قد أكفر وسب وقدح فيه وفى آله الطاهرين الطيبين ؛ وهكذا كان سبيل جميع المصلحين ، وهكذا كان سبيل هذا النابغة الفذ ، وهكذا كان سبيل من قالوا للجانب الأسود فى هذه الانسانية : إنه أسود ، ولليل فى هذه الأرض انه ليل . فان هذا الانسان المغرور لا يرضيه إلا من يقول للجانب الاسود فيه : انه أبيض شديد البياض ، ولليل الحالك الظلام انه شديد الضياء !

فهل ضارَّ الأنبياء والمرسلين وجميع المصلحين تنقص المتنقصين وقدح القادحين واتهام المتهمين ؟ أم عاد ذلك كله حسنات موفورة وارتفاعاً لأقدارهم الرفيعة وبرهاناً لهم على محاربتهم الفساد والزور والضلال والظلام وكل نقائص الانسان ؟

قال ابن عساكر فى كتاب بيان كذب المفترى : « قال عبد الرحمن بن مهدى : لولا أنى أكره أن يعصى الله لتمنيت ألا يبقى فى هـذا المصر أحد إلا وقع فىّ واغتابنى ، وأي شيء أهنأ من حسنة يجدها الرجل فى صحيفته يوم القيامة لم يعملها ولم يعلم بها ؟

وليس من يذكر بالسوء مغبونا ، بل الذام واللاعن له يصير ملعونا ، وكيف يكون المذكور بسيء الذكر مرجوما ، وقد صار مثابا وذاكره بما قال فيه مأثوماً ؟ . . . »

وذكر ابن عساكر أيضا بالسند قال قال رجل لعمرو بن عبيد : يا أبا عثمان إنى لأرحمك مما يقول الناس فيك ، قال يا ابن أخي أسمعتنى أقول فيهم شيئا ؟ قال :

لا ، قال: إياهم فارحم. قال: وأرسل اليه بعض الناس يذكره بالسوء والأذى ، فقال لحامل الرسالة: قل لمرسلك القيامة تضمنا ، والموت يجمعنا ، والله يحكم بيننا . وروى ابن عساكر أيضا بالسند قال قيل للحسن البصرى: ان قوما يحضرون مجلسك ليتتبعوا سقط كلامك فقال الحسن: يا هذا انى قد أطمعت نفسى فى جوار الله فطمعت ، وأطمعتها فى الحور العين فطمعت ، وأطمعتها فى السلامة من الناس فلم تطمع انى لما رأيت الناس لا يرضون عن خالقهم علمت أنهم لا يرضون عن مخلوق مثلهم . ثم روى ابن عساكر بالاسناد الموصول الى مجاهد قال سأل يحيى بن زكريا ربه ، قال يا رب اجعلنى أسلم من ألسنة الناس ، فأوحى اليه: يا يحيى لم أجعل هذا لى فكيف أجعله لك ؟ قال ابن عساكر: « ولا شك أن الله لما قبضهم الى رحمته ، وتوفاهم عند منتهى آجالهم ، أراد أن يجرى لهم الثواب بعد توفيهم بأن يكتب لهم أجراً بما يقال فيهم مع أجر ما قدموا من صالح الأعمال ، وعلموا الناس فى سائر الأحوال ، لئلا ينقطع عنهم الأجر بعد مماتهم ، ويكون ذلك زيادة لهم فى الحسنات . . . »

ثم روى بالسند عن عائشة رضى الله عنها أنه قيل لها ان قوما يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى انهم ليتناولون أبا بكر وعمر: فقالت أتعجبون من هذا ؟! انما قطع عنهم العمل وأحب ألا يقطع عنهم الأجر . ثم روى عن الامام الشافعى بالسند أنه قال: ما أرى الناس ابتلوا بشتم أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام الا ليزيدهم الله بذلك ثوابا عند انقطاع أعمالهم . وروى ابن عساكر فى هذا الفصل من هذا الكتاب فى الامام أحمد بن حنبل:

أضحى ابن حنبل فتنة مأمونة ... وبحب أحمد يعرف المتنسك

فاذا رأيت لأحمد متنقصا ... فاعلم بأن ستوره ستهتك

وإذن ليس لهذا الرافضى مسرة فى أن يجد من يقدحون فى شيخ الاسلام

ابن تيمية ومن يكفرونه وينالونه بأفانين العدوان والمقادح ، وليس فى هـذا شيء من الدلالة على فساد أمره أو عقيدته ، فلا تقر عين الشيعى ولا أعين اخوانه من أهل الزور والابتداع والضغن المزاذا وجدوا هاجيا لهـذا النابغة العظيم ، وفى ديوان حكمة الشعر :

واذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل

وما قدح فى ابن تيمية الا أهل النقص والجهل والغباء ، أو من آثروا الدنيا وشهواتها على الله وعلى الحق . وهؤلاء لم يكونوا يوما من الأيام قائلين للحق ، ولا راضين عنه

ابن تيمية أيضا

قال الرسول عليه الصلاة والسلام « ان لله عند كل بدعة كيد بها الاسلام وليا يذب عنه ويتكلم بعلاماته ، فاغتنموا تلك المجالس » رواه أبو القاسم ابن عساكر فى كتاب بيان كذب المفترى

ويح الانسان ! ما أقساه وما أظلمه إذا قدر ، وما أضعفه اذا عجز ! هـذا أنبغ المسلمين قاطبة فى القرون الاسلامية الوسطى كلها ، وهذا أجمعهم لشمائل الرجل المسلم الكامل من الاقدام والشجاعة ، والصراحة والصرامة والذكاء ووفور المعرفة وسعة الأفق العلمى والزهد فى الدنيا ولذاتها وشهوات النفس ومآربها والاعراض عن وسائل العلو والشهرة وذيوع الاسم والذكر ، الى غير ذلك من الشمائل التى تحدث عنها الكتب ولا تحصل عليها العين : هذا أفضل المسلمين ذهنا ونفسا فى تلك العصور كلها يقسو عليه ظلم الانسان وطغيانه وولعه بالنقص والناقصين فتتوافر همه ، وتصطلح مآربه المختلفة على اضطهاده وعلى نيله بألوان الأذى والظلم ، فيحارب فى حياته كلها ، ويمس بالسوء والبلاء ، ويراد به كل منكر لولا دفع الله ، فيظل عمره

كله مطارداً محاربا لا ينتفع بشيء من حياته سوى ما في نفسه من الايمان وبرد الايقان ، ولذة الروح والقلب بالله وبرضاه بما قدم من صالح ، وما قام به وأسداه الى ظالميه ومطارديه من نصح وإرشاد . حتى يغار الله على روحه الطاهرة ، ونفسه الذكية المعذبة بآثام الانسان الآثم ، فينتزعها — جلت قدرته وحكمته — من بين جدران سجن وضعه فيه الانسان غيرة منه على باطله وجهله وفساده ومآثمه فيذهب الى الله تاركا لهم دنياهم يتصاولون عليها كما كان تاركها لهم يوم أن كان حياً بين أظهرهم ، مخلفاً وراءه عقله وعلمه وجهاده الطويل المضني زهرات دانية يجتنيها من يجتني. ثم لا يكتفي ظلم الانسان الانسان أن يقف عند هذه المرحلة من التعذيب والمطاردة والجناية على العلم والفضل والدين . لم ينته هذا عند انتهاء حياة هذا الشيخ وخروجه من الدنيا القاسية موجع الفؤاد والنفس على ما لاقى من ظلم وأذى ونفي وتشريد وسجن وتعذيب لا لشيء غير قوله للظلام : هذا ظلام ، وللأسود : هذا أسود . فيظل خصومه وأعداؤه يمتحون له التهم ، ويبعثون الى روحه — في الملأ الأعلى — الافساق والاكفار والنقائص الأخرى على أجنحة الهوى والحقد والحسد والجبلة الناقصة الآثمة ، ويظلون يشرّقون ويغربون في تطلاب العثرات والمهلكات للرجل وفي لم شعث ما يحسبونه ثلمة في دينه ، أو نقصاً في علمه ، أو خدشاً في نفسه وشرفه وورعه ، ثم لا يقنعهم هذا كله ، فيروحون يختلقون عليه الأباطيل في دينه وورعه وعلمه ونفسه اختلاقاً لاشبهة فيه ولا مسة للحق في معانيه ، ثم يذهبون يستصدرون الفتاوي في كفره وفساد أمره ، ثم يظلون يتوارثون هذا الظلم وهذا الكذب في العلم ، ثم يتسع أفق هذا الظلم وهذا الكذب في العلم كلما اتسعت حلقات الزمان ، وكلما بعد الرجل عن خصومه وظالميه ، ثم يبدع الآخر من هذه الجرائم والمآثم ما قصر عنه جواد الأول ، أول خابط في هذا الاثم الانساني ، وأول آكل من شجرة هذه الخطيئة ، ثم لا يكون بعد ذلك لتوفر دلائل البراءة ووضوحها لدى

هؤلاء الخصوم الباغين قيمة ما ، فلا يعداون عن تهمة رموا الشيخ بها مهما قامت الدلائل صارخة فى آذانهم قائلة : انكم لكاذبون ، وإنكم لباغون ظالمون

ويح الانسان ! ما أظلمه وأبغاه ! أفما شفع لهذا النابغة عند أولئك الناس علمه ووفور معارفه ؟ ثم أما شفع له دينه وزهده واعراضه عن الدنيا ؟ ثم أما شفع له إخلاصه وحبه الخير وغيرته على الدين والحق ؟ ثم أما شفع له إقدامه وشجاعته وهجومه على الخطر والعذاب رغبة فى الحق وإسعاد الخلق ؟ ثم أما شفع له ما فتق لهم من أكمام المعارف والعلوم ، وما دل عليه من وجوه الدلائل وسبل العلم ؟ ثم أما شفع له عندهم ما رفع عنهم من ضغط المارقين الملحدين ، وما دحر وهزم من جحافل الباطل والضلال ؟ ثم أما شفع له ما أخرج من كتب خالدة يانعة الفوائد والمعارف ، تجد فيها جميع الطوائف — على اختلافها — فوائد ومعارف يعز عليها أن تجدها فى غيرها ، ويصدر عنها كل وارد ظمآن الى مناهل العلم والعرفان ريان شبعان ؟ ثم أما شفع له ما أضاف الى خزائن العلم وما أفاد دولة المعارف من علوم ومعارف ؟ ثم أما شفع له انصافه وعدله وما كان عليه من بعد عن السوء والشر ؟ أما شفع لهذا النابغة الفذ شيء من هذه الفضائل ، أو أما شفعت له كلها مجتمعة فخففت عنه ما لاقى من أذى ، وما مسه من ظلم ، وما ناله من تكفير وإفساق واتهام عظيم ؟ أفليس للعلم حرمة ، وللدين شفاعة ، وللورع مكانة فى هذه الدنيا المجرمة الفاجرة ؟ !

أيها الناس هبوه قدأخطأ الصواب فى أشياء ، وهبوه قد زل وقال أقوالا كان الصواب ألا يكون قالها ، وهبوكم قد أحصيتم عليه كما زعمتم سيئات وذنوبا : هبوا ذلكم كله صحيحا ، ولكن ألا تنظرون بعد هذا الى حسنات الرجل وأياديه البيضاء التى قلد بها جيد العلوم والمعارف ، ودفع بها عن الاسلام والحق ، وعن الأخلاق والفضل ، أفمن الانصاف أيها الناس أن تغرق بحار فضائله وحسناته ومحاسنه فى

ضحضاح سيئاته المفتراة المزعومة ؟!

ان أساس التهمة التي راموا بها اصابة دين هذا الشيخ ، واصابة علمه وعقيدته هو زعمهم أنه ما كان معظما للنبي الكريم ، ولا معترفا بما يجب له من الاحترام والاعظام والحب ، وانه كان يقول أقوالا هي تنقص له عليه الصلاة والسلام واهباط له من رتبه العالية الرفيعة ، ومن مقامه السامي الرفيع . هذه هي التهمة التي شادوا عليها جميع مقادحهم وعدوانهم الظالم ، ولقد كان منشأ هذه التهمة عندهم هو تمسك هذا الشيخ بالسنة النبوية الصحيحة ووقوفه عند النصوص الثابتة . فما جاء في النصوص كان حقاً لازماً الاحترام له والعمل به وإلا فلا . وعلى هذا الأساس الصحيح الثابت الدعائم منع الاحداث التي أحدثها الجهال الأغرار ظانيها رفعاً لقدر الرسول عليه الصلاة والسلام واحتراماً له وإعظاما ، وهي في الواقع والدين ليست كذلك ، فمنع مثلا الاستغاثة بالرسول عليه السلام وبغيره بعد الممات ، ومنع سؤاله مالا يقدر عليه إلا الله حياً وميتا ، ومنع شد الرحال والأسفار لأجل زيارة قبره الشريف . لأنه هو الذي منع هذا عليه الصلاة والسلام بقوله « لاتشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد المدينة » ولأن السلف كانوا يكرهون ذلك ويأبونه فلا يفعلونه ، ومنع أيضا التمسح بقبره الشريف وتقبيله ، وأمثال هذه المبتدعات المنكرة التي لم يكن السلف الصالح يعرفونها ولا يعملونها ، والتي جاءت النصوص بالاجمال ناهية عنها . وجاء الاسلام بالاجمال أيضا منكراً لها

فزعم هؤلاء أنه بأقواله هذه قد أساء الى الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأنه أنكر حقه المعلوم المفروض على جميع المؤمنين ، وأنه قد تنقص له ! وساء ما زعموا وما قالوا

ومن يسر له أن يعرف هذا الامام وأن يقرأ شيئا من كتبه الخالدة فلا يشك

فى أنه معظم للنبي الكريم عليه السلام ، عارف لمقامه ولحقوقه ، قائم بها ، محب له عليه الصلاة والسلام أعظم مما عند هؤلاء المعارضين جميعا ، وأنه لم يقم أحد منهم بحقوقه عليه السلام قيام هذا الامام ، بل وانهم كلهم مجتمعين لم يؤدوا حقه المشروع المفروض مثل ما أدّاه هذا الامام مفرداً واحدا

أو ليس هو الذي أغضب هؤلاء الخصوم وتقبل عدوانهم وظلمهم واذاهم راضيا مسرورا انتصاراً للسنة النبوية وقياماً بحقها وغضبا لها ، ودفعاً للبدع والجهالات والضلالات المخالفة لها ؟ أو ليس هو الذى كتب كتاب « الصارم المسلول على شاتم الرسول » فى بيان حقوق النبي الكريم ، وتعديد فضائله ورفعة قدره وماله من الواجبات على المسلمين أفراداً وجماعات . حكومة وشعبا ؟ وقد جمع فى هذا الكتاب وأبان من فضل الرسول فيه مالم يصنعه ، و مالا يستطيع أن يصنعه هؤلاء الخصوم المخالفون القادحون مجتمعين متعاونين ، أو ليس هو الذي قد كتب كتاب « العقل والنقل » الذى مافى الوجود له نظير ثان ، كما يقول تلميذه البار ابن قيم الجوزية ؟ وقد ألف هذا السفر المفرد المنقطع النظير فى بابه دفاعاً عن النصوص من قرآن و حديث ، وذودا عن الكتاب و السنة ، واقصاء واحباطا للشبهات والمعارضات التي أحدقت بالنصوص الثابتة وأحاطت بها من كل جانب حتى عظم الويل وجل أمر الشكوك والشا كين والمشككين حتى زعم رجال من الموصوفين بالايمان وبالزعامة والأمامة والنبوغ فى العلوم العقلية والفلسفية والدينية وغيرها ، ان النصوص أبداً لا تستطيع أن تفيد العلم والمعرفة واليقين المطلوب فى الاعتقاديات ، وإنما غاية جهدها وحولها وطولها أن تكون مفيدة الظن إلا غير وانها لذلك لا تصلح أن تكون مرجعاً من مراجع الايمان والاعتقاد ، وأن المؤمن لا يصح له أن يأخذ منها وصفاً ولا شأنا من أوصاف الله وشؤونه ، ولا أن يتلقى عنها نظرية علمية البتة ، وأن المرجع - ولا مرجع سواه - للاعتقاديات هو العقل

وحده ، والبحث القائم على المقدمات العقلية لا غير ثم زعم هؤلاء أن النصوص المتواترة قد تخالف العقل وقد يخالفها العقل ، بحيث لا يمكن التوفيق ولا إيقاع الصلح بينهما البتة ، وأنه اذا ما عرض شيء من هذا النوع وجب تقديم العقل وتحكيمه في النصوص مهما كان أمرها ، ومهما كانت واضحة الدلالة ، متواترة الرواية ، وأن المسلك الذي لا مسلك غيره حينئذ اما رد النصوص وإنكارها وسلكها في نظام المكذوبات ، وأما تفسيرها تفسيراً يشهد العقل والنقل وكل شيء أنه ليس هو التفسير المراد بها ، وهو مايسمونه بالتأويل ، هذا قانون وضعه قوم وصفوا بالايمان وبالفلسفة وقوة الحجة وبالامامة والزعامة ، وقد حافظوا على العمل بهذا القانون بدقة ووفاء وإخلاص له ، فسلطوه على الكتاب والسنة حتى أضاعوهما ونزعوا منهما سلطانهما القوى الواسع في القلوب ، الذي وهبهما إياه الايمان وبرد اليقين

وقد فتن كثيرون من المؤمنين ومن العلماء أيضا بهذا الطاغوت ، فهابه الناس وأكبروه وحسبوه الحقيقة الخالدة الواحدة حتى نهد له هذا الامام الالهي فوضع كتاب « العقل والنقل » أو « موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول » فهد به هذا البناء المشمخر ، وحطم به هذا الصنم الذى عبد المعقول فسجدت له العقائد الرخوة والايمان المريض وشهدت بألوهيته القلوب العجفاء . فعزز به سلطان النصوص ورده ، وقوى أمرها ، وشرد من حولها تلك الأوهام والشبهات ، بل نفخها فلم تقع الا حيث شاء الله أن تقع ، ثم أحاط النصوص بنطاق بعد نطاق من التقديس والاكبار والجلال حتى أعاد لها ما فقدته من سلطان وشأن ، وحتى أقام شهود الصدق من المعقول والمنقول على أن النصوص الصحيحة لا يمكن أن تنازعها المعقولات الصريحة ، وأن كل ما زعم منازعة ومعارضة هو أغلاط باطلة غزت المسلمين وعقائدهم من جهات الفلسفات الأعجمية الضالة الناقصة التى انبعثت فى

الجو الاسلامى بعد اتساع نطاق الحضارة والفتوحات الاسلامية ، وأبان لأجل ذلك أن الواجب على المسلمين كافة تحكيم النصوص الصحيحة فى كل مازعم من المعقولات والفلسفات ، فرجع لها قدسها وجلالها وقوتها وكل ما كان لها أيام أن كان الاسلام غضا طريا ، وأيام ان كانت عقـائد المسلمين خالصة قوية نقية من هذه الأمراض ، والذى يرجع الى هذا الكتاب يعرف هذا جيدا

وما كان فى هذا الكتاب إلا معظما للرسول ﷺ أصح التعظيم ، قائما بالدفاع عنه وعن حقوقه أفضل القيام ، عارفا له من الواجبات والرتب الرفيعة ما لم يعرفه هؤلاء الخصوم الزاعمون أنه كان غير معظم له ﷺ وغير معترف بحقه وعظيم شرفه .

ومَن من هؤلاء الخصوم القادحين دافع دفاعه فى فصل واحد من فصول هذا الكتاب ؟ ومن منهم أغنى غناءه فى هذا الذياد عن الكتاب والسنة ؟ أو ليس هو الرجل الذي أنفق عمره كله وراحته فى مناصرة السنة والدفاع عنها ، ومناضلة البدع والأحداث النكراء حتى أخرج من المؤلفات فى هذا ما لا يستطيع إخراجه أحد فيما أحسب والله أعلم ، ولا نضيق فضل الله الواسع ، وحتى أخرج من ذلك ما يعد ثروة علمية باقيـة على الدهر وحدثانه حينما كان غيره من المشايخ الرسميين عاكفين على شهواتهم ، مشغولين بأنفسهم ومآربها عن الله وعن دينه وعن نصرة الحق ؟ أو ليس هو الرجل الذى استطاع أن يرفع أعلام السنة بعد تنكيسها ، وينكس رؤوس البدع والاحداث فى الدين بعـد ارتفاعها بمهارة فائقة ؟ أو مثل هذا الامام أيها الناس يوصم بتنقص النبى الكريم وبانكار حقوقه ؟

ثم ان ها هنا تهمة أخرى يرددها الخصوم كثيراً ، وهـذه التهمة هى زعمهم أنه كان ينزع الى عقيـدة التشبيه ، وأنه كان يقول أقوالا مآلها تمثيل الله بخلقه ووصفه بصفات الحوادث وسماتهم ، وقد أعادوا هذه التهمة وأبدوها ، وأكثروا من إبدائها واعادتها ، وقد أنسوا بها كل الأنس ، وحسبوها الحسام القاتل لخصمهم

وافضائله ، وهذه التهمة من أكذب التهم وأفجرها ، فانه لاريب أن هـذا العالم كان من أعظم الناس تنزيهاً لله وبعداً عن هذه النقيصة ، ومن أعظم الحاملين على المشبهين الضالين ، وهذا يظهر من جملة كتابنا هذا ومن جميع كتبه . وما أخاله بأن يكون القائل :

كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم ويكره الله ما تأتون والكرم
ما أبعد العيب والنقصان عن شرفى أنا الثريا وذان الشيب والهرم

أجل لقى هذا النابغة خصومات نكراء ظالمة ، خصومات قاسية عنيفة من بنى عصره ومن بعدهم ، ونالوا منه كل منال تجريحا وقدحا واتهاما مزريا . وإكفاراً وإفساقا ، وأمعنوا كل الامعان ، وجهدوا غاية الجهد ارادة اثبات أنه ضال فاسد الأمر والدين والعقيدة ، وارادة ترويج هـذه البهيتة على الجماهير وإقناعهم بها ، وبأنها حق لا باطل فيها ، وجدوا غاية الجد ابتغاء النيل منه وإلحاق أعظم الأذى به ونثر أشد أنواع الظلم فى سائر جهاته ، وراموا ـ لو استطاعوا ـ ألا يدعوا للخير والسعادة اليه منفذاً يخلصان اليه منه ، وألا يدعوا للحياة ومعانيها لديه منها نصيبا ، وما كان مقامهم هذا منه إلا برهانا ناصعا قاهراً يقدمه الخصوم أنفسهم بأيديهم على ما لهذا الامام النابغة من القدر والمكانة فى النفوس التى تنكره وتنكر مكانه بألسنتها وما أقام هؤلاء وأقعدهم إلا ما يجدونه فى أنفسهم وفى ثنايا سرائرهم من إعظام مبعثه العظم الذاتى الذى شاءه الله له ، ومن إكبارمنشؤه الكبر الذى قسمه مقسم الحظوظ والخلائق والفضائل ، وأحفظ فى هذا المقام أبياتا شعرية جاء فيها :

لو لم تكن لى فى القلوب مهابة لم يطعن الأعداء فىّ ويقدحوا
كالليث لما هيب خط له الزبا وعوت لهيبته الكلاب النبح
يرمونى شزر العيون لأننى غلست فى طلب العلى وتصبحوا

ووجدت من يعزو هذه الأبيات لهذا الامام ، ولكننى أشك فى هـذا العزو

لأن الرجل لم يكن تيـاها ولا مزهواً ولا فخوراً بنبوغه وما خصّ به من آيات القدرة الالهيـة ، وما أذكر فيما قرأت له ما يدل على إدلاله واعتزازه بنفسه وعلمه ومواهبه النادرة ، وقد يتاح لك أن تقرأ له الآيات الخالدة فى التحقيق وفى الهبوط على أسرار الحقائق الغامضة ، فلا تحس منه إلا أنه يكتب أشياء عادية قريبة يستطيع كل واحد أن يكتبها وأن يلم بها ، وقد يورد ما يورد من الآراء النادرة الطريفـة التى لم تشرئب اليها أعناق العلماء الربانيين لبعدها عن مطارح العقول ومهابط الفطن فيأخذ يصغرها ويهون من شأنهـا حتى يحسب القارىء أن ذلك يعرفه كل الناس وأنه من المعارف العامة التى لا يختص بعلمها قوم دون قوم ولا طائفة دون طائفـة ولن تجده البتة يذهب يقول للقارىء انى سابق الى رأي من هـذه الآراء وان لى فضلا في بيانه وتقريبه ؛ وهذا الخلق من فضائل هذا الامام . وقد نجد الكثيرين من العلماء الكبار المقدمين يحبرون المقدمات الطوال فى تقريظ مواهبهم وامتداح كفاياتهم وعلومهم ، والاشادة بعظم تبريزهم وتفوقهم وإحاطتهم بالعلوم وأسرارها والفنون وطرائفها ، الى آخر ما يقال فى هذا الباب

ولأجل هذا أشك فى صحة نسب هذه الأبيات الى هذا الامام ، بل أكاد أوقن أنها لغيره من التيـاهين بعلومهم ومعارفهم ، والمعهود عنه مثل قصيدته التائية المشهورة التى مطلعها :

أنا الفقير الى رب البريات أنا المسيكين فى مجموع حالاتى

وروح صاحب هذه القصيدة غير روح صاحب هذه الأبيات

ولكن هذه الأبيات ـ سواء أكانت له أم كانت لغيره ـ هي فى معنى ما ذكرناه من أن مقام الخصوم العنيف الطاغى من هـذا الامام برهان يقدمه الخصوم على رفعة قدره ، وعظم أمره ، فاننا قد وجدنا الفضائل كثيرة الحساد الشانئين ، ووجدنا أنه لا يصطدم بالخصومات العنيفة والعداوات الملحة إلا النابغون

العظماء ، وانه بقدر حظ المرء من هـذه يكون حظه من النبوغ والفضل ، وهـذا معقول مفهوم المعنى ، وذلك أن كل ما فى هذا الوجود خلق زوجا : فالليل والنهار ، والنور والظلام ، والحر والبرد ؛ واليبوسة والرطوبة ، والخير والشر ، وغير هـذه الأمور كلها أشياء خلقت أزواجا متقارنة ، وأضداداً متخاصمة ، هذا ضد ذاك ، وذاك ضد هذا ، وكل ضد يغالب ضده ، فحيث تكثر المحاسن والفضائل تكثر أضدادها ، وحيث يشتد معنى العلم يشتد معنى الجهل ، وحيث تجد السمو العظيم تجد الهبوط العظيم ، وحيث تجد التقى والورع والدين تجد الفجور والفسوق ، وحيث يستيقظ معنى الفضيلة يستيقظ معنى الرذيلة ، موقف الضرة من الضرة ، وحيث ينبعث معنى النبى ينبعث معنى الشيطان ، وحيثما تجدّ النبوة فى فعلها فعلها تجدّ الكذابة فى فعلها فعلها ، ولأجل هذا كان أشد الخصومات والعداوات هى التى يصطدم بها الأنبياء والمرسلون ، لأن أشد المعاني الالهية التى يرسلها الله الى الأرض هى المعانى التى جاء بها الأنبياء والمرسلون ، ولأجل هذا كانت خصومة الرافضة واخوانهم ، وعداواتهم لأبى بكر وعمر وكبار الصحابة والمسلمين عنيفتين قويتين ، لأن معانى هؤلاء الصحابة النبوية الالهية قوية عنيفة ، فكانت المعانى المضادة لها من المعانى الشيطانية قوية عنيفة أيضا . ولأجل هذا كانت عداوة الرافضة لهـذا الامام شديدة قوية ، لأن معانيه المضادة للمعانى الرافضية الباطلة قوية عنيفة . ولقد لحظ الشاعر هذا المعنى حيث قال :

لقد زادنى حبا لنفسى أننى بغيض الى كل امرىء غير طائل

واهتدم هذا المعنى شاعر القوة والواقع بقوله :

واذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل

والمعنى فى هذا كله هو ما ذكرناه من أن المعانى هى التى تتعادى وتتخاصم فمعنى الرجل الناقص لا يمكن أن يحبه معنى الرجل الكامل ، ومعنى الرجل الورع

الصالح لا يمكن أن يعجب معنى الرجل الفاجر الفاسق ، ومعنى الضعة والهبوط والخسة لا يمكن أن يرضى عن معنى الرفعة والمجد والشرف الرفيع ، والعلم لا يمكن أن يرضى عنه الجهل ، والظلام لا يمكن أن يصالح النور . فمعانى الرسل والأنبياء والعلماء الفضلاء لا يرجى أن ترضى عنها وأن تعجب بها معانى الشياطين والفساق والجهلاء والسفلة الوضعاء ، وإذا كنا لا نرجو من السارق أن يرضى عن حد السرقة الصارم ولا من الزانى أن يرضى عن حد الزنى الصارم ، ولا من القاتل أن يرضى عن حد القتل الصارم فلن نرجو من الناقص أن يرضى عن معنى الرجل الكامل ، ولا من عبد الشهوات والأهواء أن يرضى عن عبد الله وحده لا شريك له ، ولا من الجاهل أن يعرف كنه العالم الجليل ، وقد ألم بهذه المعانى كلها بألفاظ موجزة قوله ﷺ « الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » وهذا تأويل ما تجده بين الرجال الكاملين كالأنبياء ومن دونهم ، وبين الناقصين الكاملين فى النقصان من خلاف ونزاع لا يهدأ ، وهـذا هو تأويل ما تجده أيضا بين عشاق الفضيلة وعباد الرذيلة من بغضاء وخلاف حاد عنيف ، وهذا هو تأويل ما نجده من تناكر بين الظلام والنور . ونحن اذا ما أردنا من وضيع ناقص أن يرضى عن رفيع شريف كامل كان معنى هذا أن نقتل معنى ذلك الناقص الوضيع وأن نجرده من معناه وطبعه ، أو أن نقيم الدلائل له على أن ذلك الشريف الكامل ناقص وضيع مثله ، وأنه لا يمت الى الشرف والكمال الا بالأسباب التى يمت هو بها الى ذلك ، وأما أن نطلب منهما الائتلاف والاتفاق ، وهما مختلفان ــ فى المعنى ــ كل الاختلاف ، فهذا بعيداً عن أن يكون صحيحا مقبولا فى طبائع الأشياء وفى القانون العام الذى قيد الخلاق خلقه بوثاقه القاهر القاسر . وهذا كأن نطلب من الحيوان أن يكون إنسانا عاقلا فاضلا ، وان ما بين أفراد النوع الانسانى من التفاوت والخلاف أعظم وأظهر مما بين نوع الانسان ونوع الحيوان

وإذن لن نرجو من هذه المعانى الناقصة الوضيعة أن ترضى عن هذا المعنى الحر الشريف الربانى الذى وهبه الله ـ جلت قدرته وحكمته ـ هذا الامام النابغة العظيم ، وإذن لا تقرر عينا هذا الشيعى الرافضى بأن أنكر معناه ومعانى اخوانه معنى هذا الامام ، أو ان وجدوا لذة روحية هائلة فى ثلبه والوقيعة فى عرضه ودينه وعقيدته ، فان مرجع هذا هو ما ذكرنا لا الى نقص وعيب فى الشيخ نفسه

ابن تيمية أيضا

كان العلماء الناهلون بكاسات الفلسفة ، الذين استقوا طويلا وطويلا بكفى علم الكلام المطعم بالفلسفة أسرى خاضعين للفلسفة اليونانية وغيرها من الفلسفات الأعجمية ، لا يعدون ما قاله ـ ولو تظنيا ـ ارسطو وتلاميذه وأشياخه من الآراء فى الالهيات والنبوات والطبيعيات ، وكان قصارى جهد العالم الفاضل وحادى فضله ونبوغه وعلمه أن يفهم ما قاله أولئك السادة وما أثر عنهم ، وأن يحتج لآرائه وعقيدته وكل ما يقوله برواية ـ ولو ضعيفة محتملة ـ عن أحد هؤلاء الاشياخ وكان فضل الرجل ووفور علمه يوزن بمقدار اطلاعه على آثار هؤلاء الفلاسفة وإلمامه بأغراضهم وما يرمون اليه من معان عميقة عزيزة سابحة فى الاحشاء الكونية البعيدة القرار وكان الغريب عن هذه العلوم اليونانية الناقصة جاهلا أو ناقصا وإن كان من كان ، وان جمع ما جمع من علوم وثقافات يغرق ضحضاحها هؤلاء الفلاسفة أجمعين . وبالاجمال كان كل شيء خاضعا لهذه الفلسفة الخادعة وكانت هى مرد أولئك القوم، وكعبة عقولهم ومصدر آرائهم وعقائدهم . وكانوا يغضبون غضبا شديداً لهذه الفلسفة ، وينالون ما استطاعوا ممن أراد أن ينال منها وأن يظهر لها عيبا أو نقصا . هذا الامام الغزالى ـ وحسبك به ذكاء وعلما ودينا ـ قد سبح في هذه الفلسفة سبحا طويلا ، ونفذ الى أعماقها وأحشائها محاولا إخراج تلك اللآلىء والدرر المذكورة

بين طوائف الأنصار والمعجبين المخلصين ، ثم محاولا أن يتطهر ببحارها الغزيرة من أوضار الشكوك والريب ، ومن معانى الأمية والجهالة الموصوف بها من لم يغرق دينه وعلمه وعقله وقلبه فى قاموس هـذه الفلسفة المريضة الموبوءة ، وبعد أن سبح هـذا الامام – أعنى الغزالى – فى هـذه الفلسفة ، واكتشف أمرها وما طويت عليه ، وقلبها ظهراً لبطن ، وبطنا لظهر – كما يقولون – فرأى عيوبها ونقائصها وضلالاتها وضع كتابا فى نقدها وفى النقض على أصحابها وأربابها أسماه « تهافت الفلاسفة » ، وقد نقض فى هذا الكتاب من آرائهم ومذاهبهم أشياء كثيرة نقضاً فريا ، وأبان من أغلاط القوم وتهافتهم الشيء الكثير ، وردّ به كفرهم وإلحادهم بالله وبالأنبياء ، وجلّى أغراضهم التى كانت تدق على أفكار الجماهير من عشاقها ، المسبحين بحمدها الناذرين لوجهها عقولهم وقلوبهم وعقائدهم وإيمانهم بالله ! أفتظن أن هذا الكتاب أرضى جميع المسلمين أو شكروه لمؤلفه ؟ كلا ، ان طوائف من العلماء المعظمين لهـذه الفلسفة غضبوا لها وهبوا للدفاع عنها وعن أصحابها ، مؤولين كل ما فيها من الخروج على الايمان والأديان ، محاولين اصلاحها والنيل من الغزالى الثائر بها وعلى رجالها وكان من هؤلاء الغاضبين على الغزالى لذلك القاضى الفيلسوف ابن رشد ، فانتصر لها من صاحب « تهافت الفلاسفة » ووضع كتابا سماه « تهافت التهافت » ردّ به على الغزالى وتحامل عليه وما أنصفه فى كثير ، ثم ألف ثالث كتابا ثالثا حاول به الحكم بين الغزالى وابن رشد . والى اليوم يوجد من يقضون لابن رشد على الغزالى . وهذا الذى فعله القاضى ابن رشد يدلنا على قدر هيام الناس بهذه الفلسفة ، وقدر إكبارهم إياها وافتتانهم بها وبأربابها حتى انتقم الأخ من أخيه غيرة وغضباً لها . وهذا من أبلغ ما يكون التعظيم والغلو فى التعظيم

وقد كان للغلو فى هذه الفلسفة أثر بارز قوى فى عقائد المسلمين وعلماء الكلام منهم على وجه الخصوص ، فانهم قد حكموا هـذه الفلسفة فى كتاب الله وسنة رسوله

ﷺ ، وفى عقائد الاسلام الضرورية القاطمة ، وسلطوها على النصوص حتى سلبتها سلطانها وحكها ، حتى صـارت هى المرجع لها والحكم المتحكم فيها . وحتى لم يبق للكثيرين من هؤلاء غرض فى النصوص غير الاشتغال بتأويلها وتحميلها التفاسير الباطلة المنكرة لغة وعقلا وذوقا ودينا لتصبح موافقة أوساجدة خاضعة لهذا المعشوق المعبود ، وتجد هذا واضحاً جليا فى كتب أمثال ابن سينا والفارابى والآمدى والرازي ، وغير هؤلاء كشيوخ المعتزلة وغيرهم . وأما الرافضة فهم أقل من ذلك ولهذا الغلو الأثر القوي فى انحراف عقـائد كثيرين من المسلمين من طريق علم الكلام والجدل . والى اليوم يوجد من يحلون هذه الفلسفة المحل الأول من نفوسهم وعقائدم وايمانهم

هكذا كان سلطان هذه الفلسفة اليونانية وغيرها من الفاسفات العجميـة التى نقلت الى اللغة العربية فى عصور الاسلام القوية

وقد كان من أسباب هيام المسلمين بهذه الفلسفة أن بعض الخلفاء قد وقعوا فى حبائلها وغرامها فعنوا بها وشجعوها ، ونثروا الأموال الطائلة على القائمين بنشرها وتعليمها ونقلها الى اللسان العربى الفنى . فأكبر الناس هذه الفلسفـة وعظموها تعظيم هيبة واحترام وإجلال ، وتهيبوا أن يقولوا فيها شيئا غير المديح والثنـاء ، وغير التشبيب وصنع النسيب فى خيـالها وطيفها ومحاسنها الفاتنـة ، فاجتمعت لها جميع أسباب السلطان والزعامة على العقائد والثقافات المختلفة ما بين إلهية ومادية الى عصر هذا الامام

أما هذا الامام فقد كان أول من أعلن الثورة والتمرد على هذه الفلسفـة وعلى هذا السلطان الغريب ، وأول من رفع النداء والصوت بسقوطها وانحدارها ، وأول من قام بجد ونشاط لاحباطها وتقويض سلطانها ، وإظهار عوارها وعيوبها ونقصها ضعفها وتهافتها ، وكان أول من هاجم شيوخها وأساطينها بجراءة وصراحة نادرتين

فقد تصدى لهذه الفلسفة وأنصارها فى مختلف كتبه بالنقـد والتجريح القائمين على المباحث العلمية الصادقة ما بين عقلية ونقليـة ، ونقد شيوخها ووضعتها نقداً جريئاً صريحاً بخبرة ومعرفة واسعتين محيطتين ، وتناول سائر نظرياتهم فى الالهيـات والنبويات والطبعيات بالانتقاد الصريح القوى ، وأورد من أغلوطاتهم الشيء الكثير وفى أكثر كتبه تجد ألواناً كثيرة من هذا ، بل يكاد القارىء يجد هـذا النوع فى كل كتاب من كتبه . فقد نقدهم نقداً قويا شديداً فى مسألة قدم العالم ، ونقـد المتأخرين المقلدين لهم كابن سينا واخوانه فى قولهم ان العـالم قديم وحادث معا ، وقديم ومخلوق لله أيضا ، ويعنون بهذا أنه قديم الوجود الزمانى ، بمعنى أنه لم يكن حادثا وجوده بعد عدمه ، ومع قدمه الزمانى هو مخلوق لله وحادث أيضا ، ويعنون بهذا أن وجوده تابع لوجود الله قديم بقدمه ، فهو لازم له تعالى لزوم المعلول للعلة الموجبة ، وتأويل هذا أن العالم لم يكن حادثاً بخلقه تعالى واختياره ، وأنه لهذا ليس مختاراً ولا فعالا لما يريد ، وقد نقد هذا القول فى مواضع من كتبه ؛ وتجد شيئا من هذا فى أول كتاب منهاج السنة . وكذلك نقدهم فى قولهم : الواحد لا يصـدر عنه إلا واحد ، وكذا فى إنكارهم الصفات ، وفى قولهم انه علة موجبـة ، تعالى الله ، وكذا نقد أقوالهم فى الأفلاك وفى الفلك الأول ، وما قالوه من أن حركات الأفلاك هى السبب فى حدوث الحوادث اليومية ، وكذلك نازعهم فى الجوهر الفرد وفى تماثل الأجسام ، وكذلك كشف أغلاطهم فى النبوات والوحى ، وكذلك أكثر ما قالوه فى الفلكيات ، وأظهر ما شاء الله من خلطهم ودعاويهم ، وكذلك هاجم منطقهم المؤله ؛ وأظهر ما فيه من النقصان والدوران والتخليط والتضليـل ، وما أحسن قوله فى هذا المنطق : « ان معرفته لا تفيد الغبى ، وجهله لا يضر الذكى » وكذلك هاجمهم فى غير هذا . وقد كان فى جميع مهاجماته شديداً عنيفا وحاداً قويا ولكنه مع هذا يعترف لهم بما معهم من الحق والصواب ، ويمتدحهم لأجله ويضيفه اليهم

والعجيب أنه فى نقده هؤلاء الفلاسفة يعتمد على الفلسفة أكثر من اعتمادهم عليها ، ويبدى من المعرفة بها ما يجعل قارىء كلامه يتضاءل ويصغر فى أفق نفسه وأفق الوجود مهما كان ذلك القارىء تياها مغروراً . وعندى أن كتب هذا الامام تصلح علاجا لمرض المغرورين بعلومهم وثقافاتهم وذكائهم الفياض . فما علينا إلا أن نقول لكل مغرور تياه : اقرأ كتب هذا الامام يفارقك غرورك ويذب كبرك .

وما أذكر أنى قرأت شيئاً من كتب هذا النابغة إلا أحسستنى أتضاءل وأقل فى نفسى ، وأحسست ذلك الأفق الذى أراه لنفسى يضيق ثم يضيق حتى يكاد العدم يغلب الوجود . وما فتحت له كتابا إلا أحسست ذلك الغرور الذى يغلب المرء وعقله وحقيقته فى فجر حياته يذوب شيئاً فشيئا حتى يكون مكانه ذلك الانهزام النفسانى الخاذل الذي يهاجم النفس أحيانا فيهزها هزاً عنيفاً حتى تكاد تترك كل شيء مما يتعاطاه الناس الراغبون الآملون فى هذه الدنيا السعادة والنجاح والفوز ولقد كدت مرات ، ومرات أيضاً أطلق القلم وكل شيء وأكب على دراسة كتب هذا الامام عند ما يعروني هذا التخاذل النفساني الذى يعرو نفساً رأت فجأة ، وعلى غير انتظار أعظم الأمثال البشرية . وما أحسب انسانا يفهم ما يقرأ يوفق لقراءة بعض كتب هذا الشيخ ثم لا يجد الرغبة الملحة فى الاستزادة ، أو لا يجد الاندفاع اليه والاكبار له والايمان الصادق بصدق نظراته وآرائه . وقد عرفنا أن أقواما ربوا على مقت هذا الشيخ والخوف منه ومن كتبه كانوا يتحامون أن يقرءوا له شيئا خيفة أن يجذبهم الى سحره أو ضلاله على ما علموا ، فكانوا يتقونه اتقاءهم المرض المعدى . وقد كان هـذا دأب خصوم الأنبياء والمصلحين العالميين ، فانهم يلجؤون الى تحذير الجماهير الاتصال بهؤلاء المصلحين من الأنبياء فمن دونهم بحجة الغيرة عليهم وعلى عقائدهم القديمة الموروثة ، التى يريد هؤلاء المصلحون تغييرها وانتزاعها من بين سرائر قلوبهم ، وكان هؤلاء الخصوم يعلمون أن هـذا

أعظم سلاح يلجؤون اليه فى مناهدة الاصلاح ومناهضة المصلحين وذلك أن سلطان الحق لا تستطاع الحيلولة بينه وبين أعماق النفوس السليمة إلا بالابتعاد عن مهابطه ومهابط أهله ، الذين يعرضونه على القلوب والعقول عرضا واضحا صحيحا ، ولهذا فان الناس يؤتون أكثر ما يؤتون من ناحية التضليل والمضللين

ولو أن المعجبين بالغربيين وبعلومهم وتحليلاتهم الموصوفة بالدقة والتحقيق ، وبغوصهم فى أحشاء الحقائق الخفية أتيح لهم أن يقرءوا لهذا النابغة الفذ لتبدلت نظراتهم الى الغربيين والى المسلمين أيضا ، ولأصبحوا مسلمين شرقيين لا غربيين ثم لطفوا من غلوهم واعجابهم بكل ما يقذف به الغرب الغابن هذا الشرق المغبون ، ولكن ضل القائد فضل المقود وضعف الطالب والمطلوب

ومما اتفق لهذا الشيخ مما لم يتفق لسواه أنه فى كل علم يسبق المتخصصين المبرزين فيه : فهو فى عصره يفوق المحدثين فى علوم الحديث رواية ودراية وحفظا ونقداً ، ويسبق علماء الكلام في علم ما قيل وما يقال ، وما فى ذلك من آراء ومذاهب ، وما لكل مذهب من استدلال وحجة ووجه ، ويفوق الفقهاء فى معرفة الفقه ووجوهه ومذاهبه ، ويعرف فقه كل مذهب أعظم من معرفة رجال المذهب له ، ويفوق المفسرين بما قيل في تفسير الآية من الآراء والمعانى حديثا وقديما ، عن السلف وعن الخلف ، وما فى الآية من وجوه واحتمالات وروايات وآثار ، ويفوق الفلاسفة فى معرفة فلسفتهم ، وما قاله المتقدمون والمتأخرون منهم ، من المسلمين وغير المسلمين ، هذا الفارابى وابن سينا وابن رشد والفخر الرازى معدودون فى الطليعة الأولى من فلاسفة المسلمين المعنيين كل العناية بما قاله أرسطو واخوانه من فلاسفة اليونان ، ولكنه مع هذا اذا تعرض لنقد أحد هؤلاء الفلاسفة أو لنقدهم جميعا أورد الشيء الكثير من آراء أولئك الفلاسفة القدامى مما فات هذه الطبقة من فلاسفة الاسلام ، ويفوق علماء الملل والنحل فى علم ذلك ، أما فى علوم

السلف الصالح والاحاطة بآرائهم وما قالوه فى كل وجه من وجوه العلم والمعرفة فهو لا يجارى ولا يلحق له غبار ، وهـذه الناحية أبرز ناحية فى نواحيه ، وأما فى العلوم العربية : النحوية والصرفية ودقائق اللغة وأسرارها وأفرادها فله الباع الطولى والقدم الراسخة ، وما بثه من هذا فى سائر كتبه يعرفنا مقدار نبوغه فى هذه العلوم وقصته السابقة مع أبي حيان النحوى تدلنا على قوة هذا الجانب فيه ، وقد قيل انه سئل عن حرف « لو » وما فيه من الوجوه وما له من المعانى ، فكتب فيه كتابا مستقلا ، ولله من الأسرار والحكم في خلقه ما لا يستطيع النفوذ اليه كله ذهن نافذ وهذه الصفة المحيطة فيه لم تتفق فيما أذكر لغيره من العلماء ، فان من المستقرأ أن من نبغ فى علم أو علمين أو علوم قصر ـ ولا بد ـ فى العلوم الاخرى أو جهلها جهلا تاما ، وهذا ما اتفق لجهابذة العلماء وفحولهم ، أنظر هذا الامام الغزالى مثلا عالم بالكلام وبالفلسفة وبالفقه وأصوله ، ولكنه متأخر جداً فى علوم الحديث رواية ودراية ، وفى علوم السلف رواية ودراية أيضا ، وفي علوم التفسير ، وفى علوم اللغة ، وفى غير ذلك ، وهذا أيضا الفخر الرازى نابغ فى الجدل وفى صناعة الحجة المسفسطة وفى علوم الكلام ، ولكنه بعد ذلك متأخر جداً فيما تأخر فيه الغزالى ، وهذا أيضا الفيلسوف القاضي ابن رشد ليس خيراً من هذين الشيخين فى ما تأخرا فيه . وعلى هذا النحو انظر الى جميع العلماء ـ الا من شاء الله ـ تجدهم كذلك ، نابغين فى جانب أو جوانب ، مقصرين فى الجوانب الأخرى ، ولله من خلقه صفايا ممتازة

فهذا الامام إذ ينقد الفلاسفة ويهاجمهم ينقدهم ويهاجمهم بعلم واسع وخبرة مستفيضة ، تارة بعلومهم وفلسفاتهم ، وتارات باحسن من ذلك . ثم هو معدود أول رافع لعلم الثورة والتمرد على هذه الفلسفة الاجنبية الباطلة التى ألحقت بالاسلام واصله ماشاء الله من الاضرار المادية والمعنوية الخاصة والعامة ، وأول مناد باجلاء

هذا الغريب الثقيل المؤذى من ساحة المسلمين المؤمنين المحمديين ، وأول من حمل الفأس لتحطيم هذا الوثن المعبود دون الله فى بلاد الاسلام والتوحيد والايمان والقرآن ، وأول من رفع الكأس القاتلة ليفرغها فى جوف هذا العدو المحتل لغزو قلوب المسلمين وعقائدهم . وليس الاحتلال للعقائد والايمان والاخلاق دون الاحتلال العسكرى للديار أخطاراً وأضراراً ونتائج مشؤومة . وليس الحامل على محتل العقائد والقلوب دون الحامل على المحتل العسكرى ثواباً وفضلا . فابن تيمية بهذا المكان المحمود غير مدفوع

آثار ابن تيمية فى العالم الاسلامى

الآثار التى ترتبت على ظهوره

ولقد كان هذا الامام من أفذاذ الرجال القلائل الذين يعمدون الى تاريخ الانسانية الأسود القاتم فيلونونه بالوانهم الالهية النورانية الناصعة ، ويعمدون الى صحائف مظلمة مخيفة أملاها دين الانسان الجاهل ، وعقله الناقص ، ونقصه الكامل فيمزقونها بأسلات أقلامهم ، ويجللون مالم يمزقوه بخيوط من نور الله المشرق فى جوانب معاني الانسان المريضة المظلمة اشراق الشمس فى جوانب المادة الكثيفة المظلمة ، ويغسلون من وجه هذا الوجود معانى ظلمه ، كما تغسل الشمس معانى ظلماته ، ويطهرونه من جراثيم امراضه العقلية والقلبية ، كما تطهره الشمس من جراثيمه الجسدية المادية . ولولا هذه المعانى الالهية المشرقة فى بعض القلوب الممتازة لما عرف الانسان الفرق بين المعنى الاسود والأبيض ، وبين المعنى المشرق والمعنى القاتم ، كما لايستطيع ان يميز الجسم الأسود من الجسم الأبيض ، والحالك من الناصع لولا نور الله الذى أظهره فى بعض الجماد من خلقه . وليست مادة الانسان بأحوج إلى النور المادى من معناه الى النور المعنوي ، وليس

بصره بأحوج الى نور الشمس من بصيرته الى نور المعنى . والناس قد يعيشون فى ظلمات المادة كما يعيش العميان ، ولـكنهم لايعيشون فى ظلمات المعنى الا بقدر ماتبقى بينهم من أنواره

ولهذا الامام آثار كثيرة بارزة فى بناء هيكل الاصلاح الاسلامي العظيم ، وفى توجيه الناس وجوها ما كانوا ـ فيما يظن ـ مهتدين اليها ـ الا ماشاء الله ـ لولا جهاده الصابر المصابر ، وما خلق معدا له من النبوغ فى جميع نواحى النبوغ البشرى المستعمل فى مايرضى واهب النبوغ وواهب كل شيء . وقد قامت على يد هذا الامام هيا كل كثيرة من هيا كل الاصلاح :

١ ـ فلا شك أنه هو الرجل الفرد الفـذ الذى قد بعث فى العلوم الاسلامية الحياة والنشاط والحركة الدؤوب بعد الركود والرقود والجمود ، وهو الذى شحذ عزائم العلماء وألهب جهودهم وأشواطهم نحو الكمال والفضل والخير والسمو ، وذلك بما قام به من الهجوم والنضال العلمى العنيف ، والحملات الشديدة القوية التى صبها على أهل النقص والضعف والقصور والتقليد والركود والرجوع القهقرى ، ثم بما أرى الحاسدين المطاولين المسامين من التفوق والتبريز القاهر الواضح ، وبمـا أبداه من النشاط وغزارة العلم ووفور الذكاء والمعرفة ، وتطلب الحقيقة الخالدة الواحدة بالجد الذى لا يدرك ولا يطال ، ثم بما أكسبه ذلك كله من هيبة الصدور ومحبتها ، وبعد الصيت ورفعة القدر والشأن ، والاستهانة بالدنيا وأهلها ، فان هذه الأمور الفاضلة التى فاز بأشرفها وأطيبها هزت أناس ذلك العصر هزات أيقظت النائم ، وشحذت الكليل ، وحركت الساكـن ، واصطدمت بهم اصطدام الموجب بالسالب أو المغلوب بالغالب ، وأحدث هذا الاصطدام مايحدث التقاء موجب الكهرباء بسالبها من الاشراق والنور والقوة وابراز أشد ما فى الطبيعة من السر الكامن والطبع القوي الحاد . فان لاصطدام المعنى القوى بالمعنى الضعيف مثل ما لاصطدام الجسم

القوي بالجسم الضعيف من ذلك : فاما حطم القوى الضعيف ، وإما دفعه الى جهته ووجهه فراح يفعل فعله ويقصد قصده . وهذا هو ما كان من معنى هذا الامام ، فانه حطم ما لا يصلح للبقاء وكبته وأذله ، ووجه الصالح الطيب الى الخير والنافع المفيد ، فقامت نهضة علميــة زاهرة ، وقوية ناجحة ، هو الباعث الموقظ لها ، فكثر العلماء النابغون ، والمؤلفون الخالدون فى عالم التأليف الخالد الصالح ، واتسعت آفاق العلم والعلماء وجلت منازعهم ومناحيهم ، فقامت سوق العلم والمعرفة ، وقام فى تلك الآونة رجال عدوا ــ والى اليوم يعدون ــ من أفذاذ العلماء ونوابغ المؤلفين المحيطين بآفاق المعارف والعلوم والفنون ، ما بين عقاية ونقاية . ولنذ كر من هؤلاء الرجال أمثال ابن قيم الجوزية وابن عبد الهادى والحافظ الذهبى والحافظ ابن كثير وغير هؤلاء من الرجال المعاصرين لهذا الامام ، والمعاصرين المعاصرين ، من المخالفين له والموافقين ، فان المخالفين قد استفادوا منه مثل ما استفــاد الموافقون ، فالمخالف وان أبى الاعتراف له والموافقة فقد حملته المنافسة ، وحمله حب البقاء وخوف الفناء على تقليد المنافس والاستعداد له والتسلح بمــا تسلح هو به . وقد تلاحقت سلسلة هذه النهضة العلمية وامتد أثرها الى الامام عصوراً طوالا أفاد بهــا العلم والتأليف والدين مالا يقدر من الفوائد القيمة الباهرة الظاهرة ، وفضــل هذا كله يرجع الى مصدر هذه النهضة الأول

وقد خطت عصور وقرون على هام الأمم الاسلامية والعربيــة قبل ظهور هذا الامام ركدت فيها العلوم والمعــارف والثقافات ركوداً يشبه الموت فى معانيه ، وتبلدت فيها الأذهان تبلداً كاد يقطع الصلات بين حاضر الاسلام وغابره ، وبين المسلمين والاسلام . ولو أنك طالبت عصوراً ضخمة سبقت مولد هــذا الشيخ بعالم واحد يشار اليه كأولئك العلماء الذين ولدت عصور الاسلام الأولى ، وكأولئك الذين كانوا فى عصر هذا الامام وما بعد عصره من المتأثرين بعلومه ووجوده ،

وعلوم تلاميذه ووجودهم ، لما أجابتك تلك العصور إلا بالعجز والاعتراف بالافلاس الظاهر

فهذا الامام هو بلا ريب أبو النهضة العلمية الاسلامية فى عصور الاسلام الوسطى ، وما زال المصلحون فى الاسلام من ذلك العهد الى اليوم يفكرون بذلك الرأس وينتزعون منه معاني الاصلاح وحججه ، عرف ذلك من عرفه ، وجهله من جهله

٢ ـ لاريب أن هذا الشيخ هو أول ثائر ثورة قوية منظمة ثابتة ذات قواعد وأساس وبراهين قاهرة معلومة على الدخيل الغريب فى الدين ، وعلى المبتدعات الحمق ، وأنه هو أول من أرسل الصوت المدوى القارع مطالباً بابعاد كل غريب فى الدين عن الدين ، ومطالباً بأخذه غضاً طريا كما جاء ونزل ، وكما تلقاه المسلمون الأولون من محمد بن عبد الله ﷺ

أجل ، لاريب أنه هو أول من آذن الابتداع والمبتدعين بالحرب والعداء ، وأول من أقام سوق الحرب العنيفة بين أنصار السنة وأنصار البدعة ، وأنه هو القائد الأعظم المظفر لزعماء الاصلاح الحاملين على كل غريب فى الدين : عملياته واعتقادياته وما نعلم أن عالما أبلى بلاءه فى معاجزة الابتداع والمبتدعين ، وما نعلم من أحسن مهاجمة ذلك وتأليف الدلائل لمهاجمة مثله ، ولا نعلم من ألف ما ألفه فى هذه المطالب العليا من الكتب المنقطعة المثال فى جودة تأليف الحجج وتصنيف الدلائل عقلية ونقلية ، ثم فى ذيوع الاسم ، وما من باب من أبواب البدع المحمولة على الاسلام حملا إلا وقد كتب فيه وأجاد ما شاءت له الاجادة ، وإلا وقد حشر من البراهين العقلية والنقلية ، على الانتصار للسنة ما لا أمل لأحد ـ فيما نعلم ـ بأن يسبقه فيه . وقد أخرج فى جميع أبواب الابتداع ـ التى لم تطرق قبله إلا لماماً واختطافا وكلمات طائرة قصيرة ـ كتبا عظيمة كبيرة مملوءة بالدلائل والبراهين القاهرة ، حتى أصار

هذه المباحث مطروقة ميسورة ، معلومة الدلائل مجموعتها ، يسهل على كل أحد الالمام بها وعرفانها سريعاً بسهولة ، بعد أن كانت كلمات شاردة قصيرة ، أو كتباً مشوشة لم تنضج ، ولم تصبح جديرة بالبقاء والانتشار اللذين قدرا لمؤلفات هذا الامام الفذّ ، وآية ذلك أنه ما من داع من دعاة الابتداع الا ويمقته ويمقت اسمه ، ويتمنى لو استطاع محو اسمه من بطون الكتب وقلوب الرجال ، وصفحات الدهر والوجود ، وما من داع من دعاة البدعة الا وقد آذاه ، وأضاف اليه من التهم والاكفار والافساق واختلاق الأكاذيب ما استطاع . وقد أنكر ما أنكره هو من البدع جماهير العلماء من جميع المذاهب وجميع البلدان ، وألف فريق منهم فى ما ألف هو فيه ، ولكن قدح المبتدعين وهجاءهم - على رغم ذلك - ينطلقان اليه وحده ، وهذا لأنهم يعلمون أنه هو القائد الأكبر المظفر لغزو المبتدعات والجهالات . وآية ذلك أيضا أنه ما من داع من دعاة السنة الا ويجله ويوده ، ويزجى اليه أجل الثناء الخالص العاطر ، ويفاخر بالانتماء اليه وطائفته ، ويعجب به وبكتبه ، ويحرص على قراءتها والاستفادة منها ، ويعترف له بالامامة والزعامة ، ويرجع اليه كثيراً مما عنده من المعرفة والهداية الى السنة وحبها والحرص عليها والقيام بنصرتها والذياد عنها ، فهو العدو الأشهر للبدع وأربابها ، والصديق الأكبر للسنة وأصحابها ، فما عادى المبتدعون فى عصره وبعده مثله ، ولا أحب أهل السنة والاعتصام بها فى عصره وبعده مثله ، فقد نال من أهل السنة أخلص الولاء والرضاء ، وناله من أنصار البدعة أشد الكراهة والمقت ، فله أجل ثناء أولئك وأكبر عداء هؤلاء ، فله أعظم العداء وأعظم الولاء ، فهو محبوب مكروه ، محبه يحبه بشدة ، وكارهه يكرهه أيضا بشدة ، وهذان برهانان على أنه هو رجل السنة الأوحد ، وخصم المبتدعات المفرد ، فعلى يديه تمّ نصر السنة على المبتدعات ، وانتصار أهل السنن على أهل البدع ، وبه قام الفرقان واضحا جليا بين

الحزبين والطائفتين والأمرين ، وهذا لا يدفعه الا مكابر للحق ، مغموس فى الهوى أو فى الجهل أو فيهما معا

٣ ـ لا ريب أنه هو الذى استطاع بمهارة وقوة أن يوفق بين نصوص الشريعة الثابتة وبين المعقولات الصريحة ، وأن يزيل ما بينهما من اختلاف مدعى وتعارض حسب حقا عصوراً طويلة ، حتى أسيء الى المعقولات والى المنقولات معا

وقد جاء هذا الامام وامهات الدين الاعتقادية قد عقدت حولها وعليها ألوان من الشبهات والمعارضات المختلفة المخيفة : فكانت على الصفات السمعية عقد ، وعلى قيام الصفات بذات القديم عقد ، وعلى الافعال الاختيارية وقيامها به تعالى عقد ، وعلى مغايرة الصفات للذات عقد ، وعلى صفات الحكمة والتعليل والاختيار عقد ، وعلى صفة الكلام عقد ، وعلى صفة الاستواء والعلو عقد ، وعلى حدوث العالم عقد ، وعلى بعث الاجسام عقد ، وعلى النبوات والكرامات والمعجزات عقد بعد عقد ، وعلى التوفيق بين العقل والنقل عقد أية عقد . وبالاجمال كانت على سائر أمهات الدين الاعتقادية عقد معقدة ، وكانت الفلسفات الاجنبية المعرّبة قد نسجت على قطعيات الاسلام الضرورية العقد والاشكالات من كل جانب ووجه ، حتى صار أكثر الناس المصابين بهذه الفلسفة ازاء النصوص فريقين فريقا زهد فيها وسخر منها بعد أن أيقن مخالفتها للمعقولات الضرورية التى لاتنازع ، فكان موقفه منها موقف المحرف المؤول ان اصطدم شيء منها بشيء من عقلياته . وفريقا قبلها بايمان واستسلام ظاهر على مضض مع اعترافه بأنه لا يمكن الاصلاح بينها وبين المعقولات فى الظاهر ومع اعترافه بأنه لا يمكن إقناع العقليين بها ، وكان غاية أمره أن قال إنها فوق العقول البشرية . فلا مناص من التفويض والاعراض عن محاولة فهمها وعلمها . وكان موقف هذا الفريق موقف القادح المعادى للمعقول ودلائله ، كما كان موقف الفريق الأول موقف القادح المعادى للنصوص . وكان موقف كل

ريق من الآخر موقف المتنقص الذام ، فكان أهل العقليات يسمون أهل النصوص بأنهم لا يعقلون فلا يليق بهم الخطاب ، وكان أهل النصوص يسمون أهل العقليات بأنهم ملحدون كافرون ، فواجب على المؤمن الفرار بدينه وإيمانه منهم ومن عقلياتهم لئلا يضلوه ويفسدوه . وكان إحلال الصلح بين الفريقين بعيداً لا يرتجى وكان لكل من الفريقين أتباع وأنصار ، وكان الظفر - أعنى الظفر بكثرة الأتباع والأنصار - غالباً فى جانب العقليين ، لأن الناس مجبولون على الفرار مما لا يفهمون ولا يدركون ، وعلى الاستمساك بما فهموا وعلموا . وبهذا كان للمعتزلة التفوق على خصومهم فى عهد المأمون والواثق والمعتصم ، حتى لقد استطاعوا أن يكسبوا هؤلاء الخلفاء العظام ، وأن يجعلوهم من أنصارهم ، الحاملين الناس على عقيدتهم وآرائهم بالسيف والسوط والسجن . ولست أشك أن هذا الامام لو كان هو الخصم المناهد للمعتزلة فى ذلك العهد لاستطاع رفع المحنة عن أهل الحديث . ولاستطاع أن يقف أولئك الخلفاء عن الاندفاع في تيار الاعتزال الجارف ، ولاستطاع أن يدهده ذلك السلطان العلمى الاعتزالى الذى طاح برقاب كانت بريئة ، وأشاط بدماء ما كان أخلقها بأن تصان وتستبقى

هذا ما كان من الأمر بين المعقولات والمنقولات قبل ظهور هذا الامام . فلما أن ألفى الأمر كما ذكرنا عمد إلى تبديد هذه الغمة ، وتصدى الاصلاح بين العقل الصريح والنقل الصحيح . فأشاد البراهين على أنهما اخوان لا يختلفان أبداً ، وأن كل نص صحيح صريح لا بد أن يسير العقل الصحيح الصريح فى جانبه مؤيداً مقويا لا مخالفا منابذا ، فتم له ما حاول وأشاد صرح ما أراد . فكان فيصلا من فياصل الله وفاروقا من فواريقه ، فكان هو أول من تم له التوفيق بين المعقولات والمنقولات والاصلاح بينهما بمهارة خارقة عجيبة . فلنضعه بهذا المكان بلا جمجمة ولا احجام

٤ - ثم ليس من شك فى أن النهضة الاصلاحية الاسلامية المشهودة فى هذا

العصر ، والقائمة منذ قرنين بشكل واضح جلى ، والمدوّى صوتها منذ قرون الحين بعد الأحيان ، هذه النهضة الرامية الى تخليص الدين من الترهات والزيادات ـ مرجعها الى هذا الامام والى كتبه القيمة المضمنة آراءه وعلومه ونظرياته الناضجة الصحيحة ، وما من اصلاح دينى في هذا العصر الا وهو السبب له إما مباشرة منتزعاً من كتبه مباشرة ، واما بوساطات قليلة أو كثيرة تتصل حلقتها الأخيرة به وبمؤلفاته الخالدة فالعالم العربى والاسلامي المنادي بالاصلاح الدينى الاعتقادى الرامي الى تخليص الدين والعقل من كل دخيل غريب باطل ـ مدين كله لهذا الامام ولكتبه بأفضل ما معه وهو فكرة الاصلاح وإبعاد الدين عن الترهات ، بل لاريب أن دعاة البدع والضلالات الاعتقادية المريضة القادحين فى هذا الامام وفى إصلاحه مدينون له بالفضل واستنارة الأذهان وصقل العقائد ، وذلك أنه بثوراته ومهاجماته ومؤلفاته التى لجوا فى عدائها ومطاردتها وهجائها قد هزّ نفوسهم وعقائدهم ودخائلهم هزات تطايرت من هولها وشدتها أنواع كثيرة من رخيص الآراء ، وهجين العقائد ، فانصقلت عقائدهم وأذهانهم وآراؤهم شيئا فشيئا ، وفارقوا كثيراً من المبتدعات المرذولة الناقصة تحت ضغط قانون المنافسة والمجاذبة والمساجلة اما بعلم منهم وإما بغير علم ، فله عليهم بذلك الفضل العظيم ، والأيادى التى لا يستطيعون جزاءها عرفوا ذلك أم جهلوه

وقد قامت على هيا كل هذه النهضة الاصلاحية الراجعة إليه حركات سياسية نافعة ، ويرجى لها المزيد والقوة والنشاط والانتشار والعز الباذخ ، وإليه يرجع الفضل فى قيام الدولة العربية السعودية أولا وأخيراً . وذلك أن هذه الدولة الفتية قائمة على قواعد الاصلاح الدينى وتخليص الاسلام مما لوثه من الأوضار الاعتقادية والعقلية ، ولا ريب أنه هو الدال على هذا الاصلاح الذى قامت عليه هذه الدولة بوساطة شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رضى الله عنه ، فهما مشتركان فى هذا

الفضل العظيم . ولهذا فان رجال هذه الحكومة وأنصارها يحملون له خالص الولاء والاجلال

فالنهضة الاصلاحية الاسلامية فى العالم العربى والاسلامي اليوم وقبل اليوم بعدة قرون مدينة لهذا الامام ، راجعة إليه وإلى كتبه الخالدة ، فهو ـ ولا شك ـ أبو النهضة الاسلامية الحديثة ، وهو ـ ولا شك ـ الواضع لأساسها و قواعدها الراسية الثابتة . ولو أننا أردنا معرفة جميع دعاة الاصلاح فى هذا العصر لوجدناهم جميعا من المتخرجين على كتبه الدارسين لها . وهذا أمر لا يدفع ولا ينكر

٥ ـ ثم لاريب أنّ هذا الشيخ أول من أبدى عيوب الفلسفات الأعجمية من يونانية وغير يونانية ، وأول من أبدى أضرار مزج هذه الفلسفات بالعقائد الاسلامية الصافية ، وأول من عدد ما نال ايمان المؤمنين من جراء هذه الفلسفات وجراء مزجها بالعقيدة التى مصدرها القرآن والرسالة المحمدية ، وأول من أبدى مخالفتها لنصوص الدين ، ودلل على أنها هي الباطلة عقلا و نقلا ، وعلى أن النصوص هي الصحيحة عقلا و نقلا ، ثم هو أول من هاجم الفلاسفة المهاجمة القوية البارعة ، ووضع اللثام عن أغلاطهم وأخلاطهم ، وأول من أبدى للمخدوعين المغرورين بهم أمكنة الضعف والنقص فيهم بأساليب مختلفة كثيرة

٦ ـ ثم لاشك أنه هو أول من خرج على ذلك الأسلوب اللفظي المغتصب الأسجاع والأوزان ، الشائع بين العلماء والأدباء قبيل خروجه وفى عصره بعد أن ركدت العلوم وتناقص العلماء فى عصور الانحطاط والجهل والضعف الشامل كل شيء فى الاسلام لأسباب ذات عدد أصابت الاسلام وأهله اصابات بالغة موجعة . فكان العلماء والكتاب والأدباء أيضًا مقيدين بالسجعات المريضة والألفاظ المهلهلة ، الممسوحة بكلف التكلف ، الملونة بألوان البلاغة اللفظية الفارغة . فكانت الأساليب أساليب لفظية لأن اللفظ ومحاولة تزيينه ـ على حساب ذلك الذوق المالك ـ كان

هو المقصود المرعى أولا وآخرا . فكان القول والتأليف بجيء - ولا محالة - ركيكا فارغا هالكا ، لايمكن أن يصل مكان الشعور أو يلامس النفس والقلب والعقل ، وكان غايته أن يطرب الأسماع لترقيه سجعاته المتناكرة المتمادية ، فكان أئمة العلماء والأدباء والكتاب خاضعين لهذا العرف البلاغي الميت

أما هذا الامام فانه كان ثائراً على كل بدعة وعلى كل ضعف ونقص ، حتى على بدعة الأسلوب وضعف التأليف ، ونقص الكتابة ، فكانت أقواله وألفاظه وآراؤه ومعانيه لاتتقيد إلا بوثاق الحق والقوة ، ولا تخضع إلا للبرهان والحجة ، أما الناس وعاداتهم وعرفهم الخاص والعام ومبتدعاتهم وأهواؤهم : أما ذلك كله فليس جديراً بأن يقيد المرء به نفسه وعقله ودينه وألفاظه وعاداته . فكان لذلك يرسل ألفاظه كما كان يرسل معانيه وآراءه حرة طليقة غير مقيدة إلا بالمعنى الذى أراد أن يفهمه الناس وأن يعلموه . فالمعنى هو المقصود والمراد ، وأما الألفاظ فمعارض له وأزياء فيجب أن تكون تابعة له خاضعة . فكما يجب أن يكون الثوب ملائما لذلك الجسم المعروض فيه وأن يكون بقدره فكذلك يجب أن يكون اللفظ ملائما لمعناه وبقدره أيضا . ولهذا جاءت أساليبه أساليب علمية محكمة مفهومة المعنى بسهولة ويسر ووضوح ، بعيدة عن التكلف وعن الزخارف اللفظية المشوشة ، بعيدة عن خدمة الأوزان والتوقيع الأدائى الآلى ، لاتكلف قارئها فى فهم معناها والاحاطة بمرماها إلا بقدر ما يكلفه انتقال المعنى القريب من صفحة هذا الوجود الى صفحة قلبه ونفسه . ولهذا أيضا كانت مؤلفاته خالدة لأنها تلامس شعور القارىء قبل أن تمر بأذنه ، ولأنها قد أفرغت فى قالب الفطرة الالهية الأولى ، فما من قارىء لها إلا ويجد فطرته المولودة مع شعوره وفهمه وعلمه وجسمه ، فهى حبيبة الى كل قلب وهى خالدة ما خلدت القلوب والمشاعر

ولو أنك عرضت فصلا من فصوله العلمية التى كتبها منذ أكثر من ستة قرون

على كتاب هذا العصر وعلمائه لما حسبوا ذلك إلا من توليد عصرهم ومن نتاج الأقلام والألباب العصرية . وهذا هو آية الخلود ، ومثل هذا هو الجدير بالبقاء والذيوع من الكلام العالى ، فهذا الامام مجدد فى الاسلوب والتأليف كما كان مجدداً فى الآراء والنظريات والمعانى

وقد تأثر صفوة تلاميذه أساليبه كما تأثروا معانيه واصلاحاته ، فكانوا بذلك ممتازين

هذه بعض النواحى الاصلاحية التى قدمها هذا الامام الى الاسلام والمسلمين ، والى العرب والعربية ، فما أعظم بركته ! وما أحسن أثره فى نفسه وفى أمته !

المقادح فى ابن تيمية

وأما ما ذكره هذا الشيعى وما ذكره غيره من المقادح فى هذا الشيخ فيقال فى الجواب عن ذلك : ان المقادح التى ذكروها قسمان : قسم كذب على الرجل لا أصل له ، وقسم صحيح النسبة اليه ولكن الحق هو ما قاله فيه . أما قسم الأكاذيب فهو ما ذكروه من أنه كان يقول ان علياً كان مخذولا حيثما توجه ، وأنه عالج الخلافة مراراً ففاتته ، وأنه كان يقاتل للرئاسة لا للديانة ، وأنه كان يحب الملك ، وأن عثمان كان يحب المال ، وأن أبا بكر أسلم شيخاً يدري ما يقول وأن علياً أسلم صبياً لا يدرى ما يقول وأن الصبى لا يصح إسلامه ، فهذا كله كذب صريح ، وكذلك ماذكروه من أنه كان يبغض آل البيت النبوى ، وأنه كان يسعى للخلافة والامامة ، وأنه كان ينسب الجسم والجهة الى الله ويضلل من لم يقل ذلك ، وأنه كان يقول بأن شيئا من المخلوقات قديم . فهذه الأمور كلها كذب صريح وبهتان عند الله جزاؤه . ولقد صرح فى أكثر كتبه المعروفة المقروءة بانكار هذه التهم وإبطالها والرد على القائلين بها ، فقد أنكر صراحة فى غير ما كتاب من كتبه القول بأن الله جسم أو أنه فى جهة ، ولكن يقر ما جاء فى النصوص من الاستواء

والعلو المطلق ، لا يزيد ولا ينقص ، وصرح كذلك فى جميع كتبه بأن كل ماسوى الله وصفاته حادث كائن بعد عدم ، وقد رد ردوداً باهرة على الفلاسفة وغيرهم من القائلين بقدم شىء من العالم ، وألف الحجج الخالدة القاهرة على حدوث العالم وجميع أجزاء هذا الكون ، وقد دافع عن الصحابة عموماً وعن آل البيت خصوصا فى مالا نعلمه من كتبه ولا سيا كتاب « منهاج السنة » الذى ردَّ به آثام الشيعة وعدوانهم على الصحابة وعلى المسلمين ، وأحرق شبهات النواصب القادحين فى آل النبى ﷺ ، وشبهات الشيعة القادحين فى الصحابة وفى الأمة الاسلامية عامة . وما كتب كاتب ـ فيما نعلم ـ دفاعا عن الصحابة كافة ، وعن المسلمين كافة مثله فى كتابه « منهاج السنة » وفى غير هـذا الكتاب من كتبه الذائعة الامم ، المطبوعة وغير المطبوعة . وقد دافع خاصة عن الخليفة المين الامين عثمان رضى الله عنه وحرق مقادح الشيعة الظالمة فيـه ، وحل ما نسجوه من التهم والمذام حول دينـه وعدله وإيمانه حتى انقشع ذلك الجهام المدلهم عن سماء صحابة رسول الله ﷺ وأركان دينه ودعوته رضى الله عنهم جميعاً . وقد كانت مقادح الرافضة قبل ذلك غشاء كثيفا حائلا بين الأبصار وبين محاسن أولئك الصحابة الكرام

وأنا أشهد لله شهادة حق أسأل عنها بين يدى الله يوم القيامة أننى لا أعرف عالما أحسن الدفاع وصدق الذياد عن صحابة رسول الله ﷺ وآل بيته مثـله فى كتاب منهاج السنة ، وأشهد لله شهادة حق وصدق أسأل عنها يوم الدين أننى لاأعلم من رد عدوان الرافضة وعدوان النواصب على الصحابة وعلى آل النبى ﷺ مثل هذا الامام الربانى

فهذا القسم كله كذب ظاهر على الشيخ ، وعنـد الله جزاء الكاذبين . ومن شك فى هذا تحديناه وطلبنا اليه أن يدلنا على شبهة واحدة من هذه الشبه فى كتاب من كتبه ، بل ليدلنا على شبهة من هذه الشبه لم يصرح هو بضدها وبابطالها وبالرد

على القائلين بها فى سائر مؤلفاته . أما ان يقول حاقد ذو ضغن ان فلانا كان كذا وكذا ، وكان فى دينه وعقيدته كيت وكيت ـ فى حين أن جميع كتبه تنادي بخلاف قول ذلك الحاقد ـ فأمر لا يعبأ به العاقل ولا ينعم به الحق عينا

ومن مصائب الدنيا والله أن يقول هذا الشيعى ان ابن تيمية منافق لأنه قال فى عثمان ما ذكر من حب المال فى حين أنه هو وإخوته الشيعة يكفرون عثمان ويكفرون أبا بكر وعمر وعائشة وغيرهم ، ويقولون فيهم أعظم الأقاويل وينسبون اليهم من الآثام ما قد يتأثم من غشيانه أعلام الفجار والكفار ! ويل الانسان ! فما أظلمه وما أجهله !

واذا كان من قال ان عثمان يحب المال وأن عليا كان مخذولا وأنه كان يحب الرئاسة والملك ، اذا ما كان قائل هذا منافقا وزنديقا ، فما يكون من قال فى أبى بكر وعمر وعائشة وفى سائر الصحابة والمسلمين ما ذكرناه في مقدمة هـذا الكتاب وفى أثنائه ؟ !

هذا جواب القسم الأول من المقادح التى هي كذب واختلاق . وأما القسم الثانى من المقادح التى هى صدق ولكنها ليست مقادح وانما هى فضائل قائمة فهى انه يقول بعلو الله على خلقه وعرشه ، وأنه يؤمن بجميع ماجاء فى الآيات والأخبار الثابتة من صفات الله كالنزول الى سماء الدنيا ، والمجىء والقرب والوجه واليدين والأصابع ، والرضا عن المؤمنين والصالحين ، والغضب على الظالمين والكافرين وكالمحبة للحق والايمان والاستقامة ، والكره للباطل والفسوق والمروق ، وأنه تعالى يتكلم بحرف وصوت ـ كما دلت عليه الدلائل ـ فهذه الصفات وغيرها وغيرها من أوصاف الكمال لله يؤمن بها هذا الامام إيمانا خالصا قويا ، ويدعو الى الايمان بها جميع المؤمنين ويخطىء من لم يؤمن بها ، ولكنه يؤمن بها مع التنزيه ورفع التشبيه كما يؤمن بذاته تعالى وأسمائه وسائر صفاته مع التنزيه ورفع التشبيه . فلا يقول :

ان هذه الصفات لله تشبه صفات المخلوقات . كما لا يقول : ان ذاته تعالى تشبه ذوات الخلائق ، ولا ينكر هذه الصفات خوف التشبيه وبحجة التنزيه . كما لا ينكر ذات الله وأسماءه وصفاته الأزلية خوف التشبيه وبحجة التنزيه ، واذا كان ممكنا الايمان بالذات والحقيقة والوجود وسائر مالا يمكن الانكار له من الصفات - مع المحافظة على التنزيه والاستمساك به - كان ممكنا الايمان بهذه الصفات المذكورة مع المحافظة على التنزيه والاستمساك به أيضا ، ولو كان الايمان بهذه الصفات قاضيا بالتمثيل - كما يزعمون - لكان الايمان بالذات والوجود والحقيقة قاضيا أيضا بذلك فالذات والصفات فى هذا المعنى سواء لزوما واقتضاء : والتفريق بينهما غلط لا حيلة فى دفعه أو رفعه ، ولا ريب أنه اذا لم يكن المؤمن بالذات لله والوجود و بعض الصفات مشبها أو ممثلا لم يمكن أن يكون المؤمن بسائر الصفات الثابتة مشبها ولا ممثلا ، وأنه اذا ما كان المؤمن بسائر الصفات مشبها وممثلا فلا بد أن يكون المؤمن بالذات و ببعض الصفات كذلك أيضا ، ومن المحال عقلا ونظرا وجدلا الخلاص من هذا الالزام . ولو استعان المخالف بالجن والانس وكل ماخلق الله على أن يجد مخرجا من هذا الالزام لما وجده ، ولو أعير عقله عقول العقلاء جميعا ثم جهد على أن يظفر بفرق بين الأمرين لاعياه ذلك الفرق

فابن تيمية - كسائر السلف والعلماء المستمسكين بالنصوص والآثار - يؤمن بما جاء من الصفات لله رب العالمين بلا تفريق بين صفة وصفة ، ولا بين نص صحيح ونص آخر صحيح . إذ كل ذلك من عند الله . ثم يعلم بعد أن الايمان بذلك ليس فيه شيء من تشبيه الله بالحادثات والمخلوقات ، وليس فى شيء من ذلك نقص ولا ضعف لا يليق بالله . بل ثم يعلم أن الايمان بذلك هو عين التنزيه والتقديس والاجلال والاكبار لله رب العالمين ، ويعلم أن المعطلين المجردين هم المشبهون المثلون حقا . إذ لولا شعورهم بذلك ، وشعورهم بأن النصوص بظاهرها تشبيه

وتمثيل لما فزعوا الى التأويل والتجريد ، زاعمين أنهم ما فزعوا إلا من تشبيه الله وتمثيله بخلقه ، ومن وصفه بصفات الحدوث التى دلت عليها نصوص الكتاب والسنة . فالتشبيه أولا قد وقر ـ ولا بد ـ فى نفوس المؤولين المنكرين . فالذين ينكرون على ابن تيمية وغيره من السلف الصالح الايمان بالصفات الثابتة النصوص ويزعمون أنهم ان آمنوا بذلك كانوا مشبهين ـ فى حين أنهم هم يؤمنون بذات الله ووجوده وأنواع أخرى من صفاته ، ولا يرون أنهم شبهوا ولا مثلوا ـ غالطون غلطاً فاحشاً ظاهرا ، وتحقيق هذا البحث قد ألممنا به فى ثنايا هذا الكتاب وأول هذا الفصل

إذن شيخ الاسلام ابن تيمية يؤمن بصفات الله الواردة فى النصوص الثابتة ايمانا قويا حازما ويدعو الى الايمان بذلك بلا تفريق بين صفة وصفة ، كما يؤمن السلف قاطبة ، وهذا من حسناته لا من سيئاته

وأما قوله « ومنهم من ينسبه الى الزندقة لأنه قال ان النبى عليه الصلاة والسلام لا يستغاث به » فيقال فى جواب ذلك أولا انه لم يقل أن النبى لا يستغاث به مطلقا حياً وميتا في ما يقدر عليه ومالا يقدر عليه . بل الذى قاله ودونه فى جميع كتبه وشهره فى الفصول الطوال هو أنه لا يستغاث بالنبي عليه السلام ولا بغيره فى مالا يقدر عليه إلا الله من ضروب الحاجات وضروب المطالب العليا . كما لا يستغاث به بعد وفاته وبعد انتقاله الى الرفيق الأعلى ، ولا وهو غائب لا يسمع الداعى ولا يسمع دعاءه ولا يقدر على اجابته عادة . أما فى الحياة فلا خلاف فى جواز الاستغاثة به فى ما يقدر عليه من الشؤون والحاجات التى جعل الله له القدرة على أن ينفع فيها شيئا . بل ولا خلاف فى جواز الاستغاثة بسائر المؤمنين فى ذلك فضلا عن أكرم الخلق على الله وعلى المؤمنين ، وكذلك فى الدار الأخرى فى ما يقدر عليه . فهذا كله لا ينكر منه ابن تيمية شيئا . بل لقد ذكره وذكر

جوازه ووجوبه أحيانا فى جميع مؤلفاته ، وهذا أمر لم يختلف المسلمون فيه قط فالقول بأنه ينكر الاستغاثة بالرسول إطلاقا حيا وميتا قول كاذب ، والمخالف نفسه يعلم أنه كاذب ، وأنه خلاف مذهب الرجل المعروف

ثم يقال ثانياً : كيف يكون قائل ذلك ـ لو فرضنا أن أحداً قاله ـ زنديقاً وهو لفظ حديث نبوى مشهور ، وقد ذكره الشيخ فى كثير من كتبه ؟ والحديث هو أنه كان فى زمن النبى عليه الصلاة والسلام منافق يؤذى المؤمنين ، فقال بعض المسلمين : لنستغث برسول الله من هذا المنافق ، فكان رد النبى عليه السلام : « إنه لا يستغاث بى وإنما يستغاث بالله » وإذا كان المتكلم بالنصوص زنديقاً فما يكون المسلم المؤمن ، وبماذا يتكلم الصدّيق الولى ؟ ! نعوذ بوجه الله من سوء المنقلب

هذا ، وليعلم أن كمال الأنبياء وغيرهم من عباد الله الأبرار ليس فى أنهم يغيثون الناس ويقضون حاجات الخلق ، ويقدرون على الاعطاء والمنع والضر والنفع ولا فى أنهم يسألون ويستغاثون ويدعون . ليس كمال الأنبياء والصالحين فى شىء من ذلك حتى يكون منكر ذلك منكراً كمالهم وفضلهم وشرفهم ، ولكن كمالهم وفضلهم وشرفهم فى أن الله جعلهم موضع سره وهدايته ورسالته ، وجعلهم الهداة اليه والدلال عليه ، المعرفين لمهابط رضاه ومواقع سخطه . فمن أنكر هذا كان ـ ولا ريب ـ منكراً قدرهم وشرفهم وفضلهم قادحا فيهم أيضاً ، لا من أنكر الاستغاثة بهم ، وأنكر قدرتهم على إغناء العباد وقضاء حاجاتهم ومآربهم ، وهذا لا يتنازع فيه العارفون بالاسلام وبأصل دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وهذا ما دلّ عليه الكتاب والسنة جملة وتفصيلا . ولهذا كان أعظم أصحاب النبى عليه السلام أقل الناس سؤالا له واستجداء ، وكان الأعراب والجفاة وغلاظ الطباع أكثر الناس سؤالا له واستغاثة به ورغبة فى عطاياه ومنحه ، وكانوا يتفننون فى اقتراح المسائل عليه واقتراح المطالب والحاجات المختلفة ، وقد يذهب الضلال

وضآلة العقل والفهم بكثيرين الى أن القدرة على الأمور المستحيلة عادة وشرعا مقارنة للنبوة ومعنى النبي ، فكانوا يذهبون الى أن النبي هو الذى يستطيع أن يصنع لهم ما يريدون وما يشتهون وما يتمنون على دنياهم وتقترحه عليهم شهواتهم وأنفسهم ولهذا كثيراً ما طالبوه بمعجز المطالب كايجاد الكنوز والأنهار والجنات فى الصحارى المقفرة وأمثال ذلك من المطالبة برقى السماء وانزال الملائكة ، والكتب المكتوبة ، الى آخر ما قصه القرآن من مسائل المعاندين الكافرين للانبياء عليهم السلام . وهذا كله مبنى عندهم على أن النبى هو القادر الفعال لما يريد المعطى لما يسأل ويطلب ويقترح عليه ، ولأجل هذا كان جواب الله عن رسله أمثال قوله : « قل سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولا » « انما أنت منذر ولكل قوم هاد » « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى إلى » وهذا كله رد على أولئك القوم الذين يريدون من النبي والنبوة نيل المآرب الدنيوية والاغاثة والغوث . . ولكن وظيفة النبوة هي غير ذلك ، هى أسمى وأجل ، هى وظيفة التعليم والارشاد والهداية الى الله ، والى الصلاح والفلاح ، والى كسر ناموس الشهوات الطاغى العنيف ، والى الآخذ بيد الروح والمعانى الروحية لتنتصر على المادة والماديات ، فناموس النبوة مضاد لناموس الشهوات المادية ، ملطف من حدته وعنفه ، فاذا ما عزّت دولة الأرواح والمعانى الفاضلة ذلت - ولا محالة - دولة المادة الشهوانية بعنف وشدة ، هذه هى وظيفة النبوة

أما الاعطاء والمنع والخلق والايجاد والاغاثة والغوث ونحوه ، فذلك كله لله رب العالمين لا شريك له ولا معين ، وما كان لله لا يصح أن يضاف الى خلقه ولا أن يطلب منهم ، ومن فعل ذلك فقد ضل وجهل ، فيجب التفريق بين الحقين : حق الله وحده وحق رسله وأنبيائه وعباده جميعاً ، والضلال العظيم هو الخلط بين الحقين ، أو إعطاء هذا حق هذا

إذن ليس الزنديق هو الذى يقول : ان الأنبياء - بل والخلق جميعاً - لا يستغاث بهم فى ما لا يقدر عليه الا الله وحده . وانما ذلك هو المؤمن حقا ، العارف بحق الله وحق عباده ، المعطى كلا حقه ، لا خلط ولا ضلال

هذه هى جملة المقادح التى حورب بها هذا الامام ، وأراد المخالفون أن يبلغوا بها ما يشتهون من ايذاء دينه وعقله وعلمه وسمعته ، وان القارىء المنصف حكما عادلا من نفسه يحكم بين هذا الشيخ وبين خصومه الشانئين بعد أن وضعنا بين يديه ما زعموه له من السيئات والعيوب ، وقليلا مما كان له من الحسنات ، وان الحق لا يضيع بين الله والناس ، وان المفلس حقا ، المغبون حقا ، هو ذالك الذى أعدم من الفضائل والحسنات ، فراح يعادى أهل ذلك انتقاما لنقصه وعيبه من كمال الكاملين وفضل الفاضلين

ماذكره ابن بطوطة عن ابن تيمية

يوجد هنالك فى رحلة الرحالة المشهور ابن بطوطة حكاية عن ابن تيمية اتخذها الخصوم حجة على ما يذهبون اليه من اتهام الرجل واتهام دينه وعقيدته . وخلاصة هذه الحكاية ما يأتى قال : وكان فى دمشق الشام من كبار الفقهاء الحنابلة تقى الدين بن تيمية كبير الشام ، يتكلم فى الفنون الا أن فى عقله شيئا ، وكان أهل دمشق يعظمونه أشد التعظيم ، وكان يعظهم على المنبر . وتكلم مرة بأمر أنكره الفقهاء ورفعوه الى الملك الناصر فحبس ، فألف فى السجن تفسيراً للقرآن سماه « البحر المحيط » يقع فى نحو أربعين مجلداً ، ثم أطلق من السجن فعاد الى وعظ أهل دمشق ، فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ، فكان من جملة ما تكلم به أن قال : ان الله ينزل الى سماء الدنيا كنزولى هذا ، ونزل درجة من درج المنبر ، فأنكر عليه فقيه مالكى ، فقام الجمهور الى هذا الفقيه فضربوه بالنعال

والأيدى ضرباً شديداً ، ثم حملوه الى دار قاضى الحنابلة فأمر بسجنه وتعزيره ، فأنكر فقهاء المالكية والشافعية ما كان من تعزيره ، ثم كتب الى الملك الناصر فى ما حدث وذكر له قول ابن تيمية أن الطلاق الثلاث بلفظة واحدة يقع طلقة واحدة وأن المسافر بقصد زيارة القبر النبوى لايقصد الصلاة وسوى ذلك مما يشبهه ، فامر الملك الناصر بسجنه فسجن حتى مات

هذا خلاصة مافى رحلة ابن بطوطة من هذه الرواية والذى يعنينا من الحكاية هو ما ذكر عنه أنه قال ان الله ينزل الى سماء الدنيا كنزولى هذا . أما ما قاله فى الطلاق الثلاث فقد اعترف له الناس أخيراً بأن ما قاله هو الحق الذى يرجع اليه وقد رجعوا الى العمل بذلك فى محاكمهم الشرعية ، وأما ما ذكر فى السفر الى زيارة القبر الشريف فندع القول فيه الى الباب الخاص به ، وأما ما ذكره فى النزول فهو ما نتكلم عليه هنا فنقول ان هذه الحكاية مفرغة - كما رأيت - فى قالب المديح والاطراء فهو - على ماقيل فيها - من كبار الفقهاء ، وهو كبير الشام ، والناس هنالك كانوا يعظمونه أشد التعظيم ، وهو يتكلم فى جميع الفنون ، وهو لا يدع الاشتغال بالعلوم والتأليف حتى فى أدق الساعات واحرج الأوقات ، وقد وضع وهو مسجون معذب القلب والبدن كتابا في تفسير كلام الله يقع في ما يقارب أربعين مجلدا ، والناس يحبونه جداً ويغارون له جدا حتى ان من أنكر عليه شيئا مما قال ضرب واهين وعذب وعزر وسجن وهو من الفقهاء العلماء . هذا ما ذكره ابن بطوطة من كلمات الثناء والاطراء لهذا الامام ، فالحكاية مفرغة فى قالب الامتداح والثناء . أما انه قال ان الله ينزل الى سماء الدنيا كنزولى هذا فهذا هو مكان الذم والخطأ لو كان حقا قال ذلك ، ولكننا نقول - واثقين مما نقول - ان الرواية على ظاهرها وسياقها المذكور غير صحيحة ولا ثابتة لأمرين اثنين لاشك فيهما أمر يرجع الى سياق القصة ، وأمر يرجع الى أنها خلاف المتواتر عن الشيخ

فى جميع كتبه . أما مايرجع الى سياق القصة فيقال : لا ريب أنه لو كان قال ذلك حقا لغضب عليه الناس جميعا ، ولوقفوا كلهم منه موقف ذلك الفقيه المنكر المحتج لأن المسلمين جميعا لا يشكون فى أن من قال ان الله ينزل كنزول الخلق ، أو أن صفة من صفات الله تشبه صفة من صفات الخلق فقد ضل ضلالا بعيدا ، ولو كانت الرواية صحيحة عنه كما ذكرت لما عاقب قاضى الحنابلة ذلك الفقيه المنكر الغاضب بل لشكره ولجازاه بالامتداح والثناء ، والتعصب للشيخ لا أحسبه يبلغ بذلك القاضى الحنبلى أن يذهب يعذب من أنكر تمثيل الله بخلقه من العلماء ، هذا مالا نظنه بذلك القاضى . ثم لو كانت هذه الرواية صحيحة عن الشيخ كذلك لكان كلام ابن بطوطة فيه غير كلامه المذكور فى الرحلة ، وأيضاً لو كانت صحيحة لما استجاز ابن بطوطة ولا ذلك الفقيه ولا غيرهما من الحاضرين الصلاة خلفه . وظاهر القصة أنه صلى يوم الجمعة ، وظاهرها أيضا أنهم لم يدعوا الصلاة وراءه . هذه أمور راجعة الى القصة نفسها والى سياقها تدل بمجموعها دلالة قوية ظاهرة على أن الرواية غير صحيحة بالنص المذكور

وأما الأمور الدالة على بطلان الرواية ، التى لاترجع الى القصة نفسها ، فهى : ان هذه المقالة مخالفة لأقواله التى لاتحصى من التنزيه والأخذ بطريقة السلف الصالح ومخالفة لما علم عنه بالضرورة من أنه لا يقول ان صفة من صفات الله تشبه صفة من صفات العباد ، وهذا معلوم عن الشيخ بالضرورة والتواتر ، وهذا ماصرح به فى ما لايعد من كتبه المطبوعة المشهورة . ومما يدل دلالة لا تكذب على كذب الرواية واختلاقها أنه قد كتب كتابا شرح به حديث النزول الى سماء الدنيا ، وقد طبع الكتاب ، وهو بجملته وتفصيله اكذاب لهذه الرواية ، وقد قال فى مواضع لا نعدها من هذا الكتاب : ان نزول الرب وسائر صفاته ليست كصفات المخلوقات ، ولن يوجد فى هذا الكتاب ولا فى غيره من كتبه لفظ واحد يشير الى

صحة الرواية وإقرار معناها أو يتهاون فى إكذابها وإنكارها ، بل كل ما كتبه إكذاب لها صريح . ولا ريب أن مذهب الرجل يجب أن يؤخذ مما كتبه بيده ومما دونه ليكون رأيا له وعقيدة لا مما يتلقفه بعض الناس عنه من ألسنة الريح ومنطق الهوى والهواء . ولو أن آتيا أتانا وحدثنا عن الامام مالك أو الشافعى أو أحمد أو غير هؤلاء كالبخاري أو مسلم أو ابن حزم أو ابن تيمية أو غيرهم بحديث يخالف ماهو مدون فى كتبهم وما هو معلوم عنهم فى مذاهبهم بالتواتر والضرورة لما كان منا إلا أن نرد ذلك الحديث وأن نكذبه وأن نلج فى تكذيبه وإنكاره ، ولما أجزنا البتة أن يكون ذلك الحديث صحيحا مقبولا ، وهذا أمر لا شك فيه عند جميع العقلاء العارفين بالموازين العقلية

فهذه الرواية كذب على الشيخ لأنها مخالفة لجميع ما كتب فى جميع كتبه ، ولأنها مخالفة لما قاله فى الكتاب الذي شرح به حديث النزول ، فلا يصح الاعتماد عليها بحثا ومنطقا

هذا ما يقال من جهة ثم يقال من جهة أخرى : ان الدلائل على كذب هذه الحكاية كثيرة ، منها أنها لم تذكر فى مجالس مناظرته لخصومه فى الجلسات التى عقدها السلطان له ، ولو كانت صحيحة لأخذه بها مجادلوه ومناظروه . ومجالس مناظراته مدونة معلومة ، ومنها أن الذين ردوا عليه وقدحوا فيه من المتصلين به المواطنين الشانئين له لم يذكروها ، وهي لو كانت صحيحة فذكروها لكانت من أعظم المقادح فيه ، وكانت أقوى من جميع ما ذكروه لأجل اثخان سمعته وعلمه ودينه ، ومنها أن رجلا مسلمًا لا يمكن أن يقول ان صفة من صفات الله تشبه صفة من صفاتى ، هذا ما لايمكن أن يقوله مسلم يؤمن بالله مهما كان نزوعا الى الزيغ والخبال الاعتقادى فضلا عن عالم معدود من أكبر علماء المسلمين . هذا كله يدل على أن القصة على ظاهرها كذب ولا ريب

وحينئذ يقال : هل تعمد ابن بطوطة الكذابة على الشيخ ؟ هذا ما لا نميل اليه وان كان ابن خلدون قد ارتاب فى كثير مما ذكره في رحلته ، ومال الى أن الكذب أو الخلط والنسيان قد داخل ذلك حتى ارتفعت الثقة عن الرحلة بما فيها من غرائب وأخبار ، ذكر ذلك ابن خلدون فى المقدمة ، بل وان كانت دلائل الخلط فى الرحلة واضحة جلية عديدة ، فان فيها أشياء من البعيد جداً أن تكون من الصدق الحق . اننا لا نميل الى التكذيب رغم ذلك كله ، وإذن يقال كيف تخرجون هذه الحكاية ؟ فنقول من القريب أن يكون هنالك حرف سقط من الكلام ، على أن يكون قد قال : « ان الله ينزل (لا) كنزولى هذا » ، فسقط حرف (لا) ، وقد سمعت السيد رشيد رضا رحمه الله يذكر هذا الاحتمال ويميل اليه ، واذا ما اختير هذا الاحتمال التأم سياق القصة وتماسكت أجزاؤها ودانت للواقع ولمذهب الشيخ المعلوم الذى لا يختلف

وها هنا احتمال ثان لا مانع من الذهاب اليه ، وهذا الاحتمال هو أن يكون النسيان قد غلب الرحالة فى هذه القصة ، وهذا قريب لأن الرحلة لم تجمع إلا بعد أن طوّف ما طوّف ، وآب الى بلاده متعب الجسم والنفس بعد الأعوام الطوال المُنسية ، وبعد الأسفار الشاقة المضنيــة ، ويظهر أنه ما كان يفكر فى جمع الرحلة وجعلها كتابا إلا بعد أن ألقى عصا التسيار واستقر به النوى ، وهذا كله يجعل احتمال النسيان قريبا

هذا ثم انه لم يكن هو الجامع للرحلة المؤلف لأجزائها ، وانما جمعها وألفها تلميذه ابن جزى ، ولهذا يوجد فيها كلام كثير ليس من كلام الرحالة وانما هو من كلام الجامع الراوى ابن جزي . وهذا واضح من قراءة الرحلة

ثم يقال بعد هذا أن ابن بطوطة لم يذكر — على ما فى الرحلة — انه سمع ألفاظ ماذكر من ابن تيمية مشافهة ، وانما زعم أنه قال ذلك فقط . وحينئذ يقال : لعل

غير صادق أبلغه هذه المقالة الكاذبة فخالها حقاً وصدقا ، والله العليم . ولو لم يبق إلا إكذاب ابن بطوطة لعصرنا الى إكذابه لأجل الدلائل المذكورة

القادحون فى ابن تيمية

افخر فان الناس فيك ثلاثة   مستعظم أو حاسد أو جاهل

لو أنك أردت أن تترجم موقف الناس ازاء كل عظيم من عظماء هذه الدنيا لما ترجمته بأحسن ولا أصدق من هذا البيت الشعري الصادق . فان الناس — مهما اختلفوا طباعاً وجهات — ثلاثة رجال ازاء كل عظيم بارز رفيع القدر والجاه رجل معظم مستعظم ، وهذا هو من أفلت من وثاق الجهل وصنوه الحسد . ورجل ثان حاسد حاقد ، وهذا هو من آمن قلبه رغما ، وكفر لسانه رغما أيضا . ورجل ثالث جاهل لا يعرف العظيم ولا العظمة ، لأنهما فوق سمائه وفوق مذاهب عقله ونفسه وطبعه ، فهو يعيبهما ويزدريهما ويحتقرهما لأنه لا يعرفهما ولا يعرف قيمهما

فمواقف الناس فى كل الأمم والعصور والبيئات من كل عظيم . لا تعدو ثلاثة مواقف : موقف المعظم المعجب ، وموقف الحاسد الحاقد ، وموقف الجاهل الغر وفتش عن كل عظيم فى هذا العالم العجيب فلن تجده إلا معظما محسداً مجهولا ، ولن تجد الناس ازاءه الا معظما أو حاسداً أو جاهلا ، ومن حكم الله البالغة أن كل حق ومحق فى هذه الدنيا لابد أن يكون لهما أنصار وعشاق يصدقون الدفاع عنهما فى هذا العالم الصاخب بالآثام والجرائم . ثم يتولون حفظ ذلك وإبلاغه وإيصاله الى الاجيال الآتية والنائية لتقوم الحجة الظاهرة على الشانئين الجاحدين ، وما من فضيلة فى هذه الارض إلا ولا بد أن يكون لها حاسدون محنقون ، تطرف أعينهم رؤيتها ، وينضج أكبادها استذكارها . حتى ان الناس كانوا — وهم الى

اليوم كذلك ـ يستدلون بكثرة الحاسدين على عظم المحسود وكثرة فضائله

وابن تيمية كان أحد هؤلاء العظماء الذين كان لهم مستعظمون معظمون وكان لهم حاسدون حاقدون ، وكان بهم الأغرار الجاهلون ، وقد اقتتلت عليه هذه المعاني الثلاثة : الحسد والتعظيم والجهل أى اقتتال منذ هب ،مناه يعمل فعله في المعانى الثلاثة ويضرم فى كل معنى أثره المحتوم . أما المعظمون له المستعظمون فهم كل من سما بنفسه ودينه وأدبه على رذيلة الحسد والحقد ، وارتفع به قدره وجده واستعداده عن وهدة الجهل والغباء ، وأما أعداؤه وخصومه فهم أسرى الحسد والجهل إذ خافوه على مكاناتهم العلمية الجهورية ، وعلى مناصبهم المادية الدنية ، واذ قصرت أنفسهم عن علم مادعا اليه من الاصلاح والهداية المحمدية فأنكروا أمره وتناولوه بالتجريح والتفكير والتهم الموبقة الكاذبة

فاذا قال هذا الرافضي : ان ابن تيمية قد سب وقدح فيه وكفر وحبس وعذب ومات مسجونا معذبا ، قلنا له : أجل ، وأى مصلح عظيم لم ينله نصيب من ذلك ؟! ومتى كان هذا دليلا على فساد أمر الرجل وفساد ما دعا اليه وجاهد لأجل اعلائه ونصرته ؟! ونحن لو عكسنا الاحتجاج لكان هذا العكس أهدى وأصدق من احتجاج الرافضى ، وذلك أن المعهود الأكثر أن السلطة تلج بمحاربة المصلح الداعى الى العدل والحق عادة ، وكثيراً ما يصطدم رضا السلطة والزعامة الزمنية برضا الحق وأهله ، وقليل أن تتفق وجهة الحق ووجهة السيف والسوط . وما زال الناس يستدلون بمناصرة العالم الدينى للحكومات على فساد أمره وحرصه على الدنيا وزهده فى الآخرة والدين ، ولا يزالون يستدلون بمغاضبته الحكومات ومغاضبتها هي اياه ، وازوراره عنها وازورارها هى عنه على صلاح أمره ورغبته فى الله وفى الدار الآخرة وفى قول الحق وارغام الباطل والظلم ، ونحن نرى بأبصارنا فى الحاضر ونقرأ فى بطون الكتب فى الغابر أن أكثر العلماء الذين تمتعوا برضا

السلطة وبذهبها وورقها انما نالوا من ذلك بقدر ما فقدوا من دينهم وعقولهم وشرفهم وضمائرهم وحرياتهم وعلمهم وآدابهم

وإذن لن يدل تعذيب ابن تيمية وحبسه ومطاردته على نقص فى دينه أو خلل في علمه أو ضلال فى عقيدته ، وان كانت لهذا دلالة كانت على قوة دينه وصلاح أمره وعقيدته واعلان الحق وان رغم كل كاره له

فاذا قال هذا الرافضى أو غيره من الخصوم لهذا الامام : ان العلماء فى عصره أو بعد عصره قد أجمعوا على إكفاره ، واضلاله ، واجتمعوا على الرغبة عنه وعن دينه ومذهبه ، قيل : كلا والله ، وما اجتمع على عدائه وخصومته الا خدام الدنيا ، وحساد الفضائل ، وأحلاس البدع ، وشيع الترهات المخجلة ، هؤلاء الذين اصطدمت شهواتهم ومآربهم بما يدعو اليه هذا الامام هم الذين جدوا فى عدائه وإيذائه والحاق الأذى الأعظم به ، أما العلماء الربانيون الذين يريدون وجه الله وحده ويريدون أن ينتصروا للحق قبل أن ينتصروا لشهواتهم وهوى أنفسهم فقد كانوا من أنصاره المبجلين له ، المعترفين بسبقه وإمامته وديانته وفضله وقيامه لله مقام الصديقين المجاهدين . وقد اجتمع فضلاء المذاهب الأربعة وغيرها وكبارهم على الثناء عليه والاعتراف له بالتبريز فى فنون العلوم وبالقيام بحق العلم قولا وعملا . وثناء الناس عليه ، المعاصرين له والمتأخرين ، لا يجمعه كتاب جامع . وقد ألفت الكتب الضخمة فى تعداد فضائله وفى امتداح العلماء الكبار له ، وقد وضعت فى ترجمته الأسفار الكبار ، ومن الكتب المؤلفة فى الثناء عليه وفى نقل مدح العلماء المعاصرين والمتأخرين له كتاب « الرد الوافر » تأليف شمس الدين محمد بن أبى بكر الشافعى المتوفى سنة ٨٤٢ هـ ، وكتاب « القول الجلى فى ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية الحنبلى » تأليف الشيخ صفى الدين الحنفى البخاري ، وكتاب « الكواكب الدرية فى مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية » تأليف الشيخ مرعى الحنبلى . وهناك

كتب أخرى غير هذه الكتب منها المطبوع ومنها غير المطبوع . والنقول في هـذه الكتب امتداحاً وثناء على هـذا الامام ، والشهادات له ، شهادات أكابر العلماء والكتاب والأدباء ومدحهم لا يستطاع جمعها في كتاب واحد . ولشهرة هـذه الكتب وذيوعها نستغنى عن ايراد شيء من ذلك ، ونحيل القارىء إليها . والذى نريد هنا هو أن نقول لهذا الرافضى : ان من الهوى الموبق والانحطاط المسف قوله : « ان العلماء فى عصره حكموا بضلاله وكفره ، وألزموا السلطان قتله أو حبسه » ، أفعمى هذا الشيعى عن هذا الشهادات المدونة فى الكتب الكبار فى الثناء عليه وفى تعداد حسناته ومحاسنه !! وكيف يستطيع من يؤمن بالله وباليوم الآخر أن يزعم أن علماء عصر هذا الامام قد أجمعوا على إكفاره والمطالبة بقتله وقداستطاع رجال عدة أن يجمعوا كتباً ضخمة من شهادات العلماء المعاصرين بالثناء عليه والاعتراف له بالامامة والزعامة العلميـة !؟ ما أغنى الدين والحق عن الكذابة واتهام الأبرياء إذا كان هؤلاء يزعمون أو يظنون أنهم ينصرون الدين ويخدمون الحق ! وماأخلق العلماء بالصدق ومقالة الحق اذا كان هؤلاء ينصبون أنفسهم مناصب العلماء المرشدين ! وما أقبح الكذب ولكن أقبح هـذا القبيح أن يكون ممن يقولون للناس انهم هم المؤمنون وحدهم ، وهم الناجون المستمسكون بخلائق آل النبى ﷺ وحدهم ! ولكن أقبح هـذا القبيح أيضا أن يكون صادراً ممن لم ترضهم سيرة أبى بكر وعمر وعثمان وعائشة والصحابة الآخرين !

ولا نعلم كيف يتفق قوله هنا انهم أجمعوا على ضلاله وكفره ، وأنهم مع هذا « طالبوا السلطان بقتـله أو حبسه » ؟ فانهم اذا كانوا يرونه كافراً لم يصح أن يكتفوا بحبسه دون قتله بل لابدمن القتل ، إذ هذا هوحد المرتدين المغيرين لدينهم ! ما أجدر الباطل بالتناقض !

وانَّنا نسأل هذا الشيعى : مَن من العلماء نال من الثناء مثل ما نال هذا الامام

الفذ ؟ ومن من العلماء كتب فيه من المديح والاطراء مثل ما كتب فيه ؟ ومن منهم وضعت فيه المجلدات الكبيرة ثناء ومديحاً قبل هذا الشيخ أو بعده ؟ اننا ندع جواب هذه الأسئلة للواقع الذى لا يكذب ولا يحابى ولا ينافق

نعم نحن نسلم للرافضى أن ابن حجر الهيتمى المكى قد قدح فى ابن تيمية وسبه وأضاف اليه ما شاء من الاتهام والتضليل والاكفار ، ولكننا نقول ان الجواب عن ذلك هو معرفة الفرق بين ابن تيمية و بين ابن حجر الهيتمى و بعد ما بينهما من بون الأفق العلمى . وما مثل قدح الهيتمى فى ابن تيمية إلا كقدح جاهل من جهال الشيعة فى أبى بكر الصديق أو عمر بن الخطاب أو عثمان أو عائشة أو غير هؤلاء من الصحابة وأركان الاسلام ، وما قيمة هذا القدح فى الميزان العلمى الصادق ؟! ثم ان الجواب عن هذا أيضا أن ننظر ما الذى نقمه الهيتمى من ابن تيمية ، وما ضلاله وزيغه لديه ! ان القدح الذى نقله الرافضى عن هذا الهيتمى فى ابن تيمية هو ما زعم أنه كان يقول بالجهة والتجسيم ، وهذا كذب على الشيخ كما قدمنا ، فان ابن تيمية ينكر صراحة القول بالجهة والتجسيم فى جميع كتبه ، ولكنه يقر الاستواء على العرش والعلو على الخلق وينكر ما سوى ذلك من الأقوال المبتدعة فاذا كان قدح الهيتمى فى هذا الامام كذبا صريحا فما قيمة الكذب ؟ ومتى كان الكذب واضعا من قيم حقائق الأشياء الصادقة ؟ ! ثم يقال : ان ابن حجر هذا ، القادح فى شيخ الاسلام ابن تيمية هو القادح أيضا أمرَّ القدح فى الشيعة ، وقد أنضجهم مقادح وملاوم فى كتابيه « الزواجر » و « الصواعق » . فان كان قدحه فى انسان ما يدل على نقص ذلك الانسان وفساده ونقص دينه وفساده كان قدحه فى الشيعة دالاّ على ضلالهم وفساد أمرهم ودينهم ، وإلا لم يدل قدحه فى ابن تيمية على ما أراد هذا الشيعى . فالشيعى على كل حال غير خارج من الميدان إلا بعكس ما أراد

وأما ما نقله عن كتاب « الدرر الكامنة » فنقول له : ان كتاب « الدرر » ليس من تأليف الهيتمى كما زعم ، وانما هو من تأليف الحافظ ابن حجر العسقلانى المحدث المشهور ، مؤلف كتاب « فتح البارى » شرح صحيح البخارى . ثم نقول : ان الذي فعله هذا الرافضى يدل على خنوعه الفاضح لهواه ، وذلك أن ابن حجر فى هذا الكتاب قد ذكر ترجمة طويلة لشيخ الاسلام ابن تيمية فيها المقادح وفيها الممادح أيضا دأب جميع كتب التراجم الحافلة ، فذكر فى الترجمة ثناء المثنين كما ذكر مقادح القادحين ، وان كان هو لا يرتضى القدح فيه ولا يصدقه ولا يقره ، وإنما نقله استيفاء للبحث وإتماما للترجمة . أما هو فانه يبالغ فى الثناء على الشيخ وإعظام أمره ودينه وعلمه وذكائه الخارق النادر المثال ، وينقل أقوال التزكية الكثيرة الطيبة فيه ، التى قالها كبار العلماء المعاصرين للشيخ . وفى الترجمة من الثناء والاطراء الشيء الكثير ، ومما ذكره فى الترجمة بعد الثناء الحار الطويل : انالقاضى امام الدين القزوينى وأخاه جلال الدين قالا : من قال عن الشيخ تقى الدين ابن تيمية شيئا عزرناه . وذكر من المنتصرين له من جميع المذاهب ومن كبار القضاة والمحدثين والفقهاء والأدباء الخلق الجم . ومن شاء معرفة ذلك فليراجع الترجمة فى الكتاب المذكور

أما هذا الشيعى فانه فعل فعل من تغلبت خصومته وحقده على دينه وعلى جلال السن ووقار الامامة . وذلك أنه اقتصر قصداً وعمداً من الترجمة الحافلة على المقادح كأنه لم تكن الترجمة سواها ، وكأنه لا مادح لهذا الامام ، ثم ورّى أن ذلك هو رأى صاحب الكتاب فيه وهو يعلم أن الأمر ليس كما ورّى . فكان بذلك صانعا ما لا يصنعه « السيد الأمين » ، وصانعا ما لا يقره الافتخار بالانتماء الى آل النبوة ، والافتخار بالانتصار للحق . وما كان أولياء النبوة والحق إلا المتقون ، وما كان المتقون إلا من يتقون الظلم والكذب والعدوان على أنصار الحق والدين . ويسير

على من أراد أن يعرف ما اختار هذا الرجل لنفسه ولدينه ولسمعته من الظلم للعلم والعلماء أن يراجع هذه الترجمة فى كتاب « الدرر الكامنة »

فابن حجر العسقلانى مؤلف كتاب الدرر الكامنة من المعجبين بهذا الامام المطرين له ، وكل ماذكر من المقادح فى الترجمة لم يكن من رأيه ولكنه نقله على عادة الناس من استيفاء الترجمة قدحاً ومدحا

هذا ثم يقال أن لابطال مقادح القادحين فى الشيخ طريقا آخر غير ماذكر وهو طريق صحيح لا ريب فى صحته ، وذلك أن يقال : هبوا أننا لم نظفر بمادح الشيخ ، وأننا لم نجد من قال فيه كلة خير وثناء وتزكية لا فى عصره ولا فى العصور الآتية من بعده ، وهبوا أننا وجدنا كثيرين من القادحين فيه المخاصمين له الناقمين منه ومن مذهبه وعقيدته وآرائه وعلومه : هبوا هذا كله صحيحا فهل يدل على ضلال الشيخ وفساد أمره واعتقاده ، وعلى أن القادحين فيه صادقون راشدون ؟

والجواب أن يقال : كلا ان شيئا من هذا لايدل على شىء من هذا . وبيان ذلك أن المخالفين والموافقين ، القادحين والمادحين ، متفقون على أن هذه الكتب المشهورة المطبوعة المنسوبة الى هذا الشيخ هى كتبه حقا ، وأنها هى علمه ومذهبه واعتقاده وآراؤه ظاهراً وباطنا ، ومتفقون على أن المآخذ الموجهة اليه هى مادوّنه فى هذه الكتب من آراء زعم أنه بها خالف الجمهور وخالف الحق والاسلام وحينئذ علينا الرجوع الى هذه الكتب والحكم عليه وعلى عقيدته وعلمه بما فيها من حق وباطل وهدى وضلال ، ولا يصح التعويل على ماليس فيها ولا أخذه بما خالفها ، وكل مايقوله الخصوم ويزعمونه لا قيمة له . لأن كتب الرجل هى الحكَم الحاكم له أو عليه ، وما دوّنه الرجل بيده فى سائر كتبه هو أصدق شاهد عليه أو له . هذا مالا شك فيه ومالا ريب فى صحته ووجاهته ، واذا علم ذلك كله

قيل لا شك أن المخالفين للشيخ والموافقين متفقون على أن الرجل كان من أصدق الناس دفاعاً عن الدين والحق ، ومن أعظمهم غيرة له ، وأنه كان من أعز الناس علماً وذكاء ، وأنه كان من أزهدهم فى الدنيا وأرغبهم فى الأخرى ، وهذا كله مادلت عليه جميع كتبه ، وأما ما خالفه الخصوم فيه وما قدحوا فيه لأجله - وهو الموجود فى كتبه - فهو جملة أمور معروفة . أشهرها دعوته الى الأخذ بنصوص صفات الله كالاستواء وغيره بدون تشبيه ولا تعطيل . ثم دعوته الى توحيد الله القاضي بأن الأموات لا يدعون ولا يستغاثون . ثم ما قال فى مسألة الطلاق الثلاث . ثم الحلف به ، أى تعليقه على أمر من الأمور ، الى مسائل أخرى هينة دون ماذكر باعتراف الخصوم له ، وهذه الأمور صحيحة عنه مثبتة فى كتبه لا شك أنه قال بها ودعا الناس اليها بشدة وحماسة ، وهذه هى مايمكن أن يثبته له خصومه من السيئات والمقادح لو كانت هذه سيئات ومقادح . فاذا ماقام الدليل القاهر على أن هذه المسائل من حسناته المشهورة القائمة الواضحة لم يبق فى أيدى الخصوم القادحين مقدح واحد فيه . ومن كتابنا هذا تؤخذ الدلائل على أن الحق قرين هذا الامام فى هذه المطالب العليا المذكورة

أما مسألة الطلاق الثلاث والحلف به فقد رجع الناس الى العمل بما قاله ودعا اليه ، وما كان يقدح فى دينه لأجله ، وقد تكلم الناس هذا العصر فى هذا كثيراً وأشادوا الدلائل على اصابته الحق والرشد . بل رجّموا دلائله على هذه المسائل الاجتماعية الخطيرة . فلم يبق إذن لدى الخصوم من المقادح فى هذا الامام شيء يعتد به أو يقام له وزن

هذه كلمات موجزة فى الدفاع عن هذا الامام الفذ ، وفى ابطال مقادح طالما تغنى بها الشنآن والظلم والخصومة والهوى ، وطالما أهين بها العلم والفضل والتقى سطرناها على عجل دون أن نراجع كتابا أو أن نستعير منها حرفا واحدا ، ودون

أن نستعين بترجمة من تراجم الامام الكثيرة المعلومة ، ولم ننقل فى هذه الكلمات كلمة مما قاله معاصرو الشيخ فيه من الثناء والامتداح والاطراء لأن ذلك كله مدوّن فى تراجم الأقدمين من تلاميذ الشيخ وغيرهم يسهل على من أراد الاستزادة من ذلك الرجوع اليها والالمام بها ، وإنما كان كل غرضنا أن نضع جملا لم يسبق اليها أحد فى ترجمة الشيخ منتزعة من كتبه وعلمه وما أحاط به من زمان ومكان وإنسان ، ونحن نرى أن أصدق التراجم هو ما كان منتزعا من كتب المترجم وعلمه وزمانه ومكانه . أما التراجم التى يقال فيها : قال فلان ، وقال فلان فهى تراجم يكثر أن تكون غير صادقة ، وذلك ان مثل هذه التراجم يبنى غالباً على المبالغة والاسراف فى القدح والمدح والتجريح والتعديل ، وهذه حال أكثر كلام الناس فى من يحبون ويكرهون ويذمون ويمتدحون ، ولم يسلم من هذا النقص إلا قوم خصوا من الله بأن يكونوا موازينه فى الأرض لتوزن بهم معاني الناس وأقدارهم ومعانى غير الناس وأقدارهم ، ولكن هؤلاء الموازين قليل ماهم

وإننا نرجو من الله المثوبة والأجر الجزيل على كل حرف نسطره دفاعا عن هذا الشيخ وعن علمه وإصلاحه ، فانه إن كان ذنب من اعتدى على العلماء المجاهدين عظيما فان ثواب من قام بالدفاع عنهم أعظم ، وان كان شانىء الحق ظالما فان شانىء أهله أظلم

ونحن لا نذكر عالما فذاً لقى من الظلم والأذى والسوء والعدوان ـ فى حين استحقاقه خلاف ذلك كله ـ مثل هذا الرجل العظيم . ولا نعلم سمعة نال منها الحقد والحسد والجهل والخصومة مثل ما نالت هذه الأدواء من سمعة هذا الشيخ العظيم ولا نعلم ذكرى غمطت وأهينت وكبتت ـ وهي من أحق الذكريات بالنشر والاظهار والامتداح ـ كذكراه ، ولكن قضت حكمة الله الغالبة القاهرة ان العدل لا بد أن يأخذ مجراه ، وإن طالت أيام الظلم والجور ، حتى يقال متى نصر الله ؟!

العبرة فى حياة هذا الشيخ

نشأ هذا الشيخ طريداً غريباً ، ثم شبّ فقيراً معوزاً ، ثم اكتهل وشاخ مطارداً معذبا ، ثم لج به تقادم السن وخصومة الخصم حتى أودع السجن وحرم لذة الحرية ولذة التطواف لهداية الناس ، وحيل بينه وبين القلم والقرطاس ، خيفة أن يفيد اصلاحه وعلمه ودينه ، فحرم بذلك أعظم اللذات وأشرفها عليه . وهكذا ظل تحت تقادم السن وكلب هذا الظلم ، حتى فزعت روحه الى الله فى سمائه تشكو اليه ظلم الانسان الانسان ، وجور الباطل على الحق ، مخلفاً وراءه ما استطاع أن يخلف من العلم والاصلاح ، منزويا فى بعض زوايا القلوب وعلى صفحات الأوراق . فعاش ما عاش فى هذا العالم بعيداً عن الدنيا وعن أهلها وعن لذاتها ومتعها ، بعيدا عن السلطان وعن أهل السلطان ، قليل الأنصار والأعوان من حملة السيف والسوط ومن أهل الثراء والجاه الكاذبين الظالمين القائمين على غير تقوى الله وعلى غير الحق حتى استطاع الأعداء الظالمون أن ينالوا منه وأن يظلموه وأن يتمادى ظلمهم إياه فلا ينقطع حتى يبعث الله اليه رسولا من رسله فيستخلص روحه الزكية من بين جدر سجن الظالمين وعلى أعين حرسه . هذا ما كان نصيبه من هذه الدنيا .

أما خصومه وظالموه ومعذبوه فقد كانوا يتنقلون — بينما كان يتنقل هو بين السجون ومطاردة المطاردين — بين الآكال الشهية ، والأثواب الفضفاضة ، والفرش الرفيعة ، والقصور الضخمة الفخمة ، ويخطرون بين السيف والصولجان فى الخول والعبيد والعديد بين الأمر والنهى . وهذا ما كان من نصيبهم فى هذه الدنيا . فماذا كان ؟

نعم . دار الفلك دورات ، ودار بدورته كل شىء فيه . فاذا الظالم والمظلوم ، واذا الشيخ والخصوم ، واذا كل شيء رهين أمر الله المحتوم . انقطعت اللذات والشهوات

وتحطم السيف والصولجان تحت « عجل » الفلك الدوّار ، وتداعت تلك القصور وتهاوت تلك السجون ، وذهب كل شيء وأمعن في الذهاب والخفاء ، وأمعن الفلك في الدوران أيضا ، فكان في كل دورة من دوراته يقذف بخصوم ذلك الشيخ الجليل المظلوم قذفة قوية الى عالم الفناء وظلمات الخفاء ، ويقذف بالشيخ الجليل المظلوم قذفة أقوى وأشد الى الحياة والى الظهور والبروز ، وكان في كل دورة من دوراته يحطم أثرا من آثار أولئك الخصوم تحت « عجلاته » ويظهر أثرا من آثار ذلك الشيخ على رغم الباطل وحداته . فمازال الشيخ يحيي وخصومه يموتون ، ويظهر وهم يختفون ، حتى صار هو في موته أحيي منه في حياته ، وصار في بطن الأرض أظهر منه على ظهرها ، وحتى صار خصومه بعد حياتهم أفنى منهم قبل الحياة ، وبعد وجودهم أخفى منهم قبل الوجود ، حتى اذا بقارىء يقرأ قول الله : « فاما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ماينفع الناس فيمكث في الأرض » واذا بهاتف يهتف وأكثر العيون نائمة : أيها العلماء ! انما هما أمران ، دنيا ودين ، أما الدنيا فبئست المرضعة ثم بئست الفاطمة ! انما هي كالحبيبة التي قيل فيها :

ويلاه ان نظرت وان هي أعرضت وقعُ السهام ونزعهن أليم

ان الدنيا كلها بمالها من شرف ومجد وخطر لا تعدو أن تكون حاجة الجسم ، حاجة البطن ، حاجة ما دون البطن ، حاجة أغبى حيوان أعجم في هذا الوجود . انما الدنيا كلها بمادحها ومحاسنها لا تتجاوز أن تكون ذرات متنقلة طوّافة مرت بأجسام هذا الوجود ومواضع شهواته ، واستمتع بها هذا الوجود من حيوانه أرذله وأشرفه ، ومن أناسيه أرذلهم وأشرفهم ، ومن نباتاته أرذلها وأشرفها

فهل يدري الآكل والشارب ماذا يأكل وماذا يشرب ؟ لعله لو درى ذلك لخفف من غلوه وغلوائه في هذه الدنيا : دنيا المآكل والمشارب . . . انما الدنيا هي الدنيا

وأما الدين فهو لله ، منه نزل والى جلاله يصعد ويعرج ، أنزله ووضعه فى ذلك المكان المحفوظ « القلب » ليحفظه من طغيان الجسم ومكروبه الذى هو الشهوة لتكون شهوته الفضيلة التى هى ثمرة الدين ، ولتظهر فيه بعض آثار الالهية وآثار العبودية الصادقة الموحدة لترحض ما ترحض ، وتمحو ما تمحو من ظلام هذه الارض وظلمها ، ولتخفف ما تخفف من كلب الاعضاء الفاسقة فى هذا الانسان ، ولتحد من طغيانها واغتلامها ، ولتنثر عليها من برده وبرده ما يلطف اضطرامها ولهيبها المحرق لمكان الفضيلة .

أيها العلماء ، إنما العالم ملك أو شيطان ، وما من شىء فى هذا الوجود نفيسه كنفيس العلماء وخسيسه كخسيسهم ، وما أعز العلم محروما من الشهوات وما أذله مغموساً فيها ، وما أخسر العالم صفقة يمين بعلمه لصوص هذه الأرض « الشرفاء » ليصيب الفضلات مما يسرقون وينهبون على حساب علمه المزيف وما أربحه صفقة ينفق علمه ليصيب رضا الله ، وليخلص به الى مائدته المعدّة لمن صاموا عن موائد هؤلاء اللصوص « الشرفاء » .

ويح العلماء ! ان في استطاعة العالم أن يهز أعظم عرش فى هذا العالم لو أنه صان علمه وضن به على غير الله ثم قام بحقه !

أيها العلماء . انظروا ، انظروا ، كيف عاش من مات ليحيي علمه ، وكيف مات من عاش ليحيي شهوته ! انهما مثلان ما أعظمهما ! أجل ، صدق الله العظيم « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » .

عبد الله على القصيمى

تم الجزء الأول ويليه الجزء الثانى إن شاء الله

فهرس

الجزء الأول من كتاب الصراع بين الاسلام والوثنية

صفحة

صفحة

تنبيـــه

وقع فى صفحة ٤١٤ هذا العنوان « تأوُّل الآيات النازلة فى الكفار فى من عمل عملهم » وهو من كلامنا لا من كلام الشيعى

كتب المؤلف

١ البروق النجدية
٢ شيوخ الأزهر
٣ الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم
٤ مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها
٥ نقد كتاب حياة محمد
٦ الثورة الوهابية